سلسلة نُصوص في اللُّغة الدِّينيَّة

مايكل سكوت | Michael Scott

اللُّغَةُ الدِّينِيَّة

Religious Language

تَرجَمةُ الدُّكتور كِيان أَحمَد حازِم يَحيَى

مع مُقدِّمة خاصَّة للتَّرجمة العربيَّة بِقلم المؤلِّف
ومُلحق يشتمِلُ على المُصطلَحاتِ المِفتاحِيَّة
لموضوعِ «اللُّغة الدِّينيَّة»





اللغة الدينية

يُجيبُ مايكل سكوت عن عددٍ من الأسئلةِ المركزيةِ المتعلِّقة بمعنى اللُّغةِ والخطابِ الدينيَّين.

- أينبغي لنا أن نُعاملَ الخطابَ الدينيَّ بمقتضى القيمةِ الظاهريةِ أم توجدُ اختلافاتٌ أساسيةٌ بينَ الخطابِ الدينيِّ وغيرِه من مجالاتِ الخطابِ الوصفيِّ؟
- هل 'الله God' اسمٌ، وكيفَ يُحيلُ؟
- هل الأقوالُ الدينيةُ استعاريةٌ؟
- هل تُعبِّرُ الأقوالُ الدينيةُ عن المشاعرِ أو المقاصدِ أو المواقفِ كما تُعبِّرُ عن الاعتقاداتِ أو بدلًا من أن تُعبِّرَ عن الاعتقاداتِ؟

الكتابُ يعتمدُ على البحثِ الحديثِ في فلسفةِ اللُّغةِ وكذلكَ على الكتاباتِ في اللاهوتِ والفلسفةِ الأوربيةِ ليُطوِّرَ نظريةً جديدةً للُّغةِ الدينيةِ. ويضمُّ الكتابُ أيضًا جهودًا جديدةً وإضاءاتٍ أصيلةً بشأنِ التطوُّرِ التاريخيِّ للبحثِ في هذا الحقلِ. ويمكنُ القولُ إنَّ هذا الكتابَ يُقدِّمُ أوَّلَ أطروحةٍ أصيلةٍ واسعةِ المدى للُّغةِ الدينيةِ طوالَ عقدَيْنِ من الزَّمنِ.

موضوع الكتاب فلسفةُ اللُّغةِ الدينيةِ

ISBN 978-9959-29-699-3





موقعنا على الإنترنت
www.oeabooks.com



مايكل سكوت

أُستاذُ الفَلسَفَةِ في مَدرَسَةِ العُلومِ الاجتماعيَّةِ بجامعَةِ مانتشستر في بريطانيا.
نالَ شَهادَةَ البكالوريوس من جامعَةِ أوكسفورد، وشَهادَةَ الدُّكتوراه من كُلِّيَّةِ لَندن الجامعيَّة، وكانَ أُستاذًا باحثًا في جامعَةِ أُوترخت بينَ عامَيْ 1998 و2001، ومُحاضِرًا في الفَلسَفَةِ في جامعَةِ إدنبره وجامعَةِ نوتردام، قَبلَ قُدومِهِ في عام 2003 إلى جامعَةِ مانتشستر حَيثُ لا يَزالُ أُستاذًا للفَلسَفَة.
الموضوعُ المركَزيُّ في بَحثِهِ العِلميِّ هوَ فَلسَفَةُ الدِّينِ، ولا سيَّما اللُّغَةُ الدِّينيَّةُ.

مُؤلَّفاته:

الواقعيَّةُ والدِّينُ: رُؤًى فَلسَفيَّةٌ ولاهوتيَّة (تَحريرٌ معَ أَندرُو مُور).
Realism and Religion: Philosophical and Theological Perspectives (2007 with Andrew Moore).

قراءاتٌ لفَلسَفَةِ الدِّين: نُصوصٌ مُختارَةٌ وتَعليقاتٌ تَفاعُليَّة (معَ غراهام أوبي).
Reading Philosophy of Religion: Selected Texts With Interactive Commentary (2010 with Graham Oppy).

اللُّغَةُ الدِّينيَّة.
Religious Language (2013).



كيان أحمد حازم يحيى

من مَواليدِ عام 1966، بغداد – العراق.

حاصلٌ على دُكتوراه في اللغة العربيَّة من قسم اللغة العربيَّة / كلِّيَّة الآداب / جامعة بغداد، بتقدير (امتياز)، عام 2011م.

مُدَرِّسٌ في قسمِ اللغةِ العربيَّة / كلِّيَّة الآداب / جامعة بغداد.

من مُؤلَّفاته:

- الاحتمالاتُ اللغويَّةُ المُخِلَّةُ بالقَطع وتعارُضُها عندَ الأُصوليِّين [في اللُّغة وأُصول الفقه]، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت، 2013.
- اللغةُ بَينَ الدَّلالة والتَّضليل: دراسةٌ نَقديَّةٌ على هامش (مَعنى المَعنى) لأوغدن ورتشاردز [في علم الدَّلالَة]، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت، 2015.
- التَّقابُلُ اللغويُّ في ضَوء تَصنيف العَلاقات الدَّلاليَّة وخصائصها [في علم الدَّلالَة]، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت، 2018.
- الجامعُ لتفسير الإمام أبي القاسم السُّهيليِّ (581هـ) [في التَّفسير]، دار المَدار الإسلاميّ، بيروت، 2019.

من تَرجَماته:

- مَعنى المَعنى: دراسةٌ لأثَر اللُّغة في الفكر ولعلم الرَّمزيَّة [في علم الدَّلالَة]، لأوغدن ورتشاردز، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت، 2015.
- التَّقابُل: تَحليلٌ لُغَويٌّ وسايكولوجيٌّ [في علم الدَّلالة]، لأوغدن، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت، 2018.
- الشَّريعةُ: النَّظريَّةُ، والمُمارَسةُ، والتَّحوُّلات [في الدِّراسات الإسلاميَّة]، لوائل حلّاق، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، 2018.

اللُغَةُ الدِّينِيَّة

مايكل سكوت

اللُغَةُ الدِّينِيَّة

تَرجَمَةُ
الدُّكتور كِيان أَحمَد حازِم يَحيَى

مع مُقَدِّمَةٍ خاصَّةٍ لِلتَّرجَمَةِ العَرَبِيَّةِ بِقَلَمِ المُؤَلِّف
ومُلحَقٍ يَشتَمِلُ عَلى المُصطَلَحاتِ المِفتاحِيَّةِ لِمَوضوعِ 'اللُغَة الدِّينِيَّة'

دار الكتاب الجديد المتحدة

Original Title:
Religious Language
by **Michael Scott**

نشر هذا الكتاب أوّل مرة باللغة الإنجليزيّة عام 2013

© دار الكتاب الجديد المتحدة 2021

الطبعة الأولى
كانون الثاني/يناير 2021

اللُغَةُ الدِّينيَّة
ترجمة الدُكتور كِيان أحمَد حازِم يَحيَى
موضوع الكتاب فَلسَفَةُ اللُغَةِ الدِّينيَّة
الحجم 17 × 24 سم
تصميم الغلاف دار الكتاب الجديد المتحدة
التجليد فنّي مع جاكيت

ISBN 978-9959-29-699-3
(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2017/354

دار الكتاب الجديد المتحدة
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،
هاتف 04 03 75 1 961 + خليوي 89 39 93 3 961 +
05 03 75 1 961 + فاكس 07 03 75 1 961 +
ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان
بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع حصري في العالم ما عدا ليبيا دار المدار الإسلامي
الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس
هاتف 04 03 75 1 961 +/بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb

توزيع داخل ليبيا شركة دار أويا لاستيراد الكتب والمراجع العلمية
زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ ليبيا
هاتف وفاكس 013 07 34 21 218 + نقال 463 45 21 91 218 +
بريد إلكتروني oeabooks@yahoo.com

إلى أَبي

المُحتَوَيات

مُقَدِّمَةُ المُؤَلِّفِ لِلتَّرجَمَةِ العَرَبِيَّة 9

تَصدير 17

القِسمُ الأَوَّل: اللُغَةُ الدِّينِيَّة

1 مُقَدِّمَة 29

2 الأَبوفاتيكِيَّة 47

3 باركلي 67

4 برَيْثوَيْت والتَّحقيقِيَّة 89

5 الجَوّانِيَّةُ الدِّينِيَّة 111

6 مُعارَضَةُ التَّعبيرِيَّة 137

7 الإحالَة 159

القِسمُ الثّاني: الصِّدقُ الدِّينِيّ

8 مُقَدِّمَة 193

9 الرَّدِّيَّة 209

10 الأَدنَوِيَّة 225

11 الصِّدقُ في الدِّين 247

القِسمُ الثّالِث: الخِطابُ الدِّينيّ

12 مُقَدِّمَة 263

13 الاستِعارَةُ والقِياسُ التَّمثيلِيّ 275

14 التَّخَيُّلِيَّة 309

مُلحَقٌ يَشتَمِلُ عَلى المُصطَلَحاتِ المِفتاحِيَّةِ لِمَوضوعِ 'اللُّغَة الدِّينِيَّة' 335

قائمَةُ المَصادِرِ والمَراجِع 337

مَسرَدُ الأَعلامِ والمُصطَلَحات 347

مُقدِّمَةُ المؤلِّفِ لِلتَّرجمَةِ العَرَبِيَّة

إنَّها لَسَعادَةٌ غامِرَةٌ تِلكَ التي أشعُرُ بِها لِلفُرصَةِ التي أُتيحَتْ لي لِكِتابَةِ مُقَدِّمَةٍ جَديدَةٍ لِكِتابي *اللُّغَةُ الدِّينِيَّة* ***Religious Language*** ولمُخاطَبَةِ جُمهورٍ جَديدٍ هوَ الجُمهورُ العَرَبِيُّ. وعَلى وَجهِ الإيجازِ، سأعرِضُ هُنا بَعضَ أهدافِ الكِتابِ وأُقَدِّمُ تَحديثًا لِما أُنجِزَ في حَقلِهِ البَحثِيِّ مُنذُ ظُهورِهِ مَطبوعًا أوَّلَ مَرَّةٍ في عامِ 2013.

فمِن أهدافِ الكِتابِ المَركَزِيَّةِ الإجابَةُ عَن السُّؤالِ الآتي: ما الذي يُمَيِّزُ اللُّغَةَ الدِّينِيَّةَ؟ ويُمكِنُ اتِّخاذُ نُقطَةِ انطِلاقٍ واضِحَةٍ لِلإجابَةِ هيَ أنَّ الخِطابَ الدِّينِيَّ يَبدو أنَّ لَهُ مَوضوعًا يُمَيِّزُهُ مِن الخِطاباتِ: العِلمِيِّ، والرِّياضِيِّ، والأخلاقِيِّ، وغَيرِها مِن مِساحاتِ الخِطابِ. إذ يَشمَلُ الخِطابُ الدِّينِيُّ الحَديثَ عَن اللهِ، والعَقيدَةِ، والتَّدَيُّنِ، والحَياةِ الأُخرَوِيَّةِ، وما هوَ مُقَدَّسٌ، وما إلى ذلكَ. وتُفيدُ إحدى النَّظَرِيّاتِ أنَّ هذهِ هيَ الخَصيصَةُ المُمَيِّزَةُ العامَّةُ *الوَحيدَةُ* لِلخِطابِ الدِّينِيِّ. وأنا أُسَمِّي هذهِ النَّظَرِيَّةَ نَظَرِيَّةَ *القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ* ***face value***، ومَرَدُّ ذلكَ، جُزئِيًّا، إلى أنَّها تَصرِفُ اهتِمامَها إلى نُقطَةِ الاختِلافِ الواضِحَةِ والبَديهِيَّةِ هذهِ بَينَ الخِطابِ الدِّينِيِّ وغَيرِهِ مِن مِساحاتِ الخِطابِ. عَلى أنَّ ثَمَّةَ مَوروثًا عَريقًا جِدًّا، تَرجِعُ جُذورُهُ إلى زَمَنٍ مُتَأخِّرٍ مِن العَصرِ الكلاسيكِيِّ في أقَلِّ تَقديرٍ، يَعُدُّ الخِطابَ الدِّينِيَّ مُمَيَّزًا بِطَرائِقَ أخرى مُهِمَّةٍ فَلسَفِيًّا. وعَلى الرَّغمِ مِن وُجودِ مَوضوعاتٍ أُخرى في هذا الحَقلِ - ولا سِيَّما مَسائلُ آسِرَةٌ تتعلَّقُ بِمَدى كَونِ 'الله God' اسمَ عَلَمٍ أو وَصفًا وكَيفِيَّةِ إحالَةِ هذا التَّعبيرِ - كانَ الاهتِمامُ البَحثِيُّ الفَعّالُ في اللُّغَةِ

الدِّينِيَّةِ مُوَجَّهًا إلى هذهِ المسألَةِ التي تتعلَّقُ بِمَدى وُجودِ خَصائصَ عامَّةٍ مُمَيِّزَةٍ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ (سِوى مَوضوعِهِ) وماهيَّةِ هذهِ الخَصائصِ.

ويُعنى جُزءٌ كَبيرٌ مِن الكِتابِ بِتَتَبُّعِ تَأريخِ المُمانَعَةِ الفَلسَفِيَّةِ لِنَظَرِيَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ وتَقديمِ تَقويمٍ فَلسَفِيٍّ لِلحُجَجِ المُؤَيِّدَةِ والمُضادَّةِ لَها. وأنا أَقسِمُ المُمانَعَةَ عَلى ثَلاثِ مَجموعاتٍ عامَّةٍ. وهذهِ المَجموعاتُ مُعالَجَةٌ في كُلٍّ مِن أَقسامِ الكِتابِ الثَّلاثَةِ. إذ توجَدُ، أَوَّلًا، نَظَرِيّاتٌ تَعُدُّ الخِطابَ الدِّينِيَّ مُمَيَّزًا لأَنَّهُ يُعَبِّرُ عَن المشاعِرِ والخُطَطِ وغَيرِ ذلكَ مِن الحالاتِ العَقلِيَّةِ اللامَعرِفِيَّةِ، أي حالاتٍ سِوى الاعتِقادِ. وإذا كانَتِ المُهِمَّةُ الرَّئيسَةُ لِمِساحاتِ الخِطابِ العِلمِيَّةِ (وغَيرِها مِن المِساحاتِ الوَصفِيَّةِ) نَقلَ الحَقائقِ والتَّنظيرَ المُتَعَلِّقَ بِالعالَمِ، فإنَّ مَجالَ اشتِغالِ الخِطابِ الدِّينِيِّ - بِحَسَبِ ما تُفيدُهُ هذهِ المجموعَةُ الأُولى مِن النَّظَرِيّاتِ - هوَ المَواقِفُ اللامَعرِفِيَّةُ. فهوَ لُغَةُ الالتِزامِ، والتَّدَيُّنِ، والثِّقَةِ، والرَّهبَةِ. وتوجَدُ، ثانِيًا، نَظَرِيّاتٌ تَنظُرُ إلى الخِطابِ الدِّينِيِّ عَلى أَنَّ لَهُ مَعاييرَ مُختَلِفَةً لِلصِّدقِ، والتَّسويغِ، والمَقبولِيَّةِ. وهذهِ النَّظَرِيّاتُ تُربَطُ رَبطًا مَخصوصًا (بِحَقٍّ أَو بِغَيرِ حَقٍّ) بِلودفيغ فِتغِنشتاين Ludwig Wittgenstein وتُبحَثُ في القِسمِ الثّاني مِن أَقسامِ الكِتابِ. وتوجَدُ، ثالِثًا، نَظَرِيّاتٌ تَعُدُّ مُمارَسَةَ الخِطابِ الدِّينِيِّ استِخدامًا مُمَيَّزًا لِنَمَطٍ مِن أَنماطِ الفِعلِ الكلامِيِّ. إذ يوجَدُ، عَلى سَبيلِ المِثالِ، تَقليدٌ وَسيطِيٌّ يُمَيِّزُ الحَديثَ عَن اللهِ بِأَنَّهُ قِياسِيٌّ تَمثيلِيٌّ analogical، ورَأى بَعضُ الفَلاسِفَةِ واللاهوتِيِّينَ لاحِقًا أَنَّ الحَديثَ عَن اللهِ استِعارِيٌّ metaphorical. وأنا أَبحثُ في هذهِ النَّظَرِيّاتِ في القِسمِ الثّالِثِ مِن الكِتابِ.

وقَد حاوَلْتُ ما وَسِعَتْني المُحاوَلَةُ أَن أَكونَ مُنصِفًا ومُتَعاطِفًا مَعَ كُلِّ تِلكَ الخِياراتِ، لكِن يُلحَظُ أَنَّ مُمانَعَةَ نَظَرِيَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ غالِبًا مّا اتَّخَذَت اتِّجاهاتٍ جَذرِيَّةً تمامًا. ووَطَّدَتْ مُعارَضَةَ نَظَرِيَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ اختِلافاتٌ مُمَيِّزَةٌ واضِحَةٌ في استِعمالِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ بَيدَ أَنَّها خَلَصَتْ إلى نَتائجَ مُبالَغٍ فيها: أَنَّ الأَقوالَ الدِّينِيَّةَ لا تُعَبِّرُ عَن اعتِقاداتٍ، أَو أَنَّها كُلَّها استِعارِيَّةٌ، أَو أَنَّ الخِطابَ الدِّينِيَّ لا يُشاطِرُ

الخِطابَ العِلمِيَّ أو الخِطابَ التَّأريخِيَّ أيًا مِن مَعاييرِ الصِّدقِ. فالذي أراهُ أنَّ هذهِ النَّظَرِيّاتِ غَيرُ مُرضِيَةٍ. والمَوقِفُ الإيجابِيُّ الذي أُطَوِّرُهُ في هذا الكِتابِ يُدرِكُ الاعتِراضاتِ المُوَجَّهَةَ إلى نَظَرِيَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لكِنَّهُ يَتَبَنّى مَذهَبًا وَسَطًا. فأنا أرى، عَلى سَبيلِ المِثالِ، أنَّ الخِطابَ الدِّينِيَّ مُعَبِّرٌ تعبيرًا عُرفِيًّا عَن حالاتٍ لامَعرِفِيَّةٍ لكِنَّهُ مُعَبِّرٌ *أيضًا* عَن اعتِقاداتٍ. وأرى، كذلكَ، أنَّهُ إذا كانَت ثَمَّةَ اختِلافاتٌ في الأفعالِ الكلامِيَّةِ المُستَخدَمَةِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ فإنَّ هذهِ الاختِلافاتِ أهوَنُ مِن الاختِلافاتِ التي قَدَّمَها، مِن جِهَةٍ أُخرى، نُقّادُ نَظَرِيَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ.

والكِتابُ مُؤَلَّفٌ عَلى طَريقَةِ التَّقليدِ 'التَّحليلِيِّ' أو 'الأنغلو-أمريكِيِّ' في الفَلسَفَةِ، مَعَ تَشديدٍ عَلى الحُجَجِ والاختِلافاتِ ومَعَ تَأميلٍ كَبيرٍ لِتَوفيرِ أكبَرِ قَدرٍ مُمكِنٍ مِن الوُضوحِ بِشَأنِ طَبيعَةِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ وتَمَيُّزِها. عَلى أنَّ الكِتابَ يَعتَمِدُ أيضًا عَلى أفكارٍ مُستَمَدَّةٍ مِن الفَلسَفَةِ 'الأورُبِّيَّة' (ولا سِيَّما فَلسَفَتا جاك دريدا Jacques Derrida وجان-لوك ماريون Jean-Luc Marion) ويَتَطَلَّعُ كذلكَ إلى تَحقيقِ هَدَفٍ أكبَرَ هوَ تَقديمُ نَظرَةٍ عامَّةٍ أكثَرَ تَأريخِيَّةً لِلبَحثِ في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ.

وقَد ظَهَرَت الطَّبعَةُ الأُولى لِلكِتابِ في عام 2013، ومُنذُ ذلكَ الحينِ حَدَثَ عَدَدٌ مِن التَّطَوُّراتِ في هذا الحَقلِ. ولا يَفوتُني أن أُنَبِّهَ عَلى أنَّ آرائي الشَّخصِيَّةَ قَد واصَلَتِ التَّطَوُّرَ. وأُوصي مَن يَرغَبُ مِن القُرّاءِ في مُتابَعَةِ الحُجَجِ المُطَوَّرَةِ في هذا الكِتابِ بِمُراجَعَةِ مَقالِ سكوت Scott الذي عُنوانُهُ "التَّقريرُ الدِّينِيّ Religious Assertion" (2017a) لِلوُقوفِ عَلى آراءٍ أُخرى بِشَأنِ الأفعالِ الكلامِيَّةِ والتَّقريرِ، ومَقالِهِ في كِتابِ *دَليل راوتلِج إلى فَلسَفَةِ الدِّينِ المُعاصِرَة The Routledge Handbook of* Contemporary *Philosophy of Religion* (2015) لِلتَّوَسُّعِ في التَّخَيُّلِيَّةِ fictionalism، ومَقالِهِ الذي عُنوانُهُ "فِتغِنشتاين وتَمَيُّزُ اللُّغَةِ الدِّينِيَّة Wittgenstein and the Distinctiveness of Religious Language" (والذي سيُنشَرُ قَريبًا*) لِلتَّوَسُّعِ

* نُشِرَ هذا المقالُ في كِتاب *فِتغِنشتاين، والدِّينُ، والأخلاقُ: رُؤًى جَديدَةٌ مِن الفَلسَفَةِ* =

في ما يتعلَّقُ بِفِتغِنشتاين. ويُقَدِّمُ سكوت ومالكولم Scott and Malcolm في مَقالِهِما الذي عُنوانُهُ "التَّخَيُّلِيَّةُ الدِّينِيَّة Religious Fictionalisim" (والذي سيُنشَرُ قَريبًا*) أُطروحَةً أوسَعَ ومَدخَلًا إلى نَظَرِيّاتِ التَّخَيُّلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ (التي نوقِشَتْ في الفَصلِ 14 مِن كِتابِنا هذا). ثُمَّ إنَّ المَدخَلَ الذي كَتَبْتُهُ بِعُنوانِ "اللُّغَة الدِّينِيَّة Religious Language" في مَوسوعَة ستانفورد لِلفَلسَفَة *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (2017b) هوَ الأشمَلُ والأحدَثُ مِن بَينِ استِقصاءاتِ هذا الحَقلِ المُتاحَةِ في شَبَكَةِ المَعلوماتِ. وسيُحَدَّثُ هذا المَدخَلُ دَورِيًّا مِن أجلِ تَقديمِ فِكرَةٍ عَنِ التَّقَدُّمِ في هذا الحَقلِ.

ومِنَ التَّطَوُّراتِ الحَديثَةِ المَلحوظَةِ الاهتِمامُ المُتَجَدِّدُ بِطَبيعَةِ الإيمانِ. إذ رَأى عِدَّةُ فَلاسِفَةٍ عَدَمَ ضَرورَةِ حِيازَةِ اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ لِحِيازَةِ إيمانٍ دينِيٍّ بَل إنَّ الإيمانَ لا يَقتَضي سِوى القَبولِ (Alston 2007)، أو التَّصديقِ (Schellenberg 2005)، أو الافتِراضِ (Swinburne 2005; Howard-Snyder 2013)، أو الثِّقَةِ (Audi 2011)، أو الأَمَلِ (McKaughan 2013; Pojman 1986)، أو الإذعانِ (Buchak 2012). فبِقَبولِ أنَّ اللهَ صالِحٌ، عَلى سَبيلِ المِثالِ، يَمضي المَرءُ في حُكمِهِ بِأنَّ اللهَ صالِحٌ باستِعمالِ هذا الحُكمِ في استِدلالِهِ العَمَلِيِّ والنَّظَرِيِّ، لكِن مِن غَيرِ احتِياجٍ إلى اعتِقادِ أنَّ اللهَ صالِحٌ. عَلى أنَّ مالكولم وسكوت Malcolm and Scott (2016) يُشيرانِ إلى أنَّهُ إذا كانَتْ لُغَةُ الإيمانِ تُعَبِّرُ عَنِ القَبولِ والافتِراضِ وما إلَيهِما لا عَنِ الاعتِقادِ فإنَّ نَظَرِيَّةَ الإيمانِ هذهِ ستَكونُ عُرضَةً لِخَطَرِ التَّداعي لِتَكونَ أُطروحَةً تَخَيُّلِيَّةً لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ (وهيَ نَظَرِيَّةٌ نوقِشَتْ في الفَصلِ 14 مِن هذا الكِتابِ).

ومِنَ المِساحاتِ الأُخرى المُثيرَةِ لِلاهتِمامِ في البَحثِ الحَديثِ المِساحَةُ

= والـلاهـوت *Wittgenstein, Religion and Ethics: New Perspectives from Philosophy and Theology* الـذي حَرَّرَهُ ميـكـيـل بـورلي Mikel Burley وأصـدَرَتْهُ دارُ Bloomsbury Academic عامَ 2018م. [المُتَرجِم]

* نُشِرَ هذا المقالُ في مَجَلَّةِ *Philosophy Compass*، المُجَلَّد 13، العَدَد 3، عامَ 2018م. [المُتَرجِم]

المُخَصَّصَةُ لِلأبوفاتيكِيَّةِ apophaticism. إذ يُشَدِّدُ الكُتّابُ الأبوفاتيكِيُّونَ عَلى أنّنا غَيرُ قادِرِينَ عَلى التَّصَوُّرِ الدَّقيقِ لِلّهِ أو تَمثيلِ طَبيعَةِ اللهِ في اللُّغَةِ، ويَرَونَ أنَّ بِالإمكانِ أن تُعقَدَ (جُزئيًا، في أقَلِّ تَقديرٍ) صِلَةٌ أوثَقُ بِاللهِ بِاطِّراحِ التَّصَوُّراتِ الإيجابِيَّةِ لِلّهِ. وقَد كانَ مِن أوائِلِ مُناصِرِي الأبوفاتيكِيَّةِ ديونيسيوس Dionysius (يُنظَر: الفَصلانِ 1 و5 مِن كِتابِ *اللاهوت الصُّوفِيّ* *The Mystical Theology*) وبَرَزَ تَقليدُ الكِتابَةِ الأبوفاتيكِيَّةِ بِخاصَّةٍ مُنذُ مُنتَصَفِ العَصرِ الكلاسيكِيِّ وفي الكِتاباتِ الصُّوفِيَّةِ لِلحِقبَةِ الوَسيطِيَّةِ. ويَنظُرُ الفَصلُ 2 مِن هذا الكِتابِ (وبَعضُ الأقسامِ اللاحِقَةِ) في مَدى إمكانِ الحَديثِ عَن اللهِ وكَيفِيَّتِهِ مِن غَيرِ القُدرَةِ عَلى التَّصَوُّرِ الدَّقيقِ لِلّهِ. ويَسُرُّني أن أقولَ إنَّ الأبوفاتيكِيَّةَ قَد بَدَأَت تَلقى اهتِمامًا أكبَرَ في فَلسَفَةِ الدِّينِ. ولِلوُقوفِ عَلى مُراجَعَةٍ نَقدِيَّةٍ لِلبَحثِ الحَديثِ الذي لَقِيَ المَوضوعُ فيهِ مَزيدًا مِن التَّطويرِ والذي استَطَعتُ تَسليطَ الضَّوءِ عَلَيهِ في هذا الكِتابِ، يُنظَرُ مَقالُ سكوت وسيترن Scott and Citron الذي عُنوانُهُ "ما الأبوفاتيكِيَّةُ؟ طَرائِقُ التَّحَدُّثِ عَن إلهٍ غَيرِ قابِلٍ لِلوَصف What is Apophaticism? Ways of Talking About An Ineffable God" (2016).

وتُثيرُ طَبيعَةُ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ كَثيرًا مِن المَسائِلِ الفَلسَفِيَّةِ الآسِرَةِ، وأنا آمُلُ أن يَحفِزَ كِتابي هذا قارِئَهُ إلى الاهتِمامِ بِهذا المَوضوعِ. وثَمَّةَ عَدَدٌ مِن الاتِّجاهاتِ المُختَلِفَةِ التي يُمكِنُ أن يَسلُكَها البَحثُ المُستَقبَلِيُّ، بَيدَ أنّي أوَدُّ لَفتَ الانتِباهِ إلى أحَدِها في هذهِ المُقَدِّمَةِ وهوَ الحاجَةُ إلى بَحثٍ يَنطَوي عَلى مَزيدِ تَفصيلٍ في الكِتاباتِ المُتَعَلِّقَةِ بِاللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ (وما يَرتَبِطُ بِها مِن مَوضوعاتِ الإيمانِ) في الفَلسَفَةِ وعِلمِ الكلامِ العَرَبِيَّيْنِ والإسلامِيَّيْنِ. إذ إنَّ ذلكَ سيُغني المَوضوعَ ويُقَدِّمُ إضاءَةً جَديدَةً لِمُشكِلاتِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ.

مَصادِرُ مُقَدِّمَةِ المُؤَلِّف

Alston, W. P., 2007. Audi on Nondoxastic Faith. In Mark Timmons, John Greco, and Alfred Mele (eds.) *Rationality and the Good: Critical Essays on the Ethics and Epistemology of Robert Audi*. Oxford: Oxford University Press.

Buchak, L., 2012. Can it be Rational to Have Faith? In Jake Chandler and Victoria S. Harrison (eds.) *Probability in the Philosophy of Religion*. Oxford: Oxford University Press.

Dionysius, [c. 600], *The Mystical Theology*. In Paul Rorem (trans.) *Pseudo-Dionysius: The Complete Works*. New York: Paulist Press, 1987.

Howard-Snyder, D., 2013. Propositional Faith: What It Is and What It Is Not. *American Philosophical Quarterly*, 50(4), pp. 357-372.

Malcolm, F. and Scott, M., 2016.Faith, Belief and Fictionalism. *Pacific Philosophical Quarterly*, published online 5 August 2016.

McKaughan, D. J., 2013. Authentic Faith and Acknowledged Risk: Dissolving the Problem of Faith and Reason. *Religious Studies*, 49(1), pp. 101-124.

Pojman, Louis P., 1986. Faith Without Belief. *Faith and Philosophy*, 3(2), pp. 157-176.

Schellenberg, J. L., 2005. *Prolegomena to a Philosophy of Religion*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Scott, M., 2015. *The Routledge Handbook of Contemporary Philosophy of Religion*.Oppy, G. (ed.). London: Routledge, p. 205-218.

Scott, M., 2017a. *Religious Assertion*. In Oxford Studies in Philosophy of Religion (Vol. 8), J. Kvanvig (ed.). Oxford University Press.

Scott, M., 2017b. Religious Language. In *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Fall 2017 Edition), Edward N. Zalta (ed.), forthcoming URL = <https://plato.stanford.edu/archives/fall2017/entries/religious-language/>.

Scott, M., forthcoming. Wittgenstein and the Distinctiveness of Religious Language. In *Wittgenstein, Religion and Ethics: New Perspectives from Philosophy and Theology*. London: Bloomsbury.

Scott, M. and Citron, G., 2016. What is Apophaticism? Ways of Talking About An Ineffable God. *European Journal for Philosophy of Religion*, 8(4), pp. 23-49.

Scott, M., and Malcolm, F., (forthcoming). Religious Fictionalisim.*Philosophy Compass*.

Swinburne, R., 2005. *Faith and Reason*, 2nd edition. Oxford: Oxford University Press.

تَصدير

الهَدَفُ المَركَزِيُّ لِهذا الكِتابِ تَقديمُ أُطروحَةٍ لِمَعنَى الجُمَلِ والأقوالِ الدِّينِيَّةِ، وكذلكَ تَعَرُّفُ بَعضِ المِهادِ التَّأريخِيِّ والفَلسَفِيِّ لِمُختَلِفِ النَّظَرِيّاتِ التي قُدِّمَتْ في هذا المَوضوعِ. وأعني بِالجُمَلِ الدِّينِيَّةِ (ما أُناقِشُهُ هوَ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ الإخبارِيَّةُ، إلّا إذا أُشيرَ إلى خِلافِ ذلكَ) الجُمَلَ التي تَفتَرِضُ كِيانًا دِينِيًّا، كاللهِ، أو صِفَةً دينِيَّةً، كالقَداسَةِ. وأعني بِالقَولِ الدِّينِيِّ المُنتَجَ الكَلامِيَّ أو الكِتابِيَّ أو سِواهُما لِجُملَةٍ دينِيَّةٍ رَمزِيَّةٍ؛ فالأقوالُ غَيرُ مُقَيَّدَةٍ بِالتَّواصُلِ اللَفظِيِّ. ويُمكِنُ أن يُوَسَّعَ تَأويلُ نِطاقِ اللُغَةِ والخِطابِ الدِّينِيَّيْنِ أو يُضَيَّقَ. *فَنَشيدُ الأَنشادِ The Song of Songs**، على سبيلِ المِثالِ، يُمكِنُ عَدُّهُ على نَحوٍ مَشروعٍ جُزءًا مِن الخِطابِ الدِّينِيِّ وإن كانَ حَظُّهُ قَليلًا مِن المَضمونِ الدِّينِيِّ المُمَيَّزِ. على أنَّ المَدَى المُقتَرَحَ لِلحالاتِ المَنظورِ فيها رُوعِيَ فيهِ كَثيرًا أن يَكونَ - معَ مساحاتٍ أُخرَى لِلُّغَةِ والخِطابِ كالأخلاقِيّاتِ، والعِلمِ، والجَمالِيّاتِ، والرِّياضِيّاتِ - في نِطاقِ الاهتِمامِ الفَلسَفِيِّ المُمَيَّزِ، بِلُغَةٍ تَعُدُّ اللهَ الأكثَرَ مَركَزِيَّةً. وهوَ يَستَوعِبُ أيضًا نِطاقَ اللُغَةِ والخِطابِ الدِّينِيَّيْنِ على النَّحوِ الذي عولِجَ بِهِ في فَلسَفَةِ الدِّينِ وعِلمِ اللاهوتِ[1].

- * نَشيدُ الأنشادِ (أو نَشيدُ الأَناشيدِ، أو أُنشودَةُ سُلَيمانَ): سِفرٌ شِعرِيٌّ مِن أسفارِ العَهدِ القَديمِ يَروي قِصَّةَ حُبٍّ مَشبوبٍ لِفَتاةٍ شولامِيَّةٍ (أي قروِيَّةٍ مِن شونيم أو شوليم) لِفَتًى مِن الرُّعاةِ، أخفَقَ المَلِكُ سُلَيمانُ في الفَوزِ بِحُبِّها. [المُتَرجِم]

(1) يُثيرُ أولستن Alston مَسألَةَ أنَّ مُناقَشَةَ 'اللُغَةِ الدِّينِيَّةِ' تُوحي بِأنَّ ثَمَّةَ صِنفًا مُستَقِلًا مِن الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ الخالِصَةِ (1989, p. 12; 2005, p. 220). ولا يَنبَغي الأخذُ بِهذا اللُزومِ هُنا. =

وثَمَّةَ طَريقَةٌ مُفيدَةٌ لِلوُلوجِ في هذا المَوضوعِ هيَ البَدءُ *بِنَظَرِيَّةِ لِلقِيمَةِ الظَّاهِرِيَّةِ* *face value theory* لِلمَعنَى ثُمَّ مُعالَجَةُ ما عليها مِن اعتِراضاتٍ والنَّظَرِيّاتِ البَديلَةِ. وتَرمي نَظَرِيَّةُ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ إلى تَقديمِ تَأويلٍ لِلُّغَةِ والخِطابِ الدِّينِيَّيْنِ هوَ أكثَرُ التَّأويلاتِ مُباشَرَةً وهوَ يَتَحَسَّسُ الدَّليلَ اللُّغَوِيَّ ويَلتَحِمُ كذلكَ أشَدَّ التِحامٍ مُمكِنٍ بِالفَهمِ الشَّخصِيِّ لِلمُتَكَلِّمينَ لِما يَقولونَهُ وما يُبَلِّغونَهُ. ويُمكِنُ النَّظَرُ إلى نَظَرِيَّةِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ على أنَّها الموقِفُ الفَلسَفِيُّ المَبدَئيُّ مِن اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، الذي يَحتاجُ الانحِرافُ عنهُ إلى حُجَّةٍ مُقنِعَةٍ. وثَمَّةَ ثَلاثُ مساحاتٍ رَئيسَةٌ مِن المَسائلِ يُمكِنُ أن تَتَعَلَّقَ بِها نَظَرِيَّةُ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ. (أ) فَما المَضمونُ القَضَوِيُّ propositional - أو المَضمونُ 'الدَّلالِيُّ' أو 'اللُّغَوِيُّ' - لِلجُملَةِ الدِّينِيَّةِ؟ ما الذي تُخبِرُ بِهِ، بِاختِصارٍ، جُملَةٌ كهذهِ؟ و(ب) ما شُروطُ الصِّدقِ لِلجُمَلِ الدِّينِيَّةِ، وكيفَ يَنبَغي لَنا أن نَفهَمَ مَفهومَ الصِّدقِ على النَّحوِ الذي يُستَخدَمُ بِهِ في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ؟ و(ج) ما مَعاني الأقوالِ الدِّينِيَّةِ؟ أي كَيفَ يَستَعمِلُ المُتَكَلِّمونَ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ في الخِطابِ الدِّينِيِّ لأغراضِ التَّواصُلِ؟ دَعُونا نَنظُرْ في كُلٍّ مِن هذهِ الأسئلَةِ على التَّوالي. [viii]

فَلْنَنظُرْ في جُملَةٍ دينِيَّةٍ بَسيطَةٍ، هيَ:

1. اللهُ كُلِّيُّ القُدرَةِ.

فإذا ابتَدَأْنا بِالسُّؤالِ (أ)، قُلْنا: ما الذي تُخبِرُ بِهِ هذهِ الجُملَةُ؟ فلِنَظَرِيَّةِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ إجابَةٌ بَسيطَةٌ جِدًّا وواضِحَةٌ على ما يَبدو بِدَرَجَةٍ كَبيرَةٍ، فهيَ (1) تُخبِرُ، أو لَها المَضمونُ القَضَوِيُّ الذي مُفادُهُ، *أنَّ اللهَ كُلِّيُّ القُدرَةِ*. وإذا فَصَّلْنا القَولَ قَليلًا قُلْنا إنَّ الجُملَةَ تُمَثِّلُ حَقيقَةَ أنَّ اللهَ كُلِّيُّ القُدرَةِ، وبِتَأكيدِنا (1) نَتَوَقَّعُ أنَّ المُتَكَلِّمَ (حينَ يكونُ كَلامُهُ حَرفِيًّا) إنَّما يُعَبِّرُ عن اعتِقادٍ لِهذهِ الحَقيقَةِ. ويُمكِنُ

= فالجُملَةُ التي هيَ دينِيَّةٌ يُمكِنُ أن تَكونَ في فِئاتٍ أُخرَى أيضًا. فَجُملَةُ 'اللهُ صالِحٌ'، على سبيلِ المِثالِ، دينِيَّةٌ وأخلاقِيَّةٌ كذلكَ. ويُلحَظُ أنَّ جميعَ أمثِلَةِ اللُّغَةِ والخِطابِ الدِّينِيَّيْنِ التي يَنظُرُ فيها أولستن تَقَعُ في التَّصنيفِ المُقتَرَحِ هُنا.

القَولُ عُمومًا إنَّ نَظَرِيَّةَ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ تُقَدِّمُ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ التّأويلَ نَفسَهُ الذي تُقَدِّمُهُ لِلمساحاتِ الأُخرَى لِلُّغَةِ. فنَظَرِيَّةُ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ تُفيدُ أن ليسَ ثَمَّةَ ما هوَ خاصٌّ بِشأنِ مَضمونِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ سِوَى مَوضوعِها الذي يُمَيِّزُها. وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ مُخالَفَةَ نَظَرِيَّةِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ غالِبًا مّا تُقَدَّمُ بِوَصفِها ظاهِرَةً مِن ظَواهِرِ القَرنِ العِشرينَ، على ما سَنَراهُ في الفَصلِ 1، ثَمَّةَ تَأريخٌ لِمُعارَضَةِ هذهِ المُقارَبَةِ يَمتَدُّ في أقَلِّ تَقديرٍ إلى اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ apophatic theologians* المَسيحِيِّينَ المُبَكِّرينَ في القَرنِ الرّابعِ. فثَمَّةَ نَظَرِيّاتٌ مُختَلِفَةٌ بَديلَةٌ تُنافِسُ نَظَرِيَّةَ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ. ويَرَى مُمَثِّلو الطَّرَفِ المُعتَدِلِ أنَّ نَظَرِيَّةَ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ ناقِصَةٌ، لأنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ يَنبَغي أن تُفهَمَ على أنَّها، فَضلًا عن تَعبيرِها عن الاعتِقاداتِ، تُعَبِّرُ عُرفِيًّا كذلِكَ عن مَواقِفَ 'لامَعرِفِيَّةٍ' كالمَشاعِرِ، والمَواقِفِ، والمَقاصِدِ، والعَواطِفِ، والخطَطِ، وما إليها. أمّا الطَّرَفُ الذي هوَ أكثَرُ تَطَرُّفًا فيَرَى مُمَثِّلوهُ مِن التَّعبيرِيِّينَ expressivists** الدِّينِيِّينَ أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ لا تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً ويَنبَغي أن تُؤَوَّلَ بِأنَّها تُعَبِّرُ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ لا عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ.

لكِن ما شُروطُ الصِّدقِ لِلجُمَلِ الدِّينِيَّةِ؟ وهَل يَختَلِفُ صِدقُ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ عن صِدقِ الجُمَلِ الوَصفِيَّةِ الأُخرَى؟ لِمُقارَبَةِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ إجابَةٌ مُباشِرَةٌ عَن كِلا السُّؤالَيْنِ. فأمّا إجابَتُها عن السُّؤالِ الأوَّلِ، فمُفادُها أنَّ بِإمكانِنا في مُعظَمِ الحالاتِ أن نَستَخرِجَ شُروطَ الصِّدقِ لِلجُملَةِ الدِّينِيَّةِ الإخبارِيَّةِ مِن خِلالِ ما تُخبِرُ بِهِ الجُملَةُ. مِثالُ ذلكَ أنَّ الجُملَةَ (1) لا تَكونُ صادِقَةً إلّا في حالِ كَونِ اللهِ كُلِّيَّ القُدرَةِ. وأمّا إجابَتُها عن السُّؤالِ الثّاني، فمُفادُها أن لا فَرقَ بينَ مَفهومِ الصِّدقِ في الخِطابِ

---

* نِسبَةً إلى اللاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ أو التَّنزيهِيِّ أو الخَفِيِّ أو السَّلبِيِّ apophatic theology، وهوَ اللاهوتُ الذي يُعَرِّفُ اللهَ مِن خِلالِ صِفاتٍ سَلبِيَّةٍ؛ فهوَ: غَيرُ مُدرَكٍ، وغَيرُ مُتَحَرِّكٍ، وغَيرُ مَلموسٍ، وغَيرُ مَرئِيٍّ، ولا يُقَدِّمُ اللهَ مِن خِلالِ صِفاتٍ إيجابِيَّةٍ أبَدًا. فاللاهوتُ الأبوفاتيكِيُّ هوَ نَفيُ ما لَيسَ هوَ اللهَ. [المُتَرجِم]

** نِسبَةً إلى التَّعبيرِيَّةِ expressivism، وهيَ مَذهَبٌ مُفادُهُ أنَّ الوَظيفَةَ الأولى لِلجُمَلِ الأخلاقِيَّةِ والشُّعورِيَّةِ هيَ التَّعبيرُ عَن مَوقِفٍ تَقويمِيٍّ، لا تَقريرُ حَقيقَةٍ مِن الحَقائقِ. [المُتَرجِم]

الدِّينِيِّ ومَفهومِ الصِّدقِ في غَيرِهِ مِن الخِطاباتِ. إذ يُمكِنُ القَولُ عُمومًا إنَّ مُقارَبَةَ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ تُفيدُ أَنَّ صِدقَ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ يُحَدَّدُ بِالطَّرِيقَةِ نَفسِها التي يُحَدَّدُ بِها صِدقُ الجُمَلِ الوَصفِيَّةِ الأُخرَى مِن خِلالِ بَيانِ أَنَّها تُناظِرُ الحَقائقَ التي تُمَثِّلُها. ومِن مَسالِكِ مُعارَضَةِ نظريَّةِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ في ما يتعلَّقُ بِالسُّؤالِ الأَوَّلِ مَسلَكُ الرَّدِّيِّينَ reductionists* الدِّينِيِّينَ، الذينَ يَذهَبونَ إلى أَنَّ شُروطَ صِدقِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ تُقَدِّمُها جُمَلٌ لادِينِيَّةٌ؛ فإذا كانَ الذي يَبدو عَلى اللُغَةِ الدِّينِيَّةِ أَنَّها تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً، فإنَّها في الواقِعِ تتَعَلَّقُ بِحَقائقَ طَبيعِيَّةٍ أو سايكولوجِيَّةٍ أو بِصِنفٍ آخَرَ مِن الحَقائقِ. [ix] أمّا ما تَلقّاهُ نظريَّةُ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ مِن مُعارَضَةٍ في ما يتعلَّقُ بِالسُّؤالِ الثّاني فيتمَثَّلُ في ما سَأُسَمِّيهِ *الأَدنَويَّةَ minimalism* الدِّينِيَّةَ، وهيَ الوِجهَةُ التي مُفادُها أَنَّ ثَمَّةَ فُروقًا مُهِمَّةً بينَ مَفهومِ الصِّدقِ الدِّينِيِّ ومَفهومِ الصِّدقِ المُستَخدَمِ في المساحاتِ الوَصفِيَّةِ لِلُّغَةِ، كعِلمِ التّأريخِ. وتُمَثِّلُ طَبيعَةُ الصِّدقِ الدِّينِيِّ وشُروطُ صِدقِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ مَوضوعَي القِسمِ الثّاني. ونَحنُ نَجِدُ أَنَّ الرَّدِّيَّةَ قَد لَقِيَت تَأييدًا ضَئيلًا مُنذُ مُنتَصَفِ القَرنِ العِشرينَ، بيدَ أَنَّ تَقويمَها في الفَصلِ 9 يُشَكِّلُ مِهادًا تَأريخِيًّا لِمُناقَشَةِ الأَدنَويَّةِ التي يَضطَلِعُ بِها الفَصلانِ اللاحِقانِ. والأَدنَويَّةُ المُتَعَلِّقَةُ بِالدِّينِ هيَ شَقيقٌ أصغَرُ لِلرَّدِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ أَكثَرُ تَطَوُّرًا منها مِن النّاحِيَةِ الفَلسَفِيَّةِ ولَها جُذورُها في ما كَتَبَهُ فِتغِنشتاين في الدِّينِ.

فَلْنَفتَرِضْ أَنَّ نظريَّةَ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ صَحيحَةٌ في ما يَتَعلَّقُ بِكُلٍّ مِن مَضمونِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ وشُروطِ صِدقِها. فَما زالَ ثَمَّةَ سُؤالٌ آخَرُ يتعلَّقُ بِما يَعنيهِ المُتَكَلِّمونَ

---

* نِسبَةً إلى الرَّدِّيَّةِ reductionism، وهيَ مَذهَبٌ يَرُدُّ المُعطَياتِ أو الظَّواهِرَ المُعَقَّدَةَ إلى نِهاياتٍ مُبَسَّطَةٍ. والرَّدُّ هوَ إرجاعُ الشَّيءِ إلى عَناصِرِهِ المُقَوِّمَةِ وتَخلِيَتُهُ مِن العَناصِرِ الغَريبَةِ عَنهُ، كَرَدِّ المذهَبِ إلى مَبادِئِهِ، ورَدِّ الاستِدلالِ إلى سِلسِلَةٍ مِن الحُدوسِ، ورَدِّ الحُكمِ إلى تَداعي الأفكارِ. والرَّدُّ عندَ هوسّيرل هوَ إرجاعُ الشَّيءِ إلى حَقيقَتِهِ وتَطهيرُهُ مِن اللَّواحِقِ الزّائدَةِ عَلَيهِ. وهذا الرَّدُّ قِسمانِ؛ أَحَدُهُما الرَّدُّ إلى الماهِيّاتِ، وهوَ مَوقِفُ الفِكرِ الذي يَنظُرُ إلى ماهِيّاتِ الأشياءِ لا إلى ظَواهِرِها؛ والآخَرُ الرَّدُّ إلى الظَّواهِرِ، وهوَ مَوقِفُ الفِكرِ الذي يَعُدُّ مُعطَياتِ التَّجرِبَةِ الدّاخليَّةِ والخارجيَّةِ ظَواهِرَ فَقَط. [المُترجِم]

حينَ يَتفوَّهونَ بِالجُمَلِ الدِّينِيَّةِ إذ إنَّ ذلكَ قَد يَكونُ مُختَلِفًا عن مَضمونِ الجُملَةِ أو عَمّا يَجعَلُ الجُملَةَ صادِقَةً. والأُمورُ المُتَعَلِّقَةُ بِمَعاني الأقوالِ التي لا تُحَدِّدُها شُروطُ صِدقِها ومَضمونُها القَضَوِيُّ يُقالُ عنها أَحيانًا إنَّها تَنتَمي إلى ’تَداوُلِيَّةِ‘ المَعنى بإزاءِ ’عِلمِ الدِّلالَةِ‘[2]. ومِن الأَمثِلَةِ المَشهورَةِ لِذلكَ ما ذَكَرَهُ فريجه Frege (1892)* مِن أنَّ التَّعبيرَيْنِ و ولكِن، حينَ يُستَعمَلُ الأخيرُ أداةً رابِطَةً، يَبدو أنَّهُما يُسهِمانِ الإسهامَ نَفسَهُ في مَضمونِ الجُملتَيْنِ اللَّتَيْنِ لَهُما الشَّكلانِ الآتِيانِ: ’س وص‘ و’س لكِن ص‘؛ فكُلُّ ما مِن شَأنِهِ أن يُؤَدِّيَ إلى صِدقِ أَحَدِهِما يُؤَدّي أيضًا إلى صِدقِ الآخَرِ[3]. على أنَّ ثَمَّةَ فَرقًا في مَعنَيَيْهِما. فتَأَمَّلْ، على سبيلِ المِثالِ، الفَرقَ بينَ هذَيْنِ القَولَيْنِ:

2. كانَتْ مُتَزَوِّجَةً وكانَتْ سَعيدَةً.

3. كانَتْ مُتَزَوِّجَةً لكِن كانَتْ سَعيدَةً.

فَالجُملَةُ (3) تُوحي بِوُجودِ تَضادٍّ بينَ التَّزَوُّجِ والسَّعادَةِ أو تستَلزِمُهُ، وهذا ما لا تَنطَوي عليهِ الجُملَةُ الأُولَى (أو لا تَنطَوي عليهِ بِالدَّرَجَةِ نَفسِها). وبِإمكانِ الأقوالِ

(2) على أنَّ استِعمالَ هذَيْنِ التَّعبيرَيْنِ يَقتَضي الحَذَرَ لِعَدَمِ وُجودِ اتِّفاقٍ عامٍّ على مَعنًى مُحَدَّدٍ لَهُما. ولِمَزيدٍ مِن المُناقَشَةِ، يُنظَر: Szabó (2005).

* فريدرِش لودفيغ غوتلوب فريجه (1848-1925م). عالِمُ رِياضِيّاتٍ، ومَنطِقِيٌّ، وفَيلَسوفٌ ألمانيٌّ. يُعَدُّ أبا الفَلسَفَةِ التَّحليلِيَّةِ الحَديثَةِ لِكِتاباتِهِ في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ والرِّياضِيّاتِ. دَرَسَ أثَرَ اللُّغَةِ في الفِكرِ الإنسانِيِّ والعَلاقَةَ بينَ المَعنَى والحَقيقَةِ. أَهَمُّ مُؤَلَّفاتِهِ: (أُسُسُ عِلمِ الحِساب). والتّاريخُ الذي وَضَعَهُ المؤلِّفُ مايكِل سكوت بَعدَ اسمِ فريجه، وهوَ عامُ (1892)، إنَّما يُشيرُ إلى تَأريخِ ظُهورِ المَصدَرِ الذي استَقى مِنهُ المِثالَ الذي ذَكَرَهُ، وهوَ مَقالَةٌ مَشهورَةٌ لِفريجه عُنوانُها بِالألمانِيَّةِ هوَ "Über Sinn und Bedeutung"، وقَد تُرجِمَتْ إلى العَرَبِيَّةِ بِعُنوانِ "المَعنَى والمَرجِع"، معَ مَجموعَةِ مَقالاتٍ لِعُلَماءَ آخَرينَ ضَمَّها كِتابٌ عُنوانُهُ (المَرجِعُ والدِّلالَةُ في الفِكرِ اللِسانِيِّ الحَديث)، صَدَرَ عامَ 2000م عَن دارِ أفريقيا الشَّرق. [المُتَرجِم]

(3) يَذكُرُ دَميت Dummett بَعضَ الاستِثناءاتِ، كقَولِنا: ’الجَميعُ إلّا إيّاهُ‘ و’اللَّحمُ المُقَدَّدُ والبَيضُ‘، التي يُؤَدّي إحلالُ أحَدِ اللَّفظَيْنِ فيها مَحلَّ الآخَرِ إلى إنتاجِ جُملَةٍ لا مَعنَى لَها (1981, p. 85). على أنَّ هذِهِ النُّقطَةَ تَكونُ فَعّالَةً حينَ يَكونُ س وص جُملَتَيْنِ كُلِّيَّتَيْنِ.

أن تَستَلزِمَ أيضًا صِدقَ جُملَةٍ مّا أو كَذِبَها مُتمايِزًا مِمّا قِيلَ. مِثالُ ذلكَ أَنَّ الجُملَةَ (4) تَستَلزِمُ صِدقَ الجُملَةِ (5):

4. بَعضُ المُحامِينَ يُدفَعُ إليهِم أكثَرُ مِمّا يَستَحِقُّونَ.

5. ليسَ جَميعُ المُحامِينَ يُدفَعُ إليهِم أكثَرُ مِمّا يَستَحِقُّونَ.

على أَنَّهُ إذا كانَتِ الجُملَةُ (5) كاذِبَةً، فإنَّها لا تُبَيِّنُ بِذلكَ أَنَّ الجُملَةَ (4) كاذِبَةٌ، وبِإمكانِ المُتَكَلِّمِ أن يُواصِلَ تَقريرَ الجُملَةِ (4) في الوَقتِ الذي يَعتَقِدُ فيهِ أَنَّ جَميعَ المُحامِينَ يُدفَعُ إليهِم أكثَرُ مِمّا يَستَحِقُّونَ. وتَقريرُ الجُملَةِ (4) مع اعتِقادِ أَنَّ الجُملَةَ (5) كاذِبَةٌ قَد يَكونُ [x] مُضَلِّلًا، لكِنَّ ذلكَ لَن يَكونَ كَذِبًا لأنَّ المُتَكَلِّمَ لَم يَقُلِ الجُملَةَ (5) فِعلًا. وقَد صَنَّفَ هـ.ب. غرايس H.P. Grice* هذا النَّوعَ مِن المَعنَى المُستَلزَمِ أو المُوحَى بِهِ بِوَصفِهِ استِلزامًا حِوارِيًّا conversational implicature (1989, ch. 2). فالجُملَةُ (5) تَستَلزِمُها الجُملَةُ (4) لكِنَّها ليسَتْ جُزءًا مِن مَضمونِها. ويُمكِنُ الوُقوفُ على تَطبيقٍ لِلاستِلزامِ الحِوارِيِّ في تَأويلِ الاستِعاراتِ (وهوَ مَوضوعٌ سيُنظَرُ بِالتَّفصيلِ فيهِ، وفي القِياسِ التَّمثيلِيِّ أيضًا، في الفَصلِ 13). فَلْنَفتَرِضْ أَنَّ مُتَكَلِّمًا مّا يُقَرِّرُ الجُملَةَ الآتِيَةَ:

6. اللهُ صَخرَتي**.

فمَضمونُ هذا القَولِ يَبدو عليهِ أَنَّهُ ليسَ سِوَى الدَّعوَى الكاذِبَةِ الصَّريحَةِ التي هيَ أَنَّ اللهَ صَخرَتي. على أَنَّ هذهِ الدَّعوَى يُمكِنُ أن تُفهَمَ على أَنَّها تَستَلزِمُ أشياءَ مُختَلِفَةً لَم تُقَلْ؛ مِن ذلكَ، على سبيلِ المِثالِ، أَنَّ المُتَكَلِّمَ قَد وَجَدَ السَّنَدَ الرُّوحِيَّ والعاطِفِيَّ عندَ اللهِ.

* هربرت بول غرايس (1913-1988م). فَيلَسوفُ لُغَةٍ بريطانيٌّ، وأَحَدُ زُمَلاءِ جون أوستِن في جامِعَةِ أوكسفورد حتّى عام 1967. أثَّرَتْ كِتاباتُهُ في المعنى في الدِّراسَةِ الفَلسَفِيَّةِ لِعِلمِ الدَّلالَةِ، وأَكثَرُ ما عُرِفَ بِهِ نَظَرِيَّتُهُ في الاستِلزامِ. مِن كِتاباتِهِ: ("المعنى")؛ و(تَصَوُّرُ القِيمَة)؛ و(جَوانِبُ العَقل). [المُتَرجِم]

** المزمورُ 18: 3. [المُتَرجِم]

وتَذهَبُ نظريَّةُ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ إلى أنَّ الجُملَةَ (1) عادَةً مَا تكونُ عِبارَةً تَقريريَّةً مَقصودَةً حَرفِيًّا وأنَّ المُتَكَلِّمَ بِإنشائهِ هذا التَّقريرَ إنَّما يُعَبِّرُ عن إيمانِهِ بِالمَضمونِ القَضَويِّ الذي مُفادُهُ أنَّ اللهَ كُلِّيُّ القُدرَةِ. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، ذَهَبَ بَعضُهُم إلى أنَّ الأقوالَ الدِّينِيَّةَ - حتّى الأقوالَ التي مِن الواضِحِ أنَّها حَرفِيَّةٌ - استِعارِيَّةٌ على نَحوٍ نِظامِيٍّ ولارَدِّيٍّ. ويَرَى التَّخَيُّلِيُّونَ fictionalists* أنَّ المُتَكَلِّمِينَ لا يُقَرِّرونَ أقوالًا دينِيَّةً، أو أنّا لا يَنبَغي أن نُؤَوِّلَ ما يَفعَلُهُ المُتَكَلِّمونَ بِأنَّهُم يُعَبِّرونَ عن الإيمانِ بِما يَقولونَهُ. وسيتَكَفَّلُ القِسمُ 3 بِتَناوُلِ الجَوانِبِ 'التَّداوُلِيَّةِ' لِلخِطابِ الدِّينِيِّ.

فهذهِ المساحاتُ الثَّلاثُ العامَّةُ مِن الاهتِمامِ - (أ) اللُّغَةُ الدِّينِيَّةُ، و(ب) الصِّدقُ الدِّينِيُّ، و(ج) الخِطابُ الدِّينِيُّ - تَشمَلُ المساحاتِ الرَّئيسَةَ لِلخِلافِ المُتَعَلِّقِ بِاللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ وتُقَدِّمُ بِنيَةً عامَّةً لِتَنظيمِ هذا الكِتابِ في ثَلاثَةِ أقسامٍ. وفي بِدايَةِ كُلِّ قِسمٍ مُقَدِّمَةٌ تَعرِضُ بِمَزيدٍ مِن التَّفصيلِ نَظَرِيَّةَ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ ومَسالِكَ مُعارِضَةً كُنّا قَد قَدَّمنا لَها آنِفًا خُطوطًا عامَّةً جِدًّا؛ ثُمَّ تَأتي في كُلِّ قِسمٍ فُصولٌ لاحِقَةٌ تُقَوِّمُ المَذاهِبَ المُختَلِفَةَ في هذهِ المَوضوعاتِ وتَعرِضُ كذلكَ عَدَدًا مِن مَسالِكِ المُحاجَّةِ الجَديدَةِ. ويُمكِنُ أن تُعَدَّ نَظَرِيَّةُ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ مَذهَبًا 'واقِعِيًّا'. على أنَّ 'الواقِعِيَّةَ الدِّينِيَّةَ' مُصطَلَحٌ فَلسَفِيٌّ في الفَنِّ كانَ قَد استُعمِلَ بِطرائقَ مُختَلِفَةٍ جِدًّا، وغالِبًا مّا كانَ يُستَعمَلُ بِلا صِلَةٍ مَخصوصَةٍ بِاللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، وهذا ما جَعَلَني أبتَعِدُ عن هذا التَّعبيرِ لأنَّهُ مُضَلِّلٌ بِقَدرِ ما هوَ مُفيدٌ.

ويَبحَثُ الكِتابُ أيضًا في عَدَدٍ مِن المَسائلِ المُتَعلِّقَةِ بِاللُّغَةِ والخِطابِ الدِّينِيَّيْنِ، الفَلسَفِيَّةِ والتّاريخِيَّةِ، التي لا تَملِكُ نظرِيَّةُ القيمَةِ الظّاهرِيَّةِ فيها القَولَ الفَصلَ. فالفَصلُ 7، على سبيلِ المِثالِ، يُقَوِّمُ طَبيعَةَ الإحالَةِ الدِّينِيَّةِ: هَل 'اللهُ

---

* نِسبَةً إلى التَّخَيُّلِيَّةِ fictionalism، وهيَ مَذهَبٌ يَدَّعي أنَّ جُمَلَ الخِطابِ مُفيدَةٌ لكِنَّهُ لا يَدَّعي أنَّها صادِقَةٌ. فالحالَةُ النَّمَطِيَّةُ لِلتَّخَيُّلِيِّينَ أنَّهُم يُنكِرونَ أن تكونَ جُمَلُ الخِطابِ صادِقَةً. وبِذلكَ، يُمكِنُ أن يَقولَ التَّخَيُّلِيُّ في فَلسَفَةِ الرِّياضِيّاتِ إنَّ الجُمَلَ الرِّياضِيَّةَ (نَحوَ 2 + 2 = 4) مُفيدَةٌ لكِنَّها كاذِبَةٌ: فالأعدادُ، بِمَعنًى مّا، "تَخَيُّلاتٌ مُفيدَةٌ". [المُتَرجِم]

God ' اسمٌ؟ وكيفَ يُحيلُ 'اللهُ God ' على اللهِ؟ ويَنظُرُ الفَصلُ 5 في مَسألَةِ كَيفِيَّةِ ارتِباطِ الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ بِدَوافِعِ المُعتَقِدِينَ الدِّينِيِّينَ. ويَضطَلِعُ الفَصلُ 4 بِمُهِمَّةِ مُعالَجَةِ مَسألَةِ السَّبَبِ الذي يَقِفُ وَراءَ استِمرارِ النَّظريَّةِ التَّحقيقِيَّةِ لِلمَعنَى، التي قُدِّمَتْ في عِشرينِيّاتِ القَرنِ العِشرينَ [xi] وثَلاثينِيّاتِهِ، في مُمارَسَةِ تَأثيرٍ واسِعٍ في فَلسَفَةِ الدِّينِ إلى زَمَنٍ مُتَأَخِّرٍ مِن القَرنِ العِشرِينَ، بَعدَ مُدَّةٍ طَويلَةٍ مِن ضَعفِ الثِّقَةِ بِها في النِّقاشِ الفَلسَفِيِّ السّائدِ.

وبُؤرَةُ اهتِمامِ هذا الكِتابِ الرَّئيسَةُ هيَ النَّظَرِيّاتُ *اللاتَعديلِيَّةُ* ***non-revisionary*** لِلُّغَةِ والخِطابِ الدِّينِيَّيْنِ. أي إنّا مَعنِيُّونَ بِما تَعنيهِ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ وبِما يَعنيهِ المُتَكلِّمونَ حينَ يَستَعمِلونَها. وسيكونُ اهتِمامُنا أَقَلَّ بِالنَّظريّاتِ التي تَقتَرِحُ تَعديلاتٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ أو تَغييراتٍ في مَواقِفِ المُتَكلِّمِينَ مِمّا يَقولونَهُ. ومِن أكثَرِ المُشكِلاتِ مُخادَعَةً في تَأويلِ فِكرِ الكُتّابِ التّأريخِيِّينَ في هذا المَوضوعِ أن يُحَدَّدَ: أَوِجهَةً تَعديلِيَّةً يَقصِدونَ أم وِجهَةً لاتَعديلِيَّةً؟ ويُفاقِمُ هذهِ المُشكِلَةَ حَقيقَةُ أنَّ الكَثيرَ مِن النَّظَريّاتِ الرَّئيسَةِ المُتعلِّقَةِ بِاللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ لَها نُسخَةٌ تَعديلِيَّةٌ وأُخرَى لاتَعديلِيَّةٌ. فَفي الوَقتِ الذي يَذهَبُ فيهِ بَعضُ الرَّدِّيِّينَ إلى أنَّ شُروطَ صِدقِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ تُقَدِّمُها، مَثَلًا، جُمَلٌ طَبيعِيَّةٌ تَتَعلَّقُ بِحَقائقَ في العالَمِ، يَذهَبُ آخَرونَ إلى أنَّ مَعنَى الخِطابِ الدِّينِيِّ والإحالَةَ المُتَعَلِّقَةَ بِـ 'الله' يَجِبُ تَغييرُهُما لِيُمنَحا أساسًا طَبيعِيًّا. وفي الوَقتِ الذي يَذهَبُ فيهِ بَعضُ التَّخَيُّلِيِّينَ إلى أنَّ الأَقوالَ الدِّينِيَّةَ لَيسَتْ حَقًّا تَقريراتٍ حَرفِيَّةً، على الرَّغمِ مِن أنَّها تَظهَرُ بِعَكسِ ذلكَ، يَذهَبُ آخَرونَ مِنهُم إلى أنَّ المُتَكَلِّمِينَ يُنشِئونَ تَقريراتٍ حَرفِيَّةً لكِنَّ هذهِ المُمارَسَةَ خَطأٌ ويَنبَغي تَعديلُ المُمارَسَةِ السّائدَةِ. فنَظَرِيّاتُ النَّمَطِ الأَوَّلِ - ما يَعنيهِ المُتَكَلِّمونَ لا ما يَنبَغي أن يَعنِيَهُ المُتَكلِّمونَ - هيَ مَحَطُّ اهتِمامِنا في هذا الكِتابِ. وسَيتكَرَّرُ رُجوعي إلى ثُنائيَّةِ تَعديلِيّ/ لاتَعديلِيّ عِدَّةَ مَرّاتٍ في الفُصولِ اللاحِقَةِ.

فهذا الكِتابُ يُمَثِّلُ دِفاعًا عن الكَثيرِ مِمّا تُخبِرُ بِهِ نَظَرِيَّةُ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ. على أنَّ مُنَظِّري القيمَةِ الظّاهِريَّةِ لا يُحَقِّقونَ المُبتَغَى كُلَّهُ على ما يُريدونَ. فَعلى الرَّغمِ

مِن تَعاطُفي الكامِلِ معَ أُطروحَةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لِلصِّدقِ الدِّينِيِّ، ثَمَّةَ أسبابٌ مُقنِعَةٌ تَدعوني إلى اعتِقادِ أنَّ أُطروحَةَ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لِلُّغَةِ والخِطابِ الدِّينِيَّيْنِ ناقِصَةٌ. فَثَمَّةَ سَببٌ وَجيهٌ، على ما أذهَبُ إليهِ في الفَصلِ 5، يَدفَعُني إلى اعتِقادِ أنَّ التَّعبيرَ عَن الحالاتِ اللامَعرِفِيَّةِ يَنبَغي أن يَكونَ لَهُ أثَرٌ في تَأويلِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، وإن لَم يَكُنِ الأثَرَ الذي يَقودُنا إلى استِنتاجِ أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ لا تَنقُلُ حَقائقَ دينِيَّةً أو أنَّها لا تُستَعمَلُ لِتُعَبِّرَ (أيضًا) عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ. ومَعَ ذلكَ، تُعَدُّ إضافَةُ مُكَوِّنٍ لامَعرِفِيٍّ إلى المَعنَى العُرفِيِّ لِلجُملَةِ الدِّينِيَّةِ تَعديلًا مُهِمًّا لِنَظرِيَّةِ القيمَةِ الظّاهرِيَّةِ. ونَقِفُ أيضًا، في الفَصلِ 14، على وُجودِ اختِلافاتٍ مُهِمَّةٍ بينَ الأفعالِ الكَلامِيَّةِ المُستَخدَمَةِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ عندَ تَأكيدِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ الإخبارِيَّةِ وتَقريراتِ الجُمَلِ الإخبارِيَّةِ في مساحاتٍ أُخرَى مِن الخِطابِ. على أنَّهُ إذا كانَتْ هذهِ الاختِلافاتُ مُؤَثِّرَةً في فَهمِ مَعنَى الخِطابِ الدِّينِيِّ، فإنَّها لا تُلقِي بِظِلالِ الشَّكِّ على البَديهَةِ الأساسِيَّةِ لِنظرِيَّةِ القيمَةِ [xii] التي مُفادُها أنَّ شُغلَ الخِطابِ الدِّينِيِّ هوَ التَّعبيرُ عن الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ وتَمثيلُ الحَقائقِ الدِّينِيَّةِ.

واللُّغَةُ الدِّينِيَّةُ مَوضوعٌ آسِرٌ، وبِسُؤالِنا عَمّا يَعنيهِ المُتَكَلِّمونَ عندَ تَكَلُّمِهِم بِاللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ إنَّما نُعالِجُ أحَدَ أكثَرِ الأسئلَةِ أساسِيَّةً في فَلسَفَةِ الدِّينِ. وسنكتَشِفُ في أثناءِ هذا الكِتابِ عن بَعضِ التّاريخِ الطَّويلِ والمُعَقَّدِ لِلجُهودِ المبذولَةِ في هذا الحَقلِ، ونَرى الصِّلاتِ بينَ الجُهودِ المبذولَةِ في المَوضوعِ في الفَلسَفَةِ التَّحليلِيَّةِ، وعِلمِ اللاهوتِ، والفَلسَفَةِ الأورُبِّيَّةِ، ونَعقِدُ صِلاتٍ أيضًا بِعددٍ مِن الحُقولِ الفَلسَفِيَّةِ الأُخرَى، ولا سِيَّما فَلسَفَةُ اللُّغَةِ. [xiii]

القِسمُ الأوَّل

اللُغَةُ الدِّينِيَّة

1

مُقَدِّمَة

يُفيدُ تَأويلُ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ أَنَّ الجُملَةَ الدِّينِيَّةَ نَحوَ 'اللهُ كُلِّيُّ القُدرَةِ' يَنبَغي النَّظَرُ إليها على أَنَّها تُخبِرُ - أو أَنَّ لَها المَضمونَ 'الدَّلالِيَّ' أو 'القَضَوِيَّ' الذي مُفادُهُ - *أَنَّ اللهَ كُلِّيُّ القُدرَةِ*، وبِتَقريرِها يُعَبِّرُ المُتَكَلِّمُ عُرفِيًّا عن اعتِقادِ أَنَّ اللهَ كُلِّيُّ القُدرَةِ. وعلى نَحوٍ أَعَمَّ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ نظريَّةَ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ تُفيدُ أَنَّ تَأويلَ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ لا يَختَلِفُ عن تَأويلِنا لِمساحاتٍ وَصفِيَّةٍ أُخرَى لِلُّغَةِ. وهذا كُلُّ ما في الأَمرِ. فليسَ ثَمَّةَ ما هوَ خاصٌّ بِاللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ سِوَى مَوضوعِها الذي يُمَيِّزُها.

وعلى الرَّغمِ مِن وَجاهَةِ نظريَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ وبَساطَتِها، ثَمَّةَ تَقليدٌ مُعارِضٌ راسِخٌ ما زالَ ثابِتًا، وهوَ التَّقليدُ الذي نَبحَثُ فيهِ في الفُصولِ الخَمسَةِ اللاحِقَةِ، والذي يَمتَدُّ مَداهُ مِن الذينَ يَذهَبونَ إلى أَنَّها قِصَّةٌ غَيرُ مُكتَمِلَةٍ في ما يتعلَّقُ بِمَضمونِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ إلى الذينَ يَرفُضونَها كُلِّيًّا. وتَتَّخِذُ المُعارَضَةُ التي هيَ أَكثَرُ جَذرِيَّةً شَكلَ إنكارِ تَمثيلِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ حَقائقَ أو صِفاتٍ دينِيَّةً؛ وغالِبًا ما تَقتَرِنُ هذهِ المُعارَضَةُ بِالنَّظَرِيَّةِ التي مُفادُها أَنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ مُرتَبِطَةٌ عُرفِيًّا بِالتَّعبيرِ عن حالاتٍ لامَعرِفِيَّةٍ كالعَواطِفِ، والخُطَطِ، والمَواقِفِ، والمَقاصِدِ، وما إليها. على أَنَّهُ تُوجَدُ أيضًا مَسالِكُ مُعارِضَةٌ لِنظريَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ هيَ أَكثَرُ اعتِدالًا، كالوِجهَةِ التي تَرَى أَنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تُمَثِّلُ حَقائقَ أو صِفاتٍ دينِيَّةً وتُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ *لكِنَّها كذلِكَ* تُعَبِّرُ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ. فاستِنادًا إلى هذهِ الوِجهَةِ الأَخيرَةِ،

تُعَدُّ نظريَّةُ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ ناقِصَةً لا مُخطِئةً كُلِّيًّا؛ فهيَ تُغفِلُ الجَوانِبَ النُّزوعِيَّةَ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. وسأستَعمِلُ تَعبيرَ *نَظَريَّةِ المَوقِفِ* *attitude theory* مُصطَلَحًا عامًّا يُحيلُ على هذهِ النَّظَريّاتِ.

وسيَكونُ اهتِمامُنا في الفَصلَيْنِ 5 و6 مُنصَبًّا على الوِجهاتِ والجِدالاتِ المُعاصِرَةِ بِشَأنِ نَظَريَّةِ المَوقِفِ. أمّا في الفُصولِ الثَّلاثَةِ الآتِيَةِ فسنَنظُرُ في بَعضِ المُسهِمِينَ الأساسِيِّينَ في التَّطوُّرِ التَّاريخِيِّ لِهذا [3] التَّقليدِ، على الرَّغمِ مِن أنّا سنُفَصِّلُ القَولَ أيضًا في عددٍ مِن المَوضوعاتِ التي تُثيرُ جَدَلًا فَلسَفِيًّا حَيًّا، ولا سِيَّما الإحالَةُ المُتَعَلِّقَةُ بِـ 'الله'. وقَد وَقَعَ اختِياري على ثَلاثَةِ مَسالِكَ مُتَغايِرَةٍ وذاتِ مُعارَضَةٍ تَأريخِيَّةٍ لِنظريَّةِ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ لِلُّغَةِ. وهذهِ المَسالِكُ مُختَلِفَةُ البَواعِثِ، ومُنتَقاةٌ مِن حقَبٍ تَأريخِيَّةٍ مُختَلِفَةٍ، ومُطَبَّقَةٌ على مَجالاتٍ مُختَلِفَةٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. ويُمَثِّلُ هذهِ المَسالِكَ (أ) اللاهوتِيُّونَ *الأَبوفاتيكِيُّونَ* *apophatic* theologians - الذينَ سأستَلُّ منهُم بِخاصَّةٍ دينِس الأريوباغِيَّ Denys the Areopagite (في نِهاياتِ القَرنِ الخامِسِ والقَرنِ السّادِسِ)*، وإيفاغريوس البنطِيَّ Evagrius Ponticus (في القَرنِ الرّابِعِ)**، والمُؤَلِّفَ المَجهولَ لِكِتابِ *غَمامَةِ الجَهلِ* *The*

---

* دينِس أو ديونيسيوس الأريوباغِيُّ: تِلميذُ بولس الرَّسول. وَرَدَ ذِكرُهُ في كِتابِ (أعمال الرُّسُل) في جُملَةِ الذينَ آمَنوا بِبِشارَةِ القِدِّيسِ بولس في أثينا: "لكِنَّ بَعضَهُم انضَمُّوا إلَيهِ وآمَنوا، ومِنهُم ديونيسيوس الأريوباغِيُّ" (أعمال 17: 34). كانَ ديونيسيوس مِن المُهِمِّينَ في الأريوباغس (ولذلكَ دُعِيَ الأريوباغِيَّ) وهيَ المحكَمَةُ العُليا المُختَصَّةُ بِالقضايا الجِنائيَّةِ، وكانَ ضَليعًا مِن الفَلسَفَةِ اليونانيَّةِ. وَصَلَتْ إلَينا أربَعَةُ مُؤَلَّفاتٍ لاهوتيَّةٌ مَشهورَةٌ ومُهِمَّةٌ يَدَّعي كاتِبُها أنَّهُ ديونيسيوس الأريوباغِيُّ، هيَ (الأسماءُ الإلهيَّة)، و(اللاهوتُ الصُّوفِيّ)، و(الدَّرَجاتُ الكَنَسِيَّة)، (الدَّرَجاتُ السَّماوِيَّة)، غَيرَ أنَّ العُلَماءَ أجمَعوا عَلى أنَّ هذهِ الكِتاباتِ لا يُمكِنُ أن تَكونَ لِلقِدِّيسِ ديونيسيوس المتَوَفَّى في القَرنِ الأوَّلِ الميلادِيِّ، بل هيَ لِكاتِبٍ مَسيحِيٍّ سُورِيٍّ مَجهولٍ عاشَ طَويلًا في مَدينَةِ أثينا في نِهاياتِ القَرنِ الخامِسِ الميلادِيِّ، بَعدَ نَحوِ أربَعِمِئةِ عامٍ عَلى وَفاةِ ديونيسيوس. لِذلكَ، باتَتْ هذهِ الكِتاباتُ تُعرَفُ بِكِتاباتِ ديونيسيوس الأريوباغِيِّ المنحولَةِ (أي المنسوبَةِ إلى غَيرِ كاتِبِها). [المُترجِم]

** إيفاغريوس البنطِيُّ (345–399م). قِدِّيسٌ مَسيحِيٌّ اهتَمَّ بِالتَّفسيرِ الرَّمزِيِّ وتَأمُّلِ الكِتابِ المُقَدَّسِ. كانَ لهُ أثَرُهُ في كَثيرينَ، وسَبَّبَ انشِقاقًا في الحَياةِ الرَّهبانِيَّةِ، إذ ثارَ كثيرونَ =

Cloud of Unknowing (لاحِقًا في القَرنِ الرّابعَ عَشرَ) - الذينَ يُقدِّمونَ طَريقةً مُميِّزَةً لِلتَّفكيرِ في اللُّغَةِ التي تُمَثِّلُ اللهَ، يَدفَعُهُم إلى ذلكَ تَعالي اللهِ؛ و(ب) جورج باركلي George Berkeley* الذي تَرمي نَظَريَّةُ المَوقِفِ عندَهُ، التي كانَ تَطويرُهُ الرَّئيسُ لَها في كِتابِهِ أَلسيفرون *Alciphron* الذي ظَهَرَ عامَ 1732**، إلى مُعالَجَةِ أُمورٍ تتعلَّقُ بِوُضوحِ الأفكارِ المَسيحِيَّةِ الأَساسِيَّةِ كَالنِّعمَةِ، والثّالوثِ، والخَطيئةِ الأَصلِيَّةِ، وهذهِ النَّظريَّةُ مَقصورَةٌ على اللُّغَةِ العَقَدِيَّةِ المَسيحِيَّةِ؛ و(ج) رِتشارد برَيْثوَيْت Richard Braithwaite*** الذي طَوَّرَ، في مُنتَصَفِ خَمسينِيّاتِ القَرنِ العِشرينَ، نَظَريَّةَ مَوقِفٍ واسِعَةَ المَدَى لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ مَدفوعًا بِاعتِباراتٍ عامَّةٍ تتعلَّقُ بِمُقتَضَياتِ المَعنَى اللُّغَوِيِّ. وخَلفِيَّةُ نظرِيَّةِ برَيْثوَيْت هيَ نظريَّةُ المَعنَى ونَقدُ الدِّينِ بِوَصفِهِ 'بِلا مَضمونٍ مِن النّاحِيَةِ الفِعلِيَّةِ' اللَّذانِ طَوَّرَهُما مَناطِقَةُ الوَضعِيَّةِ وأَشاعَهُما أ.ج. أيَر A.J. Ayer (1936)****. ويَعرِضُ الفَصلُ 4 هذهِ الخَلفِيَّةَ ويُناقِشُ أيضًا

= مِن مُحِبّي حَياةِ التَّقوى البَسيطَةِ عَلى مَنهَجِهِ، وعَدُّوهُ مُفسِدًا لِلرَّهبَنَةِ بِأفكارِهِ الأوريجانِيَّةِ الرَّمزِيَّةِ. وقَد يَكونُ هذا هوَ سَبَبَ فَقدِ كُلِّ كِتاباتِهِ بِاللُّغَةِ الأَصلِيَّةِ، فلَم يَصِلْ إلينا إلّا التَّرجماتُ اللاتينيَّةُ أو السُّريانيَّةُ. [المُترجِم]

* جورج باركلي (1685-1753م). فَيلَسوفٌ إيرلنديٌّ إنجليزيُّ الأصلِ، وأُسقُفٌ أنجليكانيٌّ. يُعَدُّ مِن مُسانِدِي الرُّؤيَةِ الجَوهَرِيَّةِ في القَرنِ الثّامِنَ عَشَرَ الميلادِيِّ؛ إذ ادَّعَى عَدَمَ وُجودِ شَيءٍ اسمُهُ مادَّةٌ، وأنَّ ما يَراهُ البَشَرُ ويَعُدُّونَهُ عالَمَهم المادِّيَّ لا يَعدو أن يَكونَ مُجرَّدَ فِكرَةٍ في عِلمِ اللهِ. لهُ كذلِكَ مُؤلَّفاتٌ في الرِّياضيّاتِ ونَظَريَّةِ المعرفَةِ. مِن آثارِهِ: (بَحثٌ في مبادِئِ المعرفةِ الإنسانيَّةِ)؛ و(مَقالَةٌ نَحوَ نظريَّةٍ جديدةٍ في الرُّؤيَةِ)؛ و(المُحَلِّلُ). [المُترجِم]

** أَلسيفرون (أو الفَيلَسوفُ الصَّغير): مُؤلَّفٌ مُطَوَّلٌ لِجورج باركلي اتَّخَذَ شَكلَ المُحاوَرَةِ، وفيهِ يُناصِرُ باركلي مَبادِئَ الأرثوذكسِيَّةِ الأنجليكانيَّةِ بِالضِّدِّ مِن شَتَّى الأنماطِ التي كانَتْ شائعَةً كالتَّفكيرِ الحُرِّ ومَذهَبِ المُؤلِّهَةِ. [المُترجِم]

*** رِتشارد بيفان برَيْثوَيْت (1900-1990م). فَيلَسوفٌ إنجليزيٌّ مُتَخَصِّصٌ في فَلسَفَةِ العِلمِ، وعِلمِ الأخلاقِ، وفَلسَفَةِ الدِّينِ. كانَ مُحاضِرًا في عِلمِ الأخلاقِ في جامِعَةِ كيمبرج بينَ عامَيْ 1934 و1953، ثُمَّ أُستاذًا لِفَلسَفَةِ الأخلاقِ هُناكَ بينَ عامَيْ 1953 و1967. مِن مُؤلَّفاتِهِ: (التَّفسيرُ العِلمِيّ)؛ و(نَظَريَّةُ الألعابِ بِوَصفِها أداةً لِفَيلَسوفِ الأخلاق)؛ و(وِجهَةُ نَظَرٍ تَجريبيَّةٌ بِشأنِ طَبيعَةِ الاعتِقادِ الدِّينِيّ). [المُترجِم]

**** ألفريد جول أيَر (1910-1989م). فَيلَسوفٌ بريطانيٌّ مِن الوَضعيِّينَ الجُدُدِ، =

سَبَبَ بَقاءِ هذا النَّقدِ مَسألَةً مَركَزِيَّةً كهذهِ في فَلسَفَةِ الدِّينِ حَتّى نِهاياتِ القَرنِ العِشرِينَ، على الرَّغمِ مِن أنَّ نظريَّةَ المَعنَى التي ارتَكَزَتْ عليها كانَتْ قَد تَزَعزَعَتِ الثِّقَةُ بِها كُلِّيًّا مُنذُ عُقودٍ قَبلَ ذلكَ.

وإذا كانَ اللهُ وُجودًا مُتعالِيًا، على ما ذَهَبَ إليهِ اللاهوتِيُّونَ الأبوفاتيكِيُّونَ، فستُثارُ مُشكِلَةٌ إذَن بِشَأنِ كَيفِيَّةِ إمكانِ الإحالَةِ على اللهِ. وسأنظُرُ في هذهِ المُشكِلَةِ في الفَصلِ 2 لكِنِّي أُرجِئُ إلى الفَصلِ 7 المُناقَشَةَ المُوَسَّعَةَ لِنَظريّاتِ الإحالَةِ وتَطبيقِها على اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ.

تَنَوُّعاتُ نَظَرِيَّةِ المَوقِفِ: استِقراءُ الحَقل

قَد يُوحي ذِكرُ المَواقِفِ 'اللامَعرِفِيَّةِ' إلى بَعضِ القُرّاءِ بِنظريَّةٍ جَذرِيَّةٍ مُرتَبِطَةٍ ارتِباطًا مَخصوصًا بِاتِّجاهاتٍ مُعَيَّنَةٍ في اللاهوتِ البروتستانتِيِّ في ما بينَ مُنتَصَفِ القَرنِ العِشرِينَ ونِهاياتِهِ وبِشَخصِيّاتٍ نَحوِ دون كيُوبِت Cupitt Don* وغوردن كوفمان Gordon Kaufman**. على أنَّهُ يَجِبُ أن نَكونَ دَقيقِينَ في التَّفريقِ بينَ النَّظَريّاتِ اللاتَعديلِيَّةِ، التي تَرمي إلى تَقديمِ تَأويلٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، والنَّظَريّاتِ التَّعديلِيَّةِ التي تَرمي إلى تَعديلِ كَيفِيَّةِ استِعمالِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ وإلى قَولِ ما يَجِبُ أن تَعنِيَهُ لا ما

= وأستاذُ الميتافيزيقا بِجامِعَةِ أوكسفورد. اكتَسَبَ شُهرَةً بِكِتابِهِ (اللُّغَةُ، والصِّدقُ، والمَنطِق) الذي رَوَّجَ فيهِ لآراءِ حَلقَةِ فيينّا. وفي كِتاباتِهِ اللاحِقَةِ، (أُسُس المَعرِفَةِ التَّجريبِيَّة) و(التَّفكير والمعنى) و(مُشكِلَةُ المَعرِفَة)، انحَرَفَ بَعضَ الشَّيءِ عَن الشَّكلِ الأصليِّ لِلوَضعِيَّةِ المنطقِيَّةِ، ووَقَعَ بِشِدَّةٍ تَحتَ تَأثيرِ الفَلسَفَةِ اللُّغَوِيَّةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ الأخرى: (مَقالاتٌ فَلسَفِيَّة)؛ و(مَفهومُ الشَّخصِ ومَقالاتٌ أُخرى)؛ و(الفَلسَفَةُ في القَرنِ العِشرين). [المُتَرجِم]

* دون كيُوبِت (1934–...م). فَيلَسوفُ دِينٍ إنجليزِيٌّ وعالِمٌ بِاللاهوتِ المسيحِيِّ. كانَ قَسًّا أنجليكانِيًّا، وأستاذًا في جامِعَةِ كيمبرج. وُصِفَ بِأَنَّهُ "لاهوتِيٌّ رادِكالِيٌّ"، وعُرِفَ بِأفكارِهِ المُتَعَلِّقَةِ بِفَلسَفَةِ الدِّينِ "اللاواقِعِيَّة". مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الخِلافُ في المسيح)؛ و(بَحرُ الإيمان)؛ و(الطَّريقُ إلى السَّعادَةِ: نَظَرِيَّةٌ لِلدِّين). [المُتَرجِم]

** غوردن د. كوفمان (1925–2011م). لاهوتِيٌّ أمريكِيٌّ، وأستاذُ الإلهِيّاتِ في مَدرَسَةِ الإلهِيّاتِ بِجامِعَةِ هارفَرد التي دَرَّسَ فيها مُدَّةً تَزيدُ عَلى ثَلاثَةِ عُقودٍ بَدَأَتْ في عام 1963. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (مَقالَةٌ في المَنهَجِ اللاهوتِيِّ)؛ و(الخَيالُ اللاهوتِيُّ)؛ و(اللاهوتُ النِّظامِيُّ). [المُتَرجِم]

تَعنيهِ. فنَظَريَّةُ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ ونَظَرِيّاتُ المَوقِفِ لاتَعديلِيَّةٌ؛ إذ إنَّها تُقَدِّمُ بِوَصفِها أُطروحاتٍ لِلمَضمونِ والاستِعمالِ العُرفِيِّ لِلجُمَلِ الدِّينِيَّةِ. لكِن انظُرْ، على سبيلِ المِثالِ، [4] في الحَرَكَةِ المُسَمّاةِ بَحرَ الإيمانِ Sea of Faith*، التي تُعَدُّ كِتاباتُ دون كيُوبِت في ثَمانينِيّاتِ القَرنِ العِشرينَ مَصدَرَ إلهامِها، والتي تُمَثِّلُ هذا المَذهَبَ اللاهوتِيَّ الذي هوَ أكثَرُ جَذرِيَّةً. فهيَ تُؤَيِّدُ مُلاحَقَةَ المُمارَساتِ التي يَضطَلِعُ بِها اضطِلاعًا نَمَطِيًّا المُؤمِنونَ المُتَدَيِّنونَ - الصَّلاةِ، والذَّهابِ إلى الكَنيسَةِ، ومُحاوَلَةِ تَلبِيَةِ مَعاييرَ أخلاقِيَّةٍ مُختَلِفَةٍ، وما إلى ذلكَ - لكِن مِن غَيرِ اعتِقادٍ دِينِيٍّ[1]. ويَحكُمُ المُنتَقِصُونَ مِن شَأنِ الحَرَكَةِ على ذلكَ بِأَنَّهُ فَوقَ الإلحادِ بِقَليلٍ مُقَدَّمًا على نَحوٍ مُضَلِّلٍ بِوَصفِهِ اقتِناعًا دِينِيًّا (Plantinga, 2000). أمّا المُناصِرونَ لَها فيَذهَبونَ إلى أنَّ بِإمكانِ المَرءِ الحُصولَ على نَحوٍ مَشروعٍ عَلى مَنافِعِ الحَياةِ الدِّينِيَّةِ مِن غَيرِ أن يُلزَمَ اعتِقاداتٍ خُرافِيَّةً (Cupitt, 1984). ويُعَدُّ بَعضُ أعضاءِ الاتِّحادِ الأنجليكانِيِّ النّاشِطِينَ مِن مُؤَيِّدِي الحَرَكَةِ. فهؤُلاءِ المُتَعاطِفونَ مَعَ حَرَكَةِ بَحرِ الإيمانِ قَد يَظهَرونَ بِمَظهَرِ الرّافِضِ لِنظرِيَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ. لكِنَّهُم، بَدَلًا مِن ذلكَ، يُشَجِّعونَ تَعديلَ المَواقِفِ الدِّينِيَّةِ - مُواصَلَةَ الانشِغالِ بِالمُمارَسَةِ والخِطابِ الدِّينِيَّيْنِ لكِن مِن غَيرِ التِزامِ ما يَتَصَوَّرونَهُ 'أساطيرَ' وكِياناتٍ خارِقَةً لِلطَّبيعَةِ. فما دامَ الأمرُ كذلكَ، فَعلينا أن نتَوَقَّعَ أن *يُقِرُّوا* بِنَظرِيَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لأنَّهُم يَعتَقِدونَ أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ (إلى حينِ استِمالَةِ مُجتَمَعِ المُؤمِنِينَ) تَصِفُ حَقائقَ دينِيَّةً وتُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن اعتِقاداتِ المُتَكَلِّمِينَ. وقَد يَصعُبُ أحيانًا أن يُقَرِّرَ: أنَظرِيَّةٌ تعديلِيَّةٌ يُقَدِّمُ

---

* حَرَكَةُ بَحرِ الإيمانِ: حَرَكَةٌ هَدَفُها البَحثُ في الإيمانِ الدِّينِيِّ وتَعزيزُهُ بِوَصفِهِ خَلقًا بَشَرِيًّا. أُسِّسَتْ عامَ 1984 استِجابَةً لِكِتابٍ لِدون كيُوبِت عُنوانُهُ (بَحرُ الإيمان) حُوِّلَ إلى حَلقاتٍ تِلفازِيَّةٍ حَمَلَتِ العُنوانَ نَفسَهُ. وقَد استَقرَى كيُوبِت في كِتابِهِ وفي الحَلقاتِ التِّلفازِيَّةِ التَّفكيرَ الغَربِيَّ في الدِّينِ وخَطَّطَ لإحداثِ نَقلَةٍ مِن الدِّينِ الواقِعِيِّ التَّقليدِيِّ إلى وِجهَةٍ تَرى أنَّ الدِّينَ لَيسَ سِوَى خَلقٍ بَشَرِيٍّ. [المُتَرجِم]

(1) لا توجَدُ عِبارَةٌ اعتِقادِيَّةٌ رَسْمِيَّةٌ يُتَوَقَّعُ أن يَتَّفِقَ عليها أعضاؤُها، وأعتَقِدُ أنَّ هذا مُنسَجِمٌ معَ المَوقِفِ الذي أبداهُ دون كيُوبِت (1984) ووِجهاتِ نَظَرِ كَثيرٍ مِن أعضاءِ الحَرَكَةِ.

الكاتِبُ أم نظَريَّةً لاتَعديلِيَّةً؟ بيدَ أنَّ التَّمييزَ أمرٌ حاسِمٌ؛ إذ إنَّ مِيزاتِ النَّظَريَّةِ التَّعديلِيَّةِ تعتَمِدُ جُزئيًّا على وَجاهَةِ الاعتِباراتِ الميتافيزيقِيَّةِ التي تبعَثُها (الباعِثُ، في هذهِ الحالَةِ، هوَ أنَّ الإيمانَ بِمَوجوداتٍ خارِقَةٍ لِلطَّبيعَةِ لا يُمكِنُ الدِّفاعُ عنهُ). أمّا ميزاتُ النَّظَريَّةِ اللاتَعديلِيَّةِ فيُقَوِّمُها بِدَرَجَةٍ كَبيرَةٍ الدَّليلُ اللُّغَويُّ المُتَعَلِّقُ بِمَعاني الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ واستِعمالِها.

وتَتَّخِذُ نَظريّاتُ المَوقِفِ أشكالًا مُختَلِفَةً وكانَتْ قَد تَلَقَّت دِفاعًا عنها لِعِدَّةِ مِساحاتٍ مُختلِفَةٍ مِن اللُّغَةِ، ولا سِيَّما عِلمُ الأخلاقِ (Blackburn, 1984; Gibbard, 1990)، والأحكامُ الذّاتِيَّةُ على دَرَجاتِ اليَقينِ (Schneider, 2010)، والعَزوُ الذّاتِيُّ لِلحالاتِ الذِّهنِيَّةِ (Logue, 1995)، وعِلمُ الجَمالِ (Todd, 2004)، واللُّغَةُ الصِّيغِيَّةُ لِلضَّرورَةِ والإمكانِ (Thomasson, 2007)، والصِّدقُ (Strawson, 1950). فما مَدَى الخِياراتِ النَّظريَّةِ المُتاحَةِ لِمُنَظِّرِ المَوقِفِ الدِّينِيِّ؟ يُمكِنُ القَولُ إنَّهُ تُوجَدُ ثَلاثَةُ مَذاهِبَ رَئيسَةٌ. فأمّا أكثَرُ هذهِ المَذاهِبِ جَذرِيَّةً، وهوَ المَذهبُ الذي سَأُسَمّيهِ *اللامَعرِفِيَّةَ non-cognitivism*، فيَرَى أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ لا تَنقُلُ حَقائقَ (دينِيَّةً أو غَيرَ دينِيَّةٍ) ولا تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن اعتِقاداتٍ (دَع عنكَ أن تَكونَ اعتِقاداتٍ دِينِيَّةً)؛ بَل إنَّها، بَدَلًا مِن ذلكَ، لا تُعَبِّرُ إلّا عن حالاتٍ لامَعرِفِيَّةٍ. على أنَّهُ إذا كانَتِ اللامَعرِفِيَّةُ تُشَكِّلُ شَكلًا مِن أشكالِ نظريَّةِ المَوقِفِ، لِرَفضِها أُطروحَةَ القيمَةِ الظّاهريَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ بِكُلِّيَّتِها، فإنَّها تَقِفُ على طَرَفٍ نَقيضٍ في مَدًى مِن الخِياراتِ النَّظريَّةِ. فثَمَّةَ خِيارانِ آخَرانِ أكثَرُ تَواضُعًا يُقَدِّمانِ طَرائقَ لِمُخالَفَةِ نظريَّةِ القيمَةِ الظّاهريَّةِ تَحظَى بِمَقبولِيَّةٍ أكبَرَ بِكَثيرٍ. وسَأَدعو هذَيْنِ الخِيارَيْنِ *نَظَريَّةَ المَوقِفِ المُعتَدِلَةَ moderate attitude theory* [5] *والتَّعبيريَّةَ expressivism*. فمُنَظِّرو المَوقِفِ المُعتَدِلونَ يُوافِقونَ نظريَّةَ القيمَةِ الظّاهريَّةِ في أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً؛ ويُوافِقونَها أيضًا في أنَّ إثباتَ هذهِ الجُمَلِ يُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ. على أنَّهُم يَذهَبونَ إلى أنَّ هذا لا يَستَنفِدُ كُلَّ إمكاناتِ مَضمونِها؛ فالجُمَلُ الدِّينِيَّةُ تُعَبِّرُ عُرفِيًّا أيضًا عن مَواقِفَ غَيرِ الاعتِقادِ.

ولِلوُقوفِ على كيفِيَّةِ إمكانِ ذلكَ، مِن المُفيدِ اقتِباسُ المِثالِ الآتي مِن سايمن بلاكبيرن Simon Blackburn*، إذ يَقولُ:

> إذا قُلْتُ إنَّ شَخصًا مّا كراوت Kraut**، أو ثَمِلٌ blotto، فقد أكونُ بِذلكَ مُعَبِّرًا عن مَوقِفِ احتِقارٍ تُجاهَ الألمانِ، أو عن مَوقِفِ تَسَلٍّ ساخِرٍ مِن السُّكْرِ، بَيدَ أنّي كذلكَ أقولُ شَيئًا مّا صادِقًا أو كاذِبًا بِشَأنِ الهُوِيَّةِ الوطنِيَّةِ أو الرَّزانَةِ. . . ولا يَنبَغي لَكَ أن تَستَعمِلَ هذَيْنِ اللفظَيْنِ ما لَم تَكُن مُتَعاطِفًا أيضًا معَ هذَيْنِ المَوقِفَيْنِ. بَيدَ أنَّهُ سيَكونُ مُخطِئًا في كِلتا الحالَتَيْنِ مَن يَستَدِلُّ على أن لا وَصفَ مُقَدَّمًا مِن حَقيقَةِ أنَّ ثَمَّةَ مَوقِفًا مُعَبَّرًا عنهُ *أيضًا*.
>
> (1984, p. 169)

فقَولُنا: إنَّ شَخصًا مّا ثَمِلٌ، تَمثيلِيٌّ وتَعبيرِيٌّ في الوَقتِ نَفسِهِ؛ إذ يُعَبِّرُ عن إيمانٍ بِالحَقيقَةِ المُمَثَّلَةِ (أنَّ الشَّخصَ مَخمورٌ) وكذلكَ عَن مَوقِفٍ لا اعتِقادٍ (تَسَلٍّ بِحالَةِ الشَّخصِ). فاللامَعرِفِيُّ المُعتَدِلُ يَصطَنِعُ حالَةً قابِلَةً لِلمُقارَنَةِ بِشَأنِ اللُغَةِ الدِّينِيَّةِ: فهيَ مُشابِهَةٌ لِلمِساحاتِ الأُخرَى لِلُّغَةِ الوَصفِيَّةِ بِالقَدْرِ الذي تُمَثِّلُ بِهِ جُمَلُها حَقائقَ وتُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ تتعلَّقُ بِهذهِ الحَقائقِ، لكِنَّها مُختَلِفَةٌ عنها بِالقَدْرِ الذي تكونُ بِهِ تَعبيرِيَّةً أيضًا عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ.

وقَد يَكونُ ثَمَّةَ سببٌ وجيهٌ لِتَساؤُلِ مُنَظِّري القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ: أثَمَّةَ نُقطَةٌ خِلافِيَّةٌ أصيلَةٌ معَ نظرِيَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ؟ ذلكَ بِأنَّ ما يَبدو هوَ أنَّ بِإمكانِنا

---

* سايمن بلاكبيرن (1944–...م). فَيلَسوفٌ أكاديمِيٌّ إنجليزِيٌّ، مَعروفٌ بِكِتاباتِهِ في ما بَعدَ عِلمِ الأخلاقِ، إذ يُدافِعُ عَن شِبهِ الواقِعِيَّةِ، وفي فَلسَفَةِ اللُغَةِ، وقَد استَمالَ حَديثًا جُمهورًا عامًّا عَريضًا لِجُهودِهِ في إشاعَةِ الفَلسَفَةِ بَينَ النّاسِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (نَشرُ الكَلِمَة)؛ و(مَقالاتٌ في شِبهِ الواقِعِيَّة)؛ و(مُعجَمُ أوكسفورد لِلفَلسَفَة). [المُتَرجِم]

** كَلِمَةُ Kraut كَلِمَةٌ ألمانِيَّةٌ دَخَلَتْ إلى اللُغَةِ الإنجليزِيَّةِ مُنذُ عام 1918 فَصاعِدًا بِوَصفِها لَفظًا انتِقاصِيًّا مِن الألمانِيِّ، ولا سِيَّما الجُندِيُّ الألمانِيُّ في أثناءِ الحَربَيْنِ العالمِيَّتَيْنِ الأُولى والثّانِيَةِ. وقَد كانَ المَعنى القَديمُ لِهذهِ الكلِمَةِ في اللُغَةِ الإنجليزِيَّةِ مُرادِفًا لِكَلِمَةِ sauerkraut، وهيَ أكلَةٌ تَقليدِيَّةٌ في أورُبّا الوُسطى والشَّرقِيَّةِ. [المُتَرجِم]

استِعمالَ *أيَّةِ* دَعوَى وَصفِيَّةٍ ومُعَبِّرَةٍ عن اعتِقادٍ لِلتَّعبيرِ أيضًا عن مَوقِفٍ لامَعرِفِيٍّ. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ سائقَ سَيّارَةٍ تَركَبُها قَد قادَ قِيادَةً سَريعَةً خَطِرَةً في شارِعٍ ضَيِّقٍ. فستَقولُ لِلسّائقِ بِتَوتُّرٍ:

1. إنَّكَ تَقودُ بِسُرعَةٍ فائقَةٍ.

فكُلُّ ما قَد أخبَرَتْ بِهِ الجُملَةُ (1)، استِنادًا إلى نظريَّةِ القيمَةِ الظّاهرِيَّةِ، هوَ *أنَّكَ تَقودُ بِسُرعَةٍ فائقَةٍ* وإنَّكَ بِقَولِكَ الجُملَةَ (1) إنَّما تُعَبِّرُ عن إيمانِكَ بِهذا المَضمونِ. على أنَّكَ بِقَولِكَ الجُملَةَ (1) تُوصِلُ أيضًا المَوقِفَ اللامَعرِفِيَّ المُفيدَ لِلذُّعرِ بِشَأنِ سُرعَةِ السَّيّارَةِ. لكِن ما مِن شَكٍّ في أنّا لا نَحتاجُ إلى نظريَّةِ مَوقِفٍ لِلُّغَةِ المُتعلِّقَةِ بِقِيادَةِ السَّيّاراتِ. ويُمكِنُ القَولُ عَلى نَحوٍ أعَمَّ إنَّهُ يَبدو أنَّ بِإمكانِنا مِن حَيثُ المَبدَأُ تَخَيُّلَ ظُروفٍ لأيَّةِ جُملَةٍ إخبارِيَّةٍ مُعطاةٍ - وَصفِيَّةٍ أو غيرِ وَصفِيَّةٍ - تُعَبِّرُ فيها عن حالَةٍ لامَعرِفِيَّةٍ. فإن كانَ ذلكَ هوَ كُلَّ ما يَقتَرِحُهُ حَقًّا مُنَظِّرو المَوقِفِ المُعتَدِلونَ، فستَبدو النَّظرِيَّةُ عِندَئذٍ صادِقَةً صِدقًا بَديهِيًّا وستُخفِقُ في تَشخيصِ أيِّ شَيْءٍ مُمَيَّزٍ [6] في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ؛ إذ إنَّها لا تُخبِرُنا بِأيِّ شَيْءٍ عن اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ مِمّا لا تُخبِرُنا بِهِ كذلكَ عن لُغَةِ قِيادَةِ السَّيّاراتِ أو أيَّةِ مِساحَةٍ أُخرَى لِلُّغَةِ. على أنَّ في هذا إغفالًا لِمُكَوِّنٍ حاسِمٍ لِنَظريَّةِ المَوقِفِ. فالتَّعبيرُ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ يُنظَرُ إليهِ على أنَّهُ مُرتَبِطٌ بِاستِعمالِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ بِوَصفِهِ *عُرفًا لُغَوِيًّا*. فإذا كانَ قَولُ الجُملَةِ (1) قَد يُعَبِّرُ عن شُعورٍ بِالذُّعرِ، فإنَّ مَرَدَّ ذلكَ إلى السِّياقِ الذي قِيلَتْ فيهِ (راكِبٌ مُتَوَتِّرُ الأعصابِ في سَيّارَةٍ مُسرِعَةٍ) والأسلوبِ الذي قِيلَتْ على وَفقِهِ. وهذا يُشيرُ إلى فَرقٍ مُهِمٍّ بينَ الجُملَةِ (1) ومِثالَيْ بلاكبيرن. إذ إنَّ الألفاظَ التي كَلَفظِ 'ثَمِل' أو التَّعبيراتِ الازدِرائيَّةَ مُرتَبِطَةٌ بِالتَّعبيرِ عن المَواقِفِ مِن النّاسِ الذينَ تُوَجَّهُ إليهِم في جَميعِ الأحوالِ التي تُستَعمَلُ فيها. ويَرَى بلاكبيرن أنَّ هذا، على ما يَبدو، جُزءٌ مِن مَعنَى هذهِ الكَلِماتِ وليسَ شَيئًا مّا تُستَعمَلُ الكَلِماتُ، في أحوالٍ مُعَيَّنَةٍ، لِتُلمِعَ إليهِ أو لِتُوصِلَهُ. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، لا تُعَبِّرُ الجُملَةُ (1) عن الذُّعرِ في جَميعِ الأحوالِ التي تُستَعمَلُ فيها - مِثالُ ذلكَ أن يَقولَها بِهُدوءٍ مُدَرِّبُ قِيادَةِ السَّيّاراتِ

لِمُتَعَلِّمٍ يَتَجاوَزُ قَليلًا حُدودَ السُّرعَةِ المَسموحِ بِها. ويَرَى مُنَظِّرُو المَوقِفِ المُعتَدِلونَ أنَّ التَّعبيرَ عن مَواقِفَ لامَعرِفيَّةٍ ليسَ سِمَةً عارِضَةً مُعتَمِدَةً على السِّياقِ تُمَيِّزُ استِعمالَ الجُمَلِ الدِّينيَّةِ بَل إنَّهُ كامِنٌ في مَعناها معَ مَضمونِها التَّمثيلِيِّ. وتَجِدُ نظريَّةُ المَوقِفِ المُعتَدِلَةُ بَعضَ مَن يُؤازِرُها في حَقلِ عِلمِ الأخلاقِ (Copp, 2001) لكِنَّها لم تَلْقَ بَعدُ مَن يُدافِعُ عنها في حَقلِ فَلسَفَةِ الدِّينِ.

أمّا النُّسخَةُ التَّعبيريَّةُ لِنَظريَّةِ المَوقِفِ فتَرَى أنَّ الجُمَلَ الدِّينيَّةَ تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن مَواقِفَ لامَعرِفيَّةٍ وأنَّها في حالاتٍ كَثيرَةٍ تُعَبِّرُ عن اعتِقاداتٍ أيضًا. على أنَّ الجُمَلَ الدِّينيَّةَ ليسَ لَها مَضمونٌ دينِيٌّ، وأنَّ الاعتِقاداتِ التي تُعَبِّرُ عنها لَيسَتِ اعتِقاداتٍ دينِيَّةً. ولِتَقِفَ على كَيفِيَّةِ إمكانِ ذلكَ، تَخَيَّلْ نُسخَةً هَزْلِيَّةً مِن التَّعبيريَّةِ لِلتَّسلِيَةِ. فالتَّعبيريَّةُ الهَزْلِيَّةُ هيَ النَّظريَّةُ التي مُفادُها أنَّ الجُمَلَ المُتَعَلِّقَةَ بِما هوَ هَزْلِيٌّ – أي الجُمَلَ التي يُستَعمَلُ فيها المَحمولُ 'هَزْلِيٌّ' أو المَحمولاتُ ذاتُ الصِّلَةِ بِالهَزْلِيَّةِ – لا تُمَثِّلُ حَقائقَ تَتَعَلَّقُ بِما هوَ هَزْلِيٌّ بَل تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن تَسَلٍّ بِالمَوضوعِ الذي يُوَجَّهُ إليهِ المَحمولُ. مِثالُ ذلكَ الجُملَةُ الآتِيَةُ:

2. إنَّ تَمثيلَ روان أتكِنسن Rowan Atkinson* في حَفلِ افتِتاحِ دَورَةِ الألعابِ الأولِمبيَّةِ في لَندَن كانَ هَزْلِيًّا.

فالتَّعبيريُّونَ الهَزْلِيُّونَ يَرَونَ أنَّ لِهذِهِ الجُملَةِ مَعنًى تَعبيرِيًّا، يُمكِنُ أن نُقَدِّمَهُ على النَّحوِ الآتي:

3. ها! (روان أتكِنسن يُمَثِّلُ في حَفلِ افتِتاحِ دَورَةِ الألعابِ الأولِمبيَّةِ في لَندَن). [7]

* روان سباستيان أتكِنسن (1955–...م). مُمَثِّلٌ، وهَزلِيٌّ، وكاتِبُ نُصوصٍ سينمائيَّةٍ إنجليزِيٌّ. أكثَرُ ما عُرِفَ بِهِ أداؤُهُ دَورَ السَّيِّد بين Bean. [المُتَرجِم]

حَيثُ تَرمِزُ لفظَةُ 'ها!' إلى مَوقِفِ تَسَلٍّ تُجاهَ المَضمونِ المَحصورِ بينَ قَوسَيْنِ. ويُلحَظُ هُنا بِخاصَّةٍ أنَّ المَحمولَ 'هَزْلِيّ' يَختَفي في التَّأويلِ التَّعبيرِيِّ لِلجُملَةِ (2) بِحَيثُ إنَّ الجُملَةَ لا تَعزو صِفَةً أصيلَةً إلى تَمثيلِ روان أتكِنسن. فالتَّعبيرِيُّونَ الهَزْلِيُّونَ يُؤمِنونَ بِأنَّ الجُمَلَ المُتَعَلِّقَةَ بِما هوَ هَزْلِيٌّ مُرتَبِطَةٌ عُرفِيًّا بِالتَّعبيرِ عن مَواقِفَ وأنَّها لا تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِما هوَ هَزْلِيٌّ. فالكَلامُ الهَزْلِيُّ، عندَ التَّعبيرِيِّينَ، لا يُمَيِّزُ صِفَةً أصيلَةً لِلأشياءِ والمُتَكَلِّمِينَ. على أنَّ ذلكَ لا يَجعَلُ مَرَدَّ التَّعبيرِيَّةِ إلى اللامَعرِفِيَّةِ لأنَّ الجُملَةَ (2) تُعَبِّرُ أيضًا عن هذهِ القَضِيَّةِ الصّادِقَةِ:

4. روان أتكِنسن مَثَّلَ في حَفلِ افتِتاحِ دَورَةِ الألعابِ الأولِمبِيَّةِ في لَندَن.

والشَّخصُ الذي يَقولُ الجُملَةَ (2) بِصِدقٍ يَعتَقِدُ الجُملَةَ (4) ويَقولُها. فالتَّعبيرِيَّةُ تَسمَحُ إذَن لِلجُمَلِ المُتَعَلِّقَةِ بِما هوَ هَزْلِيٌّ بِأن يَكونَ لَها مَضمونٌ تَمثيلِيٌّ يَعتَقِدُهُ المُتَكَلِّمُ أيضًا، على ألّا يُعَبِّرَ ما يُقالُ عن قَضِيَّةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِما هوَ هَزْلِيٌّ. على أنَّ ثَمَّةَ حالاتٍ كالحالةِ الآتِيَةِ:

5. كانَ هذا هَزْلِيًّا.

فالتَّعبيرِيُّونَ يُؤَوِّلونَ الجُملَةَ (5) على أنَّها تُعَبِّرُ عن مَوقِفٍ لامَعرِفِيٍّ فَقط:

6. ها! (ذلكَ الشَّيْءُ).

فليسَتْ ثَمَّةَ قَضِيَّةٌ تامَّةٌ تُعَبِّرُ عنها الجُملَةُ (5) على وَفقِ تَأويلِ التَّعبيرِيِّينَ لِمَعناها. ويَرَى التَّعبيرِيُّونَ الهَزْلِيُّونَ أنَّ قَولَ الجُملَةِ (5) لا يُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن اعتِقادٍ، بَل يُعَبِّرُ عن مَوقِفِ تَسَلٍّ فقط.

وإذا ما عُدْنا إلى مَذهَبِ التَّعبيرِيِّينَ الدِّينِيِّينَ، أمكَنَنا أن نَرَى مِن خِلالِ المِثالِ الذي قَدَّمَتْهُ التَّعبيرِيَّةُ بِشأنِ الهَزلِيَّةِ أنَّهُ ستَكونُ لَدينا قِسمَةٌ مُشابِهَةٌ بينَ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ التي تَنقُلُ أيضًا حَقائقَ لادينِيَّةً والتي لاتَنقُلُها. إذ يُسَلِّمُ التَّعبيرِيُّونَ الدِّينِيُّونَ

بِأنَّ جُمَلَ الصّنفِ الأوّلِ قَد تُعَبّرُ عن اعتِقاداتٍ تتعلّقُ بِقَضايا (لادينِيَّةٍ) وتُعَبّرُ أيضًا عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ، في حينِ أنَّ جُمَلَ الصّنفِ الثّاني تُؤَوَّلُ على أنّها تَعبيرِيَّةٌ خالِصَةٌ. فالتّعبيرِيُّونَ بِذلكَ يُسَلِّمونَ بِأنَّ اللُغَةَ الدِّينِيَّةَ قَد تَصِفُ حَقائقَ لادينِيَّةً وأنَّها تُستعمَلُ لِلتّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ لادينِيَّةٍ؛ على أنَّ هذا يَنسَجِمُ معَ ما يَذهَبونَ إليهِ مِن أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ لا تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً وأنّها لا تُستَعمَلُ لِلتّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ تتعلّقُ بِحَقائقَ دينِيَّةٍ. ثُمَّ إنَّ تَسليمَهُم هذا لا مَفَرَّ مِنهُ على ما يَبدو. إذ لا يَبدو أنَّ ثَمَّةَ [8] تَأويلًا مَقبولًا لِلجُملَةِ (7)، على سبيلِ المِثالِ، يَنفي كَونَها تُمَثِّلُ حَقائقَ مَوصوفَةً في الجُملَتَيْنِ (8) و(9):

7. ابتَلَى اللهُ مِصرَ بِعَشرِ آفاتٍ لإقناعِ فِرعَونَ بِعِتقِ بَني إسرائيلَ مِن العُبودِيَّةِ.
8. عانَتْ مِصرُ عَشرَ آفاتٍ.
9. أَبقَى فِرعَونُ بَني إسرائيلَ في العُبودِيَّةِ.

فالأمثِلَةُ التي على هذهِ الشّاكِلَةِ تُصَعّبُ عَلَينا رُؤيَةَ الكَيفِيَّةِ التي كانَتْ بِها اللامَعرِفِيَّةُ، التي تُنكِرُ كَونَ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ تُعَبّرُ عُرفِيًّا عن أيِّ اعتِقادٍ، مَذهَبًا يُمكِنُ الدِّفاعُ عَنهُ تِلقائيًّا.

وبِوُسعِنا رُؤيَةُ الخِياراتِ الرَّئيسَةِ على النَّحوِ الآتي:

نَظَرِيَّةُ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ. الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ تُمَثِّلُ حَقائقَ دِينِيَّةً وتُستَعمَلُ عُرفِيًّا لِلتّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ تَنطَوي عليها هذهِ الحَقائقُ.

اللامَعرِفِيَّةُ. الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ لا تُمَثِّلُ حَقائقَ دِينِيَّةً ولا تُستَعمَلُ عُرفِيًّا لِلتّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ؛ إنَّها تُعَبّرُ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ.

التّعبيرِيَّةُ. الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ لا تُمَثِّلُ حَقائقَ دِينِيَّةً لكِنَّها تُعَبّرُ عُرفِيًّا عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ؛ وبِقَدرِ ما تُمَثِّلُ حَقائقَ لادِينِيَّةً (إن كانَت تُمَثِّلُ أيَّةَ حَقائقَ مُطلَقًا)، يُمكِنُ استِعمالُها عُرفِيًّا لِلتّعبيرِ عن اعتِقادٍ يتعلّقُ بِهذهِ الحَقائقِ (اللادينِيَّةِ).

نَظَرِيَّةُ المَوقِفِ المُعتَدِلَةُ. الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ تُمَثِّلُ حَقائقَ دِينِيَّةً وتُستَعمَلُ عُرفِيًّا لِلتّعبيرِ عن اعتِقادٍ يتعلّقُ بِهذهِ الحَقائقِ وتُعَبّرُ عُرفِيًّا عن حالاتٍ لامَعرِفِيَّةٍ.

وبِسببِ المُشكِلَةِ المَذكورَةِ آنِفًا المُقترَنَةِ بِالوِجهَةِ اللامَعرِفيَّةِ، سيَنصَرِفُ تَقويمي إلى نُسخَتَيْ نَظَريَّةِ المَوقِفِ التَّعبيريَّةِ والمُعتَدِلَةِ بِوَصفِهِما مُنافِسَتَيْنِ لِنَظَريَّةِ القِيمَةِ الظّاهِريَّةِ.

ولَم تُنصِفِ المُعالَجاتُ المُعاصِرَةُ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ نَظَرِيّاتِ المَوقِفِ على الدَّوام. فمِن التَّصَوُّراتِ المُخطِئةِ المُتَعَلِّقَةِ بِنَظَرِيّاتِ المَوقِفِ: أنَّ نَظَرِيّاتِ المَوقِفِ ظاهِرَةٌ حَديثَةٌ وأَنَّها بِخاصَّةٍ نَتيجَةٌ لِلنَّظَرِيّاتِ التَّحقيقِيَّةِ لِلمَعنَى التي طَوَّرَها مَناطِقَةُ الوَضعِيَّةِ في عِشرينِيّاتِ القَرنِ العِشرينَ وثَلاثينِيّاتِهِ؛ وأَنَّها تُؤَيِّدُها حُجَجٌ فَلسَفِيَّةٌ ولادينِيَّةٌ (بَل مُضادَّةٌ لِلدِّينِ) خالِصَةٌ؛ وأَنَّ دَوافِعَ نَظَرِيّاتِ المَوقِفِ غَريبَةٌ عَلى التَّقاليدِ الدِّينِيَّةِ وأَنَّها لا تَنبَثِقُ على نَحوٍ طَبيعِيٍّ مِن أَيَّةِ اعتِباراتٍ دينِيَّةٍ؛ وأَنَّ مُعارَضَةَ نَظَرِيَّةِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ تَتَّخِذُ شَكلَ الذَّهابِ إلى أَنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ لا تُمَثِّلُ حَقائِقَ (أَو أَنَّها تَفتَقِرُ إلى مَضمونٍ قَضَوِيٍّ) وأَنَّها لا تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ. [9]

وفي الآتي بَعضُ التَّعليقاتِ الأُنموذَجِيَّةِ. إذ يَقولُ ج.ل. ماكي J.L. Mackie*:

> إنَّ السَّبَبَ الرَّئيسَ الذي يَقِفُ وَراءَ تَصَوُّرِ أَنَّ اللُّغَةَ الدِّينِيَّةَ لا يُمكِنُ أَن تَكونَ ذاتَ مَعنًى حَرفِيٍّ هوَ أَنَّ بَعضَ الفَلاسِفَةِ - ولا سِيَّما مَناطِقَةُ الوَضعِيَّةِ - كانوا قَد تَبَنَّوا نَظَرِيَّةً تَحقيقِيَّةً قَوِيَّةً لِلمَعنَى. . . بيدَ أَنَّ نَظَرِيَّةَ المَعنَى هذِهِ هيَ نَفسها غَيرُ مَقبولَةٍ بِدَرَجَةٍ كَبيرَةٍ. (1982, p. 2)

* جون لِزلي ماكي (1917-1981م). فَيلَسوفٌ أُستراليٌّ. كانَتْ لَهُ إسهاماتٌ كَبيرَةٌ في فَلسَفَةِ الدِّينِ، والميتافيزيقا، وفَلسَفَةِ اللُّغَةِ. أكثَرُ ما عُرِفَ بِهِ آراؤُهُ في ما بَعدَ الأخلاقِ، ولا سِيَّما دِفاعُهُ عَن الشَّكِّيَّةِ الأخلاقِيَّةِ. أَلَّفَ سِتَّةَ كُتُبٍ، يَبدَأُ أَشهَرُها (الأخلاقُ: اختِراعُ الصَّوابِ والخَطَإ) بِعِبارَةٍ جَريئَةٍ هيَ: "لا وُجودَ لِقِيَمٍ مَوضوعِيَّةٍ"، ثُمَّ يَنُصُّ عَلى أَنَّ الأخلاقَ، بِسَبَبِ ذلكَ، يَجِبُ اختِراعُها لا اكتِشافُها. وهوَ مَعروفٌ بِدِفاعِهِ الشَّديدِ عَن الإلحادِ، وبِذَهابِهِ إلى أَنَّ مُشكِلَةَ الشَّرِّ تَجعَلُ الأديانَ التَّوحيدِيَّةَ الرَّئيسَةَ مِمّا يَتَعَذَّرُ الدِّفاعُ عَنهُ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ الأُخرى: (نَظَرِيَّةُ هيوم الأخلاقِيَّةُ)، و(مُعجِزَةُ التَّأليهِ: الحُجَجُ المُؤَيِّدَةُ والمُضادَّةُ لِوُجودِ الله). [المُتَرجِم]

ويَلحَظُ رِتشارد سونبيرن Richard Swinburne* أيضًا الدَّوافِعَ الحديثَةَ واللادينِيَّةَ لِمُعارَضَةِ نَظَرِيَّةِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ، فيَقولُ:

> عَمَدَ بَعضُ كُتّابِ القَرنِ العِشرينَ، مِن ر.ب. برَيْثوَيْت إلى فِتغِنشتاين Wittgenstein** ود.ز. فِلِبس D.Z. Phillips***، إلى إنكارِ كَونِ 'التَّقريراتِ' اللاهوتِيَّةِ تُنشِئُ أيَّةَ إفاداتٍ، أو دَعاوَى بِشَأنِ الكَيفِيَّةِ التي تكونُ عَلَيها الأشياءُ. فإذا ما عُدَّ هذا بَيانًا لِما استَعمَلَهُ فِعلِيًّا المُؤمِنونَ المُتَدَيِّنونَ مِن تَقريراتٍ كهذِهِ على مَدَى الأعوامِ الألفَيْنِ المُنصَرِمَةِ، فَمِن الواضِحِ أنَّهُ خَطَأٌ. فجُمَلُ العَقائدِ تُنشِئُ إفاداتٍ. (1993, p. 88)

ويُقَدِّمُ أولستن Alston (2005)****، ووين Wynn (1995)*****،

* رِتشارد سونبيرن (1934–...م). فَيلَسوفٌ إنجليزِيٌّ، وأُستاذُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ أوكسفورد. يُعَدُّ مِن أهَمِّ فَلاسِفَةِ الدِّينِ المُعاصِرينَ في إنجلترا في القَرنِ العِشرينَ. لَهُ إسهاماتٌ فَعّالَةٌ في مَجالِ فَلسَفَةِ الدِّينِ المسيحِيِّ ولا سِيَّما فَلسَفَةُ اللاهوتِ، ولَعَلَّ أهَمَّ إنجازاتِهِ الفَلسَفِيَّةِ الصِّياغَةُ المُحكَمَةُ لِلبَراهينِ التي قَدَّمَها عَلى وُجودِ اللهِ؛ إذ قَدَّمَ في مُؤَلَّفاتِهِ الأدِلَّةَ الكافِيَةَ عَلى وُجودِ اللهِ كوُجودِ الكَونِ ونِظامِهِ، وقَدَّمَ مِن ثَمَّ نَظَرِيَّةً كامِلَةً لِمَفهومِ الألوهِيَّةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (مَفهومُ المُعجِزَةِ)؛ و(وُجودُ الله)؛ و(الوَحيُ: مِن الاستِعارَةِ إلى القِياسِ التَّمثيلِيِّ). [المُترجِم]

** لودفيغ فِتغِنشتاين (1889–1951م). فَيلَسوفٌ نَمساوِيٌّ. يُعَدُّ مِن أكبَرِ فَلاسِفَةِ القَرنِ العِشرينَ. حَظِيَ بِالتَّقديرِ بِسببِ كِتابَيْهِ (رِسالةٌ منطقيّةٌ فلسفيَّةٌ)، و(بُحوثٌ فلسفيَّةٌ). اهتَمَّ في المقامِ الأوَّلِ بِأُسُسِ المنطِقِ، والفَلسَفَةِ، والرياضيّاتِ، وفَلسَفَةِ الذِّهنِ، وفَلسَفَةِ اللُّغَة. [المُترجِم]

*** ديوي زيفانيا فِلِبس (1934–2006م). فَيلَسوفٌ ويلزِيٌّ. كانَ مُناصِرًا أساسِيًّا لِفَلسَفَةِ الدِّينِ الفِتغِنشتايْنِيَّةِ. بَلَغَتْ مَسيرَتُهُ الأكاديمِيَّةُ نَحوَ خَمسَةِ عُقودٍ، وقَبلَ وَفاتِهِ كانَ أُستاذَ فَلسَفَةِ الدِّينِ في جامِعَةِ كليرمونت بكاليفورنيا، وأُستاذَ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ سوانزي. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الاعتِقادُ، والتَّغييرُ، وأشكالُ الحَياة)؛ و(الموتُ والخُلود)؛ و(الإيمانُ والبَحثُ الفَلسَفِيّ). [المُترجِم]

**** وِليَم بَيْن أولستن (1921–2009م). فَيلَسوفٌ أمريكِيٌّ. كانَتْ لَهُ إسهاماتٌ مُهِمَّةٌ في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ، ونظرِيَّةِ المَعرِفَةِ، والفَلسَفَةِ المَسيحِيَّةِ. مِن آثارِهِ: (تَصَوُّرٌ واقِعِيٌّ لِلصِّدق)؛ و(الطَّبيعَةُ الإلهِيَّةُ واللُّغَةُ البَشَرِيَّةُ: مَقالاتٌ في اللاهوتِ الفَلسَفِيّ)؛ و(فَلسَفَةُ اللُّغَة). [المُترجِم]

***** مارك وين. مُحاضِرٌ في مَدرَسَةِ الدِّينِ والفَلسَفَةِ في مُجَمَّعِ بريسبِن بِالجامِعَةِ الكاثوليكِيَّةِ الأُستراليَّةِ. دَرَسَ في جامِعَةِ أوكسفورد مِن عام 1982 إلى عام 1986 ومِن عام 1987 إلى عام 1991، ثُمَّ دَرَّسَ فَلسَفَةَ الدِّينِ في كُلِّيَّةِ كِنغز كولِج في لَندَن مِن عام 1991 إلى عام 1993. تَشمَلُ اهتِماماتُهُ فَلسَفَةَ الدِّينِ، واللاهوتَ الفَلسَفِيَّ، وفَلسَفَةَ الحَياةِ الرُّوحِيَّةِ، =

وآخَرونَ، تَقويماتٍ تَأريخِيَّةً مُشابِهَةً. ويَذهَبُ بيتَر فان إنواغِن Peter van Inwagen* إلى أنَّ مُخالَفَةَ نَظَرِيَّةِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ هيَ في حَقيقَتِها وِجهَةٌ إلحادِيَّةٌ تَتَزَيّا بِزِيِّ الوِجهَةِ الدِّينيَّةِ، فيقولُ:

مُنذُ زَمَنٍ لَيسَ بِالبَعيدِ جِدًّا، والزَّمَنُ يُقاسُ في تَأريخِ الفِكرِ، كانَ كُلُّ مَن يَقولُ بِخَطَإٍ أن يُعَدَّ س مِثلَ ف يَعني، وكانَ الجَميعُ يَرَونَ أنَّهُ يَعني، أنَّ س لَيسَ ف. . . ومُنذُ زَمَنٍ لَيسَ بِالبَعيدِ كانَ كُلُّ مَن يَقولُ إنَّهُ ما مِن شَيْءٍ لَهُ الصِّفاتُ الآتِيَةُ: 'الوُجودُ الذّاتِيُّ، والقَداسَةُ، وكُلِّيَّةُ القُدرَةِ، وكُلِّيَّةُ العِلمِ، والعِنايَةُ الإلهِيَّةُ، والمَحَبَّةُ، والوَحيُ الذّاتِيُّ'، يَفخَرُ بِوَصفِ نَفسِهِ بِأنَّهُ مُلحِدٌ. (2006, p. 156)

وقَد قَدَّمَ الفِكرَةَ نَفسَها بلانتِنغا Plantinga (2000)**. ويَزيدُ فان إنواغِن على ذلكَ قَولَهُ إنَّهُ قَبلَ عامِ 1900 كانَ مِن شَأنِ الفَلاسِفَةِ واللاهوتِيِّينَ اليَهودِ، والمَسيحِيِّينَ، والمُسلِمينَ، أن يُقِرّوا بِأنَّ بَعضَ هذهِ الصِّفاتِ في أَقَلِّ تَقديرٍ أو كُلَّها صِفاتٌ أَساسِيَّةٌ لِلّهِ.

وسنَرَى في الفُصولِ الثَّلاثَةِ اللاحِقَةِ أنَّ الافتِراضاتِ التَّأريخِيَّةَ في هذهِ الدَّعاوَى قَد أُسيءَ وَضعُها. فثَمَّةَ تَقليدٌ مُعارِضٌ لِنَظَرِيَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ يَمتَدُّ إلى قُرونٍ خَلَت. ثُمَّ إنَّهُ كانَ قَبلَ القَرنِ العِشرينَ مَوجودًا في داخِلِ التَّقاليدِ الدِّينيَّةِ وكانَ يُدافِعُ عنهُ لاهوتِيّونَ أساسِيّونَ. والافتِراضاتُ المُتَعَلِّقَةُ بِدَوافِعِ نَظَرِيّاتِ

= والفَلسَفَةَ واللاهوتَ الوَسيطِيَّيْنِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (تَجديدُ الحَواسِّ: دِراسَةُ فَلسَفَةِ الحَياةِ الرُّوحِيَّةِ ولاهوتِها)؛ و(الإيمانُ والمَكانُ: مَقالَةٌ في الإبستمولوجيا الدِّينِيَّةِ المُجَسَّدَةِ)؛ و(اللهُ والصَّلاحُ: مَنظورٌ لاهوتِيٌّ طَبيعِيٌّ). [المُترجِم]

* بيتَر فان إنواغِن (1942–...م). فَيلَسوفٌ تَحليلِيٌّ أمريكِيٌّ، وأستاذُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ نوتردام. يُعَدُّ مِن الشَّخصِيّاتِ الأساسِيَّةِ حالِيًّا في الميتافيزيقا، وفَلسَفَةِ الدِّينِ، وفَلسَفَةِ الحَرَكَةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (التَّفكيرُ في الإرادَةِ الحُرَّةِ)؛ و(مُشكِلَةُ الشَّرِّ)؛ و(الميتافيزيقا). [المُترجِم]

** ألفِن كارل بلانتِنغا (1932–...م). فَيلَسوفٌ تَحليلِيٌّ أمريكِيٌّ مَشهورٌ. مَجالاتُ اهتِمامِهِ هيَ المَنطِقُ، والتَّسويغُ، وفَلسَفَةُ الدِّينِ، ونَظَرِيَّةُ المَعرِفَةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (طَبيعَةُ الضَّرورَةِ)؛ و(اللهُ، والحُرِّيَّةُ، والشَّرُّ)؛ و(الإيمانُ والعَقلانِيَّةُ: العَقلُ والإيمانُ بِالله). [المُترجِم]

المَوقِفِ هِيَ أيضًا قَد أُسيءَ وَضعُها. إذ إنَّ بَعضَ نَظَرِيّاتِ المَوقِفِ قَد قُدِّمَتْ لأسبابٍ فَلسَفِيَّةٍ خالِصَةٍ. على أنَّ قَصدَ كُلٍّ مِن اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ [10] وجورج باركلي كانَ يَتَّجِهُ صَوبَ تَطويرِ مَواقِفَ تَنسَجِمُ مَعَ اللاهوتِ المَسيحِيِّ. إذ أرادَ باركلي مِن نَظَرِيَّتِهِ المَوقِفِيَّةِ أن تُقَدِّمَ *استِجابَةً* فَعّالَةً لِلنَّزعَةِ الشَّكِّيَّةِ scepticism بِشَأنِ وُضوحِ العَقيدَةِ الدِّينِيَّةِ، وأن تُفَسِّرَ كذلكَ ما لِلإيمانِ المَسيحِيِّ مِن طَبيعَةٍ تَحفيزِيَّةٍ تَغييرِيَّةٍ لِلحَياةِ. أمّا اللاهوتِيُّونَ الأبوفاتيكِيُّونَ فيَقتَرِحونَ شَكلًا لِنَظرِيَّةِ المَوقِفِ تَكونُ بِهِ طَريقَةً لِفَهمِ كَيفِيَّةِ إمكانِ التَّكَلُّمِ بِاللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ أن يَقودَ البَشَرِيَّةَ إلى عَلاقَةٍ وَثيقَةٍ بِاللهِ. صَحيحٌ أنَّ بريثويْت كانَ قَد أثَّرَ فيهِ أ.ج. أيَر، الذي لا شَكَّ في أنَّهُ لَم يَكُن مُتَعاطِفًا مَعَ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ. على أنَّ هَدَفَ بريثويْت الشَّخصِيَّ كانَ أن يَنتَقِيَ ما يَراهُ مُوَفَّقًا مِن حُجَجِ مَناطِقَةِ الوَضعِيَّةِ وأن يُبَيِّنَ كَيفِيَّةَ إمكانِ أن تُلَبِّيَ اللُّغَةُ الدِّينِيَّةُ مَعاييرَ المَعنَى التَّحقيقِيَّةَ الظّاهِرَةَ الصَّرامَةِ التي اقتَرَحوها وبِذلكَ لا تَكونُ ثَمَّةَ عَقَبَةٌ تَقِفُ في طَريقِ استِعمالِها. ومِمّا يَجدُرُ ذِكرُهُ أخيرًا أنَّهُ ما مِن أحَدٍ مِن المُنَظِّرينَ المَوقِفِيِّينَ الذينَ نَتَناوَلُهُم يَتَبَنّى نَظَرِيَّةً جَذرِيَّةً وغَيرَ مَعقولَةٍ كاللامَعرِفِيَّةِ.

فالمُعالَجاتُ الحَديثَةُ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ لَم تَكُن مُتَحَسِّسَةً لِمَدَى الخِياراتِ النَّظَرِيَّةِ المُتاحَةِ لِلمُنَظِّرينَ المَوقِفِيِّينَ ولا لِجُذورِهِ التّأريخِيَّةِ. ويُلحَظُ أنَّ أكثَرَ أشكالِ نَظرِيَّةِ المَوقِفِ واعِدِيَّةً، أي النُّسخَةَ المُعتَدِلَةَ، قَد أُغفِلَتْ. وسنَرَى في الفَصلَيْنِ 5 و6 أنَّ هُناكَ الكَثيرَ مِمّا يُمكِنُ قَولُهُ عن نَظَرِيَّةٍ تُفَعِّلُ دَورَ التَّعبيرِ العُرفِيِّ عن المَواقِفِ اللامَعرِفِيَّةِ في تَأويلِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ في الوَقتِ الذي تَبقَى فيهِ مُنسَجِمَةً مَعَ بَداءَةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ التي تُفيدُ أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً وتُعَبِّرُ عن اعتِقاداتٍ.

بَعضُ الأوَّلِيّات

قَبلَ الخَوضِ في المِهادِ التّأريخِيِّ لِنظرِيَّةِ المَوقِفِ، علَينا أن نَذكُرَ مَطلَبَيْنِ عامَّيْنِ يَنبَغي لأيَّةِ أُطروحَةٍ لِنَظرِيَّةِ مَوقِفٍ مُقنِعَةٍ أن تُلَبِّيَهُما، ما دُمنا سنَلتَفِتُ إليهِما مَرَّةً أُخرَى في التَّقويمِ اللاحِقِ لِمُختَلِفِ نَظَرِيّاتِ المَوقِفِ.

أمّا المَطلَبُ الأوَّلُ، فهوَ أنَّهُ يُحتاجُ إلى *أُطروحَةٍ إيجابيَّةٍ positive account* لِلمَواقِفِ اللامَعرِفيَّةِ التي يُعَبَّرُ عنها باستِعمالِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ. فالمَطلوبُ مِن المُنَظِّرينَ المَوقِفِيِّينَ أن يَضَعوا تَحليلًا، مُشابِهًا لِلتَّحليلِ الذي وُضِعَ لِلتَّعبيريَّةِ الهَزْلِيَّةِ، ومُحَدِّدًا لِلمَواقِفِ الدِّينِيَّةِ المُعَبَّرِ عنها. ويُلحَظُ أنَّ إيجادَ أُطروحَةٍ إيجابيَّةٍ يُمَثِّلُ لِمُنَظِّرِي المَوقِفِ الدِّينِيِّ تَحَدِّيًا أَصعَبَ مِن التَّحَدِّي الذي تُمَثِّلُهُ المُهِمَّةُ المُماثِلَةُ لِلتَّعبيرِيِّينَ الأخلاقِيِّينَ. إذ تُفيدُ النُّسخَةُ الأُنموذَجِيَّةُ لِلتَّعبيريَّةِ الأخلاقِيَّةِ أنَّ ما يُمَيِّزُ اللُغَةَ الأخلاقِيَّةَ هوَ عَزوُها 'الحُسنَ' أو 'السُّوءَ' أو ما لَهُ صِلَةٌ بِذلكَ مِن المَحمولاتِ التَّقويمِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ إلى الأفعالِ والأحداثِ. فَما دامَتِ الجُمَلُ الأخلاقِيَّةُ تَنطَوي بِذلكَ على تَقويمٍ إيجابِيٍّ أو سَلبِيٍّ كامِنٍ فيها، فإنَّ لِلتَّعبيرِيِّينَ أُطروحَةً إيجابِيَّةً مُعَدَّةً سَلَفًا بِشَأنِ [11] المَواقِفِ المُعَبَّرِ عنها: فالجُمَلُ الأخلاقِيَّةُ تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن القَبولِ أو عَدَمِ القَبولِ لِفِعلٍ أو حَدَثٍ يُعزَى إليهِ المَحمولُ الأخلاقِيُّ المَعنِيُّ (Blackburn, 1984). والتَّحليلُ المُناظِرُ مُباشِرٌ أيضًا. فالجُملَةُ (10) يُمكِنُ تَأويلُها بِالجُملَةِ (11):

10. الكَذِبُ خَطَأٌ.

11. ب! !B (الكَذِبُ)

إذ يُعَبِّرُ 'ب! !B' عن عَدَمِ قَبولٍ (أو بُو-هُو! !boo-hoo) لِلكَذِبِ. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، لا تَقسِمُ الأخبارُ الدِّينِيَّةُ قِسمَةً مُحكَمَةً على صِنفَيْنِ ما يُمكِنُ رَبطُهُ بِالتَّعبيرِ عن القَبولِ أو عَدَمِ القَبولِ. إذ إنَّ الكَثيرَ مِن الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ لا تَتَضَمَّنُ أيَّ مَحمولٍ مِعيارِيٍّ واضِحٍ؛ وبَعضُها لا يَبدو أنَّهُ يَستَعمِلُ مَحمولاتٍ دينِيَّةً البَتَّةَ، كقَولِنا:

12. اللهُ خَلَقَ العالَمَ.

لِذلكَ يَحتاجُ المُنَظِّرونَ المَوقِفِيُّونَ إلى إيجادِ أُطروحَةٍ إيجابِيَّةٍ مُمَيِّزَةٍ لِلمَواقِفِ اللامَعرِفيَّةِ المُعَبَّرِ عنها باستِعمالِ اللُغَةِ الدِّينِيَّةِ.

ومِن مَزايا نظريَّةِ القيمَةِ الظّاهرِيَّةِ قُدرَتُها على تَفسيرِ السِّماتِ التَّركيبِيَّةِ والدَّلاليَّةِ المُعَقَّدَةِ والمُنتَظمَةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ يُمكِنُ نَفيُها، وجَعلُها جُمَلًا شَرطِيَّةً، وتَأليفُها حُجَجًا مَنطِقِيَّةً، وما إلى ذلكَ. ويُمكِنُنا، مُستَهدِينَ نظريَّةَ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ، أن نُبَيِّنَ، على سبيلِ المِثالِ، سَبَبَ عَدَمِ إمكانِ أن تَكونَ الجُملَتانِ (12) ومَنفِيَّتُها كِلتاهُما صادِقَتَيْنِ: فهُما تُمَثِّلانِ حَقيقَتَيْنِ غَيرَ مُنسَجِمَتَيْنِ. ويُمكِنُنا كذلكَ أن نُبَيِّنَ السَّبَبَ الذي مِن أجلِهِ لا يَنبَغي لِلمَرءِ أن يُصَدِّقَ الجُملَتَيْنِ (12) ومَنفِيَّتَها مَعًا: فهُما اعتِقادانِ لَهُما مَضمونانِ غَيرُ مُنسَجِمَيْنِ ولا يُمكِنُ أن يَصدُقا مَعًا. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، لا تَظهَرُ الحالاتُ اللامَعرِفِيَّةُ بِمَظهَرِ عَدَمِ الانسِجام. مِثالُ ذلكَ أنّي قَد تَكونُ لَدَيَّ رَغبَتانِ مُتَضادَّتانِ - كالرَّغبَةِ في تَناوُلِ الكَثيرِ مِن الطَّعامِ والرَّغبَةِ في المُحافَظَةِ على رَشاقَتي - وفي الوَقتِ الذي قَد يَصعُبُ فيهِ إرضاءُ كِلتا الرَّغبَتَيْنِ، لا يُعَدُّ وُجودُهُما مَعًا حالَةَ عَدَمِ انسِجام. لكِن إن كانَتِ التَّعبيرِيَّةُ على حَقٍّ، فَلِمَ يَجِبُ على المَرءِ إذَن ألّا يَتَّفِقَ مَعَ الجُملَتَيْنِ (12) ومَنفِيَّتِها مَعًا؟ ذلكَ بِأنَّ فِعلَ ذلكَ لا يُؤَدّي إلى أيِّ خَلَلٍ مَنطِقِيٍّ. فلا بُدَّ أن يُبَيِّنَ المُنَظِّرونَ المَوقِفِيُّونَ (ولا سِيَّما التَّعبيرِيُّونَ) سَبَبَ ظُهورِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ بِمَظهَرٍ يَعرِضُ انتِظامًا مَنطِقِيًّا.

فالمَسألَتانِ المُتَقَدِّمَتانِ - أي الأُطروحَةُ الإيجابِيَّةُ ومَنطِقُ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ - تُمَثِّلانِ تَحَدِّيَيْنِ لا بُدَّ أن يَكونَ أيُّ شَكلٍ مُقنِعٍ لِنَظرِيَّةِ المَوقِفِ قادِرًا على الاستِجابَةِ لَهُما. [12]

2

الأَبوفاتيكِيَّة

في الفِكرِ المَسيحِيِّ تَقليدٌ كانَ لَهُ الحُضورُ الأبرَزُ في المَسيحِيَّةِ المُبَكِّرَةِ وظَلَّ كذلكَ حتّى العَصرِ الوَسيطِيِّ المُتَأَخِّرِ، وهوَ يُشَدِّدُ على تَعَذُّرِ مَعرِفَةِ اللهِ تَصَوُّرِيًّا ومَعرِفِيًّا. ويُدْعَى هذا التَّقليدُ أَحيانًا اللاهوتَ 'الصُّوفِيَّ mystical' أو 'الأبوفاتيكِيَّ'، بِإزاءِ المُقارَبَةِ 'الكاتافاتيكِيَّةِ cataphatic'* المُهَيمِنَةِ، وهوَ - أو في أَقَلِّ تَقديرٍ أَحَدُ تَفَرُّعاتِهِ المُؤَثِّرَةِ - يُقَدِّمُ أُطروحَةً بِشَأنِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ تَختَلِفُ عن نظرِيَّةِ القيمَةِ الظّاهرِيَّةِ. فاللاهوتُ الأبوفاتيكِيُّ، أو 'الأبوفاتيكِيَّةُ'، قَليلًا مّا يُلتَفَتُ إليهِ في فَلسَفَةِ الدِّينِ التَّحليلِيَّةِ وعادَةً مّا يَكونُ ذلكَ مِن طَريقِ 'اللاهوتِ السَّلبِيِّ negative theology' أو 'طَريقَةِ السَّلبِ via negativa'، وهوَ مَنهَجٌ استَخدَمَهُ بَعضُ اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ مِن أجلِ الوُصولِ إلى صِلَةٍ أوثَقَ بِاللهِ مِن خِلالِ رَفضِ مُحاوَلاتِ نِسبَةِ صِفاتٍ إلى اللهِ. وقَد لَقِيَ اللاهوتُ الأبوفاتيكِيُّ اهتِمامًا أكبَرَ بِكَثيرٍ لَدَى فَلاسِفَةِ الدِّينِ الأورُبِّيِّينَ، ولا سِيَّما جاك دريدا Jaques Derrida** وجان-

---

* اللاهوتُ الكاتافاتيكِيُّ أو التَّأكيدِيُّ أو الظّاهِرُ أو الإيجابِيُّ: هوَ اللاهوتُ الذي يَستَعمِلُ ألفاظًا إيجابِيَّةً لِوَصفِ اللهِ أو الإحالَةِ عَلَيهِ، عَلى النَّقيضِ مِن الألفاظِ السَّلبِيَّةِ التي يَستَعمِلُها اللاهوتُ الأبوفاتيكِيُّ apophatic لِلإحالَةِ عَلى ما يُعتَقَدُ أَنَّ اللهَ لَيسَ كذلكَ. [المُتَرجِم]

** جاك دريدا (1930-2004م). فَيلَسوفٌ فرنسِيٌّ وُلِدَ في الجَزائرِ. أكثَرُ ما عُرِفَ بِهِ تَطويرُهُ لِشَكلٍ مِن أشكالِ التَّحليلِ السّيميوطيقِيِّ سُمِّيَ بِـ (التَّفكيك)، وهوَ الذي أخضَعَهُ لِلنِّقاشِ في نُصوصٍ لَهُ كَثيرَةٍ. يُعَدُّ مِن أَهَمِّ الشَّخصيّاتِ التي ارتَبَطَ اسمُها بِما بَعدَ البِنيَوِيَّةِ وفَلسَفَةِ ما =

لُوك ماريون Jean-Luc Marion*. على أنَّهم، لأسبابٍ سَنَذكُرُها قريبًا، يَنتَهُونَ إلى تأويلٍ أبوفاتيكيٍّ لِلخِطابِ الدِّينيِّ لا لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. لِذلكَ، سيَكونُ ثَمَّةَ إنعامُ نَظَرٍ أكبَرُ في قِراءَتِهِم لِلّاهوتِ الأبوفاتيكيِّ في القِسمِ الثّاني مِن كِتابِنا هذا.

وعادَةً ما يَلجَأُ البَحثُ التّأريخِيُّ واللاهوتِيُّ الحَديثُ في اللاهوتِ الأبوفاتيكيِّ إلى أن يَجمَعَ اللاهوتِيِّينَ الذينَ يَرَونَ أنَّ التَّعالِيَ الإلهِيَّ يَتَضَمَّنُ تَقييدًا مَعرِفِيًّا لِلبَشَرِ، بِما يَجعَلُ طَبيعَةَ اللهِ غَيرَ قابِلَةٍ مِن حَيثُ المَبدَأُ لأن تُعلَمَ، في زُمرَةٍ واحِدَةٍ معَ اللاهوتِيِّينَ الذينَ يَعُدُّونَ طَبيعَةَ اللهِ غَيرَ قابِلَةٍ لأن تُتَصَوَّرَ (Turner, 1995). ولِلأغراضِ الفَلسَفِيَّةِ، ولا سِيَّما اهتِمامُنا الحالِيُّ المُوَجَّهُ إلى اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، مِنَ المُهِمِّ التَّفريقُ بينَ هاتَيْنِ الأُطروحَتَيْنِ لِلتَّعالي. فلِفِكرَةِ تَعالي اللهِ مَعرِفِيًّا نَسَبٌ عَريقٌ، يَتَّصِلُ بِأوغُسطين Augustine** الذي يُعَدُّ مِن مُناصِريها الأساسِيِّينَ، لكِنَّها تُوافِقُ نَظريَّةَ القيمَةِ الظّاهرِيَّةِ في أنَّ اللُّغَةَ (والخِطابَ) الدِّينِيَّيْنِ يُمكِنُ أن يُمَثِّلا حَقائقَ مُتَعلِّقَةً بِاللهِ. فإذا كانَ اللهُ مُتَعالِيًا مَعرِفِيًّا فلَن نَكونَ قادِرِينَ على مَعرِفَةِ مَدَى صِدقِ أيَّةِ جُملَةٍ تَتَعلَّقُ بِطَبيعَةِ اللهِ، بيدَ أنَّ ذلكَ لا يُفقِدُنا قُدرَتَنا على التَّعبيرِ عن حَقائقَ مُتَعلِّقَةٍ بِاللهِ وعلى تَصديقِ هذهِ الحَقائقِ. [13] وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ يَقِفُ مَذهَبُ التَّعالي التَّصَوُّرِيِّ، الذي يُعَدُّ دينِس (1987) مُناصِرَهُ الرَّئيسَ والأكثَرَ تأثيرًا، والذي يَضَعُ مُشكِلَةً عاجِلَةً أمامَ نظريَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ. فإذا لَم يَكُنْ في إمكانِنا أن نَتَصَوَّرَ طَبيعَةَ اللهِ، فالذي يَبدو أن لَن يَكونَ في إمكانِنا أن

= بَعدَ الحَداثَةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الكَلامُ والظَّواهِرُ ومَقالاتٌ أُخرَى في نَظريَّةِ هوسّيرل في العَلامات)؛ و(الكِتابَةُ والاختِلاف)؛ و(أفعالُ الأدَب). [المُترجِم]

* جان-لُوك ماريون (1946-...م). فَيلَسوفٌ، ولاهوتِيٌّ كاثوليكِيٌّ رومانِيٌّ فرنسِيٌّ. تِلميذٌ سابِقٌ لِجاك دريدا، ومَعروفٌ بِكِتاباتِهِ في اللاهوتِ الآبائِيِّ والصُّوفِيِّ، وعِلمِ الظّاهِراتِ، والفَلسَفَةِ الحَديثَةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (إلهٌ بِلا وُجود)؛ و(الأسئلَةُ الدّيكارتِيَّةُ: المَنهَجُ والميتافيزيقا)؛ و(ظاهِرَةُ الحُبِّ: سِتَّةُ تأمُّلات). [المُترجِم]

** القِدّيسُ أوغُسطين (354-431م). أُسقُفُ مَدينَةِ هيبو في شَمالِ إفريقيا. لاهوتِيٌّ مَسيحِيٌّ، وفَيلَسوفٌ، وصوفِيٌّ، اعتَنَقَ آراءً قَريبَةً مِن الأفلاطونيَّةِ المُحدَثَةِ. شَكَّلَتْ آراؤُهُ مَصدَرًا مِن مَصادِرِ النَّزعَةِ المَدرَسِيَّةِ (السكولائيَّة). طَوَّرَ في كِتابِهِ (مَدينَةُ الله) المفهومَ المسيحيَّ =

نَصوغَ أيَّةَ جُملَةٍ ولا أن يَكونَ لَنا أيُّ اعتِقادٍ يُمَثِّلُ بِدِقَّةٍ طَبيعَةَ اللهِ. إذ إنَّ أيَّةَ جُملَةٍ تُمَثِّلُ اللهَ بِطَريقَةٍ أو بِأُخرَى إنَّما تَنسِبُ إليهِ صِفَةً مّا؛ وإنَّ الشَّخصَ حينَ يُوصِلُ ما تُخبِرُ بِهِ الجُملَةُ أو يَفهَمُهُ إنَّما يَتَصَوَّرُ بذلكَ اللهَ بِوَصفِهِ حائزًا لِهذهِ الصِّفَةِ. فالذي يَستَتبِعُهُ التَّعالي التَّصَوُّرِيُّ لِلّهِ أن لا جُملَةَ تتعلَّقُ بِاللهِ يُمكِنُ أن تُخبِرَ بِشَيْءٍ صادِقٍ عَن طَبيعَةِ اللهِ. فإذا كانَ مَصيرُ اللُّغَةِ التي مِن الواضِحِ أنَّها تتحدَّثُ عن اللهِ الإخفاقَ في أن تَصِفَ بِدِقَّةٍ مَوضوعَها، فستَكونُ بِها حاجَةٌ إلى غَرَضٍ آخَرَ غَيرِ تَمثيلِ اللهِ لِكَي تَكونَ ثَمَّةَ قيمَةٌ لاستِعمالِها. وهذا يُثيرُ مُشكِلَةَ التَّساؤُلِ عن سَبَبِ استِعمالِنا اللُّغَةَ الدِّينِيَّةَ أصلًا إذا كانَتْ لا تُنتِجُ سِوَى الأكاذيبِ. وأنا أُسَمِّي هذهِ المُشكِلَةَ *المُشكِلَةَ الإقصائيَّةَ* *elimination problem*.

ويُنظَرُ أحيانًا إلى الصِّيغَةِ المَعرِفِيَّةِ لِلّاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ على أنَّ لَها آثارًا جَذرِيَّةً كذلكَ في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ شَأنُها شَأنُ المذهَبِ الأبوفاتيكِيِّ التَّصَوُّرِيِّ. مِثالُ ذلكَ ما كَتَبَهُ دينِس تيرنَر Denys Turner* في تَحليلِهِ اللاهوتِيِّ المُبدِعِ لِلّاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ (الذي يَرَى أنَّهُ يَشتَمِلُ على تَحليلَيْ أوغُسطين ودينِس)، إذ يَقولُ:

> يَلزَمُ مِن لامَعلُومِيَّةِ اللهِ أنَّهُ ليسَ ثَمَّةَ إلّا القَليلُ مِمّا يُمكِنُ أن *يُقالَ* عن اللهِ: أو بِالأحرَى أنَّهُ ما دامَتْ مُعظَمُ الأديانِ التَّأليهِيَّةِ لَها عَدَدٌ كَبيرٌ مِن الأشياءِ التي تَقولُها عن اللهِ، فَإنَّهُ يَلزَمُ مِن لامَعلُومِيَّةِ اللهِ أنَّهُ لَيسَ بِالإمكانِ أن

= لِتاريخِ العالَمِ الذي كانَ يَفهَمُهُ بِوَصفِهِ مُقَدَّرًا سَلَفًا مِن اللهِ. وقَد وَضَعَ (مَدينَة الله) الخاصَّةَ بِهِ بِوَصفِها القاعِدَةَ المُطلَقَةَ لِلكَنيسَةِ بِإزاءِ مَدينَةِ الأرضِ أي الدَّولَةِ الدُّنيَوِيَّةِ (الخاطِئَة). مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الثّالوث)؛ و(اعتِرافاتُ القِدّيسِ أغوسطينوس)؛ و(الإيمانُ بِأُمورٍ لا تُرَى). [المُتَرجِم]

* دينِس ألِن تيرنَر (1942–...م). أكاديمِيٌّ بريطانِيٌّ في حَقلَي الفَلسَفَةِ واللاهوتِ. أستاذُ اللاهوتِ التّاريخِيِّ في جامِعَةِ يَيْل التي عُيِّنَ فيها مُنذُ عامِ 2005، وأستاذُ الإلهِيّاتِ السّابِقُ في جامِعَةِ كيمبرِج. نالَ شَهادَةَ الدُّكتوراه في الفَلسَفَةِ مِن جامِعَةِ أوكسفورد. كَتَبَ كَثيرًا في النَّظَرِيَّةِ السِّياسِيَّةِ والنَّظَرِيَّةِ الاجتِماعِيَّةِ مِن حَيثُ تَعَلُّقُهُما بِاللاهوتِ المَسيحِيِّ، وكذلكَ في الفِكرِ الوَسيطِيِّ، واللاهوتِ الصُّوفِيِّ، والتَّصَوُّفِ المَسيحِيِّ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (في فَلسَفَةِ كارل ماركس)؛ و(الماركِسِيَّةُ والمَسيحِيَّة)؛ و(غُموضُ اللهِ: السَّلبِيَّةُ في التَّصَوُّفِ المَسيحِيّ). [المُتَرجِم]

> يَكونَ لَنا سِوَى فِكرَةٍ ضَئيلَةٍ جِدًّا عمّا تَعنيهِ جَميعُ هذهِ الأشياءِ المَقُولَةِ عن اللهِ. وهذا، بِدِقَّةٍ، هوَ ما يُقَرِّرُهُ 'المَذهَبُ الأبوفاتيكِيُّ'، على ما يُمكِنُ أن يُتَوَصَّلَ إليهِ بِتَأَمُّلِ أصلِهِ اللُّغَوِيِّ اليونانِيِّ: إذ إنَّ *apophasis* كلِمَةٌ يونانِيَّةٌ مُوَلَّدَةٌ لِلتَّعبيرِ عن تَعَطُّلِ الكَلامِ، وهيَ، في مُواجَهَةِ لامَعلُومِيَّةِ اللهِ، تَقصُرُ تَمامًا عن بُلوغِ الغايَةِ. (1995, p. 20).

لكِن لِمَ يَلزَمُ مِن لامَعلُومِيَّةِ اللهِ أنَّ لَنا 'فِكرَةً ضَئيلَةً' عن مَعنَى ما نَقولُهُ عن اللهِ؟ فَهذِهِ الحُجَّةُ تَعتَمِدُ على افتِراضٍ غَيرِ مُصَرَّحٍ بِهِ مُفادُهُ أنَّ ما يُمكِنُنا أن نَقولَهُ على نَحوٍ ذي مَعنًى عن شَيْءٍ مّا مُقَيَّدٌ بِما يُمكِنُ أن نَعرِفَهُ عنهُ. وسَنَنظُرُ في مَوضِعٍ لاحِقٍ مِن القِسمِ الأوَّلِ مِن هذا الكِتابِ في مُحاوَلَةٍ مُؤَثِّرَةٍ لكِنَّها تَكادُ تَكونُ مَرفوضَةً كُلِّيًّا لِتَلفيقِ صِلَةٍ بينَ حِيازَةِ المَعنَى والمَعرِفَةِ قَدَّمَها مَناطِقَةُ الوَضعِيَّةِ. وإذا ما جُرِّدَتْ حُجَّةُ تيرنَر مِن هذا الافتِراضِ بَدَتْ غَيرَ صَحيحَةٍ. إذ ما مِن صُعوبَةٍ في التَّحَدُّثِ على نَحوٍ ذي مَعنًى عن إلهٍ غَيرِ قابِلٍ لأن يُعلَمَ تَفوقُ صُعوبَةَ التَّحَدُّثِ عن تَخميناتٍ رِياضِيَّةٍ غَيرِ قابِلَةٍ لأن تُثبَتَ أو عن أحداثٍ جَرَتْ في ماضٍ بَعيدٍ غَيرِ قابِلٍ لأن يُعلَمَ، [14] كالشَّكلِ الغَيمِيِّ الدَّقيقِ فَوقَ المُحيطِ الأطلَسِيِّ قَبلَ ألفِ عامٍ بِالتَّحديدِ. فمِنَ الآنَ فَصاعِدًا، لَن يُحيلَ مُصطَلَحُ اللاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ عندي إلّا على النَّظرِيَّةِ التي مُفادُها أنّا لا نَستَطيعُ تَصَوُّرَ طبيعَةِ اللهِ. وهذا الوَصفُ مُلائمٌ لِلّاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ المُنتَقَيْنَ الثَّلاثَةِ: دينِس، وإيفاغريوس، ومُؤَلِّفِ كِتابِ *غَمامَة الجَهل* *The Cloud of Unknowing* (غ ج CU).

وثَمَّةَ أفكارٌ ثَلاثٌ تَتَمَخَّضُ عنها كِتاباتُ هؤُلاءِ اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ الثَّلاثَةِ تَبدو بِخاصَّةٍ ذَواتِ صِلَةٍ بِتَطويرِ أُطروحَةٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. وأُولَى هذهِ الأفكارِ أنَّهُم يَعُدُّونَ أكثَرَ أهدافِ انشِغالِ البَشَرِ بِالدِّينِ أهَمِّيَّةً تَأمينَ صِلَةٍ بِاللهِ. إذ يَرَى مُؤَلِّفُ *غَمامَة الجَهل* أنَّ بِإمكانِنا بِمَعُونَةِ النِّعمَةِ الإلهِيَّةِ أن نُنجِزَ 'ما لا يُمكِنُنا إنجازُهُ بِالطَّبيعَةِ، أي أن نَكونَ مُتَّحِدينَ معَ اللهِ في الرُّوحِ، والمَحَبَّةِ، وتَوافُقِ الإرادَةِ' (2001, p. 67). ويَصِفُ إيفاغريوس ذلكَ بِأنَّهُ 'عُروجٌ إلى اللهِ' (2006, p. 190)، وكذلكَ دينِس: فَهَدَفُ الانشِغالِ الدِّينِيِّ هوَ المُجاهَدَةُ 'لِلارتِقاءِ بِقَدْرِ

الإمكانِ نَحوَ الاتِّحادِ بِالذي لا يُدانيهِ وُجودٌ ولا يَبلُغَهُ عِلمٌ ' (1987, p. 135). ويَكتُبُ دينِس مُعَلِّقًا على مُوسَى، الذي يَرَى دينِس أَنَّهُ قَد أَنجَزَ هذا الهَدَفَ، فيَقولُ:

> لكِنَّ مُوسَى يتَحَرَّرُ مِنهُم بَعدَ ذلكَ، بَعيدًا عَمّا يَرَى ويُرَى، ويَغيبُ في ظُلمَةِ الجَهلِ الغامِضَةِ حَقًّا. فهُنا، حَيثُ يَتَخَلّى عَن كُلِّ ما يُمكِنُ أن يتَصَوَّرَهُ العَقلُ، غائبًا تَمامًا في اللامُدرَكِ واللامَرئيِّ، يَنتَمي كُلِّيًا إِلَى مَن لا يُدرِكُهُ شَيْءٌ. والمَرءُ هُنا، حَيثُ لا يَكونُ هُوَ نَفسَهُ ولا شَخصًا آخَرَ، يُوَحِّدُهُ على نَحوٍ أَسمَى تَعَطُّلٌ جاهِلٌ تَمامًا لِكُلِّ مَعرِفَةٍ، ويَعلَمُ مِن وَراءِ العَقلِ بِعَدَمِ عِلمِهِ شَيئًا. (1987, p. 135)

أمّا الفِكرَةُ الثّانِيَةُ فهِيَ، على ما يُشيرُ إليهِ هذا النَّصُّ المُقتَبَسُ السّابِقُ، أَنَّ الصِّلَةَ بِاللهِ التي نُجاهِدُ لِلوُصولِ إليها لا يُنظَرُ إليها على أَنَّها تتضَمَّنُ حِيازَةَ اعتِقاداتٍ صادِقَةٍ بِشَأنِ طَبيعَةِ اللهِ أو، على نَحوٍ أَعَمَّ، أيِّ تَصَوُّرٍ لِحَقيقَةِ اللهِ. فالحَقُّ أَنَّ تَحقيقَ صِلَةٍ أَوثَقَ بِاللهِ يَقتَضي أن يَستَغنِيَ المَرءُ عن الأفكارِ والاعتِقاداتِ المُتَعَلِّقَةِ بِاللهِ. ويَرَى مُؤَلِّفُ *غمامَة الجَهل* أَنَّ هذهِ الصِّلَةَ غَيرُ مَعرِفِيَّةٍ البَتَّةَ، إذ يَقولُ:

> إنَّ جَميعَ المَوجوداتِ العاقِلَةِ، مَلائكَةً كانَتْ أو بَشَرًا، يَنطَوي كُلٌّ مِنها على انفِرادٍ على مَلَكَتَيْنِ فَعّالَتَيْنِ رَئيسَتَيْنِ، إحداهُما مَلَكَةُ المَعرِفَةِ، والأُخرَى مَلَكَةُ المَحَبَّةِ؛ وإنَّ اللهَ خالِقَهُما بَعيدٌ أَبَدًا عن نِطاقِ أُولاهُما، مَلَكَةِ العَقلِ؛ لكِن مِن طَريقِ ثانِيَتِهِما، مَلَكَةِ المَحَبَّةِ، بِإمكانِ كُلِّ مَوجودٍ مُنفَرِدٍ إدراكُهُ تَمامًا. (2001, p. 23) [15]

ويُواصِلُ كَلامَهُ بَعدَ ذلكَ لِيَقولَ: 'ما مِن امرِئٍ يُمكِنُهُ التَّفكيرُ في اللهِ... إنَّهُ يُمكِنُ أن يُحَبَّ جَيِّدًا، لكِن لا يُمكِنُ أن يُفَكَّرَ فيهِ ' (2001, pp. 27-28). ويُنجَزُ هذا بِالتَّأَمُّلِ المُنتَظَمِ للّهِ الذي يَتَطَلَّبُ مِن المَرءِ أن يَطّرِحَ مُحاوَلاتِ تَصَوُّرِ اللهِ. والتَّعليقاتُ الآتِيَةُ تُوضِحُ ذلكَ:

> إنَّ العَقلَ العَبقَرِيَّ المَغرورَ يَجِبُ أن يُقهَرَ على الدَّوامِ وأن يُوطَأَ بِالأقدامِ بِشِدَّةٍ إذا ما أُريدَ لِلجُهدِ التَّأمُّلِيِّ أن يُباشَرَ بِصِدقٍ في صَفاءٍ رُوحِيٍّ. (2001, p. 25)
>
> إنَّ الفَهمَ، الذي لا يَفتَأُ يُراوِدُكَ حينَ تُسلِمُ نَفسَكَ لِلجُهدِ التَّأمُّلِيِّ الأعمَى، يَجِبُ أن يُكبَحَ على الدَّوامِ. (2001, p. 32)
>
> تَحَرَّ ألّا يَشغَلَ عَقلَكَ أو إرادَتَكَ شَيْءٌ سِوَى اللهِ وَحدَهُ، وحاوِلْ أن تُلقِيَ عَنكَ كُلَّ مَعرِفَةٍ وشُعورٍ بِأيِّ شَيْءٍ دُونَ اللهِ، واسحَقْهُ تحتَ غَيمَةِ النِّسيانِ. (2001, p. 66)

ويَرَى إيفاغريوس أيضًا أنَّ الاتِّحادَ بِاللهِ يَقتَضي 'اطِّراحَ التَّمثيلاتِ' (2001, p. 193).

وأمّا الفِكرَةُ الثّالِثَةُ فهِيَ أنَّ الكُتّابَ الثَّلاثَةَ يُمَيِّزونَ ما يُقالُ في العُروجِ إلى اللهِ بِوَصفِهِ شَكلًا مِن أشكالِ 'التَّسبيحِ' أو 'الصَّلاةِ'. إذ يَرَى إيفاغريوس 'أنَّكَ إذا كُنتَ لاهوتِيًّا صَلَّيْتَ بِصِدقٍ، وإذا صَلَّيْتَ بِصِدقٍ كُنْتَ لاهوتِيًّا' (2006, p. 192). ويَتَحَدَّثُ مُؤَلِّفُ *غمامَة الجَهل* أيضًا عن 'التَّسبيحِ' (2001, p. 27) وعن الصَّلاةِ اللَّذَيْنِ يُمكِنُ أن يَتَّخِذا شَكلَ كلمَةٍ مُفرَدَةٍ – شَبيهَةٍ بِكَلِماتِ التَّعَجُّبِ نَحوِ 'النّارَ!' أو'خارِجًا!' – تُعَبِّرُ عن مَحَبَّةِ اللهِ. على أنَّ الجُزءَ الأبعَدَ شُهرَةً لِلّاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ يتعلَّقُ بِتَوصِياتِ دينِس بِشَأنِ كَيفِيَّةِ تَوجيهِ تَسبيحِنا لِلّهِ لِيُحَقِّقَ اتِّحادًا بِاللهِ. ويُمَثِّلُ هذا استراتيجيا اللاهوتِ السَّلبِيِّ التي يَقتَرِحُها بِوَصفِها نِظامًا ذِهنِيًّا يَعوقُ مُحاوَلاتِ المُؤمِنِينَ أن يَفهَموا اللهَ. ولا يُوصي هذا المَنهَجُ، على الرَّغمِ مِن اسمِهِ، بِالنَّفيِ المُجَرَّدِ لِلجُمَلِ المُتَعَلِّقَةِ بِاللهِ. فلَن نَجنِيَ إلّا فائدَةً ضَئيلَةً مِن استراتيجيا كهذهِ لأنَّ قَولَنا، على سبيلِ المِثالِ: 'اللهُ ليسَ كُلِّيَّ القُدرَةِ' لا يَقِلُّ تَمثيلًا لِلّهِ عن قَولِنا: 'اللهُ كُلِّيُّ القُدرَةِ'، وإن كانَ أقَلَّ مِنهُ إخبارًا بِكَثيرٍ. بَل إنَّ اللاهوتَ السَّلبِيَّ سَيرورَةٌ مُتَواصِلَةٌ تتضَمَّنُ أخذَ جُمَلٍ تَنسِبُ صِفاتٍ إلى اللهِ وجُمَلٍ تَنسِبُ صِفاتٍ مُنافِيَةً إلى اللهِ ونَفيَها جَميعًا وجَمْعَ هذهِ المَنفِيّاتِ. مِثالُ ذلكَ أن يُقالَ: 'إنَّهُ ليسَ عَدَدًا أو نِظامًا، ولا كِبَرًا أو صِغَرًا، ولا تَساوِيًا أو تَفاوُتًا، ولا تَشابُهًا أو اختِلافًا. إنَّهُ ليسَ ثابِتًا، أو مُتَحَرِّكًا، أو ساكِنًا... إنَّهُ لا يَقَعُ في حَيِّزِ

الإخبارِ عن العَدَمِ ولا في حَيِّزِ الإخبارِ عن الوُجودِ ' (1987, p. 141). فليسَ هَدَفُ هذا المَنهَجِ إيجادَ دَعوَى سَلبِيَّةٍ [16] بِشَأنِ اللهِ يُمكِنُ أن يُقَرَّ بِها، بَل هَدَفُهُ أن يَضَعَ حَدًّا لِتَصَوُّرِ اللهِ.

> فحُجَّتي تَنشأُ الآنَ مِمّا هوَ في الأسفَلِ صُعودًا إلى المُتَعالي، وكُلَّما ارتَقَت ازدادَتِ اللُغَةُ عِيًّا، وحينَ تَكونُ قَد اجتازَتْ إلى الأعلَى وإلى ما وَراءَ العُروجِ، ستَحُولُ صَمتًا مُطبِقًا، فَأخيرًا ستَكونُ مُتَّحِدَةً بِمَن يُعجِزُ الوَصفَ '. (1987, p. 139)

ولا شَكَّ في أنَّ هذهِ التَّعليقاتِ لا تُقَدِّمُ لَنا أُطروحَةً صَريحَةً لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، بَلْهَ أن تُقَدِّمَ أُطروحَةً قَد أُشبِعَتْ بَحثًا وتَفصيلًا. على أنَّها تُقَدِّمُ لَنا بَعضَ المَوادِّ اللازِمَةِ لِتَطويرِ أُطروحَةٍ كهذهِ، وقَد رَأَينا أنَّ ثَمَّةَ حاجَةً إلى رَدٍّ مّا عَلى الحُجَّةِ الإقصائيَّةِ مِن أجلِ القُدرَةِ على الإقناعِ بِاللاهوتِ الأبوفاتيكِيّ. فمِن الواضِحِ أنَّ اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ يَعُدُّونَ اللُغَةَ المُتَعلِّقَةَ بِاللهِ مُمَثِّلَةً لِلّهِ، لأنَّهُم يُصَرِّحونَ بِالتَّوصِيَةِ بِالطَّرائقِ التي نُحَرِّرُ بِها أنفُسَنا مِن هذهِ التَّمثيلاتِ بِأشكالٍ مُختلِفَةٍ لِلنِّظامِ الذِّهنِيِّ، ولا سِيَّما المَنهَجُ السَّلبِيُّ. فهُم إذَن لَيسُوا تَعبيرِيِّينَ أو لامَعرِفِيِّينَ، على ما قَد عَرَّفْنا بِهِ هاتَيْنِ الوَجهَتَيْنِ في الفَصلِ 1. فَلو كانَتِ اللامَعرِفِيَّةُ أو التَّعبيرِيَّةُ صَحيحَةً ما كانَتْ ثَمَّةَ حاجَةٌ إلى تَوصِياتٍ كهذهِ، لأنَّ لُغَتَنا لَن تَكونَ عِندَئذٍ واصِفَةً لِلّهِ أصلًا (على الرَّغمِ مِن المَظاهِرِ). وقَد رَأَيْنا أيضًا أنَّ اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ غالِبًا مّا يُحيلونَ على اللهِ ومِن الواضِحِ أنَّهُم لا يَعتَقِدونَ وُجوبَ إقصاءِ الحَديثِ عن اللهِ؛ بَل إنَّهُم، بِعَكسِ ذلكَ، يَعتَقِدونَ أنَّ التَّفكيرَ في اللهِ والحَديثَ عنهُ يُمَكِّنانِ المَرءَ مِن الحُصولِ على اتِّحادٍ بِاللهِ حَتّى لَو أنَّ الشَّخصَ الذي قَد حازَ هذهِ الحالَةَ مِن الاتِّحادِ كانَ *خِلْوًا* مِن أيَّةِ اعتِقاداتٍ بِشَأنِ طَبيعَةِ اللهِ. فاللاهوتِيُّونَ الأبوفاتيكِيُّونَ يَحتاجونَ إذَن إلى أُطروحَةٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ تَجمَعُ الأفكارَ الآتِيَةَ مَعًا: (أ) أنَّ اللُغَةَ الدِّينِيَّةَ تَمثيلِيَّةٌ؛ و(ب) أنَّ اللهَ مُتَعالٍ عَن التَّصَوُّرِ؛ و(ج) أنَّ اللُغَةَ الدِّينِيَّةَ مُفيدَةٌ. ولا شَكَّ في أنَّ هذا يُعيدُنا إلى الحُجَّةِ

الإقصائيَّةِ. وتَتَضَمَّنُ نَظَريَّةُ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ جَعْلَ الفِكرَتَيْنِ (أ) و(ب) في حالَةِ تَوَتُّرٍ معَ الفِكرَةِ (ج)، لأنَّ الفِكرَتَيْنِ (أ) و(ب) تَستَلزِمانِ أن تكونَ تَمثيلاتُ اللهِ كاذِبَةً، مُقَدِّمَتَيْنِ بِذلكَ أوَّلَ وَهلَةٍ سَبَبًا لِلاستِغناءِ عن اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ المُتَعلِّقَةِ بِاللهِ. إذ ما الدّاعي آنَذاكَ إلى الحَديثِ عن اللهِ والتَّفكيرِ فيهِ إن كانَ ما نَقولُهُ وما نُفَكِّرُ فيهِ لا يُمكِنُ أن يُمَثِّلَ اللهَ حَقًّا؟

وأعتَقِدُ أنَّ ثَمَّةَ رَدَّيْنِ رَئيسَيْنِ عَلى الحُجَّةِ الإقصائيَّةِ. أحَدُهُما، وهوَ الذي سَأُسَمِّيهِ *الخِيارَ اللُّغَويَّ*، الدِّفاعُ عن شَكلٍ مِن أشكالِ نَظريَّةِ المَوقِفِ. وما دامَ اللاهوتِيُّونَ الأبوفاتيكِيُّونَ يَستَبعِدونَ التَّعبيرِيَّةَ واللامَعرِفِيَّةَ، فدَعُونا نَنظُرْ في نَظرِيَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ. فهذهِ النَّظرِيَّةُ تَقتَصِرُ على الجُمَلِ المُتَعلِّقَةِ بِطَبيعَةِ اللهِ وتُؤَوِّلُها [17] على أنَّ لَها مَضمونًا وَصفِيًّا ولامَعرِفِيًّا في الوَقتِ نَفسِهِ استِنادًا إلى المُخَطَّطِ الآتي:

1. اللهُ هوَ س.

1أ. اللهُ هوَ س.

1ب. آ! A! (الله).

حَيثُ تُقَدِّمُ الحالَةُ (1) جُملَةً تتعلَّقُ بِاللهِ ولَها المَضمونُ التَّمثيلِيُّ (1أ) لكِنَّها مُرتَبِطَةٌ عُرفِيًّا بِالتَّعبيرِ عن مَوقِفٍ لامَعرِفِيٍّ هوَ (1ب) مُوَجَّهٍ إلى اللهِ. وإذا كانَتِ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ مُرتَبِطَةً عُرفِيًّا بِالتَّعبيرِ عن كُلٍّ مِن الاعتِقاداتِ والمَواقِفِ اللامَعرِفِيَّةِ فإنَّ عَجزَنا عن تَصَوُّرِ اللهِ لَن يُقَلِّلَ عندَئذٍ مِن قِيمَةِ استِعمالِ هذهِ الجُمَلِ بِشَرطِ أن يَكونَ مُكَوِّنُ المَوقِفِ اللامَعرِفِيِّ (1ب) ذا ميزَةٍ كافِيَةٍ لِيَرجَحَ عَلى كَذِبِ المَضمونِ التَّمثيلِيِّ (1أ). وما دامَ اللاهوتِيُّونَ الأبوفاتيكِيُّونَ يَعُدُّونَ الهَدَفَ المَركَزِيَّ لِلدِّينِ هوَ تَحقيقَ صِلَةٍ لامَعرِفِيَّةٍ بِاللهِ، فلا شَكَّ في أنَّ هذا أمرٌ سَيُقِرُّونَ بِهِ. ويَفتَحُ هذا البابَ مُشرَعًا أمامَ السُّؤالِ عن حَقيقَةِ المَواقِفِ التي يُحيلُ عليها قَولُ القائِلِ: 'آ! A!'. على أنَّ مِن الإجاباتِ التي يُقَدِّمُها اللاهوتِيُّونَ الأبوفاتيكِيُّونَ أنَّ ما يُقالُ عن اللهِ

يَتَّخِذُ شَكلَ التَّسبيحِ. لِذلكَ، يُمكِنُ أن تُفهَمَ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ على أنَّها تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن مَواقِفَ مِن اللهِ كالإخلاصِ، والتَّوقيرِ، و(استِنادًا إلى مُؤَلِّفِ *غمامة الجهل*) الحُبِّ.

أمّا الرَّدُّ الآخَرُ عَلى المُشكِلَةِ الإقصائيَّةِ، وهوَ الذي سَأُسَمِّيهِ *خِيارَ الفِعلِ الكَلامِيِّ*، فيَقبَلُ نظريَّةَ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ التي مُفادُها أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ المُتَعَلِّقَةَ بِطَبيعَةِ اللهِ تَمثيلِيَّةٌ خالِصَةٌ لكِنَّهُ يَذهَبُ إلى أنَّها تُستَعمَلُ لِتَسبيحِ اللهِ (مُعَبِّرَةً بِذلكَ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ) لا لِمُجَرَّدِ وَصفِ طَبيعَةِ اللهِ. فاللاهوتُ الأبوفاتيكِيُّ، في هذا الخِيارِ، مُتَمَيِّزٌ بِالأُطروحَةِ التي يُقَدِّمُها لِلاستِعمالِ الذي نَضَعُ لَهُ اللُّغَةَ الدِّينِيَّةَ لا بِالنَّظرِيَّةِ التي يُقَدِّمُها لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. وقَد تَبَنّى هذا الخِيارَ الثّاني كُلٌّ مِن جان-لُوك ماريون (1995) وجاك دريدا (1992)؛ وهُما يَبحَثانِ أيضًا في فِكرَةِ أنَّ الخِطابَ الدِّينِيَّ تَسبيحٌ لِلّهِ. ويَتَعاطَفُ دينِس تيرنَر أيضًا مَعَ خِيارِ الفِعلِ الكَلامِيِّ، وإن كانَ ذلكَ مَصحوبًا بِبَعضِ الاختِلافاتِ المُهِمَّةِ التي سنُبَيِّنُها الآنَ. إذ يُؤَوِّلُ تيرنَر لاهوتَ دينِس على أنَّهُ ذو صِلَةٍ بِالأقوالِ الدِّينِيَّةِ لا بِاللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ: فإذا كانَتِ الجُمَلُ المُتَعَلِّقَةُ بِاللهِ تَمثيلِيَّةً، فإنَّها إنَّما تُستَعمَلُ استِعمالًا استِعارِيًّا.

ومِن أجلِ أن يَكونَ الفَرقُ بينَ الخِيارِ اللُّغَوِيِّ وخِيارِ الفِعلِ الكَلامِيِّ أوضَحَ، مِن المُفيدِ أن نُورِدَ تَفريقًا كانَ قَد قَدَّمَهُ ج.ل. أوستِن J.L. Austin* بينَ الأفعالِ القَولِيَّةِ locutionary acts والأفعالِ الإنجازِيَّةِ illocutionary acts. فالفِعلُ القَولِيُّ، استِنادًا إلى أوستِن (1975, p. 95)، ما هوَ إلّا فِعلُ قَولِ شَيْءٍ مّا. أي إنَّهُ فِعلُ نُطقِ جُملَةٍ أُنموذَجِيَّةٍ (سِلسِلَةٍ مِن الكَلِماتِ لَها بِنيَةٌ نَحوِيَّةٌ). [18] أمّا الأفعالُ الإنجازِيَّةُ، أو *الأفعالُ الكَلامِيَّةُ*، فهيَ ما يَفعَلُهُ المُتَكَلِّمُ بِقَولِهِ شَيئًا مّا وهيَ تتضمَّنُ

* جون لانغشو أوستِن (1911-1960م). مَنطِقِيٌّ، ولِسانِيٌّ إنجليزِيٌّ. وُلِدَ في مَدينَةِ لانكستر، وتُوُفِّيَ في أوكسفورد. تَخَرَّجَ في جامِعَةِ أوكسفورد مُتَخَصِّصًا في الآدابِ اليونانيَّةِ والرّومانسيَّةِ، وشَغَلَ فيها كُرسِيَّ فَلسَفَةِ الأخلاقِ بينَ عامَيْ 1952 و1960. لَم تُنشَرْ لَهُ مُؤَلَّفاتٌ في حَياتِهِ، بَل جُمِعَتْ مَقالاتُهُ ومُحاضَراتُهُ بَعدَ وَفاتِهِ في كُتُبٍ، أهَمُّها: (رَسائلُ فَلسَفِيَّةٌ)؛ و(المَعنى والإدراك)؛ و(كَيفَ تُفعَلُ الأشياءُ بِالكَلِمات). [المُتَرجِم]

التَّقريراتِ، والأَسئلَةَ، والأوامِرَ، والتَّحذيراتِ، والتَّهديداتِ، والعِباراتِ القَصدِيَّةَ، والطَّلَباتِ، وما إليها. فَلْنَفتَرِضْ، على سبيلِ المِثالِ، أَنَّكَ تركَبُ في سَيّارَةٍ وأَنَّكَ تَقولُ لِلسّائقِ:

2. تُوجَدُ نُقطَةُ تَفتيشٍ لِلشُّرطَةِ عندَ المُنعَطَفِ القادِمِ.

فإنَّ قَولَكَ الجُملَةَ (2) فِعلٌ قَولِيٌّ، وبِنُطقِكَ الجُملَةَ تُؤَدّي فِعلًا إنجازِيًّا هوَ تَحذيرُ السّائقِ.

فما العَلاقَةُ، عُمومًا، بينَ نَمَطِ الفِعلِ الكَلامِيِّ ونَمَطِ الجُملَةِ التي يَستَخدِمُها؟ فَفي أَقَلِّ تَقديرٍ، تُعَدُّ الصِّيغَةُ النَّحوِيَّةُ لِلجُملَةِ إحدَى الطَّرائقِ القِياسِيَّةِ التي يُشارُ بِها إلى نَمَطِ الفِعلِ الكَلامِيِّ. فاستِعمالُ جُملَةٍ لَها صيغَةٌ استِفهامِيَّةٌ، على سبيلِ المِثالِ، إشارَةٌ لُغَوِيَّةٌ واضِحَةٌ إلى أَنَّ الشَّخصَ يَسأَلُ سُؤالًا. ثُمَّ إنَّ بَعضَ الأفعالِ الإنجازِيَّةِ في أَقَلِّ تَقديرٍ تَبدو - وقَد بَدَتْ لِكَثيرٍ مِن الفَلاسِفَةِ - مُرتَبِطَةً بِأَنماطٍ جُمْلِيَّةٍ مُناظِرَةٍ وذلكَ مِن قَبيلِ العُرفِ اللُّغَوِيِّ. فالجُمَلُ الخَبَرِيَّةُ، على سبيلِ المِثالِ، عادَةً مّا تُستَعمَلُ في التَّقريراتِ، والجُمَلُ الاستِفهامِيَّةُ في الأَسئلَةِ، والجُمَلُ الأَمرِيَّةُ في الطَّلَباتِ والأَوامِرِ[1]. على أَنَّهُ إذا احتُمِلَ أَن تَكونَ هذهِ العَلاقَةُ عُرفِيَّةً، فإنَّ ذلكَ لا يَصِحُّ في جَميعِ الحالاتِ. فإنْ قُلْتُ، على سبيلِ المِثالِ، لِشَخصٍ مّا يَجلِسُ بِجِواري على مائدَةِ العشاءِ:

3. هَل يُمكِنُكَ أَن تُناوِلَني المِلْحِ؟

فإنّي أكونُ بِذلكَ مُنشِئًا لِطَلَبٍ بِاستِعمالِ جُملَةٍ استِفهامِيَّةٍ. وَلْنَفتَرِضْ أَنَّ ثَمَّةَ طالِبًا يُقالُ لَهُ في احتِفالِ التَّخَرُّجِ:

---

(1) يَذهَبُ دَميت (1981)، وسيرل Searle (1969)، وكوتاتكو Kotatko (1998) إلى أَنَّ الصِّيغَةَ النَّحوِيَّةَ لِلجُملَةِ تَتَعَلَّقُ بِنَمَطِ الفِعلِ الكَلامِيِّ الذي تُستَعمَلُ فيهِ بِوَصفِ ذلكَ عُرفًا لُغَوِيًّا.

4. بَعدَ انحِنائكَ لِنائبِ رئيسٍ لجامِعَةٍ، ستَخرُجُ مِن البابِ الأيمَنِ.

فإنَّ الطَّالِبَ قَد صَدَرَ لَهُ في هذهِ الحالَةِ تَوجيهٌ، وإن كانَتِ الجُملَةُ التي قَد عَبَّرَتْ عنها الحالَةُ (4) ذاتَ صِيغَةٍ إخبارِيَّةٍ. فهذهِ الأمثِلَةُ تُبيِّنُ أنَّهُ إذا كانَتْ ثَمَّةَ عَلاقَةٌ عُرفِيَّةٌ بينَ نَمَطِ الفِعلِ الكَلامِيِّ وصِيغَةِ الجُملَةِ المُعَبَّرِ عنها، فإنَّ العُرفَ لا يُحَدِّدُ نَمَطَ الفِعلِ الكَلامِيِّ تَحديدًا حَصرِيًّا. فقد تُؤَثِّرُ حَقائقُ أُخرَى، كَسِياقِ القَولِ ومَقاصِدِ المُتَكَلِّمِ.

فإذا ما راعَيْنا هذهِ النِّقاطَ، أَمكَنَنا أن نَفهَمَ خِيارَ الفِعلِ الكَلامِيِّ بِوَصفِهِ نَظرِيَّةً بِشَأنِ الأفعالِ الإنجازِيَّةِ، أو الأفعالِ الكَلامِيَّةِ، مُؤَدّاةً في خِطابٍ دِينِيٍّ. أي إنَّهُ إذا كانَتِ الأقوالُ الدِّينِيَّةُ الإخبارِيَّةُ مُستَعمَلَةً عُرفِيًّا لِتُكَوِّنَ تَقريراتٍ وتُعَبِّرَ عن اعتِقاداتٍ، فإنَّها لا تُستَعمَلُ في الخِطابِ الدِّينِيِّ لِتُكَوِّنَ تَقريراتٍ بَل لِتُؤَدِّيَ فِعلَ التَّسبيحِ الإنجازِيَّ المُمَيَّزَ. [19] وعلى نَحوٍ مُشابِهٍ لِلجُملَتَيْنِ (3) و(4)، يَستَخدِمُ المُتكلِّمونَ نَمَطًا جُملِيًّا مُمَيِّزًا لِنَمَطٍ مُعَيَّنٍ مِن أنماطِ الأفعالِ الكَلامِيَّةِ مِن أجلِ أداءِ نَمَطٍ مُغايِرٍ مِن أنماطِ الأفعالِ الكَلامِيَّةِ. وفي هذهِ الحالَةِ، تُستَعمَلُ الجُمَلُ الإخبارِيَّةُ المُتَعلِّقَةُ بِاللهِ التي لَها مَضمونٌ تَمثِيلِيٌّ لِلتَّعبيرِ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ تُجاهَ اللهِ. أمّا الخِيارُ اللُّغَوِيُّ فَبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، إذ إنَّهُ نظرِيَّةٌ تتعلَّقُ بِالأعرافِ اللُّغَوِيَّةِ لِلجُمَلِ الدِّينِيَّةِ. فالجُمَلُ الدِّينِيَّةُ الإخبارِيَّةُ، استِنادًا إلى هذا الخِيارِ، تُستَعمَلُ عُرفِيًّا لِلتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ لكِنَّها تُستَعمَلُ أيضًا (كما مَرَّ بنا في مِثالِ 'النَّمِل' لِبلاكبيرن في الفَصلِ 1) لِلتَّعبيرِ عن مَواقِفَ.

وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ كِلا الخِيارَيْنِ يَستَحِقُّ مَزيدًا مِن المُناقَشَةِ، نَحنُ مَعنِيُّونَ في هذا الفَصلِ بِالخِيارِ اللُّغَوِيِّ. أمّا المَسائلُ المُتَعلِّقَةُ بِالتَّأويلِ الصَّحيحِ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ (بِإزاءِ اللُّغَةِ التي يَستَخدِمُها) فَقد تُرِكَتْ لِلقِسمِ الثّالِثِ، لأسبابٍ بُيِّنَتْ آنِفًا. مِن أجلِ ذلكَ أُرجِئَ تَقويمُ النَّظرِيَّةِ التي اقتَرَحَها ماريون، لأنَّ ذلكَ يَتعلَّقُ بِاستِعمالِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. وسنَنظُرُ في القِسمِ الثّالِثِ أيضًا في نظرِيّاتِ الاستِعارَةِ الدِّينِيَّةِ ومَدَى كَونِ الخِطابِ الدِّينِيِّ استِعارِيًّا عَلى نَحوٍ لارَدِّيٍّ. على أنَّ ما اقتَرَحَهُ

تيرنَر بِشَأنِ الاستِعارَةِ، بِوَصفِهِ تَحليلًا وتَطويرًا لِلاهوتِ دينِس، لا يَبدو بِخاصَّةٍ خِيارًا مُلائمًا مِن خِياراتِ الفِعلِ الكَلامِيِّ لِتَأويلِ الحَديثِ عن اللهِ. إذ يَبدو أنَّ الاستِعاراتِ أقوالٌ عادَةً مَا يَعُدُّها المُتَكَلِّمُ أقوالًا كاذِبَةً كَذِبًا بَديهِيًّا ('جوليت هيَ الشَّمسُ'*) أو صادِقَةً صِدقًا بَديهِيًّا ('لا إنسانَ جَزيرَةٌ'**) تَقصِدُ الإلماعَ إلى شَيْءٍ صادِقٍ صِدقًا حَرفِيًّا. بيدَ أنَّ دينِس يَرَى أن لَيسَ ثَمَّةَ ما هوَ صادِقٌ صِدقًا حَرفِيًّا مِمّا يتعلَّقُ بِطَبيعَةِ اللهِ، ويُوافِقُهُ في ذلكَ اللاهوتِيّونَ الأبوفاتيكِيّونَ الذينَ ذَكَرْناهُم آنِفًا. فإذا كانَ الكَلامُ على طَبيعَةِ اللهِ استِعارِيًّا لكِن لَم يَكُنْ ثَمَّةَ ما هوَ صادِقٌ بِشَأنِ طَبيعَةِ اللهِ مِمّا يُمكِنُ أن نُلْمِعَ إليهِ بِاستِعمالِ الاستِعارَةِ فإنَّ ذلكَ سَيُبطِلُ، عَلى ما يَبدو، الدّاعِيَ إلى استِعمالِ الاستِعارَةِ أصلًا.

ومِن الواضِحِ أنَّ مِن الصُّعوباتِ التي تُواجِهُ اللاهوتَ الأبوفاتيكِيَّ، إن أُريدَ لَهُ أن يُطَوَّرَ إلى شَكلٍ قابِلٍ لِلنَّجاحِ مِن أشكالِ نظرِيَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ، أنَّ لَهُ رَدًّا أوَّلِيًّا عَلى اعتِراضِ 'الأطروحَةِ الإيجابِيَّةِ' المُشارِ في الفَصلِ 1. فثَمَّةَ قَلَقٌ مَخصوصٌ بِشَأنِ الرَّأيِ الذي مُفادُهُ أنَّ المَرءَ حينَ يُسبِّحُ اللهَ إنَّما يُعَبِّرُ عن مَوقِفَيْ مَحَبَّةٍ وإخلاصٍ، فهَل يَقتَضي هذانِ المَوقِفانِ أنفُسُهُما أن يَكونَ لِلمُتَكَلِّمِ اعتِقاداتٌ تتعلَّقُ بِالمَوضوعِ الذي يُحِبُّهُ المَرءُ ويُخلِصُ لَهُ؟ فَلْنَفتَرِضْ، على سبيلِ المِثالِ، أنَّهُ لا بُدَّ أن تَكونَ لِلمَرءِ اعتِقاداتٌ تَتَعلَّقُ بِطبيعَةِ اللهِ مِن أجلِ أن يُحِبَّ اللهَ؛ فَلا بُدَّ أن يَعتَقِدَ المَرءُ، مَثَلًا، أنَّ اللهَ هوَ الصِّنفُ الوُجودِيُّ الذي يَستَحِقُّ أن يُحِبَّهُ. فإن كانَ هذا الاعتِقادُ كاذِبًا، وهوَ ما يَلزَمُ مِن اللاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ على ما يَبدو، فإنَّ مَحَبَّةَ المَرءِ لَن تَكونَ عندَئذٍ مُوَجَّهَةً إلى اللهِ بَل تَكونُ مُوَجَّهَةً إلى مَوضوعِ اعتِقادِ المَرءِ (وهذا يَعني عَدَمَ وُجودِ مَوضوعٍ حَقيقِيٍّ البَتَّةَ). فالمُقارَبَةُ الأبوفاتيكِيَّةُ

* يُنظَر: روميو وجوليت، وِليَم شَيكسبير، ترجمة الدُّكتور محمَّد عناني، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب: الفَصلُ الثّاني، المشهَدُ الثّاني، ص113. [المُترجِم]

** عِبارَةٌ يُقصَدُ بها أنَّ البَشَرَ يَعتَمِدُ بَعضُهُم على بَعضٍ بِالضَّرورَةِ. وهيَ مُقتَبَسَةٌ مِن كِتابٍ نَثرِيٍّ عُنوانُهُ (تَأمُّلاتٌ تَعَبُّدِيَّةٌ في مُناسَباتٍ ظاهِرَةٍ، وعِدَّةُ خطواتٍ في مَرَضي) لِلشّاعِرِ الميتافيزيقِيِّ والقَسِّ في كنيسَةِ إنجلترا جون دون John Donne (1572-1631م)، نُشِرَ عامَ 1624. [المُترجِم]

لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، إذا ما قُرِئَتْ بِوَصفِها نَوعًا مِن أنواعِ نظريَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ، بِها حاجَةٌ إلى أن تُدافِعَ عن أُطروحَةٍ لِلعَناصِرِ اللامَعرِفِيَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ لا تَفتَرِضُ سَلَفًا أَنَّ [20] بِإمكانِنا تَكوينَ اعتِقاداتٍ صادِقَةٍ بِشَأنِ طَبيعَةِ اللهِ. لكِن ما دُمْنا سنَنظُرُ بإسهابٍ في فُصولٍ لاحِقَةٍ في أُطروحاتٍ إيجابِيَّةٍ مُختلِفَةٍ قَدَّمَها مُنَظِّرونَ مَوقِفِيُّونَ، فَلا بَأسَ بِأن تَكونَ بُؤرَةُ اهتِمامِنا في هذا الفَصلِ اعتِراضًا مُمَيِّزًا ومُثيرًا لِلاهتِمامِ بِخاصَّةٍ على المَذهَبِ الأبوفاتيكِيِّ: وهوَ أَنَّهُ يَنقُضُ نَفسَهُ بِنفسِهِ.

فإذا كانَ اللاهوتُ الأبوفاتيكِيُّ يَذهَبُ إلى أَنَّ اللهَ مُتَعالٍ عَنِ التَّصَوُّرِ، فإنَّهُ يَلزَمُ مِن ذلكَ على ما يَبدو أَنَّ دَعوى أَنَّ 'اللهَ مُتَعالٍ' لا بُدَّ مِن أن تَكونَ كاذِبَةً. وقَد طَوَّرَ هذا الاعتِراضَ بِوُضوحٍ ألفِن بلانتِنغا. إذ يُعَرِّفُ المَوقِفَ الإشكالِيَّ بِأَنَّهُ 'لَو كانَ ثَمَّةَ وُجودٌ لانِهائِيٌّ، ومُتَعالٍ، ومُطلَقٌ، ما كانَ بِالإمكانِ تَطبيقُ مَفاهيمِنا عليهِ' (2000, p. 6) ويَعرِضُ الحُجَّةَ على النَّحوِ الآتي:

> إنَّ مَن يَدَّعي هذهِ الدَّعوَى يُقَدِّمُ عَلى ما يَبدو مَوضوعًا مُعَيَّنًا لِلحَملِ - الله - ويُعلِنُ بَعدَ ذلكَ أَنَّ مَفاهيمَنا لا تُطَبَّقُ على هذا الوُجودِ. لكِن إذا كانَ ذلكَ كذلِكَ، فمِنَ المُفتَرَضِ عِندَئِذٍ أن يَكونَ أَحَدُ مَفاهيمِنا في أَقَلِّ تَقديرٍ - *كَونُهُ بِحالَةٍ تَجعَلُ مَفاهيمَنا لا تُطَبَّقُ عليهِ* - يُطَبَّقُ على هذا الوُجودِ... فالفِكرَةُ التي نَعتَدُّ بها هيَ أَنَّ لَنا، في أَقَلِّ تَقديرٍ، بَعضَ الإدراكِ لِصِفاتِ ما هوَ لانِهائِيٌّ، ومُتَعالٍ، ومُطلَقٌ (وإلّا فَلن نَكونَ قادِرينَ على فَهمِ الجُملَةِ أو إدراكِ القَضِيَّةِ التي تُعَبِّرُ عنها). (2000, p. 6)

فإذا لَم يَكُنْ بِالإمكانِ تَصَوُّرُ اللهِ بِالقَدْرِ الذي يَقتَضيهِ التَّعبيرُ عن اللاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ، كانَ هذا المَذهَبُ عِندَئِذٍ عَلى ما يَبدو ناقِضًا لِنَفسَهُ بِنَفسِهِ وكانَ مِن ثَمَّ كاذِبًا. وإذا كانَ بِالإمكانِ تَصَوُّرُ اللهِ بِهذا القَدْرِ، كانَتْ هذهِ النَّظَرِيَّةُ غَيرَ مُطَّرِدَةٍ وكانَتْ مِن ثَمَّ كاذِبَةً.

ويُمكِنُ القَولُ إنَّ اعتِراضَ بلانتِنغا قاصِمٌ لِظَهرِ النَّظَرِيَّةِ التي يَصوغُها. لكِن هَل كانَ ما قَدَّمَهُ عَرضًا دَقيقًا لِلمَذهَبِ الأبوفاتيكِيِّ بِشَأنِ التَّعالي التَّصَوُّرِيِّ

(وينبغي أن نتنبّه إلى أنّ حجّة بلانتنغا لا تستهدف اللاهوتَ الأبوفاتيكيّ استهدافًا مخصوصًا)؟ فالذي أراهُ أنّ ثمّةَ طريقتَيْنِ مقبولتَيْنِ يُمكِنُ أن يُفلِتَ اللاهوتُ الأبوفاتيكيُّ بهما مِن قبضةِ حجّةِ بلانتنغا.

أمّا أُولاهُما فإنّهُ لا يُوجَدُ مِن اللاهوتيّينَ الأبوفاتيكيّينَ مَن يَعتقِدُ أن لا مَفهومَ يُمكِنُ تَطبيقُهُ على اللهِ؛ فكَثيرًا مّا يَتحدَّثُ هؤلاءِ عن فِعلِ اللهِ في العالَمِ، وعَن العَلاقَةِ بينَ اللهِ والبَشَرِ، وعن الكَيفِيَّةِ التي يَجِبُ أن يَكونَ عليها تَصرُّفُنا تُجاهَ اللهِ وتَفكيرُنا فيهِ. لكِنَّهُم يَشُكُّونَ في قُدرَتِنا على تَصوُّرِ طَبيعَةِ اللهِ. ولْنُسَمِّ الصِّفاتِ المُتَعلِّقَةَ بِطَبيعَةِ اللهِ *صِفاتٍ ذاتِيَّةً intrinsic properties*. والمَقصودُ بالذّاتِيَّةِ إيجادُ تَفريقٍ بينَ الصِّفاتِ التي تَشمَلُ شُمولًا قِياسِيًّا كُلِّيَّةَ القُدرَةِ، وكُلِّيَّةَ العِلمِ، وإرادَةَ الخَيرِ، وما إلى ذلكَ، والصِّفاتِ التي عَلى شاكِلَةِ فِعلِ اللهِ في العالَمِ، والعَلاقَةِ بالبَشَرِ. فإذا كانَ التَّعالي التَّصَوُّرِيُّ صِفَةً ذاتِيَّةً لِلّهِ، أمكَنَ أن تُعادَ صِياغَةُ اعتِراضِ بلانتِنغا [21] على النَّظريَّةِ التي مُفادُها 'أنّا لا نَستَطيعُ تَصَوُّرَ طَبيعَةِ اللهِ' معَ الاحتِفاظِ بِفاعليَّتِها على النَّحوِ الآتي: أنَّ اللاهوتِيّينَ الأبوفاتيكِيّينَ يَنسِبونَ إلى اللهِ صِفاتٍ ذاتِيَّةً ثُمَّ يَدَّعونَ عَدَمَ استِطاعتِنا تَصَوُّرَها. لكِن ما الذي يُوجِبُ أن يَكونَ التَّعالي صِفَةً ذاتِيَّةً؟ لا شَكَّ في أنَّ رَأيَنا في كَونِ التَّعالي، إذا كانَ صِفَةً لِلّهِ، ذاتِيًّا أو لاذاتِيًّا سيَعتَمِدُ على الأساسِ الذي نَرتَكِزُ عليهِ في تَصنيفِ الصِّفاتِ الإلهِيَّةِ بِوَصفِها صِفاتٍ لِطَبيعَةِ اللهِ. ولَستُ في مَقامِ حَسمِ هذا الخِلافِ هُنا. على أنَّ بِإمكانِ اللاهوتِيّينَ الأبوفاتيكِيّينَ الإشارَةَ إلى ثَلاثَةِ فُروقٍ ذاتِ صِلَةٍ واضِحَةٍ بينَ التَّعالي والصِّفاتِ الذّاتِيَّةِ لِلّهِ[2]. فالفَرقُ الأوَّلُ أنَّ صِفاتِ الشَّيْءِ الذّاتِيَّةَ يُمكِنُ التَّفكيرُ فيها بِوَصفِها صِفاتٍ يَحوزُها الشَّيْءُ بِنَفسِهِ مِن غَيرِ اعتِمادٍ على أيِّ شَيْءٍ آخَرَ. أمّا التَّعالي فليسَ شَيئًا يَحوزُهُ اللهُ بِسببِ اللهِ وَحدَهُ؛ فهوَ صِفَةٌ تَعتَمِدُ أيضًا على قُدراتِ البَشَرِ التَّصَوُّرِيَّةِ. والفَرقُ الثّاني أنَّ صِفاتِ الشَّيْءِ الذّاتِيَّةَ يُمكِنُ التَّفكيرُ

(2) لِلوُقوفِ على مادّةٍ تُقَوِّمُ أفكارَنا بِشأنِ الذّاتِيَّةِ، يُنظَرُ لويس (1983) Lewis، وهَمبَرستون Humberstone (1996).

فيها بِوَصفِها لاعَلاقِيَّةً[3]. أمّا التّعالي فَصِفَةٌ عَلاقِيَّةٌ تَتَعَلَّقُ بِقُدُراتِ البَشَرِ التَّصَوُّرِيَّةِ (وبِالقُدُراتِ التَّصَوُّرِيَّةِ لِلمَوجوداتِ المَخلوقَةِ الأُخرَى) في ما يتعلَّقُ بِطَبيعَةِ اللهِ. فإذا ما فُهِمَ التَّعالي على هذا النَّحوِ، أمكَنَ القَولُ إنَّهُ صِفَةٌ مُشابِهَةٌ لِلّامَعلومِيَّةِ: فهوَ ليسَ جُزءًا مِن طَبيعَةِ اللهِ بَل هوَ صِفَةٌ عَلاقِيَّةٌ تُحَدِّدُ ما بِوُسعِنا مِن حَيثُ المَبدَأُ مَعرِفَتُهُ مِن صِفاتِ اللهِ الذّاتِيَّةِ. والفَرقُ الثّالِثُ أنَّ الصِّفاتِ الذّاتِيَّةَ يُمكِنُ التَّفكيرُ فيها بِوَصفِها صِفاتٍ لا يُمكِنُ أن تَتَغَيَّرَ مِن غَيرِ حُدوثِ تَغَيُّرٍ في هُوِيَّةِ الشَّيْءِ. لكِنَّ الذي يَبدو هوَ أنَّ التَّعالِيَ الإلهِيَّ يُمكِنُ أن يتَغَيَّرَ مِن غَيرِ حُدوثِ تَغَيُّرٍ في هُوِيَّةِ اللهِ. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ لَو أمكَنَ، مِن خِلالِ تَوَسُّعٍ غَيرِ اعتِيادِيٍّ لِقُدُراتِ البَشَرِ التَّصَوُّرِيَّةِ، أن يَكونَ لَنا إدراكٌ ولَو جُزئيٌّ لِصِفاتِ اللهِ الأساسِيَّةِ، لَما ظَلَّ اللهُ مُتَعالِيًا؛ على أنَّهُ لا يَبدو أنَّ ذلكَ سَيُسَبِّبُ تَغَيُّرًا في اللهِ. فهذهِ النِّقاطُ تُبَيِّنُ أنَّ بالإمكانِ مَنطِقِيًّا الذَّهابَ إلى أنَّ التَّعالِيَ ليسَ صِفَةً ذاتِيَّةً لِلّهِ؛ وأنَّ بِإمكانِ اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ لِذلكَ أن يَنجَحوا في رَدِّ ما احتَجَّ بِهِ بلانتِنغا مِن أنَّ نَظَرِيَّتَهُم تَنقُضُ نَفسَها بِنَفسِها.

وثَمَّةَ رَدٌّ آخَرُ عَلى حُجَّةِ بلانتِنغا في مُتَناوَلِ اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ، وهيَ التي قَد تَكونُ أكثَرَ انسِجامًا معَ مُقارَبَتِهِم اللاهوتِيَّةِ. إذ يُمكِنُهُم الذَّهابُ إلى أنَّ اللهَ ليسَ - على ما يَفتَرِضُهُ بلانتِنغا - مُقَدَّمًا بِوَصفِهِ شَيئًا مُتَعالِيًا في خَبَرٍ لا يُمكِنُنا تَصَوُّرُهُ، لكِنَّ مُحاوَلاتِنا تكوينَ أفكارٍ عن اللهِ نتيجَتُها الإخفاقُ المُحَتَّمُ. ومِن المُفيدِ في هذا المقامِ عَقدُ مُقارَنَةٍ بينَ ما نَحنُ فيهِ ومَنهَجِ ديكارت Descartes* في تَحديدِ

---

(3) يَختَلِفُ هذا عن الصِّفاتِ التي يَحوزُها الشَّيْءُ بِنَفسِهِ؛ فقد تكونُ ثَمَّةَ صِفَةٌ عَلاقِيَّةٌ بينَ صِفَتَيْنِ يَحوزُهُما الشَّيْءُ بِنَفسِهِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ مُعظَمَ البَشَرِ لَهُم الصِّفَةُ العَلاقِيَّةُ التي هيَ كَونُ *أصابعِ أيديهِم أطوَلَ مِن أصابعِ أرجُلِهِم* بِسببِ صِفاتٍ يَحوزونَها بِأنفُسِهِم. ويُشَخِّصُ هَمبَرستون (1996) عَدَدًا من المُشكِلاتِ المُتَعلِّقَةِ بِعَدِّ ما هوَ عَلاقِيٌّ ضِدًّا لِما هوَ ذاتِيٌّ، وإن كانَ اعتِقادُ أنَّ التَّضادَّ بينَهُما واردٌ شائعًا شُيوعًا كَبيرًا.

* رينيه ديكارت (1596-1650م). فَيلَسوفٌ وعالِمُ رِياضِيّاتٍ وفيزياءَ وفسيولوجيا فرنسِيٌّ. ترتَبِطُ فَلسَفَتُهُ بِنظرِيَّتِهِ في الرِّياضِيّاتِ، وعِلمِ نَشأَةِ الكَونِ، والفيزياءِ. أشارَ في عَمَلِهِ في الميكانيكا إلى نِسبِيَّةِ الحركةِ والسُّكونِ، وصاغَ القانونَ العامَّ لِلفِعلِ والفِعلِ المُضادِّ. وقامَ رَأيُهُ في المادَّةِ أو الجَوهَرِ المُتَجَسِّدِ على بُحوثِهِ الرِّياضِيَّةِ والفيزياوِيَّةِ؛ إذ وَحَّدَ بينَ المادَّةِ والامتِدادِ =

ما نَعلَمُهُ عِلمًا يَقينيًا. فهوَ لا يَبدَأُ بِنَظريَّةٍ لِلمَعرِفَةِ بَل يَرمي بَدَلًا مِن ذلكَ إلى تَعيينِ اعتِقاداتِهِ المَعلومَةِ بِالتَّخَلُّصِ تَدريجيًا مِن الاعتِقاداتِ التي يَعرِضُ لَها الشَّكُّ. وهوَ يَنظُرُ في أصنافِ الاعتِقاداتِ - الاعتِقاداتِ المُتَعلِّقَةِ بِالعالَمِ الخارِجِيِّ، والاعتِقاداتِ المُتعلِّقَةِ بِالرِّياضِيّاتِ، وهكذا دَوالَيْكَ - ومَدَى إمكانِ خَطَئِها؛ [22] ويَعمِدُ إلى اطِّراحِ الاعتِقاداتِ المُمكِنَةِ الخَطَإِ. فَلا يَبقَى لَدَيهِ في نِهايَةِ المَطافِ سِوَى اليَقينِ بِالكوجيتو *cogito**، الذي يُحاوِلُ الانطِلاقَ مِنهُ لإعادَةِ بِناءِ نِظامِهِ الاعتِقادِيِّ على أساسٍ مِن المَعرِفَةِ اليَقينيَّةِ. فكذلِكَ يُمكِنُ أن يُفهَمَ اللاهوتيُّونَ الأبوفاتيكيُّونَ على أنَّهُم يَستَغنُونَ عن التَّمثيلاتِ غَيرِ الكافِيَةِ لِلّهِ. ويُمكِنُ النَّظَرُ إلى المَنهَجِ السَّلبِيِّ على أنَّ هذا هوَ ما يَستَهدِفُهُ تَمامًا:

> ما يَجِبُ قَولُهُ فِعليًا عن الذي هوَ عِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ هوَ الآتي. لَمّا كانَ هوَ عِلَّةَ جَميعِ المَوجوداتِ كانَ علينا أن نُسنِدَ إليهِ جَميعَ ما نُثبِتُهُ لِلمَوجوداتِ وأن نَعزُوَها إليهِ، وأن نَنفِيَ عنهُ، على نَحوٍ أخَصَّ، جَميعَ هذهِ المُثبَتاتِ، ما دامَتْ فَوقَ مُستَوَى إدراكِ جَميعِ المَوجوداتِ. ومِن المُهِمِّ التَّنبيهُ على أنَّهُ لا يَنبَغي لَنا أن نَستَنتِجَ أنَّ المَنفِيّاتِ ما هيَ إلّا أضدادٌ لِلمُثبَتاتِ، بَل الأولَى أن يُقالَ إنَّ عِلَّةَ كُلِّ شَيْءٍ سابِقٌ لِذلكَ بِدَرَجَةٍ كَبيرَةٍ، وفَوقَ العَدَمِيّاتِ، وفَوقَ كُلِّ إنكارٍ، وفَوقَ كُلِّ تَقريرٍ. (1987, p. 136)

= أو المَكانِ. ومَهما يَكُنِ الأمرُ فإنَّ النَّزعةَ الثُّنائيَّةَ تَرتَبِطُ بِفيزياءِ ديكارت المادِّيَّةِ. وجاءَ مَذهَبُهُ في الإنسانِ ثُنائيًا أيضًا؛ إذ آمَنَ بِوُجودِ آليَّةٍ جِسميَّةٍ لا نَفْسَ فيها ولا حَياةَ، تَتَحَدَّدُ في الإنسانِ بِنَفْسٍ مُريدَةٍ وعاقِلَةٍ. وحدَّدَ ديكارت الغايَةَ القُصوَى لِلمَعرِفَةِ بِأنَّها تَحَكُّمُ الإنسانِ في قُوَى الطَّبيعَةِ، واختِراعُ الأجهِزَةِ الفَنِّيَّةِ، وإدراكُ العِلَلِ والمَعلولاتِ، وتَحسينُ ماهِيَّةِ الإنسانِ. ومِن أجلِ أن يُحَقِّقَ الإنسانُ ذلكَ عليهِ أن يَرفُضَ الإيمانَ بِأيِّ شَيْءٍ ما لَم يُبَرهَنْ على نَحوٍ تامٍّ. ولا يَعني هذا أنَّ الوُجودَ كُلَّهُ لا يُمكِنُ أن يُعرَفَ، بَل هوَ مَنهَجٌ لاكتِشافِ البِدايَةِ غَيرِ المشروطَةِ في المَعرِفَةِ التي حدَّدَها ديكارت بِأنَّها (أنا أُفَكِّرُ، إذَنْ أنا مَوجودٌ). مِن آثارِهِ: (مَقالٌ عَن المَنهَجِ)؛ و(التَّأمُّلاتُ في الفَلسَفَةِ الأولى)؛ و(مَبادِئُ الفَلسَفَةِ). [المُتَرجِم]

* الكوجيتو cogito: لَفظٌ لاتينيٌّ مَعناهُ (أُفَكِّر)، يُشارُ بِهِ إلى قَولِ ديكارت: "أنا أُفَكِّرُ، إذَن أنا مَوجود Cogito ergo sum". ومَعنى هذا القَولِ إثباتُ وُجودِ النَّفسِ مِن حَيثُ هيَ وُجودٌ مُفَكِّرٌ، والاستِدلالُ عَلى وُجودِها بِفِعلِها الذي هوَ الفِكرُ. وقيلَ إنَّ الكوجيتو ليسَ استِدلالًا حَقيقيًا بَل هوَ حَدسٌ يَكشِفُ عَن حَقيقَةٍ أوَّليَّةٍ لا يَتَطَرَّقُ إليها الشَّكُّ. [المُتَرجِم]

وإذا كانَ ديكارت قَد استَثمَرَ مَنهَجَهُ في نِهايَةِ المَطافِ في تَوليدِ اعتِقاداتٍ يُمكِنُهُ أن يُوقِنَ بِها، فإنَّ المَنهَجَ الأبوفاتيكِيَّ لَم يَتَوَصَّلْ إلى تَصَوُّرٍ إيجابِيٍّ لِطبيعَةِ اللهِ؛ إذ يَنظُرُ في جَميعِ التَّمثيلاتِ ثُمَّ يَرفُضُها بِوَصفِها مُخطِئةً. ومعَ ذلكَ، تَظَلُّ المُقارَنَةُ مُفيدَةً. فاللاهوتِيُّونَ الأبوفاتيكِيُّونَ يُمكِنُ النَّظَرُ إليهِم على أَنَّهُم يَبحَثونَ عن كُلِّ المَفاهيمِ المُتَعلِّقَةِ بِطبيعَةِ اللهِ ويَرفُضونَها تدريجيًّا بِوَصفِها غَيرَ كافِيَةٍ، لا على أَنَّهُم يُصِرُّونَ على نَظريَّةٍ ميتافيزيقيَّةٍ مُفادُها أنَّ اللهَ مُتَعالٍ. ولا شَكَّ في أنَّ كُلَّ مَن يَعتَقِدُ أنَّ بَعضَ اعتِقاداتِنا المُتَعلِّقَةِ بِاللهِ في أقَلِّ تَقديرٍ تُمَثِّلُ حَقًّا طَبيعَةَ اللهِ، لَن يُوافِقَ على نَتائجِ هذا المَنهَجِ؛ على أنَّ تَطبيقَ هذا المَنهَجِ لا يَنقُضُ نَفسَهُ بِنَفسِهِ.

وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ المَذهَبَ الأبوفاتيكِيَّ التَّصَوُّرِيَّ قَد تَكونُ لَهُ مَصادِرُهُ التي يُجيبُ بِها عن اعتِراضِ بلانتِنغا، ثَمَّةَ مُشكِلَةٌ ذاتُ صِلَةٍ تَبدو مِن حَيثُ الإمكانُ أكثَرَ استِعصاءً على الحَلِّ. إذ يَشُكُّ اللاهوتِيُّونَ الأبوفاتيكِيُّونَ في قُدُراتِنا على تَصَوُّرِ اللهِ لكِن مِن الواضِحِ أَنَّهُم يَعتَقِدونَ أيضًا أنّا قادِرُونَ على *الإحالَةِ* على اللهِ. فهُم يَرَونَ أنَّ بِإمكانِ البَشَرِ أن يُكَوِّنوا صِلاتٍ بِاللهِ و يُصَلُّوا لَهُ ويُسَبِّحُوهُ. وهُم يَقولونَ أشياءَ بِشَأنِ اللهِ ويَتَحَدَّثُونَ عَن اللهِ على الرَّغمِ مِن أنّا قَد نَكونُ غيرَ قادِرِينَ على صِياغَةِ أيِّ اعتِقادٍ دَقيقٍ بِشَأنِ صِفاتِ اللهِ الذّاتِيَّةِ. فالذي يَبدو أنَّ الأبوفاتيكِيِّينَ يَلتَزِمُونَ الدَّعوَيَيْنِ الآتِيَتَيْنِ:

5. لَيسَ ثَمَّةَ تَمثيلٌ صادِقٌ لِطَبيعَةِ اللهِ.
6. يُمكِنُنا أن نُحيلَ على اللهِ ونَحنُ نَفعَلُ ذلكَ.

ويُمكِنُنا الوُقوفُ على المُشكِلَةِ التي تُوَلِّدُها هاتانِ الدَّعوَيانِ حينَ نَنظُرُ في المَعنَى الذي يَنطَوي عليهِ تَعبيرُ 'الله' وكَيفِيَّةِ تَسمِيَةِ اللهِ بِهِ. إذ تَذهَبُ إحدَى النَّظريّاتِ إلى أنَّ 'الله' اسمٌ يُعَبِّرُ عن مَضمونٍ وَصفِيٍّ يُعَيِّنُ بِهِ [23] اللهُ على نَحوٍ مُتَفَرِّدٍ ويُمكِنُ بِذلكَ أن يُحالَ عليهِ. لكِن إن صَحَّ هذا وعُلِمَ أنَّ الأبوفاتيكِيِّينَ يَلتَزِمُونَ الدَّعوَيَيْنِ

(5) و(6)، أمكَنَ أن نَرى أنَّ مَذهَبَهُم يُواجِهُ مُشكِلَةً. فإن كانَ *بإمكانِنا* أن نُحيلَ بِنَجاحٍ على اللهِ على ما تَقتَضيهِ الدَّعوَى (6)، فسَنَحتاجُ عندَ استِعمالِنا تَعبيرَ 'الله' إلى أن يَكونَ لَدَينا مَخزونٌ مِن أوصافِ اللهِ يُعَبِّرُ عنها قَولُنا 'الله' ويُسَمّى اللهُ بِمُوجبِها. وستَحتاجُ الأوصافُ إلى أن تُسَمِّيَ اللهَ إن أُريدَ لِتَعبيرِ 'الله' أن يُحيلَ بِنَجاحٍ. وهذا يُمارِسُ ضَغطًا على الدَّعوَى (5). ومِن جِهَةٍ أُخرَى، إذا لَم يَكُنْ *بإمكانِنا* تَمثيلُ طَبيعَةِ اللهِ بِصِدقٍ على ما تَقتَضيهِ الدَّعوَى (5)، فسَيَكونُ 'الله' مُفتَقِرًا إلى المَضمونِ الوَصفِيِّ الذي يُمكِنُ بِهِ استِعمالُ الاسمِ لِلإحالَةِ على اللهِ. ويَستَلزِمُ هذا أنَّ الدَّعوَى (6) كاذِبَةٌ.

وبِقَليلٍ مِن التَّطويرِ لِهذهِ الحُجَّةِ، يُمكِنُنا أن نَفتَرِضَ أنَّ:

7. 'الله' اسمُ عَلَمٍ.

وأن نَفتَرِضَ أيضًا نَظريَّةً وَصفِيَّةً لأسماءِ الأعلامِ مُفادُها:

8. أنَّ أسماءَ الأعلامِ تُعَبِّرُ عن صِفاتٍ تُحَدِّدُ إحالَتَها.

فإن صَحَّ الافتِراضانِ (7) و(8) كِلاهُما، صَعُبَ عِندَئذٍ تَبَنّي الدَّعوَيَيْنِ (5) و(6). والمُشكِلَةُ لا تَكمُنُ في أنَّ اللاهوتَ الأبوفاتيكِيَّ يَنقُضُ نَفسَهُ بِنَفسِهِ، لأنَّ المَضمونَ الوَصفِيَّ لِتَعبيرِ 'الله' يُمكِنُ تَركيبُهُ مِن أوصافٍ لا تُمَثِّلُ طَبيعَةَ اللهِ. فقَد يَكونُ بِالإمكانِ وَصفُ اللهِ بِحَقائقَ تتعلَّقُ بِأفعالِ اللهِ في العالَمِ أو بِصِلَتِهِ بِالبَشَرِ. على أنَّ ثَمَّةَ عَدَدًا كَبيرًا جِدًّا مِن المُتَكَلِّمينَ الذينَ يَتَحدَّثونَ عن اللهِ يَرَونَ أنَّ المَضمونَ الوَصفِيَّ المُرتَبِطَ بِالاسمِ مَنوطٌ (ولَو جُزئيًّا) بِتَمثيلاتٍ لِطَبيعَةِ اللهِ: أي أنَّ اللهَ مَوجودٌ كُلِّيُّ القُدرَةِ، ومُحسِنٌ، وما إلى ذلكَ. والذي يَبدو هوَ أنَّ اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ سيَكونُ عليهِم أن يَقولوا إنَّ الكَثيرَ مِن المُتَكَلِّمينَ لا يُحيلونَ على اللهِ بِنَجاحٍ في ما يَقولونَهُ عن اللهِ.

ولا يُبدي اللاهوتِيّونَ الأبوفاتيكِيّونَ أيَّةَ إشارَةٍ تَدُلُّ على أنَّهُم يُريدونَ تَبَنّيَ

مَذهَبٍ جَذريٍّ كهذا[4]. فعادةً ما تُقَدِّمُ كِتاباتُهُم بِوَصفِها نَصيحَةً بِشَأنِ كَيفِيَّةِ الوُصولِ إلى اتِّحادٍ بِاللهِ مِن خِلالِ إصلاحِ المَرءِ أفكارَهُ ومَواقِفَهُ، لا بِوَصفِها المُقتَرَحَ الذي هوَ أكثَرُ تَطَرُّفًا وتَعديلًا والذي مُفادُهُ أنَّ المُتَكلِّمِينَ يُخفِقُونَ في حالاتٍ كَثيرَةٍ في قَولِ أيِّ شَيْءٍ عن اللهِ. ولا تُقَدِّمُ اعتِقاداتُ مَن لا عِلمَ لَهُم باللاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ وأقوالُهُم الدِّينِيَّةُ بِوَصفِها إمّا ضارَّةً وإمّا ضالَّةً. والتَّأويلُ المُقتَرَحُ لِلأُطروحَةِ الأبوفاتيكِيَّةِ بِوَصفِها نظرِيَّةَ مَوقِفٍ مُعتَدِلَةً يُدرِكُ هذهِ المُقارَبَةَ بِمُعالَجَتِهِ المُشكِلَةَ الإقصائيَّةَ. فالجُمَلُ الدِّينِيَّةُ المُتَعلِّقَةُ بِاللهِ تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن اعتِقاداتٍ مُتَعلِّقَةٍ بِاللهِ ومَواقِفَ تُجاهَ اللهِ في الوَقتِ نَفسِهِ. ولِلخِطابِ الدِّينِيِّ مِيزَةٌ لأنَّ الاعتِقاداتِ المُتَعلِّقَةَ بِاللهِ وإن كانَ مِن المُحتَمَلِ أن تكونَ مُخطِئَةً فإنَّ المُكَوِّنَ التَّعبيرِيَّ العالِيَ القِيمَةِ يَبقَى، و[24] يُمكِنُ تَطويرُ هذا أيضًا إلى صِلَةٍ أوثَقَ بِاللهِ. فَبِإمكانِنا تَسبيحُ اللهِ وتَحسينُ صِلَتِنا بِاللهِ وإن لَم يَكُنْ بِإمكانِنا تَصَوُّرُ صِفاتِ اللهِ الذّاتِيَّةِ. على أنَّ الاعتِراضَ المُتعلِّقَ بِالإحالَةِ يَستَلزِمُ أن يَكونَ المُتَكَلِّمُونَ عُرضَةً لإخفاقٍ أخطَرَ بِكَثيرٍ مِن أن تَكونَ لَدَيهِم اعتِقاداتٌ مُخطِئَةٌ بِشَأنِ اللهِ: فهُم يُخفِقُونَ عُمومًا حَتّى في الإحالَةِ على اللهِ وبِذلكَ يُخفِقُونَ في أن تَكونَ لَهُم أيَّةُ اعتِقاداتٍ بِشَأنِ اللهِ صادِقَةٍ أو كاذِبَةٍ. وما دامَتِ المَواقِفُ اللامَعرِفِيَّةُ المُعَبَّرُ عنها بِاستِعمالِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ يُفتَرَضُ أنَّها مُوَجَّهَةٌ إلى المَوجودِ المُعَيَّنِ بِاستِعمالِ الجُملَةِ، فإنَّ هذهِ المَواقِفَ ستُخفِقُ أيضًا في أن تكونَ مُتَعلِّقَةً بِاللهِ.

ويَبدو أنَّ على المَذهَبِ الأبوفاتيكِيِّ، إن أُريدَ لَهُ النَّجاحُ، أن يَلتَزِمَ مَذهَبًا آخَرَ في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ: فإمّا أن يَلتَزِمَ أنَّ 'الله' ليسَ اسمًا وإمّا أن يَلتَزِمَ أنَّ نَظرِيَّةَ الإحالَةِ اللاوَصفِيَّةَ صَحيحَةٌ. والبَحثُ في هذهِ المَسألَةِ يَأخُذُنا بِتَفصيلٍ أكبَرَ إلى الكِتاباتِ في الإحالَةِ، وهيَ مَوضوعٌ سنُوَفِّيهِ حَظَّهُ مِن النَّظَرِ في الفَصلِ 7. ويَمنَحُنا هذا أيضًا فُرصَةَ النَّظَرِ على نَحوٍ أعَمَّ في ما يَنبَغي أن يُقالَ بِشَأنِ مَعنَى 'الله'

(4) يَذهَبُ غابرييل سيترن Gabriel Citron، الذي كانَ لِمُناقَشتي إيّاهُ عَونٌ كَبيرٌ في تَقويمي لِلاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ، إلى أنَّ التَّأويلَ الذي هوَ أكثَرُ جَذرِيَّةً مُسَوَّغٌ.

وإحالَتِهِ بِمَعزِلٍ عن اللاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ. لِذلكَ، علَينا أن نُرجِئَ حُكمَنا النِّهائيَّ بِشَأنِ مَدى إمكانِ اللاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ أن يَرُدَّ رَدًّا كافِيًا عَلى هذا الاعتِراضِ إلى نِهايَةِ القِسمِ الأوَّلِ. [25]

3

باركلي

يُقَدِّمُ جورج باركلي أُطروحَةً لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ تَفوقُ في تَفصيلِها وأَهَمِّيَّتِها جَميعَ ما أَسهَمَ بِهِ مُتَقَدِّمُو فَلاسِفَةِ العَصرِ الحَديثِ الأَساسِيُّونَ مِن أُطروحاتٍ لَها، وإن كانَتْ كِتاباتُهُ في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ كَثيرًا مّا تُغفَلُ. وقد تَوَسَّعَ في بيانِ أفكارِهِ بِشَأنِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ في مُحاورَتِهِ *ألسيفرون* التي نَشَرَها عامَ 1732، بَيدَ أَنَّ إحدَى إضاءاتِهِ الأَساسِيَّةِ، وهيَ التي مُفادُها أَنَّ ثَمَّةَ أَلفاظًا مُعَيَّنَةً تُعَبِّرُ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ وتَستَثيرُها، كانَتْ حاضِرَةً قَبلَ ذلكَ في عامِ 1710، في كِتابِهِ *رِسالَةٌ في مَبادِئِ المَعرِفَةِ الإنسانِيَّةِ* *A Treatise concerning the Principles of Human Knowledge*، إذ جاءَ فيهِ قَولُهُ: ’ثُمَّ إنَّ تَوصيلَ الأفكارِ التي تُشيرُ إليها الكَلِماتُ ليسَ الغايَةَ الأَساسِيَّةَ والوَحيدَةَ لِلُّغَةِ، على ما يَشيعُ افتِراضُهُ. فثَمَّةَ غاياتٌ أُخرَى، كإثارَةِ عاطِفَةٍ مّا، والتَّحفيزِ على أداءِ فِعلٍ مّا أو التَّخذيلِ عن أدائهِ، وجَعلِ العَقلِ في وَضعٍ مَخصوصٍ‘ (1949, p. 37). وكانَ باركلي كذلِكَ أَوَّلَ فَيلَسوفٍ مِن مُتَقَدِّمِي فَلاسِفَةِ العَصرِ الحَديثِ يُنَبِّهُ على الأَهَمِّيَّةِ النَّظَرِيَّةِ لِلُّغَةِ غَيرِ التَّمثيلِيَّةِ. على أَنَّ باركلي لَم يَعمِدْ إلّا في كِتابِهِ المُتَأَخِّرِ *ألسيفرون*، ولا سِيَّما مُعالَجَتُهُ فيهِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، إلى الجَمعِ بينَ فِكرَةِ أَنَّ ثَمَّةَ تَعبيراتٍ دِينِيَّةً مُعَيَّنَةً غَيرَ تَمثيلِيَّةٍ، ونَظَرِيَّةٍ تَعبيرِيَّةٍ/استِثارِيَّةٍ إيجابِيَّةٍ لِوَظيفتِها. وهذا الجَمعُ هوَ الذي يَجعَلُ باركلي تلكَ الشَّخصِيَّةَ المُتَقَدِّمَةَ المُهِمَّةَ في سِياقِ تَطَوُّرِ نَظَرِيّاتِ المَوقِفِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. وفي

الصَّفَحاتِ القادِمَةِ سَأَتَحَرّى بِإيجازٍ أُصولَ أُطروحَةِ باركلي في نَظَرِيَّةِ اللُّغَةِ عندَ لوك Locke*، ثُمَّ أنطَلِقُ لأُقَوِّمَ ما يَقولُهُ باركلي في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ.

باركلي ولوك

يُمكِنُ الوُقوفُ على أُصولِ أُطروحَةِ باركلي في نَظرِيَّةِ التَّواصُلِ التي طَوَّرَها جون لوك في البابِ الثّالِثِ مِن كِتابِهِ *مَقالَةٌ في الفَهمِ الإنسانِيِّ* ***An Essay concerning Human Understanding***. إذ يَرَى لوك أنَّ اللُّغَةَ بِناءٌ اصطِناعِيٌّ مِن أصواتٍ نُطقِيَّةٍ قابِلَةٍ لِلتَّكرارِ تُيَسِّرُ التَّواصُلَ مِن خِلالِ [26] استِعمالِها لِتَرمِزَ إلى أفكارٍ. 'لِذلكَ كانَ مِنَ الضَّرورِيِّ أيضًا، زِيادَةً على كَونِ الأصواتِ نُطقِيَّةً، أن يَكونَ [الإنسانُ] *قادِرًا على أن يَستَعمِلَها بِوَصفِها عَلاماتٍ لِتَصَوُّراتٍ داخِلِيَّةٍ*؛ وأن يَجعَلَها تَرمِزُ بِوَصفِها عَلاماتٍ إلى *الأفكارِ* التي في ذِهنِهِ، وبِذلكَ يُمكِنُ جَعلُها مَعلومَةً لِلآخَرينَ، ونَقلُ الأفكارِ التي في عُقولِ النّاسِ مِن بَعضِهِم إلى بَعضٍ' (1975, 3.1.2). والعَلاقَةُ بينَ الكَلِمَةِ والفِكرَةِ التي تَرمِزُ إليها عَلاقَةٌ 'اعتِباطِيَّةٌ'، بِالقَدرِ

---

* جون لوك (1632–1704م). فَيلَسوفٌ تَجريبيٌّ، ومُفَكِّرٌ سِياسِيٌّ إنجليزيٌّ. لَم يَنخَرِطْ في سلكِ رِجالِ الدِّينِ لِكراهتِهِ عَدَمَ التَّسامُحِ الدِّينيِّ البيوريتانيِّ عِندَ اللاهوتيِّينَ، فدَرَسَ بَدَلًا مِن ذلكَ الطِّبَّ ومارَسَ التَّجريبَ العِلميَّ حتّى عُرِفَ باسمِ الدُّكتور لوك. ذَهَبَ إلى أنَّ المَعرِفَةَ مَقصورةٌ على ما تَمنَحُنا إيّاهُ التَّجرِبةُ، وأن لَو كانَتْ لَدَينا حاسَّةٌ زائدةٌ أو نَقَصَتْ حاسَّةٌ مِن حَواسِّنا، لاختلَفَت تَجربتُنا ومَعرفتُنا لِلعالَمِ زِيادةً أو نُقصانًا. ورَأى أنَّ الأفكارَ التي نُكَوِّنُها لَيسَتْ صُوَرًا مُطابِقَةً لِلأشياءِ، ولَيسَتْ أشباهًا لها، لكِنَّها عَلاماتٌ تَدُلُّ عليها، شَأنُها في ذلكَ شَأنُ الألفاظِ؛ فهيَ لا تُشبِهُ المَعانيَ التي تقومُ في النَّفسِ عندَ سَماعِها، ولكِنَّها تَدُلُّ عليها. ورَأى أنَّ وظيفةَ اللُّغَةِ التَّواصُلُ بينَ النّاسِ والإفصاحُ عمّا يَعتَمِلُ في عُقولِهِم مِن أفكارٍ ومَعانٍ، وأنَّ الألفاظَ تَدُلُّ على جُزئيّاتٍ مادِّيَّةٍ، وبِالانتِباهِ إلى الخصائصِ المُشتركةِ بينَ الجُزئيّاتِ وفَصلِها عن الخَصائصِ الذّاتيَّةِ لِكُلِّ جُزئيٍّ نَحصلُ على مَعانٍ كُلِّيَّةٍ نُخَصِّصُ لِكلٍّ منها اسمًا يُغنينا عن كثيرٍ مِن الألفاظِ التي تَرمِزُ إلى كلِّ جُزئيٍّ. وأطلَقَ لوك على هذهِ العمليَّةِ اسمَ التَّجريدِ، وقالَ إنَّ المَعنى الكُلِّيَّ ناقِصٌ، يَحتَوي بعضَ خَصائصِ الأشياءِ، وكُلَّما ازدادَتْ كُلِّيَّتُهُ ازدادَ نَقصُهُ، وإنَّ المَعانيَ الكُلِّيَّةَ يَصنَعُها الفِكرُ ولَيسَتْ صُوَرًا لِلأشياءِ ولا تُشيرُ إلى أصولِها أو جَواهِرِها، ولَيسَتْ مَعرفةً واقعيَّةً لأنَّها ليسَتْ مَعنِيَّةً بِالوُجودِ مُباشَرَةً. مِن مؤلَّفاتِهِ: (رِسالَةٌ في التَّسامُحِ)؛ و(في الحُكمِ المَدَنِيّ)؛ و(مَقالَةٌ في الفَهمِ الإنسانيّ). [المُترجِم]

الذي قَد أنشَأتْها بِهِ اختِيارات المُجتَمَعِ اللُغَوِيِّ وأعرافُهُ. فإن أُقيمَتْ عَلاقاتُ الكَلِماتِ بِالأفكارِ، أمكَنَ استِعمالُ الكَلِماتِ لِتَسجيلِ الأفكارِ ونَقلِها ومِن ثَمَّ تَسجيلُ الأفكارِ التي تُشَكِّلُها ونَقلُها. فَمَذهَبُ لوك، عُمومًا، *'أنَّ الكَلِماتِ في دَلالَتِها الأوَّلِيَّةِ أو المُباشِرَةِ لا تَرمِزُ إلى شَيْءٍ، سِوَى الأفكارِ التي في ذِهنِ مُستَعمِلِها'* (1975, 3.2.2).

وقَد نُظِرَ إلى نَظرِيَّةِ لوك على أنَّها تَقودُ إلى شَكلٍ مُتَطَرِّفٍ مِن أشكالِ الذّاتِيَّةِ. فإذا كانَتِ الكَلِماتُ لا تَرمِزُ إلّا إلى الأفكارِ التي في ذِهنِ المُتَكَلِّمِ، فالذي يَبدو أنَّ النَّتيجَةَ هيَ أنّا ليسَ بِوُسعِنا أن نتحَدَّثَ إلّا عن حالاتِنا الذِّهنِيَّةِ الخاصَّةِ. ويُعَبِّرُ ج.س. مِل J.S. Mill* عن هذا الاعتِراضِ بِالطَّريقَةِ الآتِيَةِ: 'قَولي: "الشَّمسُ هيَ سَبَبُ النَّهارِ"، لا أعني بِهِ أنَّ فِكرَتي عن الشَّمسِ تُسَبِّبُ فِكرَةَ النَّهارِ أو تُثيرُ فِيَّ فِكرَتَهُ' (Mill 1973, p. 25). فغالِبًا مّا تَكونُ الأشياءُ التي في العالَمِ والتي لَدَينا أفكارٌ عَنها هيَ ما نَعُدُّهُ مُمَثَّلًا في اللُّغَةِ لا الأفكارُ التي لَدَينا عَن هذهِ الأشياءِ. ويَبدو أنَّ نظرِيَّةَ لوك تَؤولُ إلى النَّتيجَةِ العَبَثِيَّةِ التي مُفادُها أن ليسَ بِإمكانِنا أن نَتَحَدَّثَ عن الأشياءِ، بَل بإمكانِنا أن نَتَحَدَّثَ عن أفكارِنا عَنها فَقَط. ثُمَّ إذا كانَتْ كَلِماتُ المُتَكَلِّمِ لا تَدُلُّ إلّا على حالاتِهِ الذِّهنِيَّةِ وكانَ السّامِعُ يَفهَمُ هذهِ الكَلِماتِ على أنَّها دالَّةٌ على حالاتِهِ (أي حالاتِ السّامِعِ) الذِّهنِيَّةِ الخاصَّةِ، فكيفَ يُمكِنُ حُدوثُ تَواصُلٍ فَعّالٍ بينَ المُتَكَلِّمِ والسّامِعِ؟

---

* جون ستيوَرت مِل (1806–1873م). ابنُ الفَيلَسوفِ جَيمس مِل. وُلِدَ بِلَندَن، ولَم يَتَلَقَّ العِلمَ في المَدارِسِ بَل علَّمَهُ أبوهُ. أثَّرَتْ فيهِ كتاباتُ فَيلَسوفِ النَّفعِيَّةِ بينثام، وانخَرَطَ في جَماعَةِ الفَلاسِفَةِ الرّادِكالِيِّينَ التي كانَ أبوهُ مِن زُعَمائها. لكِن سرعانَ ما أُصيبَ بِرَدِّ فِعلٍ مُضادٍّ لِلآراءِ العَقلِيَّةِ والأخلاقِيَّةِ التي ذَهَبَ إليها أبوهُ والفَلاسِفَةُ الرّادِكالِيُّونَ، ووَقَفَ على كِتاباتِ سان سيمون وأوغست كونت وكوليريج فأثَّرَتْ فيهِ، فَعارَضَ المذهَبَ العَقلِيَّ بِالمَذهَبِ الحِسِّيِّ. والمذهَبُ العَقلِيُّ يَعني عندَهُ المذهَبَ الحَدْسِيَّ الذي يَزعُمُ أنَّ العَقلَ قَد فُطِرَ على المَعاني والمَبادِئِ. ولَم يَنفِ الحَدْسَ تَمامًا بِوَصفِهِ مَصدَرًا لِلمَعرِفَةِ، بَل قَصَدَ تَقليلَ المسائلِ التي يدَّعي العَقلُ العِلمَ بِها ما أمكَنَ. مِن أهَمِّ آثارِهِ: (استِعبادُ النِّساء)؛ و(الحُكوماتُ البَرلَمانِيَّة)؛ و(النَّفعِيَّة). [المُترجِم]

وثَمَّةَ تَأويلاتٌ لِنظريَّةِ لوك أكثرُ رِفقًا تَتجَنَّبُ اعتِراضَ مِل. مِنها، عَلى سَبيلِ المِثالِ، أنَّ لوك يَدَّعي أنَّ الكَلِماتِ تَتعَلَّقُ بِالأفكارِ بِوَصفِها دَلالَتَها *الأوَّلِيَّةَ* أو *المُباشِرَةَ*، مُتيحًا بِذلكَ إمكانَ أن تَتعَلَّقَ الكَلِماتُ بِالأشياءِ أيضًا بِوَصفِها دَلالَةً (ثانَوِيَّةً وغَيرَ مُباشِرَةٍ). ويَرَى كريتزمان Kretzmann* أنَّهُ 'مَتَى ما أصبَحَ واضِحًا أنَّ الكَلِماتِ لا تَدُلُّ *على شَيْءٍ سِوَى* أفكارِ مُستَعمِلِها إلّا عَلى نَحوٍ *مُباشِرٍ*، اتَّضَحَ أيضًا أنَّهُ إذا كانَتِ الأفكارُ المَدلولُ عليها مُباشَرَةً هيَ *أنفُسُها* عَلاماتٍ - أي أفكارًا تَمثيلِيَّةً - فَإنَّ أُصولَها قَد تَكونُ مَدلولًا عليها بِهذِهِ الكَلِماتِ *على نَحوٍ غَيرِ مُباشِرٍ*' (1975, p. 133). ويَرَى كريتزمان أنَّ حاصِلَ أُطروحَةِ لوك هوَ أنَّ الكَلِماتِ قادِرَةٌ على الإحالَةِ على الأشياءِ التي في العالَمِ بِفِعلِ ارتِباطِها المُباشِرِ بِالأفكارِ التي تُمَثِّلُ هذهِ الأشياءَ. والدَّلالَةُ المُباشِرَةُ لِلأفكارِ لا تَقودُ إلى الذّاتِيَّةِ، بَل تُيَسِّرُ استِعمالَنا الكَلِماتِ لِلإحالَةِ على الأشياءِ. ثُمَّ إنَّ اعتِراضَ مِل يُؤَوِّلُ نظريَّةَ لوك بِأنَّها بِمَنزِلَةِ أن يُقالَ إنَّ الكَلِماتِ *تُحيلُ* في المَقامِ الأوَّلِ على الأفكارِ. بَيدَ أنَّ ثَمَّةَ أُطروحَةً لِـ 'الدَّلالَةِ' أكثَرَ حَسّاسِيَّةً مِن النّاحيَةِ التّاريخِيَّةِ تَرَى أنَّ كلمةَ 'يُحيلُ' يَنبَغي أن تُفهَمَ [27] بِوَصفِها فِكرَةً أكثَرَ فَضفاضِيَّةً بِكَثيرٍ، فِكرَةً لا تَشتَمِلُ على الإحالَةِ فَحَسْبُ بَل تَشمَلُ أيضًا التَّمثيلَ، والتَّعبيرَ، وعَلى العُمومِ الطَّرائقَ التي يُمكِنُ بِها أن تَكونَ الكَلِمَةُ ذاتَ مَعنًى (Ashworth, 1981, p. 310). وبِذلكَ يُمكِنُ أن تَدُلَّ الكَلِمَةُ على شَيْءٍ في العالَمِ بِفِعلِ الإحالَةِ عليهِ وأن تَدُلَّ أيضًا على فِكرَةٍ لأنَّ الفِكرَةَ المُصاحِبَةَ تُرَسِّخُ إحالَةَ الكَلِمَةِ.

باركلي واللُغَةُ الدِّينِيَّة

عَرَضَ باركلي أفكارَهُ المُتعلِّقَةَ بِاللُغَةِ الدِّينِيَّةِ في كِتابِهِ *ألسيفرون*، في القِسمِ السّابعِ

* نورمان ج. كريتزمان (1928-1998م). أستاذُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ كورنيل. مُتَخَصِّصٌ في تاريخِ الفَلسَفَةِ الوَسيطِيَّةِ وفي فَلسَفَةِ الدِّينِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (ميتافيزيقا الخَلقِ: اللاهوتُ الطَّبيعِيُّ لِلأكوينِيِّ في كِتابِ الخُلاصَة)؛ و(ميتافيزيقا الألوهِيَّةِ: اللاهوتُ الطَّبيعِيُّ لِلأكوينِيِّ في كِتابِهِ الخُلاصَة في الرَّدِّ عَلى الكُفّار)؛ و(عَناصِرُ المَنطِقِ الصُّورِيّ). [المُترجِم]

مِنهُ، مِن خِلالِ حِوارٍ بينَ مُنتَقِدٍ لِلعَقيدَةِ المَسيحِيَّةِ هوَ ألسيفرون، ويوفرانور Euphranor وكريتو Crito المُدافِعَيْنِ عن العَقيدَةِ المَسيحِيَّةِ والمُفصِحَيْنِ عن مَوقِفِ باركلي الشَّخصِيِّ. وهَدَفُ القِسمِ السّابعِ مِن الكِتابِ مُعالَجَةُ حُجَّةٍ قَدَّمَها ألسيفرون مُفادُها أنَّ استِعمالَ اللُغَةِ الدِّينِيَّةِ يَتَضَمَّنُ في كَثيرٍ مِن الحالاتِ 'مُجَرَّدَ أشكالٍ كَلامِيَّةٍ، لا تَعني شَيئًا، ولا يُفيدُ مِنها البَشَرُ' (1950, p. 287). ويَبدَأُ النِّقاشُ بِمُراجَعَةٍ لِنظرِيَّةِ الدَّلالَةِ عندَ لوك. إذ يُرَدِّدُ ألسيفرون ما قالَهُ لوك مِن أنَّ الكَلماتِ تَرمِزُ إلى أفكارٍ: 'فَمَن يُلحِقْ فِكرَةً واضِحَةً بِكُلِّ كَلِمَةٍ يَستَعمِلُها يَتَكَلَّمْ بِكَلامٍ ذي مَعنًى؛ أمّا إن غابَتِ الأفكارُ فإنَّ ما يَنطِقُهُ المُتَكَلِّمُ يَكونُ هُراءً' (1950, p. 287). ثُمَّ إنَّهُ يُوافِقُ على أنَّ التَّواصُلَ يُنجَزُ باستِعمالِ الكَلِماتِ 'مِن أجلِ أن تُثيرَ لَدَى السّامِعِ الأفكارَ التي في ذِهنِ المُتَكَلِّمِ'، في حينِ أنَّ 'الكَلِماتِ التي لا تُوحي بِأيَّةِ أفكارٍ تَكونُ غَيرَ دالَّةٍ' و'لا تُؤَدّي أيَّ غَرَضٍ' (1950, p. 287). وعُدَّ وُجوبُ أن تَكونَ *كُلُّ كَلِمَةٍ* مُستَعمَلَةٍ دالَّةً على فِكرَةٍ في ذِهنِ المُتَكَلِّمِ ومُوحِيَةً بِفِكرَةٍ مُشابِهَةٍ إلى السّامِعِ مِن مُقتَضَياتِ تَوافُرِ الوُضوحِ والإفادَةِ والمَعنى في الخِطابِ. (وسنَرَى الآنَ أنَّهُ إذا كانَ باركلي مُتَعاطِفًا معَ أُطروحَةِ لوك، فإنَّهُ يُخَفِّفُ مِن حِدَّةِ هذا الشَّرطِ: فَثَمَّةَ أصنافٌ مُعَيَّنَةٌ مِن الكَلِماتِ وبَعضُ التَّعبيراتِ الدِّينِيَّةِ المَركَزِيَّةِ يُمكِنُ أن تَكونَ دالَّةً مِن غَيرِ أن تَرمِزَ إلى أفكارٍ أو تُوحِيَ بِها). ويَمضي ألسيفرون في تَطويرِ نَظرِيَّةِ لوك لِيُقَدِّمَ نَقدَهُ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. إذ يُشيرُ، أوَّلًا، إلى أنَّ تَثبيتَ مَدَى دَلالَةِ قَولٍ مّا يَحتاجُ إلى النَّظَرِ في مَدَى حِيازَةِ الكَلِماتِ المُستَعمَلَةِ فيهِ أفكارًا مُناظِرَةً واضِحَةً. ويَذهَبُ ألسيفرون، ثانِيًا، إلى أنَّ عَدَمَ مَيلِنا إلى أن نُفَكِّرَ مِن خِلالِ ما نَقولُهُ أو نَسمَعُهُ يُمكِنُ أن يَؤُولَ إلى أن نَستَعمِلَ كَلِماتٍ تَفتَقِرُ إلى مَعنًى، وقد تَكونُ كَلِماتٍ تُستَعمَلُ مِن أجلِ إنشاءِ تَمييزاتٍ واضِحَةِ الأهَمِّيَّةِ، إذ يَقولُ:

> يَنفِرُ النّاسُ عُمومًا مِن التَّفكيرِ، وإن كانوا يَميلونَ بِما يَكفي إلى النَّظَرِ في الخِطابِ عِندَهُم أو عندَ الآخَرينَ: ونَتيجَةُ ذلكَ امتِلاءُ عُقولِهِم بِالأسماءِ لا بِالأفكارِ، وبِقُشورِ العِلمِ لا بِالأشياءِ. ومعَ ذلكَ غالِبًا مّا تُنشِئُ هذهِ الكَلِماتُ التي لا مَعنَى لَها [28] تَمييزاتٍ لِلمَجموعاتِ المُتَخالِفَةِ، ولِمَوضوعاتِ خِلافاتِهِم، ولِلأهدافِ التي يَتَحَمَّسونَ لَها. (1950, p. 269)

ويَرَى ألسيفرون أنَّ استِعمالَ كَلِماتٍ لا تَدُلُّ على أفكارٍ هوَ 'أكثَرُ أسبابِ الغَلَطِ شُيوعًا'.

ويَمضي ألسيفرون مُحاوِلًا إظهارَ أنَّ 'سَببَ الغَلَطِ الشّائعَ' هذا يُمكِنُ أن يُوجَدَ على نَحوٍ واسِعٍ في اللُّغَةِ المَسيحِيَّةِ أيضًا. ومِن أجلِ إثباتِ ذلكَ، يُسَلِّطُ الضَّوءَ على مَفهومِ النِّعمَةِ grace الأساسِيِّ. فَكثيرًا ما يُحالُ على النِّعمَةِ في العَهدِ الجَديدِ؛ إذ يُقالُ إنَّها هِبَةٌ مِن اللهِ، وإنَّها تُؤَثِّرُ في اعتِقاداتِ النّاسِ وأفعالِهِم، وإنَّها الوسيلَةُ التي يَتَحَقَّقُ بِها الخَلاصُ: 'فالمَسيحِيَّةُ تُسَمّى ميثاقَ النِّعمَةِ أو تَدبيرَها' (1950, p. 289). على أنَّ ألسيفرون يُعلِنُ حَيرَتَهُ عندَ النَّظَرِ في الفِكرَةِ التي تُناظِرُ كلمةَ 'نِعمَة'. 'فإن أُخِذَتِ النِّعمَةُ بِمَعناها الدّارِجِ، إمّا بِمَعنَى الجَمالِ وإمّا بِمَعنَى الفَضلِ، كانَ بِإمكاني فَهمُها بِسُهولَةٍ. أمّا إن دَلَّتْ على مَبدَإٍ فَعّالٍ، حَيَوِيٍّ، حاكِمٍ، مُؤَثِّرٍ في عَقلِ الإنسانِ وعامِلٍ فيهِ، ومُتَميِّزٍ مِن كُلِّ قُوَّةٍ أو دافِعٍ، فإنّي أُقِرُّ بِأنّي عاجِزٌ تمامًا عن فَهمِها، أو عن تَأطيرِ أيَّةِ فِكرَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ لَها' (1950, p. 290). ويُزَوِّدُ باركلي ألسيفرون بِحُجَّتَيْنِ مِن أجلِ أن يُوَسِّعَ هذهِ النُّقطةَ تَوسيعًا أكبَرَ لِتَشمَلَ استِعمالَ المَسيحِيِّينَ كلمةَ 'نِعمَة'. وتَتَجَلّى أُولَى الحُجَّتَيْنِ في نَظَرِ ألسيفرون في مَعنَى كلمةِ 'نِعمَة'، إذ وَجَدَ فيها 'خَواءً أو انعِدامًا تامًّا لِلأفكارِ'، وبِافتِراضِهِ تَشابُهَ القُدُراتِ الاستِبطانِيَّةِ البَشَرِيَّةِ ذَهَبَ إلى أنَّ سائرَ البَشَرِ إن تَفَكَّروا في مَعنَى الكَلِمَةِ فإنَّهُم 'سيُوافِقونَني في أن ليسَ فيها أيُّ شَيْءٍ سِوَى اسمٍ فارِغٍ' (1950, p. 290). أمّا الحُجَّةُ الثّانِيَةُ فذَهابُ ألسيفرون – على نَحوٍ أكثَرَ عِدائيَّةً – إلى عَدَمِ تَوافُرِ فِكرَةٍ مُتَماسِكَةٍ لِلنِّعمَةِ. فالمَسيحِيُّونَ إذ يَقولونَ إنَّ النِّعمَةَ شَيْءٌ مّا 'يَفعَلُ' و'يَتَحَرَّكُ' ويُسَبِّبُ حُدوثَ أشياءَ مُعَيَّنَةٍ، عَلى سَبيلِ المِثالِ، إنَّما يَستَخدِمونَ كَلِماتٍ تَبدو دَلالاتُها واضِحَةً ومَفهومَةً تَمامًا حينَ تُستَخدَمُ لِوَصفِ سُلوكِ الأشياءِ المادِّيَّةِ. على أنَّهُ لا يَلزَمُ مِن ذلكَ أنَّ لِهذِهِ الكَلِماتِ دَلالاتٍ واضِحَةً كذلكَ عِندَ استِعمالِها لِلأشياءِ 'الرُّوحِيَّةِ'. فَوَصفُ شَيْءٍ مّا 'رُوحِيّ' بِأنَّهُ 'يَفعَلُ' أو 'يَتَحَرَّكُ' هوَ، بِعَكسِ ذلكَ، 'مُراوَغَةٌ جَلِيَّةٌ'. فالحُجَّةُ التي يَعزُوها باركلي إلى ألسيفرون هيَ أنَّ المَسيحِيِّينَ بِافتِراضِهِم كَونَ الحَديثِ عن الصِّفاتِ الفَعّالَةِ سَبَبِيًّا لِلنِّعمَةِ ذا

مَضمونٍ، إنّما يَستَغِلُّونَ بِلا مُسَوِّغٍ كَونَ هذهِ الكَلِماتِ مَألوفَةً وواضِحَةً عندَ الكَلامِ على الصِّفاتِ المادِّيَّةِ والعَلاقاتِ السَّبَبِيَّةِ بينَ الأشياءِ المادِّيَّةِ. أمّا حينَ تُستَعمَلُ هذهِ الكَلِماتُ لِلتَّوسُّعِ في الحَديثِ عن طَبيعَةِ النِّعمَةِ أو لِوَصفِ طَبيعَتِها، فلا يَكونُ لِهذهِ الكَلِماتِ مَعنًى واضِحٌ. ويَستَنتِجُ ألسيفرون أنَّهُ ما دُمْنا لا نَمتَلِكُ فِكرَةً واضِحَةً مُناظِرَةً لِكَلِمَةِ 'نِعمَة'، 'فليسَ بِإمكانِنا أن نَقبَلَ أيَّةَ قَضِيَّةٍ تتعلَّقُ بها' أو أن يَكونَ لَنا أيُّ إيمانٍ بها. [29]

ويُقَدِّمُ باركلي، مُستعمِلًا شَخصِيَّةَ يوفرانور، رَدًّا مُفاجِئًا ومُخادِعًا عَلى ما جاءَ بِهِ ألسيفرون. إذ يُسَلِّمُ بِأنَّ كلمةَ 'نِعمَة' لا تُوحي بِفِكرَةٍ واضِحَةٍ لكِنَّهُ يُخالِفُ ما استَنتَجَهُ ألسيفرون مِن أنَّ هذا التَّعبيرَ غَيرُ دالٍّ بِسببِ ذلكَ أو أنَّهُ لا يُمكِنُ أن يَكونَ هَدَفًا لِلإيمانِ. فقَد عَزا باركلي، مِن وَجهٍ مُعَيَّنٍ، إلى ألسيفرون حُجَّةً مِن نَمَطِ حُجَّةِ رَجُلِ القِشِّ straw man argument*، لِكَونِها تَعتَمِدُ على الافتِراضِ غَيرِ المَنطقِيِّ الذي مُفادُهُ أنَّ *كُلَّ* كَلِمَةٍ يَجِبُ أن تَرمِزَ إلى فِكرَةٍ مِن أجلِ أن تَكونَ دالَّةً. وكانَ باركلي يَعي أنَّ لوك قَد أدرَكَ أنَّ هذا خَطَأٌ، لِوُجودِ عَدَدٍ كَبيرٍ مِن الكَلِماتِ التي تُسهِمُ في الخِطابِ الدّالِّ لكِنَّها لا تَرمِزُ إلى أفكارٍ واضِحَةٍ أو مُتَمَيِّزَةٍ أو تُوحي بِها. فقد قالَ لوك عن الكَلِمَتَينِ و *and* ولكِن *but*: 'إنَّهُما لَيسَتا، هُما بِأنفُسِهِما، اسمَيْنِ لأيَّةِ فِكرَتَيْنِ' (1975, 3.7.2)، وإن كانَ مِن الواضِحِ أنَّ لَهُما أثَرًا مُهِمًّا في التَّواصُلِ. ويُطَوِّرُ باركلي هذهِ الفِكرَةَ بِطَريقتَيْنِ. فالطَّريقَةُ الأُولى هيَ

---

* حُجَّةُ رَجُلِ القِشِّ (أو مُغالَطَةُ رَجُلِ القِشِّ): هيَ التي يَعمِدُ فيها المَرءُ إلى مُهاجَمَةِ نَظَرِيَّةٍ أخرى غَيرِ حَصينَةٍ بَدَلًا مِن نَظَرِيَّةِ الخَصمِ الحَقيقيَّةِ تَحتَ سِتارِ تَعمِيَةٍ بِتَشابُهِ الأسماءِ أو مِن طَريقِ تَغييرِ خَصائصِ النَّظَرِيَّةِ الأصليَّةِ بِبَترِها عَن سِياقِها الحَقيقيِّ أو بِإزاحَتِها إلى رُكنٍ قَصِيٍّ مُتَطَرِّفٍ. ويُشبِهُ هذا الجهدُ العَقليُّ العَقيمُ، سَواءٌ أَحسُنَتِ النِّيَّةُ أم ساءَت، رَميَ خَصمٍ مِن القِشِّ بَدَلًا مِن الخَصمِ الحَقيقيِّ، إذ إنَّ مُنازَلَةَ رَجُلٍ "دُميَة" أيسَرُ كَثيرًا مِن مُنازَلَةِ رَجُلٍ حَقيقيٍّ. وتَأتي التَّسمِيَةُ مِن مُمارَسَةٍ كانَتْ شائعَةً في العُصورِ الوُسطى، كانَت تُستَخدَمُ فيها دُميَةٌ عَلى هَيئةِ رَجُلٍ مَحشُوَّةٌ بِالقِشِّ لِتُمَثِّلَ "الخَصم" في مُمارَسَةِ المُقارَعَةِ بِالسَّيفِ. ولا تَزالُ بَعضُ أشكالِ هذهِ المُمارَسَةِ شائعَةً في أيّامِنا، ولا سِيَّما في مَواقِفِ التَّعبيرِ عَن الاحتِجاجِ ومُظاهَراتِ المُناهَضَةِ السِّياسِيَّةِ. [المُتَرجِم]

ما عَمَدَ إليهِ باركلي مِن تَوسيعِ جَوهَرِيٍّ لِصِنفِ الكَلماتِ التي هيَ مُفيدَةٌ لكِن ليسَتْ لَدَينا أفكارٌ واضِحَةٌ ومُتَمَيِّزَةٌ لَها، لِيَشمَلَ التَّعبيراتِ التي مِن قَبيلِ *نَفْسي*، *وإرادَة*، *وذاكِرَة*، وحُبّ، وبُغض، والكُلِّيّاتِ أيضًا مِثل *أحمَر*، ومُرَبَّع، وعَدَد. فالذي يَراهُ باركلي إجمالًا أنّا نَفتَقِرُ إلى أفكارٍ تَجريدِيَّةٍ تُناظِرُ الألفاظَ العامَّةَ[1]. والطَّريقَةُ الثّانِيَةُ هيَ ذَهابُ باركلي إلى أنَّ الكَلِماتِ قَد تَكونُ دالَّةً بِفِعلِ أدائها وَظيفَةً عَمَلِيَّةً هيَ 'التَّأثيرُ في سُلوكِنا وفِعلِنا' في الوَقتِ الذي لا تَدُلُّ فيهِ على أفكارٍ. ومِن أجلِ أن يُبَيِّنَ ذلكَ، يَلجَأُ إلى مُقارَنَةِ الكَلماتِ بِالفِيَشِ التي تَحلُّ مَحلَّ النُّقودِ في المُراهَناتِ، حَيثُ يَتَوافَقُ اللاعِبونَ على تَأشيرِ الفِيَشِ لِتُمَثِّلَ مَبالِغَ مَخصوصَةً مِن المالِ. فلِلفِيَشِ وَظيفَةٌ عَمَلِيَّةٌ مُفيدَةٌ، لأنَّ المُراهَنَةَ بِاستِعمالِ الفِيَشِ أسهَلُ مِنها بِاستِعمالِ النَّقدِ وأسرَعُ مِن حَيثُ رُؤيَةُ مَوقِفِ كُلِّ لاعِبٍ وتَحديدُ حالاتِ الفَوزِ. على أنَّ مِن الواضِحِ إمكانَ مُمارَسَةِ اللُّعبَةِ واستِعمالَ الفِيَشِ مِن غَيرِ تَأطيرِ أفكارٍ بِشَأنِ ما تُمَثِّلُهُ الفِيَشُ، وإن كانَتْ كُلُّ فيشَةٍ تَدُلُّ على مَبلَغٍ مِن المالِ. فيَرَى باركلي أنَّ بِإمكانِنا استِعمالَ الكَلِماتِ كما نَستَعمِلُ الفِيَشَ: لِتَوجيهِ سُلوكِنا وقَراراتِنا مِن غَيرِ أن تَكونَ لَدَينا فِعلِيًّا أفكارٌ بِشَأنِ ما تَدُلُّ عليهِ. ويَستَنتِجُ، على نَحوٍ أعَمَّ، أنَّ الخِطابَ 'الذي يُوَجِّهُ الفِعلَ أو يَدفَعُ إلى عَمَلِ فِعلٍ مّا أو الامتِناعِ عن عَمَلِهِ قَد يَكونُ، في ما يَبدو، مُفيدًا ودالًا، وإن كانَتِ الكَلِماتُ التي يَتَألَّفُ منها رُبَّما لا تَحمِلُ كُلُّ واحِدَةٍ مِنها فِكرَةً مُتَمَيِّزَةً إلى عُقولِنا' (1950, p. 292).

وتَمَثَّلَ رَدُّ باركلي مِن خِلالِ يوفرانور عَلى شَكِّيَّةِ ألسيفرون بِشَأنِ دَلالَةِ لُغَةِ النِّعمَةِ المَسيحِيَّةِ في تَسليمِهِ بِما ذَهَبَ إليهِ ألسيفرون مِن افتِقارِنا إلى فِكرَةٍ واضِحَةٍ بِشَأنِ النِّعمَةِ ولكِنَّهُ دافَعَ عَن دَلالَةِ لُغَةِ النِّعمَةِ استِنادًا إلى فائدَتِها العَمَلِيَّةِ. أي إنَّهُ

---

(1) تَعتَمِدُ حُجَّةُ باركلي التي مُفادُها أنّا لَيسَتْ لَدَينا أفكارٌ مُناظِرَةٌ لِلألفاظِ العامَّةِ على نَقدِهِ لِنَظريَّةِ التَّجريدِ لِلوك (لِلوُقوفِ على مُناقَشَةٍ لِذلكَ، يُنظَر: Mackie [1976] وLowe [1995]). والبَحثُ في مَزايا هذهِ الحُجَجِ يَبتَعِدُ بِنا كَثيرًا عن مَوضوعِنا الحاليِّ؛ ويَكفي في ما يَتعلَّقُ بِحُجَّةِ باركلي بِشَأنِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ أن يُذكَرَ ذلكَ بِوَصفِهِ حالَةَ قَطيعَةٍ معَ النَّظريَّةِ التي مُفادُها أنَّ الكَلماتِ يَجِبُ أن تَرمِزَ إلى أفكارٍ مِن أجلِ أن تَكونَ دالَّةً.

يُسَلِّمُ بِأَنَّ 'النِّعمَة' لا تَرمِزُ إلى فِكرَةٍ واضِحَةٍ ومُتَمَيِّزَةٍ. بيدَ أَنَّ هذهِ الكَلِمَةَ معَ ذلكَ دالَّةٌ لأثَرِها العَمَلِيِّ المُتَمَثِّلِ في تَشجيعِ السُّلوكِ على وَفقِ العَقيدَةِ المَسيحِيَّةِ. 'فبِوُسعِ النِّعمَةِ... أن تَكونَ [30] هَدَفًا لإيمانِنا، وأن تُؤَثِّرَ في حَياتِنا وأفعالِنا، بوَصفِها مَبدَأً مُبطِلًا لِلعاداتِ الشِّرِّيرَةِ ومُنتِجًا لِلعاداتِ الخَيِّرَةِ، وإن لَم يَكُنْ بإمكانِنا حِيازَةُ فِكرَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ بِشَأنِها ' (1950, p. 296). ويَمضي باركلي لِيُقَدِّمَ أُطروحَةً مُشابِهَةً بِشَأنِ الثّالوثِ*. فقد اعتَقَدَ، أيضًا، أنّا نَفتَقِرُ إلى فِكرَةٍ واضِحَةٍ

* يُقَرِّرُ قانونُ الإيمانِ المسيحِيِّ الذي أقَرَّتْهُ كنيسَةُ روما العامَّةُ، بِناءً عَلى قَرارِ مجمعِ نيقيةَ المسكونيِّ لِلأساقِفَةِ عامَ 325م، أنَّ "يَسوعَ المسيحَ ابنُ اللهِ الوَحيدُ، المولودُ مِن الآبِ قَبلَ كُلِّ الدُّهورِ، نورٌ مِن نورٍ، إلهٌ حَقٌّ مِن إلهٍ حَقٍّ، مَولودٌ غَيرُ مَخلوقٍ، مُساوٍ لِلآبِ في الجَوهَرِ، الذي بِهِ كانَ كُلُّ شَيءٍ، الذي مِن أجلِنا نَحنُ البَشَرَ ومِن أجلِ خَلاصِنا نَزَلَ مِن السَّماءِ، وتَجَسَّدَ مِن الرُّوحِ القُدُسِ ومِن مَريَمَ العَذراءِ، وتَأَنَّسَ، وصُلِبَ عَنّا عَلى عَهدِ بيلاطس البنطيِّ، وتَأَلَّمَ، وقُبِرَ، وقامَ في اليَومِ الثّالِثِ". ولِذلكَ، يَعتَقِدُ الجُمهورُ الأعظَمُ مِن النَّصارى أنَّ اللهَ تَعالى واحِدٌ ذو أقانيمَ ثَلاثَةٍ، و'الأقنومُ' لَفظٌ يونانيٌّ يَعني الشَّخصَ Person، وهيَ: الآبُ، وهوَ الخالِقُ لِكُلِّ شَيءٍ والمالِكُ والضّابِطُ لِلكُلِّ؛ والابنُ، وهوَ المولودُ مِنهُ أزَلًا المُساوي لأبيهِ في الألوهِيَّةِ والرُّبوبِيَّةِ لأنَّهُ مِنهُ؛ والرُّوحُ القُدُسُ الذي يَعُدُّهُ الكاثوليكِيُّونَ مُنبَثِقًا مِن الآبِ والابنِ كِلَيهِما، في حين يَعُدُّهُ الرُّومُ الأرثوذكسِيُّونَ مُنبَثِقًا مِن الآبِ فقَط، أمّا البروتستانتِيُّونَ فيَكتَفونَ بِالقَولِ بِألوهِيَّةِ الرُّوحِ القُدُسِ وأنَّهُ أُقنومُ الذّاتِ الإلهِيَّةِ الثّالِثُ. والمسيحُ، عَلى وَفقِ هذهِ العَقيدَةِ، تَجَسَّدَ وصارَ إنسانًا، فهوَ إلهٌ إنسانٌ. وقَد رُدَّتْ هذهِ العَقيدَةُ بِأنَّها مُتَناقِضَةٌ؛ لأنَّها بِمَنزِلَةِ أن يُقالَ عَن شَيءٍ مُعَيَّنٍ إنَّهُ مُرَبَّعٌ ودائرَةٌ في الوَقتِ نَفسِهِ، أو مَوجودٌ ومَعدومٌ. لكِنَّ الكنيسَةَ الغَربِيَّةَ تُؤمِنُ بِذلكَ وتُقِرُّ بِأنَّهُ لا سَبيلَ لِلعَقلِ البَشَرِيِّ إلى فَهمِهِ وإدراكِهِ، وتَعُدُّهُ سِرًّا مِن أسرارِ اللهِ، وتُسَمِّيهِ 'سِرّ التَّجَسُّد'. عَلى أنَّ جُلَّ المُؤَرِّخينَ المسيحِيِّينَ يَعتَرِفونَ بِأنَّ هذا الاعتِقادَ لإلهِيَّةِ المسيحِ لَم يُصبِحْ عَقيدَةً مُستَقِرَّةً وسائدَةً بينَ المسيحِيِّينَ إلّا بَعدَ انقِضاءِ عَصرِ الحَوارِيِّينَ والتَّلاميذِ الأوائلِ لِلمَسيحِ عَلَيهِ السَّلامُ، إذ إنَّ كِتاباتِ الحَوارِيِّينَ ورَسائلَهُم تَدُلُّ عَلى أنَّهُم كانوا يَرَونَ المسيحَ نَبِيًّا بَشَرًا ورَجُلًا أيَّدَهُ اللهُ بِالمُعجِزاتِ لِيَرُدَّ النّاسَ إلى دِينِ اللهِ الذي ضَلُّوا عنهُ. ثُمَّ إنَّ التّاريخَ يَشهَدُ بِأنَّهُ قَد وُجِدَتْ ولا تَزالُ تُوجَدُ أعدادٌ غَيرُ قَليلَةٍ مِن عُلَماءِ النَّصارى وعامَّتِهِم مِمَّن أنكَروا تَأليهَ المسيحِ ورَفَضوا عَقيدَةَ التَّجَسُّدِ والتَّثليثِ، ومِن أشهَرِ المُوَحِّدينَ مِن رِجالِ الدِّينِ والمُفَكِّرينَ المسيحِيِّينَ المُتَأخِّرينَ اللاهوتِيُّ الإيطالِيُّ فاوستو باولو سوتسيني Fausto Paolo Sozzini، المعروفُ بِاسمِ فاوستوس سوسينوس Faustus Socinus أو فاوست سوسين Faust Socyn (1539–1604م)؛ والقَسُّ والعالِمُ البريطانِيُّ جوزيف بريستلي Joseph Priestley (1733–1804م)؛ وفَيلَسوفُ الدِّينِ المُعاصِرُ جون هِك John Hick =

عَن حَقيقَتِهِ، بيدَ أَنَّ الحديثَ عنهُ دالٌّ لأَثرِهِ العَمَلِيِّ المُتَمَثِّلِ في تَعديلِ مَواقِفِ المُؤمِنينِ وسُلوكِهِم.

> فبِإمكانِ المَرءِ أن يُؤمِنَ بِعَقيدَةِ الثّالوثِ، إن وَجَدَ الكِتابَ المُقَدَّسَ قَد كَشَفَ عن أنَّ الآبَ، والابنَ، والرُّوحَ القُدُسَ، هُمُ اللهُ، وأنَّهُ لا يُوجَدُ إلّا إلهٌ واحِدٌ هوَ اللهُ، وإن لَم يُؤَطِّرْ هذا المَرءُ في ذِهنِهِ أيَّةَ أفكارٍ تَجريدِيَّةٍ أو مُتَمَيِّزَةٍ عَن الثّالوثِ، أو الجَوهَرِ، أو الشَّخصِيَّةِ؛ بِشَرطِ أن يَكونَ لِهذا الإيمانِ بِالخالِقِ، والفادي، والمُطَهِّرِ، ارتِساماتٌ لائقَةٌ في ذِهنِهِ، فَيُوَلِّدَ فيهِ المَحَبَّةَ، والأَمَلَ، والعِرفانَ، والطّاعَةَ، ويُصبِحَ بِذلكَ مَبدَأً حَيَوِيًّا فاعِلًا، مُؤَثِّرًا في حَياتِهِ وأفعالِهِ، على نَحوٍ مُوافِقٍ لِفِكرَةِ عَقيدَةِ التَّخليصِ المَطلوبَةِ مِن المَسيحِيِّينَ. (1950, p. 297)

ولِعَقيدَةِ الخَطيئةِ الأصلِيَّةِ مُعالَجَةٌ مُشابِهَةٌ:

> فالخَطيئَةُ الأصلِيَّةُ، على سبيلِ المِثالِ، قَد يَجِدُ المَرءُ أنَّ مِن المُحالِ أن يُكَوِّنَ عَنها فِكرَةً تَجريدِيَّةً، أَو عَن طَريقَةِ انتِقالِها؛ ومعَ ذلكَ قَد يُوَلِّدُ الإيمانُ بِها في ذِهنِهِ مَعنًى مُنفَتِحًا على عَدَمِ جَدارَتِهِ، وعلى صَلاحِ مُخَلِّصِهِ: وقَد يَلزَمُ مِن ذلكَ عاداتٌ صالِحَةٌ، ويَلزَمُ مِنها أفعالٌ صالِحَةٌ، وهيَ الآثارُ الأَصيلَةُ لِلإيمانِ. (1950, p. 301)

ويُقَدِّمُ لَنا باركلي ما قَد يَكونُ أَقدَمَ نُسخَةٍ مُكَوَّنَةٍ بِوُضوحٍ لِلتَّعبيرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ. إذ يَرَى باركلي أنَّ الحَديثَ عن 'الأسرارِ الدِّينِيَّةِ' لا يُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً أو يَصِفُها بَل يُؤَدّي وظيفَةً عَمَلِيَّةً تتمَثَّلُ في حَثِّ المُؤمِنينَ وتَوجيهِهِم إلى أن يَكونَ تَفكيرُهُم

= (1922-2012م)، مُحَرِّرُ كِتابِ (أسطورَة تَجَسُّدِ الإلهِ في السَّيِّدِ المَسيحِ The Myth of God Incarnate) الذي تَرجَمَهُ إلى العَرَبِيَّةِ الدُّكتور نبيل صبحي، ونَشَرَتْهُ دارُ القَلَم الكُوَيتِيَّةُ في عام 1405هـ/ 1985م. وسيُشيرُ مُؤَلِّفُ الكِتابِ مايكل سكوت لاحِقًا في هذا الفَصلِ إلى نَقدِ جون هِك عَقيدَةَ التَّجَسُّدِ المسيحِيَّةَ. ولِلتَّوَسُّعِ في ما جاءَ مِن أفكارٍ في هامِشِنا هذا، يُنظَر: سعد رستم، التَّوحيدُ في الأناجيلِ الأربَعَةِ وفي رَسائلِ القِدِّيسَيْنِ بولس ويوحنّا، الأوائل لِلنَّشر والتَّوزيع، دمشق، الطَّبعة الأولى، 2002م. [المُتَرجِم]

وفعلُهُم على وَفقِ المَبادِئِ المَسيحِيَّةِ. 'فَنِطاقُ اشتِغالِهِ هوَ الإرادَةُ والوجدانُ لا الفَهمُ، وإنتاجُ حَياةٍ مُقَدَّسَةٍ لا نَظَرِيّاتٍ دَقيقَةٍ' (1950, p. 301). على أنَّ أُطروحَةَ باركلي لاتَفي هيَ أيضًا بِمُقتَضَياتِ التَّعبيرِيَّةِ التّامَّةِ، ذلكَ بِأَنَّهُ يَجعَلُ هذهِ النَّظرِيَّةَ لا تَمتَدُّ إلّا إلى الأفكارِ الدِّينِيَّةِ التي ليسَ بِإمكانِنا تَكوينُ فِكرَةٍ واضِحَةٍ عَنها. وعلى الرَّغمِ مِن أَنَّ الأَمثِلَةَ التي يُقَدِّمُها مَركزِيَّةٌ في المَسيحِيَّةِ (النِّعمَةُ، والثّالوثُ، والخَطيئَةُ الأَصلِيَّةُ، التي قَد وُصِفَتْ آنِفًا، والآخِرَةُ التي سنتَناوَلُها عَمّا قَريبٍ)، لا يَرَى أَنَّ أُطروحَتَهُ التَّعبيرِيَّةَ يَنبَغي أن تَمتَدَّ أبعَدَ كَثيرًا. أمّا ما يتعلَّقُ بِسائرِ الخِطابِ الدِّينِيِّ، فيُقَدِّمُ باركلي أُطروحَةً مَعرِفِيَّةً تَمامًا: [31] فالألفاظُ الدِّينِيَّةُ – ولا سِيَّما لَفظُ 'الله' – تُناظِرُ الأفكارَ التي تُحيلُ على سِماتٍ مَوجودَةٍ حَقًّا لِواقِعٍ دِينِيٍّ. بَل إنَّ باركلي يُؤمِنُ بِأَنَّ الكَثيرَ مِن الدَّعاوَى المَسيحِيَّةِ لَيسَ ذا مَضمونٍ مَعرِفِيٍّ فَحَسْبُ بَل يُمكِنُ الدِّفاعُ عنهُ عَقلِيًّا أيضًا؛ ويُلحَظُ أَنَّ كِتابَ *ألسيفرون* يُقَدِّمُ حُجَّةً لِوُجودِ اللهِ. ويُقَدِّمُ الكَلامُ على الثّالوثِ، والنِّعمَةِ، وعلى أسرارٍ دينِيَّةٍ أُخرَى بِوَصفِهِ مُحَفِّزًا ومُعَزِّزًا لِلتَّصرُّفاتِ، والمَواقِفِ، والمُمارَساتِ التي تُشَكِّلُ جُزءًا خاصًّا مِن العَقيدَةِ المَسيحِيَّةِ يُمكِنُ تَسويغُهُ عَقلِيًّا بِطريقَةٍ أُخرَى.

وقَبلَ الانتِقالِ إلى تَقويمِ نظرِيَّةِ باركلي، يَجدُرُ بِنا أن نَذكُرَ حُجَّةً أُخرَى مُهِمَّةً كانَ قَد طَوَّرَها لِتَعزيزِ الجُزءِ الإيجابِيِّ لِنَظرِيَّتِهِ الذي يتعلَّقُ بِالأَثَرِ العَمَلِيِّ لِقِسمٍ مُعَيَّنٍ مِن التَّعبيراتِ الدِّينِيَّةِ. إذ يُشيرُ باركلي إلى أَنَّ نَظرِيَّتَهُ تَنطَوي على تَفسيرٍ مُحكَمٍ لِلآثارِ التَّحفيزِيَّةِ لِلإيمانِ. ويَرَى باركلي أنَّ الأَمثِلَةَ تُوضِحُ التَّغَيُّراتِ التي تَحدُثُ في حَياةِ النّاسِ نَتيجَةً لِهذا الإيمانِ. 'فالذي أَقولُهُ هوَ أَنَّ الإيمانَ ليسَ إدراكًا مُتَكاسِلًا، بَل هوَ اقتِناعٌ فاعِلٌ لِلعَقلِ يَحُثُّ على الدَّوامِ مَن يَحوزونَهُ على ما هوَ مُلائمٌ مِن فِعلٍ، أو تَصَرُّفٍ، أو عاطِفَةٍ؛ وهذا يَسهُلُ إثباتُهُ وتَوضيحُهُ بِما لا يُحصَى مِن الأَمثِلَةِ المَأخوذَةِ مِن شُؤونِ البَشَرِ' (1950, p. 301). وبِتَأويلِ الإيمانِ بِالأَسرارِ الدِّينِيَّةِ مِن زاوِيَةِ الآثارِ العَمَلِيَّةِ في مَواقِفِ المُؤمِنِينَ وتَصَرُّفاتِهِم، يَتَّضِحُ سَبَبُ كَونِ هذا التَّغَيُّرِ في السُّلوكِ هوَ النَّتيجَةَ. وتَنطَوي أُطروحَةُ باركلي هُنا على نُسخَةٍ ناقِصَةٍ لإحدَى الحُجَجِ الرَّئيسَةِ المُؤَيِّدَةِ لِلتَّعبيرِيَّةِ – الحُجَّةِ المُنبَثِقَةِ مِن القُوَّةِ التَّحفيزِيَّةِ – وهيَ التي

سنُفَصِّلُ القَولَ فيها في الفَصلِ 5. ومِن أجلِ إيضاحِ هذهِ الفِكرَةِ، يَنظُرُ باركلي في أثَرِ الإيمانِ في جَعلِ الشَّخصِ يَنصَرِفُ عن 'المَصالِحِ الدُّنيَوِيَّةِ والمَلَذّاتِ الحِسِّيَّةِ' - وهوَ يَرى أنَّ هذهِ نتيجَةٌ لا يُمكِنُ تَحقيقُها إلّا إذا كانَ الإيمانُ تَغَيُّرًا في مَوقِفٍ لامَعرِفِيٍّ لا تَغَيُّرًا في اعتِقادٍ. وهوَ يَنظُرُ في مِثالِ الشَّخصِ الدُّنيَوِيِّ الذي يَلهَثُ وَراءَ غاياتٍ مَصلَحِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ. إذ يَفتَرِضُ أنَّ شَخصًا كَهذا كانَتْ لَهُ فُرصَةُ الحُصولِ على ثَروَةٍ طائلَةٍ مِن خِلالِ فِعلٍ شِرِّيرٍ يُمكِنُ ارتِكابُهُ بِحَصانَةٍ وبِسِرِّيَّةٍ. ثُمَّ يَتَساءَلُ باركلي: ما الذي يُمكِنُ أن يُقنِعَ شَخصًا هذا وَضعُهُ بِعَدَمِ ارتِكابِ هذا الفِعلِ[2]؟ ويَذهَبُ إلى أنَّهُ ما مِن نَظَرِيَّةٍ أو حُجَّةٍ أخلاقِيَّةٍ بِشَأنِ النَّزاهَةِ والخُلُقِ، مَهما عُبِّرَ عَنها بِمَهارَةٍ، يُحتَمَلُ أن تَردَعَ هذا الشَّخصَ عن التَّصَرُّفِ بِمُقتَضى مَصلَحَتِهِ الشَّخصِيَّةِ. على أنَّ الإيمانَ بِالخَلاصِ يُمكِنُ أن يُحدِثَ تَغَيُّرًا في القَلبِ وأن يَحُثَّ على سُلوكِ طَريقٍ آخَرَ في الحَياةِ. وهذا لا يَتَحَقَّقُ بِالإقناعِ العَقلِيِّ بَل يتحقَّقُ بِتَغييرِ مَواقِفِ المُؤمِنِينَ. 'كُلُّ ما عليكَ فِعلُهُ هوَ أن تُوَلِّدَ فيهِ إيمانًا صادِقًا بِحالَةٍ مُستَقبَلِيَّةٍ، وإن تَكُنْ سِرًّا، وإن تَكُن ما لا عَينٌ رَأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ لِيَتَخَيَّلَهُ، فَسَيَمتَنِعُ مَعَ ذلكَ، بِفِعلِ إيمانٍ كهذا، عن تَنفيذِ مَشروعِهِ الشِّرِّيرِ: [32] وبِوُسعِ جَميعِ البَشَرِ فَهمُ أسبابِ ذلكَ، وإن لَم يَكُنْ بِوُسعِ أحَدٍ أن يَكونَ هَدَفًا لَها ' (1950, VII.10). ويُوحي هذا النَّصُّ المُقتَبَسُ بِأنَّ باركلي يَعُدُّ الإيمانَ بِالآخِرَةِ إيمانًا بِسِرٍّ شَأنُهُ شَأنُ النِّعمَةِ، ونَحنُ لا نَملِكُ فِكرَةً مُناظِرَةً واضِحَةً لَهُ.

الاعتِراضات

ما مَدَى نَجاحِ نَظريَّةِ باركلي المَوقِفِيَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ؟ الذي يُقالُ ابتِداءً هوَ أنَّ ثَمَّةَ نِطاقَيْنِ مُشكِلَيْنِ يَكتَنِفانِ صِياغَةَ نَظرِيَّتِهِ: يتعلَّقُ أوَّلُهُما بِالجُزءِ الإيجابِيِّ العَمَلِيِّ لأطروحَتِهِ بِشَأنِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ؛ ويتعلَّقُ ثانيهِما بِاعتِمادِهِ على نَظرِيَّةٍ لِلُّغَةِ مَصدَرُها لوك.

(2) يُشبِهُ مِثالُ باركلي مِن بَعضِ الأوجُهِ مِثالَ الوَغدِ العاقِلِ لِهيُوم Hume؛ ولِلوُقوفِ على مُناقَشَةٍ لِهيُوم، يُنظَر: Gauthier (1992).

ويُمكِنُ الوُقوفُ على جانِبَيْنِ مُحَيِّرَيْنِ في أُطروحَةِ باركلي بِشَأنِ المَنافِعِ العَمَليَّةِ لِلإيمانِ بِالأسرارِ الدِّينِيَّةِ. أَحَدُهُما هوَ الجانِبُ المُقلِقُ الواضِحُ الذي يتمثَّلُ في تَمييزِهِ المَواقِفَ المَسيحِيَّةَ تُجاهَها بِوَصفِها إيمانًا: فهوَ *إيمانٌ* مَسيحِيٌّ بِالثّالوثِ، أو بِالخَطيئةِ الأصلِيَّةِ، أو بِالنِّعمَةِ، أو بِالآخِرَةِ يُدَّعَى أنَّ التَّغَيُّراتِ في المَواقِفِ والتَّصَرُّفِ - العِرفان، والطّاعَة، وما إليهِما - تَنبُعُ مِنهُ. على أنَّهُ إذا كانَ باركلي مُتَعاطِفًا معَ حُجَّةِ ألسيفرون التي مُفادُها عَدَمُ حِيازَتِنا فِكرَةً واضِحَةً عَن حَقيقَةِ الثّالوثِ، فَلِمَ لا يَقبَلُ أيضًا ما انتَهَى إليهِ ألسيفرون مِن عَدَمِ إمكانِ أن يَكونَ الثّالوثُ هَدَفًا لِلإيمانِ (أو، لأسبابٍ مُشابِهَةٍ، هَدَفًا لِلاعتِقادِ)؟ فالذي يَبدو أنَّ ثَمَّةَ حَلقَةً مُهِمَّةً مَفقودَةً في حُجَّةِ باركلي هُنا. وقَد يَكونُ الرَّدُّ الأكثَرُ إقناعًا المُتَوافِرُ لَدَى باركلي هوَ تَفريقَهُ بينَ نَمَطَيْنِ من الحالاتِ التَّمثيلِيَّةِ العَقلِيَّةِ لا يَفصِلُ بَينَهُما استِعمالُنا الاعتِيادِيُّ غَيرُ الفَلسَفِيِّ لِكلمةِ 'اعتِقاد'. وهوَ يُلمِعُ إلى هذا التَّفريقِ حينَ يُقابِلُ بينَ الطَّبيعَةِ 'الخامِلَةِ' سُلوكِيًّا لِلاعتِقاداتِ و'المَبدَإِ الحَيَوِيِّ الفاعِلِ' الذي يُمَيِّزُ الاعتِقاداتِ المُتَعَلِّقَةَ بِالأسرارِ الدِّينِيَّةِ. ونَمَطا الحالَةِ العَقلِيَّةِ كِلاهُما (أ) حالَتانِ 'إدخالِيَّتانِ input' تُمَثِّلانِ نَظرَةَ المَرءِ إلى ما يُمكِنُ أن يَكونَ عليهِ العالَمُ، و(ب) حالَتانِ 'إخراجِيَّتانِ output' عَقلِيَّتانِ تُمَثِّلانِ طَريقَتَيْنِ لِما يَوَدُّ المَرءُ أن يَكونَ عليهِ العالَمُ. فإذا كانَتِ الحالَتانِ الأُولَيانِ وَصفِيَّتَيْنِ وتَرمِيانِ إلى تَعَقُّبِ صِفاتِ العالَمِ، فإنَّ الحالَتَيْنِ الأُخرَيَيْنِ تتعلَّقانِ بِأهدافِنا وهُما تَحفيزِيَّتانِ ذاتِيًّا. فبِهذا التَّعديلِ لِنظرِيَّةِ باركلي، استَطاعَ الذَّهابَ إلى أنَّ الكَثيرَ مِن الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ (ومِنها مُعظَمُ الاعتِقاداتِ المُتعلِّقَةِ بِاللهِ لكِن ليسَ مِنها الاعتِقاداتُ المُتعلِّقَةُ بِالأسرارِ الدِّينِيَّةِ) اعتِقاداتٌ إدخالِيَّةٌ. أمّا الاعتِقاداتُ المُتعلِّقَةُ بِالأسرارِ الدِّينِيَّةِ - كاعتِقادِ أنَّ اللهَ ثَلاثَةُ أشخاصٍ، مُتَمايِزينَ، ومُشتَرِكينَ أبَدًا - فاعتِقاداتٌ إخراجِيَّةٌ، أو رَغَباتٌ في جَعلِ مَبادِئِ التَّصَرُّفِ المَسيحِيَّةِ مَعاييرَ حاكِمَةً لِسُلوكِ الشَّخصِ ومَواقِفِهِ. فباركلي يُسَلِّمُ لألسيفرون إذَن بِعَدَمِ إمكانِ أن تَكونَ لَنا اعتِقاداتٌ إدخالِيَّةٌ بِشَأنِ الأسرارِ الدِّينِيَّةِ لكِنَّهُ يَذهَبُ إلى خَطَإِ افتِراضِ عَدَمِ إمكانِ أن تَكونَ لَنا اعتِقاداتٌ إخراجِيَّةٌ بِشَأنِها. [33]

والسِّمَةُ الأُخرى المُحَيِّرَةُ في نظريَّةِ باركلي هيَ أنَّهُ في الوَقتِ الذي يُطيلُ فيهِ الكِتابَةَ عن الآثارِ الإيجابيَّةِ لِلحَديثِ عن الأسرارِ الدِّينيَّةِ في تَصَرُّفاتِ السّامِعِينَ ومَواقِفِهِم، لا نَجِدُهُ يَتَحَدَّثُ عَمّا يُوصِلُهُ المُتَكَلِّمونَ. فاستِنادًا إلى ما يَقولُهُ عن الحَديثِ عن الأسرارِ الدِّينيَّةِ، قَد يُحمَلُ مَوقِفُهُ على أنَّهُ يُقَدِّمُ أُطروحَةً *استِثارِيَّةً خالِصَةً* بِشأنِ مَعناها: فمَعناها هوَ الأثَرُ الذي تَستَثيرُهُ في الآخَرِينَ. لكِن يَصعُبُ أن تُرَى كَيفِيَّةُ إمكانِ الدِّفاعِ عن نَظَريَّةٍ استِثارِيَّةٍ خالِصَةٍ لِمَعنَى الحَديثِ عن الأسرارِ الدِّينيَّةِ أو حَتى كَيفِيَّةُ إمكانِ أن تَكونَ؟ فَلْنَنظُرْ، على سبيلِ المِثالِ، في استِعمالِ التَّعبيرِ 'أوي! !Oi' (وعادَةً مّا يُرفَعُ مَعَهُ الصَّوتُ) لِلَفتِ انتِباهِ شَخصٍ مّا. فعَلَى الرَّغمِ مِن أنَّ هذا المَنطوقَ لَيسَ لَهُ مَضمونٌ تَمثيلِيٌّ، نَجِدُهُ يَستَثيرُ بِدَرَجَةٍ كَبيرَةٍ استِجابَةً مُباشِرَةً لَدَى مُعظَمِ السّامِعِينَ. بيدَ أنَّ هذا يَظهَرُ بِمَظهَرِ الفِكرَةِ المُجهَضَةِ ابتِداءً بِوَصفِهِ أُنموذَجًا لِتَأويلِ الحَديثِ عن الأسرارِ الدِّينيَّةِ. فَبِوُسعِ 'أوي' لَفتُ انتِباهِ السّامِعِ بِإحداثِ دَهشَةٍ لَدَيهِ عِندَ سَماعِهِ هذا المَنطوقَ؛ وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، لا يَتَّضِحُ سَبَبُ إحداثِ الحَديثِ عن الثّالوثِ تَغييرًا لَدَى السّامِعِينَ، بَلْهَ تَغييراتِ المَواقِفِ المُغَيِّرَةَ لِلحَياةِ التي يَرَى باركلي أنَّ استِعمالَهُ قادِرٌ على إحداثِها، أو كَيفِيَّةُ تَوليدِ الحَديثِ عن أسرارٍ مُختَلِفَةٍ آثارًا مُتَمَيِّزَةً. ثُمَّ إنَّ الذي يَبدو هوَ أنَّ النَّظَرِيَّةَ الاستِثارِيَّةَ الخالِصَةَ لا تَنطَوي على تَفسيرٍ لِكَيفِيَّةِ استِطاعَتِنا أن نُفَسِّرَ على نَحوٍ ذي مَعنًى تَفصيلاتِ عَقيدَةِ الخَطيئةِ الأصلِيَّةِ أو عَقيدَةِ الثّالوثِ، على سبيلِ المِثالِ، أو أن نَخوضَ في جِدالاتٍ بِشأنِها. لِذلكَ يَبدو أنَّ الأولَى أن نَعُدَّ عَدَمَ تَعليقِ باركلي عَلى المَعنَى التَّعبيرِيِّ لِلحَديثِ عن الأسرارِ الدِّينيَّةِ إهمالًا. ولِحُسنِ الحَظِّ، ثَمَّةَ طَريقَةٌ لِتَطويرِ نظرِيَّتِهِ. فباركلي يَرَى أنَّ التَّواصُلَ النّاجِحَ يَكمُنُ في استِعمالِ كَلِماتٍ تَدُلُّ على أفكارٍ مُتَشابِهَةٍ في ذِهنِ المُتَكَلِّمِ وذِهنِ السّامِعِ. فالطَّريقَةُ الطَّبيعِيَّةُ لِتَوسيعِ أُطروحَتِهِ لِلحَديثِ عن الأسرارِ الدِّينيَّةِ تَتَمَثَّلُ إذَن في افتِراضِ أنَّها تُعَبِّرُ عن مَواقِفِ الطّاعَةِ، والعِرفانِ، والمَحَبَّةِ، وما إليها، وهيَ المَواقِفُ أنفُسُها التي يُقصَدُ أن يُحدِثَها استِعمالُها لَدى السّامِعِينَ.

فقد ذَكَرْنا بَعضَ المُشكِلاتِ المُتَعلِّقَةِ بِنظريَّةِ لوك الفَجَّةِ لِلُّغَةِ التي تُوَجِّهُ نِقاشَ باركلي. أمّا مُقتَرَحاتُ باركلي الشَّخصِيَّةُ في ما يتعلَّقُ بِمَعنى الحَديثِ عن الأسرارِ الدِّينِيَّةِ فقد قُدِّمَتْ أيضًا على نَحوٍ غَيرِ مُوَفَّقٍ بِوَصفِها نظريَّةً بِشأنِ كَلِماتٍ مَخصوصَةٍ وما تَدُلُّ عليهِ. فَلْنَفترِضْ، مَثَلًا، أنّا حَمَلْنا مَذهَبَ باركلي على أنَّهُ ذَهابٌ إلى أنَّ الحَديثَ عن الخَطيئةِ الأصلِيَّةِ يَنبَغي أن يُفهَمَ على أنَّهُ مُعَبِّرٌ عن مَواقِفَ مَسيحِيَّةٍ (كَأن يَكونَ الشَّخصُ غَيرَ جَديرٍ، على سبيلِ المِثالِ) ومُستَثيرٌ لِمَواقِفَ وعاداتٍ مُوافِقَةٍ لِلمَبادِئِ المَسيحِيَّةِ. ولا يَبدو هذا مُنسَجِمًا تَمامًا مع حُجَّتِهِ التي مُفادُها أن لا أفكارَ لَدَينا واضِحَةً تُناظِرُ كَلِمَتَي 'الخَطيئة الأصلِيَّة'. ويَتَّضِحُ هذا حينَ نَنظُرُ في استِعمالاتِ التَّعبيرِ التي لا تَرتَبِطُ بِحِيازَةِ أيَّةِ مَواقِفَ أو عاداتٍ مَسيحِيَّةٍ، أو تَوصيلِها، أو الحَثِّ عليها. [34] ومِن أمثِلَةِ هذهِ الاستِعمالاتِ الأقوالُ الآتيَةُ: 'إنَّهُ لا يُؤمِنُ بِالخَطيئةِ الأصلِيَّةِ'، و'قَد دَحَضَ العِلمُ الخَطيئةَ الأصلِيَّةَ'، و'لِعَقيدَةِ الخَطيئةِ الأصلِيَّةِ جُذورٌ كِتابِيَّةٌ في أعمالِ القِدِّيسِ بولس*'. فهذهِ الأحكامُ لا تُعَبِّرُ عن مَواقِفَ مَسيحِيَّةٍ (أو تَستَثيرُها)، لكِنَّ المُفتَرَضَ أنَّ استِعمالَ تَعبيرِ 'الخَطيئة الأصلِيَّة' ليسَ أقَلَّ دَلالَةً في هذهِ الجُمَلِ مِنهُ في الجُمَلِ التي تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن إيمانٍ مَسيحِيٍّ بِهذهِ العَقيدَةِ. ولا يُقَدِّمُ لَنا باركلي أُطروحَةً بِشأنِ مَعنى 'الخَطيئة الأصلِيَّة' حينَ لا تكونُ مُعَبِّرَةً عن اعتِقادٍ مَسيحِيٍّ. على أنَّهُ لَو تَيَسَّرَتْ هذهِ الأُطروحَةُ لَما اتَّضَحَتْ كَيفِيَّةُ إسهامِ تَعبيراتِ 'الخَطيئة الأصلِيَّة'، و'الثّالوث'، و'النِّعمَة'، في مَعاني الجُمَلِ التي هيَ جُزءٌ مِنها. فَلْنَأخُذِ الجُملَةَ الآتيَةَ مِثالًا لِذلكَ:

1. يُوجَدُ ثَلاثَةُ أشخاصٍ في الثّالوثِ.

---

* القِدِّيسُ بولس الرَّسولُ، واسمُهُ الأصلِيُّ شاول الطَّرسوسِيُّ (في نَحوِ ما بَينَ عامَيْ 1 لِلميلادِ و64). يَهودِيٌّ في القَرنِ الأوَّلِ، وبَعدَ أن كانَ عَدُوًّا لَدودًا لِلكَنيسَةِ المسيحِيَّةِ أصبَحَ مُبَشِّرَها المُبَرِّزَ ورُبَّما أعظَمَ لاهوتِيِّيها. أكثَرُ مِن نِصفِ (سِفر أعمال الرُّسُل) يَتَناوَلُ سيرَتَهُ، وإذا أضَفْنا هذا القَدْرَ مِن السِّفرِ إلى الرَّسائلِ التي تَحمِلُ اسمَهُ فإنَّ ذلكَ يُشَكِّلُ ثُلُثَ العَهدِ الجَديدِ. [المُتَرجِم]

فَما المَقصودُ بِنُطقِ هذهِ الجُملَةِ؟ فالذي يَبدو أنَّ نظريَّةَ باركلي تُقَدِّمُ لِلجُملَةِ (1) مَضمونًا مُتَشَظِّيًا هوَ: *يُوجَدُ ثَلاثَةُ أشخاصٍ في...* مِن غَيرِ تَفسيرٍ لِكَيفِيَّةِ مَلءِ الفَراغِ بِكَلِمَةِ 'الثّالوث' لِتُقَدِّمَ فِكرَةً مَفهومَةً.

فَلْنَفتَرِضْ، لِذلكَ، أنّا نُعَدِّلُ تَأطيرَ باركلي لِمَذهَبِهِ بِحَيثُ نُؤَوِّلُ مَعنى *الجُمَلِ* على أنَّهُ الحالاتُ الذِّهنيَّةُ التي تُعَبِّرُ عنها عُرفِيًّا. فهذهِ النَّظريَّةُ وإن تَكُنْ في رُوحِها تَنتَسِبُ إلى لوك فإنَّها تَتَجَنَّبُ الصُّعوباتِ الواضِحَةَ النّاجِمَةَ عن النَّظَرِ إلى كُلِّ كلمَةٍ على أنَّها تُوصِلُ فِكرَةً مُتَمَيِّزَةً. فبِالتَّعديلِ المُلائمِ لِما جاءَ بِهِ باركلي يُمكِنُنا أن نَقولَ إنَّهُ يَذهَبُ إلى أنَّ الجُمَلَ التي تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن إيمانٍ بِالأسرارِ المَسيحِيَّةِ لا يَنبَغي أن تُفهَمَ على أنَّها تُقَدِّمُ أوصافًا أو تَصِفُ حَقائقَ دينِيَّةً، بَل يَنبَغي أن تُفهَمَ على أنَّها تُعَبِّرُ عن مَواقِفَ مُفضِيَةٍ إلى طَريقَةٍ مَسيحِيَّةٍ في الحَياةِ ومُحَفِّزَةٍ لَها وتَستَثيرُها. أي إنَّ الحالاتِ الذِّهنِيَّةَ التي تُعَبِّرُ عنها هذهِ الجُمَلُ هيَ اعتِقاداتٌ 'إخراجِيَّةٌ' لا اعتِقاداتٌ 'إدخالِيَّةٌ'، أو مَواقِفُ لامَعرِفِيَّةٌ. وبِإمكانِ هذهِ الأُطروحَةِ المُعَدَّلَةِ تَقديمُ مُعالَجَةٍ أفضَلَ لِلمُشكِلَتَيْنِ المُشارَتَيْنِ آنِفًا. إذ تَختَفي مُشكِلَةُ فَهمِ مَضمونِ الحَديثِ اللادينِيِّ عن الأسرارِ الدِّينِيَّةِ لأنَّ هذهِ الأقوالَ لا تُعَبِّرُ عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ. وتَزولُ أيضًا مُشكِلَةُ تَأويلِ جُملَةٍ على شاكِلَةِ الجُملَةِ (1) لأنَّها تُعَدُّ مُعَبِّرَةً عن اعتِقادٍ إدخالِيٍّ لَيسَ ذا مَضمونٍ قَضَوِيٍّ مُتَشَظٍّ بَل يَنطَوي عَلى مَدًى مِن المَواقِفِ المُنسَجِمَةِ مَعَ التَّصَرُّفِ المَسيحِيِّ.

لكِن حَتّى بِإجراءِ هذهِ التَّعديلاتِ، تَحتاجُ تَعبيرِيَّةُ باركلي إلى أن تُعالِجَ *اختِلافاتٍ* واضِحَةً في مَعاني الجُمَلِ. فَلْنَنظُرْ، مَثَلًا، في الجُملَةِ الآتِيَةِ:

2. بِالنِّعمَةِ تُغفَرُ لَنا خَطايانا. [35]

فالتَّأويلُ التَّعبيرِيُّ لِلجُملَةِ الآتِيَةِ لا بُدَّ أن يَكونَ مُختَلِفًا:

3. بِالنِّعمَةِ نَلقى خَلاصَنا الأبَدِيَّ.

وإلّا كانَتْ هذهِ النَّظريَّةُ عاجِزَةً عن تَفسيرِ الاختِلافِ الواضِحِ في المَعنَى في الجُملَتَيْنِ (2) و(3). ونَجاحُ النَّظريَّةِ سيعتَمِدُ جُزئيًّا على مَدَى إمكانِ اقتِلاعِ هذهِ الاختِلافاتِ في المَعنَى مِن المَصادِرِ اللامَعرِفيَّةِ المُفتَرَضَةِ لِلمَشاعِرِ، والتَّصَرُّفاتِ، والمَواقِفِ. ويُمكِنُ القَولُ عُمومًا إنَّ باركلي يَحتاجُ إلى أن يَضَعَ خَريطَةً لِجَميعِ الجُملِ الدِّينيَّةِ التي لَها مَعنًى مُتَمَيِّزٌ والتي تَتَّسِعُ لَها نظريَّتُهُ التَّعبيريَّةُ إلى مَجموعاتٍ مُتَمايِزَةٍ مِن المَواقِفِ اللامَعرِفيَّةِ التي تُقَدِّمُ تأويلَ هذهِ الجُمَلِ. ولْنُسَمِّ ذلكَ *بِالوَظيفَةِ التَّعبيريَّةِ*. فالوَظيفَةُ التَّعبيريَّةُ تَصِلُ الجُملَةَ التي يَكونُ التَّأويلُ التَّعبيريُّ مُلائمًا لَها بِالصِّنفِ المُتَمَيِّزِ لِلمَواقِفِ اللامَعرِفيَّةِ التي تُقَدِّمُ هذا التَّأويلَ. أفَيَرَى باركلي مَنطِقيَّةَ وُجودِ وَظيفَةٍ تَعبيريَّةٍ تُؤَدِّي مُهِمَّةَ تأويلِ الجُمَلِ المُتَعلِّقَةِ بِالأسرارِ المَسيحيَّةِ؟ يُمكِنُ أن يُلمَسَ تَوَجُّهٌ لِباركلي إلى مُعالَجَةِ هذهِ المَسألَةِ. فالحالاتُ اللامَعرِفيَّةُ التي يَرَى أنَّ الحَديثَ عن الخَطيئةِ الأصليَّةِ يَستَثيرُها تَختَلِفُ عن الحالاتِ اللامَعرِفيَّةِ التي يَرَى أنَّ الحَديثَ عن الثّالوثِ يَستَثيرُها. إذ يَدَّعي باركلي أنَّ الخَطيئةَ الأصليَّةَ تُوَلِّدُ انطِباعًا يَنُمُّ على إحساسٍ مُطمَئنٍّ بِعَدَمِ الجَدارَةِ، في حينِ أنَّ الثّالوثَ يُوَلِّدُ المَحَبَّةَ، والأمَلَ، والعِرفانَ، والطّاعَةَ. أمّا ما يتعلَّقُ بِالنِّعمَةِ والآخِرَةِ فليسَ لَدَى باركلي الكَثيرُ مِمّا يُخبِرُنا بِهِ عنهُما؛ فكِلتاهُما يُنظَرُ إليها على أنَّها تُرَقِّي الفِعلَ الأخلاقِيَّ وتَصرِفُ المَرءَ عن التَّصَرُّفِ اللاأخلاقِيِّ، بيدَ أنَّ المَواقِفَ اللامَعرِفيَّةَ التي تَستَثيرانِها لا تُمَيَّزُ بِوُضوحٍ. على أنَّهُ لا يَبدو أنَّ مُهِمَّةَ باركلي غَيرُ قابِلَةٍ لِلتَّذليلِ. إذ يَبدو أنَّ تَقويمَهُ لِلحالاتِ اللامَعرِفيَّةِ المَعنيَّةِ يَرتَكِزُ على الاستِجاباتِ والمَشاعِرِ المُلائمَةِ لِلَّذينَ يُؤمِنونَ بِالأسرارِ المَعنيَّةِ. فالذي يَبدو أنَّ بِإمكانِ باركلي مِن حَيثُ المَبدَأُ أن يَستَعمِلَ هذا المَنهَجَ لِتَعيينِ الحالاتِ اللامَعرِفيَّةِ المُتَمَيِّزَةِ ذَواتِ الصِّلَةِ الكافيَةِ لِتَمييزِ الجُمَلِ المُتَعلِّقَةِ بِالنِّعمَةِ والآخِرَةِ مِن الجُمَلِ المُتَعلِّقَةِ بِالخَطيئةِ الأصليَّةِ والثّالوثِ.

ومِن الخَصائصِ المُمَيِّزَةِ لأُطروحَةِ باركلي مُحاوَلَتُهُ تَطويرَ نظريَّةٍ تَعبيريَّةٍ تَقتَصِرُ على نِطاقٍ مَحدودٍ مِن اللُّغَةِ الدِّينيَّةِ في حينِ أنَّهُ يَحتَفِظُ بِأُطروحَةٍ مَعرِفيَّةٍ لِسائرِها. وبِذلكَ، تَكونُ نَظريَّةُ باركلي المَوقِفيَّةُ أقَلَّ شُموليَّةً في مُعالَجتِها لِلُّغَةِ

الدِّينِيَّةِ مِن التَّعبيريَّةِ. وَلْنُسَمِّ هذهِ النَّظريَّةَ نَظريَّةً هَجينَةً. فثَمَّةَ مُشكِلَتانِ مُلِحَّتانِ تُواجِهُهُما النَّظريَّةُ الهَجينَةُ. إحداهُما أن تَجِدَ طريقَةً لِتَمييزِ مِساحاتِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ التي يَنبَغي أن تُمنَحَ تَأويلًا وَصفِيًّا مِن المساحاتِ التي يَنبَغي أن تُمنَحَ تَأويلًا لامَعرِفِيًّا. وأُخراهُما أن تُفَسِّرَ الكَيفِيَّةَ التي تُوصَلُ بِها عَلى نَحوٍ ذي مَعنًى مِساحاتُ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ [36] التي يَنبَغي أن تُمنَحَ تَأويلًا لامَعرِفِيًّا بِمساحاتِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ (واللُّغَةِ اللادينِيَّةِ) التي لها تَأويلٌ مَعرِفِيٌّ؟

وقَد كُنّا رَأَيْنا أنَّ باركلي (مُتَستِّرًا بِألسيفرون) يَعرِضُ طَريقَتَيْنِ لِلإجابَةِ عن المُشكِلَةِ الأُولَى. إحداهُما أنَّهُ بِقَدْرِ ما يُطَبِّقُ الخِطابُ الدِّينِيُّ التَّعبيراتِ التي عادَةً مّا تُستَخدَمُ في الحَديثِ عن الأشياءِ المادِّيَّةِ على الأشياءِ اللامادِّيَّةِ، تكونُ النَّتائجُ غَيرَ مُتَماسِكَةٍ، ولا نَكونُ مُعَبِّرِينَ عن اعتِقاداتٍ (إدخالِيَّةٍ). ويَذهَبُ ألسيفرون إلى أنَّ الحَديثَ عن الأسرارِ الدِّينِيَّةِ مُعَرَّضٌ بِخاصَّةٍ لِتَخليطٍ كهذا؛ وهذا يَدفَعُ باركلي إلى اقتِراحِ تَأويلٍ لامَعرِفِيٍّ لَهُ. عَلى أنَّهُ إذا نُظِرَ إلى هذهِ الخطوَةِ عَلى أنَّها حُجَّةٌ مُؤَيِّدَةٌ لِلنَّظريَّةِ الهَجينَةِ، فإنَّها خطوَةٌ خَطَأٌ. فقد أُثيرَتْ عِدَّةُ اعتِراضاتٍ تتعلَّقُ بِتَماسُكِ اعتِقاداتٍ دِينِيَّةٍ مُختَلِفَةٍ يَمتَدُّ مَداها مِن اعتِقاداتٍ مُتعلِّقَةٍ بِالصِّفاتِ الإلٰهِيَّةِ، كالمُشكِلَةِ المُتعلِّقَةِ بِكُلِّيَّةِ القُدرَةِ التي أثارَتْها مُفارَقَةُ الصَّخرَةِ the paradox of the stone* (Savage, 1967)، إلى أُمورٍ اعتِقادِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ تتعلَّقُ بِالعَقيدَةِ الدِّينِيَّةِ، كالنَّقدِ

* مُفارَقَةُ الصَّخرَةِ: هيَ المُفارَقَةُ التي تَتَضَمَّنُ الخطواتِ الآتِيَةَ:

1. إمّا أن يَكونَ اللهُ قادِرًا عَلى خَلقِ صَخرَةٍ لا يَقدِرُ عَلى رَفعِها، وإمّا ألّا يَكونَ قادِرًا عَلى خَلقِ صَخرَةٍ لا يَقدِرُ عَلى رَفعِها.
2. فإن كانَ اللهُ قادِرًا عَلى خَلقِ صَخرَةٍ لا يَقدِرُ عَلى رَفعِها، فهوَ لَيسَ كُلِّيَّ القُدرَةِ إذَن (لِعَدَمِ قُدرَتِهِ عَلى رَفعِ الصَّخرَةِ المَعنِيَّةِ).
3. وإن لَم يَكُنِ اللهُ قادِرًا عَلى خَلقِ صَخرَةٍ لا يَقدِرُ عَلى رَفعِها، فهوَ لَيسَ كُلِّيَّ القُدرَةِ إذَن (لِعَدَمِ قُدرَتِهِ عَلى خَلقِ الصَّخرَةِ المَعنِيَّةِ).
4. لِذلِكَ، كانَ اللهُ غَيرَ كُلِّيِّ القُدرَةِ.

ومِن الرُّدودِ التي وُجِّهَتْ إلى هذهِ المُفارَقَةِ أنَّ الخطوَةَ (3) فيها خَطَأٌ؛ لأنَّ خَلقَ كُلِّيِّ القُدرَةِ صَخرَةً لا يَقدِرُ عَلى رَفعِها تَناقُضٌ ذاتِيٌّ، وعَدَمُ القُدرَةِ عَلى فِعلِ التَّناقُضِ الذّاتِيِّ لا يَحُدُّ مِن قُدرَةِ الفاعِلِ. [المُتَرجِم]

الذي وَجَّهَهُ هِك Hick* إلى عَقيدَةِ التَّجَسُّدِ (Hick, 1977)**. بيدَ أنَّ هذهِ الحُجَجَ لا تُقَدِّمُ دَعمًا لِلنَّظرِيَّةِ التي مُفادُها أنَّ الجُمَلَ المُتعلِّقَةَ بِكُلِّيَّةِ القُدرَةِ الإلهِيَّةِ أو التَّجَسُّدِ تَعبيرِيَّةٌ عن حالاتٍ لامَعرِفِيَّةٍ. بَل تُقَدِّمُ هذهِ الحُجَجُ، بِعَكسِ ذلكَ، على أساسِ افتِراضِ أنَّ هذهِ الجُمَلَ تَرمي إلى تَمثيلِ حَقائقَ دينِيَّةٍ والتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ، وتُستَعمَلُ لِتُبَيِّنَ أنَّ هذهِ الاعتِقاداتِ غَيرُ مُتَماسِكَةٍ وأنَّها مِن ثَمَّ كاذِبَةٌ. فالحُجَّةُ النّاجِحَةُ بِشَأنِ عَدَمِ تَماسُكِ الدَّعاوَى المُتَعلِّقَةِ بِالأسرارِ المَسيحِيَّةِ تَستَلزِمُ كَذِبَها، ولا تُقَدِّمُ الدَّعمَ لِلنَّظرِيَّةِ الهَجينَةِ.

أمّا الإجابَةُ الأُخرَى لِباركلي عن المُشكِلَةِ الأُولَى فتَقومُ على تَجرِبَةٍ استِبطانِيَّةٍ. فنَحنُ نَتَأمَّلُ ما نُفَكِّرُ فيهِ حينَ نتحَدَّثُ عن الأسرارِ المَسيحِيَّةِ فَنَجِدُ أنّا نَفتَقِرُ إلى أفكارٍ أو اعتِقاداتٍ واضِحَةٍ. على أنَّ ذلكَ يَبدو غَيرَ مُقنِعٍ أيضًا. فمِن

---

* جون هاروود هِك (1922–2012م). فَيلَسوفٌ دِينيٌّ، ولاهوتِيٌّ إنجليزيٌّ. أمضى مُعظَمَ مَسيرَتِهِ التَّدريسِيَّةِ في الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأمريكِيَّةِ. تَعَلَّقَتْ إسهاماتُهُ في اللاهوتِ الفَلسَفِيِّ بِمَجالاتِ الدِّفاعِ عَن عَدالَةِ اللهِ، والأُخرَوِيّاتِ، ودِراسَةِ شَخصِ المَسيحِ، أمّا إسهاماتُهُ في فَلسَفَةِ الدِّينِ فتَعَلَّقَتْ بِمَجالاتِ نَظَرِيَّةِ المَعرِفَةِ الدِّينِيَّةِ، والتَّعَدُّدِيَّةِ الدِّينِيَّةِ. مِن آثارِهِ: (وُجودُ اللهِ)؛ و(فَلسَفَةُ الدِّين)؛ و(أُسطورَةُ تَجَسُّدِ الإلهِ في السَّيِّدِ المسيحِ). [المُتَرجِم]

** وَرَدَ نَقدُ جون هِك عَقيدَةَ التَّجَسُّدِ المسيحِيَّةَ في مَقالِهِ 'يَسوعُ والدِّياناتُ العالَمِيَّةُ Jesus and the World Religions' الذي ضَمَّهُ معَ مَقالاتٍ أُخرى كِتابٌ حَرَّرَهُ هوَ بِعُنوانِ (أُسطورَةُ تَجَسُّدِ الإلهِ في السَّيِّدِ المَسيحِ The Myth of God Incarnate)، إذ قارَنَ هِك بينَ ظُهورِ بوذا ونُشوءِ البوذِيَّةِ (الماهايانِيَّة) وظُهورِ المسيحِ ونُشوءِ المسيحِيَّةِ مِن بَعدِهِ، فذَكَرَ أنَّ نُمُوَّ الدِّيانتَيْنِ كانَ في وَقتَيْنِ مُتَقارِبَيْنِ وبِطَريقَتَيْنِ مُتَشابِهَتَيْنِ: فبوذا الإنسانُ أصبَحَ التَّفكيرُ فيهِ عَلى أنَّهُ تَجسيدٌ لإلهٍ مُتَسامٍ، والماهايانا باتَتْ عَقيدَةَ الأجسامِ الثَّلاثَةِ، وكذلكَ يَسوعُ الإنسانُ صارَ يُفَكَّرُ فيهِ على أنَّهُ تَجسيدٌ لِلذّاتِ الإلهِيَّةِ الموجودَةِ أبَدًا. فبوذا المُتَسامي هوَ معَ الواحِدِ المُطلَقِ، وكذلكَ في المسيحِيَّةِ ابنُ اللهِ هوَ معَ الإلهِ الآبِ. وخَتَمَ هِك المُقارَنَةَ بِقَولِهِ: "أنا لا أسعى هُنا لِلتَّعَمُّقِ بِدِراسَةِ المُتَشابِهاتِ بينَ الأفكارِ المسيحِيَّةِ والأفكارِ البوذِيَّةِ، وفي كُلِّ حالَةٍ مِن هاتَيْنِ الحالَتَيْنِ أدَّت التَّقاليدُ النّامِيَةُ إلى الحديثِ عَن المُؤَسِّسِ بِأُسلوبٍ وتَعابيرَ لَم يَستَعمِلْها المُؤَسِّسُ نَفسُهُ، كذلكَ أدَّتْ إلى فَهمِهِ عَن طَريقِ عَقائدَ مُعَقَّدَةٍ نَشَأت تَدريجِيًّا عَلى أيدي الأجيالِ المُتَعاقِبَةِ مِن أتباعِهِ". تُنظَرُ نُسخَةُ الكِتابِ العَرَبِيَّةُ التي تَرجَمَها الدُّكتور نبيل صبحي، ونَشَرَتْها دارُ القَلَم الكُوَيتِيَّةُ في عامِ 1405هـ/ 1985م: 18، و259–281. [المُتَرجِم]

المُشكِلاتِ التي تكتَنِفُهُ أَنَّهُ حتّى إذا افترَضْنا أنَّ مَعنَى الجُمَلِ مُرتَبِطٌ بِالحالاتِ الذِّهنِيَّةِ التي تُعَبِّرُ عنها عُرفِيًّا، فلَيسَ مَنطِقِيًّا أن يُقالَ إنَّ هذهِ الحالاتِ لا بُدَّ أن تَكونَ حالاتٍ ذِهنِيَّةً حاضِرَةً لَدَى المُتَكلِّمِينَ. إذ يُمكِنُ استِعمالُ جُملَةٍ مّا لِتَوصيلِ فِكرَةٍ مّا وإن لَم تَكُن لَدَى المُتَكلِّمِ هذهِ الفِكرَةُ في أثناءِ نُطقِهِ بِها. فبِإمكانِ المُتكلِّمِ، على سبيلِ المِثالِ، أن يَقولَ شَيئًا مّا مِن غَيرِ تَفَكُّرٍ فيهِ أو بِمَعنًى غَيرِ مَقصودٍ. ثُمَّ إنَّهُ يُمكِنُ، عَلى ما يَبدو، استِعمالُ جُملَةٍ مّا لِتَوصيلِ فِكرَةٍ مّا لَم تَخطُرْ بِبالِ المُتَكلِّمِ قَطُّ. مِثالُ ذلكَ أنَّ المُتَكلِّمَ عندَ استِعمالِهِ إهانَةً عُنصُرِيَّةً إنَّما يُوصِلُ احتِقارَهُ إلى مَجموعَةِ البَشَرِ التي تُحيلُ عليها الإهانَةُ وإن لَم يَكُن لَدَى المُتَكلِّمِ احتِقارٌ لِهذهِ المَجموعَةِ ولا خَطَرَ بِبالِهِ البَتَّةَ. على أَنَّهُ حتّى لَو كانَ الاستِبطانُ وَسيلَةً نافِعَةً لِتَحديدِ مَعنَى الجُملَةِ، إذَن لَصَعُبَتْ رُؤيَةُ كَيفِيَّةِ إمكانِ استِعمالِهِ عَلى نَحوٍ فَعّالٍ لِلتَّفريقِ بينَ الجُمَلِ ذَواتِ المَضمونِ المَعرِفِيِّ والجُمَلِ ذَواتِ المَضمونِ اللامَعرِفِيِّ. ولا يُوجَدُ اتِّفاقٌ عامٌّ على تَحديدِ التَّعبيراتِ أو الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ [37] التي نَمتَلِكُ بِشَأنِها ما يَكفي مِن الوُضوحِ لِجَعلِها حامِلاتٍ مُلائمَةً لِلتَّعبيرِ عن الاعتِقاداتِ (الإدخالِيَّةِ) الدِّينِيَّةِ. وكذلِكَ، لا يُعَيِّنُ باركلي أيَّ شَيْءٍ يُمَيِّزُ بِخاصَّةٍ الأسرارَ المَسيحِيَّةَ بِوَصفِها أُمورًا يَحوزُ المُتَكلِّمونَ أفكارًا عَنها يَقِلُّ وُضوحُها كَثيرًا عَن وُضوحِ كَثيرٍ مِن الأفكارِ الأُخرَى التي تُشَكِّلُ قِسمًا مِن الاعتِقادِ الدِّينِيِّ، ولا سِيَّما الأفكارُ المُتعلِّقَةُ بِاللهِ وبالصِّفاتِ الإلهِيَّةِ. لِذلكَ، يُمكِنُ القَولُ إنَّهُ ليسَ لَدَى باركلي مَنهَجٌ ناجِحٌ لِتَمييزِ الأفكارِ والمَفاهيمِ الدِّينِيَّةِ التي لَها مَضمونٌ مَعرِفِيٌّ مِن التي ليسَ لَها ذلكَ.

وثَمَّةَ صُعوبَةٌ أُخرَى تكتَنِفُ النَّظرِيَّةَ الهَجينَةَ مَصدَرُها اعتِراضُ *المَنطِقِ*. فما دامَتِ النَّظرِيَّةُ تُقَدِّمُ أُطروحَةً لامَعرِفِيَّةً بِشَأنِ بَعضِ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ دونَ غَيرِها، فَكيفَ يُمكِنُنا تَأويلُ الجُمَلِ ذَواتِ المُكَوِّناتِ المَعرِفِيَّةِ واللامَعرِفِيَّةِ أو تَفسيرُ العَلاقاتِ المَنطِقِيَّةِ التي بينَ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ المَعرِفِيَّةِ واللامَعرِفِيَّةِ؟ وَلْنَفترِضْ، مَثَلًا، أنّا نُتابِعُ باركلي فنُقَدِّمُ أُطروحَةَ قيمَةٍ ظاهِرِيَّةٍ لِلجُملَةِ الآتِيَةِ:

4. اللهُ صالِحٌ.

أي إنَّ الجُملَةَ (4) تُستَعمَلُ عُرفِيًّا لِلتَّعبيرِ عن اعتِقادِ أنَّ اللهَ صالِحٌ. وَلْنَفتَرِضْ أنّا نُتابِعُ باركلي في تَقديمِ تَأويلٍ لامَعرِفِيٍّ لِلجُملَةِ الآتِيَةِ:

5. بِالنِّعمَةِ الإلهِيَّةِ يَكونُ الخَلاصُ.

أي إنَّ الجُملَةَ (5) تُستَعمَلُ عُرفِيًّا لِلتَّعبيرِ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ مُختَلِفَةٍ (تَبَعًا لِلوَظيفَةِ التَّعبيرِيَّةِ) ولِتَشجيعِ السُّلوكِ الأَخلاقِيِّ لَدَى الآخَرينَ. فكَيفَ يَنبَغي إذَن أن تُؤَوَّلَ الجُملَةُ (6)؟

6. إذا كانَ اللهُ صالِحًا، فَبِالنِّعمَةِ الإلهِيَّةِ يَكونُ الخَلاصُ.

فالنَّظرِيَّةُ الهَجينَةُ تُواجِهُ مُشكِلَتَيْنِ. إذ تَجمَعُ هذهِ الجُملَةُ الجُملَتَيْنِ (4) و(5) في جُملَةٍ شَرطِيَّةٍ، لكِن ما دامَ الجُزءُ التّالي consequent مِن الجُملَةِ الشَّرطِيَّةِ يُنظَرُ إليهِ على أنَّهُ تَعبيرٌ عن مَوقِفٍ، فلا تَتَّضِحُ الكَيفِيَّةُ التي يَنبَغي فَهمُها بِها؟ وسببُ ذلكَ أنَّ بِإمكانِ المَرءِ أن يُقَرِّرَ الجُملَةَ (6) مِن غَيرِ أن يُعَبِّرَ عن المَوقِفِ الذي تُعَبِّرُ عنهُ الجُملَةُ (5)؛ فبِإمكانِ المَرءِ، على سبيلِ المِثالِ، أن يَعتَقِدَ أنَّ جُزأي الجُملَةِ الشَّرطِيَّةِ المُقَدَّمَ antecendent والتّالِيَ كاذِبانِ وأن يَعتَقِدَ معَ ذلكَ أنَّ الجُملَةَ (6) صادِقَةٌ لأَنَّهُ *إذا* كانَ المُقَدَّمُ صادِقًا، كانَ التّالي صادِقًا *إذَن*. لِذلكَ يَبدو أنَّهُ إذا كانَت النَّظرِيَّةُ الهَجينَةُ مُصيبَةً في أنَّ الجُملَةَ (5) تُعَبِّرُ عن مَوقِفٍ لامَعرِفِيٍّ، فلا بُدَّ أن يَكونَ لَها مَعنًى مُختَلِفٌ في الجُملَةِ (6)، حَيثُ لا تَكونُ مُرتَبِطَةً بِالتَّعبيرِ عن أيٍّ مِن المَواقِفِ. ويَقُودُنا هذا إلى مُشكِلَةٍ أُخرَى، هيَ: أنَّ الجُملَتَيْنِ (4) و(6) تَستَلزِمانِ مَعًا الجُملَةَ (5). فهذهِ الجُمَلُ تُكَوِّنُ مَعًا حُجَّةً سَليمَةً تَمامًا بِطَريقَةِ *قِياسِ الاستِلزامِ modus ponens**. على أنَّهُ [38] إذا كانَتِ الجُملَةُ (5) تَعني شَيئَيْنِ مُختَلِفَيْنِ عندَ تَقريرِها

---

* قِياسُ الاستِلزامِ: يُمَثِّلُ حالَةَ إثباتِ المُقَدَّمِ في المَنطِقِ، أي إذا افتَرَضنا في التَّركيبِ =

وعِندَ دُخولِها في الجُملَةِ الشَّرطِيَّةِ (6)، فإنَّ هذهِ الحُجَّةَ تكونُ غَيرَ سَليمَةٍ. ويُمكِنُ القَولُ على نَحوٍ أعَمَّ إنَّ النَّظريَّةَ الهَجينَةَ تَبدو في وَضعٍ صَعبٍ حينَ تُحاوِلُ أن تُفَسِّرَ مَعنى الجُمَلِ الشَّرطِيَّةِ أو الحُجَجِ السَّليمَةِ التي تَتَضَمَّنُ جُمَلًا دينِيَّةً تَعبيرِيَّةً ومَعرِفِيَّةً. ولِهذهِ الحُجَّةِ صِلَةٌ بِحُجَّةِ فريجه-غيتش Frege-Geach* التي سنَنظُرُ فيها في الفَصلِ 6. [39]

= الشَّرطِيِّ إثباتَ صِدقِ المُقَدَّم، فبالإمكانِ استِنتاجُ صِدقِ التّالي، أي إذا كانَت س هيَ أ، فإنَّ س هيَ ب، لكِنَّ س هيَ أ، فإذَن س هيَ ب، كأن يُقالَ: إذا كانَ الرَّجُلُ حِجازِيًّا فهوَ عَرَبِيٌّ، لكِنَّ الرَّجُلَ حِجازِيٌّ، فهوَ إذَن عَرَبِيٌّ. [المُتَرجِم]

* نِسبَةً إلى فَيلَسوفَيْنِ. فالفَيلَسوفُ الأوَّلُ: فريدرِش لودفيغ غوتلوب فريجه (1848-1925م)، وهوَ عالِمُ رِياضِيّاتٍ، ومَنطِقِيٌّ، وفَيلَسوفٌ ألمانيٌّ. يُعَدُّ أبا الفَلسَفَةِ التَّحليلِيَّةِ الحَديثَةِ لِكِتاباتِهِ في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ والرِّياضِيّاتِ. دَرَسَ أثَرَ اللُّغَةِ في الفِكرِ الإنسانيِّ. أهَمُّ مُؤَلَّفاتِهِ: (أُسُسُ عِلمِ الحِسابِ). والفَيلَسوفُ الثّاني: بيتَر توماس غيتش (1916-2013م)، وهوَ فَيلَسوفٌ بريطانيٌّ، وأُستاذُ المَنطِقِ في جامِعَةِ ليدز. مجالاتُ اهتِمامِهِ هيَ تَأريخُ الفَلسَفَةِ، والمَنطِقُ الفَلسَفِيُّ، وعِلمُ الأخلاقِ، وفَلسَفَةُ الدِّينِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (ثَلاثَةُ فَلاسِفَةٍ: أرسطو، والأكوينيُّ، وفريجه)؛ و(الإحالَةُ والعُمومُ: نَظرَةٌ في بَعضِ النَّظَرِيّاتِ الوَسيطِيَّةِ والحَديثَةِ)؛ و(اللهُ والرُّوح). [المُتَرجِم]

4

بريثويت والتَّحقيقيَّة

قَد يَكونُ برَيْثوَيْت أَشهَرَ مُنَظِّري المَوقِفِ الدِّينِيِّ وكانَ أَوَّلَ مَن دافَعَ صَراحَةً عن النَّظريَّةِ التَّعبيريَّةِ التّامَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. على أنَّ نظريَّتَهُ تَقومُ على تَقَبُّلٍ كَبيرٍ غَيرِ مُمَحَّصٍ لِلنَّظريَّةِ التَّحقيقِيَّةِ لِلمَعنَى التي عَزَّزَها مَناطِقَةُ الوَضعِيَّةِ. فَقَد انتَصَرَ لِهذِهِ النَّظريَّةِ، التي أشاعَها أ.ج. أيَر في كِتابِهِ *اللُّغَةُ، والصِّدقُ، والمَنطِق Language, Truth and Logic* (الطَّبعَةُ الأُولى في عام 1936؛ والطَّبعَةُ الثّانِيَةُ في عام 1946)، لِيُبَيِّنَ أنَّ *العِباراتِ التَّقريريَّةَ الدِّينيَّةَ statements* – وهوَ المُصطَلَحُ الذي يُعَبَّرُ بِهِ عن الجُمَلِ الإخبارِيَّةِ – 'لا مَعنَى لَها حَرفِيًّا'. وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ هذا الشَّكلَ مِن التَّحقيقِيَّةِ كانَ قَد ضَعُفَتِ الثِّقَةُ بِهِ تَمامًا في أربَعينِيّاتِ القَرنِ العِشرينَ، يُعَدُّ ذا أَهمِّيَّةٍ تَاريخِيَّةٍ لأَثَرِهِ الهائلِ في فَلسَفَةِ الدِّينِ في ذلكَ الوَقتِ ولِتَأثيرِهِ غَيرِ الاعتِيادِيِّ المُستَمِرِّ في هذا الحَقلِ في نِهاياتِ القَرنِ العِشرينَ. ثُمَّ إنَّهُ إذا كانَتِ الحُجَجُ التَّحقيقِيَّةُ المُستَعمَلَةُ في دَعمِ تَعبيريَّةِ برَيْثوَيْت غَيرَ ناجِحَةٍ، فإنَّ تَفصيلاتِ نُسخَتِهِ التَّعبيريَّةِ الدِّينِيَّةِ مُثيرَةٌ لِلاهتِمامِ لإسهامِها في تَطَوُّرِ نَظريّاتِ المَوقِفِ الدِّينِيَّةِ وبِوَصفِها أُنموذَجًا لِلتَّعبيريَّةِ يُمكِنُ إيجادُ حُجَجٍ أُخرَى لَهُ. لِذلِكَ كانَتْ أَهدافي في هذا الفَصلِ فَلسَفِيَّةً جُزئيًّا وتَاريخِيَّةً جُزئيًّا:

فما المَذهَبُ الوَضعِيُّ المَنطِقِيُّ، ولِمَ عُدَّ مُوَجِّهًا هذا التَّهديدَ إلى الاعتِقادِ الدِّينِيِّ، وما أسبابُ سُقوطِهِ الفَلسَفِيِّ؟

ولِمَ كانَ لِلنَّقدِ الوَضعِيِّ المَنطِقِيِّ لِلدِّينِ ذلكَ الأَثَرُ الكَبيرُ والمُستَمِرُّ في فَلسَفَةِ الدِّينِ؟

وما نُسخَةُ برَيثوَيْت التَّعبيرِيَّةُ لِنَظرِيَّةِ المَوقِفِ؟

وهَل يُمكِنُ الدِّفاعُ عن نظرِيَّةِ برَيثوَيْت؟

الوَضعِيَّةُ المَنطِقِيَّةُ واللُغَةُ الدِّينِيَّة

يَنُصُّ أَيَر على أَنَّ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ لا تَكونُ ذاتَ مَضمونٍ حَقيقِيٍّ إلّا إذا كانَتْ قابِلَةً لِلتَّحقيقِ تَجريبِيًّا. والعِبارَةُ التَّقريرِيَّةُ تَكونُ قابِلَةً لِلتَّحقيقِ تَجريبِيًّا إن أَمكَنَ مِن حَيثُ المَبدَأُ إظهارُ أَنَّ ما تُخبِرُ بِهِ [40] صادِقٌ أو كاذِبٌ بِالمُلاحَظَةِ. ويَسمَحُ أَيَر أَيضًا بِالعِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الضَّرورِيَّةِ مَنطِقِيًّا - مِثالُ ذلكَ العِباراتُ التَّقريرِيَّةُ التي مِن قَبيلِ 'س صادِقَةٌ أو س غَيرُ صادِقَةٍ'؛ فهذهِ العِباراتُ غَيرُ قابِلَةٍ لِلتَّحقيقِ لكِنَّها معَ ذلكَ صادِقَةٌ بِالضَّرورَةِ. وذَهَبَ إلى أَنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الضَّرورِيَّةَ تَحليلِيَّةٌ، أو صادِقَةٌ بِمُقتَضَى مَعنَى أَلفاظِها المُكَوِّنَةِ لَها. فهيَ بِذلكَ لا تَنقُلُ أَيَّةَ مَعلوماتٍ واقِعِيَّةٍ؛ وهوَ يُعَبِّرُ عن ذلكَ بِقَولِهِ: 'ما مِن واحِدَةٍ مِنها تُمِدُّنا بِأَيَّةِ مَعلوماتٍ بِشَأنِ أَيِّ أَمرٍ واقِعِيٍّ' (1946, p. 79). وقَد غَلَّفَ أَيَر النَّظرِيَّةَ التَّحقيقِيَّةَ لِلمَعنى بِ*مَبدَإِ التَّحقيقِ التَّجريبِيِّ* السَّيِّءِ الصِّيتِ: فالعِبارَةُ التَّقريرِيَّةُ لَيسَ لَها مَعنًى حَرفِيٌّ إلّا إذا كانَت تُعَبِّرُ عن قَضِيَّةٍ إمّا صادِقَةٍ تَحليلِيًّا (وبِذلكَ تَكونُ واقِعِيًّا غَيرَ مُخبِرَةٍ) وإمّا قابِلَةٍ لِلتَّحقيقِ تَجريبِيًّا. على أَنَّ أَيَرَ كانَ يُضَخِّمُ أَحيانًا مَأزِقَ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ التي تُخفِقُ في الوَفاءِ بِحَقِّ هذا المَبدَإِ، ولَو بِمُقتَضى شُروطِهِ الخاصَّةِ، غَيرَ مُكتَفٍ بِتَصويرِها على أَنَّها 'غَيرُ ذَواتِ مَعنًى حَرفِيٍّ' بَل يُمَيِّزُها أَيضًا بِأَنَّها تَكونُ 'هُراءً' في بَعضِ الأَحيانِ.

وكانَتِ الميتافيزيقا الهَدَفَ الرَّئيسَ لأَيَر، وقَد جَعَلَ لِلفَصلِ الأَوَّلِ مِن كِتابِهِ عُنوانًا فيهِ شَيْءٌ مِنَ الطُّموحِ، هوَ 'إقصاءُ الميتافيزيقا The Elimination of Metaphysics'. وكانَ يُنظَرُ إلى الميتافيزيقا على أَنَّها تَقومُ على عِباراتٍ تَقريرِيَّةٍ

تتعلَّقُ بِطبيعَةِ واقِعٍ يَقَعُ خارِجَ مُتَناوَلِ البَحثِ العِلمِيِّ. وتَشمَلُ أَمثِلَةُ المَسائلِ الميتافيزيقيَّةِ وُجودَ العالَمِ الخارِجيِّ، وعددَ الماهِيّاتِ في العالَمِ، ومَدَى كَونِ العالَمِ مُرَكَّبًا مِن أفكارٍ، وواقِعِيَّةَ القَضايا أو الكُلِّيّاتِ. ولِكَونِ النَّظريّاتِ المُتعلِّقَةِ بِهذهِ المَسائلِ غَيرَ قابِلَةٍ لِلتَّحقيقِ تَجريبِيًّا، عَدَّها أَيَر مُفتَقِرَةً إلى 'المَعنَى الواقِعِيِّ'؛ واعتَقَدَ أَنَّها يَنبَغي أن تُقصَى بِوَصفِها مَوضوعًا جَدَلِيًّا. ومِن الضَّحايا الواضِحَةِ الأُخرَى لِتَطبيقِ مَبدَإِ التَّحقيقِ العِباراتُ التَّقريرِيَّةُ الأَخلاقِيَّةُ، والجَمالِيَّةُ، والدِّينِيَّةُ التي رَأَى أَيَر أَنَّ أَيًّا مِنها لا يَقبَلُ التَّحقيقَ وأَنَّها لِذلكَ تَستَوي في كَونِها غَيرَ ذَواتِ مَعنًى واقِعِيٍّ[1].

على أَنَّ لَدَى أَيَر قِصَّةً وَضعِيَّةً أيضًا يَقُصُّها علينا بِشَأنِ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الأَخلاقِيَّةِ. فعَلى الرَّغمِ مِن أَنَّهُ قَد عَدَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الأَخلاقِيَّةَ أَوصافًا غَيرَ قابِلَةٍ لِلتَّحقيقِ لِحَقائقَ مِعيارِيَّةٍ تُخفِقُ في تَلبِيَةِ شُروطِ مَبدَإِ التَّحقيقِ التَّجريبِيِّ شَأنُها في ذلكَ شَأنُ العِباراتِ الميتافيزيقِيَّةِ الأُخرَى، رَأَى أَنَّ لَها وَظيفَةً لاوَصفِيَّةً مُمَيِّزَةً هيَ التَّعبيرُ عن القَبولِ أو الرَّفضِ. أي إنَّهُ إذا كانَ الخَبَرُ الأَخلاقِيُّ 'لا يُضيفُ شَيئًا إلى المَعنَى الحَرفِيِّ لِلجُملَةِ'، فإنَّهُ وَسيلَةٌ مُفيدَةٌ لِلتَّعبيرِ عَن مَواقِفِ المَرءِ ولِتَحفيزِ مَواقِفِ القَبولِ أو الرَّفضِ لَدَى الآخَرينَ. مِثالُ ذلكَ أَنِّي بِقَولي: 'سَرِقَةُ المالِ خَطَأٌ'،

> أُنتِجُ جُملَةً لا مَعنَى واقِعِيًّا لَها - أي لا تُعَبِّرُ عن قَضِيَّةٍ يُمكِنُ أن تَكونَ إمّا صادِقَةً وإمّا كاذِبَةً. وهذا كما لَو أَنِّي قَد كَتَبْتُ 'سَرِقَةُ المالِ!!' - حَيثُ يُظهِرُ شَكلُ عَلامَتَي التَّعَجُّبِ وثِخَنُهُما، بِمُواضَعَةٍ مُناسِبَةٍ، أَنَّ مِن الأنواعِ الخاصَّةِ [41] لِلرَّفضِ الأَخلاقِيِّ الشُّعورَ المُعَبَّرَ عنهُ. ومِن الواضِحِ أَنَّهُ لَم يُقَلْ هُنا شَيءٌ يُمكِنُ أن يَكونَ صادِقًا أو كاذِبًا. (1946, p. 107)

(1) ذَكَرَ أَيَر أَنَّ ثَمَّةَ عِباراتٍ تَقريرِيَّةً صادِقَةً صِدقًا تَحليلِيًّا لِلأَخلاقِ، والدِّينِ، وما إليهِما. مِثالُ ذلكَ، أَنَّ قَولَنا: 'الإلهُ الكُلِّيُّ القُدرَةِ كُلِّيُّ القُدرَةِ' عِبارَةٌ تَقريرِيَّةٌ دينِيَّةٌ صادِقَةٌ بِوُضوحٍ. على أَنَّا قَد رَأَينا أَنَّ هذهِ العِباراتِ عُدَّتْ صادِقَةً لكِن لَم تُعَدَّ ناقِلَةً لأَيِّ أَمرٍ واقِعِيٍّ.

وتُقَدِّمُ نظريَّةُ أيَر 'الانفِعاليَّةُ' الأَخلاقِيَّةُ دَورًا تَنهَضُ بِهِ اللُّغَةُ الأَخلاقِيَّةُ يَنسَجِمُ معَ مَبدَإِ التَّحقيقِ. وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ أيَر لا يُقدِّمُها هوَ بِنَفسِهِ على هذا النَّحوِ، يُمكِنُ القَولُ إنَّها تُمِدُّهُ أيضًا بإجابَةٍ عن المُشكِلَةِ المُحَيِّرَةِ المُتعلِّقَةِ بما يُمكِنُ فِعلُهُ بالخِطابِ الأَخلاقِيِّ إن كانَ يَفتَقِرُ إلى المَضمونِ الحَرفِيِّ. فالانفِعاليَّةُ بِخاصَّةٍ تُقَدِّمُ بَديلًا لِلانتِصارِ لِلمَنظورِ غَيرِ الجَذّابِ الذي مُفادُهُ أنَّ الخِطابَ الأَخلاقِيَّ يَنبَغي أن يُقصَى، هوَ ومِساحاتٌ أُخرَى لِلميتافيزيقا. ولا يَحتاجُ التَّحقيقِيُّونَ إلى الاستِغناءِ عن التَّعبيراتِ المِعيارِيَّةِ لِما لَها مِن أَهَمِّيَّةٍ في التَّعبيرِ عن القَبولِ والرَّفضِ. ويُلحَظُ أنَّ أيَر يَمضي في تَوسيعِ انفِعاليَّتِهِ لِتَشمَلَ اللُّغَةَ الجَماليَّةَ: 'فالكَلِماتُ الجَماليَّةُ نَحوُ 'جَميل' و'بَشِع' لا تُستَخدَمُ، شَأنُها شَأنُ الكَلِماتِ الأَخلاقِيَّةِ، لِتَكوينِ عِباراتٍ تَقريرِيَّةٍ لِلواقِعِ، بَل تُستَخدَمُ لِمُجَرَّدِ التَّعبيرِ عن مَشاعِرَ مُعَيَّنَةٍ واستِثارَةِ استِجابَةٍ مُعَيَّنَةٍ' (1946, p. 113). لكِن ماذا عَن اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ؟ يَصمِتُ أيَر عَن هذهِ المَسأَلَةِ، بِما يُوحِي بِأَنَّهُ يَنبَغي الاستِغناءُ عن اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ شَأنُها في ذلكَ شَأنُ لُغَةِ المساحاتِ الأُخرَى لِلميتافيزيقا. وهُنا يَأتي دَورُ بريثوَيت، بِتَقديمِهِ أُطروحَةَ انفِعاليَّةَ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، وهيَ نَتيجَةٌ طَبيعِيَّةٌ لانفِعاليَّةِ أيَر المُتعلِّقَةِ بِعِلمِ الأَخلاقِ وعِلمِ الجَمالِ، وإن كانَ بينَهُما بَعضُ الفُروقِ المُهِمَّةِ. وسَنَنظُرُ في هذهِ الفُروقِ وفي تَفصيلاتِ نَظرِيَّةِ بريثوَيت لاحِقًا في هذا الفَصلِ.

ويُمكِنُ القَولُ بِاختِصارٍ إنَّ الوَضعيَّةَ المَنطِقِيَّةَ كانَتْ رائِجَةً في ثَلاثينِيّاتِ القَرنِ العِشرينَ لكِنَّها سرعانَ ما واجَهَتْ مُشكِلاتٍ تَصعُبُ مُعالَجَتُها. ويُمكِنُنا الوُقوفُ على انحِرافٍ حَقيقِيٍّ في مَبدَإِ التَّحقيقِ عندَما نُطَبِّقُ عليهِ مَعاييرَهُ الذّاتِيَّةَ. فَمَبدَأُ التَّحقيقِ نَفسُهُ ليسَ قابِلًا لِلتَحقيقِ تَجريبِيًّا ولا صادِقًا تَحليلِيًّا، فهوَ بِذلكَ لا مَعنَى حَرفِيًّا لَهُ استِنادًا إلى مِعيارِهِ الذّاتِيِّ. ويُمَثِّلُ هذا مِثالًا صارِخًا لِمَن يَحفِرُ حُفرَةً لِلآخَرينَ فَيَسقُطُ فيها كانَ قَد أُغفِلَ، على ما أَقَرَّ بِهِ أيَر، في وَقتِ صِياغَةِ المَبدَإِ. على أنَّ السَّببَ المَركَزِيَّ لانهِيارِ النَّظرِيَّةِ كانَ إخفاقَها في تَطويرِ نُسخَةٍ عَمَلِيَّةٍ لِمَبدَإِ التَّحقيقِ. فَلْنَفترِضْ أنّا نَقولُ إنَّ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ تَكونُ ذاتَ مَعنًى واقِعِيٍّ إن أمكَنَ تَحقيقُها *تَحقيقًا حاسِمًا*، بِأخذِنا عِبارَةً تَقريرِيَّةً، ولْتَكُنْ س، على

أَنَّها مُحَقَّقَةٌ تَحقيقًا حاسِمًا إن كانَتْ ثَمَّةَ مَجموعَةٌ مِن العِباراتِ التَّقريريَّةِ المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ، وَلْتَكُنْ ص، تَستَلزِمُ س. والعِبارَةُ التَّقريريَّةُ المُستَنِدَةُ إلى المُلاحَظَةِ هيَ التي تَنقُلُ خِبرَةً حِسِّيَّةً فِعليَّةً أو مُمكِنَةً. فالتَّعميماتُ الكُلِّيَّةُ، نَحوُ 'النُّحاسُ يَتَمَدَّدُ بِالحَرارَةِ'، التي تَشمَلُ عددًا غيرَ مَحدودٍ مِن الأَمثِلَةِ، ستُخفِقُ عِندَئذٍ في تَلبِيَةِ شُروطِ مَبدَإِ التَّحقيقِ. ومَرَدُّ ذلكَ إلى أنَّ أيَّ عددٍ مُنتَهٍ مِن مُلاحَظاتِ تَمَدُّدِ النُّحاسِ عندَ تَعَرُّضِهِ لِلحَرارَةِ سيُكَوِّنُ في الأَغلَبِ الاحتِمالَ الكَبيرَ لِلتَّعميمِ. وما دُمْنا في وَضعٍ [42] لا يُتيحُ لَنا سِوَى مُلاحَظَةِ عَدَدٍ مُنتَهٍ مِن تَفاعُلاتِ النُّحاسِ والحَرارَةِ التي حَدَثَتْ أو سَتَحدُثُ، فليسَ بِالإمكانِ أن تُحَقَّقَ العِبارَةُ تَحقيقًا حاسِمًا[2]. فكذلِكَ، إذا كانَ بِالإمكانِ إظهارُ أنَّ العِباراتِ التَّقريريَّةَ المُتعلِّقَةَ بِالماضي البَعيدِ مُحتَمَلَةٌ جِدًّا، فلَيسَ بِالإمكانِ أن تُحَقَّقَ تَحقيقًا حاسِمًا. لِذلكَ كانَ اتِّخاذُ قابِليَّةِ التَّحقيقِ الحاسِمَةِ شَرطًا لِلمَضمونِ الواقِعِيِّ مِمّا يَجعَلُ عددًا كَبيرًا مِن العِباراتِ التَّقريريَّةِ العِلمِيَّةِ غَيرَ ذَواتِ مَعنًى حَرفِيٍّ.

وقَد تَصَدّى أيَر لِهذهِ المُشكِلَةِ، فاقترَحَ مِعيارًا أَقَلَّ تَشَدُّدًا يَقضي بِوُجوبِ أن تَكونَ العِبارَةُ التَّقريريَّةُ س *مُحَقَّقَةً تَحقيقًا ضَعيفًا* لِتَكونَ ذاتَ مَضمونٍ واقِعِيٍّ. وتَكونُ العِبارَةُ التَّقريريَّةُ قابِلَةً لأن تُحَقَّقَ تَحقيقًا ضَعيفًا إذا أَمكَنَ أن تُستَنبَطَ مِنها بِمَعِيَّةِ مُقَدِّماتٍ إضافِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ عِباراتٌ تَقريريَّةٌ مُستَنِدَةٌ إلى المُلاحَظَةِ لا يُمكِنُ أن تُستَنبَطَ مِن هذهِ المُقَدِّماتِ وَحدَها. وقَد تَبدو صِياغَةُ قابِليَّةِ التَّحقيقِ الضَّعيفَةِ صادِمَةً لِلبَداهَةِ، لكِنْ بِوُسعِنا الوُقوفُ على السَّبَبِ الذي قادَ أيَر إليها بَعدَ الإخفاقِ الذي مُنِيَتْ بِهِ قابِليَّةُ التَّحقيقِ الحاسِمَةُ. فَما يُحاوِلُهُ أيَر هوَ الإمساكُ بِالفِكرَةِ التي مُفادُها أنَّهُ مِن أجلِ أن تَكونَ العِبارَةُ التَّقريريَّةُ ذاتَ مَعنًى، يَجِبُ أن تُحدِثَ فَرقًا في صِدقِ بَعضِ العِباراتِ التَّقريريَّةِ المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ أو كَذِبِها. فإذا اتَّخَذْنا، على سبيلِ المِثالِ، تَعميمَ 'النُّحاسُ يتَمَدَّدُ بِالحَرارَةِ' مُقَدِّمَةً لِلحُجَّةِ والمُقَدِّمَةَ الإضافِيَّةَ 'تُوجَدُ

(2) يَعُدُّ أيَر أيضًا قابِليَّةَ التَّكذيبِ الحاسِمَةَ شَرطًا لِحِيازَةِ المَعنى؛ على أنَّهُ لَم يُبَيِّن اعتِراضَهُ عليها بِوُضوحٍ. ولِلوُقوفِ على مُراجَعَةٍ نَقدِيَّةٍ لِمُشكِلاتِ هذا البَديلِ، وكذلكَ لِخِيارِ جَعلِ قابِليَّةِ التَّحقيقِ أو قابِليَّةِ التَّكذيبِ مِعيارَ المَضمونِ الواقِعِيِّ، يُنظَر: (Soames (2005, pp. 280-282.

قِطعَةُ مِن النُّحاسِ على الطّاوِلَةِ'، كانَ بِإمكانِنا استِنباطُ العِبارَةِ التَّقريرِيَّةِ 'إذا عُرِّضَتْ قِطعَةُ النُّحاسِ التي على الطّاوِلَةِ لِلحَرارَةِ تَمَدَّدَتْ'. فهذِهِ العِبارَةُ التَّقريرِيَّةُ الأخيرَةُ المُستَنِدَةُ إلى المُلاحَظَةِ قابِلَةٌ لِلاختِبارِ مِن حَيثُ المَبدَأُ ولا يُمكِنُ استِنباطُها مِن المُقَدِّمَةِ الإضافِيَّةِ وَحدَها. فالتَّعميمُ يُقَدِّمُ إذَن مَعلومَةً إضافِيَّةً إلى المُقَدِّمَةِ الإضافِيَّةِ التي يُمكِنُ اختِبارُها بِالمُلاحَظَةِ. فهوَ لِذلكَ قابِلٌ لأن يُحَقَّقَ تحقيقًا ضَعيفًا وهوَ، استِنادًا إلى مَبدَإِ التَّحقيقِ المُعادِ الصِّياغَةِ لَدَى أيَر، ذو مَعنًى واقِعِيٍّ. ومِن سُوءِ حَظِّ أيَر أنَّ نَتيجَةَ إضعافِ مَبدَإِ التَّحقيقِ هيَ السَّماحُ لأيَّةِ عِبارَةٍ تَقريرِيَّةٍ بِأن تَكونَ قابِلَةً لأن تُحَقَّقَ تَحقيقًا (ضَعيفًا). ذلكَ بِأنّا إذا أخَذْنا العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ س والعِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ المُستَنِدَةَ إلى المُلاحَظَةِ ص، كانَ بِإمكانِنا عِندَئذٍ بِمَعِيَّةِ المُقَدِّمَةِ الإضافِيَّةِ 'إذا كانَتْ س كانَتْ ص' أن نَستَنبِطَ ص مِن س. فما دامَتْ ص تَنتُجُ مِن س والمُقَدِّمَةِ 'إذا كانَتْ س كانَتْ ص' لكِن لا يُمكِنُ استِنباطُها مِن المُقَدِّمَةِ 'إذا كانَتْ س كانَتْ ص' وَحدَها، فإنَّ هذا يَستَتبِعُ أنَّ س قابِلَةٌ لأن تُحَقَّقَ تحقيقًا ضَعيفًا. فَلْنَأخُذْ، مِثالًا لِذلكَ، العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ 'اللهُ رَحيمٌ' والعِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ المُستَنِدَةَ إلى المُلاحَظَةِ 'بِطاقَةُ اليانَصيبِ التي سأشتَريها سَتَفوزُ بِالجائزَةِ الكُبرَى'. فَالعِبارَةُ التَّقريرِيَّةُ المُستَنِدَةُ إلى المُلاحَظَةِ يُمكِنُ استِنباطُها مِن العِبارَةِ التَّقريرِيَّةِ 'اللهُ رَحيمٌ' بِاستِعمالِ المُقَدِّمَةِ الإضافِيَّةِ 'إذا كانَ اللهُ رَحيمًا فإنَّ بِطاقَةَ اليانَصيبِ التي سأشتَريها سَتَفوزُ بِالجائزَةِ الكُبرَى' لكِن لا يُمكِنُ استِنباطُها مِن العِبارَةِ التَّقريرِيَّةِ 'اللهُ رَحيمٌ' وَحدَها. ويَستَتبِعُ هذا أنَّ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ 'اللهُ رَحيمٌ' قابِلَةٌ لأن تُحَقَّقَ تَحقيقًا ضَعيفًا. ولا شَكَّ في أنّا لا نَحتاجُ إلى اعتِقادِ أنَّ المُقَدِّمَةَ التَّكميلِيَّةَ صادِقَةٌ. فالذي يَسعَى إليهِ أيَر هوَ مُحاوَلَةُ تَقديمِ مِعيارٍ لِحِيازَةِ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ لِلمَعنى؛ أمّا الصِّدقُ الفِعلِيُّ أو الكَذِبُ الفِعلِيُّ لِلمُقَدِّمَةِ الإضافِيَّةِ فليسَ نُقطَةَ الخِلافِ. ويُمكِنُ استِعمالُ شَكلِ الحُجَّةِ نَفسِهِ لإظهارِ [43] أنَّ أيَّةَ عِبارَةٍ تَقريرِيَّةٍ دينِيَّةٍ - في الواقِعِ، أيَّةَ عِبارَةٍ تَقريرِيَّةٍ مَهما تَكُنْ - قابِلَةٌ لأن تُحَقَّقَ تَحقيقًا ضَعيفًا.

والطَّريقَةُ الواضِحَةُ التي يُواجَهُ بِها هذا الاعتِراضُ هيَ وَضعُ قَيدٍ في المُقَدِّماتِ الإضافِيَّةِ التي يُمكِنُ استِعمالُها بِمَعِيَّةِ س مِن أجلِ أن تَستَلزِمَ المَزيدَ مِن

العِباراتِ التَّقريريَّةِ المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ. لِذلكَ، شَهِدَتِ الطَّبعَةُ الثَّانيَةُ مِن كِتابِ *اللُّغَةُ، والصِّدقُ، والمَنطِقُ* مُحاوَلَةً أُخرَى لأَيَر. وحاصِلُ هذهِ المُحاوَلَةِ أنَّ س تكونُ *قابِلَةً لأَن تُحَقَّقَ تحقيقًا مُباشِرًا* إذا كانَتْ عِبارَةً تَقريرِيَّةً مُستَنِدَةً إلى المُلاحَظَةِ أو إذا كانَتْ س تَستَلزِمُ، بِمَعِيَّةِ فِئَةٍ مِن العِباراتِ التَّقريريَّةِ المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ، عِبارَةً تَقريريَّةً مُستَنِدَةً إلى المُلاحَظَةِ لا تَستَلزِمُها تِلكَ الفِئَةُ مِن العِباراتِ التَّقريريَّةِ وَحدَها. وتكونُ س *قابِلَةً لأَن تُحَقَّقَ تحقيقًا غيرَ مُباشِرٍ* إذا كانَتْ بِمَعِيَّةِ فِئَةٍ مِن عِباراتٍ تَقريريَّةٍ أُخرَى تَستَلزِمُ عِبارَةً تَقريرِيَّةً قابِلَةً لأَن تُحَقَّقَ تَحقيقًا مُباشِرًا لا تَستَلزِمُها العِباراتُ التَّقريريَّةُ لِتِلكَ الفِئَةِ وَحدَها وإذا لَم تُوجَدْ أيَّةُ عِبارَةٍ تَقريريَّةٍ في تِلكَ الفِئَةِ لَيسَتْ (أ) قابِلَةً لأَنْ تُحَقَّقَ تحقيقًا مُباشِرًا أو (ب) تَحليلِيَّةً أو (ج) قابِلَةً لأَن تَبدُوَ على نَحوٍ مُستَقِلٍّ قابِلَةً لأَن تُحَقَّقَ تَحقيقًا غيرَ مُباشِرٍ. ثُمَّ أعادَ صِياغَةَ مَبدَإِ التَّحقيقِ لِيُفيدَ أَنَّهُ مِن أجلِ أن تكونَ العِبارَةُ التَّقريريَّةُ ذاتَ مَعنًى حَرفِيٍّ يَجِبُ أن تَكونَ تَحليليَّةً وإلّا وَجَبَ أن تَكونَ إمّا قابِلَةً لأَن تُحَقَّقَ تَحقيقًا مُباشِرًا وإمّا قابِلَةً لأَن تُحَقَّقَ تَحقيقًا غَيرَ مُباشِرٍ (1946, p. 13). عَلى أنَّ هذهِ النُّسخَةَ المُعَدَّلَةَ كانَتْ قَد نُقِضَتْ لاحِقًا على يَدِ ألونزو تشيرتش Alonzo Church* (1949). فَلْنَأخُذْ ثَلاثَ عِباراتٍ تَقريريَّةً مُستَنِدَةً إلى المُلاحَظَةِ ومُستَقِلَّةً مَنطِقِيًّا وَلْتَكُنْ ص1، وص2، وص3، وعِبارَةً تَقريريَّةً هيَ س، يُمكِنُ أن تَكونَ أيَّةَ عِبارَةٍ تَقريريَّةٍ مَهما تَكُنْ. وَلْنَنظُرِ الآنَ في الجُملَةِ الآتِيَةِ:

1. (لَيسَ-ص1 و ص2) بِإزاءِ (ص3 و لَيسَ-س)

حيثُ تَستَلزِمُ ص1 بِمَعِيَّةِ الجُملَةِ (1) عِبارَةً تَقريرِيَّةً مُستَنِدَةً إلى المُلاحَظَةِ هيَ ص3 التي لا تَستَلزِمُها ص1 وَحدَها (لأنَّ ص1 و ص3 مُستَقِلَّتانِ مَنطِقِيًّا). ويَنتُجُ

* ألونزو تشيرتش (1903-1995م). عالِمُ رِياضِيّاتٍ ومَنطِقِيٌّ أمريكِيٌّ. كانَتْ لَهُ إسهاماتٌ كَبيرَةٌ في المنطِقِ الرِّياضِيِّ وفي أُسُسِ عِلمِ الحاسوبِ النَّظَرِيِّ، وكانَت لَهُ كِتاباتٌ كذلكَ في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (مَدخَلٌ إلى االمَنطِقِ الرِّياضِيِّ)؛ و(حِساباتُ تَحويلِ لامدا). [المُتَرجِم]

مِن التَّعريفِ السّابِقِ أنَّ الجُملَةَ (1) قابِلَةٌ لأن تُحَقَّقَ تَحقيقًا مُباشِرًا. بيدَ أنَّ س بِمَعِيَّةِ الجُملَةِ (1) تَستَلزِمُ ص2، التي لا تَستَلزِمُها س وَحدَها. وبِذلكَ تَكونُ س مُلَبِّيَةً لِشَرطِ قابِلِيَّةِ التَّحقيقِ الضَّعيفَةِ ومِن ثَمَّ لِشَرطِ مَبدَإِ التَّحقيقِ التَّجريبِيِّ المُعَدَّلِ. ويُمكِنُ أن تَرمِزَ س إلى أيَّةِ عِبارَةٍ تَقريرِيَّةٍ، على ما ذُكِرَ آنِفًا[3].

ويَقودُنا هذا إلى أن نَسأَلَ: لِمَ يَرَى التَّحقيقِيُّونَ أنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الدِّينِيَّةَ غَيرُ مُنسَجِمَةٍ مَعَ مَبدَإِ التَّحقيقِ؟ فإن أُريدَ لِدَعاوَى أيَر المُثيرَةِ لِلجَدَلِ بِشَأنِ حِيازَةِ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ مَعنًى واقِعِيًّا أن تَقِفَ على أرضٍ صُلبَةٍ، حَتّى على افتِراضِ صِحَّةِ مَبدَإِ التَّحقيقِ، فإنَّهُ يَحتاجُ إلى إثباتِ أنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الدِّينِيَّةَ لَيسَتْ بِالضَّرورَةِ صادِقَةً ولا قابِلَةً لأن تُحَقَّقَ. وَدَعُونا نُسَلِّمْ لأيَر بِأنَّ مُعظَمَ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ المُتَعلِّقَةِ بِاللهِ التي يُقَرِّرُها المُؤمِنونَ لَيسَتْ بِالضَّرورَةِ صادِقَةً. فَلِمَ لا يُشْرَعُ عَدُّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ بِمَنزِلَةِ الفَرضِيّاتِ العِلمِيَّةِ؟ فالجُمَلُ الدِّينِيَّةُ تَظهَرُ في كَثيرٍ مِن الحالاتِ بِمَظهَرِ الواصِفَةِ لِسِماتِ العالَمِ التي تَكونُ لَها نَتائِجُ تتعلَّقُ بِما يُمكِنُ أن يُلحَظَ أو يَنبَغي أن يُلحَظَ، كَخَلقِ العالَمِ أو تَدَخُّلِ اللهِ فيهِ. [44] لِذلكَ، يَبدو أنَّ الكَثيرَ منها في وَضعٍ يُمَكِّنُها مِن الوَفاءِ بِمَعاييرِ المَضمونِ الحَرفِيِّ التي ثَبَّتَها مَبدَأُ التَّحقيقِ التَّجريبِيُّ، شَأنُها في ذلكَ شَأنُ سائِرِ الفَرضِيّاتِ العِلمِيَّةِ. وقَد كانَ رَدُّ أيَر على هذهِ الحُجَّةِ مُحكَمًا على نَحوٍ يُثيرُ الاستِغرابَ. فهوَ يَدعونا إلى أن نَفتَرِضَ ادِّعاءَ أنَّ صِدقَ بَعضِ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ لَهُ نَتائِجُ قابِلَةٌ لِلمُلاحَظَةِ. مِثالُ ذلكَ قَولُنا إنَّ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ 'اللهُ مَوجودٌ' تَستَلزِمُ وُجوبَ وُجودِ انتِظاماتٍ قابِلَةٍ لِلمُلاحَظَةِ في الطَّبيعَةِ. لكِن إذا كانَ ذلكَ هوَ كُلَّ ما تَستَلزِمُهُ جُملَةُ 'اللهُ مَوجودٌ'، فالذي يَراهُ أيَر عِندَئِذٍ، 'أنَّ تَقريرَ وُجودِ إلهٍ سَيَكونُ مُساوِيًا لِتَأكيدِ وُجودِ الانتِظامِ اللازِمِ في الطَّبيعَةِ' (1946, p. 115). ويُواصِلُ حَديثَهُ لِيُشيرَ إلى أنَّ مِن الواضِحِ أنَّ هذا ليسَ كُلَّ ما يَقصِدُ المُؤمِنونَ تَقريرَهُ بِادِّعائِهِم أنَّ اللهَ مَوجودٌ. بَل يَدَّعي المُؤمِنونَ أنَّ اللهَ مَوجودٌ مُتَعالٍ لا

(3) لِلوُقوفِ على مَزيدٍ مِن المُناقَشَةِ، يُنظَر: Hempel (1950).

يُمكِنُ تَعريفُهُ مِن زاوِيَةِ المَظاهِرِ القابِلَةِ لِلمُلاحَظَةِ. 'لكِن في هذهِ الحالَةِ سيَكونُ لَفظُ ''الله'' لَفظًا ميتافيزيقِيًا. وإذا كانَ لَفظُ ''الله'' لَفظًا ميتافيزيقِيًا فلا يُمكِنُ أن يُوجَدَ إلهٌ ولَو احتِمالًا'.

فإذا ما عُلِمَ ما يَكتَنِفُ نَظريَّةَ أَير لِلمَعنَى مِن مُشكِلاتٍ، فَلَن يَكونَ ثَمَّةَ تَأثيرٌ لِهذهِ الحُجَّةِ في المُؤمِنِينَ يَدفَعُهُم إلى مُحاوَلَةِ إثباتِ أَنَّ لِما يَقولونَهُ مَعنًى أو مَضمونًا حَرفِيًا أو واقِعِيًا. على أَنَّ مِن المُثيرِ لِلاهتِمامِ أن يُلحَظَ أَنَّ حُجَّةَ أَيَر الشَّخصِيَّةَ المُتعلِّقَةَ بِافتِراضِ أَنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الدِّينِيَّةَ لَيسَتْ ذَواتِ طَبيعَةٍ نَظَرِيَّةٍ أو احتِمالِيَّةٍ تتَضَمَّنُ تَحَوُّلًا مُهِمًّا عَن مَذهَبِهِ المُعلَنِ في التَّحقيقِ. وإلى يَومِنا هذا، يُقَدَّمُ مَبدَأُ التَّحقيقِ على أَنَّهُ طَريقَةٌ لِتَمييزِ الإفادَةِ مِن الهُراءِ. فالنَّظَرُ في تَلبِيَةِ العِبارَةِ التَّقريرِيَّةِ شُروطَ هذا المَبدَإِ هوَ الوَسيلَةُ التي تُمَكِّنُنا مِن تَحديدِ مَدى حِيازَتِها مَضمونًا حَرفِيًا. بَيدَ أَنَّ أَير حينَ يُعارِضُ قابِلِيَّةَ تَحقيقِ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ يَعتَمِدُ على افتِراضِ أَنَّ مَبدَأَ التَّحقيقِ يُقَدِّمُ الوَسيلَةَ المَطلوبَةَ لِتَحديدِ مَضمونِها: فمَضمونُ العِبارَةِ التَّقريرِيَّةِ تُقَدِّمُهُ العِباراتُ التَّقريرِيَّةُ المُستَنِدَةُ إلى المُلاحَظَةِ التي (بِمَعِيَّةِ افتِراضاتٍ أُخرَى) يُمكِنُ استِنباطُها مِنهُ. والواقِعُ أَنَّهُ يُسَلِّمُ بِأَنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الدِّينِيَّةَ قابِلَةٌ لِلتَّحقيقِ لكِنَّهُ يَدَّعي أَنَّ مَضمونَها المَقصودَ لا يَستَنفِدُهُ المَضمونُ الذي يُمكِنُ تَقديمُهُ مِن زاوِيَةِ الدَّعاوَى المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ. ومِن هذا الوَجهِ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الدِّينِيَّةَ لَيسَتْ وَحيدَةً في المَيدانِ. فالمَضمونُ المَقصودُ لِلعِباراتِ التَّقريرِيَّةِ العِلمِيَّةِ التي تَفتَرِضُ كِياناتٍ نَظَرِيَّةً غَيرَ قابِلَةٍ لِلمُلاحَظَةِ مُباشَرَةً - الإلكترونات، والقُوَى، وما إلى ذلكَ - كَذلِكَ لا تَستَنفِدُهُ العِباراتُ التَّقريرِيَّةُ المُستَنِدَةُ إلى المُلاحَظَةِ التي يُمكِنُ اشتِقاقُها مِنها.

التَّحقيقُ وفَلسَفَةُ الدِّين

في مُنتَصَفِ القَرنِ العِشرينَ كانَتِ النَّظرَةُ السّائِدَةُ إلى مُحاوَلَةِ صِياغَةِ مِعيارٍ عامٍّ لِحِيازَةِ المَعنَى هيَ أَنَّها مُهِمَّةٌ مُستَحيلَةٌ. على أَنَّ القَلَقَ بِشَأنِ حِيازَةِ العِباراتِ

التَّقريريَّةِ الدِّينِيَّةِ لِلمَعنَى ظَلَّ يُمارِسُ [45] تَأثيرًا كَبيرًا في الكِتاباتِ في فَلسَفَةِ الدِّينِ، ورافَقَ ذلكَ بُحوثٌ ومُؤَلَّفاتٌ تتعلَّقُ بِقابِلِيَّةِ التَّحقيقِ (أو الأفكارِ ذَواتِ الصِّلَةِ المُتعلِّقَةِ بِقابِلِيَّةِ التَّكذيبِ) وإنتاجٌ لِمَضمونٍ واقِعِيٍّ لِلعِباراتِ التَّقريريَّةِ الدِّينِيَّةِ في النِّصفِ الثّاني مِن القَرنِ العِشرِينَ[4]. فَلِمَ، إذَن، أَلقَتِ الوَضعيَّةُ المَنطِقِيَّةُ بِظِلالِها طَويلًا على ما أُنجِزَ مِن كِتاباتٍ في فَلسَفَةِ الدِّينِ؟ قَد يَبدو أَنَّ مِن الصَّعبِ تَفسيرَ الاهتِمامِ المُتَواصِلِ بِالتَّحدِّياتِ التي أثارَتْها نَظَرِيَّةٌ لِلمَعنَى فَقَدَتْ حُظوَتَها، واستِمرارِهِ مُدَّةً طَويلَةً بَعدَ نَبذِها في مَيادينَ فَلسَفِيَّةٍ أُخرَى؛ وفَهمُ سَبَبِ ذلكَ يُمَثِّلُ نُقطَةَ اهتِمامٍ تَأريخِيٍّ وفَلسَفِيٍّ. وأَعتَقِدُ أَنَّ ثَمَّةَ مَسأَلَتَيْنِ مُهِمَّتَيْنِ مُضَمَّنَتَيْنِ في نَقدِ أَيَر لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ تُسَلِّطانِ مَزيدًا مِن الأَضواءِ على أَسبابِ التَّأثيرِ الذي كانَ لِكِتاباتِهِ. على أَنَّ المَسأَلَتَيْنِ كِلتَيْهِما تَتَعلَّقانِ بِمَسأَلَةٍ أَوسَعَ هيَ كَيفِيَّةُ تَعَلُّقِ مَعنَى العِباراتِ التَّقريريَّةِ الدِّينِيَّةِ بِالدَّليلِ الذي يُمكِنُ مِن حَيثُ المَبدَأُ أن يُقَدِّمَ الدَّعمَ لَها (ونَوعِ هذا الدَّليلِ) أَكثَرَ مِن تَعَلُّقِهِما بِمُحاوَلَةِ رَسمِ خَطٍّ فاصِلٍ حادٍّ بينَ العِباراتِ التَّقريريَّةِ التي لَها مَعنًى والعِباراتِ التَّقريريَّةِ التي لا مَعنَى لَها أو 'الهُرائيَّةِ'. فَلْنَدَعْ جانِبًا دَعاوَى أَيَر الجَذرِيَّةَ بِشَأنِ مَآلاتِ العِباراتِ التَّقريريَّةِ التي تُخفِقُ في تَلبِيَةِ شُروطِ مَبدَإِ التَّحقيقِ؛ ذلكَ بِأَنَّ أَيَر نَفسَهُ سَلَّمَ بِأَنَّ هذهِ الدَّعاوَى مُنحازَةٌ، لِعَدَمِ وُجودِ حُجَّةٍ تُلزِمُنا مُعامَلَةَ مَبدَإِ التَّحقيقِ بِوَصفِهِ المِعيارَ الوَحيدَ لِحِيازَةِ المَعنَى (1946, p. 15).

فَأَمّا المَسأَلَةُ الأُولَى (التي يُعنَى بِها أَيضًا القِسمُ الثّاني مِن هذا الكِتابِ) فتتعلَّقُ بِالعَلاقَةِ بينَ الطَّرائقِ المُتَّبَعَةِ لِتَحقيقِ العِباراتِ التَّقريريَّةِ الدِّينِيَّةِ ومَضمونِها. فهذهِ العَلاقَةُ ذاتُ أَهمِّيَّةٍ مَركَزِيَّةٍ لِنُقطَةٍ حاسِمَةٍ تتعلَّقُ بِتَخالُفِ فِكرَتَيْنِ مُتَضادَّتَيْنِ بِشَأنِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ (ومِساحاتٍ أُخرَى في اللُّغَةِ) كانَتا قَد طَبَعَتا بِطابِعِهِما الكَثيرَ مِن مَفاصِلِ الجَدَلِ النَّظَرِيِّ في أَعقابِ الحَربِ العالَمِيَّةِ الثّانِيَةِ. إحدَى الفِكرَتَيْنِ هيَ أَنَّ

---

(4) يُنظَرُ، على سبيلِ المِثالِ: Flew and MacIntyre (1955)، وFerré (1962)، وMacquarrie (1967)، وDonavan (1975)، وTilley (1978).

مَضمونَ القَولِ الدِّينِيِّ يتعلَّقُ أساسًا بِقُدرَتِنا على إثباتِ صِدقِهِ. ولا شَكَّ في أنَّ هذهِ الفِكرَةَ تَتَجَلّى في النَّظرِيَّةِ التَّحقيقِيَّةِ، التي تَرَى أنَّ المَضمونَ الواقِعِيَّ يَعتَمِدُ على قابِلِيَّةِ التَّحقيقِ التَّجريبِيَّةِ لِما يُقالُ. لكِن يُمكِنُ الوُقوفُ أيضًا على هذهِ الفِكرَةِ في كِتاباتِ فَلاسِفَةِ الدِّينِ المُنتَسِبينَ إلى التَّقليدِ الفِتغِنشتاينِيِّ. ولَيسَ حاصِلُ وِجهَةِ النَّظَرِ هذهِ أنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الدِّينِيَّةَ يَجِبُ أن تَكونَ قابِلَةً لِلتَّحقيقِ التَّجريبِيِّ أو أنَّها يَنبَغي عُمومًا أن تَكونَ خاضِعَةً لِلمَعاييرِ العِلمِيَّةِ لِتَكونَ قابِلَةً لِلصِّدقِ. بَل حاصِلُها أنَّ التَّحقيقَ يُؤَوَّلُ بِحُرِّيَّةٍ أكبَرَ بِكَثيرٍ بِحَيثُ يَشمَلُ طَرائِقَ مُختَلِفَةً لإثباتِ أنَّ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ صادِقَةٌ، بِصَرفِ النَّظَرِ عن جَدارَتِها العِلمِيَّةِ. فإذا كانَتْ هذهِ المُقارَبَةُ تُشارِكُ التَّحقيقِيَّةَ في فِكرَةِ أنَّ تَأويلَ العِبارَةِ التَّقريرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ يَتَطَلَّبُ مَعلوماتٍ بِشَأنِ طَريقَتِها في التَّحقيقِ، فإنَّها تَرفُضُ إصرارَ التَّحقيقِيِّينَ على أنَّ التَّحقيقَ التَّجريبِيَّ هوَ وَحدَهُ المَقبولُ. وقَد غَدَتْ هذهِ المَسألَةُ مَفهومًا أساسِيًّا، لا في فَلسَفَةِ الدِّينِ فَحَسْبُ، بَل كذلكَ في 'المُنعَطَفِ اللُّغَوِيِّ' لِلفَلسَفَةِ التَّحليلِيَّةِ في مُنتَصَفِ القَرنِ العِشرينَ[5]. ويُقابِلُ هذا التَّقليدَ ما يُمكِنُ أن نُسَمِّيَهُ المُقارَبَةَ 'الواقِعِيَّةَ'، [46] التي تَذهَبُ إلى أنَّ مَضمونَ قَولٍ مّا وقُدرَتَنا على إثباتِ صِدقِهِ مُستَقِلٌّ أحَدُهُما عن الآخَرِ: فقَد يَكونُ التَّقريرُ الدِّينِيُّ صادِقًا وإن كانَ مِن حَيثُ المَبدَأُ يَستَحيلُ تَحقيقُهُ. وقَد راجَتْ هذهِ الفِكرَةُ الأخيرَةُ 'الواقِعِيَّةُ' إبّانَ هَيمَنَةِ الفَلسَفَةِ الأنغلوأمريكِيَّةِ في العُقودِ الأخيرَةِ وهيَ الآنَ غالِبًا مّا تُمَثِّلُ الافتِراضَ المُستَصحَبَ بِشَأنِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ.

وأمّا المَسألَةُ الثّانِيَةُ فتَتَّضِحُ أكثَرَ حينَ نَنظُرُ في دَوافِعِ إنشاءِ مِعيارٍ لِلمَضمونِ الواقِعِيِّ. فَلْنَنظُرْ في النَّظرِيَّةِ التَّجريبِيَّةِ التي مُفادُها أنَّ مَعرِفَتَنا لِلعالَمِ وأفكارَنا عنهُ مُستَمَدَّةٌ مِن الخِبرَةِ. فإذا كانَ المَرءُ تَجريبِيًّا، فحينَئِذٍ سَيَبدو الفَرقُ بينَ الجُمَلِ التي

(5) مِن الشَّخصِيّاتِ المَركَزِيَّةِ في هذهِ الحقبَةِ التّاريخِيَّةِ مايكل دَميت Michael Dummett الذي غَدَا بَحثُهُ الأصيلُ الذي عُنوانُهُ 'الصِّدقُ' (1959) أحَدَ أكثَرِ النُّصوصِ تَأثيرًا في الدِّفاعِ عن الصِّلَةِ الأساسِيَّةِ بينَ المَضمونِ والتَّحقيقِ.

تُناسِبُ التَّقويمَ التَّجريبيَّ والجُمَلِ التي لا تُناسِبُهُ أمرًا مُهِمًّا، وستَبدو مُهِمَّةُ إيجادِ طَريقَةٍ لِتَحديدِ طَبيعَةِ الجُملَةِ وطَبيعَةِ الصِّنفِ الذي تَكونُ فيهِ جُهدًا مَشروعًا. ثُمَّ إنَّ مِن الواضِحِ أنَّ مِمّا يُثيرُ الاهتِمامَ كَونَ الجُمَلِ الدِّينيَّةِ في الصِّنفِ السّابِقِ أو في الصِّنفِ اللاحِقِ. ومُحاوَلاتُ أيَر الشَّخصيَّةُ لِتَمييزِ الصِّنفَيْنِ مِن خِلالِ اللُّجوءِ إلى العِباراتِ التَّقريريَّةِ المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ والعِباراتِ التَّقريريَّةِ التي لَها عَلاقاتٌ استِلزامِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ بِالعِباراتِ التَّقريريَّةِ المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ قَد تَبدو الآنَ ساذَجَةً وغَيرَ مُجدِيَةٍ في ضَوءِ ما تَلاها مِن كِتاباتٍ في الحمولَةِ النَّظَرِيَّةِ لِلتَّقاريرِ المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ (على ما ذَهَبَ إليهِ، على سبيلِ المِثالِ، كُون Kuhn* [1962]). على أنّا إذا تَبَنَّيْنا الوِجهَةَ المُتَبَنّاةَ على نَحوٍ واسِعٍ (إن كُنّا مُتَفائِلينَ) التي مُفادُها أنَّ العِلمَ النَّظَرِيَّ قادِرٌ على إمدادِنا بِالمَعرِفَةِ مِن طَريقِ اكتِشافِ سِماتِ العالَمِ وتَفسيرِها وأنَّ مِصداقِيَّةَ النَّظَرِيَّةِ العِلمِيَّةِ تَرتَكِزُ على اختِبارِ تَنَبُّؤاتِها، فلا بُدَّ مِن أن يَكونَ لَدَينا صِنفٌ *ما* مُتَمَيِّزٌ لِلجُمَلِ المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ، وإن لَم تَكُن مُتَحَرِّرَةً تَمامًا مِن النَّظَرِيَّةِ. ويُعَبِّرُ كرِسْبِن رايت Crispin Wright** عن هذهِ النُّقطَةِ على النَّحوِ الآتي:

> إنَّ المُلاحَظَةَ، مَهما تَكُن 'مَشروطِيَّتُها مِن النّاحِيَةِ النَّظَرِيَّةِ'، تَظَلُّ أساسِيَّةً في العِلمِ مِن النّاحِيَةِ المَعرِفِيَّةِ. فرُبَّما لا يَكونُ ثَمَّةَ وُجودٌ لِصِنفٍ أبَدِيٍّ لِلعِباراتِ التَّقريريَّةِ المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ، ولا لِمُفرَداتٍ مُعجَمِيَّةٍ مُفَضَّلَةٍ لِلمُلاحَظَةِ، ولا لِشَيْءٍ يُدْعَى تَأييدًا لِلعِبارَةِ التَّقريريَّةِ مُستَنِدًا إلى المُلاحَظَةِ بِلا افتِراضٍ

* توماس صاموئيل كُون (1922-1996م). فيزيائيٌّ، ومُؤَرِّخٌ، وفَيلَسوفٌ عِلمِيٌّ أمريكِيٌّ. أثَّرَ كِتابُهُ الجَدَلِيُّ (بِنيَةُ الثَّوراتِ العِلمِيَّة) الذي نَشَرَهُ عامَ 1962 في الأوساطِ الأكاديمِيَّةِ والشَّعبِيَّةِ عَلى حَدٍّ سَواءٍ، بِتَقديمِهِ مُصطَلَحَ "تَحَوُّل البارادايم" الذي أصبَحَ مُنذُ ذلكَ الحينِ مُصطَلَحًا مِن مُصطَلَحاتِ اللُّغَةِ الإنجليزِيَّةِ. مِن آثارِهِ: (الثَّورَةُ الكوبَرنيكِيَّةُ: عِلمُ الفَلَكِ الكَوكَبِيُّ في تَطَوُّرِ الفِكرِ الغَربِيِّ)؛ و(وَظيفَةُ القِياسِ في عِلمِ الفيزياءِ الحَديث)؛ و(بِنيَةُ الثَّوراتِ العِلمِيَّة). [المُتَرجِم]

** كرِسبِن جَيمس غارث رايت (1942-...م). فَيلَسوفٌ بريطانِيٌّ. كَتَبَ في فَلسَفَةِ الرِّياضِيّاتِ الفريجِيَّةِ الجَديدَةِ، وفَلسَفَةِ فِتغِنشتاين المُتَأخِّرَةِ، وقَضايا تتعلَّقُ بِالصِّدقِ، والواقِعِيَّةِ، والمَعرِفِيَّةِ، والشَّكِّيَّةِ، والمَعرِفَةِ، والمَوضوعِيَّةِ. مِن آثارِهِ: (تَصَوُّرُ فريجه لِلأعدادِ بِوَصفِها أشياء)؛ (الصِّدقُ والمَوضوعِيَّة)؛ و(الواقِعِيَّةُ، والمَعنى، والصِّدق). [المُتَرجِم]

> نَظَرِيٌّ مُسبَقٍ. لكِن تُوجَدُ، في كُلِّ نُقطَةٍ مِن نِقاطِ تَأريخِنا، فِكرَةٌ مَا تتعلَّقُ بِحِيازَةِ مَدًى مِن حالاتِ الواقِعِ التي تُمكِنُ مُلاحَظَتُها، والتي يُمكِنُ القَولُ إنَّ النَّظريَّةَ العِلمِيَّةَ الحالِيَّةَ - بِحَسَبِ ما يَقودُنا إليهِ تَفكيرُنا الاعتِيادِيُّ - مَسؤُولَةٌ عنها تَجريبِيًّا ولكِن يُذهَبُ إلى أنَّها لَيسَت اهتِمامًا حَصريًّا.
> (1989, pp. 620-621).

ويُواصِلُ رايت حَديثَهُ لِيَذهَبَ إلى أنَّ هذهِ الوِجهَةَ لِلمَعرِفَةِ العِلمِيَّةِ لا يُمكِنُها البَقاءُ ما لَم نَستَطِعْ أن نَفهَمَ صِنفَ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ (مَهما يَكُنْ تَأويلُنا لَها) التي تُحدِثُ الفارِقَ في قِيَمِ الصِّدقِ المُتَعلِّقَةِ بِصِنفِ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ التي نَعُدُّها قادِرَةً على نَقلِ المَعرِفَةِ بِشَأنِ العالَمِ. وعلى الرَّغمِ مِن المُبالَغَةِ التي قَد تَكونُ عليها مُحاوَلاتُ أيَر الرّامِيَةُ إلى تَقديمِ وَصفٍ مَخصوصٍ لِلجُمَلِ التي تَقَعُ خارِجَ دائرَةِ الصِّنفِ الأخيرِ 'التي لا مَعنَى لَها'، [47] يُمكِنُ القَولُ إنَّ مَبدَأَ التَّحقيقِ كانَ مُحاوَلَةً - أو سِلسِلَةَ مُحاوَلاتٍ - لِتَقديمِ صِياغَةٍ دَقيقَةٍ لِهذهِ العَلاقَةِ. فَلا عَجَبَ، وقَد عُلِمَتْ جاذِبِيَّةُ هذا المَشروعِ، أن وُجِدَتْ مُحاوَلاتٌ لاحِقَةٌ لِصِياغَةِ مَبدَإٍ لِلتَّحقيقِ (وإن لَم يَكُن مُرتَبِطًا بِالدَّعاوَى المُتَطَرِّفَةِ بِشَأنِ حِيازَةِ المَعنَى)[6].

وإنَّ تَأريخَ التَّقويضِ النّاجِحِ لِمُختَلِفِ نُسَخِ مَبدَإِ التَّحقيقِ لَيُوحي بِاحتِمالِ أَلّا تَكونَ ثَمَّةَ طَريقَةٌ دَقيقَةٌ لِصِياغَةِ العَلاقَةِ التي بينَ التَّقاريرِ المُستَنِدَةِ إلى المُلاحَظَةِ، مِن جِهَةٍ، والجُمَلِ النَّظَرِيَّةِ التي تُعَبِّرُ عن حَقائقَ غَيرِ قابِلَةٍ لِلمُلاحَظَةِ المُباشِرَةِ لكِنَّها قابِلَةٌ على نَحوٍ مَا لِلتَّقويمِ مِن طَريقِ شَهادَةٍ مُكتَسَبَةٍ بِالمُلاحَظَةِ، مِن جِهَةٍ أُخرَى. وعلى الرَّغمِ مِن إخفاقِ هذهِ المُحاوَلاتِ، تُعَدُّ مَسأَلَةُ استِحقاقِ الجُمَلِ التي تُعَبِّرُ عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ مُتَبَنّاةٍ على نِطاقٍ واسِعٍ أن تُدرَجَ في الصِّنفِ اللاحِقِ مَحلَّ اهتِمامٍ خاصٍّ في فَلسَفَةِ الدِّينِ؛ إذ تُعينُ بِطَريقَةٍ مَا على تَفسيرِ الانشِغالِ المُتَواصِلِ بِقابِلِيَّةِ التَّحقيقِ وقابِلِيَّةِ التَّكذيبِ لِلجُمَلِ الدِّينِيَّةِ.

---

(6) أنجَحُ هذهِ المُحاوَلاتِ مُحاوَلَةُ رايت Wright (1986) التي أَقَرَّها أيَر في أَحَدِ مُؤلَّفاتِهِ الأخيرَةِ (1992). يُنظَر: Cohen (1980) وLewis (1988).

برَيْثوَيْت

تَستَنِدُ أُطروحَةُ برَيْثوَيْت اللامَعرِفِيَّةُ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ إلى مُناقَشَةِ أيَر لِعِلم الأخلاقِ، وعِلمِ الجَمالِ، والدِّينِ، في كِتابِهِ *اللُّغَةُ، والصِّدقُ، والمَنطِق*. فقد رَأَينا أنَّ أيَر يَتَبَنَّى نَظرِيَّةً انفِعالِيَّةً لِعِلم الأخلاقِ وعِلمِ الجَمالِ. إذ يَرَى أيَر أنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الأخلاقِيَّةَ والجَمالِيَّةَ وإن لَم تَكُن وَصفِيَّةً فإنَّ لَها وَظيفَةً مُهِمَّةً هيَ التَّعبيرُ عَن مَواقِفِنا اللامَعرِفِيَّةِ مِن قَبولٍ ورَفضٍ. على أنَّ أيَر لا يَمنَحُ اللُّغَةَ الدِّينِيَّةَ هذهِ الحُظوَةَ نَفسَها. وهُنا يَظهَرُ دَورُ برَيْثوَيْت. فهوَ يُعالِجُ اللاتَناظُرَ بينَ مُعالَجَةِ أيَر لِلدِّينِ ومُعالَجَتِهِ لِعِلم الأخلاقِ وعِلمِ الجَمالِ مِن خِلالِ تَطويرِ أُطروحَةٍ تَعبيرِيَّةٍ لِسَلَفِهِ.

وقَد رَأَينا أنَّ النَّقدَ التَّحقيقِيَّ لِلدِّينِ مُخفِقٌ تَمامًا وأنَّهُ لِذلكَ لا يَحُثُّ على إيجادِ أُطروحَةٍ تَعبيرِيَّةٍ لِلدِّينِ. على أنَّهُ وإن كانَتْ نَظرِيَّةُ برَيْثوَيْت المَوقِفِيَّةُ لِلدِّينِ لَم تُحَفَّزْ بما فيهِ الكِفايَةُ، فإنَّ نَظرِيَّتَهُ تَستَحِقُّ الاهتِمامَ لِمَزاياها الخاصَّةِ. ومِنَ المُثيرِ لِلاهتِمامِ أن نَنظُرَ في مَدَى وُجودِ صيغَةٍ فاعِلَةٍ لِلتَّعبيرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ - أي صيغَةٍ تَنطَوي على حُلولٍ مُرضِيَةٍ لِلمُشكِلاتِ العامَّةِ التي أُثيرَتْ في مُقَدِّمَةِ هذا الكِتابِ - بِمَعزِلٍ عن مَدَى وُجودِ حُجَجٍ مُقنِعَةٍ مُؤَيِّدَةٍ لِلنَّظَرِيَّةِ. ويُلحَظُ أنَّ الانفِعالِيَّةَ الأخلاقِيَّةَ لَدى أيَر تُعَدُّ في ما بَعدَ عِلمِ الأخلاقِ المُعاصِرِ أَحَدَ أنواعِ التَّعبيرِيَّةِ وخِيارًا نَظَرِيًّا مُهِمًّا لِكَيفِيَّةِ تَأويلِ مَعنَى [48] العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ؛ فَقَد نُبِذَتْ عُدَّةُ الوَضعِيَّةِ المَنطِقِيَّةِ بِدَرَجَةٍ كَبيرَةٍ واستُبدِلَتْ بِها مَسالِكُ حِجاجِيَّةٌ أُخرَى. وهذهِ مُعالَجَةٌ لأُطروحَةِ أيَر لِمَعنَى العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ مُثيرَةٌ لِلاهتِمامِ مِنَ النّاحيَةِ الفَلسَفِيَّةِ لكِنَّها مُعالَجَةٌ لاتَاريخِيَّةٌ. فأيَر لا يُقَدِّمُ الانفِعالِيَّةَ المُتَعَلِّقَةَ بِالعِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ على أنَّها تُفصِحُ عَن جَميعِ أسرارِ مَعناها. بَل إنَّهُ يَذهَبُ، استِنادًا إلى مَبدَإِ التَّحقيقِ، إلى أنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الأخلاقِيَّةَ تُخفِقُ نِظامِيًّا في تَمثيلِ حَقائقَ مِعيارِيَّةٍ؛ فالانفِعالِيَّةُ تُعالِجُ سَبَبَ مُواصَلَتِنا استِعمالَ اللُّغَةِ الأخلاقِيَّةِ، بِالتَّساوُقِ معَ هذا النَّقدِ التَّحقيقِيِّ.

فقَد صِيغَتْ أُطروحَةُ برَيْثوَيْت لِلُغَةِ الدِّينِيَّةِ عَلى وَفقِ انفِعاليَّةِ أيَر الأخلاقِيَّةِ، لكِنَّهُ يُعَدِّلُ هذهِ النَّظرِيَّةَ. فبَدَلًا مِن أن يَعُدَّ الجُمَلَ الأخلاقِيَّةَ مُعَبِّرَةً عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ مِن قَبولٍ أو رَفضٍ، يَدَّعي أنَّ 'المُقَدَّمَ هوَ قَصدُ [المُؤمِنِ] أداءَ الفِعلِ حينَ تَحينُ مُناسَبَتُهُ' (1955, p. 12). فَقَصدُ مُلاحَقَةِ مَسلَكٍ لِلفِعلِ هوَ ما تُعَبِّرُ عنهُ العِبارَةُ التَّقريرِيَّةُ الأخلاقِيَّةُ. فَالذي يَدَّعي، مَثَلًا، أنَّ أفعالَنا يَنبَغي أن تُوَجَّهَ بِاتِّجاهِ زِيادَةِ السَّعادَةِ لا يُقَرِّرُ قَضِيَّةً أو حَتّى يُبدي أيَّ شُعورٍ مَخصوصٍ بِالقَبولِ تُجاهَ تَصَرُّفٍ كَهذا، بَل يُوافِقُ على السِّياسَةِ السُّلوكِيَّةِ القاضِيَةِ بِزِيادَةِ السَّعادَةِ. وتُوازي مُفارَقَةُ برَيْثوَيْت لانفِعاليَّةِ أيَر تَعارُضًا نَظرِيًّا أحدَثَ بينَ التَّعبيرِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ لِسايمن بلاكبيرن (1984, 1993a) والتَّعبيرِيَّةِ المِعيارِيَّةِ لألن غِبَرد Allan Gibbard* (1990). وتَعبيرِيَّةُ بلاكبيرن وإن كانَتْ تَطويرًا مُهِمًّا لأُطروحَةِ أيَر في عددٍ مِن التَّفصيلاتِ المُهِمَّةِ فإنَّها تُشارِكُها في المُقارَبَةِ الأساسِيَّةِ نَفسِها وهيَ عَدُّ الجُمَلِ الأخلاقِيَّةِ مُعَبِّرَةً عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ مِن قَبولٍ أو رَفضٍ (وقَد نَظَرْنا في هذهِ الفِكرَةِ في الفَصلِ 1). فالمُتَكَلِّمُ حينَ يَقولُ الجُملَةَ (2) لا يُعَبِّرُ عن اعتِقادِ أنَّ الكَذِبَ خَطَأٌ بَل يُعَبِّرُ عن مَوقِفِ رَفضٍ لِلكَذِبِ:

2. الكَذِبُ خَطأٌ.

ويُمكِنُ أن يُمَثَّلَ هذا على النَّحوِ الآتي:

3. ب! B! (الكَذِب).

حَيثُ يَرمِزُ ب! B! (أو بُوهُو! Boohoo!) إلى التَّعبيرِ عن رَفضِ المَضمونِ الذي

* ألن غِبَرد (1942–...م). أُستاذُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ ميشيغان. لَهُ إسهاماتٌ كَبيرَةٌ في النَّظَرِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ المُعاصِرَةِ، ولا سِيَّما في ما بَعدَ عِلمِ الأخلاقِ، إذ طَوَّرَ نُسخَةً مُعاصِرَةً مِن اللامَعرِفِيَّةِ. ولَهُ كذلكَ مَقالاتٌ في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ، والميتافيزيقا، ونَظَرِيَّةِ الاختِيارِ الاجتِماعِيّ. مِن آثارِهِ: (الاختِياراتُ الحَكيمَةُ، والمَشاعِرُ السَّديدَةُ: نَظَرِيَّةٌ لِلحُكمِ المِعيارِيّ)؛ و(مُصالَحَةُ أهدافِنا: البَحثُ عَن أُسُسٍ لِعِلمِ الأخلاقِ)؛ و(المَعنى والمِعيارِيَّة). [المُتَرجِم]

بَينَ قَوسَيْنِ. أمّا غِبرد فيَذهَبُ، بِعَكسِ ذلكَ، إلى أنَّ الجُمَلَ الأخلاقِيَّةَ (والجُمَلَ المِعيارِيَّةَ عُمومًا، ومِنها الجُمَلُ المُتَعَلِّقَةُ بِما هوَ عَقلانِيٌّ) تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عَن خُطَطٍ. والخُطَطُ هيَ آراؤُنا بِشأنِ الأمرِ الذي يَنبَغي فِعلُهُ في ظُروفٍ مُختَلِفَةٍ. ويُنظَرُ بِمَشروعِيَّةٍ إلى مَذهَبِ غِبرد على أنَّهُ شَكلٌ مِن أشكالِ التَّعبيرِيَّةِ، لأنَّهُ يَذهَبُ إلى أنَّ الجُمَلَ الأخلاقِيَّةَ [49] لا تُمَثِّلُ حَقائقَ أخلاقِيَّةً ولا تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ لِحَقائقَ أخلاقِيَّةٍ. بَل إنَّها تُعَبِّرُ عن حالاتِ تَخطيطٍ ذِهنِيَّةٍ: ما نَستَبقي وما نَستَبعِدُ، ما نَعُدُّهُ مَسموحًا بِهِ وما يَنبَغي لَنا رَفضُهُ بِحَسَبِ ما يَجِدُّ مِن ظُروفٍ مُختَلِفَةٍ. ويُخالِفُ غِبرد كُلًّا مِن بلاكبيرن وأيَر في عَدِّهِ الحالاتِ الذِّهنِيَّةَ المُعَبَّرَ عنها في الخِطابِ الأخلاقِيِّ حالاتِ تَخطيطٍ لا مَواقِفَ قَبولٍ ورَفضٍ. وكَذلكَ يَرَى برَيْثوَيْت أنَّ الجُمَلَ الأخلاقِيَّةَ تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن التِزاماتٍ لِسِياسَةٍ مّا.

ويَنهَجُ برَيْثوَيْت معَ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ النَّهجَ نَفسَهُ. فهوَ يَرَى أنَّ 'التَّقريراتِ الدِّينِيَّةَ تُستَعمَلُ بِوَصفِها تَقريراتٍ أخلاقِيَّةً' (1955, p. 11). فَالعِباراتُ التَّقريرِيَّةُ الدِّينِيَّةُ، شَأنُها شَأنُ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ، هيَ 'في المَقامِ الأوَّلِ إفصاحاتٌ عن تَقَيُّدٍ بِسِياسَةِ فِعلٍ مّا، إفصاحاتٌ عن التِزامٍ لِطَريقَةٍ في الحَياةِ' (1955, p. 15). إذ يَرَى برَيْثوَيْت، على سبيلِ المِثالِ، أنَّ تَقريرَ أنَّ 'الله مَحَبَّة' لا يُعَبِّرُ عن اعتِقادٍ مُتَعلِّقٍ بِاللهِ بَل يُعَبِّرُ عن قَصدِ سُلوكِ طَريقِ المَحَبَّةِ في الحَياةِ. على أنَّ برَيْثوَيْت يُدرِكُ أنَّ الخِطابَ الدِّينِيَّ غالِبًا مّا يُعنَى بِأُمورٍ دينِيَّةٍ لا يَبدو أنَّها ذاتُ صِلَةٍ بِالتَّصَرُّفِ السُّلوكِيِّ - مِثالُ ذلكَ الدَّعاوَى المُتعلِّقَةُ بِشَخصِيّاتٍ دينِيَّةٍ مُهِمَّةٍ وقِصَصِهِم في الحَياةِ، كَحِكاياتِ الإنجيلِ المُتَعلِّقَةِ بِحَياةِ يَسوعَ، والأمثالِ، وأوصافِ خَلقِ العالَمِ ونِهايَتِهِ، والأحداثِ التَّأريخِيَّةِ ذاتِ الأهَمِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ، وما إلى ذلكَ. ويُسَمّي برَيْثوَيْت الحَديثَ عن مَوضوعاتٍ كهذهِ *قِصَصًا* (تَرمي، على ما يَقولُ، إلى استِعمالِ تَعبيرٍ حِيادِيٍّ لا انتِقاصِيٍّ). وهوَ يُقِرُّ بِأنَّ لِلقِصَصِ مَضمونًا قَضوِيًّا وبِأنَّها لا تُعَبِّرُ عن مَقاصِدَ. بَل إنَّهُ يُقِرُّ بِأنَّها قابِلَةٌ لِلاختِبارِ التَّجريبِيِّ، مانِحًا إيّاها بِذلكَ مَنزِلَةَ القَضايا التَّجريبِيَّةِ. على أنَّهُ يُقَدِّمُ نُقطَتَيْنِ. إحداهُما ادِّعاؤُهُ أنَّ هذهِ القِصَصَ 'مُرتَبِطَةٌ في ذِهنِ' المُتَدَيِّنِ بِمَقاصِدَ سُلوكِيَّةٍ. فالمُهِمَّةُ الأولَى لِلقِصَصِ عندَ برَيْثوَيْت هيَ تَقديمُ نَماذِجَ لِسُلوكٍ

يُقتَدَى بِهِ (أو لِسُلوكٍ يَنبَغي اجتِنابُهُ) تُؤَدِّي وَظيفَةَ الإعانَةِ النَّفسيَّةِ لِلمُؤمِنينَ على تَنفيذِ مَقاصِدِهِم. والنُّقطَةُ الأُخرَى اعتِقادُهُ أَنَّهُ إذا كانَ لِلقِصَصِ الدِّينِيَّةِ مَضمونٌ مَعرِفِيٌّ فإنَّ صِدقَ هذا المَضمونِ غَيرُ ذي أَثَرٍ حاسِمٍ في دَورِها التَّوجيهِيِّ لِلأَفعالِ الذي تُؤَدِّيهِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ. وتَعليقاهُ الآتِيانِ يُوضِحانِ ذلكَ، إذ يَقولُ:

> الذي أراهُ أَنَّهُ ليسَ ضَرورِيًا لِمُقَرِّرِ التَّقريرِ الدِّينِيِّ أن يَعتَقِدَ صِدقَ القِصَّةِ المُضَمَّنَةِ في التَّقريرِ: فالضَّرورِيُّ هوَ أَنَّ القِصَّةَ يَجِبُ أن تُضمَرَ في الفِكرِ. (1955, p. 26)
>
> إنَّ الإحالَةَ على القِصَّةِ لَيسَت تَقريرًا لِلقِصَّةِ بِوَصفِها أمرًا يتعلَّقُ بِحَقيقَةٍ تَجريبِيَّةٍ: إنَّها إخبارٌ بِالقِصَّةِ، أو تَلويحٌ بِالقِصَّةِ، بِالطَّريقَةِ التي يُمكِنُ أن يُخبِرَ بِها الشَّخصُ، أو يُلَوِّحَ، بِقِصَّةِ رِوايَةٍ يَعرِفُها. (1955, 24) [50]

فليسَ أَساسِيًّا إذَن أن يَعتَقِدَ المُتكلِّمُ أَنَّ القِصَصَ صادِقَةٌ، بِشَرطِ أن تَكونَ مُضمَرَةً عندَ مُراعاةِ السِّياساتِ السُّلوكِيَّةِ ذَواتِ الصِّلَةِ. لِذلكَ لا يُعَدُّ برَيثوَيت تَعبيرِيًّا خالِصًا بِشَأنِ الدِّينِ؛ فهوَ يَمزِجُ بينَ نَظرِيَّةٍ تَعبيرِيَّةٍ ذاتِ مَدًى مِن الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ الأَساسِيَّةِ والدَّعاوَى الاعتِقادِيَّةِ ونَظَرِيَّةٍ لِـ 'القِصَصِ' الدِّينِيَّةِ بِوَصفِها تَخَيُّلاتٍ مُفيدَةً. وستَكونُ لَنا عَودَةٌ إلى مَوضوعِ التَّخَيُّلِيَّةِ في القِسمِ الثَّالِثِ.

لِذلكَ يُمكِنُ القَولُ عُمومًا إنَّ برَيثوَيت يُعامِلُ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ المُتَعلِّقَةَ بِاللهِ على أَنَّها عِباراتٌ تَقريرِيَّةٌ أَخلاقِيَّةٌ، مَعَ اختِلافِ الصِّنفَيْنِ في أَنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الدِّينِيَّةَ غالِبًا مَا يَربِطُها المُتَكَلِّمونَ بِقِصَصٍ مُختَلِفَةٍ. فَـ 'الاعتِقادُ الدِّينِيُّ قَصدٌ لِلسُّلوكِ بِطَريقَةٍ مُعَيَّنَةٍ (اعتِقادٌ أَخلاقِيٌّ) معَ إضمارٍ لِقِصَصٍ مُعَيَّنَةٍ مُرتَبِطَةٍ بِالقَصدِ في ذِهنِ المُعتَقِدِ' (1955, p. 32).

الاعتراضات

إنَّ تَطبيقَ نُسخَةِ برَيثوَيت مِن نظرِيَّةِ المَوقِفِ على اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ يَبدو مُشكِلًا إشكالًا حَقيقِيًّا. فمِن مُشكِلاتِهِ الواضِحَةِ أَنَّهُ يَرَى أَنَّ 'القِصَصَ' لا يُقَرِّرُها المُؤمِنونَ لِتَكونَ

صادِقَةً. وهذا يَبدو غَيرَ مَنطِقِيٍّ تَمامًا. ذلكَ بِأَنَّهُ إن احتُمِلَ ألّا يَعتَقِدَ كَثيرٌ مِن المُؤمِنينَ أنَّ جَميعَ 'القِصَصِ' التي تُكَوِّنُ التَّقاليدَ الدِّينِيَّةَ التي هُم جُزءٌ مِنها صادِقَةٌ في جَميعِ تَفصيلاتِها، فإنَّ مُعظَمَ المُؤمِنينَ يَعُدُّونَ بَعضَها في أقَلِّ تَقديرٍ صادِقَةً بَل يَعُدُّونَ أنفُسَهُم مُقَرِّرينَ صِدقَ هذهِ القِصَصِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ الكَثيرَ مِن المَسيحِيِّينَ يَعتَقِدونَ أنَّ اللهَ خَلَقَ العالَمَ ولكِنَّهُم يُحيلونَ على العِلمِ لِتَحديدِ زَمَنِ خَلقِ العالَمِ؛ وأنَّ بَعضَ المَسيحِيِّينَ يُصَدِّقونَ وَصفَ الخَلقِ الذي تُقَدِّمُهُ قِصَّةُ الخَلقِ في سِفْرِ التَّكوينِ وأنَّ هذا الحَدَثَ يُمكِنُ أن يُحَدَّدَ لَهُ تَأريخٌ استِنادًا إلى دِراسَةِ الكِتابِ المُقَدَّسِ. فهذِهِ الاعتِقاداتُ مُخلِصَةٌ ولا يَبدو أنَّها مُضمَرَةٌ بِوَصفِها قِصَصًا خَيالِيَّةً فَحَسْبُ. وقَد يُجيبُ برَيْثوَيْت عن ذلكَ بِأنَّ المَسيحِيِّينَ مُخطِئونَ بِذلكَ في اعتِقاداتِهِم وأنَّ عليهِم أن يُعامِلوا قِصَّةَ الخَلقِ على أنَّها قِصَّةٌ خَيالِيَّةٌ. لكِن إن ذَهَبَ في هذا الاتِّجاهِ، فإنَّهُ لَن يَعودَ مُقَدِّمًا أُطروحَةً لِمَعنَى الجُمَلِ والأقوالِ الدِّينِيَّةِ بَل يَكونُ مُقَدِّمًا تَوصِيَةً بشَأنِ المَواقِفِ التي يَنبَغي اتِّخاذُها تُجاهَ القِصَصِ الدِّينِيَّةِ.

ومِمّا تَتَمَخَّضُ عنهُ أُطروحَةُ برَيْثوَيْت بِشَأنِ الخِطابِ الدِّينِيِّ أنَّهُ إذا قَرَنَ مُؤمِنانِ قَصدَيْنَ سُلوكِيَّيْنِ مُختَلِفَيْنِ بِعِبارَةٍ تَقريرِيَّةٍ دينِيَّةٍ واحِدَةٍ، فَسَيَعنِيانِ بِهذهِ العِبارَةِ أمرَيْنِ مُختَلِفَيْنِ. فَلْنَفترِضْ، مَثَلًا، أنَّ جون وجَيْمس يَعتَقِدانِ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ الآتِيَةَ:

4. البَشَرِيَّةُ في حالَةِ خَطيئةٍ سَبَبُها سُقوطُ آدَمَ. [51]

فأمّا جون فيَقرِنُ هذهِ العِبارَةَ بِخُطَّةٍ لِتَحسينِ مَعاييرِهِ الأخلاقِيَّةِ، وأمّا جَيْمس فيَقرِنُها بِخُطَّةٍ لِتَعزيزِ مُشارَكَتِهِ في الذَّهابِ إلى الكَنيسَةِ، والصَّلاةِ، ونَشاطاتٍ دينِيَّةٍ أُخرَى. فالذي يَراهُ برَيْثوَيْت أنَّ الجُملَةَ (4) إذا قالَها جون فإنَّهُ يَعني بِها أمرًا مُختَلِفًا عن الأمرِ الذي يَعنيهِ جَيْمس إذا قالَ الجُملَةَ (4). ويَبدو برَيْثوَيْت راضِيًا بِقَبولِ هذهِ النَّتيجَةِ، لكِنَّ مَآلَها هوَ أنَّ الجُملَةَ (4) لَيسَ لَها مَضمونٌ قَضَوِيٌّ مُحَدَّدٌ. إذ لَن يَكونَ في مَقدورِنا أن نُخبِرَ بِما تَعنيهِ إلى حينِ مَعرِفَتِنا السِّياسَةَ السُّلوكِيَّةَ

المُقرونَةَ بِها. ويُمكِنُ القَولُ، بِعَكسِ ذلكَ، إنَّهُ إذا عَبَّرَتْ عِبارَتانِ تَقريريَّتانِ دينِيَّتانِ مُختَلِفَتانِ عن قَصدِ مُتابَعَةِ سِياسَةٍ سُلوكِيَّةٍ *واحِدَةٍ*، فإنَّ مَعناهُما سَيَكونُ واحِدًا. مِثالُ ذلكَ العِبارَةُ التَّقريرِيَّةُ الآتِيَةُ:

5. البَشَرِيَّةُ لَيسَتْ في حالَةِ خَطيئَةٍ لِوُجودِ تكفيرِ يَسوعَ المَسيحِ.

فإذا قَرَنَ جون الجُملَةَ (4) بِخُطَّةٍ لِتَحسينِ مَعاييرِهِ الأخلاقِيَّةِ، فالذي يَبدو أنَّهُ سَيلزَمُ مِن نَظرِيَّةِ برَيْثوَيْت أنَّهُ سَيَعني بِالجُملَتَيْنِ (4) و(5) أمرًا واحِدًا وإن بَدَتِ العِبارَتانِ مُتَضارِبَتَيْنِ. ويَبدو أنَّ برَيْثوَيْت يَجعَلُ اللُّغَةَ الدِّينِيَّةَ ضَحِيَّةَ الهَمبتي-دَمبتِيَّةِ humpty-dumptyism*. فحينَ تَسألُ أَلِس Alice هَمبتي دَمبتي humpty dumpty في كِتابِ لويس كارول Lewis Carroll** الذي عُنوانُهُ *عبرَ المِرآةِ Through the Looking-Glass* عَمّا يَعنيهِ بِكلِمَةِ 'مَجد' glory، يَدَّعي أنَّهُ يَعني بِها 'أنَّ ثَمَّةَ حُجَّةً جَيِّدَةً مُفحِمَةً لَكَ!'. وحينَ تتذَمَّرُ أَلِس مِن أنَّ هذا لَيسَ مَعنَى كَلِمَةِ 'مَجد'، يُجيبُ هَمبتي دَمبتي بِقَولِهِ: 'إنَّها لا تَعني إلّا ما أختارُ لَها أن تَعنِيَ - لا أكثَرَ ولا أقَلَّ'. والذي يَبدو أنَّ الخَطأَ في هذا هوَ أنَّ التَّعبيراتِ والجُمَلَ المُكَوِّنَةَ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ لا بُدَّ مِن أن يَكونَ لَها مَعنًى قائمٌ بِها مُستَقِلٌّ عن سِياساتِ المُتكلِّمينَ السُّلوكِيَّةِ. ويُلحَظُ أنَّ هذا لا يُمَثِّلُ مُشكِلَةً لِلتَّعبيرِيَّةِ عُمومًا وإنَّما يُمَثِّلُ مُشكِلَةً لِطَريقَةِ برَيْثوَيْت في تَطويرِها. فَأيَر وبلاكبيرن، على سبيلِ المِثالِ، يَعُدّانِ الأحكامَ

* نِسبَةً إلى هَمبتي دَمبتي، وهوَ إحدى شَخصِيّاتِ قِصَّةِ (عبرَ المِرآة) لِلويس كارول. [المُتَرجِم]

** لويس كارول (1832-1898م). هوَ الاسمُ المُستَعارُ لِلكاتِبِ، وعالِمِ الرِّياضِيّاتِ، والمُصَوِّرِ الفوتوغرافِيِّ، والمَنطِقِيِّ الإنجليزِيِّ تشارلز لوتويج دودسن. أشهَرُ كِتابَيْنِ أَلَّفَهُما هُما (مُغامَراتُ أَلِس في بِلادِ العَجائب)، وتَتِمَّتُهُ (عبرَ المِرآة). وقَد أَلَّفَ كارول الكِتابَيْنِ لإمتاعِ الأطفالِ، غَيرَ أنَّ البالِغينَ يَستَمتِعونَ بِالدُّعابَةِ والشَّخصِيّاتِ الخَيالِيَّةِ والمغامَراتِ الوارِدَةِ في قِصَصِهِ. وعُنِيَ الباحِثونَ بِدِراسَةِ الكِتابَيْنِ لِلتَّوَصُّلِ إلى مَعاني أشياءَ بَدَتْ بِلا مَعانٍ. تُرجِمَ الكِتابُ الأوَّلُ، الذي عادَةً ما يُسَمّى (أَلِس في بِلادِ العَجائب)، إلى أكثَرَ مِن ثَلاثينَ لُغَةً، مِنها العَرَبِيَّةُ، وكذلكَ أُعِدَّ هذا الكِتابُ عَلى طَريقَةِ بريل لِيَستَطيعَ المكفوفونَ قِراءتَهُ والاستِمتاعَ بِهِ. [المُتَرجِم]

المُتعلِّقَةَ بِما هُوَ خَيرٌ مُرتَبِطَةٌ عُرفِيًّا بِالتَّعبيرِ عن القَبولِ. ولا عَلاقَةَ لِهذهِ الأعرافِ اللُّغَوِيَّةِ بِحالاتِ المُتَكلِّمينَ الذِّهنيَّةِ.

وقَد تَكونُ أكبَرُ عَقَبَةٍ تَعتَرِضُ أُطروحَةَ برَيثْوَيْت مُشكِلَةَ 'الأُطروحَة الإيجابِيَّة' التي مَرَّ الكَلامُ عليها في الفَصلِ 1. إذ يَبدو أنَّ برَيثْوَيْت غَيرُ واضِحٍ شَيئًا مّا في ما يتعلَّقُ بِالمَقاصِدِ التي تُعَبِّرُ عنها عِباراتٌ تَقريريَّةٌ دينِيَّةٌ مُختلِفَةٌ، وأنَّ ما يَستَقطِبُ اهتِمامَهُ بَدَلًا مِن ذلكَ هوَ ما يَجعَلُ العِبارَةَ التَّقريريَّةَ مُمَيَّزَةً بِكَونِها مَسيحِيَّةً. وهوَ يُجيبُ عن الاعتِراضِ الأخيرِ بِافتِراضِهِ أنَّ العِباراتِ التَّقريريَّةَ المَسيحِيَّةَ تُعَبِّرُ عن قَصدٍ لِمُتابَعَةِ طَريقٍ لِلمَحَبَّةِ في الحَياةِ (1955, pp. 21-22). بيدَ أنَّ الظّاهِرَ وُجودُ عددٍ اعتِباطِيٍّ مِن العِباراتِ التَّقريريَّةِ المَسيحِيَّةِ المُمَيَّزَةِ التي لَها مَعانٍ مُمَيَّزَةٌ. فنظريَّةُ برَيثْوَيْت المُتَسَلِّحَةُ بِخُطَّةٍ *واحِدَةٍ* فقط تَذهَبُ إلى أنَّ جَميعَ الدَّعاوَى المَسيحِيَّةِ (أو جَميعَ الدَّعاوَى الاعتِقادِيَّةِ في أَقَلِّ تَقديرٍ) تَعني أمرًا واحِدًا لأنَّها مَقرونَةٌ جَميعًا بِخُطَّةٍ واحِدَةٍ. فهَل بِإمكانِ برَيثْوَيْت أن يُفَرِّقَ بينَ مَعاني مُختَلِفِ العِباراتِ التَّقريريَّةِ الدِّينِيَّةِ بِمُقتَضَى [52] القِصَصِ التي يَقرِنُها المُؤمِنُ بِها؟ سرعانَ ما تَعتَوِرُ ذلكَ مُشكِلاتٌ حَقيقِيَّةٌ، مُشابِهَةٌ لِلمُشكِلاتِ المذكورَةِ آنِفًا. إذ يَبدو أنَّ بِالإمكانِ تَقريرَ عِباراتٍ تَقريريَّةٍ دينِيَّةٍ، كالعِبارَتَينِ (6) و(7) الآتِيَتَينِ، مِن غَيرِ أن تُقرَنَ *بِأيَّةِ* قِصَّةٍ:

6. اللهَ كُلِّيُّ القُدرَةِ.

7. اللهُ جَوادٌ.

فالمُؤلِّهُ الذي لا يَنتَسِبُ إلى تَقليدٍ دينِيٍّ مُعَيَّنٍ قَد تَكونُ لَهُ اعتِقاداتٌ مُختلِفَةٌ بِشَأنِ اللهِ مِن غَيرِ أن يَقرِنَ هذهِ الاعتِقاداتِ بِأيَّةِ أَدَبِيّاتٍ أو مَجموعَةٍ قِصَصِيَّةٍ. بَل إنَّ المُؤمِنَ قَد يَقرِنُ العِبارَةَ (7) بِقِصَّةِ إطعامِ خَمسَةِ الآلافِ في إنجيلِ مَتّى في إحدى المُناسَباتِ لكِنَّهُ يَعودُ بَعدَ ذلكَ فيَقرِنُها بِقِصَّةِ إطعامِ أربَعَةِ الآلافِ في إنجيلِ مُرقس. فيَلزَمُ مِن ذلكَ أنَّ الدَّعوَى تَعني أمرًا مُختَلِفًا في كُلٍّ مِن المُناسَبَتَينِ. نكذلكَ، إذا ادَّعَى مُؤمِنٌ مّا أنَّ اللهَ جَوادٌ في الوَقتِ الذي يَكونُ فيهِ نَظَرُهُ مُصَوَّبًا

إلى القِصَّةِ الأُولَى ووافَقَ آخَرُ على هذهِ العِبارَةِ التَّقريريَّةِ في الوَقتِ الذي يَكونُ فيهِ نَظَرُهُ مُصَوَّبًا إلى القِصَّةِ الثَّانِيَةِ، فَلَن يَكونَا مُتَّفِقَيْنِ، لأَنَّهُما يَعنِيانِ أمرًا مُختَلِفًا بالدَّعوَى التي في كُلٍّ مِن الحالَتَيْنِ. ويَصعُبُ أن نَتَصَوَّرَ كيفِيَّةَ إمكانِ التَّواصُلِ بِشَأنِ الأمورِ الدِّينِيَّةِ إن صَحَّ مَذهَبُ برَيْثْوَيْت، لأنَّ المَعنَى لَدَى المُتَكَلِّمِينَ سيَختَلِفُ عندَئِذٍ تَبَعًا لِلقِصَصِ التي يُضمِرونَها.

لِذلكَ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ نَظَرِيَّةَ برَيْثْوَيْت ضَعيفَةٌ. وإذا كانَتِ الوِجهَةُ التي مُفادُها أنَّ عَلى التَّعبيرِيِّينَ أن يُراعوا الخُطَطَ لا المَواقِفَ اللامَعرِفِيَّةَ الأُخرى في تأويلِهِم لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ تُقَدِّمُ خِيارًا مُثيرًا لِلاهتِمامِ، فإنَّ لِلإطارِ الذي طُوِّرَتْ في ضِمنِهِ هذهِ الفِكرَةُ آثارًا تَعديلِيَّةً كَبيرَةً. [53]

5

الجَوّانِيَّةُ* الدِّينِيَّة

قَد راجَعْنا حتّى الآن بَعضَ النِّقاطِ الأساسِيَّةِ في التَّطَوُّرِ التَّأريخِيِّ لِنَظريّاتِ المَوقِفِ. وسأنظُرُ في هذا الفَصلِ في ما أحسَبُهُ أكثَرَ الحُجَجِ المُتَوافِرَةِ واعِدِيَّةً مِمّا يُؤَيِّدُ كُلًّا مِن نَوعَي نَظريَّةِ المَوقِفِ الأساسِيَّيْنِ، التَّعبيريَّةِ ونظريَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ. وهيَ الحُجَّةُ المُستَمَدَّةُ مِن القُوَّةِ الدّافِعِيَّةِ لِلاعتِقادِ الدِّينِيِّ. وسنَرَى أنَّها ذاتُ صِلَةٍ بِحُجَّةٍ وَضَعَ مَلامِحَها العامَّةَ باركلي استِنادًا إلى الآثارِ الدّافِعِيَّةِ لِلإيمانِ التي نَظَرْنا فيها في الفَصلِ 3.

وتَقومُ حُجَّةُ الدّافِعِيَّةِ على نَظريَّتَيْنِ: نَظَريَّةٍ *جَوّانِيَّةٍ* لِلصِّفاتِ الدّافِعِيَّةِ لِلاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ ونَظَريَّةِ فِعلٍ هيُومِيَّةٍ** أو نَظَرِيَّةِ *اعتِقاد-رَغبَة*. ويُمكِنُ جَمعُ

---

* الجَوّانِيَّة internalism: ضِدُّ البَرّانِيَّة externalism، وهُما طَريقَتانِ مُتَقابِلَتانِ لِتَفسيرِ مَوضوعاتٍ مُختَلِفَةٍ في عِدَّةِ مَجالاتٍ في الفَلسَفَةِ، كالدّافِعِيَّةِ الإنسانيَّةِ، والمعرِفَةِ الإنسانيَّةِ، والتَّسويغِ الإنسانيِّ، والمعنى الإنسانيِّ، والصِّدقِ الإنسانيِّ. فالجَوّانِيَّةُ هي الأُطروحَةُ التي مُفادُها أن لا حَقيقَةَ في العالَمِ يُمكنُ أن تُقَدِّمَ أسبابًا لِلفِعلِ بِمَعزِلٍ عَن الرَّغَباتِ والاعتِقاداتِ. والبَرّانِيَّةُ هي الأُطروحَةُ التي مُفادُها أنَّ الأسبابَ تُطابَقُ بِالسِّماتِ المَوضوعِيَّةِ لِلعالَمِ. [المُتَرجِم]

** نِسبَةً إلى دَيْفِد هيُوم (1711-1776م)، وهوَ فَيلَسوفٌ مِثاليٌّ، وعالِمُ نَفسٍ، ومُؤَرِّخٌ إنجليزيٌّ. المعرِفَةُ عِندَهُ لا تَكمُنُ في فَهمِ الوُجودِ، بَل تَكمُنُ في قُدرَتِها عَلى أن تَكونَ دَليلًا لِلحَياةِ العَمَلِيَّةِ، وكانَ يَرى أنَّ الموضوعَ الوَحيدَ لِلمَعرِفَةِ الأصليَّةِ هوَ الرِّياضِيّاتُ؛ لأنَّ جَميعَ مَوضوعاتِ الدِّراسَةِ الأخرى تتعلَّقُ بِحَقائقَ لا يُمكِنُ إثباتُها مَنطقيًّا ولا يُمكِنُ استِخلاصُها مِن التَّجرِبَةِ التي فَهِمَها أصلًا فَهمًا مِثاليًّا، فالواقِعُ عِندَهُ لَيسَ إلّا مَجرًى مِن الانطِباعاتِ =

هاتَيْنِ النَّظريَّتَيْنِ، اللتَيْنِ تَحظَى كُلٌّ منهُما على حِدَةٍ بِمَقبوليَّةٍ، لِتَوليدِ حُجَّةٍ مُؤَيِّدَةٍ لِنظريَّةِ المَوقِفِ تُوازي إحدَى الحُجَجِ الأساسِيَّةِ المُؤَيِّدَةِ لِلتَّعبيريَّةِ الأخلاقِيَّةِ. وسَأَبدَأُ بِتَقويمِ الجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ بِوَصفِها نَظريَّةً لَها مُؤَهِّلاتُها الخاصَّةُ، وهذا ما يَقودُ إلى السُّؤالِ عن عَلاقَةِ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ بالإيمانِ، ثُمَّ أَنطَلِقُ لأُقَوِّمَ الحُجَّةَ المُؤيِّدَةَ لِنَظريَّةِ المَوقِفِ. وفي الوَقتِ الذي لا أَعتَقِدُ فيهِ أَنَّ هذهِ الحُجَّةَ ناجِحَةٌ تَمامًا في تَأييدِ التَّعبيريَّةِ، أَعتَقِدُ أَنَّها تُقَدِّمُ إسنادًا لِنَظريَّةٍ مُعتَدِلَةٍ لِلمَوقِفِ مُفادُها: أَنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن حالاتٍ نُزوعِيَّةٍ لامَعرِفِيَّةٍ وحالاتٍ مَعرِفِيَّةٍ أيضًا.

الجَوّانِيَّة

الجَوّانِيَّةُ هيَ النَّظريَّةُ التي مُفادُها أَنَّ الاعتِقاداتِ التي تَنتَمي إلى نَمَطٍ مُعَيَّنٍ مُرتَبِطَةٌ بالضَّرورَةِ (بِطَرائِقَ مُحَدَّدَةٍ بإيجازٍ) بِدَوافِعِ المَرءِ الذي يُنشِئُ هذا الحُكمَ. مِثالُ ذلكَ أَنَّ الجَوّانِيَّةَ الأخلاقِيَّةَ تَذهَبُ إلى أَنَّ اعتِقادَ المَرءِ أَنَّهُ يَجِبُ أن يَفعَلَ س أو يَجِبُ أَلّا يَفعَلَ س مُرتَبِطٌ بالضَّرورَةِ بِدَوافِعِ فِعلِ س أو عَدَمِ فِعلِهِ. أَمّا البَرّانِيَّةُ الأخلاقِيَّةُ فَبِعَكسِ ذلكَ، فهيَ النَّظريَّةُ التي مُفادُها أَنَّ الاعتِقاداتِ الأخلاقِيَّةَ لَيسَت دافِعِيَّةً أَساسًا: فكُلُّ صِلَةٍ بينَ [54] الاعتِقادِ الأخلاقِيِّ والدّافِعِ إنَّما هيَ صِلَةٌ طارِئَةٌ (Brink, 1989; Railton, 1986). وتَشيعُ النَّظريّاتُ الجَوّانِيَّةُ في ما بَعدَ عِلمِ الأخلاقِ المُعاصِرِ (Korsgaard, 1986; Blackburn, 1984, p. 188; Gibbard, 1990; Smith, 1994, p. 7). والذي نَراهُ عُمومًا أَنَّهُ إذا اعتَقَدَ بَعضُ النّاسِ أَنَّ أَكلَ اللَّحمِ خَطَأٌ أخلاقِيٌّ، فإنَّهُم سَيَرفُضونَ أكلَ اللَّحمِ إن قُدِّمَ هذا الخِيارُ لَهُم. فكذلكَ، إذا غَيَّرَتْ كاثرين آراءَها بِشَأنِ أَكلِ اللَّحمِ، مِن اعتِقادِها عَدَمَ ضَرَرِهِ أخلاقِيًّا إلى اعتِقادِها أَنَّهُ مُعتَرَضٌ عليهِ أخلاقِيًّا، فمِنَ المُتَوَقَّعِ حُدوثُ تَغَيُّرٍ مُناظِرٍ في عاداتِها الغِذائِيَّةِ. بَل إذا أَكَّدَ امرُؤٌ مّا أَنَّ أَكلَ اللَّحمِ خَطَأٌ لكِنَّهُ لَم يَتَصَرَّفْ لاحِقًا بِمُقتَضى

= المجهولَةِ الأسبابِ وغَيرِ القابِلَةِ لِلمَعرِفَةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (تَحقيقٌ في الذِّهنِ البَشَرِيِّ)؛ و(رِسالَةٌ في الطَّبيعَةِ البَشَرِيَّةِ)؛ و(مُحاوَراتٌ في الدِّينِ الطَّبيعِيِّ). [المُتَرجِم]

ذلكَ، عَدَدْنا ذلكَ أساسًا لِلشَّكِّ في مَدَى إخلاصِ ما قَرَّرَهُ. ولا شَكَّ في أَنَّهُ قَد تُوجَدُ ظُروفٌ تُفَسِّرُ عَدَمَ التَّصَرُّفِ على نَحوٍ مُلائم. مِثالُ ذلكَ أَنَّهُ إذا واجَهَتْ كاثرين خِيارًا يُؤَدِّي فيهِ عَدَمُ أكلِها اللَّحمَ إلى نتيجَةٍ يَبدو أَنَّها تَفوقُ أكلَ اللَّحمِ في عَدَمِ مَقبوليَّتِها الأخلاقِيَّةِ، كالمَوتِ جُوعًا، فلَن نَعُدَّ ذلكَ دَليلًا على أَنَّها لا تَعتَقِدُ الصِّحَّةَ الأخلاقِيَّةَ لِلوِجهَةِ النَّباتِيَّةِ. على أَنَّهُ في غِيابِ ظُروفٍ كهذهِ يُمكِنُنا أن نَقولَ إنَّ النّاسَ مَدفوعونَ إلى التَّصَرُّفِ بِمُقتَضَى أحكامِهِم الأخلاقِيَّةِ. فالجَوّانِيُّ يُقَدِّمُ تَفسيرًا واضِحًا لِلصِّلَةِ الظّاهِرَةِ بينَ الاعتِقاداتِ الأخلاقِيَّةِ لِلفاعِلِينَ ودَوافِعِهِم.

ويُقَدِّمُ المَنظورُ الذي تَشتَمِلُ عليهِ السُّطورُ الآتِيَةُ نَظريَّةً لِلجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ مُشابِهَةً لِتِلكَ (قَد هُذِّبَتْ في المُناقَشَةِ الآتِيَةِ): الاعتِقادُ الدِّينِيُّ (الإيمانُ بِاللهِ، والاعتِقاداتُ المُتَعَلِّقَةُ بِالخَلاصِ، والاعتِقاداتُ المُتَعَلِّقَةُ بِأوامِرِ اللهِ، وما إلى ذلكَ) تَصحَبُهُ بِالضَّرورَةِ دَوافِعُ المُؤمِنِ لِلتَّصَرُّفِ بِإيجابِيَّةٍ تُجاهَ هَدَفِ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ أو بِمُقتَضاهُ. أمّا البَرّانِيَّةُ الدِّينِيَّةُ فهيَ النَّظريَّةُ التي مُفادُها أَنَّ الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةَ لا تَرتَبِطُ بِالضَّرورَةِ بِدَوافِعِ المُؤمِنِينَ. وعلى الرَّغمِ مِن أَنَّ الكَثيرَ مِن فَلاسِفَةِ الدِّينِ واللاهوتِيِّينَ قَد عَرَّجوا عَلى أفكارٍ مُرتَبِطَةٍ ارتِباطًا وَثيقًا بِالجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ أو أنشَؤوا دَعاوَى وَثيقَةَ الصِّلَةِ بِها، نادِرًا مّا بُحِثَ فيها بِوَصفِها نَظَرِيَّةً مُتَمايِزَةً. على أَنَّ بِنا حاجَةً، قَبلَ أن نُجرِيَ مُراجَعَةً لِهذهِ الكِتاباتِ ونُقَوِّمَ النَّظرِيَّةَ، إلى بَيانٍ أدَقَّ لِلعَلاقَةِ الضَّرورِيَّةِ التي يَقتَرِحُها الجَوّانِيُّونَ. ولأَنَّ صِياغَةَ الجَوّانِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ قَد استَغرَقَتْ سَنَواتٍ كَثيرَةً مِن مُجادَلَةِ النُّقّادِ البَرّانِيِّينَ، مِن المُفيدِ النَّظَرُ في تَطَوُّرِها.

وفي الآتي صِياغَةٌ لِنُسخَةٍ بَسيطَةٍ لِلجَوّانِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ:

> *الجَوّانِيَّةُ الأخلاقِيَّةُ البَسيطَةُ*. إذا اعتَقَدَ شَخصٌ مّا هوَ س أَنَّ ص يَجِبُ أن يُفعَلَ، فإِنَّ س يَكونُ عِندَئِذٍ مَدفوعًا نَحوَ ص بِالضَّرورَةِ؛ وإذا اعتَقَدَ س أَنَّ ص خَطَأٌ مِن النّاحِيَةِ الأخلاقِيَّةِ، فإِنَّ س يَكونُ عِندَئِذٍ غَيرَ مَدفوعٍ نَحوَ ص.

ويَشيعُ النَّظَرُ إلى الجَوّانِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ البَسيطَةِ على أَنَّها صارِمَةٌ جِدًّا. فثَمَّةَ حالاتٌ نَفسِيَّةٌ، كالفُتورِ الشُّعورِيِّ، والاكتِئابِ، [55] والقَلَقِ العاطِفِيِّ، واللاعَقلانِيَّةِ،

يُمكِنُ أن تُوجِدَ شَخصًا لا تُحَفِّزُهُ الاعتِقاداتُ الأَخلاقِيَّةُ. وبِإمكانِنا تَصَوُّرُ سِياسِيٍّ كانَ مُهتَمًّا في شَبابِهِ بِمُعاناةِ النّاسِ في مَناطِقَ مُختَلِفَةٍ مِن العالَمِ وكانَ قَد سَخَّرَ جُهدَهُ لِتَحسينِ واقِعِ حَياتِهِم لكِنَّهُ الآنَ لا يُعنَى بِغَيرِ مَصالِحِ أُسرَتِهِ الصَّغيرَةِ وأَصدِقائِهِ المُقَرَّبينَ (Stocker 1979, p. 741). فالذي يَبدو أنَّ هذا السِّياسِيَّ ما زالَ بِالإمكانِ أن يَتَمَسَّكَ بِالآراءِ الأَخلاقِيَّةِ التي كانَ مُتَمَسِّكًا بِها في شَبابِهِ لكِنَّ الدّافِعَ إلى التَّصَرُّفِ بِمُقتَضاها قَد زالَ لإحساسِهِ بِعَدَمِ جَدوَى ذلكَ. والمُشكِلاتُ التي مِن هذا القَبيلِ هيَ التي جَعَلَتْ كَثيرًا مِن الجَوّانِيِّينَ يُفَضِّلونَ الصِّياغَةَ الشَّرطِيَّةَ لِلنَّظَرِيَّةِ، وذلكَ على النَّحوِ الآتي:

> *الجَوّانِيَّةُ الأَخلاقِيَّةُ الشَّرطِيَّةُ*. إذا اعتَقَدَ شَخصٌ مّا هوَ س أنَّ ص يَجِبُ أن يُفعَلَ، فإنَّ س يَكونُ عِندَئِذٍ مَدفوعًا نَحوَ ص بِالضَّرورَةِ، ما لَم يَكُنْ س في الحالَةِ ع،

حَيثُ تَتَضَمَّنُ الحالَةُ ع مَدًى مِن الحالاتِ غَيرِ الطَّبيعِيَّةِ نَفسِيًّا وغَيرِ العَقلانِيَّةِ[1].

والجَوّانِيَّةُ الأَخلاقِيَّةُ الشَّرطِيَّةُ تَبدو كذلكَ صارِمَةً جِدًّا. فثَمَّةَ نَمَطانِ مِن حالاتِ الإشكالِ. أَحَدُهُما أنَّ الحالَةَ ع لا تَبدو واسِعَةً بِما فيهِ الكِفايَةُ. إذ يَبدو أنَّ بِالإمكانِ أن يُوجَدَ 'لاأخلاقِيٌّ' مُتَوازِنٌ مِن النّاحِيَةِ النَّفسِيَّةِ وعَقلانِيٌّ ولَهُ اعتِقاداتٌ أَخلاقِيَّةٌ بِشَأنِ ما يَجِبُ أن يَفعَلَ وما يَجِبُ ألّا يَفعَلَ لكِنَّهُ لا يُبالي بِها البَتَّةَ. وبِإمكانِنا أَيضًا أن نَتَصَوَّرَ مُتَمَرِّدًا على الأَخلاقِ، كالشَّيطانِ المَوصوفِ في *الفِردَوس المَفقود Paradise Lost* لِجون مِلتن John Milton*، الذي يُصدِرُ أَحكامًا أَخلاقِيَّةً بِشَأنِ ما هوَ صَوابٌ وما هوَ خَطأٌ لكِنَّ الشَّرَّ هوَ ما يَجذِبُهُ. فَالجَوّانِيَّةُ الأَخلاقِيَّةُ الشَّرطِيَّةُ تَفتَرِضُ وُجودَ صِلَةٍ ضَرورِيَّةٍ بينَ الاعتِقادِ الأَخلاقِيِّ والدّافِعِ

---

(1) يُنظَر: Smith (1994)؛ وBrink (1989, ch. 3).

* جون مِلتن (1608-1674م). شاعِرٌ، ومُجادِلٌ، وأديبٌ بريطانِيٌّ. ظَهَرَتْ كِتاباتُهُ في زَمَنٍ شَهِدَ اندِفاعًا دينِيًّا وغَلَيانًا سِياسِيًّا. أكثَرُ ما يُعرَفُ بِهِ مَلحَمَتُهُ الشِّعرِيَّةُ (الفِردَوسُ المفقود). مِن آثارِهِ الأُخرى: (الفِردَوسُ المُستَعاد)؛ و(عَذابُ شَمشون). [المُتَرجِم]

عندَ تَوافُرِ ظُروفٍ مُعَيَّنَةٍ، بيدَ أَنَّ اللاأخلاقِيَّةَ والتَّمَرُّدَ الأخلاقِيَّ كِلَيْهِما يَبدُوانِ مُمكِنَيْنِ وغَيرَ مُستَبعَدَيْنِ بِالظُّروفِ المُقتَرَحَةِ ع. والنَّمَطُ الآخَرُ مِن نَمَطَيْ حالاتِ الإشكالِ أَنَّهُ يَبدو أَنَّ ثَمَّةَ عددًا كَبيرًا مِن الأحكامِ الأخلاقِيَّةِ التي لا صِلَةَ واضِحَةً لَها بِأَيِّ مَظهَرٍ دافِعِيٍّ مُحَدَّدٍ. مِثالُ ذلكَ أَنَّ اعتِقاداتِ أَنَّ الصُّحبَةَ جَيِّدَةٌ، وأَنَّ غَزْوَ العِراقِ في عامِ 2003 كانَ خَطَأً، وأَنَّ التُّجّارَ الثّانَوِيّينَ ما كانَ يَنبَغي لَهُم أن يَتَلاعَبوا بِمُعَدَّلِ الإقراضِ المَصرِفِيِّ البَيْنِيِّ، اعتِقاداتٌ أخلاقِيَّةٌ لا تَقتَضي أَيَّ فِعلٍ اتِّباعِيٍّ مُحَدَّدٍ. وقَد تَتَضَمَّنُ بَعضُ الاعتِقاداتِ الأخلاقِيَّةِ تَغَيُّراتٍ في مَشاعِرِ الفاعِلِ تُجاهَ الأشياءِ أو مُيولًا إلى خِياراتٍ مُعَيَّنَةٍ لكِنَّها لا تُلزِمُ المُؤمِنَ أَيَّ فِعلٍ مُحَدَّدٍ. فالتَّعقيدُ في العَلاقَةِ بينَ الاعتِقاداتِ الأخلاقِيَّةِ والتَّغَيُّراتِ في دَوافِعِ الفاعِلِينَ ومَواقِفِهِم لا تُعَبِّرُ عنهُ الجَوّانِيَّةُ الشَّرطِيَّةُ. ويُشَدِّدُ بلاكبيرن على هذا التَّعقيدِ بِقَولِهِ:

> قَد يُعَبِّرُ الخُلُقُ عَن نَفسِهِ على نَحوٍ مُمَيَّزٍ بِازدِراءٍ لِمَن لا يَرتَقُونَ إلى المُستَوى المَطلوبِ، لا بِغَضَبٍ علَيهِم، أو بِتَحَكُّماتٍ إدارِيَّةٍ فاتِرَةٍ [56] في التَّصَرُّفِ، لا بِمُظاهَراتٍ عاطِفِيَّةٍ عَلَنِيَّةٍ. بَيدَ أَنَّ هذهِ الصُّعوبَةَ في التَّحديدِ لا تَنشَأُ لِكَونِ المَوضوعِ غامِضًا، أو مُتَمَيِّزًا في 'فَرادَتِهِ'، أو مُقاوِمًا لِلفَهمِ مِن أَيَّةِ زاوِيَةٍ تُمَكِّنُنا مِن فَهمِ سائرِ طَبائعِنا العاطِفِيَّةِ والدّافِعِيَّةِ. إنَّها تَنشَأُ بِسَبَبِ الطَّبيعَةِ المُتَعَدِّدَةِ الأشكالِ لِطَبائعِنا العاطِفِيَّةِ والدّافِعِيَّةِ أنفُسِها. (1998, p. 14)

لِذلكَ ليسَ ضَرورِيًّا أن يَنبَعِثَ نَمَطُ الاعتِقادِ الأخلاقِيِّ المُعطى في نَمَطٍ مُمَيَّزٍ مِن التَّغَيُّراتِ في السُّلوكِ المُعلَنِ لِلمُؤمِنِ. فَقد يَختَلِفُ تَصَرُّفُ شَخصَيْنِ لَهُما اعتِقادٌ أخلاقِيٌّ واحِدٌ. على أَنَّهُ إذا أُريدَ لِصيغَةٍ جَوّانِيَّةٍ مّا أن تَنجَحَ فَلا بُدَّ مِن أن يَكونَ الاعتِقادُ الأخلاقِيُّ مَصحوبًا على نَحوٍ طَبيعِيٍّ بِكَونِ المُؤمِنِ ذا طَبيعَةٍ دافِعِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ - أي طَبيعَةٍ يُمكِنُ أن تُوَلِّدَ مَدًى مِن المَشاعِرِ، والعَواطِفِ، والمَواقِفِ، و(في الظُّروفِ الصَّحيحَةِ) السُّلوكِ على نَحوٍ إيجابِيٍّ أو سَلبِيٍّ تُجاهَ ما يُعَدُّ خَيرًا.

وقَد رَدَّ عَدَدٌ مِن الجَوّانِيِّينَ على هذهِ الاعتِراضاتِ على الجَوّانِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ الشَّرطِيَّةِ مُدافِعِينَ عن التَّعديلاتِ التي أُدخِلَتْ على النَّظَرِيَّةِ التي تَذهَبُ إلى أَنَّ

عَلاقَةَ الضَّرورَةِ تَكونُ بينَ الاعتِقاداتِ الأخلاقِيَّةِ والطَّبائعِ الدّافِعِيَّةِ التي تُوجَدُ إمّا على نَحوٍ طَبيعِيٍّ لَدَى الأفرادِ وإمّا على نَحوٍ طَبيعِيٍّ في مُستَوَى المُجتَمَعِ الذي يَنتَمي إليهِ الفَردُ (Blackburn, 1998; Dreier, 1990; Horgan & Timmons, 1992; Lenman, 1999).

الجَوّانِيَّةُ المُتَواضِعَةُ. إذا كانَ لَدَى شَخصٍ مّا هوَ س اعتِقادٌ أخلاقِيٌّ هوَ أنَّ ص خَيرٌ، فضَرورِيٌّ عِندَئذٍ إمّا أن تَكونَ لَدَى س طَبيعَةٌ دافِعِيَّةٌ تَتَّخِذُ مَوقِفًا إيجابِيًّا مِن ص وإمّا أن يَكونَ س جُزءًا مِن مُجتَمَعٍ يَكونُ فيهِ الاعتِقادُ الأخلاقِيُّ ص مَصحوبًا على نَحوٍ طَبيعِيٍّ بِكَونِ المُؤمِنِينَ ذَوِي طَبائعَ دافِعِيَّةٍ تَتَّخِذُ مَوقِفًا إيجابِيًّا مِن ص.

واللاأخلاقِيَّةُ والتَّمرُّدُ الدِّينِيُّ يَنسَجِمُ كِلاهُما معَ الجَوّانِيَّةِ المُتَواضِعَةِ. فبِإمكانِ الفَردِ اللاأخلاقِيِّ، تَناغُمًا معَ الجَوّانِيَّةِ المُتَواضِعَةِ، أن يَكتَسِبَ الاعتِقاداتِ الأخلاقِيَّةَ لا أن يَخضَعَ لِتَغَيُّراتِ الطَّبيعَةِ الدّافِعِيَّةِ التي تَحدُثُ على نَحوٍ طَبيعِيٍّ لَدَى الفاعِلِينَ في المُجتَمَعِ المُوَسَّعِ. وبِالإمكانِ حُدوثُ التَّمرُّدِ الأخلاقِيِّ بِوَصفِهِ تَغَيُّرًا استِثنائِيًّا إمّا لَدَى فاعِلٍ لَهُ في ما عَدا ذلِكَ مَظهَرٌ دافِعِيٌّ طَبيعِيٌّ وإمّا لَدَى فَردٍ في سِياقِ مُجتَمَعٍ تُوَلِّدُ فيهِ الاعتِقاداتُ الأخلاقِيَّةُ تَغَيُّراتٍ طَبيعِيَّةً في المَظاهِرِ الدّافِعِيَّةِ لأفرادِهِ. فالشَّيطانُ، على سبيلِ المِثالِ، مَلَكٌ وَضيعٌ كانَ في يَومٍ مّا مَدفوعًا بِاتِّجاهِ عَمَلِ ما كانَ يَحكُمُ عليهِ بِأنَّهُ خَيرٌ (ورُبَّما يُمكِنُ أن يَعُدَّهُ الجَوّانِيُّونَ جُزءًا مِن مُجتَمَعِ المَلائكَةِ الذي مِعيارُهُ هوَ كَونُ الاعتِقاداتِ الأخلاقِيَّةِ هيَ الدّافِعَ لِلمُنضَوِينَ فيهِ عَلى نَحوٍ مُلائمٍ).

ولَمّا كانَ بِالإمكانِ أن تُثارَ حُجَجٌ مُشابِهَةٌ بِالضِّدِّ مِن نُسخَةٍ بَسيطَةٍ لِلجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ كتلكَ الحُجَجِ التي أُثيرَتْ بِالضِّدِّ مِن الجَوّانِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ، [57] بَدا مَنطِقِيًّا الشُّروعُ في تَقويمِ الجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ بِاتِّخاذِ الجَوّانِيَّةِ المُتَواضِعَةِ نُقطَةَ الانطِلاقِ. فَهَل مِن المَنطِقِيِّ تَبَنّي مَوقِفٍ مُفادُهُ ضَرورَةُ أن يَصحَبَ الإيمانُ الدِّينِيُّ بِاللهِ على نَحوٍ طَبيعِيٍّ طَبيعَةٌ دافِعِيَّةٌ تَجعَلُ المُؤمِنَ يَميلُ مَيلًا إيجابِيًّا إلى اللهِ أو وُجودُ هذا

الإيمانِ في مُجتَمَعٍ يَصحَبُهُ فيهِ على نَحوِ طَبيعِيٍّ امتِلاكُ المُؤمِنِ طَبيعَةً دافِعِيَّةً مُرضِيَةً لِلّهِ؟ وإلى حَدٍّ مّا يُمكِنُ أن يُقالَ عن الجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ الشَّيْءُ نَفسُهُ الذي يُقالُ عن الجَوّانِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ لأنَّ الكَثيرَ مِن الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ تَفرِضُ في ما يَبدو التِزاماتٍ على المُعتَقِدِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ الاعتِقاداتِ المُتعلِّقَةَ بما يَأمُرُ بِهِ اللهُ البَشَرَ أو يَنتَظِرُهُ مِنهُم، والاعتِقاداتِ المُتَعَلِّقَةَ بما يَجِبُ فِعلُهُ لِلحُصولِ إلى الخَلاصِ، والاعتِقاداتِ المُتَعلِّقَةَ بما نَدينُ بِهِ لِلّهِ بِوَصفِهِ خالِقَنا، والاعتِقاداتِ المُتعلِّقَةَ بِكَيفِيَّةِ تَناغُمِنا معَ التَّدابيرِ الإلهِيَّةِ، كُلُّ أُولئكَ يتضَمَّنُ اعتِقاداتٍ مِعيارِيَّةً تتعلَّقُ بِما يَجِبُ علينا فِعلُهُ دينِيًّا وأخلاقِيًّا. لِذلكَ، إن تَكُنِ الجَوّانِيَّةُ الأخلاقِيَّةُ صَحيحَةً فالجَوّانِيَّةُ الدِّينِيَّةُ صَحيحَةٌ أيضًا في قِسمٍ كَبيرٍ مِن الحالاتِ. ولا شَكَّ في وُجودِ كَثيرٍ مِن الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ التي هيَ لَيسَتْ مِعيارِيَّةً أو تَقويمِيَّةً بِوُضوحٍ بَل لَها طابعٌ أكثَرُ نَظَرِيَّةً، كجُملَةِ 'اللهُ مَوجودٌ' وجُملَةِ 'اللهُ كُلِّيُّ القُدرَةِ' وغَيرِهِما مِن الجُمَلِ التي تَصِفُ طَبيعَةَ اللهِ. وقَد بُيِّنَ سابِقًا أنَّ الجَوّانِيَّةَ المُتَواضِعَةَ لا تَتَّخِذُ سِياسَةَ تَقريرٍ مُحَدَّدَةً تَرتَبِطُ باعتِقادٍ دينِيٍّ مُعطًى. على أنَّ بِإمكانِ الجَوّانِيِّينَ أن يُشيروا إلى أنَّ تَبَنِّيَ اعتِقادٍ دينِيٍّ جَديدٍ يَصحَبُ على نَحوِ طَبيعِيٍّ تَغَيُّراتٍ مُختلِفَةً في سُلوكِ المُعتَقِدِ، وتَصَرُّفاتِهِ، ومَواقِفِهِ. وإنَّ التَّغَيُّراتِ الجَوهَرِيَّةَ في مَواقِفِ الشَّخصِ وحَياتِهِ التي عادَةً ما يُوَلِّدُها التَّحَوُّلُ الدِّينِيُّ هيَ أسهَلُ ما يُمكِنُ أن يُلحَظَ مِن نَماذِجِ التَّغَيُّراتِ في طَبيعَةِ الفاعِلِ الدّافِعِيَّةِ التي تَصحَبُ الاعتِقادَ الدِّينِيَّ.

وتَأويلُ الجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ بِهذهِ الطَّريقَةِ المُتَواضِعَةِ لا يُعَرِّضُها لأيَّةِ مُشكِلَةٍ تُسَبِّبُها الحالاتُ الواضِحَةُ التي يُمكِنُ أن تُقدِّمَها الأمثِلَةُ المُضادَّةُ البَرّانِيَّةُ لِلاعتِقادِ الدِّينِيِّ الذي لا يَرتَبِطُ بِهِ دافِعٌ. إذ يَبدو مُمكِنًا، على سبيلِ المِثالِ، أن يَكونَ بِوُسعِ المَسيحِيِّينَ المُنهَمِكينَ انهِماكًا تامًّا في الحَياةِ الدِّينِيَّةِ - مِن ذَهابٍ إلى الكَنيسَةِ، وصَلاةٍ، وأن يَكونوا أفرادًا فَعّالينَ في المُجتَمَعِ الدِّينِيِّ - أن يُصبِحوا مِن بَعدُ غَيرَ مَدفوعِينَ وغَيرَ مُنهَمِكينَ مِن غَيرِ أن يَفقِدوا بِذلكَ اعتِقاداتِهِم الدِّينِيَّةَ. على أنَّ هذا يَنسَجِمُ معَ الجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، لأنَّ المُعتَقِدِينَ كانوا في وَقتٍ مِن الأوقاتِ مَدفوعِينَ بِالطَّريقَةِ الطَّبيعِيَّةِ. ثُمَّ إنَّ المُعتَقِدِينَ جُزءٌ مِن مُجتَمَعٍ دينِيٍّ أوسَعَ يَتَّصِلُ فيهِ الاعتِقادُ

الدِّينِيِّ على نَحوٍ طَبيعِيٍّ بِطَابَعٍ دافِعِيَّةٍ. وثَمَّةَ مُشكِلَةٌ كامِنَةٌ أُخرَى تُواجِهُ الجَوّانِيَّةَ، تَنبَثِقُ مِن مُناقَشاتِ طَبيعَةِ الإيمانِ، هيَ الاعتِقاداتُ الدِّينِيَّةُ لِلشَّياطينِ: فهيَ تَعتَقِدُ وُجودَ إلهٍ لكِنَّها لَيسَتْ مَدفوعَةً على نَحوٍ مُناسِبٍ لِلتَّصَرُّفِ بِمُقتَضَى هذا الاعتِقادِ. ولا يُعَدُّ الشَّياطينُ غَيرَ مَدفوعِينَ تَمامًا - فَـ 'الشَّياطينُ تُؤمِنُ وتَرتَعِدُ' (يَعقوب 2: 19) - لكِنَّهُم [58] مَدفوعونَ بِأنواعٍ خاطِئَةٍ مِن الطَّرائقِ؛ أي إنَّهُم يَخافونَ اللهَ ويَكرَهونَهُ. ويُشبِهُ هذا المِثالُ مُشكِلَةَ التَّمَرُّدِ الأخلاقِيِّ المُثارَةَ بِالضِّدِّ مِن الجَوّانِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ التي تَكونُ فيها اعتِقاداتُ الشَّيطانِ الأخلاقِيَّةُ مَصحوبَةً بِدافِعٍ لِفِعلِ ما هوَ خَطَأٌ. فشَيطانُ مِلتن يَعتَقِدُ أيضًا وُجودَ إلهٍ وهوَ مَدفوعٌ إلى تَحَدِّي اللهِ وتَعويقِ تَدبيراتِه. على أنَّ ما يُقَدِّمُهُ التَّمَرُّدُ على اللهِ مِن مُضادَّةٍ لِلجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ المُتَواضِعَةِ لا يَفوقُ في إلزامِهِ ما يُقَدِّمُهُ التَّمَرُّدُ الأخلاقِيُّ مِن مُضادَّةٍ لِلجَوّانِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ المُتَواضِعَةِ. فالشَّياطينُ لَيسُوا نَماذِجَ لِفاعِلِينَ ذَوِي دَوافِعَ أخلاقِيَّةٍ طَبيعِيَّةٍ. ثُمَّ إنَّ حالَةَ الشَّيطانِ (ورُبَّما الشَّياطينِ الآخَرِينَ) تَنطَوي على وُجودِ زَمَنٍ كانَ فيهِ مَدفوعًا على نَحوٍ أكثَرَ مُلاءَمَةً لِيَتَصَرَّفَ بِمُقتَضَى إرادَةِ اللهِ. لِذلكَ لا تُفسِدُ هذهِ الحالاتُ التَّنَوُّعَ المُتَواضِعَ لِلجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ.

لكِن ما صِلَةُ هذهِ المُناقَشَةِ لِلسّايكولوجيا الأخلاقِيَّةِ والدِّينِيَّةِ بِنَظرِيّاتِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ؟ فما دامَتِ التَّقريراتُ المُخلِصَةُ لِلجُمَلِ الدِّينِيَّةِ الإخبارِيَّةِ تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ[2]، فَلِلنَّظرِيَّةِ الجَوّانِيَّةِ كذلكَ تَأثيراتٌ في تَأويلِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ: فهيَ تُستَعمَلُ عُرفِيًّا لِلتَّعبيرِ عن حالاتٍ ذِهنِيَّةٍ لَها صِلَةٌ ضَرورِيَّةٌ بِالطَّبيعَةِ الدّافِعِيَّةِ لِلمُتَكَلِّمِ. فالجَوّانِيَّةُ إذَن لا تَقتَصِرُ على الإشارَةِ إلى خَصيصَةٍ مُمَيِّزَةٍ مُهِمَّةٍ لِسايكولوجيا الاعتِقادِ الدِّينِيِّ بَل تُشيرُ أيضًا إلى خَصيصَةٍ مُمَيِّزَةٍ مُهِمَّةٍ في مَضمونِ التَّقريراتِ الدِّينِيَّةِ.

---

(2) يُلحَظُ أنَّ العَلاقَةَ بينَ التَّعبيرِ المُخلِصِ عن الحالَةِ الذِّهنِيَّةِ وحِيازَةِ هذهِ الحالَةِ الذِّهنِيَّةِ تَتَضَمَّنُ تَعقيداتٍ تَفوقُ التَّعقيداتِ التي ذَكَرتُها هُنا. يُنظَر: Searle (1969)، وRidge (2006). وستكونُ لَنا عَودَةٌ إلى مَسألَةِ التَّقريرِ والاعتِقادِ في القِسمِ الثّالِثِ.

وثَمَّةَ دَليلٌ لُغَويٌّ أَيضًا يتعلَّقُ بِالتَّقريراتِ الدِّينِيَّةِ يُقَدِّمُ الدَّعمَ لِلجَوّانِيَّةِ[3]. فَلْنَفتَرِضْ أَنَّ مُتَدَيِّنًا مَا يَقرَأُ عن برني مَيدوف Bernie Madoff* فَيستَنتِجُ الآتيَ:

1. أَنَّ الطَّريقَةَ المُثلَى التي يُمكِنُ أن تَضمَنَ خَلاصَهُ هيَ أن يَتوبَ مِن ذُنوبِهِ تَوبَةً خالِصَةً. بيدَ أَنَّهُ لا يَنوي فِعلَ ذلكَ.

ولْنَفترِضْ أَنَّ برني مَيدوف يَقولُ عن نَفْسِهِ:

2. إنَّ الطَّريقَةَ المُثلَى التي يُمكِنُ أَن تَضمَنَ خَلاصِي هيَ أَن أَتوبَ مِن ذُنوبِي تَوبَةً خالِصَةً. بيدَ أَنّي لا أَنوي فِعلَ ذلكَ.

فإنْ تَكُنِ البَرّانِيَّةُ الدِّينِيَّةُ مُحِقَّةً، فسيَكونُ عندَئذٍ لِلجُملَتَيْنِ (1) و(2) مَضمونانِ قَضَوِيّانِ مُتَشابِهانِ وتَكونانِ مُعَبِّرَتَيْنِ عن اعتِقادَيْنِ مُتَشابِهَيْنِ بِشَأنِ مَيدوف. بَيدَ أَنَّ الجُملَةَ (2)، التي هيَ الحُكمُ الذي يُفتَرَضُ أَنَّ مَيدوف قَد أَصدَرَهُ، تَبدو غَريبَةً عَلى نَحوٍ لا تَبدو عَلَيهِ الجُملَةُ (1). ففي الوَقتِ الذي تَبدو فيهِ الجُملَةُ (1) حُكمًا دينِيًّا مُتَماسِكًا بِشَأنِ مَيدوف، تَجعَلُ الجُملَةُ (2) مَيدوف يَبدو غَيرَ مَنطِقِيٍّ مِن النّاحِيَةِ العَمَلِيَّةِ. إذ يَبدو أَنَّهُ لَم يَكُن مَدفوعًا إلى التَّصَرُّفِ بِمُقتَضَى ما يُدرِكُ أَنَّهُ مَصالِحُهُ الشَّخصِيَّةُ المُثلَى. فَلِمَ هذا اللاتَناظُرُ في الحالتَيْنِ إنْ كانَ المَضمونُ القَضَوِيُّ فيهِما مُتَشابِهًا؟ [59]

لَدَى الجَوّانِيِّينَ تَفسيرٌ لِذلكَ. فالمُتَكَلِّمُ بِالجُملَةِ (1) يُثْبِتُ وِجهَةَ نَظَرٍ بِشَأنِ ما يَجِبُ فِعلُهُ في حالَةِ مَيدوف مُنسَجِمَةٍ كُلِّيًّا معَ نَفيِ أَن يَكونَ مَيدوف مَدفوعًا

(3) لِلوُقوفِ على نَتيجَةٍ أَخلاقِيَّةٍ لِهذهِ الحُجَّةِ، يُنظَر: Graham Oddie (2009).

* برنارد لورنس مَيدوف (1938–...م). مُستَشارٌ استِثمارِيٌّ، ومُمَوِّلٌ، ورَجُلُ أَعمالٍ، ومَصرِفِيٌّ أَمريكيٌّ. كانَ الرَّئيسَ المؤسِّسَ لإحدى الشَّركاتِ الاستِثمارِيَّةِ الرّائدَةِ في وول ستريت، والرَّئيسَ غَيرَ التَّنفيذِيِّ لِسوقِ أَسهُمِ نازداك. يُعَدُّ أَكبرَ مُحتالٍ مالِيٍّ في تَاريخِ الولاياتِ المتَّحِدَةِ الأمريكِيَّةِ والعالَمِ، وهوَ يَقضِي الآنَ مُدَّةَ سجنٍ قَدْرُها خمسَ عَشرَةَ سَنَةً. [المُتَرجِم]

بِالطَّريقَةِ المُلائمَةِ لِلتَّصَرُّفِ بِمُقتَضَى ما يَجِبُ أن يَفعَلَهُ. أمّا الجُملَةُ (2)، إنْ صَحَّتِ الجَوّانِيَّةُ الدِّينِيَّةُ، فإنَّ مَيدوف يُعَبِّرُ فيها عن اعتِقادٍ دينِيٍّ بِشَأنِ ما يَجِبُ أن يَفعَلَهُ مِن أجلِ أن يُنقَذَ - وهو الذي يَصحَبُهُ (بِالضَّرورَةِ) على نَحوٍ طَبيعِيٍّ امتِلاكُ المُعتَقِدِ طَبيعَةً دافِعِيَّةً مُعَيَّنَةً مَفروضَةً فَرضًا إيجابِيًّا بِاتِّجاهِ إنجازِ هذهِ الغايَةِ - ثُمَّ يَنفي بَعدَ ذلكَ أن يَكونَ مَدفوعًا لِلتَّصَرُّفِ بِمُقتَضَى ذلكَ. فالصِّلَةُ الجَوّانِيَّةُ بينَ حِيازَةِ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ وطَبيعَةِ المُعتَقِدِ الدّافِعِيَّةِ تُفَسِّرُ غَرابَةَ التَّقريرِ الذي تُمَثِّلُهُ الجُملَةُ (2).

وَلْنُقارِنْ ذلكَ بِحالَةٍ لادينِيَّةٍ (ولاأخلاقِيَّةٍ). فَلْنَفتَرِضْ أنَّ ضَيفًا في حَفلِ شَرابٍ يَرَى أَحَدَهُم يُريقُ نَبيذًا أحمَرَ على البِساطِ. فيَعتَقِدُ الضَّيفُ أنَّ خَيرَ وَسيلَةٍ لإزالَةِ بُقعَةِ النَّبيذِ الأحمَرِ هيَ صَبُّ نَبيذٍ أبيَضَ عليها. ويَتَبَيَّنُ أنَّ صاحِبَ الحَفلِ يَعتَقِدُ هوَ أيضًا صِدقَ ذلكَ لكِنَّهُ لا يَرغَبُ في التَّصَرُّفِ بِمُقتَضَى هذهِ النَّصيحَةِ. فالذي يَستَنتِجُهُ الضَّيفُ هوَ:

3. أنَّ خَيرَ وَسيلَةٍ لإزالَةِ بُقعَةِ النَّبيذِ الأحمَرِ مِن البِساطِ هيَ صَبُّ نَبيذٍ أبيَضَ عليها. بيدَ أنَّ صاحِبَ الحَفلِ لا نِيَّةَ لَدَيهِ لِفِعلِ ذلكَ.

في حينِ أنَّ صاحِبَ الحَفلِ يَستَنتِجُ:

4. أنَّ خَيرَ وَسيلَةٍ يُمكِنُني أن أُزيلَ بِها بُقعَةَ النَّبيذِ الأحمَرِ مِن البِساطِ هيَ صَبُّ نَبيذٍ أبيَضَ عليها. بيدَ أنّي لا نِيَّةَ لَدَيَّ لِفِعلِ ذلكَ.

فالجُملَتانِ (3) و(4) تُعَبِّرانِ عن قَضِيَّتَيْنِ مُتَشابِهَتَيْنِ، لكِنْ، كما رَأَينا في الجُملَتَيْنِ (1) و(2)، لا يُوجَدُ تَناظُرٌ بينَهُما. فمِن المَنطِقِيِّ تَمامًا أن يَستَنتِجَ صاحِبُ الحَفلِ ما تَشتَمِلُ عليهِ الجُملَةُ (4) مِن غَيرِ أيَّةِ رَغبَةٍ في التَّصَرُّفِ بِمُقتَضَى ذلكَ الاعتِقادِ. فَلْنَفتَرِضْ، مَثَلًا، أنَّ صاحِبَ الحَفلِ لا يُعجِبُهُ البِساطُ وأنَّهُ كانَ قَد هَيَّأَ الأمورَ أصلًا لِتَبديلِهِ. فإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فعِندَئذٍ رُبَّما لا تَكونُ لَدَيهِ رَغبَةٌ في فِعلِ أيِّ

شَيءٍ لإزالَةِ البُقعَةِ. أو لِنَفتَرِضْ أنَّ صاحِبَ الحَفلِ لا يَستَلطِفُ الضَّيفَ الذي أراقَ النَّبيذَ ويُريدُ أن يَجعَلَ الضَّرَرَ يَبدو أكبَر مِمّا هوَ عليهِ في الحَقيقَةِ. فقَد تَكونُ لَدَى صاحِبِ الحَفلِ دَوافِعُ مُختَلِفَةٌ تَجعَلُ التَّكَلُّمَ بِالجُملَةِ (4) أو التَّفكيرَ فيها أمرًا مَنطِقيًّا.

وبِإمكانِ الجَوّانِيّينَ أيضًا أن يُفَسّروا ما نَجِدُهُ مِن عَدَمِ تَناظُرٍ بينَ الحُكمَيْنِ الدِّينِيَّيْنِ (1) و(2) (وهوَ ما يَنطَبِقُ أيضًا على الأحكامِ الأخلاقِيَّةِ) لا نَجِدُهُ في أحكامٍ لادينِيَّةٍ أُخرَى مُشابِهَةٍ. فحَقيقَةُ أنَّ الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةَ مُرتَبِطَةٌ بِالضَّرورَةِ بِالطَّبائعِ الدّافِعِيَّةِ لِلمُعتَقِدينَ، في حينِ أنَّ الاعتِقاداتِ المُتعلِّقَةَ بِبُقَعِ البِساطِ لَيسَتْ كذلكَ، تَكشِفُ عَنِ السَّبَبِ الذي مِن أجلِهِ يَبدو التَّكَلُّمُ بِالجُملَةِ (4) أمرًا مَنطِقِيًّا بِخِلافِ الجُملَةِ (2). فالطَّبيعَةُ الاصطِراعِيَّةُ السّايكولوجِيَّةُ لِحالاتِ المُتَكَلِّمِ الذِّهنِيَّةِ المُعَبَّرِ عنها هيَ التي تُفَسِّرُ غَرابَةَ الجُملَةِ (2) بِالقِياسِ إلى الجُملَةِ (4). [60]

لِذلكَ، يُمكِنُ التَّوَصُّلُ إلى تَسويغٍ مَقبولٍ لِلجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ المُتَواضِعَةِ، ويُمكِنُ أن تُصاغَ النَّظرِيَّةُ بِطَريقَةٍ تُفَسِّرُ الصِّلَةَ الوَثيقَةَ بينَ الاعتِقادِ والدّافِعِ الدِّينِيَّيْنِ في الوَقتِ الذي تُعالَجُ فيهِ أيضًا الأمثِلَةُ البَرّانِيَّةُ المُضادَّةُ.

الجَوّانِيَّةُ والإيمان

على الرَّغمِ مِن أهمِّيَّةِ الجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ بِوَصفِها أُطروحَةً لِسايكولوجيا الاعتِقادِ الدِّينِيِّ زِيادَةً على أهمِّيَّتِها الكامِنَةِ لِتَأويلِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، نادِرًا مّا يُعالَجُ هذا المَوضوعُ مُعالَجَةً مُباشِرَةً. وهذا يُصَعِّبُ عَلى المَرءِ أن يَحكُمَ بِيَقينٍ: أإلى الجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ تَميلُ الوَلاءاتُ في فَلسَفَةِ الدِّينِ أم إلى البَرّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ؟ على أنَّ مِنَ المُفيدِ وَضعَ مُناقَشَةِ الجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ في سِياقِ كِتاباتٍ أُخرَى ذَواتِ صِلَةٍ كَبيرَةٍ تتعلَّقُ بِعَلاقَةِ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ بِالدّافِعِ الدِّينِيِّ في فَلسَفَةِ الدِّينِ. وسنَرَى أنَّ ما يُقالُ في مُعظَمِ الحالاتِ يَكونُ إمّا مُعزِّزًا لِلجَوّانيَّةِ الدِّينيَّةِ وإمّا، في أقَلِّ تَقديرٍ، مُنسَجِمًا مَعَها.

ويُمَثِّلُ كانْت Kant* وفتغِنشتاين انزِياحَيْنِ في هذهِ الأدَبِيّاتِ. إذ يُقَدِّمُ كانْت، في أقَلِّ تَقديرٍ في بَعضِ كِتاباتِهِ في الدِّينِ ولا سِيَّما كِتابُهُ *نَقدُ العَقلِ الخالِص* *Critique of Pure Reason*، الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةَ بِوَصفِها ظَواهِرَ خالِصَةً لِتَوجيهِ الأفعالِ. فهوَ يَقولُ:

> نَحنُ نُصَرِّحُ، على سبيلِ المِثالِ، بِأنَّ الأشياءَ التي في العالَمِ يَجِبُ أن يُنظَرَ إليها على أنَّها تَستَمِدُّ وُجودَها مِن عَقلٍ هوَ الأعلَى. وبِذلِكَ تَكونُ فِكرَةُ [اللهِ] في الواقِعِ ما هيَ إلّا مَفهومٌ استِكشافِيٌّ، ولَيسَتْ مَفهومًا جَلِيًّا. فهيَ لا تُرينا كَيفَ يُشَكَّلُ الشَّيءُ، بَل تُرينا كَيفَ يَنبَغي أن نَسعَى، بِتَوجيهِها، إلى تَحديدِ التَّشكيلِ والارتِباطِ لِلأشياءِ التي في مُتَناوَلِ الخِبرَةِ. (A 671, B 699)
>
> إنَّ فِكرَةَ [اللهِ]، شَأنُها شَأنُ جَميعِ الأفكارِ التَّأمُّلِيَّةِ، لا تَسعَى إلّا إلى صِياغَةِ ما يَأمُرُ بِهِ العَقلُ، وهوَ أن يُنظَرَ إلى كُلِّ ارتِباطٍ في العالَمِ نَظرَةً تَنسَجِمُ مَعَ مَبدَإِ الوَحدَةِ النِّظامِيَّةِ - كما لَو أنَّ كُلَّ ارتِباطٍ مِن هذا القَبيلِ يَرجِعُ إلى وُجودٍ مُفرَدٍ واحِدٍ مُحيطٍ، يُمَثِّلُ العِلَّةَ العُليا والشّامِلَةَ القُدرَةِ. (A 686, B 714)

ويَرَى كانْت أنَّ فِكرَةَ الوُجودِ العاقِلِ الأعلَى يَجِبُ ألّا تُفهَمَ على أنَّها تُمَثِّلُ حَقيقَةً دينِيَّةً بَل هيَ تُقَدِّمُ التَّوجيهَ بِشَأنِ كَيفِيَّةِ التَّفَكُّرِ في أمرِ العالَمِ الذي لَهُ القُدرَةُ الكامِنَةُ على أن يَكونَ مُنتِجًا مِن النّاحِيَةِ العِلمِيَّةِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ الفِكرَةَ التي مُفادُها أنَّ ثَمَّةَ خالِقًا أعلَى قَد تَقودُ المَرءَ إلى اعتِقادِ أنَّ العالَمَ مَحكومٌ بِقَوانينَ طَبيعِيَّةٍ ضِمنِيَّةٍ بَسيطَةٍ وتَدفَعُهُ إلى البَحثِ عنها. وثَمَّةَ طَريقَتانِ لِتَطويرِ تَعليقاتِ كانْت إلى نَظَرِيَّةٍ لِلإيمانِ الدِّينِيِّ بِاللهِ. [61] إحداهُما (أ) أنَّ الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةَ لاتَمثيلِيَّةٌ، وأنَّ مَضمونَها تَستَنفِدُهُ وَظيفَتُها التَّنظيمِيَّةُ لأفكارِ المُؤمِنينَ وسُلوكِهِم. والأُخرَى (ب) أنَّ

* إيمانويل كانْت (1724-1804م). فَيلَسوفٌ ألمانِيٌّ مِن بروسيا. كانَ آخِرَ فَيلَسوفٍ مُؤَثِّرٍ في أورُبّا الحَديثَةِ في التَّسَلسُلِ الكلاسيكِيِّ لِنَظَرِيَّةِ المعرفةِ في عَصرِ التَّنويرِ الذي بَدَأَ بِجون لوك، وجورج باركلي، ودَيْفِد هيوم. أشهَرُ أعمالِهِ: (نَقدُ العَقلِ العَمَلِيّ)، الذي كانَ جُلُّ اهتِمامِهِ فيهِ موضوعَ الأخلاقِ؛ و(نَقدُ الحُكم)، الذي استَقصى فيهِ الجَمالَ والغائِيَّةَ. [المُتَرجِم]

الاعتِقادَ الدِّينيَّ تَمثيلِيٌّ، بَيدَ أنَّ المُؤمِنِينَ لا يُؤمِنونَ حَقًّا بِما يَقولونَ بَل يَستَعمِلونَ الأفكارَ الدِّينِيَّةَ بِوَصفِها مُوَجِّهَةً لِكَيفِيَّةِ التَّفكيرِ والسُّلوكِ. فالخِيارُ (أ) شَكلٌ مُتَطَرِّفٌ لِنظريَّةِ المَوقِفِ يَبدو أنَّهُ سيُواجِهُ المُشكِلاتِ أنفُسَها التي قادَتْنا إلى رَفضِ اللامَعرِفِيَّةِ في مُقَدِّمَةِ هذا الكِتابِ. أمّا الخِيارُ (ب) فهوَ نَوعٌ مِن أنواعِ التَّخَيُّلِيَّةِ، وهيَ نظريَّةٌ سنُعالِجُها بِالتَّفصيلِ في القِسمِ الثّالِثِ: فخِلافًا لِما يَبدو، لا يُقَرِّرُ المُؤمِنونَ حَقًّا صِدقَ ما يَقولونَ بَل يَنبَغي النَّظَرُ إليهِم على أنَّهُم يَتَصَرَّفونَ كما لَو كانَ ثَمَّةَ خالِقٌ أعلَى أو أنَّهُم يَتَظاهَرونَ بِأنَّ ثَمَّةَ وُجودًا كهذا أو أنَّهُم يَنهَمِكونَ في خِطابٍ ومُمارَسَةٍ دينِيَّيْنِ على نَحوٍ مُشابِهٍ لانهِماكِنا في التَّخَيُّلِ. وعلى كِلا هذَيْنِ التَّأويلَيْنِ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ إسهامَ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ في حالاتِ الشَّخصِ الذِّهنِيَّةِ يَكمُنُ على نَحوٍ رَئيسٍ في دَورِهِ التَّنظيمِيِّ.

وتُقَدِّمُ مُحاضَراتُ فِتغِنشتاين نَظريَّةً لِلاعتِقادِ الدِّينِيِّ تَنظيمِيَّةً مُشابِهَةً، يُمَيِّزُ الاعتِقادُ الدِّينِيُّ فيها بِأنَّهُ استِعمالُ 'رَسمٍ'[4]. إذ جاءَ فيها:

> لِنَفتَرِضْ أنَّ شَخصًا مّا اضطَلَعَ بهذا التَّوجيهِ لِهذِهِ الحَياةِ: الإيمانِ بِالحِسابِ الأخيرِ. فكُلَّما فَعَلَ شَيئًا مّا، كانَ هذا نُصبَ عَينَيْهِ. فكَيفَ لَنا أن نَعرِفَ: أيَعتَقِدُ أنَّ هذا سيَقَعُ أم لا؟... إنَّ هذا لَن يُظهِرَهُ الاستِدلالُ العَقلِيُّ أو اللُّجوءُ إلى الأُسُسِ الاعتِيادِيَّةِ لِلاعتِقادِ، بَل يُظهِرُهُ تَنظيمُهُ لِجَميعِ مَفاصِلِ حَياتِهِ. فهذِهِ حَقيقَةٌ أقوَى بِكَثيرٍ جِدًّا - السَّبق، واللَّذّاتُ، واللُّجوءُ الدّائمُ إلى هذا الرَّسمِ. (1966, pp. 53-54)

وليسَ مُرادُ فِتغِنشتاين بِـ 'الرَّسم' واضِحًا تَمامًا؛ ويَبدو أنَّهُ صُورَةٌ ذِهنِيَّةٌ يُحيلُ عليها المُعتَقِدُ حينَ يَتَّخِذُ قَراراتٍ أخلاقِيَّةً أو غَيرَها قَد يَكونُ لَها تَأثيرٌ في مَنزِلَتِهِ في يَومِ الحِسابِ الأخيرِ. إذ يَرَى فِتغِنشتاين أنَّ الدَّورَ التَّنظيمِيَّ لِلرَّسمِ أساسِيٌّ في الاعتِقادِ الدِّينِيِّ. أمّا حِيازَةُ المُؤمِنِ ما يَدعوهُ إلى اعتِقادِ صِدقِ الرَّسمِ فغَيرُ أساسِيٍّ في مَذهَبِ فِتغِنشتاين.

---

(4) يُلحَظُ أنَّ هذِهِ الفِكرَةَ تُقَدَّمُ في مُحاضَراتِهِ لكِنَّها لَيسَتْ بارِزَةً في كِتاباتِهِ العارِضَةِ في الدِّينِ.

إنَّ الأُطروحَةَ التَّنظيمِيَّةَ لِلاعتِقادِ الدِّينِيِّ التي قَدَّمَها فِتغِنشتاين وكانْت (في بَعضِ كِتاباتِهما) يُمكِنُ عَدُّها جَوّانِيَّةً بامتِيازٍ. فحِيازَةُ المَرءِ اعتِقادًا دِينِيًّا تَعني استِنادًا إلى هذهِ الأُطروحَةِ أن تُوَجِّهَ الأفكارُ الدِّينِيَّةُ تَفكيرَهُ وفعلَهُ تَوجيهًا عَمَلِيًّا. على أنَّهُ ليسَ ثَمَّةَ إلّا القَليلُ مِن الجَوّانِيِّينَ مِمَّن يُحتَمَلُ أن يُقِرَّ بِهذا المَذهَبِ لأنَّهُ عُرضَةٌ لِلأَمثِلَةِ المُضادَّةِ أنفُسِها التي تَتَعرَّضُ لَها النُّسخَةُ البَسيطَةُ لِلجَوّانِيَّةِ. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ يَبدو أنَّ الفاعِلَ يُمكِنُ أن يَكونَ لَهُ اعتِقادٌ دينِيٌّ بِشَأنِ الحِسابِ الأخيرِ، لكِنْ بِسبَبِ الاكتِئابِ لا يُحدِثُ هذا الاعتِقادُ أيَّ تَغييرٍ في أفعالِهِ ومَواقِفِهِ. أمّا النَّظرِيَّةُ التَّنظيمِيَّةُ فَتُوَلِّدُ الاستِنتاجَ الحَدسِيَّ المُضادَّ الذي مُفادُهُ أنَّ هذا مُحالٌ وأنَّ الفاعِلَ المَعنِيَّ ليسَ لَدَيهِ اعتِقادٌ دينِيٌّ. وتُمَثِّلُ مُشكِلاتُ اللاعَقلانِيَّةِ، واللامُبالاةِ، والتَّمَرُّدِ تَحَدِّياتٍ مُشابِهَةً. [62]

وثَمَّةَ وِجهَةٌ أشيَعُ كَثيرًا تُعامِلُ الاعتِقادَ الدِّينِيَّ في مُستَوَى القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ على أنَّهُ حِيازَةُ مَضمونٍ تَمثيلِيٍّ لكِنَّها تُقابِلُ بينَ الاعتِقادِ 'المُجَرَّدِ' والطَّبيعَةِ الدّافِعِيَّةِ لِلإيمانِ. فَلْنَنظُرْ في التَّعليقاتِ الآتِيَةِ لِبلانتِنغا على مَوضوعِ الإيمانِ:

> على أنَّ الشَّخصَ المُؤمِنَ لا يَكتَفي بِالإيمانِ بِالدَّعاوَى المَركزِيَّةِ لِلعَقيدَةِ المَسيحِيَّةِ؛ إنَّهُ يَجِدُ أيضًا (عَلى نَحوٍ أُنموذَجِيٍّ) أنَّ مُخَطَّطَ الخَلاصِ كُلَّهُ غايَةٌ في الجاذِبِيَّةِ، والإمتاعِ، والإثارَةِ، وأنَّهُ مَصدَرٌ لِلرَّوعَةِ المُدهِشَةِ. وهوَ يَستَشعِرُ بِعُمقٍ مِنَّةَ الرَّبِّ لِما أولاهُ مِن نِعَمٍ ويَستَجيبُ لِمَحَبَّتِهِ المُضَحِّيَةِ بِمَحَبَّةٍ مِن لَدُنهُ... لا بِالوَظيفَةِ التَّنفيذِيَّةِ لِلإرادَةِ في المَقامِ الأوَّلِ (وَظيفَةِ اتِّخاذِ القَراراتِ، والسَّعيِ في مُختَلِفِ الشُّؤونِ وتَجَنُّبِها)، وإن تَكُنْ هذهِ الوَظيفَةُ مُضَمَّنَةً أيضًا بِلا شَكٍّ، بَل بِوَظيفَتِها التَّأثيرِيَّةِ، وَظيفَتِها المتمَثِّلَةِ في الحُبِّ والكُرهِ، والانجِذابِ أو النُّفورِ، والقَبولِ أو الرَّفضِ. والمُعتَقِدُ، أي صاحِبُ الإيمانِ، يَحوزُ الاعتِقاداتِ الصَّحيحَةَ، لكِنَّهُ يَحوزُ مَعَها أيضًا العَواطِفَ الصَّحيحَةَ. فالتَّحَوُّلُ والتَّجديدُ يُغَيِّرانِ العاطِفَةَ كما يُغَيِّرانِ الاعتِقادَ. (Plantinga, 2000, p. 292)

فَمَذهَبُ بلانتِنغا في الإيمانِ بِوَصفِهِ تَأثيرِيًّا ودافِعِيًّا يَبدو مُتَعاطِفًا معَ الجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ. بَل إنَّ إدراكَهُ أنَّ لِلإيمانِ آثارًا دافِعِيَّةً أكثَرَ تَعقيدًا مِمّا عليهِ حالَةُ 'الوَظيفَةِ التَّنفيذِيَّةِ لِلإرادَةِ' يَنسَجِمُ معَ التَّعديلاتِ المُقتَرَحَةِ لِلجَوّانِيَّةِ التي قادَتْ إلى الصِّياغَةِ المُتَواضِعَةِ لِلنَّظرِيَّةِ. على أنَّ بلانتِنغا لا يُقَدِّمُ إقرارًا صَريحًا بِهذهِ الوِجهَةِ. فاهتِمامُنا إنَّما هوَ بِالجَوّانِيَّةِ بِوَصفِها نظرِيَّةً تتعلَّقُ بِالاعتِقادِ الدِّينِيِّ، لا بِالإيمانِ وَحدَهُ. فإن كانَ بلانتِنغا يَعتَقِدُ أنَّ المُؤمِنِينَ أو مُجتَمَعاتِ المُؤمِنِينَ يُمكِنُ أن تُشَكِّلَ في الظُّروفِ الطَّبيعِيَّةِ اعتِقاداتٍ مِن غَيرِ أن تَرتَبِطَ بِها طَبائعُ دافِعِيَّةٌ، فَبِالإمكانِ عِندَئذٍ أن يُقالَ عنهُ إنَّهُ جَوّانِيٌّ في ما يتعلَّقُ بِالإيمانِ لكِنَّهُ بَرّانِيٌّ في ما يتعلَّقُ بِالاعتِقادِ الدِّينِيِّ. والإجابَةُ عن السُّؤالِ المُتَعَلِّقِ بِمَدى كَونِ بلانتِنغا جَوّانِيًّا في ما يتعلَّقُ بِالاعتِقادِ الدِّينِيِّ وكذلكَ في ما يتعلَّقُ بِالإيمانِ ستَعتَمِدُ على الظُّروفِ التي يَحوزُ الفاعِلُ فيها اعتِقادًا دينِيًّا مِن غَيرِ إيمانٍ أو مِن غَيرِ طَبيعَةٍ دافِعِيَّةٍ مُرتَبِطَةٍ بِهِ.

فبلانتِنغا يَرى إمكانَ وُجودِ الاعتِقادِ بِمَعزِلٍ عن الإيمانِ أو عن طَبائعِ الدّافِعِيَّةِ. على أنَّ المَسألَةَ الأساسِيَّةَ تَكمُنُ في مَدَى كَونِ الظُّروفِ التي يُمكِنُ أن يَحدُثَ ذلكَ فيها تَسمَحُ بِها الجَوّانِيَّةُ الدِّينِيَّةُ المُتَواضِعَةُ بِوَصفِها ظُروفًا مُستَثناةً مِن العَلاقاتِ الطَّبيعِيَّةِ الضَّرورِيَّةِ بينَ الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ والطَّبيعَةِ الدّافِعِيَّةِ لِلمُعتَقِدِ: وهيَ ظُروفٌ سايكولوجِيَّةٌ مُختَلِفَةٌ، وتَمَرُّدٌ دِينِيٌّ، وأفرادٌ غَيرُ مَدفُوعِينَ في مُجتَمَعٍ المِعيارُ فيهِ [63] أن يَكونَ المَرءُ مَدفوعًا، وما إلى ذلكَ. ولا يُقَدِّمُ بلانتِنغا إجابَةً شافِيَةً لِهذهِ المَسألَةِ، بيدَ أنَّ أمثِلَةَ الاعتِقادِ المُجَرَّدِ مِن الإيمانِ التي يُقَدِّمُها مُنسَجِمَةٌ معَ الجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ يُعَلِّقُ بِقَولِهِ: 'فالفَرقُ بينَ المُؤمِنِ والشَّيطانِ إذَن يَكمُنُ في منطقَةِ العَواطِفِ: الحُبِّ والكُرهِ، والإعجابِ والإعراضِ، والرَّغبَةِ والمَقتِ. وفي الأصنافِ التَّقليدِيَّةِ، يَكمُنُ الفَرقُ في تَوجيهِ الإرادَةِ' (2002, p. 292). فاعتِقاداتُ الشَّياطينِ الدِّينِيَّةُ، معَ حالاتٍ أُخرَى لِلتَّمرُّدِ الدِّينِيِّ، أَمثِلَةٌ مُنسَجِمَةٌ معَ الجَوّانِيَّةِ المُتَواضِعَةِ. لِذلكَ تُظهِرُ أمثِلَةُ الاعتِقادِ المُجَرَّدِ مِن الإيمانِ التي يُقَدِّمُها بلانتِنغا أُطروحَتَهُ مُنسَجِمَةً معَ الجَوّانِيَّةِ المُتَواضِعَةِ المُتعلِّقَةِ بِالاعتِقادِ الدِّينِيِّ.

وتَبدو الأُطروحاتُ الأُخرَى المُتعلِّقَةُ بِالاعتِقادِ والإيمانِ مُنسَجِمَةً أيضًا مَعَ الجَوّانِيَّةِ المُتَواضِعَةِ. إذ يُلحَظُ أنَّ الأكوينِيَّ Aquinas*، الذي يُقَدِّمُ في كِتابِهِ *الخُلاصَةُ اللاهوتِيَّة* *Summa Theologica* ما قَد يُعَدُّ أكثَرَ نُسَخِ الإيمانِ عَقلَنَةً بِوَصفِهِ نَوعًا مِن الاعتِقادِ الدِّينِيِّ الرّاسِخِ، يَتَحَدَّثُ عن إيمانٍ 'حَيٍّ' يَجعَلُهُ مُقابِلًا لإيمانِ الشَّياطينِ. إذ يَقولُ الأكوينِيُّ إنَّ الإيمانَ هِبَةُ النِّعمَةِ التي 'أتَمَّها الإحسانُ وكَوَّنَها' (1999, p. 90; II.II.4.3) وهوَ يُقَدِّمُ لِلبَشَرِ 'تَوقًا مُعَيَّنًا إلى الخَيرِ' حتّى حينَ يَكونُ الإيمانُ 'بِلا حَياةٍ' (1999, p. 103; II.II.5.2).

ومِن الفَلاسِفَةِ الذينَ يَبدو أنَّهُم كانوا يَتَعاطَفونَ مَعَ النَّزعَةِ البَرّانِيَّةِ رِتشارد سوِنبيرن. إذ يَقولُ:

> قَد يَعتَقِدُ المَرءُ أنَّ ثَمَّةَ إلهًا، ومعَ ذلكَ لا يَعبُدُ اللهَ أو يَتَوَجَّهُ إليهِ بِالشُّكرِ – مِن خِلالِ عَدَمِ امتِلاكِهِ غَرَضًا لِعِبادَةِ أيِّ إلهٍ مَهما يَكُنْ، أو مِن خِلالِ عَدَمِ امتِلاكِهِ أيَّ غَرَضٍ لِلتَّعبيرِ عن الاعتِرافِ بِالفَضلِ لِكُلِّ مَن قَد نَفَعَهُ. أو قَد يَعتَقِدُ المَرءُ أنَّ ثَمَّةَ إلهًا، يَمنَحُ الأتقِياءَ (ولا يَمنَحُ سِواهُم) حَياةً سَعيدَةً بَعدَ المَوتِ، ومعَ ذلكَ لا يَكونُ تَقِيًّا مِن خِلالِ عَدَمِ امتِلاكِهِ غَرَضَ ضَمانِ سَعادَتِهِ الأبَدِيَّةِ. (1981, p. 28)

وقَد تَبدو هذهِ النِّقاطُ بَرّانِيَّةً بِوُضوحٍ. على أنَّ سوِنبيرن يُواصِلُ حديثَهُ لِيُمَيِّزَ وُجودَ صِلَةٍ بينَ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ والمَيلِ إلى التَّصَرُّفِ: 'فَفي هذهِ الحالاتِ نَصِفُ المَرءَ بِأنَّهُ لا ''يَتَصَرَّفُ بِمُقتَضَى'' اعتِقاداتِهِ، لأنّا نَتَوَقَّعُ مِنهُ على نَحوٍ طَبيعِيٍّ أن تَكونَ لَدَيهِ، أو نَعتَقِدُ أنَّهُ يَجِبُ أن تَكونَ لَدَيهِ، الأغراضُ المَعنِيَّةُ' (1981, p. 28). ويُفَرِّقُ سوِنبيرن بينَ اعتِقاداتِ المَرءِ و'أغراضِهِ' ويَرَى أنَّهُ يَنبَغي أن يَكونَ كُلٌّ مِن

---

* توما الأكويني (1224–1274م). راهِبٌ وفَيلَسوفٌ ولاهوتِيٌّ إيطالِيٌّ. أسَّسَ مَذهَبًا فَلسَفِيًّا يُعرَفُ بِالتومائِيَّةِ. يُعَدُّ أكبَرَ فَلاسِفَةِ العُصورِ الوُسطى المَسيحِيَّةِ، ولا يَزالُ تَأثيرُهُ عَظيمًا في الكَنيسَةِ الكاثوليكيَّةِ وفي الفِكرِ المَسيحِيِّ عُمومًا. مِن أشهَرِ كُتُبِهِ: (مَجموعَةُ الرُّدودِ عَلى الخَوارِجِ)؛ و(الخُلاصَةُ اللاهوتِيَّةُ)؛ و(مَسائلُ مُتَنازَعٌ فيها بِشَأنِ الرُّوحِ). [المُتَرجِم]

الاعتِقادِ والغَرَضِ في مَوضِعِهِ مِن أجلِ أن يَكونَ المُؤمِنُ مَدفوعًا على نَحوٍ مُناسِبٍ. فالاعتِقادُ الدِّينِيُّ لا يَكفي وَحدَهُ دافِعًا. على أنَّهُ حتّى في حالَةِ سونبيرن لا يُمَثِّلُ مَذهَبُهُ رَفضًا واضِحًا لِلجَوّانِيَّةِ المُتَواضِعَةِ لأنَّهُ لا يُحَدِّدُ الظُّروفَ التي قَد يَكونُ لِلفاعِلِ فيها اعتِقاداتٌ دينِيَّةٌ في الوَقتِ الذي يَكونُ فيهِ مُفتَقِرًا إلى الأغراضِ ذاتِ الصِّلَةِ. فإن لَم تَكُن لِلفاعِلِ [64] اعتِقاداتٌ مُجَرَّدَةٌ مِن الأغراضِ إلّا في هذهِ الظُّروفِ غَيرِ الطَّبيعِيَّةِ التي يَسمَحُ بِها الجَوّانِيُّونَ المُتَواضِعونَ، فلَن يَكونَ عِندَئِذٍ امتِلاكُ اعتِقاداتٍ مُجَرَّدَةٍ مِن الأغراضِ المُناظِرَةِ مُعارِضًا لِلجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ. فإنَّ مُجَرَّدَ تَمييزِ إمكانِ أن يَكونَ الاعتِقادُ الدِّينِيُّ بِمَعزِلٍ عن الطَّبيعَةِ الدّافِعِيَّةِ لا يَكفي لِتَحديدٍ واضِحٍ لِلاصطِفافِ في صَفِّ البَرّانِيَّةِ أو الجَوّانِيَّةِ.

لِذلكَ، يُمكِنُ القَولُ عُمومًا إنَّ ثَمَّةَ تَأييدًا ضِمنِيًّا، إن لَم يَكُنْ صَريحًا، لِلجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ المُتَواضِعَةِ لَدى كَثيرٍ مِن الفَلاسِفَةِ واللاهوتِيِّينَ. وثَمَّةَ قَليلٌ مِنهُم يُعارِضُ هذهِ الوِجهَةَ مُعارَضَةً ظاهِرَةً.

نَظَرِيّاتُ الدّافِعِيَّةِ الهيُومِيَّةُ ونَظَرِيّاتُ المَوقِف

تُمَثِّلُ نَظَرِيَّةُ الفِعلِ الهيُومِيَّةُ، أو نَظَرِيَّةُ الاعتِقاد-الرَّغبَة، القِسمَ الثّانِيَ مِن الدِّفاعِ عَن نَظَرِيَّةِ المَوقِفِ. وهيَ تَرتَكِزُ على التَّفريقِ بينَ نَمَطَيْنِ لِلحالَةِ الذِّهنِيَّةِ التَّمثيلِيَّةِ: الاعتِقاداتِ والرَّغَباتِ (أو حالاتٍ أُخرَى مُشابِهَةٍ لِلرَّغبَةِ كالآمالِ، والأمانِيِّ، والمَواقِفِ، والمَقاصِدِ، وما إليها، مِمّا يُطلَقُ عليهِ عُمومًا اسمُ *المَواقِفِ المُؤَيِّدَةِ* (*pro-attitudes*)[5]. فالرَّغَباتُ حالاتٌ ذِهنِيَّةٌ تُمَثِّلُ الطَّريقَةَ التي نَوَدُّ أن يَكونَ العالَمُ على وَفقِها وهيَ ذاتِيَّةُ الدّافِعِيَّةِ. أمّا الاعتِقاداتُ فَحالاتٌ ذِهنِيَّةٌ تُمَثِّلُ العالَمَ بِوَصفِهِ طَريقَةً مُعَيَّنَةً ولِذلكَ قَد تَكونُ صادِقَةً أو كاذِبَةً أو أكثَرَ إخبارًا أو أَقَلَّ إخبارًا، بيدَ أنَّها ليسَتْ حالاتٍ فَعّالَةً مِن حَيثُ الدّافِعِيَّةُ؛ إنَّها، بِحَسَبِ تَعبيرِ باركلي،

(5) ما أثارَ هذهِ النَّظرِيَّةَ هوَ مُناقَشَةُ هيُوم الشَّخصِيَّةُ لِهذا المَوضوعِ (1978, book III, part I, §I, pp. 457-8; 1978, book II, part III, §III, pp. 415-6).

'خامِلَةٌ'. وبذلكَ تُفهَمُ الاعتِقاداتُ والرَّغَباتُ على أنَّها 'وُجوداتٌ مُتمايِزَةٌ' لإمكانِ وُجودِ أحَدِ الصِّنفَيْنِ دونَ الآخَرِ. لِذلكَ، إذا ما أُريدَ لاعتِقادٍ مّا أن يُحدِثَ فِعلًا مّا لَدَى فاعِلٍ مّا فلا بُدَّ مِن أن تَصحَبَهُ رَغبَةٌ أو مَوقِفٌ مُؤيِّدٌ. فالفِعلُ، على ما تَذهَبُ إليهِ النَّظريَّةُ الهيُوميَّةُ، نَتيجَةُ اجتِماعِ الاعتِقاداتِ والمَواقِفِ المُؤيِّدَةِ. وفي كَثيرٍ مِن الحالاتِ يُمَثِّلُ المَوقِفُ المُؤيِّدُ الهَدَفَ الذي يَسعَى الفاعِلُ إلى إنجازِهِ، ويُقَدِّمُ الاعتِقادُ المَعلوماتِ التي يَستَعمِلُها الفاعِلُ لإنجازِهِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ اعتِقاداتي بِشأنِ مَكانِ وُجودِ الخُبزِ والمِحمَصَةِ مَمزوجَةً بِرَغبَتي في تَناوُلِ شَريحَةٍ مِن الخُبزِ المُحَمَّصِ يَتَمَخَّضُ عنها إقدامي على عَمَلِ شَريحَةٍ مُحَمَّصَةٍ(6).

وتَحظَى نَظَريَّةُ الفِعلِ الهيُوميَّةُ بِرَواجٍ كَبيرٍ وهيَ نَظَريَّةُ الدّافِعيَّةِ المُهَيمِنَةُ حاليًا في الفَلسَفَةِ التَّحليليَّةِ وَسْطَ مَن يَقبَلُونَ نَظَريّاتِ المَوقِفِ ومَن يَرفُضونَها على حَدٍّ سَواءٍ. فأنا إذ أُقَدِّمُ هذهِ النَّظريَّةَ أكونُ إذَن سالِكًا لِطَريقٍ مُعَبَّدٍ جَيِّدًا جِدًّا. على أنَّهُ يُلحَظُ أنَّ ثَمَّةَ نُقطَةَ خِلافٍ لِلنَّظَريَّةِ تَدورُ حَولَ مَدَى إمكانِ حِيازَةِ الفاعِلِينَ حالاتِ اعتِقادٍ مِن غَيرِ حالاتِ رَغبَةٍ مُصاحِبَةٍ تَكونُ معَ ذلكَ فَعّالَةً دافِعيًّا؛ وتُدْعَى هذهِ أحيانًا 'اعتِقاباتٍ besires' * (McDowell, 1979; Shafer-Landau, 2003). وتُعَدُّ الحُجَّةُ التي طَوَّرَها مايكِل سمِث Michael Smith** (1994) إحدَى أكثَرِ الحُجَجِ الهيُوميَّةِ المُعارِضَةِ لِوُجودِ الاعتِقاباتِ فَعّاليَّةً. إذ يَرَى سمِث أنَّ الاعتِقاداتِ

(6) لِلوُقوفِ على بَيانٍ أكثَرَ تَفصيلًا لِنظريَّةِ الدّافِعيَّةِ الهيُوميَّةِ، يُنظَر: Smith (1994, ch. 4)، و Davidson (1963; 1980).

* كَلِمَةُ (اعتِقابات) كلِمَةٌ نَحَتْناها مِن كَلِمَتَي (اعتِقادات) و(رَغَبات)، مُسايَرَةً لِكلِمَةِ (besires) التي نَحَتَها في اللُّغَةِ الإنجليزيَّةِ مِن كَلِمَتَي (beliefs) و(desires) الفَيلَسوفُ البريطانيُّ جَيمس إدوَرد جون ألذَم James Edward John Altham (1944-...م) في مَقالِهِ "ميراثُ الانفِعاليَّة 'The Legacy of Emotivism' (1986). [المُترجِم]

** مايكِل أندرُو سمِث (1954-...م). فَيلَسوفٌ أستراليٌّ يُدَرِّسُ في جامِعَةِ برنستون مُنذُ عام 2004. كَتَبَ عَدَدًا مِن الكُتُبِ والمقالاتِ المهِمَّةِ في فَلسَفَةِ الأخلاقِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (مُشكِلَةُ الأخلاق)؛ و(عِلمُ الأخلاقِ والبَديهيّاتُ: مَقالاتٌ مُختارَةٌ في سايكولوجيا الأخلاقِ وما بَعدَ عِلمِ الأخلاق)؛ و(العَقلُ، والأخلاقُ، والتَّفسيرُ: مُشارَكاتٌ مُختارَةٌ). [المُترجِم]

والرَّغَباتِ تَختَلِفُ في 'اتِّجاهِ المُلاءَمَة'. أمّا الاعتِقاداتُ فاتِّجاهُ مُلاءَمَتِها يَنطَلِقُ مِن العَقلِ إلى العالَمِ [65] إذ إنَّ اعتِقاداتِنا تَستَهدِفُ تَمثيلَ العالَم؛ والذَّهابُ إلى أنَّ الاعتِقادَ لا يُمَثِّلُ العالَمَ بِدِقَّةٍ يُعَدُّ مُعارَضَةً لِتَبَنّي ذلكَ الاعتِقادِ. وأمّا الرَّغَباتُ فتُمَثِّلُ، بِعَكسِ الاعتِقاداتِ، حالاتٍ نُريدُ إنجازَها والذَّهابُ إلى أنَّ الرَّغبَةَ تُسيءُ تَمثيلَ العالَمِ لا يُعَدُّ مُعارَضَةً لِلرَّغبَةِ. بَل العَكسُ هوَ الصَّحيحُ فنَحنُ نَرغَبُ في أشياءَ لا نَعتَقِدُ أنَّها قَد أُنجِزَتْ أصلًا. لِذلكَ، يُمكِنُ أن يُقالَ إنَّ لِلرَّغَباتِ اتِّجاهَ مُلاءَمَةٍ يَنطلِقُ مِن العالَمِ إلى العَقلِ: فنَحنُ نُريدُ أن نَجعَلَ العالَمَ في حالَةِ تَناغُمٍ معَ ما نَرغَبُ فيهِ. وحينَ تُفهَمُ الاعتِقاداتُ والرَّغَباتُ على هذا النَّحوِ، يُمكِنُنا أن نَرَى، على ما يَرى سمِث، سَبَبَ عَدَمِ إمكانِ وُجودِ حالاتٍ ذِهنِيَّةٍ تُمَثِّلُ حَقيقَةَ ما عليهِ العالَمُ وتُحَرِّكُ فينا الدّافِعَ في الوَقتِ نَفسِهِ. فلَو وُجِدَتْ حالَةٌ كهذهِ لَكانَتْ حالَةً ذِهنِيَّةً ذاتَ اتِّجاهَيْ مُلاءَمَةٍ مُتَنافِيَيْنِ، ولَكانَ هَدَفُها في وَقتٍ واحِدٍ تَمثيلَ حَقيقَةِ ما عليهِ العالَمُ ودَفعَ المَرءِ إلى تَغييرِ العالَمِ لِيَكونَ مُتَناغِمًا معَ ما تُمَثِّلُهُ[7].

ولْنَفتَرِضْ أنّا نُسَلِّمُ بِأنَّ الجَوّانِيَّةَ الدِّينِيَّةَ المُتَواضِعَةَ ونَظَريَّةَ الدّافِعِ الهيُومِيَّةَ كِلتَيْهِما نَظَريَّتانِ مَقبولَتانِ. فنَحنُ الآنَ مُهَيَّؤُونَ لِنَرَى كَيفِيَّةَ إمكانِ استِعمالِهِما لِتَعزيزِ نَظرِيَّةِ المَوقِفِ. ولْنُطلِقْ على الحالاتِ الذِّهنِيَّةِ المُعَبَّرِ عنها عُرفِيًّا بِأقوالٍ دينِيَّةٍ مُخلِصَةٍ اسمَ *الالتِزاماتِ commitments*. فما نَوعُ الحالَةِ الذِّهنِيَّةِ التي يُمَثِّلُها الالتِزامُ الدِّينِيُّ؟ فَلْنَنظُرْ في المُحاجَّةِ الآتِيَةِ:

1. يَصحَبُ الالتِزاماتِ الدِّينِيَّةَ بِالضَّرورَةِ على نَحوٍ طَبيعِيٍّ (بِالطَّريقَةِ المَذكورَةِ آنِفًا) فاعِلُونَ ذَوُو طَبائعَ دافِعِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ. (وهذهِ هيَ الجَوّانِيَّةُ الدِّينِيَّةُ المُتَواضِعَةُ).
2. إذا ما أُخِذَتْ الاعتِقاداتُ وَحدَها فإنَّها لا تُحدِثُ دافِعًا ولا تَقدِرُ على تَوليدِ حالاتٍ فَعّالَةٍ دافِعِيًّا؛ فالدّافِعِيَّةُ إنَّما هيَ وَليدَةُ الاعتِقادِ والرَّغبَةِ. (وهذهِ هيَ السّايكولوجيا الهيُومِيَّةُ).

---

(7) لِلوُقوفِ على الاعتِراضاتِ على حُجَّةِ سمِث، يُنظَر: Little (1997)، وShafer-Landau (2002, pp. 134-138).

3. إن قيلَ إنَّ الالتِزاماتِ الدِّينِيَّةَ لَيسَتْ سِوَى اعتِقاداتٍ فإنَّ ذلكَ لا يُفَسِّرُ صِلَتَها الطَّبيعِيَّةَ الضَّرورِيَّةَ بِالطَّبائعِ الدّافِعِيَّةِ لأنَّ هذهِ الاعتِقاداتِ يُمكِنُ أن تَتَعايَشَ معَ مَواقِفَ مُؤَيِّدَةٍ مُختَلِفَةٍ لا تُوَلِّدُ النَّوعَ الصَّحيحَ مِن التَّغييرِ الدّافِعِيِّ. (الاعتِقاداتُ والرَّغَباتُ 'وُجوداتٌ مُتَمايِزَةٌ').
4. إن كانَتِ الالتِزاماتُ الدِّينِيَّةُ مَواقِفَ مُؤَيِّدَةً فبِإمكانِها أن تُتَمِّمَ اعتِقاداتِ المُؤمِنِ المَوجودَةَ مِن أجلِ تَعديلِ طَبيعَةِ المُعتَقِدِ الدّافِعِيَّةِ على النَّحوِ الصَّحيحِ.
5. لِذلكَ تُعَدُّ الالتِزاماتُ الدِّينِيَّةُ مَواقِفَ مُؤَيِّدَةً.

فالذي تتمَخَّضُ عنهُ هذهِ المُحاجَّةُ، التي تَسيرُ عَلى نَهجِ صُورَةٍ مُشابِهَةٍ لِمُحاجَّةٍ مِعيارِيَّةٍ مُؤَيِّدَةٍ لِلتَّعبيرِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ (يُنظَر: Blackburn, 1984)، أنَّ ما كُنّا نُسَمِّيهِ 'اعتِقاداتٍ دِينِيَّةً' هوَ في الواقِعِ مَواقِفُ مُؤَيِّدَةٌ. فإن كانَتِ الأَقوالُ الدِّينِيَّةُ مُعَبِّرَةً عن مَواقِفَ مُؤَيِّدَةٍ فإنَّ التَّعبيرِيَّةَ صادِقَةٌ. على أنَّ بِالإمكانِ تَقديمَ المُحاجَّةِ كذلكَ بِوَصفِها مُحاجَّةً مُؤَيِّدَةً لِنَظرِيَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ [66] بِأن يُستَبدَلَ بِـ'مَواقِف مُؤَيِّدَة' في النُّقطَتَيْنِ (4) و(5) 'مَواقِفُ مُؤَيِّدَةٌ واعتِقادات'.

أَيَّةُ نَظَرِيَّةٍ لِلمَوقِف؟

عَلى أَنَّهُ سرعانَ ما يُمكِنُنا أن نَرَى أَنَّ المُحاجَّةَ المُؤَيِّدَةَ لِنَظرِيَّةِ المَوقِفِ المُشَكَّلَةَ مِن الجَوّانِيَّةِ المُتَواضِعَةِ والسّايكولوجِيَّةِ الهيُومِيَّةِ لا تُمَثِّلُ تَأييدًا لِلتَّعبيرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ. فالتَّعبيرِيَّةُ هيَ النَّظرِيَّةُ التي تُفيدُ أَنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ لا تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً ولا تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ (وإن كانَ مِن المُحتَمَلِ، اعتِمادًا على ما يُقالُ، أن تُعَبِّرَ عن اعتِقاداتٍ لادينِيَّةٍ)؛ بَل تُعَبِّرُ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ. على أَنَّ التَّعبيرِيَّةَ كانَتْ قَد استُبعِدَتْ أصلًا على نَحوٍ فَعّالٍ بِوَصفِها النَّتيجَةَ المَقبولَةَ لِلجَوّانِيَّةِ بِسببِ تَخفيفِ الأُطروحَةِ الجَوّانِيَّةِ مِن جَوّانِيَّةٍ بَسيطَةٍ إلى جَوّانِيَّةٍ مُتَواضِعَةٍ نَتيجَةً لِلأَمثِلَةِ البَرّانِيَّةِ المُضادَّةِ. وعلى الرَّغمِ مِن أَنَّ الجَوّانِيَّةَ المُتَواضِعَةَ تَرَى ضَرورَةَ أن تَكونَ الالتِزاماتُ الدِّينِيَّةُ مَصحوبَةً على نَحوٍ طَبيعِيٍّ بِطَبائعَ دافِعِيَّةٍ مُناسِبَةٍ في المُستَوَى

الفَردِيِّ أو الاجتِماعِيِّ، تَسمَحُ أيضًا بِمَدًى واسِعٍ مِن الحالاتِ غَيرِ الطَّبيعِيَّةِ - لكِنَّها لَيسَتْ نادِرَةً، على ما يُفتَرَضُ- (اللاعَقلانِيَّةِ، والاكتِئابِ، واللامُبالاةِ، والتَّمَرُّدِ، وما إليها) التي تَكونُ فيها لِلشَّخصِ التِزاماتٌ دينِيَّةٌ مِن غَيرِ أن تَكونَ لَهُ طَبيعَةٌ دافِعِيَّةٌ مُصاحِبَةٌ على النَّحوِ الصَّحيحِ. فإذا كانَتْ هذهِ الحالاتُ مُمكِنَةً، بَل مَألوفَةً، فالذي يَبدو أنَّهُ لا يَنبَغي أن يُعتَقَدَ أنَّ التَّقريرَ المُخلِصَ لِلالتِزامِ الدِّينِيِّ مُجَرَّدُ تعبيرٍ عن مَوقِفٍ مُؤَيِّدٍ: فبِوُسعِ الطَّبيعَةِ الدّافِعِيَّةِ لِلفاعِلِ أن تَكونَ مُستَقِلَّةً عن الالتِزامِ الدِّينِيِّ. فما دامَتِ المَواقِفُ المُؤَيِّدَةُ حالاتٍ ذاتِيَّةَ الدّافِعِيَّةِ فالمُتَكَلِّمونَ الدِّينِيّونَ في هذهِ الحالاتِ يَبدُونَ حائزِينَ لاعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ لكِنَّهُم يَفتَقِرونَ إلى طَبائعَ دافِعِيَّةٍ مُلائمَةٍ. فإذا كانَ بِوُسعِ الفاعِلِينَ أن تَكونَ لَهُم اعتِقاداتٌ على الدَّوامِ وكانوا غالِبًا مّا يَحُوزونَها، بِما يَنسَجِمُ معَ الجَوّانِيَّةِ المُتَواضِعَةِ، فيُمكِنُ عِندَئذٍ أن يُقالَ إنَّ الجَوّانِيَّةَ المُتَواضِعَةَ لا تُقَدِّمُ سَبَبًا لافتِراضِ أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ لا تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ[8].

على أنَّ الأمرَ يَختَلِفُ في حالَةِ نَظَرِيَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ. فكَونُ النَّظَرِيَّةِ تَفتَرِضُ أنَّ اللُغَةَ الدِّينِيَّةَ تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن كُلٍّ مِن الاعتِقاداتِ والمَواقِفِ، يَجعَلُها مُفَسِّرَةً بِدِقَّةٍ لِلجَوّانِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ المُتَواضِعَةِ. على أنَّها لا تُواجِهُ صُعوبَةً بِسببِ الحالاتِ التي تَسمَحُ بِها الجَوّانِيَّةُ المُتَواضِعَةُ والتي تتعلَّقُ بِفاعِلِينَ ذَوِي التِزاماتٍ دينِيَّةٍ لكِنَّهُم يَفتَقِرونَ إلى الجانِبِ الدّافِعِيِّ الطَّبيعِيِّ. فإن أنشأَ هؤُلاءِ الفاعِلونَ تَقريراتٍ دينِيَّةً فإنَّهُم، استِنادًا إلى نَظَرِيَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ، ما زالوا يُعَبِّرونَ عن كُلٍّ مِن الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ والمَواقِفِ المُؤَيِّدَةِ وإن لَم يَكونوا يُمَثِّلونَ بِدِقَّةٍ مَشاعِرَهُم الشَّخصِيَّةَ. فتَقريرُ أنَّ 'اللهَ صالِحٌ' مِن غَيرِ حِيازَةِ أيِّ مَوقِفٍ مُؤَيِّدٍ

(8) بِإمكانِ التَّعبيرِيِّينَ الذَّهابُ إلى أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تُستَعمَلُ عُرفِيًّا لِلتَّعبيرِ عن مَواقِفَ مُؤَيِّدَةٍ ولَو كانَ لَدَى المُتَكَلِّمِينَ كُلٌّ مِن الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ والمَواقِفِ المُؤَيِّدَةِ، بِوَصفِ ذلكَ أمرًا يتعلَّقُ بِالسّايكولوجيا الدِّينِيَّةِ. لكِن إذا كانَ لَدَى الفاعِلِينَ اعتِقاداتٌ دينِيَّةٌ مُتَمايِزَةٌ مِن المَواقِفِ المُؤَيِّدَةِ، فسيُواجِهُ التَّعبيرِيُّونَ مُهِمَّةً صَعبَةً هيَ إقناعُنا بِأنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ لا تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن هذهِ الاعتِقاداتِ. أمّا حُجَّةُ الدّافِعِيَّةِ فلَن تَفعَلَ ذلكَ، على أيَّةِ حالٍ.

تُجاهَ اللهِ (أو جانِبٍ دافِعِيٍّ مُناسِبٍ يُمكِنُ أن يُوَلِّدَ مَوقِفًا إيجابِيًّا كهذا) يُمَثِّلُ الجانِبَ المُقابِلَ لِتَقريرِ أنَّ 'اللهَ صالِحٌ' مِن غَيرِ [67] اعتِقادِ أنَّ اللهَ صالِحٌ. فَإن يَكُنِ التَّقريرُ الأخيرُ مُضَلِّلًا، في حالِ كَونِهِ مَقصودًا، فإنَّ التَّقريرَ السّابِقَ يُقَدِّمُ خِدمَةً غَيرَ مُخلِصَةٍ لِلوِجهَةِ الدِّينِيَّةِ التي يَكونُ فيها قَلبُ المَرءِ غَيرَ حاضِرٍ.

على أنَّهُ يَظَلُّ ثَمَّةَ إشكالٌ مُستَمِرٌّ بِشَأنِ نَظَرِيَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ إن كانَت الجَوّانِيَّةُ المُتَواضِعَةُ صادِقَةً. فلِمَ يَجِبُ *بِالضَّرورَةِ* أن تُوجَدَ على نَحوٍ طَبيعِيٍّ عَلاقَةٌ بينَ أن تَكونَ لِلشَّخصِ التِزاماتٌ دينِيَّةٌ وأن يَكونَ مَدفوعًا على نَحوٍ مُناسِبٍ؟ وإن كانَ مُنَظِّرُو المَوقِفِ المُعتَدِلُونَ يَرَونَ أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن كُلٍّ مِن الاعتِقاداتِ والمَواقِفِ المُؤَيِّدَةِ وإن أمكَنَ فَهمُ الالتِزاماتِ الدِّينِيَّةِ على أنَّها تَكمُنُ على نَحوٍ طَبيعِيٍّ في كُلٍّ مِن الاعتِقاداتِ والمَواقِفِ، فما الذي يُفَسِّرُ حَقيقَةَ أنَّ العَلاقَةَ بينَ الاعتِقاداتِ والمَواقِفِ المُؤَيِّدَةِ قائِمَةٌ بِحُكمِ الضَّرورَةِ؟ فما دامَتِ الاعتِقاداتُ والمَواقِفُ المُؤَيِّدَةُ 'وُجوداتٍ مُتَمايِزَةً'، فمِنَ المُحَيِّرِ أن يَكونَ هذا الحُكمُ صادِقًا. فَمَهما يَكُن انفِصالُ الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ عن الطَّبائِعِ الدّافِعِيَّةِ على نَحوٍ طَبيعِيٍّ غَيرَ مُحتَمَلٍ في مُستَوى المُمارَسَةِ، فإنَّهُ مُمكِنٌ. (وبِعَكسِ ذلكَ، يَمتَلِكُ التَّعبيرِيُّونَ تَفسيرًا دَقيقًا جِدًّا لِسَبَبِ وُجودِ عَلاقَةٍ ضَرورِيَّةٍ بينَ الالتِزاماتِ الدِّينِيَّةِ والطَّبائِعِ الدّافِعِيَّةِ: فالسَّبَبُ هوَ أنَّ الالتِزاماتِ الدِّينِيَّةَ هيَ مَواقِفُ مُؤَيِّدَةٌ. على أنّا قَد رَأَينا أنَّ هذا يَجعَلُ العَلاقَةَ وَثيقَةً جِدًّا، على ما يُقِرُّ بِهِ الجَوّانِيُّونَ المُتَواضِعونَ).

ولِكَي يُجيبَ مُنَظِّرُ المَوقِفِ المُعتَدِلُ عن هذا الإشكالِ يَحتاجُ إلى أن يَنظُرَ في نَوعِ الضَّرورَةِ الذي تَقتَرِحُهُ الجَوّانِيَّةُ المُتَواضِعَةُ. وبِإمكانِنا التَّفريقُ بينَ نَوعَينِ لِلضَّرورَةِ ذَوَي صِلَةٍ (Tresan, 2006). فالضَّروراتُ التي تُسَمّى ضَروراتٍ واسِعَةَ المَدَى، أو *de dicto*، تَمتَدُّ إلى القَضِيَّةِ كامِلَةً؛ أمّا الضَّروراتُ الضَّيِّقَةُ المَدَى، أو *de re*، فتَمتَدُّ إلى صِفاتِ الشَّيءِ المُعطَى*. وفي الآتي مِثالٌ لِذلكَ. فالجُملَةُ (5)

* de dicto وde re: تَعبيرانِ لاتينِيّانِ، والتَّرجَمَةُ الحَرفِيَّةُ لِلتَّعبيرِ الأوَّلِ de dicto هيَ 'عَن المَقولِ about what is said'، ويتعلَّقُ بِاعتِقادٍ بِشَأنِ صِدقِ قَضِيَّةٍ مّا؛ والتَّرجَمَةُ الحَرفِيَّةُ =

تُمَثِّلُ ضَرورَةً واسِعَةَ المَدَى تُخبِرُنا أَنَّ قَضِيَّةَ 'الأعزابُ رِجالٌ غَيرُ مُتَزَوِّجِينَ' قَضِيَّةٌ ضَرورِيَّةٌ.

5. بِالضَّرورَةِ، الأعزابُ رِجالٌ غَيرُ مُتَزَوِّجِينَ.

وبِعَكسِ ذلكَ، تُمَثِّلُ الجُملَةُ (6) ضَرورَةً ضَيِّقَةَ المَدَى تُخبِرُنا أَنَّ شَيئًا مّا (الأعزابَ) بِالضَّرورَةِ لَهُ صِفَةٌ مُعَيَّنَةٌ هيَ (كَونُهُم رِجالًا غَيرَ مُتَزَوِّجِينَ).

6. الأعزابُ بِالضَّرورَةِ رِجالٌ غَيرُ مُتَزَوِّجِينَ.

والفَرقُ بينَ نَمَطَي الضَّرورَةِ مُشارٌ إليهِ عُرفِيًّا مِن خِلالِ مَوقِعِ العامِلِ المُوَجِّهِ الذي تُمَثِّلُهُ 'الضَّرورَة'. إذ يُوجَدُ أيضًا فَرقٌ واضِحٌ بينَ مَعنَى الجُملَةِ (5) ومَعنَى الجُملَةِ (6). فالدَّعوَى الأُولَى ذاتُ المُوَجِّهِ الواسِعِ المَدَى صادِقَةٌ: فمِنَ المُحالِ أن يَكونَ هُناكَ عَزَبٌ مُتَزَوِّجٌ*. أمّا الدَّعوَى الثّانِيَةُ ذاتُ المُوَجِّهِ الضَّيِّقِ المَدَى فَكاذِبَةٌ ومُخطِئَةٌ في حَقِّ الأعزابِ بِدَرَجَةٍ كَبيرَةٍ: فليسَ ضَرورِيًّا أن يَكونَ كُلُّ عَزَبٍ [68] غَيرَ مُتَزَوِّجٍ. فالعَزَبُ ليسَ مُنفَرِدًا بِحُكمِ الضَّرورَةِ. ومِنَ الأمثِلَةِ الأُخرَى الجُملَةُ (7) التي تُقَرِّرُ ضَرورَةً ذاتَ مَدًى واسِعٍ والجُملَةُ (8) التي تُقَرِّرُ ضَرورَةً ذاتَ مَدًى ضَيِّقٍ.

7. بِالضَّرورَةِ، إن كانَ س كَوكَبًا فإنَّهُ يَدورُ حَولَ نَجمٍ مّا.

8. إن كانَ س كَوكَبًا، فإنَّهُ بِالضَّرورَةِ يَدورُ حَولَ نَجمٍ مّا.

فهاتانِ الجُملَتانِ أيضًا لَهُما مَعنَيانِ مُختَلِفانِ تَمامًا. فَالجُملَةُ (7) تُقَرِّرُ وُجوبَ أَنَّهُ إن كانَ ثَمَّةَ كَوكَبٌ فإنَّهُ يَدورُ حَولَ نَجمٍ مّا، وهيَ عِبارَةٌ تَقريرِيَّةٌ صَحيحَةٌ بِمُقتَضَى

= لِلتَّعبيرِ الثّاني de re هيَ 'عَنِ الشَّيء about the thing'، ويتعلَّقُ بِاعتِقادٍ بِشَأنِ شَيءٍ في الواقِعِ. [المُتَرجِم]

* في الأصلِ الإنجليزيِّ unmarried أي غَيرُ مُتَزَوِّجٍ، ولا يَستَقيمُ بِها الكَلامُ. [المُتَرجِم]

البَيانِ الشّائعِ لِحَقيقَةِ ما عليهِ الكَواكِبُ. أمّا الجُملَةُ (8) فبِعَكسِ ذلكَ، إذ تُخبِرُنا بِشَيءٍ مّا يتعلَّقُ بِهذهِ الأجسامِ التي هيَ الكَواكِبُ: فهيَ بِالضَّرورَةِ لَها صِفَةُ الدَّورانِ حَولَ النُّجومِ. بيدَ أنَّ هذا يَبدو كاذِبًا لأنَّ الظّاهِرَ إمكانُ أن يُحتَمَلَ عَدَمُ دَورانِ كَوكَبِ المُشتَري، على سبيلِ المِثالِ، حَولَ نَجمٍ مّا أو قَطعُ مَسارِهِ المَداريِّ.

ولا يَتَّضِحُ مُباشَرَةً نَوعُ الضَّرورَةِ الذي يَقتَرِحُهُ الجَوّانِيُّونَ: أضَرورَةٌ واسِعَةُ المَدَى أم ضَرورَةٌ ضَيِّقَةُ المَدَى؟ وتَسمَحُ الجَوّانِيَّةُ بِالقِراءَتَيْنِ الواسِعَةِ المَدَى والضَّيِّقَةِ المَدَى.

> *الجَوّانِيَّةُ الواسِعَةُ المَدَى.* بِالضَّرورَةِ، الالتِزاماتُ الدِّينِيَّةُ تَصحَبُها على نَحوٍ طَبيعِيٍّ طَبائعُ دافِعِيَّةٌ مُناسِبَةٌ.
>
> *الجَوّانِيَّةُ الضَّيِّقَةُ المَدَى.* الالتِزاماتُ الدِّينِيَّةُ بِالضَّرورَةِ تَصحَبُها على نَحوٍ طَبيعِيٍّ طَبائعُ دافِعِيَّةٌ مُناسِبَةٌ.

فهاتانِ القِراءَتانِ مُختَلِفَتانِ في الدَّلالَةِ. فإن اتَّخَذَتِ الجَوّانِيَّةُ وِجهَةَ الضَّرورَةِ الضَّيِّقَةِ المَدَى فإنَّها تُخبِرُنا عِندَئذٍ بِشَيءٍ مّا يتعلَّقُ بِطَبيعَةِ الالتِزاماتِ الدِّينِيَّةِ: فهيَ حالاتٌ ذِهنِيَّةٌ مُرتَبِطَةٌ بِطَبائعِنا الدّافِعِيَّةِ. ويَبدو أنَّ لِذلكَ لَوازِمَ تتعلَّقُ بِأُطروحتِنا لِلسّايكولوجيا الدِّينِيَّةِ، وأنَّ القِراءَةَ الضَّيِّقَةَ المَدَى لِلضَّرورَةِ الجَوّانِيَّةِ هيَ التي يَستَعمِلُها التَّعبيرِيُّونَ في ذَهابِهِم إلى أنَّ الالتِزاماتِ الدِّينِيَّةَ لَيسَتِ اعتِقاداتٍ بَل يَجِبُ أن تَكونَ مَواقِفَ مُؤيِّدَةً. أمّا إن اتَّخَذَتِ الجَوّانِيَّةُ وِجهَةَ الضَّرورَةِ الواسِعَةِ المَدَى، فسَيَكونُ الضَّرورِيُّ عندَئذٍ قَضِيَّةً تتحدَّثُ عن العَلاقَةِ بينَ الالتِزاماتِ الدِّينِيَّةِ والطَّبائعِ الدّافِعِيَّةِ. وفي هذهِ الحالَةِ الأخيرَةِ ليسَ ثَمَّةَ شَيءٌ مِمّا يتعلَّقُ بالالتِزامِ الدِّينيِّ نَفسِهِ يَجعَلُهُ بِالضَّرورَةِ مَصحوبًا بِطَبيعَةٍ دافِعِيَّةٍ مُناسِبَةٍ. ويُعَبَّرُ أحيانًا عن هذا الاختِلافِ بِالقَولِ إنَّ الضَّروراتِ الضَّيِّقَةَ المَدَى تَتَعَلَّقُ بِالصِّفاتِ الضَّرورِيَّةِ لِلأشياءِ، في حينِ أنَّ الضَّروراتِ الواسِعَةَ المَدَى مَرَدُّ وُجودِها إلى مَفاهيمِنا. فالضَّرورَةُ الواسِعَةُ المَدَى لِلجُملَةِ (5) لا تُخبِرُنا بِشَيءٍ عن أيِّ عَزَبٍ مَخصوصٍ لا

عِلمَ لَنا بِهِ أصلًا مِن طَريقِ حَقيقَةِ أَنَّ الشَّخصَ عَزَبٌ. فَمَرَدُّ وُجودِ الضَّرورَةِ إلى مَفهومِ 'العَزَب'؛ أي إنّا لا نَعُدُّ مِن الأعزابِ إلّا الرِّجالَ الذينَ هُم لَيسُوا مُتَزَوِّجينَ. فَكذلكَ يُمكِنُ فَهمُ الجَوّانِيَّةِ الواسِعَةِ المَدَى [69] على أنَّها ناجِمَةٌ عن حَقيقَةِ أنّا نَعُدُّ الالتِزاماتِ الدِّينِيَّةَ تلكَ الأنواعَ مِن الأشياءِ المُرتَبِطَةَ على نَحوٍ طَبيعِيٍّ بِالطَّبائعِ الدّافِعِيَّةِ. لكِن لا يَلزَمُ مِن ذلكَ وُجوبُ أن تكونَ الالتِزاماتُ الدِّينِيَّةُ ذاتِيَّةَ الدّافِعِيَّةِ (على نَحوٍ طَبيعِيٍّ)؛ فالاعتِقادُ والرَّغبَةُ يُمكِنُ أن يُؤَدِّيا وَظيفَةَ الالتِزامِ الدِّينِيِّ كذلِكَ أداءً جَيِّدًا.

وما لَهُ أَهَمِّيَّةٌ مَخصوصَةٌ مِمّا يتعلَّقُ بِالقِراءَةِ الواسِعَةِ المَدَى لِلجَوّانِيَّةِ تَجَنُّبُها اللَّوازِمَ الجَدَلِيَّةَ المُتعلِّقَةَ بِالسّايكولوجيا الدِّينِيَّةِ وإظهارُها بَدَلًا مِن ذلكَ شَيئًا مّا يتعلَّقُ بِمَفهومِ 'الالتِزامِ الدِّينِيِّ' (أو 'الاعتِقادِ الدِّينِيِّ'). والمِثالُ الجَيِّدُ المُشابِهُ هوَ 'الاعتِقادُ المَذمومُ كُلِّيًّا' (Tresan, 2006, p. 146). فَبِالضَّرورَةِ، الاعتِقادُ المَذمومُ كُلِّيًّا مَذمومٌ كُلِّيًّا. على أنَّ مِن الواضِحِ أنَّهُ ليسَ ضَرورِيًّا لِلاعتِقادِ المَذمومِ كُلِّيًّا أن يَكونَ مَذمومًا كُلِّيًّا؛ فَلَو اختَلَفَتِ الأشياءُ لاحتُمِلَ أن يُعامَلَ مُعامَلَةً مُختَلِفَةً. فمِنَ الواضِحِ أنّا لا نَحتاجُ إلى نظرِيَّةٍ سايكولوجِيَّةٍ خاصَّةٍ لِلاعتِقاداتِ المَذمومَةِ كُلِّيًّا لِتَفسيرِ ضَرورَةِ كَونِها مَذمومَةً كُلِّيًّا. فالضَّرورَةُ إنَّما تَنجُمُ عن مُمارَسَتِنا تَصنيفَ الاعتِقاداتِ المَذمومَةِ كُلِّيًّا وَحدَها بِوَصفِها اعتِقاداتٍ مَذمومَةً كُلِّيًّا. وتَشمَلُ أَمثِلَةٌ أُخرَى 'الاعتِقادَ المُفَضَّلَ'، و'الاعتِقادَ التَّوّاقَ'، و'الفيلمَ الدِّعائيَّ' (Tresan, 2006, p. 146). وعلى العُمومِ، يُمكِنُنا فَهمُ الضَّرورَةِ الواسِعَةِ المَدَى على أنَّها مُوَطَّدَةٌ بِمُمارَساتِنا اللُّغَوِيَّةِ لا على أنَّها صِفاتٌ أساسِيَّةٌ لِلأشياءِ التي نَصِفُها. فَدَعوَى الجَوّانِيَّةِ الواسِعَةِ المَدَى هيَ أنَّ المُمارَسَةَ اللُّغَوِيَّةَ هيَ التي تَعُدُّ الالتِزاماتِ والاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةَ مُرتَبِطَةً على نَحوٍ طَبيعِيٍّ بِالطَّبائعِ الدّافِعِيَّةِ؛ فَنَحنُ نَمتَنِعُ عن الحُكمِ بِحِيازَةِ فاعِلٍ مّا التِزاماتٍ دينِيَّةً (أو نَقولُ إنَّهُ يَحوزُها حِيازَةً ناقِصَةً أو بَديلَةً) حينَ لا تَكونُ الحالَةُ كذلكَ.

لِذلكَ كانَ بِوُسعِ الجَوّانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ المُتَواضِعَةِ أن تُنصِفَ الحَدْسَ الذي حاصِلُهُ أنَّ ثَمَّةَ صِلَةً وَثيقَةً بينَ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ والدّافِعِيَّةِ، فَضلًا عن مُعالَجَتِها

الأَمثِلَةَ البَرّانِيَّةَ المُضادَّةَ، مِن خِلالِ افتِراضِ عَلاقَةٍ ضَرورِيَّةٍ واسِعَةِ المَدَى بينَ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ والحِيازَةِ الطَّبيعِيَّةِ لِطَبيعَةٍ دافِعِيَّةٍ (لِلفَردِ أو لأفرادِ المُجتَمَعِ). ثُمَّ إنَّ نظرِيَّةَ المَوقِفِ المُعتَدِلَةَ تُقَدِّمُ تَفسيرًا لِلجَوّانِيَّةِ أفضَلَ مِن تَفسيرِ نظرِيَّةِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ. على أنَّها تَفعَلُ ذلكَ مِن خِلالِ استِبقاءِ الكَثيرِ مِمّا في مُقارَبَةِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ. فالجُمَلُ الدِّينِيَّةُ تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً وتُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ استِنادًا إلى نظرِيَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ، لكِنَّها تُعَبِّرُ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ أيضًا. [70]

6

مُعارَضَةُ التَّعبيرِيَّة

نَظَرْنا في الفَصلِ 5 في حُجَّةِ الدّافِعِيَّةِ المُؤيِّدَةِ لِنظريَّةِ المَوقِفِ ووَجَدْنا أنَّ بِالإمكانِ تَأييدَ نظريَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ بيدَ أنَّهُ لَم تَكُنْ ثَمَّةَ حُجَّةٌ مُشابِهَةٌ مُؤيِّدَةٌ لِلتَّعبيرِيَّةِ. وفي هذا الفَصلِ سنُقَوِّمُ أكثَرَ المَسالِكِ واعِدِيَّةً المُتعلِّقَةَ بِالحُجَّةِ المُضادَّةِ لِنظريَّةِ المَوقِفِ. ولَمّا كانَتِ النُّسَخُ التَّعبيرِيَّةُ لِنظريَّةِ المَوقِفِ الدِّينِيَّةِ هيَ النُّسَخَ التي كانَتْ مَحَطَّ الاهتِمامِ النَّقدِيِّ الأكبَرِ في أدَبِيّاتِ فَلسَفَةِ الدِّينِ، وَجَّهْتُ جُلَّ اهتِمامي إلى التَّعبيرِيَّةِ وأتبَعْتُ ذلكَ النَّظَرَ في مَدَى كَونِ الاعتِراضاتِ المُوَجَّهَةِ إلى نظريَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ فَعّالَةً أيضًا. وفي الوقتِ الذي أذهَبُ فيهِ إلى أنَّ التَّعبيرِيَّةَ الدِّينِيَّةَ تَمتَلِكُ إجاباتٍ عن بَعضِ الاعتِراضاتِ المُثارَةِ بِالضِّدِّ مِنها، أرَى أنَّها تُواجِهُ بَعضَ المُشكِلاتِ الصَّعبَةِ جِدًّا التي تَجعَلُها نَظَرِيَّةً غَيرَ مَقبولَةٍ؛ أمّا نظريَّةُ المَوقِفِ المُعتَدِلَةُ فبِعَكسِ ذلكَ، إذ خَرَجَتْ سالِمَةً نِسبِيًّا. وسيتضَمَّنُ كُلُّ قِسمٍ مِن هذا الفَصلِ النَّظَرَ في أحَدِ تِلكَ الاعتِراضاتِ.

التَّحليلُ التَّعبيرِيّ

مِن المُفيدِ البَدءُ بِذِكرِ فَرقٍ مُهِمٍّ بينَ أُطروحَةِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ التي يَحتاجُ التَّعبيرِيُّونَ الدِّينِيُّونَ إلى تَقديمِها والأُطروحَةِ المُشابِهَةِ لِلُّغَةِ الأخلاقِيَّةِ التي يُقَدِّمُها التَّعبيرِيُّونَ الأخلاقِيُّونَ. فالجُزءُ الأعظَمُ مِن اللُّغَةِ والخِطابِ الأخلاقِيَّيْنِ يُمَيِّزُهُ صِنفٌ مُمَيِّزٌ مِن

المَحمولاتِ التي تُستعمَلُ لِوَصفِ الأفعالِ والأحداثِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ الجُمَلَ الآتِيَةَ: 'السَّرِقَةُ خَطأٌ'، و'الصَّدَقَةُ فَضيلَةٌ'، و'سُلوكُكَ كانَ شَنيعًا'، و'كانَ ذلكَ هوَ الفِعلَ الشَّريفَ الذي يَنبَغي فِعلُهُ'، تُمَيَّزُ بِأنَّها أخلاقِيَّةٌ مِن خِلالِ استِعمالِها مَحمولاتٍ أخلاقِيَّةً. والدَّورُ المَركزِيُّ لِلمَحمولاتِ الأخلاقِيَّةِ في اللُّغَةِ الأخلاقِيَّةِ يَسمَحُ بِأُطروحَةٍ تَعبيرِيَّةٍ مُباشِرَةٍ: فالجُملَةُ الأخلاقِيَّةُ تُعَبِّرُ عن تَقويمٍ لِلأفعالِ والأحداثِ التي يُستعمَلُ لَها المَحمولُ الأخلاقِيُّ. ثُمَّ إنَّهُ ما دامَتِ المَحمولاتُ الأخلاقِيَّةُ تُقَدِّمُ تَقويمًا إيجابِيًّا أو سَلبِيًّا لِلفِعلِ أو الحَدَثِ المَعنِيِّ، فإنَّ التَّعبيرِيِّينَ [71] يَفتَرِضونَ تَبَعًا لِذلكَ أنَّ المَوقِفَ الذي تُستعمَلُ الجُملَةُ لِلتَّعبيرِ عنهُ إمّا مَوقِفُ قَبولٍ وإمّا مَوقِفُ رَفضٍ[1].

وبِإمكانِ التَّعبيرِيِّينَ الدِّينِيِّينَ استِخدامُ خِطَّةٍ مُشابِهَةٍ لِلمَحمولاتِ الدِّينِيَّةِ: فالعِبارَةُ التَّقريرِيَّةُ التي تَستَعمِلُ مَحمولًا دينِيًّا يتعلَّقُ بِفِعلٍ مّا أو حَدَثٍ مّا تُعَبِّرُ عن مَوقِفٍ مِن هذا الحَدَثِ. فلِلتَّعبيرِيِّينَ مَنهَجٌ جاهِزٌ لِتَأويلِ الجُمَلُ التي تَصِفُ، على سبيلِ المِثالِ، حَدَثًا *مُقَدَّرًا تَقديرًا إلهِيًّا* أو شَيئًا *مُقَدَّسًا* أو حَدَثًا *مُعجِزًا*، إذ يَعُدُّونَها تَعبيرًا عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ تُجاهَ الأفعالِ والأشياءِ والأحداثِ المَعنِيَّةِ. فالجُملَةُ (1) في ما يَأتي، عَلى سَبيلِ المِثالِ، يُمكِنُ تَأويلُها بِالجُملَةِ (2):

1. إنَّ شَقَّ مُوسَى البَحرَ الأحمَرَ كانَ مُعجِزَةً.
2. آوا AWE! (شَقُّ مُوسَى البَحرَ الأحمَرَ).

حَيثُ يَرمِزُ 'آوا!' إلى تَعبيرٍ عن دَهشَةٍ (أو أيِّ مَوقِفٍ يَفتَرِضُهُ التَّعبيرِيُّونَ مِمّا يُعَبِّرُ عنهُ عُرفِيًّا بِقَولِ القائلِ إنَّ شَيئًا مّا مُعجِزٌ). فبِهذا القَدرِ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ التَّعبيرِيَّةَ الدِّينِيَّةَ والتَّعبيرِيَّةَ الأخلاقِيَّةَ تَستَخدِمانِ مَنهَجَيْ تَأويلٍ مُتَشابِهَيْنِ. على أنَّ اللُّغَةَ الدِّينِيَّةَ لا تُمَيَّزُ مِن خِلالِ صِنفٍ مِن المَحمولاتِ فقط؛ إذ تَنطَوي أيضًا على

(1) مَعَ ذلكَ، يُنظَرُ الفَصلُ 4 لِلوُقوفِ على الفَرقِ بَينَ نُسخَتَيْ بلاكبيرن وغِبَرد لِلتَّعبيرِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ.

أوصافٍ لِلطَّبيعَةِ والفَعّاليَّةِ المُتَعَلِّقَتَيْنِ بِاللهِ وبِفاعِلِينَ آخَرِينَ خارِقِينَ لِلطَّبيعَةِ. فَكَيفَ يُؤَوِّلُ التَّعبيرِيُّونَ الدِّينِيُّونَ، على سبيلِ المِثالِ، الجُملَتَيْنِ (3) و(4) الآتِيَتَيْنِ؟

3. قالَ اللهُ لِنُوحٍ: 'جاءَتْ نِهايَةُ كُلِّ بَشَرٍ'*.
4. ضَرَبَ الرَّبُّ أهلَ بَيتِ شَمسَ**.

فالذي يَبدو أنَّ ثَمَّةَ فَجوَةً في التَّحليلِ التَّعبيرِيِّ حينَ يتعلَّقُ الأمرُ بِالجُمَلِ التي تَصِفُ اللهَ أو تَستَخدِمُ عِباراتٍ اسمِيَّةً دينِيَّةً أُخرَى. وبِإمكانِ التَّعبيرِيِّينَ أن يُحاوِلوا تَأويلَ اللُّغَةِ المُتَعَلِّقَةِ بِاللهِ تَأويلًا حَمليًّا. مِثالُ ذلكَ أنَّ الجُملَةَ (4) يُمكِنُ أن تُقرَأَ على النَّحوِ الآتي:

5. ضَربُ أهلِ بَيتِ شَمسَ كانَ فِعلَ الرَّبِّ.

فما دامَ 'فِعل الرَّبِّ' يُؤدِّي وَظيفَةَ المَحمولِ، فبِالإمكانِ تَأويلُ الجُملَةِ (5) بِما يَنسَجِمُ معَ التَّعبيرِيَّةِ على النَّحوِ الآتي:

6. آوا (ضَربُ أهلِ بَيتِ شَمسَ).

على أنَّ هذا سيَجعَلُ التَّعبيرِيِّينَ في مُواجَهَةِ مُشكِلَةِ كَيفِيَّةِ تَأويلِ الجُمَلِ التي تَنسِبُ إلى اللهِ صِفاتٍ مِن غَيرِ وُجودِ تَأويلٍ بَديلٍ طَبيعِيٍّ. [72] مِثالُ ذلكَ الجُملَتانِ الآتِيَتانِ:

7. اللهُ عَظيمٌ.

* سِفرُ التَّكوين 6: 13. [المُتَرجِم]

** صموئيل الأوَّل 6: 19. [المُتَرجِم]

8. اللهُ كُلِّيُّ العِلمِ.

فالذي يَبدو أَنَّهُ لا تُوجَدُ أَيَّةُ قِراءَةٍ مَقبولَةٍ لِلجُملَةِ (7) أو لِلجُملَةِ (8) بِوُسعِها تَأويلُ الإحالَةِ على اللهِ تَأويلًا حَملِيًّا. لِذلكَ كانَ ثَمَّةَ سُؤالٌ مُهِمٌّ بِشَأنِ مَدَى تَوَفُّرِ التَّعبيرِيَّةِ على المَصادِرِ اللازِمَةِ لِتَقديمِ تَأويلٍ كامِلٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ أو مَدَى وُجوبِ سَماحِها بِكَونِ بَعضِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً أو تُحيلُ على اللهِ. على أَنَّهُ يُلحَظُ أَنَّ هذهِ لا تُمَثِّلُ مُشكِلَةً لِنَظرِيَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ لأَنَّ التَّعبيرَ عن الحالاتِ اللامَعرِفِيَّةِ يُضيفُ إلى تَمثيلِ الحَقائقِ الدِّينِيَّةِ والإيمانِ بِها ولا يَحلُّ مَحلَّها.

التَّعبيرِيَّةُ، والإلحادُ، والصِّدق

يَبدو أَنَّ التَّعبيرِيِّينَ يَقتَرِحونَ أُطروحَةً لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ مُختَلِفَةً تَمامًا عن الإلحادِ. فإذا كانَ المَلاحِدَةُ يَتَبَنَّونَ تَبَنِّيًا نَمَطِيًّا أُطروحَةَ قيمَةٍ ظاهِرِيَّةٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ لكِنَّهُم يَعتَقِدونَ أَنَّ الجُمَلَ والاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةَ كاذِبَةٌ، فإِنَّ التَّعبيرِيِّينَ يَنفُونَ كَونَ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً أو تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ بَل يَرَونَ أَنَّها تُعَبِّرُ عن حالاتٍ لامَعرِفِيَّةٍ. فإذا كانَتِ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ لا تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً، فليسَ بِالإمكانِ إذَن أن تَكونَ مُخطِئةً بِشَأنِ هذهِ الحَقائقِ؛ وإذا كانَتْ لا تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ، فهيَ إذَن لا تُستَعمَلُ لِلتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ كاذِبَةٍ. فالذي يَبدو أَنَّ التَّعبيرِيَّةَ مُتَمايِزَةٌ مِن الإلحادِ. على أَنَّ التَّعبيرِيَّةَ ما زالَتِ هَدَفًا لاتِّهامٍ مُتَواصِلٍ بِأَنَّها تَعتَمِدُ على الإلحادِ أو أَنَّ مَآلَها إليهِ. وقَد ذَكَرْنا هذا الاعتِراضَ في الفَصلِ 1. وقَد أَثارَهُ فان إنواغِن بِقَولِهِ:

> مُنذُ زَمَنٍ لَيسَ بِالبَعيدِ جِدًّا، والزَّمَنُ يُقاسُ في تَأريخِ الفِكرِ، كانَ كُلُّ مَن يَقولُ بِخَطَإٍ أن يُعَدَّ س مِثلَ ف يَعني، وكانَ الجَميعُ يَرَونَ أَنَّهُ يَعني، أَنَّ س لَيسَ ف. (2006, p. 156)

وتُوجَدُ طَريقَتانِ لِتَطويرِ هذا الاعتِراضِ. أمّا إحداهُما فبِالإشارَةِ إلى أنَّهُ إن كانَتِ التَّعبيريَّةُ عَلى صَوابٍ، فإنَّ المُؤمِنينَ على خَطَإٍ باعتِقادِهِم أنَّهُم يُحيلونَ على اللهِ وأنَّهُم يَصِفُونَ واقِعًا دينِيًّا. وليسَ في مَقدورِ المُؤمِنينَ بَعدُ أن يَقولوا إنَّهُ *لَواقِعٌ* أنَّ ثَمَّةَ إلهًا أو حَتّى أن يَقولوا إنَّهُ *لَصِدقٌ* أنَّ ثَمَّةَ إلهًا. (Tilley, 1978, p. 37) فالذي يَبدو عُمومًا أنَّ التَّعبيريَّةَ تُعاني مُشكِلَةً في تَقديمِ أُطروحَةٍ مَقبولَةٍ لِما يَعنيهِ المُؤمِنونَ حينَ يَدَّعُونَ أنَّ اعتِقاداتِهِم صادِقَةٌ أو واقِعِيَّةٌ. وأمّا الطَّريقَةُ الأُخرَى فيُقالُ فيها إنَّهُ بِالقَدْرِ الذي يَكونُ بِهِ المُعتَقِدُ قادِرًا على أن يَدَّعِيَ، بِما يَنسَجِمُ مَعَ الأُطروحَةِ التَّعبيريَّةِ، أنَّ ثَمَّةَ إلهًا أو أنَّ اللهَ *لَهُ* صِفاتٌ مُختَلِفَةٌ، وما إلى ذلكَ، [73] يَكونُ هذا نَوعًا مِن أنواعِ الخِداعِ عَلى ما يَبدو. فالمُعتَقِدُ لا يَفعَلُ شَيئًا سِوَى أنَّهُ *يَقولُ* إنَّ ثَمَّةَ إلهًا، لكِنَّ ما تَستَتبِعُهُ التَّعبيريَّةُ هوَ أن لا وُجودَ لِحَقائقَ دينِيَّةٍ مُمَثَّلَةٍ وأنَّ المَواقِفَ التي يُعَبِّرُ عنها المُعتَقِدُ لا تُمَثِّلُ واقِعًا دينِيًّا. فالتَّعبيريَّةُ تُظهِرُ المُؤمِنينَ في مَظهَرِ المُدَّعِينَ لأشياءَ لَيسَتْ صادِقَةً حَقًّا (McCutcheon, 2001, p. 182).

وتَبدو هذهِ الاعتِراضاتُ مُسَوَّغَةً حينَ نَنظُرُ في كِتاباتِ بَعضِ التَّعبيريِّينَ الدِّينِيِّينَ. وَلْنَأخُذْ مِثالًا لِذلكَ عَيِّنَةً مِن تَعليقاتِ د.ز. فِلِبس D.Z. Philips* على الاعتِقادِ واللُّغَةِ الدِّينِيَّيْنِ، إذ يَقولُ:

> إنَّ الاعتِقادَ الدِّينِيَّ هوَ نَفسهُ التَّعبيرُ عن رُؤيَةٍ أخلاقِيَّةٍ. (1976, p. 143)
>
> إنَّ الثَّناءَ والتَّمجيدَ لا يُحيلانِ على شَيءٍ مّا يُدعَى اللهَ. بَل إنَّ التَّعبيرَ عن هذا الثَّناءِ وهذا التَّمجيدِ هوَ ما نَدعُوهُ عِبادَةَ اللهِ. (1976, p. 149)
>
> إنَّ التَّعبيراتِ الدِّينِيَّةَ عن الثَّناءِ، والتَّمجيدِ، وما إليهِما، لَيسَت تَعبيراتٍ إحالِيَّةً. فَهذهِ الفَعّالِيّاتُ ذَواتُ طَبيعَةٍ تَعبيرِيَّةٍ، وإنَّ ما تُعَبِّرُ عنهُ يُدعَى عِبادَةَ اللهِ. (1976, p. 150)

---

* ديوي زيفانيا فِلِبس (1934-2006م). فَيلَسوفٌ ويلزِيٌّ. كانَ مُناصِرًا أساسِيًّا لِفَلسَفَةِ الدِّينِ الفِتغِنشتاينِيَّةِ. بَلَغَتْ مَسيرَتُهُ الأكاديمِيَّةُ نَحوَ خَمسَةِ عُقودٍ، وقَبلَ وَفاتِهِ كانَ أُستاذَ فَلسَفَةِ الدِّينِ في جامِعَةِ كليرمونت بِكالِفورنيا، وأُستاذَ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ سوانزي. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الاعتِقادُ، والتَّغييرُ، وأشكالُ الحَياة)؛ و(الموتُ والخُلود)؛ و(الإيمانُ والبَحثُ الفَلسَفِيّ). [المُتَرجِم]

فالذي يَذهَبُ إليهِ فِلِبس لا يَقتَصِرُ على أنَّ الاعتِقادَ الدِّينِيَّ يَنبَغي أن يُفهَمَ على أنَّهُ مَوقِفٌ لامَعرِفِيٌّ بَل يَرَى أيضًا أنَّ التَّعبيراتِ الدِّينِيَّةَ *لَيسَت تَعبيراتٍ إحالِيَّةً*. على أنَّهُ إن لَم يَكُن لَفظُ 'الله' وغَيرُهُ مِن الألفاظِ الدِّينِيَّةِ تعبيراتٍ إحالِيَّةً فالذي يَبدو أنَّ ما يَقولُهُ المُؤمِنونَ عن اللهِ كاذِبٌ إذَن.

على أنَّ مِن المُثيرِ لِلاهتِمامِ أن نَرَى فِتغِنشتاين - وهو ذو تَأثيرٍ أساسِيٍّ في أُطروحَةِ فِلِبس الدِّينِيَّةِ - يُعَلِّقُ على دَورِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ في التَّعبيرِ عن المَشاعِرِ والمَواقِفِ لكِنَّهُ لا يَتَقَدَّمُ بِأيَّةِ دَعوَى أعَمَّ بِشَأنِ التَّعبيراتِ الدِّينِيَّةِ التي تُخفِقُ في الإحالَةِ أو بِشَأنِ كَونِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ غَيرَ صادِقَةٍ أو وَصفِيَّةٍ. فهوَ يَقولُ، مَثَلًا، إنَّ الاعتِقادَ الدِّينِيَّ 'يُشبِهُ الالتِزامَ العاطِفِيَّ لِنِظامٍ إحالِيٍّ. فهوَ وإن يَكُن *اعتِقادًا*، فإنَّهُ حَقًّا طَريقَةُ حَياةٍ، أو طَريقَةٌ لِتَقويمِ الحَياةِ' (1994, p. 62). ويَقولُ عن عَقيدَةِ القَضاءِ والقَدَرِ إنَّها 'حَسرَةٌ أو صَرخَةٌ أكثَر مِنها نَظَرِيَّةً' (1994, p. 30)، ويَرَى أيضًا أنَّ هذهِ العَقيدَةَ يُمكِنُ أن تُدعَى 'صادِقَةً'، وإن 'لَم يَجُز لِلمَرءِ أن يُقَرِّرَها بِوَصفِها حَقيقَةً، ما لَم يَكُن يُعاني عندَ قَولِها' (1994, p. 30). ويَتَناوَلُ فِتغِنشتاين العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ 'إنَّها إرادَةُ اللهِ' فيَدَّعي أنَّهُ لا يَنبَغي لَنا حَتّى أن نَعُدَّها تَقريرًا بَل يَنبَغي أن نَعُدَّها إلزامًا. 'فالعَمَلُ الذي تُؤَدِّيهِ هذهِ الجُملَةُ، أو أيُّ شَيْءٍ مُشابِهٍ لَها في أيَّةِ حالٍ، يُمكِنُ أن يُؤَدِّيَهُ الأمرُ أيضًا' (1994, p. 61).

فَهَل يُمكِنُ إذَن أن يُدافِعَ التَّعبيرِيُّونَ عن الفَرضِيَّةِ المَركَزِيَّةِ التي مُفادُها أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ لا تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً وأنَّها تُعَبِّرُ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ [74] لا عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ في الوَقتِ الذي يُتيحونَ فيهِ *أيضًا* مَجالًا لِلحَديثِ عن الصِّدقِ الدِّينِيِّ، والحَقائقِ الدِّينِيَّةِ، والإحالَةِ الدِّينِيَّةِ؟ في السَّنَواتِ الأخيرَةِ، ولا سِيَّما مُنذُ العَرضِ المُؤَثِّرِ لِسايمن بلاكبيرن لِلتَّعبيرِيَّةِ في كِتابِهِ *نَشرُ الكَلِماتِ Spreading the Word* في عامِ (1984)، حاوَلَ التَّعبيرِيُّونَ في مُختَلِفِ المَيادينِ (ولا سِيَّما عِلمُ الأخلاقِ) تَقديمَ تَأويلاتٍ لِلحَديثِ 'الواقِعِيِّ' الطَّنّانِ عن الصِّدقِ، والحَقائقِ، والإحالَةِ، وما إليها، بِما يَنسَجِمُ معَ نَظَرِيَّتِهِم المَركَزِيَّةِ. وتُسَمّى مُهِمَّةُ إظهارِ كَيفِيَّةِ إمكانِ أن يَكونَ لِمساحَةٍ لامَعرِفِيَّةٍ مِن الخِطابِ مَظهَرٌ تَمثيلِيٌّ باسمِ شِبه *الواقِعِيَّة*. ويَستَهدِفُ المَشروعُ شِبهُ

الواقِعِيِّ الدَّليلَ اللُّغَوِيَّ الذي يَدفَعُ بِمُقارَبَةِ القيمَةِ الظّاهرِيَّةِ إلى مِساحَةٍ مُعَيَّنَةٍ لِلُّغَةِ ويُظهِرُ كَيفِيَّةَ إمكانِ أن يُفَسَّرَ هذا الدَّليلُ بِما يَنسَجِمُ مَعَ النَّظرِيَّةِ التَّعبيرِيَّةِ. ويُلَخِّصُ غِديَن روزن Gideon Rosen* هذا المَذهَبَ تَلخيصًا جَيِّدًا بِقَولِهِ:

> إنَّ الاستراتيجيا [شِبهَ الواقِعِيَّةِ] هيَ بِناءُ مَذهَبٍ يَحتَضِنُ كُلَّ البَلاغَةِ الخِصبَةِ لِلواقِعِيَّةِ مِن غَيرِ تَعديلٍ أو تَحَفُّظٍ أو إعادَةِ تَأويلٍ مُلتَوِيَةٍ لِلُّغَةِ، ولكِنَّهُ مَعَ ذلكَ مُضادٌّ في رُوحِهِ لِلواقِعِيَّةِ على نَحوٍ مُمَيَّزٍ. فهذا هوَ مَشروعُ شِبهِ الواقِعِيَّةِ. إذ تَبدَأُ بِمُضادَّةٍ لِلواقِعِيَّةِ تَعبيرِيَّةٍ، تَكونُ وَظيفَةُ الخِطابِ في المساحَةِ الخِلافِيَّةِ استِنادًا إليها هيَ التَّعبيرَ عَن مَكنونِ مَشاعِرِنا أو عَواطِفِنا لا تَمثيلَ السِّماتِ الواقِعِيَّةِ لِلأشياءِ. ثُمَّ تُظهِرُ كَيفِيَّةَ تَمَكُّنِ المُنَظِّرِ مِن 'الحُصولِ على حَقِّ' بَلاغَةِ الواقِعِيَّةِ والمَوضوعِيَّةِ بِتَأويلِ دَعاواها المَركَزِيَّةِ، لا بِوَصفِها إفصاحاتٍ عَن عَقيدَةٍ ميتافيزيقِيَّةٍ مُندَفِعَةٍ، بَل بِوَصفِها هي أنفُسها تَعبيراتٍ عن مَواقِفَ مُختَلِفَةِ الأنواعِ. (Rosen, 1998, pp. 386-7)

والمَناهِجُ الرَّئيسَةُ التي استَخدَمَها التَّعبيرِيُّونَ في تَطويرِ المَشروعِ شِبهِ الواقِعِيِّ تُطَبَّقُ مُباشَرَةً على التَّعبيرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ.

فَلْنَأخُذِ الجُملَةَ الآتِيَةَ مِثالًا لِما نَقولُ:

9. 'اللهُ مَوجودٌ' صادِقَةٌ.

ولا شَكَّ في أنَّ هذا أمرٌ سَيُقِرُّ بِهِ مَن يُؤمِنُ بِاللهِ. على أنَّهُ استِنادًا إلى أُطروحَةِ التَّعبيرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ التي تَقَدَّمَ بِها فِلِبس ستَكونُ الجُملَةُ (9) كاذِبَةً لأنَّ 'الله' لَيسَ تَعبيرًا إحالِيًّا. على أنَّ ثَمَّةَ خِيارًا أفضَلَ لِلتَّعبيرِيِّينَ هوَ اتِّباعُ استراتيجيا شِبهِ واقِعِيَّةٍ

* غِديَن روزن (1962–...م). فَيلَسوفٌ أمريكِيٌّ. أُستاذُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ برنستون. حَصَلَ عَلى شَهادَةِ الدُّكتوراه مِن جامِعَةِ برنستون عامَ 1992، وكانَ المُشرِفُ عَلى أُطروحَتِهِ بول بيناسيراف. دَرَّسَ في جامِعَةِ ميشيغان، قَبلَ أن يَلتَحِقَ بِجامِعَةِ برنستون عامَ 1993. مِن مَقالاتِهِ المنشورَةِ: "مَقالاتُ بلاكبيرن في شِبهِ الواقِعِيَّةِ"؛ و"ما التَّجريبِيَّةُ البِنائيَّة؟"؛ و"الاسوِيَّةُ، والطَّبيعِيَّةُ، والنِّسبِيَّةُ المَعرِفِيَّةُ". [المُتَرجِم]

مِعيارِيَّةٍ لِتَبَنّي أُطروحَةٍ *انكِماشِيَّةٍ* لِلصِّدقِ. فاستِنادًا إلى الأُطروحَةِ الانكِماشِيَّةِ لِلصِّدقِ، يُمكِنُ أن يُقالَ إنَّ المُخَطَّط غَيرَ الاقتِباسِيِّ disquotational schema (DS) يُخبِرُنا بِكُلِّ ما يُمكِنُ عُمومًا أن يُقالَ عن الصِّدقِ.

(المُخَطَّطُ غَيرُ الاقتِباسِيِّ) 'س' لا تكونُ صادِقَةً إلّا إذا كانَ س. [75]

وفي (المُخَطَّط غَير الاقتِباسِيّ) يَرمِزُ س إلى جُملَةٍ. فَمُفادُ هذهِ النَّظرَةِ الانكِماشِيَّةِ، التي يُعَبَّرُ عنها أحيانًا بِالقَولِ إنَّ الصِّدقَ ليسَ صِفَةً 'ثابِتَةً' أو 'جَوهَرِيَّةً'، أنَّ الصِّدقَ هوَ في المَقامِ الأَوَّلِ وَسيلَةٌ غَيرُ اقتِباسِيَّةٍ تُتيحُ لَنا الانتِقالَ مِن ذِكرِ الجُملَةِ س (على الجانِبِ الأَيمَنِ) إلى استِعمالِ س لِلحَديثِ عن مَوضوعٍ مّا (على الجانِبِ الأَيسَرِ)، وفِعلَ العَكسِ. وبِوُسعِ التَّعبيرِيِّينَ استِعمالُ هذهِ النَّظَرِيَّةِ لِيُبَيِّنوا إمكانَ تَقديمِ المَحمولِ الصِّدقِيِّ في الخِطابِ اللامَعرِفِيِّ مِن غَيرِ تَقويضٍ لِلتَّعبيرِيَّةِ. فَلْنَنظُرْ، مَثَلًا، في الجُملَةِ الآتِيَةِ:

10. اللهُ صالِحٌ.

إذ يُمكِنُ إدراجُها في (المُخَطَّط غَير الاقتِباسِيّ) على النَّحوِ الآتي:

11. 'اللهُ صالِحٌ' لا تكونُ صادِقَةً إلّا إذا كانَ اللهُ صالِحًا.

ويَلزَمُ مِن ذلكَ أنَّ المُؤمِنَ الذي يُثبِتُ الجُملَةَ (10) يُمكِنُهُ أيضًا إثباتُ الجُملَةِ الآتِيَةِ:

12. 'اللهُ صالِحٌ' صادِقَةٌ.

أي إنَّ نظرِيَّةَ الصِّدقِ الانكِماشِيَّةَ تَقتَضي أنَّ المُؤمِنَ حينَ يُثبِتُ الجُملَةَ (12) لا يَأتي بِأَيَّةِ مَعلومَةٍ زائدَةٍ على ما في الجُملَةِ (10). فقَولُنا عن الجُملَةِ (12) إنَّها صادِقَةٌ، على سبيلِ المِثالِ، لا يُغَيِّرُ مَضمونَها التَّمثيلِيَّ. فالنَّظرِيَّةُ التَّعبيرِيَّةُ تَقتَضي أنَّ الجُملَتَيْنِ (10) و(12) تُعَبِّرانِ عن مَوقِفَيْنِ لامَعرِفِيَّيْنِ مُتَشابِهَيْنِ. وإن يَكُنْ ثَمَّةَ

اختِلافٌ بينَهُما، فهوَ ليسَ في مَضمونِهِما بَل هوَ في كَونِ الجُملَةِ (12) تَعبيرًا أشَدَّ عن المَواقِفِ اللامَعرِفِيَّةِ التي تُعَبِّرُ عنها الجُملَةُ (10).

ويُمكِنُ توسيعُ الاستراتيجيا الانكِماشِيَّةِ لِتَشمَلَ تَعبيراتٍ مِفتاحِيَّةً أُخرَى بَدَتْ عَصِيَّةً على أن تُؤَوَّلَ تَأويلًا يَنسَجِمُ معَ التَّعبيرِيَّةِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ مِن نافِلَةِ الحَديثِ أن يُقالَ إنَّ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ الصّادِقَةَ هيَ حَقيقَةٌ وإنَّ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ الصّادِقَةَ هيَ صادِقَةٌ حَقًّا. فيَلزَمُ مِن ذلكَ أنَّهُ إن كانَ صِدقًا أنَّ اللهَ صالِحٌ فإنَّ مِن الصِّدقِ حَقًّا أنَّ اللهَ صالِحٌ، وأنَّهُ إن كانَ صِدقًا فإنَّهُ حَقيقَةٌ أيضًا أنَّ اللهَ صالِحٌ. ثُمَّ إنَّ بِالإمكانِ أن تُقتَرَحَ القِراءَةُ الانكِماشِيَّةُ لِلإحالَةِ أيضًا: فاللفظُ المُفرَدُ يُحيلُ إن وُجِدَ في جُملَةٍ صادِقَةٍ. فالمُؤمِنُ الذي يُثبِتُ الجُملَةَ (12) يُمكِنُهُ أيضًا إثباتُ الجُملَةِ الآتِيَةِ:

13. 'اللهُ' لَفظٌ مُحيلٌ.

وقد يَعترِضُ هُنا مَن يُناصِرُ مُقارَبَةَ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ بِأنَّ هذهِ التَّأويلاتِ الانكِماشِيَّةَ لِلصِّدقِ، والإحالَةِ، والحَقيقَةِ، وما إليها، غَيرُ مُقنِعَةٍ. على أنَّ هذا يَأخُذُنا إلى مَسألَةِ تَحديدِ الطَّريقَةِ المُثلَى لِتَحليلِ الصِّدقِ في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ؛ وهوَ موضوعٌ سنبحَثُ فيهِ بِالتَّفصيلِ في [76] القِسمِ الثّاني. أمّا في هذا المَوضِعِ، فيُمكِنُ أن يُقالَ إنَّ النَّظَرِيَّةَ الانكِماشِيَّةَ لِلصِّدقِ تُمِدُّ التَّعبيرِيِّينَ بِطريقَةٍ لِتَأويلِ استِعمالِ المَحمولِ الصِّدقِيِّ في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، والحَقائقِ والإحالَةِ والوَصفِ أيضًا، على نَحوٍ مُنسَجِمٍ معَ التَّعبيرِيَّةِ. أي إنَّ بِإمكانِ المُؤمِنينَ أن يَتَحَدَّثوا بِمَشروعِيَّةٍ عن الصِّدقِ والكَذِبِ على نَحوٍ يَنسَجِمُ معَ النَّظَرِيَّةِ التي مُفادُها أنَّ الإثباتاتِ الدِّينِيَّةَ تَعبيراتٌ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ. وإذا كانَ د.ز. فِلِبس قَد نَجَحَ في التَّمَلُّصِ مِن مُهِمَّةِ تَأويلِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ بِما يَنسَجِمُ معَ التَّعبيرِيَّةِ عندَ النُّقطَةِ التي يُقَدِّمُ فيها الصِّدقُ والإحالَةُ والوَصفُ، فإنَّ شِبهَ الواقِعِيِّ يُواصِلُ إلحاحَهُ على القِراءَةِ التَّعبيرِيَّةِ لِهذهِ التَّعبيراتِ[2].

(2) على أنّا سنَرَى في القِسمِ الثّاني مِن هذا الكِتابِ أنَّ د.ز. فِلِبس قَد أيَّدَ، عَلى ما يَبدو، في كِتاباتِهِ المُتَأخِّرَةِ مُقارَبَةً انكِماشِيَّةً أكثَرَ اكتِمالًا لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ.

وقَد يَكونُ مُنَظِّرُو القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ مَيّالِينَ عِندَ هذهِ النُّقطَةِ إلى الإلحاحِ على مَسألَةِ مَدَى اعتِقادِ التَّعبيرِيِّينَ وُجودَ حَقيقَةٍ على الإطلاقِ حَقًّا في ما يتعلَّقُ بِوُجودِ اللهِ. فإذا كانَ التَّعبيرِيُّونَ الذينَ يَتَّبِعونَ النَّهجَ شِبهَ الواقِعِيِّ يُقِرُّونَ بِوُجودِ حَقيقَةٍ لِهذا الأمرِ، أفَلا يَكونونَ بِذلكَ مُبطِلِينَ لِنَظرِيَّتِهِم الشَّخصِيَّةِ إبطالًا فَعّالًا؟ فالذي يَبدو أَنَّهُ يَلزَمُ مِن ذلكَ أَنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تَرمي إلى نَقلِ الحَقائقِ، وهوَ ما بَدا أَنَّ التَّعبيرِيِّينَ يَنفونَهُ. على أَنَّ التَّعبيرِيِّينَ الذينَ يَتَبَنَّونَ المَشروعَ شِبهَ الواقِعِيِّ يَقصِدونَ تَقديمَ أُطروحَةٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ تُظهِرُ كَيفِيَّةَ البَدءِ مِن نُقطَةِ انطِلاقٍ تَعبيرِيَّةٍ لِلوُصولِ إلى تَأويلٍ لِتِلكَ المساحاتِ مِن اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ التي تَبدو كَأَنَّها تَرمي إلى أَن تكونَ مُقَرِّرَةً لِلحَقائقِ وواصِفَةً لَها مِن غَيرِ افتِراضِ أَنَّها تُمَثِّلُ فِعلِيًّا حَقائقَ دينِيَّةً. وهذا هوَ ما يُحاوِلُ التَّعبيرِيُّونَ فِعلَهُ بِذَهابِهِم إلى أَنَّ الجُملَةَ (12) تُعَبِّرُ عن الشَّيءِ نَفسِهِ الذي تُعَبِّرُ عنهُ الجُملَةُ (10) (وإن كانَ على نَحوٍ أَشَدَّ قليلًا) وأَنَّ الجُملَةَ (13) لَيسَتْ سِوَى تَعليقٍ عَلى الجُملَةِ (12). فَالحَديثُ عن الصِّدقِ والإحالَةِ وما إليهِما لا يَقتَضي افتِراضَ أَنَّ ذلكَ يُقَدِّمُ مَضمونًا مَعرِفِيًّا إضافِيًّا إلى ما يُقالُ. ويُعَبِّرُ بلاكبيرن عن ذلكَ بِقَولِهِ إنَّ الانتِقالَ مِن قَضِيَّةٍ أَنَّ س إلى قَضِيَّةٍ أَنَّ س صادِقَةٌ إلى قَضِيَّةٍ أَنَّهُ حَقيقَةٌ أَنَّ س، يُوَلِّدُ لَدَينا إحساسًا بِأَنّا نَرتَقي 'سُلَّمَ رامزي Ramsey's ladder'*،

---

* نِسبَةً إلى فرانك بلَمبتن رامزي (1903–1930م)، وهوَ فَيلَسوفٌ، وعالِمُ رِياضِيّاتٍ، واقتِصادِيٌّ بريطانِيٌّ. كانَتْ لَهُ إسهاماتٌ أساسِيَّةٌ في الجَبرِ التَّجريدِيِّ قَبلَ وَفاتِهِ في سِنِّ السّادِسَةِ والعِشرينَ. كانَ صَديقًا مُقَرَّبًا جِدًّا مِن لودفيغ فِتغِنشتاين وكانَ لَهُ أَثَرٌ فاعِلٌ في تَرجَمَةِ كِتابِ فِتغِنشتاين (رِسالَةٌ مَنطِقِيَّةٌ فَلسَفِيَّةٌ) إلى اللُّغَةِ الإنجليزِيَّةِ وفي إقناعِ فِتغِنشتاين بِالعَودَةِ إلى الفَلسَفَةِ وإلى كيمبرِج. مِن دِراساتِهِ: "الكُلِّيّات"؛ و"الحَقائقُ والقَضايا"؛ و"المعرِفَة". ويُمكِنُ فَهمُ المقصودِ بِـ"سُلَّم رامزي" المُشارِ إليهِ في المَتنِ بِالرُّجوعِ إلى ما ذَكَرَهُ رامزي نَفسُهُ مِن أَنَّ الانتِقالَ مِن 'س' إلى 'س صادِقَةٌ' لا يَحمِلُ جَديدًا، إذ قالَ: "مِن الواضِحِ أَنَّ قَولَنا: 'إنَّهُ لَصِدقٌ أَنَّ قَيصَرَ قَد قُتِلَ' لا يَعني سِوى أَنَّ قَيصَرَ قَد قُتِلَ، وأَنَّ قَولَنا: 'إنَّهُ لَكَذِبٌ أَنَّ قَيصَرَ قَد قُتِلَ' يَعني أَنَّ قَيصَرَ لَم يُقتَلْ"، ثُمَّ خَلَصَ إلى قَولِهِ: "الحَقُّ أن لَيسَتْ ثَمَّةَ مُشكِلَةُ صِدقٍ مُستَقِلَّةٌ، بَل لَيسَ ثَمَّةَ سِوى تَخليطٍ لُغَوِيٌّ". فالانتِقالُ مِن 'س' إلى 'س صادِقَةٌ' هوَ ما يُسَمّيهِ بلاكبيرن "سُلَّم رامزي" ويَذكُرُ أَنَّهُ أُفُقِيٌّ لأَنَّهُ لا يَنقُلُنا إلى مُستَوًى نَظَرِيٍّ جَديدٍ. [المُتَرجِم]

الذي تَبدو فيهِ كُلُّ نَقلَةٍ أعلَى مُستَوًى مِن سابِقَتِها. بيدَ أنَّ لَها جَميعًا المَضمونَ نَفسَهُ: 'فسُلَّمُ رامزي سُلَّمٌ أُفُقِيٌّ'. (1998a, pp. 78-9, 294-7)

وتَظَلُّ مَقبولِيَّةُ شِبهِ الواقِعِيَّةِ مَثارَ جَدَلٍ قائمٍ، ولا سِيَّما في ما بَعدَ عِلمِ الأخلاقِ. على أنَّ بِالإمكانِ أن يُرَى أن ليسَ على التَّعبيرِيِّينَ الدِّينِيِّينَ أن يُسَلِّموا بِالهَزيمَةِ حينَ يَتعلَّقُ الأمرُ بِتَأويلِ الحَديثِ عَن الصِّدقِ، والحَقائقِ، والإحالَةِ، والوَصفِ، في الدِّينِ؛ فثَمَّةَ مَصادِرُ أُخرَى مُتَوافِرَةٌ تُقَدِّمُ تَأويلًا يَنسَجِمُ معَ التَّعبيرِيَّةِ.

التَّعبيرِيَّةُ، والاستِبطانُ، والدَّليلُ التَّجريبيّ

مِن الاعتِراضاتِ التي تُثارُ أحيانًا على التَّعبيرِيَّةِ أنَّهُ إذا كانَتِ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ لا تُستَعمَلُ عُرفِيًّا لِلتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ دِينِيَّةٍ بَل [77] تُعَبِّرُ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ، فإنَّ هذهِ الحَقيقَةَ يَنبَغي أن تَكونَ واضِحَةً لِلمُتَكَلِّمينَ. إذ يَرَى رِتشارد سوِنبيرن، على سبيلِ المِثالِ، أنَّ الطَّريقَةَ الوَحيدَةَ لِحَسمِ الخِلافِ بِشَأنِ صِدقِ التَّعبيرِيَّةِ (هوَ يَستَهدِفُ هُنا نُسخَةَ برَيثوَيْت لِلتَّعبيرِيَّةِ على وَجهِ الخُصوصِ) هيَ 'إجراءُ مَسحٍ سوسيولوجِيٍّ وأدَبِيٍّ لِما يَعتَقِدُ الذينَ يَستَعمِلونَ الجُمَلَ الاعتِقادِيَّةَ أنَّهُم يَفعَلونَهُ بِذلكَ ولِما اعتَقَدوا أنَّهُم يَفعَلونَهُ بِذلكَ على مَدَى ألفَيْ عامٍ مَضَيا' (1993, p.90). ويَعتَقِدُ سوِنبيرن أنَّ نَظريَّةَ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ ستَكونُ هيَ المُفَضَّلَةَ بِوُضوحٍ عندَ إجراءِ مَسحٍ كهذا. ويَرَى جون أوليري-هوثورن ودانييل هوارد-سنايدَر John O'Leary-Hawthorne and Daniel Howard-Snyder* رَأيًا ذا صِلَةٍ بِذلكَ، إذ يَقولانِ:

* جون أوليري-هوثورن. أُستاذُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ جَنوبِ كالِفورنيا. يُعرَفُ بِإسهامِهِ الرِّيادِيِّ المُعاصِرِ في الميتافيزيقا ونظريَّةِ المَعرِفَةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (المضمونُ الضَّيِّق)؛ و(مَقالاتٌ ميتافيزيقِيَّة)؛ و(قَواعِدُ المَعنى: المِعيارِيَّةُ والخِطابُ الدَّلالِيّ). ودانييل هوارد-سنايدَر. أُستاذُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ غَربِ واشنطن. مَجالاتُ اهتِمامِهِ البَحثِيِّ هيَ فَلسَفَةُ الدِّينِ، واللاهوتُ الفَلسَفِيُّ، ونظريَّةُ المعرِفَةِ، والسّايكولوجيا الأخلاقِيَّةُ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ المشتَرَكَة: (سُلطَةُ المَنطِق)؛ و(الإيمانُ، والحُرِّيَّةُ، والعَقلانِيَّةُ: فَلسَفَةُ الدِّينِ اليَومَ)؛ و(دَليلُ بلاكويل لِمُشكِلَةِ الشَّرّ). [المُتَرجِم]

> مِن المُلائم أن نَبدَأَ بِالسُّؤالِ عَمّا يَحدُثُ فِعلًا حينَ يُقِرُّ المُؤمِنونَ بِإيمانِهِم. فَنحنُ بِذلكَ إنّما نَبدَأُ بِأنثروبولوجيا وَصفِيّةٍ. وَلْنَسأَلِ السُّؤالَ الآتِيَ المُتَّصِلَ بِذلكَ: (أ) هَل يَعتَقِدُ كَثيرٌ مِن المُؤَلِّهينَ المُعاصِرينَ أنَّ قَولَنا: 'اللهُ مَوجودٌ' يُعَبِّرُ عن حَقيقَةٍ؟ و(ب) هَل يُعَبِّرُ المُؤَلِّهُونَ المَسيحِيُّونَ، حينَ يُثبِتُونَ إيمانَهُم بِكَلِماتِ قانونِ الإيمانِ النِّيقاوِيِّ Nicene Creed*، عن اعتِقادِهِم أنَّ ثَمَّةَ إلهًا واحِدًا حَقًّا؟... لِمَ نَسأَلُ هذهِ الأَسئلَةَ؟ لأنَّ الجَذريَّةَ ما بَعدَ الكانْتِيَّةِ تَقتَرِحُ، على ما يَبدو، إجابَةً بِـ 'النَّفيِ' لِبَعضِها أو لِكُلِّها. (O'Leary-Hawthorne & Howard-Snyder, 1996, p. 250)

وإذا عَلِمْنا أنَّ مُعظَمَ المُؤمِنينَ يُقِرُّونَ، حينَ يُسأَلونَ عَمّا يَعتَقِدونَ هُم أنفُسُهُم أنَّهُم يُوصِلُونَهُ حينَ يُطلِقُونَ أقوالًا دينِيَّةً، بِأنَّهُم يُعَبِّرونَ عن حَقائقَ، أفَلا يَلزَمُ مِن ذلكَ أنَّ التَّعبيرِيَّةَ كاذِبَةٌ؟

ومِن النِّقاطِ الواضِحَةِ التي يُمكِنُ إثارَتُها رَدًّا عَلى الحُجَّةِ المُتعلِّقَةِ بِالاعتِقادِ أنَّ التَّعبيرِيَّةَ نظرِيَّةٌ تتعلَّقُ بِمَعنى الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ، ولَيسَتْ نَظرِيَّةً تتعلَّقُ بِآراءِ المُؤمِنِينَ في مَعنى ما يَقولونَ. ثُمَّ إنَّها مُنفَتِحَةٌ على مَسألَةِ مَدى كَونِ أحكامِ المُتَكَلِّمِينَ بِشأنِ الحالاتِ الذِّهنِيَّةِ التي يُعَبِّرونَ عنها مُبلوَرَةً جَيِّدًا بِما يَكفي لِتَمييزِ مَفهومِ 'الاعتِقاد' الذي هوَ مَوضِعُ خِلافٍ بينَ نظرِيَّةِ القِيمَةِ الظّاهرِيَّةِ والتَّعبيرِيَّةِ. وقَد رَأَيْنا عندَ مُناقَشَتِنا لِباركلي أنَّ الحالاتِ الذِّهنِيَّةَ التي يَشيعُ وَصفُها بِـ'الاعتِقادات' رُبَّما لا تتضَمَّنُ اعتِقاداتٍ 'إدخالِيَّةً' فقط بَل تتضَمَّنُ كذلكَ اعتِقاداتٍ 'إخراجِيَّةً' (وهيَ مَواقِفُ لامَعرِفِيَّةٌ). وغالِبًا مّا يُستَعمَلُ 'الاعتِقاد' بِطَريقَةٍ لا تَتَحَسَّسُ التَّمييزَ الفَلسَفِيَّ ذا الصِّلَةِ بِفَصلِ أُطروحَةِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ عن الأُطروحَةِ التَّعبيرِيَّةِ لَها. فَحَتّى لَو وَصَفَ المُتَكَلِّمُونَ الحالاتِ الذِّهنِيَّةَ التي يُعَبِّرونَ عنها بِاستِعمالِهِم اللُّغَةَ

* قانونُ الإيمانِ النِّيقاوِيُّ: دُستورٌ وقانونٌ رَتَّبَهُ آباءُ الكَنيسَةِ في العالَمِ وأَقرَّتْهُ المجامِعُ المسكونِيَّةُ لِكنائسِ العالَمِ النِّيقاوِيِّ، ويُؤمِنُ بِهِ المسيحِيُّونَ ويَقرؤونَهُ في الكنائسِ ولا سِيَّما في صَلَواتِ القدّاساتِ. وَسُمِّيَ بِالنِّيقاوِيِّ لأنَّ قِسمَهُ الأكبَرَ وُضِعَ في المجمعِ المسكونِيِّ الأوَّلِ الذي عُقِدَ عامَ 325م في نيقيةَ، ثُمَّ أُكمِلَ الجُزءُ الأخيرُ منهُ في المجمعِ المسكونِيِّ الثّاني عامَ 381م في القسطنطينِيَّةِ. [المُتَرجِم]

الدِّينيَّةَ بِـ 'الاعتِقادات' ما كانَ ذلكَ لِيُثبِتَ أَنَّهُم يَعُدُّونَ أقوالَهُم مُعَبِّرَةً عن اعتِقاداتٍ إدخاليَّةٍ.

ويَختارُ التَّعبيريُّونَ، في ما يتعلَّقُ بِمَسألَةِ مَدَى كَونِ المُؤمِنينَ يَعُدُّونَ إثباتاتِهِم الدِّينيَّةَ مُعَبِّرَةً عن حَقائقَ، مَزيدًا مِن التَّوسيعِ [78] لِلاستراتيجيا شِبهِ الواقِعيَّةِ المَذكورَةِ آنِفًا. فكَما أَنَّ 'س' و'س صادِقَةٌ' و'إنَّهُ حَقيقَةٌ أَنَّ س' لا تَرتَقي حَقًّا سُلَّمَ رامزيِ بَل لا تَعني سِوَى ما تَعنيهِ 'س'، بِإمكانِ التَّعبيريِّينَ الذَّهابُ إلى أَنَّ الأمرَ نَفسَهُ يُمكِنُ أن يُقالَ عن '"س" تُعَبِّرُ عن حَقيقَةٍ'. فلا نَفعَ في أن نَسأَلَ المُؤمِنينَ على سبيلِ المِثالِ: أتَعني دَعوَى أَنَّ 'الله مَوجودٌ' أَنَّ اللهَ مَوجودٌ *صِدقًا* أم تَعني أَنَّ اللهَ مَوجودٌ *واقِعًا* أم تَعني أَنَّهُ حَقيقَةٌ أَنَّ اللهَ مَوجودٌ، مُؤَمِّلِينَ أن نَتَوَصَّلَ إلى إجابَةٍ مُبَصِّرَةٍ بِشَأنِ صِدقِ التَّعبيريَّةِ أو كَذِبِها. فاستِنادًا إلى ذلكَ، لا يَنبَغي أن نتوقَّعَ مِن استِطلاعِ آراءِ المُؤمِنينَ بِشَأنِ مَعنَى ما يَقولونَ أن يُبدِيَ لَنا أيَّةَ مَعلومَةٍ ليسَ بِمَقدورِ التَّعبيريِّينَ أن يُفَسِّروها. وبِإمكانِ الحَديثِ عمّا تَستَهدِفُهُ الأقوالُ الدِّينيَّةُ مِن التَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ أو التَّعبيرِ عن حَقائقَ أن يُفَسَّرَ في ضِمنِ الإطارِ التَّعبيريِّ بِوَصفِهِ تَعبيراتٍ إضافيَّةً عن مَواقِفَ لامَعرِفيَّةٍ.

التَّعبيريَّةُ هيَ الذّاتيَّة

يَذهَبُ د.ز. فِلِبس (الذي بَيَّنْتُ أَنَّ بِالإمكانِ أن يُعَدَّ هوَ نَفسُهُ تَعبيريًّا دينيًّا) إلى أَنَّ أُطروحَةَ برَيْثوَيْت لِلُّغَةِ الدِّينيَّةِ تَرُدُّ اللُّغَةَ الدِّينيَّةَ إلى كَونِها 'مُعَزِّزاتٍ سايكولوجِيَّةً لِلجُهدِ الأخلاقِيِّ'. وهوَ أيضًا يَرفُضُ 'الذّاتيَّةَ الرَّديَّةَ' لأَنَّها تُقَدِّمُ صُورَةً كاذِبَةً لِلدَّورِ الذي تُؤدِّيهِ المَفاهيمُ الدِّينيَّةُ في حَياةِ المُؤمِنينَ. إذ يَرَى فِلِبس أَنَّ المَفاهيمَ الدِّينيَّةَ مُرتَبِطَةٌ ارتِباطًا جَوهَريًّا بِسُلوكِ المُؤمِنينَ ومَواقِفِهِم، فيَقولُ:

> إنَّ اللُّغَةَ [الدِّينيَّةَ] لا تَرتَبِطُ بِتَصَرُّفِ المُؤمِنينَ ارتِباطًا عارِضًا تَكونُ فيهِ تَعزيزًا سايكولوجِيًّا لَهُ. بَل إنَّها، بِعَكسِ ذلكَ، تَرتَبِطُ بِهِ ارتِباطًا داخِلِيًّا يُفهَمُ في ضَوئِهِ تَصَرُّفُ المُؤمِنينَ مِن زاوِيَةِ هذهِ اللُّغَةِ. (Phillips, 1974, p. 144)

ويَرَى فِلِبس أن ليسَ بِإمكانِ المَرءِ أن ‘يَفهَمَ’ الاعتِقادَ الدِّينِيَّ إلّا في سِياقِ السُّلوكِ والمَواقِفِ التي تُشَكِّلُ الحَياةَ الدِّينِيَّةَ. ويَعُدُّ فِلِبس هذهِ الفِكرَةَ مُتَأَصِّلَةً في تَعليقاتِ فِتغِنشتاين على الاعتِقادِ الدِّينِيِّ.

ولا يُقَدِّمُ فِلِبس بَيانًا مُحَدَّدًا لِما يَعنيهِ بِالذّاتِيَّةِ أو الرَّدِّيَّةِ. على أنّي أرَى أنَّ الرَّدِّيَّةَ الدِّينِيَّةَ نظرِيَّةٌ تُقَدِّمُ شُروطَ الصِّدقِ لِصِنفِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ مِن زاوِيَةِ صِنفٍ مِن الجُمَلِ يَتعلَّقُ بِمَوضوعٍ آخَرَ. وأرَى أنَّ الذّاتِيَّةَ الدِّينِيَّةَ حالَةٌ خاصَّةٌ مِن الرَّدِّيَّةِ ‘يُرَدُّ’ فيها صِنفُ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ إلى جُمَلٍ تتعلَّقُ بِالسّايكولوجيا الإنسانِيَّةِ (أو تُقَدِّمُ شُروطَ صِدقِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ مِن زاوِيَةِ هذهِ الجُمَلِ التي تتعلَّقُ بِالسّايكولوجيا الإنسانِيَّةِ). مِثالُ ذلكَ أنَّهُ إذا قُدِّمَ شَرطُ صِدقِ الجُملَةِ (14) مِن خِلالِ الجُملَةِ (15)، كانَ هذا تَحليلًا رَدِّيًّا ذاتِيًّا: [79]

14. خَلَقَ اللهُ العالَمَ.

15. أنا [المُتَكَلِّمُ] أعجَبُ لِوُجودِ العالَمِ.

وسَأُرجِئُ مُهِمَّةَ التَّعليقِ على مَقبولِيَّةِ النَّظرِيَّتَيْنِ الذّاتِيَّةِ والرَّدِّيَّةِ إلى القِسمِ الثّاني (وسنَرَى هُناكَ أنَّ فِتغِنشتاين كانَ في زَمَنٍ مّا مُتَعاطِفًا مَعَ الذّاتِيَّةِ الدِّينِيَّةِ). على أنَّ مِن الواضِحِ أنَّ تلكَ التَّعبيرِيَّةَ لَيسَتْ هيَ الذّاتِيَّةَ أو أيَّ نَوعٍ مِن الرَّدِّيَّةِ. فهاتانِ النَّظرِيَّتانِ الأخيرَتانِ تُحاوِلانِ أن تُقَدِّما تَحليلًا لِشُروطِ صِدقِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ يُظهِرُ أنَّها تتعلَّقُ حَقًّا بِمَوضوعٍ لادينِيٍّ. أمّا التَّعبيرِيَّةُ فلا تُقَدِّمُ تَحليلًا كهذا. فَقَد رَأَينا أنَّ التَّعبيرِيِّينَ يَذهَبونَ إلى أنَّ الجُملَةَ (14) تَعني (شَيئًا مّا يُشبِهُ أن يَكونَ):

16. وا! W! (العالَم).

حَيثُ يَرمِزُ ‘وا!’ إلى مَوقِفِ عَجَبٍ، على سبيلِ المِثالِ. فَالجُملَةُ (16)، بِخِلافِ الجُملَةِ (15)، لَيسَتْ قابِلَةً لِلصِّدقِ. وتَذهَبُ الذّاتِيَّةُ الدِّينِيَّةُ إلى أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تَنقُلُ حالاتِ المُتَكلِّمِينَ الذِّهنِيَّةَ؛ أمّا التَّعبيرِيُّونَ فيَذهَبونَ إلى أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تُستَعمَلُ عُرفِيًّا لِلتَّعبيرِ عن حالاتِها الذِّهنِيَّةِ اللامَعرِفِيَّةِ.

وقبلَ مُغادَرَةِ هذا الموضوعِ مِن المُفيدِ أن يُنظَرَ، لِلمُقارَنَةِ فحَسْبُ، في التَّضادِّ بينَ النَّظريَّتَيْنِ الذّاتيَّةِ والتَّعبيريَّةِ الذي ذَكَرَهُ فِتغِنشتاين عندَ مُناقشَتِهِ الإحساسَ في كِتابِهِ بُحوثٌ فَلسَفِيَّةٌ *Philosophical Investigations*. ويَبدو أنَّ بَعضَ ما كانَ يَرمي إليهِ فِتغِنشتاين هوَ أن يَضَعَ مَوضِعَ الشَّكِّ التَّأويلَ المِعياريَّ والمَقبولَ جِدًّا بِحُكمِ البَديهَةِ وهوَ تَأويلُ حَديثِ المَرءِ عن أحاسيسِهِ بِوَصفِها تُحيلُ على حالاتٍ داخِلِيَّةٍ. أي إنَّ اللُّغَةَ الحِسِّيَّةَ تُستَعمَلُ لِوَصفِ حالاتِنا الذِّهنِيَّةِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ الدَّعوَى الحِسِّيَّةَ (17) لا تَكونُ صادِقَةً إلّا إذا كانَ لَدَى الشَّخصِ أَلَمٌ في كَتِفِهِ:

17. لَدَيَّ أَلَمٌ في كَتِفي.

ويُمكِنُ فَهمُ العِبارَةِ التَّقريريَّةِ الحِسِّيَّةِ عُمومًا على أنَّها خَبَرٌ يُمَثِّلُ الحالاتِ الحِسِّيَّةَ لِلمُتَكَلِّمِ. ويَعرِضُ فِتغِنشتاين كَثيرًا من الحُجَجِ المُضادَّةِ لِلأُنموذَجِ الذّاتِيِّ لِلأَخبارِ الحِسِّيَّةِ، وأشهَرُها حُجَّةُ اللُّغَةِ الخاصَّةِ، لكِنِّي لَسْتُ بِصَدَدِ البَحثِ فيها هُنا. على أنّي أَوَدُّ أن أَنظُرَ في أُطروحتِهِ البَديلَةِ لِلُّغَةِ الحِسِّيَّةِ. فالذي يَبدو أنَّ مَذهَبَهُ هوَ أنَّهُ بَدَلًا مِن أن نَعُدَّ الجُملَةَ (17) مُمَثِّلَةً لِحالَةٍ ذِهنِيَّةٍ داخِلِيَّةٍ يَنبَغي لَنا أن نَنظُرَ إليها على أنَّها تَعبيرٌ لُغَوِيٌّ عن سُلوكٍ أَلَمِيٍّ. أي إنَّ العِبارَةَ التَّقريريَّةَ تُؤَدِّي وَظيفَةَ التَّعبيرِ عن أَلَمِ المَرءِ لا وَظيفَةَ الإخبارِ عَنهُ. يَقولُ فِتغِنشتاين:

> ثَمَّةَ إمكانٌ ها هُنا: إذ تَرتَبِطُ الكلِماتُ بِالتَّعبيراتِ البدائيَّةِ، الطَّبيعِيَّةِ، عن الإحساسِ وتُستَعمَلُ بَدَلًا منها. إذ يُؤذي الطِّفلُ نَفسَهُ فَيَصرُخُ؛ ثُمَّ يَتَحدَّثُ الكِبارُ إليهِ فَيُعَلِّمونَهُ [80] الهُتافَ ومِن بَعدُ الجُمَلَ. إنَّهُم يُعَلِّمونَ الطِّفلَ سُلوكًا أَلَمِيًّا جَديدًا.
> فقد يُقالُ: 'أنتَ تَقولُ إذَن إنَّ كلمةَ ''أَلَم'' تَعني الصُّراخَ حَقًّا؟' – فإجابَتي أنَّ العَكسَ هوَ الصَّحيحُ: فالتَّعبيرُ اللَّفظِيُّ عن الأَلَمِ يَحلُّ محلَّ الصُّراخِ ولا يَصِفُهُ. (1953, p. 244)

فالذي أفهَمُهُ مِن كَلامِ فِتغِنشتاين أنَّهُ لا يُنكِرُ وُجودَ الأحاسيسِ، ولا يُساوي بينَ الأحاسيسِ والسُّلوكِ، بَل يُقَدِّمُ أطروحَةً لِمَعنَى العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الحِسِّيَّةِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ هذهِ الأُطروحَةَ يُمكِنُ أن تُؤَوِّلَ الجُملَةَ (17) بِالآتي:

18. أوخ! OUCH! (كَتِفي).

حَيثُ يُعَبِّرُ 'أوخ!' عن الألَمِ تُجاهَ المساحَةِ المُحَدَّدَةِ بِما بينَ القَوسَيْنِ. وسيَكونُ قَولُ المَرءِ: 'أنا مُتَألِّمٌ'، استِنادًا إلى هذهِ المُقارَبَةِ، مُجَرَّدَ تَعبيرٍ أقَلَّ 'بدائيَّةً' مِن 'أوخ!'. وإذا كانَ الشَّكلُ الظّاهِرِيُّ لِلدَّعوَى الحِسِّيَّةِ تَمثيلِيًّا، فإنَّها تُؤَدّي حَقًّا وظيفَةَ التَّعبيرِ عن أحاسيسِ المَرءِ الشَّخصِيَّةِ. ويُمكِنُ القَولُ استِنادًا إلى التَّأويلِ الذي قَدَّمْتُهُ هُنا إنَّ فِتغِنشتاين يَعرِضُ أُطروحَةً تَعبيرِيَّةً لِلُّغَةِ الحِسِّيَّةِ.

التَّعبيرِيَّةُ الدِّينِيَّةُ والمَنطِق

مِن المُشكِلاتِ المَركَزِيَّةِ التي يُواجِهُها التَّعبيرِيُّونَ الدِّينِيُّونَ تَفسيرُ ما يَظهَرُ بِهِ مَعنَى الجُملَةِ مِن ثَباتٍ في السِّياقاتِ التَّقريرِيَّةِ وغَيرِ التَّقريرِيَّةِ. ويَشيعُ النَّظَرُ إلى هذهِ المُشكِلَةِ، التي قُدِّمَتْ أصلًا بِاسمِ مُشكِلَةِ فريجه-غيتش (Geach, 1965)، على أنَّها العَقَبَةُ الكَؤودُ الرَّئيسَةُ التي تَعتَرِضُ طَريقَ التَّعبيرِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ (Schroeder, 2008). وثَمَّةَ شَكلٌ مُبَسَّطٌ لِهذهِ الصُّعوبَةِ يَعتَرِضُ طَريقَ التَّعبيرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ ويتعلَّقُ بِاستِعمالِ النَّفيِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ. فَالجُمَلُ الدِّينِيَّةُ يُمكِنُ نَفيُها ويَكونُ بَعضُها مُنسَجِمًا مَعَ بَعضٍ أو غَيرَ مُنسَجِمٍ. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ ثَمَّةَ مُؤمِنًا يَدَّعي أن:

19. سَيَكونُ ثَمَّةَ حِسابٌ أخيرٌ.

فاستِنادًا إلى النَّظَرِيَّةِ التَّعبيرِيَّةِ، يَنبَغي فَهمُ هذهِ الدَّعوَى على أنَّها تَعبيرٌ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ. ولا يَتَّضِحُ تَمامًا ما سيَقولُهُ التَّعبيرِيُّونَ عن الدَّعوَى المُضادَّةِ الآتِيَةِ:

20. لَن يَكونَ ثَمَّةَ حِسابٌ أخيرٌ.

إذ يُفتَرَضُ أنَّ الجُملَةَ (20) لا بُدَّ مِن أن تُعَبِّرَ عن حالاتٍ ذِهنِيَّةٍ مُنافِيَةٍ لِلحالاتِ الذِّهنِيَّةِ التي تُعَبِّرُ عنها الجُملَةُ (19) إن كانَتِ الجُملَتانِ (19) و(20) مُتَضارِبَتَيْنِ. لكِنَّ ذلكَ يُوَلِّدُ مُشكِلَةً واضِحَةً؛ إذ كيفَ يُمكِنُ أن تكونَ المَجموعَةُ الأخيرَةُ مِن المَواقِفِ [81] مُنافِيَةً لِلمَجموعَةِ السّابِقَةِ؟ إذ لا يُمكِنُ أن *تَتَناقَضا*، لأنَّ التَّناقُضَ يَقتَضي تَقريرَ الدَّعوَى القابِلَةِ لِلصِّدقِ مَعَ تَقريرِ نَفيِها؛ فالمَواقِفُ اللامَعرِفِيَّةُ لا يُمكِنُ أن يُناقِضَ بَعضُها بَعضًا. فإذا اعتَقَدْنا س واعتَقَدْنا نَفيَ س، فإنّا نَعلَمُ أنَّ أَحَدَ الاعتِقادَيْنِ لا بُدَّ أن يَكونَ كاذِبًا لأنَّ العالَمَ لا يُمكِنُ أن يَتَماشَى مَعَ صِدقِ كِلا الاعتِقادَيْنِ. أمّا إذا رَغِبْتُ في ص ورَغِبْتُ في نَفيِ ص، فإنَّهُ سَيَكونُ لَدَيَّ مَوقِفانِ مُتَعارِضانِ وقَد أفتَقِرُ إلى الوِجهَةِ الواضِحَةِ بِشَأنِ كَيفِيَّةِ العَيشِ، لكِنِّي لَن أكونَ مُرتَكِبًا لِخَطَإٍ مَنطِقِيٍّ. فكذلكَ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ حِيازَةَ المَواقِفِ اللامَعرِفِيَّةِ التي تُعَبِّرُ عنها الجُملَةُ (19) والمَواقِفِ اللامَعرِفِيَّةِ التي تُعَبِّرُ عنها الجُملَةُ (20) أيضًا لَن تَكونَ في حالَةِ تَضارُبٍ. لِذلكَ، على التَّعبيرِيِّينَ أن يَجِدوا أُطروحَةً مُختَلِفَةً لِلنَّفيِ في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ.

وما النَّفيُ إلّا صُعوبَةٌ واحِدَةٌ في مَدًى مِن الصُّعوباتِ ذَواتِ الصِّلَةِ التي تُواجِهُ التَّعبيرِيِّينَ عندَ تَعامُلِهِم مَعَ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ المُضَمَّنَةِ في جُمَلٍ لا تكونُ مُقَرَّرَةً فيها. فَلْنَنظُرْ في المِثالَيْنِ الآتِيَيْنِ:

21. إن كانَ يَسوعُ قَد قامَ، فإذَن سَيَكونُ ثَمَّةَ حِسابٌ أخيرٌ.

22. أَصِدقٌ أنَّهُ سَيَكونُ ثَمَّةَ حِسابٌ أخيرٌ؟

فالجُملَةُ (21) شَرطِيَّةٌ، والمُتَكَلِّمُ إذ يَنطِقُ بِها لا يُقَرِّرُ أنَّ يَسوعَ قَد قامَ ولا أنَّهُ سَيَكونُ ثَمَّةَ حِسابٌ أخيرٌ. وسيَكونُ مُنسَجِمًا أن يَدَّعِيَ المُتكلِّمُ بِإخلاصٍ أنَّهُ *إن* كانَ يَسوعُ قَد قامَ، فإذَن سَيَكونُ ثَمَّةَ حِسابٌ أخيرٌ مِن غَيرِ أن يُقِرَّ بِأنَّ يَسوعَ قَد بُعِثَ أو بِأنَّهُ سَيَكونُ ثَمَّةَ حِسابٌ أخيرٌ. والشَّيْءُ نَفسُهُ يُقالُ عن الجُملَةِ (22)،

فسُؤالُنا: هَل سَيَكونُ ثَمَّةَ حِسابٌ أخيرٌ؟ لَيسَ تقريرًا لأن سَيَكونُ ثَمَّةَ حِسابٌ أخيرٌ؛ فحَقيقَةُ أنَّ سُؤالًا كهذا قَد سُئِلَ قَد تُشيرُ إلى أنَّ المُتكلِّمَ ليسَ في مَوضِعِ التَّقريرِ لَهُ. فَما الذي تَعنيهِ هذهِ الجُمَلُ إذَن استِنادًا إلى النَّظريَّةِ التَّعبيريَّةِ؟ الذي يَبدو أنَّهُ لا تُوجَدُ أيَّةُ مَواقِفَ لامَعرِفيَّةٍ ذاتِ صِلَةٍ يُعَبَّرُ عنها.

ومِن طَرائقِ تَجَنُّبِ هذهِ الصُّعوبَةِ قَصرُ النَّظريَّةِ التَّعبيريَّةِ على التَّقريراتِ الدِّينيَّةِ. لكِن مِن الواضِحِ أنَّ نظريَّةً كهذهِ ستُعاني نَقصًا حَقيقيًّا. إذ لَن تَكونَ لَها أُطروحَةٌ تُقَدِّمُها بِشَأنِ الأسئلَةِ الدِّينيَّةِ أو الجُمَلِ الشَّرطِيَّةِ الدِّينيَّةِ. ثُمَّ إنَّهُ ما لَم يَستَطِعِ التَّعبيريُّونَ تَقديمَ تَفسيرٍ لِلدَّعاوَى الدِّينيَّةِ يَضمَنُ أن يَكونَ لِلجُملَةِ الدِّينيَّةِ المَعنَى نَفسُهُ حينَ تُقَرَّرُ وحينَ تُضَمَّنُ، فلَن تَكونَ النَّظريَّةُ قادِرَةً على تَفسيرِ سَلامَةِ الحُجَجِ الدِّينيَّةِ. فَلْنَأخُذْ *قِياسًا استِلزاميًّا* بَسيطًا مُثبَتًا في الخِطابِ الدِّينيِّ، مُقَدِّمَتُهُ الأُولَى هيَ:

23. اللهُ رَحيمٌ.

فالمُفتَرَضُ أنَّ التَّعبيريِّينَ يَعُدُّونَ الجُملَةَ (23) مُعَبِّرَةً عن مَوقِفٍ لامَعرِفيٍّ. لكِن لِنَنظُرْ في المُقَدِّمَةِ الثّانِيَةِ: [82]

24. إذا كانَ اللهُ رَحيمًا، فسَيَنجو النّاسُ جَميعًا.

فيَلزَمُ مِن الجُملَتَيْنِ (23) و(24) الآتي:

25. سَيَنجو النّاسُ جَميعًا.

فالنَّتيجَةُ (25) يُفتَرَضُ أن يُؤَوِّلَها التَّعبيريُّونَ أيضًا بِأنَّها تَعبيرٌ عن مَوقِفٍ لامَعرِفيٍّ. لكِن كيفَ يُؤَوِّلُ التَّعبيريُّونَ الجُملَةَ الشَّرطِيَّةَ (24)؟

فهُنا يُواجِهُ التَّعبيريُّونَ الدِّينيُّونَ مُعضِلَةً. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ الجُملَتَيْنِ (23) و(25) تَعنيانِ شَيئَيْنِ مُختَلِفَيْنِ حينَ تُضَمَّنانِ في الجُملَةِ (24). فيَلزَمُ مِن ذلكَ أنَّ الحُجَّةَ غيرُ

سَليمَةٍ لأنَّها تتضَمَّنُ مُغالَطَةً مَبنيَّةً على الاشتِراكِ اللَّفظِيِّ. على أنَّ الحُجَّةَ تَبدو سَليمَةً بِوُضوحٍ. وَلْنَفترِضْ، بَدَلًا مِن ذلكَ، أنَّ التَّعبيريِّينَ يُبقونَ الحُجَّةَ صَحيحَةً ويُقِرُّونَ بِأنَّ الجُملَتَيْنِ (23) و(25) تَعنِيانِ الشَّيْءَ نَفسَهُ حينَ تُضَمَّنانِ في الجُملَةِ (24). فما دامَتِ الجُملَةُ (24) لا تُعبِّرُ عن المَواقِفِ التي تُعَبِّرُ عنها الجُملَتانِ (23) و(25) كِلتاهُما، فيَلزَمُ مِن ذلكَ أنَّ مَعنَى الجُملَتَيْنِ (23) و(25) لا تُحَدِّدُهُ المَواقِفُ التي تُستَعمَلُ الجُملَتانِ لِلتَّعبيرِ عنها وأنَّ التَّعبيريَّةَ تَكونُ بِذلكَ كاذِبَةً. ومِن الواضِحِ أنَّ التَّعبيريِّينَ لا يُمكِنُهُم تَبَنِّي الخِيارِ الثّاني، بيدَ أنَّ الخِيارَ الأوَّلَ يُبطِلُ الكَثرَةَ الكاثِرَةَ مِن الحُجَجِ المُؤَسَّسَةِ جَيِّدًا التي يُوقَفُ عليها في الخِطابِ الدِّينِيِّ. فالحُجَجُ الدِّينِيَّةُ التي تَشمَلُ الحُجَّةَ الأنطولوجِيَّةَ والحُجَجَ المُتعلِّقَةَ بِصِفاتِ اللهِ، والأسبابُ المُوجِبَةُ لِلتَّعَدُّدِيَّةِ لا لِلحَصريَّةِ، والاستِدلالاتُ المُستَنبَطَةُ مِن الاعتِباراتِ المُتَعلِّقَةِ بِالكِتابِ المُقَدَّسِ، وما لا يُعَدُّ ولا يُحصَى مِن الحُجَجِ اللاهوتِيَّةِ، وما إليها، كُلُّ أُولئكَ سيَكونُ غَيرَ صالِحٍ لِلاحتِجاجِ بِهِ طِبقًا لِما تَراهُ التَّعبيريَّةُ.

ومِن المُفيدِ عندَ هذهِ النُّقطةِ مِن البَحثِ أن يُذكَرَ سَبَبُ عَدَمِ تَقديمِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ المُضَمَّنَةِ أيَّةَ صُعوبَةٍ لِنظريَّةِ القيمَةِ الظّاهريَّةِ (ولِنظريَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ). إذ تَذهَبُ هذهِ النَّظريَّةُ إلى أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تَرمي إلى تَمثيلِ حَقائقَ دينِيَّةٍ، وأنَّ المَحمولاتِ في الجُملَةِ الدِّينِيَّةِ تَدُلُّ على صِفاتٍ. فالجُملَةُ (23)، على سبيلِ المِثالِ، لَها مَضمونٌ هوَ *اللهُ* رَحيمٌ. لِذلكَ، لا يُهِمُّ: أَمُستَقِلَّةً كانَتْ هذهِ الجُملَةُ أم مُضَمَّنَةً؛ لأنَّها تُمَثِّلُ الحَقيقَةَ الدِّينِيَّةَ نَفسَها في كِلا السِّياقَيْنِ. وبِعَكسِ ذلكَ، يَرَى التَّعبيريُّونَ أنَّ مَعانِيَ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ إنَّما تُحَدِّدُها المَواقِفُ التي تُعَبِّرُ عنها. لِذلكَ، لا يُوجَدُ مُكَوِّنٌ مُشتَرَكٌ لِلمَعنَى بينَ الأحداثِ المُستَقِلَّةِ والمُضَمَّنَةِ لِلدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ يُمكِنُ أن يَلجَأَ إليهِ التَّعبيريُّونَ لِيُبَيِّنوا أنَّها تَعني الشَّيْءَ نَفسَهُ في كِلا السِّياقَيْنِ[3].

(3) كانَتْ ثَمَّةَ مُحاوَلاتٌ لِلتَّعبيريِّينَ لِرَدِّ هذا الاعتِراضِ وما يُشبِهُهُ مِن الاعتِراضاتِ، ولا سِيَّما التَّعبيريُّونَ الأخلاقِيُّونَ (Blackburn, 1998a)؛ على أنَّ مُشكِلَةَ فريجه-غيتش بَقِيَتْ عَصِيَّةً على الحَلِّ. ولِلوُقوفِ على مَزيدٍ مِن التَّحليلِ المُفَصَّلِ، يُنظَر: Schroeder (2008).

التَّعبيريَّةُ والتَّفسير

ثَمَّةَ عَقَبَةٌ كَبيرَةٌ أُخرَى تَعتَرِضُ سَبيلَ التَّعبيرِيَّةِ هيَ أَنَّ وَصفَ الحَقائقِ الدِّينِيَّةِ يُمكِنُ أن يَظهَرَ في تَفسيرِ الحَقائقِ اللادينِيَّةِ، ولا سِيَّما [83] الحَقائقُ العِلمِيَّةُ والتَّاريخِيَّةُ. إذ يُمكِنُ استِعمالُ فِعلِ اللهِ في العالَمِ لِتَفسيرِ سببِ حُدوثِ أَحداثٍ مُعَيَّنَةٍ، ويُمكِنُ استِعمالُ خَلقِ اللهِ لِلعالَمِ بِوَصفِهِ جُزءًا مِن تَفسيرِ كُلِّ ما قَد حَدَثَ أو سَيَحدُثُ؛ ويُمكِنُ التَّسليمُ بِوُجودِهِ وبِفِعلِهِ بِوَصفِهِما تَفسيرًا لِقَوانينِ الطَّبيعَةِ، على سبيلِ المِثالِ. فإذا كانَتِ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ تُعَبِّرُ عن مَواقِفَ ولا تُعَبِّرُ عن حَقائقَ دينِيَّةٍ، فكيفَ يُمكِنُ استِعمالُها لِتَفسيرِ أُمورٍ تَاريخِيَّةٍ وعِلمِيَّةٍ قابِلَةٍ لِلمُلاحَظَةِ ومِن الواضِحِ أَنَّها واقِعِيَّةٌ؟

فالذي يَبدو أَنَّ الخِيارَ المَعقولَ الوَحيدَ المُتاحَ لِلتَّعبيرِيِّينَ أن يَذهَبوا إلى أَنَّ التَّفسيراتِ الدِّينِيَّةَ طَرائقُ لِلتَّعبيرِ حَقًّا عن مَواقِفَ تُجاهَ ما تُفَسِّرُهُ. على أَنَّهُ يَصعُبُ كَثيرًا أن تُرَى كَيفِيَّةُ إمكانِ أن يُدافَعَ دِفاعًا فَعّالًا عن مَذهَبٍ كهذا. ويَرَى فِلِبس في إحدَى كِتاباتِهِ أَنَّ بَعضَ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ التي تَبدو كَأَنَّها تفسيراتٌ يَنبَغي أن يُنظَرَ إليها بَدَلًا مِن ذلكَ على أَنَّها مُعَبِّرَةٌ عن مَواقِفَ. مِثالُ ذلكَ أَنَّهُ يَتَصَوَّرُ أَنَّ النّاسَ الذينَ يُواجِهونَ ظَرفًا مُؤلِمًا أو صَعبًا قَد يَقولونَ: 'إنَّها مَشيئةُ اللهِ'. ويَذهَبُ إلى أَنَّ الحَديثَ عن مَشيئةِ اللهِ في هذا السِّياقِ لا يُقَدِّمُ تفسيرًا. 'فَفِكرَةُ مَشيئةِ اللهِ لا عَلاقَةَ لَها بِما حَدَثَ بِوَصفِها *تَفسيرًا* أعلَى' (1988, p. 281)[4]. ويُفَصِّلُ الحَديثَ في ذلكَ، فيَقولُ:

> 'إنَّها مَشيئةُ اللهِ' لَيسَتْ إجابَةً عن سُؤالِ 'لِمَ يَحدُثُ هذا؟'، لكِنَّها طَريقَةٌ قَد يَرغَبُ بِها شَخصٌ مّا رَغبَةً مُلِحَّةً في أن يَسأَلَ هذا السُّؤالَ. فَفِكرَةُ مَشيئةِ اللهِ لَم تُكَوِّنْ بَحثًا عن تَفسيراتٍ بَل كَوَّنَتْ مُفارِقَةً لِلتَّفسيراتِ. (1995, pp. 281-282)

حينَ يُواجِهُ النّاسُ الأحداثَ التي تَمُرُّ بِهِم يَقولونَ: 'إنَّهُ القَدَرُ'، و'إنَّهُ

(4) يُنظَرُ أيضًا: Malcolm (1997, pp. 85-86).

> عَبَثٌ'، و'إنَّهُ بِلا مَعنًى'، و'هكذا تكونُ الأشياءُ'، و'هكذا الحَياةُ'، و'هكذا تَجري الأُمورُ' كما يَقولونَ: 'إنَّها مَشيئةُ اللهِ' (1988, p. 280)

وفِلِبس مُحِقٌّ في إشارتِهِ إلى أنَّ جُملَةَ 'إنَّها مَشيئةُ اللهِ' تُستَعمَلُ في بَعضِ السِّياقاتِ لِلتَّعبيرِ عن رِضا المَرءِ بِالحَدَثِ الذي يُحيلُ عليهِ أو قَبولِهِ لَهُ. لكِن لا يَلزَمُ مِن ذلكَ أن الجُملَةَ ليسَ لَها عُرفِيًّا مَضمونٌ قَضَوِيٌّ؛ أي لِلحَدَثِ المُحالِ عليهِ وهوَ *أنَّ اللهَ قَد شاءَهُ*.

ثُمَّ إنَّ مِثالَ 'إنَّها مَشيئةُ اللهِ'، مِن بَينِ عَدَدٍ كَبيرٍ مِن أَمثِلَةِ التَّفسيراتِ الدِّينِيَّةِ، مِن أَقَلِّ الأَمثِلَةِ إشكالِيَّةً لِلتَّعبيرِيَّةِ. ذلكَ بِأَنَّ تَسمِيَةَ شَيْءٍ مّا 'مَشيئةَ اللهِ' يُمكِنُ فَهمُهُ حَملِيًّا فيَكونُ بِذلكَ مُلائمًا لِلأُنموذَجِ (16) التَّأويلِيِّ التَّعبيرِيِّ. فَلْنَأخُذْ، بِالضِّدِّ مِن ذلكَ، الجُملَةَ الآتِيَةَ:

26. إنَّ خَلقَ اللهِ المُدَبَّرَ لِلعالَمِ بِبَشَرِهِ ذَوي الفِعلِ الحُرِّ يُفَسِّرُ على الوَجهِ الأَمثَلِ دَليلَ الظُّروفِ المنسَجِمَةِ بِدِقَّةٍ. [84]

ولَئِنْ كانَ مِن المُحتَمَلِ أَلّا نَعُدَّ الجُملَةَ (26) صادِقَةً، ليسَ مِن الواضِحِ الكيفيَّةُ التي يُمكِنُ بِها أن يُقَدِّمَ التَّعبيرِيُّونَ تَأويلًا لَها يَجعَلُها مُعَبِّرَةً عن مَوقِفٍ لا مُمَثِّلَةً لِحَقيقَةٍ دينِيَّةٍ.

خاتِمَة

يُواجِهُ التَّعبيرِيُّونَ الدِّينِيُّونَ عَدَدًا من المُشكِلاتِ التي لا يَجِدونَ لَها إجابَةً مُقنِعَةً على ما يَبدو. على أنَّهُ لَمّا كانَتْ أخطَرُ هذهِ المُشكِلاتِ إنَّما يُثيرُها نَفيُ تَمثيلِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ حَقائقَ دينِيَّةً، كانَتْ نظرِيَّةُ المَوقِفِ المُعتَدِلَةُ في مَنأًى عن مُواجَهَةِ صُعوباتٍ مُماثِلَةٍ. إذ يَرَى مُنَظِّرُو المَوقِفِ المُعتَدِلونَ أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تُمَثِّلُ حَقائقَ دينِيَّةً، لِذلكَ يُمكِنُ استِعمالُها في التَّفسيراتِ ويُمكِنُ استِعمالُها في المُقَدِّماتِ والجُمَلِ الشَّرطِيَّةِ المُضَمَّنَةِ مِن غَيرِ تَقويضٍ لِسَلامَةِ الحُجَجِ الدِّينِيَّةِ. ويَرَى مُنَظِّرُو

المَوقِفِ المُعتَدِلونَ أيضًا أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تُستَعمَلُ عُرفِيًّا لِلتَّعبيرِ عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ، فمِن الواضِحِ أنَّ هذا المَذهَبَ ليسَ مُحاوَلَةً لِجَعلِ استِعمالِ الخِطابِ الدِّينِيِّ مُتَناغِمًا معَ الإلحادِ. ثُمَّ إنَّ افتِراضَ أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تُستَعمَلُ عُرفِيًّا أيضًا لِلتَّعبيرِ عن حالاتٍ لامَعرِفِيَّةٍ يَجعَلُ النَّظرِيَّةَ قادِرَةً على إنصافِ الدَّليلِ والبَداهَةِ القاضِيَيْنِ بأنَّ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةَ مُرتَبِطَةٌ ارتِباطًا وثيقًا بِمَشاعِرِ النّاسِ، ودَوافِعِهِم، ومَواقِفِهِم. وعلى الرَّغمِ مِن كُلِّ ما لَقِيَتْهُ نظرِيَّةُ المَوقِفِ مِن دِعايَةٍ سَيِّئَةٍ، ولَو في صُوَرِها التي هيَ أكثَرُ تَطَرُّفًا، تُمِدُّنا نظرِيَّةُ المَوقِفِ بِنَظَرِيَّةٍ مَقبولَةٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ يُمكِنُ الدِّفاعُ عنها. [85]

7

الإحالَة

عندَ مُناقَشَةِ اللاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ في الفَصلِ 2، رَأَينا أنَّ بِالإمكانِ إثارَةَ اعتِراضٍ حَقيقِيٍّ على هذهِ النَّظَرِيَّةِ استِنادًا إلى افتِراضَيْنِ هُما:

1. أنَّ اللهَ God اسمُ عَلَمٍ.
2. أنَّ أسماءَ الأعلامِ تُعَبِّرُ عن صِفاتٍ تُحَدِّدُ إحالَتَها.

وفي هذا الفَصلِ نَشرَعُ في تَمحيصِ هاتَيْنِ المُقَدِّمَتَيْنِ، مُولِينَ الافتِراضَ الثّانِيَ الوَصفِيَّ اهتِمامًا خاصًّا، بُغيَةَ أن نَتَوَصَّلَ إلى أُطروحَةٍ يُمكِنُ الدِّفاعُ عنها عُمومًا بِشأنِ مَعنَى 'الله' وإلى أن نُقَرِّرَ كذلكَ: هَل يَؤُولُ المَذهَبُ الأبوفاتيكِيُّ إلى أنَّ المُؤمِنِينَ غَيرُ قادِرِينَ على الإحالَةِ على اللهِ؟ وستُعالِجُ مُناقَشَتُنا بَعدَ ذلكَ السُّؤالَ الوَثيقَ الصِّلَةِ وهوَ: كَيفَ يُسَمِّي 'اللهُ' اللهَ؟ - وكَيفَ يُسَمِّي الاسمُ حامِلَهُ عُمومًا؟

هَلِ اللهُ اسمُ عَلَم؟

إنَّ المُقَدِّمَةَ (1) تَبدو مَقبولَةً جِدًّا. إذ يُستَعمَلُ 'الله' استِعمالًا قِياسِيًّا لِتَسمِيَةِ اللهِ ويُشارِكُ أسماءَ الأعلامِ الأُخرَى في عددٍ مِن السِّماتِ الأساسِيَّةِ. ذلِكَ بِأنَّ 'الله'، شأنُهُ شأنُ أسماءِ الأعلامِ الأُخرَى نَحوِ 'سُقراط'، و'هِلاري كلِنتن'، و'مارس'،

و'فرنسا'، و'سياتل'، يُسَمّي مَوضوعَهُ مِن غَيرِ وُجودِ بِنيَةٍ تَركيبيَّةٍ[1]. وكذلِكَ، لا يُرَكَّبُ 'الله' معَ المُعَدِّلاتِ المُقَيِّدَةِ، مُشْبِهًا في ذلكَ كَثيرًا مِن أسماءِ الأعلامِ الأُخرَى ومُخالِفًا العِباراتِ الاسمِيَّةَ الأُخرَى. أي إنَّهُ ما مِن مَعلوماتٍ تَقييدِيَّةٍ إضافِيَّةٍ يُحتاجُ إليها (أو خاصَّةٍ) لِيُعلَمَ الشَّيْءُ المُسَمّى. فحينَ نَعمِدُ إلى تَعديلِ اللَّفظِ عندَ حَديثِنا عن 'إلهِ الفَلاسِفَةِ the god of philosophers'، على سَبيلِ المِثالِ، لا نَكونُ بِذلكَ مُستعمِلِينَ إيّاهُ اسمَ عَلَمٍ في هذهِ العِبارَةِ. بَل نَكونُ قَد استَعمَلْنا هذا التَّعبيرَ لِلتَّفريقِ بينَ اللهِ God ومَوجودٍ مُحَدَّدٍ في الجَدَلِ القائمِ في فَلسَفَةِ [86] الدِّينِ يُدعَى 'الله God'. ويُمكِنُ القَولُ على نَحوٍ أعَمَّ إنَّ استِعمالَ 'الله God' اسمًا name و'إله god' اسمًا عامًّا common noun مِمّا تَشيعُ مَعرِفَتُهُ ويُشارُ إليهِ عُرفِيًّا بِتَكبيرِ الحَرفِ الأوَّلِ مِن أوَّلِهِما وإبقائهِ صَغيرًا في ثانيهِما. وتُوحي هذهِ النِّقاطُ بِأنَّ 'الله God' يُشبِهُ أسماءَ الأعلامِ الأُخرَى تَركيبِيًّا ودَلالِيًّا.

وقَد ذَهَبَ مارك جونستن Mark Johnston* حَديثًا إلى أنَّ 'الله' كانَ قَد ظَهَرَ في الكِتابِ المُقَدَّسِ العِبرانِيِّ بِوَصفِهِ لَقَبًا أو تَعبيرًا تَشريفِيًّا لا اسمًا. 'ومِمّا هوَ مُبهَمٌ تَمامًا: هَل 'الله'، على النَّحوِ الذي نَستَعمِلُهُ بِهِ اليَومَ، *اسمٌ name* البَتَّةَ، في مُقابَلَةِ عُنوانٍ مَضغوطٍ، شَيءٍ مّا يُشبِهُ في الواقِعِ 'المَوجودَ الأسمى' أو 'الأعلى'' (2011, pp. 6-7)؟ على أنَّ ذلكَ لا يُقَدِّمُ سِوَى مَعلوماتٍ تَاريخِيَّةٍ بِشَأنِ استِعمالِ هذا التَّعبيرِ. ويُلحَظُ أنَّ الألفاظَ التي تُقَدَّمُ بِوَصفِها ألقابًا يُمكِنُ أن تُصبِحَ لاحِقًا أسماءً names. مِثالُ ذلكَ أنَّ إدوارد إلِنغتن Edward

---

(1) الافتِقارُ إلى البِنيَةِ التَّركيبِيَّةِ سِمَةٌ مُشتَرَكَةٌ لأسماءِ الأعلامِ لكِنَّها غَيرُ مُطَّرِدَةٍ: ومِمّا يُمكِنُ الذَّهابُ إلى أنَّهُ مِن هذهِ الحالاتِ: 'المَلِكُ هنري الثّامِنُ King Henry VIII'، و'المُوَقَّرُ روان وليَمز the Right Reverend Rowan Williams'، و'جاك السَّفّاحُ Jack the Ripper'.

* مارك جونستن. فَيلَسوفٌ أستراليٌّ. أمضى مُعظَمَ مَسيرَتِهِ المِهنِيَّةِ في جامِعَةِ برنستون. كَتَبَ كَثيرًا مِنَ المَقالاتِ في مَوضوعاتِ الميتافيزيقا، وفَلسَفَةِ العَقلِ، والمنطِقِ الفَلسَفِيِّ، والرِّياضِيّاتِ، وألَّفَ حَديثًا كِتابَيْنِ في فَلسَفَةِ الدِّينِ هُما: (إنقاذُ اللهِ: الدِّينُ بَعدَ الوَثَنِيَّةِ)؛ و(المَوتُ الحَيّ). [المُترجِم]

Ellington* كانَ يُدعَى أوَّلًا 'الدُّوق Duke' لِسببٍ واضِحٍ هوَ أنَّ سُلوكَهُ الكَيِّسَ وذَوقَهُ في اختِيارِ المَلابسِ 'أكسَباهُ صُورَةَ الشّابِّ النَّبيلِ' (Terkel, 1975, p. 74). على أنَّ شَرعِيَّةَ 'الدّوق إلِنغتن' أو 'الدّوق' فحَسْبُ بِوَصفِهِ اسمًا أصبَحَ يُعرَفُ بِهِ هذا الموسيقِيُّ لاحِقًا واشتهرَ بِهِ لَيسَتْ مَوضِعَ شَكٍّ بِسببِ استِعمالِهِ الأوَّلِ بِوَصفِهِ اسمًا تَشريفِيًّا أو بِسببِ حَقيقَةِ أنَّهُ لَم يَكُنْ دوقًا. فالاستِعمالُ التّاريخِيُّ لِكلِمةِ 'الله' بِوَصفِها لَقَبًا ليسَ إذَن سَبَبًا كافِيًا يَدعو إلى التَّغاضي عن الدَّليلِ الدَّلالِيِّ والتَّركيبِيِّ الذي يَشهَدُ بِأنَّ 'الله' اسمُ عَلَم. وستَكونُ لي عَودَةٌ إلى هذهِ المَسألَةِ لاحِقًا، لكِن دَعُونا الآنَ نُواصِلْ حَديثَنا على أساسِ افتِراضِ أنَّ 'الله' اسمُ عَلَمٍ.

الوَصفِيَّةُ واللاوَصفِيَّة

لِنَعُدْ إلى الجُملَةِ (2) المذكورَةِ في بِدايَةِ هذا الفَصلِ، وَلْنَسأَلْ: أَوَصفِيِّينَ يَنبَغي لَنا أن نَكونَ أم لاوَصفِيِّينَ في ما يتعلَّقُ بِـ 'الله' والأسماءِ عُمومًا؟ ثَمَّةَ إرثٌ طَويلٌ، يَمتَدُّ إلى الوَراءِ وُصولًا إلى أنسيلم Anselm** في أقَلِّ تَقديرٍ، مِن النَّظَرِ إلى 'الله' على أنَّ لَهُ مَضمونًا وَصفِيًّا. إذ يَرَى أنسيلم، في خِضَمِّ تَطويرِهِ حُجَّتَهُ الوُجودِيَّةَ، أنَّ 'الله' لَفظٌ بَديلٌ مِن 'الذي لا يُمكِنُ تَصَوُّرُ ما هوَ أعظَمُ مِنهُ'. وقَد مَكَّنَهُ هذا مِن أن يَذهَبَ إلى أنَّ 'الأحمَقَ' الذي يَعتَقِدُ أنَّ اللهَ ليسَ سِوَى شَيءٍ خَيالِيٍّ إنَّما يَعتَقِدُ بِذلكَ أنَّ المَوجودَ الذي لا يُمكِنُ تَصَوُّرُ ما هوَ أعظَمُ مِنهُ ليسَ سِوَى شَيءٍ خَيالِيٍّ. وكذلكَ غالِبًا مّا تَعرِضُ الكِتاباتُ المُعاصِرَةُ في فَلسَفَةِ الدِّينِ صِفاتِ

* إدوارد كَنَدي الدّوق إلِنغتن (1899–1974م). مُلَحِّنٌ، وعازِفُ بيانو، وقائدٌ لِفِرقَةِ جاز أمريكِيٌّ استَمَرَّتْ قِيادَتُهُ لَها مِن عام 1923 إلى حينِ وَفاتِهِ، في مَسيرَةٍ مِهنِيَّةٍ امتَدَّتْ نَحوَ ما يَزيدُ عَلى خَمسينَ عامًا. [المُترجِم]

** أنسيلم أُسقُفُ كانتربري (1033–1109م). لاهوتيٌّ وفَيلَسوفٌ إيطاليٌّ مِن أوائلِ الفَلاسِفَةِ المَدرَسِيِّينَ. كانَ لهُ تَأثيرٌ بالِغٌ في اللاهوتِ الغَربيِّ، وكانَ يَعتَقِدُ أنَّ الإيمانَ يَجِبُ أن يَسبِقَ المعرِفَةَ؛ فيَجِبُ أن تُؤمِنَ لِتَعرِفَ، ومَعَ ذلكَ يُمكِنُ أن يُبنَى الإيمانُ على المعرِفَةِ. اشتهرَ بِكتابَيْهِ (المُناجاة) و(التَّمهيد). [المُترجِم]

مُختَلِفَةً لِلّهِ عادَةً مَا يُقالُ عنها إنَّها تُعَرِّفُ 'الله'. وقَد رَأينا أنَّ اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ لا يَقبَلُونَ هذهِ المُقارَبَةَ. لكِنْ هَل يُمكِنُ الدِّفاعُ عنها؟ سأبدَأُ بِعَرضِ بَعضِ الاعتِباراتِ النَّظريَّةِ العامَّةِ المُتعلِّقَةِ بِالمَذهَبَيْنِ الوَصفِيِّ واللاوَصفِيِّ ثُمَّ أُطَبِّقُها على 'الله'.

أمّا الأُطروحَةُ الكلاسيكِيَّةُ لِلنَّظريَّةِ اللاوَصفِيَّةِ فمُقَدِّمُها هوَ ج.س. مِل، إذ يَقولُ: 'اسمُ العَلَمِ ليسَ سِوَى عَلامَةٍ لا مَعنَى لَها نَربِطُها في عُقولِنا بِالفِكرَةِ المُتَعَلِّقَةِ بِالشَّيءِ، فكُلَّما صادَفَ أن وَقَعَتِ العَلامَةُ في مَرمَى أبصارِنا أو خالَطَتْ أفكارَنا، أمكَنَ أن نُفَكِّرَ في ذلكَ الشَّيءِ المُفرَدِ' [87] (1974, p. 35). فالذي كانَ مِلْ يَعتَقِدُهُ عُمومًا أنَّ اسمَ العَلَمِ لَيسَتْ مُهِمَّتُهُ نَقلَ أيَّةِ مَعلومَةٍ تتعلَّقُ بِمَرجِعِهِ، وأنَّ استِعمالَ الاسم لا يَعتَمِدُ على أيَّةِ صِفَةٍ لِلشَّيءِ الذي يُسَمِّيهِ. فعَلى ذلكَ، يُمكِنُ أن يُحيلَ اسمُ العَلَمِ على شَيءٍ مّا ولَو احتُمِلَ أن يُغَيِّرَ الشَّيءُ صِفاتِهِ أو كُنّا مُخطِئينَ في تَحديدِ حَقيقَةِ صِفاتِهِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ اسمَ 'دارتمث Dartmouth' كانَ قَد أُطلِقَ على مَدينَةٍ في جَنوبِ غَربِ إنجلترا لأنَّها تَقَعُ عندَ مَصَبِّ نَهرِ دارت Dart River. لكِن إن حَدَثَ على نَحوٍ مّا أن حَوَّلَ النَّهرُ مَجراهُ بَعيدًا عن دارتمث، فلَن يَكونَ ذلكَ مَدعاةً إلى اعتِقادِ أنَّ اسمَ المَدينَةِ يَنبَغي أن يَتَغَيَّرَ أو سيَتَغَيَّرُ (1974, p. 33). ويُطلَقُ على نَظريَّةِ مِلْ أحيانًا اسمُ نَظريَّةِ 'فايدو Fido' - فايدو Fido*: فالاسمُ يُحيلُ على حامِلِهِ، وهذا كُلُّ ما يُناطُ بِأسماءِ الأعلامِ مِن مُهِمَّةٍ. وما دامَ بِإمكانِ اسمِ العَلَمِ أن يُحيلَ مِن غيرِ أن يَنقُلَ أيَّةَ مَعلومَةٍ تتعلَّقُ بِالشَّيءِ المُحالِ عليهِ، فستَكونُ هذهِ النَّظريَّةُ مُناسِبَةً أيضًا لِلّاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ. فَبِمُقتَضى النَّظريَّةِ المِلْيانِيَّةِ يُمكِنُ أن يُحيلَ 'الله' على اللهِ ولَو لَم يَكُنْ بِالإمكانِ تَصَوُّرُ طَبيعَةِ اللهِ.

وتُواجِهُ النَّظريَّةُ المِلْيانِيَّةُ عَدَدًا مِن الصُّعوباتِ. وفي الآتي ثَلاثَةٌ مِن

* نَظريَّةُ 'فايدو' - فايدو: نَظريَّةٌ مِن نَظَريّاتِ المعنى مُفادُها أنَّ مَعنى الكلمَةِ شَيءٌ تَرمِزُ إليهِ (الاسمُ 'فايدو' يَعني الكَلبَ فايدو)، فيَكونُ اللَفظُ بِذلكَ لَقَبًا لِنَظريَّةٍ مِن نَظَريّاتِ المعنى في التَّسمِيَةِ. [المُتَرجِم]

الاعتِراضاتِ التي تُناقَشُ على نِطاقٍ واسِعٍ. أمّا أوَّلُها فيتعلَّقُ بِالمُشكِلَةِ الواضِحَةِ التي مُفادُها أنَّهُ إذا كانَ مَعنَى الاسمِ تَستَنفِدُهُ إحالَتُهُ على الشَّيءِ، فالأسماءُ التي لَيسَتْ لَها أشياءُ تُناظِرُها، كَأسماءِ الشَّخصِيّاتِ الخَيالِيَّةِ، تَفتَقِرُ إذَن إلى المَعنَى. لكِنّا قادِرونَ في ما يَبدو على تَكوينِ جُمَلٍ ذَواتِ مَعنًى تَستَخدِمُ أسماءً جُوفًا، نَحو:

3. ميدوسا Medusa* تُحَوِّلُ النّاسَ إلى حِجارَةٍ.

وتَبْدو الجُملَةُ (4) الآتِيَةُ ذاتَ مَعنًى وصادِقَةً في الوَقتِ نَفسِهِ:

4. ميدوسا غَيرُ مَوجودَةٍ في الواقِعِ.

وأمثالُ هذِهِ الجُمَلِ وإن بَدا أنَّها لا تَقِلُّ في حِيازَتِها لِلمَعنَى عن جُمَلٍ مُشابِهَةٍ تَستَخدِمُ أسماءً لِمَراجِعَ مَوجودَةٍ، فإنَّ أحَدَ مُكَوِّناتِها الرَّئيسَةِ لا مَعنَى لَهُ طِبقًا لِنَظرِيَّةِ مِل. وأمّا المُشكِلَةُ الثّانِيَةُ فهِيَ أنَّهُ يَلزَمُ مِن مَذهَبِ مِلْ أنَّ الأسماءَ المُختلِفَةَ التي تُحيلُ على شَيءٍ واحِدٍ، مِثلَ 'جورج أورويل George Orwell' و'إيرِك بلير Eric Blair'**، يَجِبُ أن يَكونَ لَها مَعنًى واحِدٌ. فالجُملَتانِ (5) و(6) الآتِيَتانِ يَجِبُ إذَن أن يَكونَ لَهُما مَعنًى واحِدٌ:

* تَروي الميثولوجيا الإغريقيَّةُ أسطورةَ ميدوسا التي كانَت تُحَوِّلُ كلَّ مَن يَنظُرُ إلى عَينَيْها إلى حَجَرٍ. وقَد كانَتْ في البَدءِ فتاةً جَميلةً تبهرُ كلَّ مَن يَراها بِجَمالِها، إلى أن وَقَعَتْ في حُبِّ بوسيدون، وارتَكَبَت الخَطيئةَ مَعَهُ في مَعبَدِ أثينا. فلَمّا وَصَلَ الخَبَرُ إلى أثينا غَضِبَتْ عَلَيها، وقَرَّرَتْ أن تُحَوِّلَها إلى امرأةٍ قَبيحَةٍ بَشعةِ المظهَرِ، وحَوَّلَتْ شَعرَها إلى ثَعابينَ. وبَدَأَتْ ميدوسا تَنتَقِمُ مِن كلِّ مَن تَلقاهُ، فبِمُجَرَّدِ نَظَرِهِ إلى عَينَيْها تُسيطرُ لَعنَتُها عليهِ وتُحَوِّلُهُ إلى حَجَرٍ. [المُتَرجِم]

** إيرِك آرثر بلير هو الاسمُ الحَقيقيُّ لِجورج أورويل، وهوَ الاسمُ المستَعارُ الذي اشتهرَ بِهِ (1903-1950م). صِحافِيٌّ وروائيٌّ بريطانيٌّ. اشتهرَ بِالوُضوحِ، والذَّكاءِ، وخِفَّةِ الدَّمِ، والتَّحذيرِ مِن غِيابِ العَدالَةِ الاجتِماعيَّةِ، ومُعارَضَةِ الحُكمِ الشُّموليِّ، والإيمانِ بالاشتِراكيَّةِ الدّيمقراطيَّةِ. مِن آثارِهِ: (مَزرَعَةُ الحَيَوان)؛ و(1984)؛ و(الصُّعودُ إلى الهَواء). [المُتَرجِم]

5. إيرِك بلير وإيرِك بلير شَخصٌ واحِدٌ.
6. إيرِك بلير وجورج أورويل شَخصٌ واحِدٌ.

على أنَّ الجُملَةَ (6) تَبدو مُخبِرَةً، واستِدلاليَّةً، وتَوسيعًا كامِنًا ذا قيمَةٍ لِمَعرِفَتِنا على حَدِّ تَعبيرِ فريجه، في حينِ أنَّ الجُملَةَ (5) بَديهِيَّةٌ وصادِقَةٌ صِدقًا تَحليلِيًّا. ويَبدو مَذهَبُ مِلْ عاجِزًا عن تَفسيرِ هذا التَّغَيُّرِ في [88] الدَّلالَةِ المَعرِفيَّةِ لِلجُمَلِ عندَ استِبدالِ التَّعبيراتِ المُشتَرَكَةِ الإحالَةِ. وأمَّا المُشكِلَةُ الثَّالِثَةُ فتتعلَّقُ بِأسماءِ الأعلامِ المُضَمَّنَةِ في المَعزُوّاتِ الاعتِقاديَّةِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ الجُملَتَيْنِ (7) و(8) الآتِيَتَيْنِ لا تَختَلِفانِ إلّا في إحلالِ 'كلارك كنت Clark Kent' مَحلَّ 'سوبَرمان Superman'[2]:

7. لويز لَيْن Lois Lane تَعتَقِدُ أنَّ سوبَرمان يُمكِنُهُ التَّحَرُّكُ بِأسرَعَ مِن الإطلاقَةِ المُسرِعَةِ.
8. لويز لَيْن Lois Lane تَعتَقِدُ أنَّ كلارك كنت يُمكِنُهُ التَّحَرُّكُ بِأسرَعَ مِن الإطلاقَةِ المُسرِعَةِ.

فاستِنادًا إلى مَذهَبِ مِلْ، يَجِبُ أن تَكونَ الجُملَتانِ (7) و(8) مُعَبِّرَتَيْنِ عن قَضِيَّةٍ واحِدَةٍ. على أنَّ الأمرَ ليسَ كذلكَ لأنَّ الجُملَةَ (7) صادِقَةٌ والجُملَةَ (8) كاذِبَةٌ.

وقَد حَفَّزَتْ هذهِ المُشكِلاتُ الخِياراتِ الوَصفيَّةَ، ولا سِيَّما تلكَ التي طَوَّرَها غوتلوب فريجه (1892) وبرتراند رَسِل Bertrand Russell* (1905)، والتي تُفيدُ

(2) مِن أجلِ عَدَمِ الخَوضِ في تَعقيداتِ تَأويلِ الجُملَةِ المُتعلِّقَةِ بِالتَّخَيُّلِ، أفتَرِضُ هُنا أنَّ كلارك كنت ولويز لَيْن (والقِصَصَ المُتعلِّقَةَ بِهما) مِن الحَقائقِ.

* برتراند آرثَر وِليَم رَسِل (1872-1970م). فَيلَسوفٌ، وعالِمُ مَنطِقٍ، ورياضيٌّ، ومؤرِّخٌ، وناقِدٌ اجتِماعيٌّ بريطانيٌّ. حازَ سنةَ 1950 جائزةَ نوبل لِلآداب. كانَ في مراحِلَ مِن حياتِهِ لِيبراليًّا واشتراكيًّا وداعيَةَ سلام، إلّا أنَّهُ أقَرَّ بِأنَّهُ لَم يَكُنْ أيًّا مِن هؤلاءِ بِالمعنى العَميقِ. قادَ الثَّورَةَ البريطانيَّةَ المُضادَّةَ لِلمِثاليَّةِ في بِداياتِ القَرنِ العِشرينَ. يُعَدُّ مِن مُؤَسِّسي الفَلسَفَةِ التَّحليليَّةِ =

أنَّ اسمَ العَلَمِ ليسَ 'عَلامَةً بِلا مَعنًى' بَل يُعَبِّرُ عن مَعلوماتٍ تُحَدِّدُ مَرجِعَهُ. إذ يَرَى رَسِل أنَّ أسماءَ الأعلامِ أوصافٌ مُعَرِّفَةٌ مُتَخَفِّيَةٌ. ويَذهَبُ إلى أنَّ اسمَ 'بِسمارك Bismarck '*، عَلى سَبيلِ المِثالِ، يُمكِنُ أن يُربَطَ بِوَصفٍ هوَ *أوّلُ مُستَشارٍ لِلإمبراطوريَّةِ الألمانِيَّةِ*. أمّا فريجه فيَرَى أنَّ اسمَ العَلَمِ لَهُ مُفادٌ sense كما أنَّ لَهُ إحالَةً reference. فأمّا مُفادُ الاسمِ فهوَ طَريقَةُ عَرضٍ تُحَدِّدُ الإحالَةَ لكِن لا يُشتَرَطُ أن تَكونَ وَصفًا مُتَخَفِّيًا يُمكِنُ التَّعبيرُ عنهُ بِوَصفِهِ وَصفًا مُعَرِّفًا[3]. إذ يُمكِنُ أن تَكونَ إدراكِيَّةً، على سبيلِ المِثالِ؛ فالطَّريقَةُ التي يَظهَرُ بِها شَيءٌ مّا لِلمُدرِكِ يُمكِنُ أن تَكونَ طريقَةَ عَرضِهِ. وستَكونُ النُّسخَةُ التي طَوَّرَها رَسِل مِن الوَصفِيَّةِ بُؤرَةَ اهتِمامي، لكِن تَظَلُّ نَظَرِيَّةُ فريجه خِيارًا مُهِمًّا.

وإعطاءُ الوَصفِيِّينَ اسمَ العَلَمِ مَضمونًا وَصفِيًّا يَجعَلُ مَوقِفَهُم أفضَلَ مِن مَوقِفِ أنصارِ مَذهَبِ مِلْ في مُعالَجَةِ المُشكِلاتِ الثَّلاثِ المَذكورَةِ آنِفًا. فالمُشكِلَةُ الأُولَى ستَختَفي لأنَّ اسمَ العَلَمِ سيَكونُ بِالإمكانِ أن يَكونَ ذا مَعنًى ولَو لَم يَكُنْ ذا مَرجِعٍ؛ فالمَضمونُ الوَصفِيُّ يَظَلُّ واحِدًا سَواءٌ أوُجِدَ مَن يَحمِلُهُ أم لَم يُوجَدْ. وسَيَكونُ بِالإمكانِ أيضًا تَفسيرُ التَّغَيُّراتِ في الدَّلالَةِ المَعرِفِيَّةِ وقِيَمِ الصِّدقِ التي تَحدُثُ حينَ يَكونُ ثَمَّةَ استِبدالٌ في الألفاظِ المُشتَرَكَةِ الإحالَةِ، والتي تُسَلِّطُ المُشكِلَتانِ الثّانِيَةُ والثّالِثَةُ الأضواءَ عليها. فإذا كانَ لاسمَيْنِ مَضمونانِ وَصفِيّانِ

= مَعَ سَلَفِهِ غوتلوب فريجه وتِلميذِهِ لودفيغ فتغنشتاين، ومِن أهَمِّ عُلَماءِ المنطِقِ في القَرنِ العشرينَ. ألَّفَ معَ وايتهيد كتابَ (مَبادِئ الرِّياضيّات)، وهوَ مُحاوَلَةٌ لِشَرحِ الرِّياضيّاتِ بِالمنطقِ. وتُعدُّ مَقالَتُهُ الفَلسَفِيَّةُ (في الدَّلالَةِ التَّعيينِيَّةِ) أُنموذجًا فكريًا في الفَلسَفَةِ. مِن آثارِهِ الأخرى: (تاريخُ الفَلسَفَةِ الغَربِيَّةِ)؛ و(عِبادَةُ الإنسانِ الحُرِّ)؛ و(الدِّينُ والعِلم). [المُترجِم]

- أوتو فون بِسمارك (1815–1898م). رَجُلُ دَولَةٍ، وسِياسِيٌّ بروسِيٌّ-ألمانيٌّ. شَغَلَ مَنصِبَ رَئيسِ وُزَراءِ مَملَكَةِ بروسيا بَينَ عامَي 1862 و1890، وأشرَفَ عَلى تَوحيدِ الوِلاياتِ الألمانيَّةِ وتَأسيسِ الإمبراطوريَّةِ الألمانيَّةِ أو ما يُسَمّى بِـ(الرّايخ الألمانيّ الثّاني)، وأصبَحَ أوَّلَ مُستَشارٍ لَها بَعدَ قِيامِها في عام 1871، حَتّى عَزَلَهُ فِلهلم الثّاني في عام 1890. ولِدَورِهِ المُهِمِّ خِلالَ مُستَشارِيَّتِهِ لِلرّايخ الألمانيّ أثرَتْ أفكارُهُ في السِّياسَةِ الدّاخليَّةِ والخارجيَّةِ لألمانيا في نهايَةِ القَرنِ التّاسِعَ عَشَرَ، ولذا لُقِّبَ بِـ(المستَشار الحَديديّ). [المُترجِم]

(3) لِلوُقوفِ على مُناقَشَةٍ لِهذهِ المسألَةِ، يُنظَر: McDowell (1977).

مُختَلِفانِ لكِنَّهُما يُسَمِّيانِ شَيئًا واحِدًا، فمِنَ المُتَوَقَّعِ أن يُوَلِّدَ استِبدالُ أحَدِهما بِالآخَرِ تَغَيُّرًا في المَعنَى ويُمكِنُ أن يُوَلِّدَ تَغَيُّرًا في قيمَةِ صِدقِ الجُملَةِ التي يَكونانِ فيها.

ومِنَ الصُّعوباتِ التي أدرَكَها الوَصفِيُّونَ الأوائلُ أنَّ الأشخاصَ المُختلِفِينَ قَد يَربِطونَ مَضامينَ وَصفِيَّةً مُختَلِفَةً بِاسمٍ واحِدٍ. فَفي الوَقتِ الذي قَد يَربِطُ فيهِ شَخصٌ مّا بِـ 'أرسطو Aristotle'* مَضمونًا وَصفِيًّا هوَ *تِلميذُ أفلاطون*** ومُعَلِّمُ الإسكَندَرِ الأكبَرِ****، قَد يَربِطُ بِهِ شَخصٌ آخَرُ [89] مَضمونًا وَصفِيًّا هوَ *تِلميذُ أفلاطون المَولودُ في ستاجيرا عامَ 384 ق.م*. وكانَ فريجه (1892) يَعتَقِدُ أنَّ هذهِ التَّنَوُّعاتِ في المُفادِ يُمكِنُ التَّسامُحُ فيها بِشَرطِ أن تَكونَ المُفاداتُ المُختلِفَةُ مُحَدِّدَةً لإحالَةٍ واحِدَةٍ (كما هوَ الأمرُ في حالَتِنا هذهِ)[4]. على أنَّ التَّنَوُّعاتِ في المُفادِ أو المَضمونِ الوَصفِيِّ تُوَلِّدُ مُشكِلاتٍ أكثَرَ صُعوبَةً لِلأقوالِ المُتَعَلِّقَةِ بِـ 'اللهِ'. فإذا استعمَلَ المَسيحِيُّ لَفظَ 'الله' معَ مَضمونٍ وَصفِيٍّ هوَ *خالِقُ الكَونِ*،

---

* أرسطو (384–322 ق.م). فَيلَسوفٌ يونانيٌّ. تِلميذُ أفلاطون ومُعَلِّمُ الإسكندرِ الأكبرِ، وأحَدُ عُظَماءِ المفكِّرينَ. تَناولَتْ كتاباتُهُ عِدَّةَ مَجالاتٍ كالفيزياءِ، والميتافيزيقا، والشِّعرِ، والمسرحِ، والموسيقى، والمنطقِ، والبَلاغَةِ، واللُّغَويّاتِ، والسِّياسَةِ، والحُكومةِ، والأخلاقِ، وعِلمِ الأحياءِ، وعِلمِ الحَيَوانِ. ويُعَدُّ مِن أهَمِّ مُؤَسِّسي الفَلسَفَةِ الغَربيَّةِ. [المُترجِم]

** أفلاطون (428–427/ 348–347 ق.م). فَيلَسوفٌ يونانيٌّ كلاسيكيٌّ. يُعَدُّ مُؤَسِّسَ أكاديميَّةِ أثينا التي هيَ أوَّلُ مَعهَدٍ لِلتَّعليمِ العالي في العالَمِ الغَربيِّ. مُعَلِّمُهُ سُقراط وتِلميذُهُ أرسطو. ويُعَدُّ واضِعَ الأُسسِ الأولَى لِلفَلسَفَةِ الغَربيَّةِ والعُلومِ. اتَّضَحَ نُبوغُهُ وأسلوبُهُ في مُحاوراتِهِ السُّقراطيَّةِ (نحو ثلاثينَ محاورةً) التي تناولَتْ مَوضوعاتٍ فَلسفيَّةً شتَّى، كالمعرفةِ، والمنطقِ، واللُّغَةِ، والرِّياضيّاتِ، والميتافيزيقا، والأخلاقِ، والسِّياسةِ. [المُترجِم]

*** الإسكَندَرُ الأكبَرُ (356–323 ق.م). هوَ الإسكَندَرُ الثّالِثُ المقدونيُّ، المعروفُ بِعِدَّةِ أسماءٍ أُخرى أبرَزُها الإسكَندَرُ الكَبيرُ، والإسكَندَرُ المقدونيُّ. وهوَ مِن مُلوكِ مَقدونيا الإغريقِ، ومِن أشهَرِ القادَةِ العَسكَريِّينَ والفاتِحينَ عبرَ التّأريخِ. وُلِدَ في مَدينَةِ بيلا، وتَلمَذَ لِلفَيلسوفِ المشهورِ أرسطو حَتّى بَلَغَ رَبيعَهُ السّادِسَ عَشَرَ. ولَمّا بَلَغَ عامَهُ الثَّلاثينَ، كانَ قَد أسَّسَ إحدى كُبرى الإمبراطوريّاتِ التي عَرَفَها العالَمُ القَديمُ، والتي امتَدَّتْ مِن سَواحِلِ البَحرِ الأيونيِّ غَربًا إلى سِلسِلَةِ جِبالِ الهمالايا شَرقًا. يُعَدُّ مِن أنجَحِ القادَةِ العَسكَريِّينَ في مَسيرتِهِم، إذ لَم يُهزَمْ في أيَّةِ مَعركَةٍ خاضَها. [المُتَرجِم]

(4) لِلوُقوفِ على تَعاطي رَسِل معَ هذهِ المُشكِلَةِ، يُنظَر: (1917, p. 208).

المُساوي والمُشارِكُ في الأَبَدِيَّةِ لِيَسوعَ المَسيحِ ولِلرُّوحِ القُدُسِ ورَبَطَ المُسلِمُ لَفظَ 'الله' بِمَضمونٍ وَصفِيٍّ هوَ *خالِقُ الكَونِ، المَوجودُ المُتَفَرِّدُ والمُطلَقُ*، فلَن يَكونا مُتَّفِقَيْنِ في أيَّةِ دَعوَى يُنشِئانِها بِشَأنِ اللهِ. ويُمكِنُ القَولُ على نَحوٍ أعَمَّ إنَّهُ إذا كانَتِ الدَّعاوَى التي يُقِرُّها دينٌ مّا (أو طائفةٌ دينِيَّةٌ مّا) وتَرفُضُها أديانٌ أُخرَى مُثبَتَةً في المَضمونِ الوَصفِيِّ لِلَفظِ 'الله'، فسيَكونُ المُتَحَدِّثونَ المُنتَسِبونَ إلى الأديانِ أو الطَّوائفِ المُختَلِفَةِ مُتَحَدِّثِينَ في أغراضٍ مُتَضادَّةٍ عندَ حَديثِهِم عن اللهِ (Alston 1991, pp. 259-260). فالمَسيحِيُّونَ وغَيرُ المَسيحِيِّينَ، على سبيلِ المِثالِ، لَن يَكونوا قادِرِينَ على الاتِّفاقِ بِشَأنِ اللهِ حتّى في النِّقاطِ الواضِحَةِ الانسِجامِ لأنَّهُم سيَكونونَ مُحيلِينَ على أشياءَ مُختَلِفَةٍ. وهذهِ نتيجَةٌ صادِمَةٌ لِلحِسِّ تَمامًا.

ثُمَّ إنَّ الوَصفِيَّةَ تُعاني إشكالِيَّةً فَلسَفِيَّةً لِسَبَبٍ آخَرَ. ذلكَ بِأنَّهُ إذا ما رَبَطَ شَخصٌ مّا مَضمونًا وَصفِيًّا هوَ *خالِقُ الكَونِ، المُساوي والمُشارِكُ في الأَبَدِيَّةِ لِيَسوعَ المَسيحِ ولِلرُّوحِ القُدُسِ* بِلَفظِ 'الله'، فسَتكونُ الجُملَةُ (9) مُكافِئَةً لِلجُملَةِ (10) في ما يَأتي:

9. اللهُ خَلَقَ العالَمَ.

10. خالِقُ الكَونِ، المُساوي والمُشارِكُ في الأَبَدِيَّةِ لِيَسوعَ المَسيحِ ولِلرُّوحِ القُدُسِ، خَلَقَ العالَمَ.

لكِنَّ ذلكَ يَبدو خَطَأً: فالجُملَةُ (10) صادِقَةٌ صِدقًا تَحليلِيًّا، في حينِ أنَّ الجُملَةَ (9) لا تَبدو تَحليلِيَّةً حَتّى لِلشَّخصِ الذي يَرَى أصلًا أنَّ اللهَ خالِقٌ لِلكَونِ. ويُمكِنُ القَولُ عُمومًا إنَّهُ إذا كانَ لَدَينا اسمٌ هوَ س ومَضمونٌ وَصفِيٌّ هوَ ص، فسَتكونُ النَّتيجَةُ بِحَسَبِ الرُّؤيَةِ الوَصفِيَّةِ هيَ أنَّ 'س هوَ ص' صادِقَةٌ صِدقًا تَحليلِيًّا. وليسَ هذا عَلى ما يَبدو صَحيحًا.

وثَمَّةَ مَوقِفٌ وَصفِيٌّ أكثرُ تَطوُّرًا اقتَرَحَهُ فِتغِنشتاين (1953, p. 79) وطَوَّرَهُ سيرل Searle* (1958) مُفادُهُ أنَّ ثَمَّةَ عُنقودًا مِن الأوصافِ يَرتَبِطُ بِاسمِ العَلَمِ. *فالوَصفُ العُنقودِيُّ* يُحَدِّدُ عَدَدًا مِن الصِّفاتِ المُمَيِّزَةِ لِلمَرجِعِ. ويُمكِنُ أن يُستَعمَلَ اسمُ العَلَمِ استِعمالًا مُلائمًا مِن غَيرِ الوَفاءِ بِمُقتَضَياتِ جَميعِ عَناصِرِ الوَصفِ العُنقودِيِّ. ويَعرِضُ سيرل هذا المَوقِفَ على النَّحوِ الآتي:

> لِنفترِضْ أنّا سَألنا مُستعمِلِي اسمَ 'أرسطو' أن يُبَيِّنوا ما يَعُدُّونَهُ حَقائقَ يَقينِيَّةً وأساسِيَّةً وثابِتَةً بِشَأنِهِ. فستَكونُ إجاباتُهُم مَجموعَةً مِن العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الوَصفِيَّةِ الإحالِيَّةِ المُتَفَرِّدَةِ. [90] فالذي أذهَبُ إليهِ أنَّ القُوَّةَ الوَصفِيَّةَ لِقَولِنا: 'هذا أرسطو' هيَ تَقريرُ أنَّ عَدَدًا كافِيًا مِن هذهِ العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ، وإن كانَ بَعدُ غَيرَ مُحَدَّدٍ، صادِقٌ بِشَأنِ هذا المَوضوعِ.
> (1958, p. 171)

فالنَّظرِيَّةُ العُنقودِيَّةُ إذَن لا تَعُدُّ أيَّ مُكَوِّنٍ مَخصوصٍ مِن مُكوِّناتِ الوَصفِ العُنقودِيِّ أو حَتّى الوَصفَ العُنقودِيَّ كامِلًا مُكافِئًا لِمَضمونِ الاسمِ، مُتَجَنِّبَةً بِذلكَ مُشكِلَةَ تَحليلِيَّةِ الجُملَةِ (9). وقَد يَكونُ بِإمكانِ النَّظرِيَّةِ العُنقودِيَّةِ لأسماءِ الأعلامِ المُطَبَّقَةِ على لَفظِ 'الله' أن تكونَ قادِرَةً أيضًا على تَجَنُّبِ مُشكِلَةِ المَضامينِ المُختَلِفَةِ التي يُثبِتُها في الاسمِ مُؤمِنونَ مُختَلِفو الدِّياناتِ. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ عُنقودَ أوصافِ 'الله' يَشتَمِلُ على أوصافٍ مُختَصَّةٍ بِالاعتِقادِ المَسيحِيِّ وعلى أوصافٍ مُختَصَّةٍ بِالاعتِقادِ الإسلامِيِّ أيضًا، مِن غَيرِ جَعلِ أيٍّ مِن هذهِ الأوصافِ ضَرورِيًّا لِصِحَّةِ استِعمالِ الاسمِ. فلِذلكَ، لَن يَكونَ المَسيحِيُّونَ والمُسلِمونَ مُحيلِينَ على شَيئَيْنِ مُختَلِفَيْنِ

* جون روجرز سيرل (1932–...م). فَيلَسوفٌ أمريكِيٌّ. اهتَمَّ بخاصَّةٍ بِفَلسَفَةِ اللُّغَةِ وبِفَلسَفَةِ العَقلِ، وكانَ أستاذَ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ باركلي في كالِفورنيا. أثَّرَ فيهِ أستاذُهُ جون أوستِن، وأكَّدَ أنَّ الوَحدَةَ الأساسِيَّةَ لِلتَّواصُلِ هيَ الفِعلُ الكَلامِيُّ، وطَوَّرَ نَظَرِيَّةً مُتَجانِسَةً لِلأفعالِ الكَلامِيَّةِ، جاعِلًا بُؤرَةَ اهتِمامِهِ مُختَلِفَ أنواعِ القَصدِ الذي يُمَيِّزُ التَّواصُلَ اللِّسانِيَّ. مِن مُؤلَّفاتِهِ: (العَقلُ واللُّغَةُ والمُجتَمَعُ: الفَلسَفَةُ في العالَمِ الواقِعِيِّ)؛ و(القَصدِيَّةُ: بَحثٌ في فَلسَفَةِ العَقلِ)؛ و(أفعالُ الكَلامِ: دِراسَةٌ في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ). [المُترجِم]

بِمُجَرَّدِ استِعمالِهِم كَلِمَةَ 'الله'، بِشَرطِ أن يَستَعمِلوا (أو أن يَكونوا مَيّالِينَ إلى أن يَستَعمِلوا) أوصافًا مِن العُنقودِ نَفسِهِ.

ومِمّا يَنبَغي أن يَكونَ قد اتَّضَحَ أصلًا مِن الأسبابِ المَذكورَةِ مِن قَبلُ أنَّ الأبوفاتيكِيَّةَ لا يُمكِنُها أن تَقبَلَ النَّظرِيَّةَ الوَصفِيَّةَ لِلإحالَةِ سَواءٌ أكانَتْ عُنقودِيَّةَ الوِجهَةِ أم لَم تَكُنْ. فأيُّ مَضمونٍ وَصفِيٍّ يُستَعمَلُ لِتَمييزِ اللهِ مِن خِلالِ أوصافٍ ذاتِيَّةٍ ستَكونُ عاقِبَتُهُ، استِنادًا إلى الأبوفاتيكِيَّةِ، هيَ الإخفاقَ. على أنَّ عَدَدًا مِن الاعتِراضاتِ المُلزِمَةِ على النَّظرِيَّةِ الوَصفِيَّةِ، التي يُعَدُّ أشهَرَ مَن أثارَها كَيْث دونِلن Keith Donnellan* (1972) ودَيْفِد كابلن David Kaplan** (1989) وصول كريبكه Saul Kripke*** (1977; 1980)، أدَّى إلى إعادَةِ إحياءِ الاهتِمامِ بِمَذهَبِ مِلْ. وسَأسوقُ في الآتي اثنَيْنِ مِن هذهِ الاعتِراضاتِ.

أمّا أوَّلُهُما فَهوَ أنَّ مِن الميزاتِ الواضِحَةِ لِلنَّظرِيَّةِ الوَصفِيَّةِ أنَّها تُقَدِّمُ أطروحَةً لِكُلٍّ مِن مَعنى الاسمِ وكَيفِيَّةِ تَسمِيَةِ الاسمِ ما يَحمِلُهُ: فالاسمُ وَصفٌ اختِزالِيٌّ

---

* كَيْث سيجوك دونِلن (1931-2015م). فَيلَسوفٌ أمريكِيٌّ، وأُستاذٌ في قِسمِ الفَلسَفَةِ بِجامِعَةِ كالِفورنيا. أسهَمَ في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ، ولا سِيَّما تَحليلُ أسماءِ الأعلامِ والأوصافِ التَّعريفِيَّةِ. مِن آثارِهِ: (''الإحالَةُ والأوصافُ التَّعريفِيَّةُ'')؛ و(''أسماءُ الأعلامِ والأوصافُ التَّعريفِيَّةُ'')؛ و(مَقالاتٌ في الإحالَةِ، واللُّغَةِ، والعَقلِ). [المُتَرجِم]

** دَيْفِد بِنيامين كابلن (1933-...م). فَيلَسوفٌ أمريكِيٌّ، وأُستاذُ فَلسَفَةِ العِلمِ في قِسمِ الفَلسَفَةِ بِجامِعَةِ كالِفورنيا. يَنصَبُّ اهتِمامُهُ عَلى فَلسَفَةِ اللُّغَةِ، والمنطِقِ، والميتافيزيقا، ونَظَرِيَّةِ المَعرِفَةِ، وفَلسَفَتَيْ فريجه ورَسِل. مِن مَنشوراتِهِ: (''الكَلِمات'')؛ و(''مُشكِلَةٌ في عِلمِ الدَّلالَةِ العالَمِيِّ المُمكِن'')؛ و(فَلسَفَةُ دَيْفِد كابلن). [المُتَرجِم]

*** صول كريبكه (1940-...م). فَيلَسوفٌ، ومَنطِقِيٌّ أمريكِيٌّ. أُستاذُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ نيويورك، وأُستاذٌ في جامِعَةِ برنستون. أصبَحَ مُنذُ سِتِّينِيّاتِ القَرنِ العِشرينَ شَخصِيَّةً مَركَزِيَّةً في عَدَدٍ مِن الحُقولِ المُتَعَلِّقَةِ بِالمنطِقِ الرِّياضِيِّ، وفَلسَفَةِ اللُّغَةِ، وفَلسَفَةِ الرِّياضِيّاتِ، والميتافيزيقا، ونَظَرِيَّةِ المعرِفَةِ، ونَظَرِيَّةِ المجموعاتِ. لا يَزالُ كَثيرٌ مِن أعمالِهِ غَيرَ مَنشورٍ أو غَيرَ مَوجودٍ إلّا بِصيغَةِ تَسجيلاتٍ عَلى أشرِطَةٍ ومَخطوطاتٍ غَيرِ مُتَداوَلَةٍ إلّا في نِطاقٍ ضَيِّقٍ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (التَّسمِيَةُ والضَّرورَة)؛ و(مُشكِلاتٌ فَلسَفِيَّة - بُحوثٌ مَجموعَةٌ، الجُزءُ الأوَّل)؛ و(الإحالَةُ والوُجودُ - مُحاضَراتُ جون لوك). [المُتَرجِم]

مُعَرِّفٌ (طِبقًا لِنُسخَةِ رَسِل مِن النَّظريَّةِ)، والشَّيْءُ المُسَمّى هوَ ما يَفي بِمُقتَضَياتِ هذا الوَصفِ. لكِن مِمّا يُؤسَفُ عليهِ أنَّ استِعمالَ الوَصفِ التَّعيينِيِّ المُعَرِّفِ لا يَكفي لِتَسمِيَةِ الشَّيْءِ. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ جَيْن قَد تَعَلَّمَت اسمَ 'شَيْكسبير Shakespeare'* في المَدرَسَةِ وأنَّ الحَقيقَةَ الأساسيَّةَ التي تتذَكَّرُها هيَ أنَّ شيكسبير هوَ مُؤلِّفُ مَسرحيَّةِ *هامْلِت Hamlet*. فإذا ما سُئِلَتْ: 'مَنْ شَيْكسبير؟'، أجابَتْ بِثِقَةٍ: 'مُؤَلِّفُ *هامْلِت*'. فالذي تَذهَبُ إليهِ الوَصفِيَّةُ أنَّ 'مُؤَلِّف *هامْلِت*' وَصفٌ مُعَرِّفٌ يُقَدِّمُ مَضمونَ الاسمِ ويُحَدِّدُ الشَّيْءَ المُسَمّى. لكِن لِنَفتَرِضْ أنَّ فرانسِس بَيْكن Francis Bacon** هوَ مَن كَتَبَ *هامْلِت*. فعِندَئذٍ سيَكونُ وَصفُ جَيْن كاذِبًا في ما يَتَعَلَّقُ بِشَيْكسبير، وسيُخفِقُ 'شَيْكسبير' استِنادًا إلى النَّظريَّةِ الوَصفِيَّةِ إمّا في تَمييزِ شَيْءٍ مّا وإمّا في تَسمِيَةِ فرانسِس بَيْكن. على أنَّهُ لا يَبدو أنَّ جَيْن كانَت تَستَعمِلُ اسمَ 'شَيْكسبير' لِلحَديثِ عن بَيْكن طَوالَ هذا الوَقتِ. بَل يَبدو أنَّها كانَت تَتَحَدَّثُ عن شَيْكسبير حينَ قالَتْ 'شَيْكسبير' لكِن كانَ لَها اعتِقادٌ كاذِبٌ بِشَأنِهِ. [91] وبِالإمكانِ إثارَةُ المُشكِلَةِ نَفسِها بِشَأنِ النَّظريّاتِ العُنقوديَّةِ. فإن رَبَطْنا عَدَدًا مِن الأوصافِ بِاسمِ 'شَيْكسبير' - أنَّهُ مُؤَلِّفُ *هامْلِت*، وأنَّهُ وُلِدَ عامَ 1564 في ستراتفورد أبون أيفن Stratford-upon-Avon، وأنَّهُ كانَ لاعِبًا معَ رِجالِ اللورد تشامبَرلَيْن Lord Chamberlain's Men، وما إلى ذلكَ - أمكَنَ عَلى ما يَبدو أن نَكونَ مُخطِئينَ

* وِليَم شَيْكسبير (1564-1616م). شاعِرٌ، وكاتِبٌ إنجليزيٌّ يُصَنَّفُ بوصفِهِ أعظمَ كاتبٍ بِاللُّغَةِ الإنجليزيَّةِ، وأعظمَ كاتِبٍ مَسرَحِيٍّ في العالَم، وكثيرًا مّا يُعَدُّ الشّاعِرَ الوَطَنِيَّ لإنجلترا. سَبَرَ في مَسرَحيّاتِهِ أغوارَ النَّفسِ البَشَريَّةِ وحَلَّلَها في بِناءٍ مُتَناسقٍ جَعَلَها أشبَهَ شَيءٍ بِالسّمفونيّاتِ الشّعريَّةِ. مِن أشهَرِ آثارِهِ الكوميديَّةِ: (كوميديا الأخطاء)، و(تاجِرُ البُندُقيَّةِ)؛ ومِن أشهَرِ آثارِهِ التراجيديَّةِ: (روميو وجولييت)؛ و(يوليوس قيصر)؛ و(هامْلِت)؛ و(عُطَيل)؛ و(ماكبث). [المُترجِم]

** فرانسِس بَيْكن (1561-1626م). فَيلَسوفٌ، ورَجُلُ دَولةٍ، وكاتِبٌ، وخَطيبٌ إنجليزيٌّ، مَعروفٌ بِقِيادَتِهِ لِلثَّورَةِ العِلمِيَّةِ بِفَلسَفَتِهِ الجَديدَةِ القائمةِ على المُلاحظةِ والتَّجريبِ. كانَ مِن الرُّوّادِ الذينَ تَنَبَّهوا إلى عَدَمِ جَدوَى المنطِقِ الأرسطِيِّ الذي يَعتَمِدُ على القِياسِ. من آثارِهِ: (تاريخُ الحَياةِ والموت)؛ و(أطلانطا الجَديدَة). [المُترجِم]

نِظامِيًّا في جَميعِ هذهِ التَّفصيلاتِ في الوَقتِ الذي نَظَلُّ فيهِ مُحيلِينَ على شَيْكسبير. لِذلكَ يَبدو أنَّ النَّظَرِيَّةَ الوَصفِيَّةَ تُوَلِّدُ الاستِنتاجَ الخَطَأَ بِشأنِ ما يُحيلُ الاسمُ عليهِ.

وأمّا الاعتِراضُ الثّاني فهو أنَّ بِإمكانِ المُتَحَدِّثِينَ أن يُحيلوا على أشياءَ في الوَقتِ الذي يَفتَقِرونَ فيهِ إلى المَصادِرِ الوَصفِيَّةِ التي تَقتَضي النَّظرِيَّةُ الوَصفِيَّةُ أن يَكونوا حائزِينَ لَها. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ جَيْن قَد سَمِعَتْ أنَّ دَيْفِد أتينبورو David Attenborough* ذو نَزعَةٍ طَبيعِيَّةٍ. فَكَونُهُ ذا نَزعَةٍ طَبيعِيَّةٍ هوَ الصِّفَةُ الوَحيدَةُ التي تَربِطُها بِثِقَةٍ بِاسمِ 'دَيْفِد أتينبورو'. على أنَّ مِن الواضِحِ أنَّ كَونَهُ ذا نَزعَةٍ طَبيعِيَّةٍ لا يُعَيِّنُ دَيْفِد أتينبورو تَعيينًا مُتَفَرِّدًا؛ ثُمَّ إنَّ جَيْن لا تَعتَقِدُ أنَّهُ لا يُوجَدُ سِوَى شَخصٍ واحِدٍ ذي نَزعَةٍ طَبيعِيَّةٍ. ومعَ ذلكَ، يَبدو أنَّ جَيْن تَنجَحُ في الإحالَةِ على رِتشارد أتينبورو Richard Attenborough** عندَ استِعمالِها اسمَهُ وإنْ كانَ الاسمُ يَفتَقِرُ إلى المَضمونِ الوَصفِيِّ اللازِمِ لِتَحديدِ الشَّخصِ المُسَمّى تَحديدًا مُتَفَرِّدًا. فهاتانِ الحُجَّتانِ، اللَّتانِ تُسَمَّيانِ أحيانًا حُجَّتَيْ الخَطَإِ والجَهلِ (Devitt and Sterelny, 1999)، تَدعَمانِ الفِكرَةَ المَوروثَةَ مِن مِلْ وهيَ أنَّ اسمَ العَلَمِ يُحيلُ على مَرجِعِهِ مِن غَيرِ تَوَسُّطِ مَضمونٍ وَصفِيٍّ[5].

---

* دَيْفِد فريدرك أتينبورو (1926-...م). مُذيعٌ، ومُؤَرِّخٌ طَبيعِيٌّ إنجليزِيٌّ. أكثَرُ ما يُعرَفُ بِهِ كِتابَتُهُ السِّلسِلَةَ الوَثائقِيَّةَ لِلتّاريخِ الطَّبيعِيِّ وتَقديمُها في هَيئَةِ الإذاعَةِ البريطانِيَّةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الحَياةُ في الأرض)؛ و(الكَوكَبُ الحَيّ)؛ و(أطلَسُ العالَمِ الحَيّ). [المُتَرجِم]

** رِتشارد صاموئيل أتينبورو (1923-2014م). مُمَثِّلٌ، ومُنتِجُ أفلامٍ، وسِياسِيٌّ إنجليزِيٌّ. هوَ الأخُ الأكبَرُ لِلمُذيعِ والمُؤَرِّخِ الطَّبيعِيِّ دَيْفِد فريدرك أتينبورو. [المُتَرجِم]

(5) ذَهَبَ كريبكه زِيادَةً على ذلكَ إلى أنَّ أسماءَ الأعلامِ، بِخِلافِ الأوصافِ المُعَرَّفَةِ، تُسَمّي الشَّيْءَ الواحِدَ في عالَمَيْنِ مُمكِنَيْنِ مُختَلِفَيْنِ. وتَعتَمِدُ هذهِ الحُجَجُ على الحُدوسِ المُوَجَّهَةِ التي هيَ أقَلُّ إلزامًا مِن تلكَ التي تُحيلُ على الشَّيْءِ في الوَقتِ الذي تَكونُ فيهِ جاهِلَةً أو مُخطِئَةً بِشأنِهِ. وهيَ، بِخِلافِ الاعتِراضاتِ التي سَرَدْناها هُنا، تُقَدِّمُ مُشكِلاتٍ تَعتَرِضُ سَبيلَ النَّظرِيّاتِ الوَصفِيَّةِ التي تَعُدُّ أسماءَ الأعلامِ مُرادِفَةً لِلأوصافِ المُعَرَّفَةِ لا النَّظرِيّاتِ الوَصفِيَّةِ التي تَعُدُّ الأوصافَ المُعَرَّفَةَ هيَ ما يُقَرِّرُ تَسمِيَةَ اسمِ العَلَمِ. وهذهِ الحُجَجُ أقَلُّ إقناعًا أيضًا في السِّياقِ الحالِيِّ لأنَّ المَضمونَ الوَصفِيَّ الذي يُمكِنُ أن يُعَدَّ مُكَوِّنًا لِجُزءٍ مِن مَضمونِ 'الله' قَد يَشتَمِلُ على صِفاتٍ يَحوزُها اللهُ في جَميعِ العَوالِمِ المُمكِنَةِ. ولِلوُقوفِ عَلى مَزيدٍ مِن المُناقَشَةِ، يُنظَر: Sosa (2001).

اللاوَصفِيَةُ مَرَّةً أُخرَى

إنَّ المُشكِلاتِ التي اعترَضَت طَريقَ الوَصفِيَّةِ أَدَّتْ إلى إحياءِ نَظَريّاتٍ لاوَصفِيَّةٍ لِلإحالَةِ. وقَد كانَتْ لِهذهِ النَّظريّاتِ جاذِبِيَّةٌ واضِحَةٌ لَدَى اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ لأنَّها تَسمَحُ بِالإحالَةِ على اللهِ حَتّى معَ الإخفاقِ النِّظامِيِّ في الأوصافِ التي قَد نَربِطُها بِاستِعمالِ الاسمِ. ولَمّا كانَتِ الأبوفاتيكيَّةُ تَعُدُّ الكَثيرَ مِن أوصافِنا لِلّهِ كاذِبَةً لكِنَّها تَفترِضُ أنّا قادِرونَ على الإحالَةِ على اللهِ، ظَهَرَتِ النَّظريّاتُ اللاوَصفِيَّةُ بِمَظهَرِ المُقَدِّمَةِ لِطَريقَةٍ مُوَفَّقَةٍ لِلتَّخَلُّصِ مِن تَبِعاتِ الاعتِراضِ الذي مُفادُهُ أنَّ النَّظريَّةَ تُبطِلُ الإحالَةَ على اللهِ. على أنَّهُ لا بُدَّ مِن أن تَكونَ لِلنَّظريّاتِ اللاوَصفِيَّةِ جاذِبِيَّةٌ أكبرُ في فَلسَفَةِ الدِّينِ. فمِنَ المُثيرِ لِلاهتِمامِ تَعاطُفُ وِليَم أولستن معَ النَّظريَّةِ اللاوَصفِيَّةِ بِوَصفِها النَّظريَّةَ التي تَسمَحُ لِذَوي الاعتِقاداتِ الكاذِبَةِ بِشَأنِ اللهِ أن يَكونوا قادِرِينَ على التَّحَدُّثِ عن اللهِ. وعلى الرَّغمِ مِن اعتِقادِ أولستن إمكانَ أن يُمَثَّلَ اللهُ تَمثيلًا صادِقًا ورَفضِهِ الأبوفاتيكِيَّةَ، يَرَى أنَّهُ إذا كانَتِ الأوصافُ المَربوطَةُ بِـ 'الله' كاذِبَةً - وقَد يَكونُ مَرَدُّ ذلكَ إلى سُوءِ الفَهمِ أو إلى مَحدودِيَّةِ طَبيعَتِنا الخَطّاءَةِ - ومُخفِقَةً في تَمثيلِ أيِّ شَيْءٍ واقِعِيٍّ، فعِندَئذٍ يَكونُ 'النّاسُ مُحيلِينَ على *اللهِ*، ومُتَوَجِّهينَ بِصَلَواتِهِم إليهِ، ومُتَعَبِّدِينَ لَهُ، لكِنَّهُم، ويا للأَسَفِ، يَكونونَ حائزِينَ لِمَعلوماتٍ مُضَلِّلَةٍ جَذرِيًّا بِشَأنِ طَبيعَتِهِ وأغراضِهِ' (1989, p. 111). فإذا لَم يَكُنْ أولستن يَعتَقِدُ أنّا مُخطِئونَ كُلِّيًّا، فإنَّهُ يَتَّخِذُ [92] إمكانَ الخَطَإِ الجَذرِيِّ أساسًا لِتَفضيلِ النَّظريَّةِ التي تَذهَبُ إلى أنَّ تَسمِيَةَ 'الله' لا يُقَرِّرُها المَضمونُ الوَصفِيُّ.

وتَتَجَنَّبُ النَّظريّاتُ المِلْيانِيَّةُ تَجَنُّبًا تامًّا أيضًا المُشكِلَةَ المَذكورَةَ مِن قَبلُ المُتعلِّقَةَ بِرَبطِ مُؤمِني أديانٍ أو طَوائفَ مُختَلِفَةٍ أوصافًا مُختَلِفَةً بِاللهِ، بِما يُوَلِّدُ تَنافِياتٍ بينَ مَضامينِ 'الله' بِحَسَبِ استِعمالِ مُتَحَدِّثِينَ مُختَلِفِينَ لَهُ. فبِخِلافِ النَّظريَّةِ الوَصفِيَّةِ، لا تَحتاجُ النَّظريَّةُ المِلْيانِيَّةُ المُتَعَلِّقَةُ بِـ 'الله' إلى أن تُقَدِّمَ وَصفًا عُنقودِيًّا يَكونُ مُختَلِفُ المُؤمِنِينَ مَيّالِينَ إلى استِعمالِهِ. ثُمَّ إنَّ المِلْيانِيَّةَ في مَنأًى كذلِكَ عن

المُشكِلَةِ التي تَعترِضُ طريقَ النَّظريّاتِ الوَصفِيَّةِ والتي تَنجُمُ عن الصُّعوباتِ الفَلسَفِيَّةِ المُتعلِّقَةِ بِالاتِّساقِ الدّاخِلِيِّ لِبَعضِ المَحمولاتِ الإلهِيَّةِ. مِثالُ ذلكَ المُشكِلَةُ المَشهورَةُ المُتعلِّقَةُ بِكُلِّيَّةِ القُدرَةِ وهيَ مُفارَقَةُ الصَّخرَةِ (Savage, 1967): فإن كانَ بِإمكانِ اللهِ أن يَخلُقَ صَخرَةً ثَقيلَةً جِدًّا بِحَيثُ لا يُمكِنُهُ رَفعُها، فهذا يَعني أنَّ ثَمَّةَ شَيئًا لا يُمكِنُهُ فِعلُهُ (أي رَفعَ الصَّخرَةِ التي كانَ قَد خَلَقَها)، لكِن إن لَم يَكُنْ بِإمكانِ اللهِ أن يَخلُقَ صَخرَةً ثَقيلَةً جِدًّا بِحَيثُ لا يُمكِنُهُ رَفعُها، فهذا يَعني كذلِكَ أنَّ ثَمَّةَ شَيئًا لا يُمكِنُهُ فِعلُهُ (خَلقَ الصَّخرَةِ). فالنَّظريَّةُ اللاوَصفِيَّةُ لِلإحالَةِ الدِّينِيَّةِ تَضمَنُ عَدَمَ إبطالِ هذهِ المُشكِلاتِ الحَديثَ عن اللهِ. فما دامَ الوَصفُ ليسَ ضامِنًا لِلإحالَةِ على اللهِ، ولَو كانَتْ بَعضُ المَحمولاتِ الرَّئيسَةِ المُستَعمَلَةِ لِلّهِ مُتناقِضَةً، فسيَظَلُّ بِإمكانِ كلِمَةِ 'الله' الإحالَةُ على اللهِ.

فهَل عَلَينا مِن أجلِ ذلكَ أن نَتَبَنّى نَظريَّةً مِلْيانِيَّةً بِشَأنِ مَعنَى الأسماءِ، مُفادُها أنَّ كُلَّ ما يُقَدِّمُهُ الاسمُ لِمَعنَى الجُملَةِ هوَ مَرجِعُهُ؟ وقَد رَأَينا أنَّهُ يَلزَمُ مِن المَنظورِ المِلْيانِيِّ أن يَكونَ لِلأسماءِ المُختَلِفَةِ ذاتِ المَرجِعِ الواحِدِ مَعنًى واحِدٌ. ويَعتَقِدُ جونستن، الذي يَتَبَنّى نَظريَّةً مِلْيانِيَّةً في الأسماءِ عُمومًا، أنَّ هذهِ النُّقطَةَ يُمكِنُ أن تُستَعمَلَ لإظهارِ أنَّ النَّظَريَّةَ المِلْيانِيَّةَ لا تُطَبَّقُ على 'الله' وأنَّ 'الله' ليسَ اسمًا، إذ يَقولُ:

> إنَّ مِن دَواعي التَّماسُكِ المَنطِقِيِّ أن يُشَكَّ، كما شَكَّ اللاهوتِيُّ مَرقيون Marcion* في القَرنِ الثّاني، في حَقيقَةِ كَونِ يَهوه Yahweh** هوَ اللهَ. وقَد

---

* مَرقيون السّينوبيُّ (85-160م). ابنُ أسقُفِ سينوب في إقليم البنطس على شاطِئِ البَحرِ الأسوَدِ. أثَّرَتْ فيهِ الأفكارُ الغنوصِيَّةُ، فحَرَمَهُ والِدُهُ مِن الكَنيسَةِ، فخَرَجَ مِن سينوب وطافَ آسيا الصُّغرى، ووَصَلَ إلى روما فمَنَحَ كنيستَها هَدِيَّةً مادِّيَّةً كبيرَةً، ونَشَرَ تَعاليمَهُ، وتَجَمَّعَ حَولَهُ كثيرٌ مِن الأتباعِ. وقَد رَفَضَ لاهوتُهُ الألوهِيَّةَ الموصوفَةَ في الكُتُبِ المُقَدَّسَةِ العِبريَّةِ. [المُترجِم]

** يَهوه: أحرُفٌ مُقَدَّسَةٌ يَتَألَّفُ مِنها اسمُ اللهِ عِندَ العِبرانِيِّينَ. وبِسَبَبِ خاصِّيَّتِها المُقَدَّسَةِ، اتَّجَهَ اليَهودُ مُنذُ نَحوِ عام 300 ق.م إلى تَجَنُّبِ نُطقِ تِلكَ الأحرُفِ عِندَ قِراءَةِ الكِتابِ المُقَدَّسِ، واستَبدَلوا بِها كلِمَةَ (أدوناي)، أي (الرَّبّ) بِالعِبريَّةِ. وحينَ دَخَلَتِ الحُروفُ المُتَحَرِّكَةُ =

شَكَّ مَرقيون أيضًا في كَونِ الإلهِ الذي ظَهَرَ لإبراهيمَ هوَ اللهَ. فإذا كانَ مَرقيون مُخطِئًا في ذلكَ، فَخَطَؤُهُ لا يَتَعَلَّقُ بِمَعاني الكَلِماتِ. إنَّهُ يتعلَّقُ بِالحَقائقِ اللاهوتِيَّةِ لِلأَمرِ. وهذا نَفسُهُ يَستَلزِمُ أَنَّ 'يَهوه' لا يَعني 'الله...' إذ لَو كانَ هذانِ مُتَكافِئَيْنِ في المَعنَى، ما كانَ ثَمَّةَ مَجالٌ لِحُدوثِ أخطاءٍ واقِعِيَّةٍ ذاتِ صِلَةٍ. (2011, p. 6)

ويُمكِنُ أن تُعادَ صِياغَةُ هذهِ الحُجَّةِ على النَّحوِ الآتي:

11. يَعتَقِدُ مَرقيون أنَّ يَهوه هوَ اللهُ.

12. يَعتَقِدُ مَرقيون أنَّ اللهَ هوَ اللهُ.[93]

فالجُملَتانِ (11) و(12) لا تَختَلِفانِ إلّا في إحلالِ 'يَهوه' مَحلَّ 'الله'، بيدَ أنَّ الجُملَةَ (11) كاذِبَةٌ والجُملَةَ (12) صادِقَةٌ. ويُظهِرُ هذا، استِنادًا إلى ما يَقولُهُ جونستن، أنَّ 'يَهوه' لا يُمكِنُ أن يَكونَ مَعناهُ هوَ مَعنَى 'الله' نَفسَهُ. ذلكَ بِأنّا لَو افترَضْنا أنَّ يَهوه هوَ اللهُ لَكانَ مَرقيون قَد ارتَكَبَ خَطَأً لاهوتِيًّا بِاعتِقادِهِ أنَّ يَهوه ليسَ هوَ اللهَ، لكِن لا يُمكِنُ اتِّهامُهُ بِاعتِقادِ أنَّ اللهَ ليسَ هوَ اللهَ، وهذا ما سيُمَثِّلُ تَخَبُّطًا لُغَوِيًّا عَبَثِيًّا. بيدَ أنَّ جونستن يَعرِضُ ما يُمَثِّلُ مُشكِلَةً حَقيقيَّةً لِلنَّظَريَّةِ المِلْيانِيَّةِ في الأسماءِ كما لَو أنَّها سبَبٌ لاعتِقادِ أنَّ 'الله' ليسَ اسمًا. ويُعَدُّ الاعتِراضُ نُسخَةً مِن الاعتِراضِ السّابِقِ على المِلْيانِيَّةِ: أنَّ تَبادُلَ الأسماءِ المُشتَرَكَةِ الإحالَةِ المُضَمَّنَةِ في صِفاتٍ مَوقِفِيَّةٍ قَضَوِيَّةٍ يُمكِنُ أن يُوَلِّدَ تَغَيُّرًا في قيمَةِ صِدقِ هذهِ الصِّفاتِ. فهذا الاعتِراضُ إذَن لا يَتَعَلَّقُ تَعَلُّقًا خاصًّا بِالإحالَةِ *الدّينِيَّةِ* ولا يُقَدِّمُ سَبَبًا لاعتِقادِ أنَّ 'الله' ليسَ اسمًا أفضَلَ مِن سَببِ اعتِقادِ أنَّ 'جورج أورويل' و'إيرك بلير' لَيسا اسمَيْنِ.

= في المَخطوطاتِ العِبريَّةِ، حُشِرَتْ أحرُفُ كلِمَةِ (أدوناي) في الحُروفِ المُقَدَّسَةِ. ومُنذُ القَرنِ السّادِسَ عَشَرَ، استَقَرَّت الكلمَةُ المُوَلَّدَةُ (يَهوه) بإدماجِ الأحرُفِ المُتَحَرِّكَةِ والأحرُفِ السّاكِنَةِ. ويُعتَقَدُ عُمومًا أنَّ النُّطقَ الأصليَّ كانَ (يَهوه) أو (جيهوفه)، ويُستَعمَلُ كِلا هذَيْنِ الشَّكلَيْنِ في أعمالِ الدّارِسينَ. [المُترجِم]

وتُذَكِّرُنا مُشكِلَةُ استِبدالِ الأسماءِ المُشتَرَكَةِ الإحالَةِ بِأنَّهُ على الرَّغمِ مِن جَميعِ الصُّعوباتِ التي تَبدو عَصِيَّةً على التَّذليلِ والتي تَكتَنِفُ الوَصفِيَّةَ، تَظَلُّ الاعتِراضاتِ على المِلْيانِيَّةِ التي أُثيرَتْ مِن قَبلُ غَيرَ مُجابٍ عنها. وقَد سُخِّرَ قَدْرٌ كبيرٌ مِمّا كُتِبَ حَديثًا في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ لِمُعالَجَةِ هذهِ الاعتِراضاتِ. وثَمَّةَ مُحاوَلَةٌ واعِدَةٌ لِحَلِّ مُشكِلَةِ استِبدالِ الأسماءِ في النِّسَبِ المَوقِفِيَّةِ القَضَوِيَّةِ تَعتَمِدُ على التَّفريقِ بينَ مَضمونِ الجُملَةِ وما تُوحي بِهِ أو تتضَمَّنُهُ (Salmon, 1986)[6]. فَلْنَأخُذ المِثالَ السّابِقَ المُتَعلِّقَ بِاعتِقادِ لويز لَيْن بِشَأنِ سوبَرمان. فَإذا لَم يَكُن لاسمَيْ 'سوبَرمان' و'كلارك كنت' مَضمونٌ وَصفِيٌّ وكانَ سوبَرمان وكلارك كنت شَخصًا واحِدًا، فالذي يَبدو أنَّ الجُملَتَيْنِ (7) و(8) لا بُدَّ أن تُخبِرا بِشَيْءٍ واحِدٍ. ويَستَتبِعُ التَّأويلُ بِطَريقَةِ مِلْ أنَّ كِلتا الجُملَتَيْنِ صادِقَةٌ وأنَّ لويز لَيْن تَعتَقِدُ حَقًّا أنَّ كلارك كنت يُمكِنُهُ التَّحَرُّكُ بِأسرَعَ مِن الإطلاقَةِ المُسرِعَةِ. فَلِمَ تَبدو الجُملَةُ (8) كاذِبَةً إذَن؟ سَبَبُ ذلكَ أنَّها تتضَمَّنُ جُملَةً مُختَلِفَةً هيَ كاذِبَةٌ. فالجُملَةُ (8) تتضَمَّنُ أنَّ لويز لَيْن تُقِرُّ بِالقَضِيَّةِ التي مُفادُها أنَّ كنت يَتَحَرَّكُ بِأسرَعَ مِن الإطلاقَةِ المُسرِعَةِ، حَيثُ يُقَدِّمُ كنت مُتَنَكِّرًا بِشَخصِيَّةِ مُراسِلٍ صَحَفِيٍّ رَقيقٍ لِصَحيفَةِ دَيلي بلانِت *Daily*

---

(6) ثَمَّةَ اتِّجاهٌ دِفاعِيٌّ بارِزٌ آخَرُ يَرَى أنَّ أفعالَ المَوقِفِ القَضَوِيَّةَ كالفِعلِ يَعتَقِدُ *believe* يَنبَغي أن تُؤَوَّلَ على أنَّها تَنطَوي على مُكَوِّنٍ يَتَحَسَّسُ نَظرَةَ المُعتَقِدِ بِشَأنِ المَضمونِ القَضَوِيِّ الذي يُقالُ لِيُعتَقَدَ. فالجُملَةُ (11)، على سبيلِ المِثالِ، تُحَدِّدُ عَلاقَةً بينَ مَرقيون، والقَضِيَّةِ التي مُفادُها أنَّ يَهوه هوَ اللهُ، و'مُكَوِّنٍ غَيرِ مُفصَحٍ عَنهُ' أيضًا يتضَمَّنُ طَريقَةَ مَرقيون في التَّفكيرِ في القَضِيَّةِ ويَشتَمِلُ على طَريقَتِهِ في تَصَوُّرِ يَهوه واللهِ. فما دامَ مَرقيون يتَصَوَّرُ يَهوه واللهَ بِطَريقَتَيْنِ مُختَلِفَتَيْنِ إذ يتصَوَّرَ الأوَّلَ على أنَّهُ اللهُ الخاصُّ بِالعَهدِ القَديمِ والثّانِيَ على أنَّهُ اللهُ الخاصُّ بِالعَهدِ الجَديدِ، فبِإمكانِنا أن نَكشِفَ عَن سَبَبِ حِيازَةِ الجُملَتَيْنِ (11) و(12) قيمَتَيْ صِدقٍ مُختَلِفَتَيْنِ: فلِلمَوقِفَيْنِ القَضَوِيَّيْنِ كِلَيْهِما المُعتَقِدُ نَفسُهُ، والمَضمونُ القَضَوِيُّ نَفسُهُ، لكِنَّ لَهُما طَريقَتَيْنِ مُختَلِفَتَيْنِ لِتَمثيلِ القَضِيَّةِ، لِذلكَ لا تَعني العِبارَتانِ التَّقريرِيَّتانِ الشَّيْءَ نَفسَهُ ومِن المُمكِنِ أن تَختَلِفَ قيمَتا صِدقِهِما تَبَعًا لِحُدوسِنا. وتُسَمّى هذهِ أحيانًا *النَّظَرِيَّةَ التَّأشيرِيَّةَ الخَفِيَّةَ* *hidden indexical theory*، لأنَّها تُقَدِّمُ مُكَوِّنًا لِلمَواقِفِ القَضَوِيَّةِ يَختَلِفُ بِاختِلافِ السِّياقِ (أي طَريقَةِ تَفكيرِ المُعتَقِدِ في القَضِيَّةِ) ولا يُعَبَّرُ عنهُ صَراحَةً في الجُملَةِ. يُنظَر: Crimmins (1992).

Planet. لكِن مِن الواضِحِ أنَّ هذهِ الدَّعوَى المُضَمَّنَةَ كاذِبَةٌ: فلويز لا تُقِرُّ بِالقَضِيَّةِ حينَ تُقَدَّمُ بِالصِّفَةِ التَّنكُرِيَّةِ المُقَدَّمَةِ في الجُملَةِ (8). ويُمكِنُ القَولُ على العُمومِ إنَّهُ استِنادًا إلى هذا الدِّفاعِ عن المِلْيانِيَّةِ يُمكِنُ تَفسيرُ حالاتِ الاستِبدالِ المُشكِلَةِ بِأنّا نَخلِطُ بينَ القَضِيَّةِ التي المُعَبَّرِ عنها بِالجُملَةِ المُتَعلِّقَةِ بِالمَواقِفِ القَضَويَّةِ وما يَتَضَمَّنُهُ القَولُ مِن نَظرَةِ المُعتَقِدِ إلى دَعوَى التَّطابُقِ هذهِ.

ويُمكِنُ تَطبيقُ هذهِ النُّقطَةِ نَفسِها على مِثالِ مَرقيون. فإذا كانَ يَهوه هوَ اللهَ، كانَ مَرقيون بِاعتِقادِهِ أنَّ اللهَ هوَ اللهُ مُعتَقِدًا أيضًا أنَّ يَهوه هوَ اللهُ. وسببُ كَونِ الجُملَةِ (12) صادِقَةً في حينِ أنَّ الجُملَةَ (11) تَبدو كاذِبَةً هوَ أنَّ الجُملَةَ [94] (11) تتضَمَّنُ ما هوَ كاذِبٌ بِشأنِ نَظرَةِ مَرقيون إلى الأمرِ، أي أنَّهُ يُقِرُّ بِما يَأتي:

13. يَهوه هوَ اللهُ.

على أنَّ الجُملَةَ (11) لا تُخبِرُ - أي لَيسَتْ جُزءًا مِن مَضمونِ الجُملَةِ (11) - أنَّ مَرقيون نَفسَهُ يُقِرُّ بِالجُملَةِ (13). ويَستَتبِعُ هذا الدِّفاعُ عن المِلْيانِيَّةِ أنَّ مَرقيون لا يَرتَكِبُ خَطَأً لُغَوِيًّا عَبَثِيًّا بِذَهابِهِ إلى أنَّ يَهوه ليسَ هوَ اللهَ، على ما يَذهَبُ إليهِ جونستن. بَل يَكمُنُ خَطَؤُهُ في إخفاقِهِ في الحُصولِ على النَّظرَةِ الصَّحيحَةِ إلى اللهِ: إنَّهُ يُخفِقُ في تَمييزِ اللهِ المُتَخَفِّي في صُورَةِ اللهِ الذي ظَهَرَ لِمُوسَى[7].

وتَظَلُّ الطَّريقَةُ المُثلَى لِمُعالَجَةِ الاعتِراضاتِ على الصُّوَرِ الحَديثَةِ لِلمِلْيانِيَّةِ أو لِمَدَى إمكانِ الإجابَةِ عنها مِن المَوضوعاتِ الخِلافِيَّةِ في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ. ولا غَرابَةَ في أنَّهُ كانَتْ ثَمَّةَ مُحاوَلاتٌ أيضًا لإحياءِ النَّظرِيّاتِ الوَصفِيَّةِ لِلإحالَةِ، وإن قُدِّمَتْ

---

(7) اتَّخَذَ سَوْمز Soames (2002) مُقارَبَةً شَديدَةَ التَّعَلُّقِ بِما نَحنُ بِصَدَدِهِ هُنا. على أنَّ سَوْمز يَسمَحُ بِأن يَكونَ لِبَعضِ الأسماءِ مَضمونٌ وَصفِيٌّ، وليسَ مِن الواضِحِ ما يُمكِنُ أن يَكونَ مَوقِفهُ مِن اسمِ 'الله'؛ فإذا كانَ لِـ 'الله' مَضمونٌ وَصفِيٌّ فَلَم يَكُن سَوْمز لِيَتَبَنّى هذهِ الاستراتيجيا في هذهِ الحالَةِ لأنَّ الجُملَتَيْنِ (11) و(12) لَن تَكونا مُعَبِّرَتَيْنِ عن القَضِيَّةِ نَفسِها.

بِصُورَةٍ مُختَلِفَةٍ عن النَّظريَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَقَدَّمَ بِهِما فريجه ورَسِل. وقَد دافَعَ كنت باك Kent Bach* (2002) عن صُورَةٍ حديثَةٍ لِلوَصفِيَّةِ مُثيرَةٍ لِلاهتِمامِ بِخاصَّةٍ تُدعَى *النَّظَرِيَّةَ الوَصفِيَّةَ الاسمِيَّةَ nominal description theory* (NDT)(8). وتَذهَبُ هذِهِ النَّظَريَّةُ إلى أنَّ مَضمونَ اسمِ العَلَمِ ع هوَ 'حامِلُ 'ع'' أو 'الشَّيْءُ المُسَمّى 'ع''. فالاسمُ 'يَهوه' إذَن، على سبيلِ المِثالِ، يَنبَغي أن يُؤَوَّلَ بِـ 'حامِلِ 'يَهوه''، والاسمُ 'كنت كلارك' يَنبَغي أن يُؤَوَّلَ بِـ 'حامِلِ 'كنت كلارك''، وهكذا دَوالَيْكَ. وبِخِلافِ النَّظريّاتِ الوَصفِيَّةِ الأُخرَى، لا تَعُدُّ النَّظَرِيَّةُ الوَصفِيَّةُ الاسمِيَّةُ الاسمَ مُعَبِّرًا عن أيَّةِ صِفاتٍ جَوهَرِيَّةٍ تُعَيِّنُ الشَّيْءَ المُسَمّى. فـ 'كورت غودِل Kurt Gödel'**، على سبيلِ المِثالِ، لا يُكافِئُ 'المَنطِقِيَّ الذي أثبَتَ عَدَمَ اكتِمالِ الحِسابِ'، ولا يَعتَمِدُ الاستِعمالُ الجَيِّدُ لِهذا الاسمِ على رَبطِ المُتَحَدِّثِ وَصفًا صَحيحًا بِالاسمِ أو أيَّةَ صِفَةٍ جوهَرِيَّةٍ البَتَّةَ. وبِذلكَ تَتَجَنَّبُ النَّظَرِيَّةُ الوَصفِيَّةُ الاسمِيَّةُ حُجَّتَي الجَهلِ والخَطَإِ. على أنَّ الاستِعمالَ الصَّحيحَ لِلاسمِ يَقتَضي تَمييزَ المُتَحَدِّثِ الصِّفَةَ الاسمِيَّةَ، التي تُحَدِّدُها النَّظَرِيَّةُ الوَصفِيَّةُ الاسمِيَّةُ، وهيَ أنَّ كورت غودِل هوَ حامِلُ 'كورت غودِل': فليسَ بِوُسعِ الشَّخصِ أن يَستَعمِلَ الاسمَ 'كورت غودِل' استِعمالًا جَيِّدًا لِلإحالَةِ على كورت غودِل مِن غَيرِ مَعرِفَةٍ أنَّ هذا الاسمَ يُسَمِّيهِ. وتَتَجَنَّبُ النَّظَرِيَّةُ الوَصفِيَّةُ الاسمِيَّةُ أيضًا مُشكِلَةَ استِبدالِ الأسماءِ المُشتَرَكَةِ الإحالَةِ. فما دامَ 'الله' يُعَبِّرُ عن صِفَةِ حَملِ الاسمِ 'الله' وما دامَ 'يَهوه' يُعَبِّرُ عَن صِفَةٍ مُمَيِّزَةٍ هيَ حَملُ الاسمِ 'يَهوه'، فالنَّظَرِيَّةُ لا تَقتَضي أن تَكونَ الجُملَتانِ (11)

* كنت باك (1943-...م). فَيلَسوفٌ أمريكِيٌّ. أُستاذُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ وِلايَةِ سان فرانسيسكو. تَشمَلُ مَجالاتُ اهتِماماتِهِ البَحثِيَّةِ الأساسِيَّةِ فَلسَفَةَ اللُّغَةِ، واللِسانِيّاتِ، ونَظَرِيَّةَ المعرِفَةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (التَّواصُلُ اللُّغَوِيُّ والأفعالُ الكَلامِيَّة)، و(الفِكرُ والإحالَة). [المُترجِم]

(8) يُنظَرُ أيضًا: Katz (1994).

** كورت غودِل (1906-1978م). مَنطِقِيٌّ، ورِياضِيٌّ، وفَيلَسوفٌ نَمساوِيٌّ أمريكِيٌّ. عُدَّ هوَ وأرسطو وتارسكي وفريجه أهَمَّ مَناطِقَةِ التّاريخِ، وكانَ لَهُ أثَرٌ كَبيرٌ في التَّفكيرِ العِلمِيِّ والفَلسَفِيِّ في القَرنِ العِشرينَ. بَرهَنَ عَلى عَدَمِ اكتِمالِ الأنساقِ الشَّكلِيَّةِ أي الأنساقِ التي تَفتَرِضُ الصِّياغَةَ الشَّكلِيَّةَ لِعِلمِ حِسابِ الأعدادِ الطَّبيعِيَّةِ. [المُترجِم]

و(12) مُتَكافِئتَيْنِ ولا أن تَكونَ الأسماءُ المُختَلِفَةُ لِلشَّيءِ الواحِدِ قابِلَةً، في العُمومِ، لِلتَّبادُلِ في السِّياقاتِ المَوقِفِيَّةِ القَضَوِيَّةِ.

وقَد تَبدو النَّظَريَّةُ الوَصفِيَّةُ الاسمِيَّةُ بادِيَ الرَّأيِ حَلًّا مُخَيِّرًا لِلصُّعوباتِ التي تُوَلِّدُها الوَصفِيَّةُ لأنّا حينَ نَستَعمِلُ الاسمَ س، لا نَعُدُّهُ عُمومًا حائزًا لِمَعنى 'حامِلِ س'. على أنَّ النَّظَريَّةَ الوَصفِيَّةَ الاسمِيَّةَ نَظَريَّةٌ تتعلَّقُ بِمَعاني الأسماءِ ولَيسَتْ نَظريَّةً لِما نُفَكِّرُ فيهِ [95] أو نُوصِلُهُ حينَ نَستَعمِلُ الاسمَ. وتَستَتبِعُ النَّظَريَّةُ الوَصفِيَّةُ الاسمِيَّةُ أنَّ مَعنَى جُملَةِ 'اللهُ صالِحٌ' هوَ 'حامِلُ 'الله' صالِحٌ'، لكِن ما يُوصَلُ وما يُفَكَّرُ فيهِ المُتَحَدِّثُ عندَ استِعمالِ هذهِ الجُملَةِ قَد يَكونُ مُقتَصِرًا على اللهِ ولا يتعلَّقُ بِحامِلِ اسمِ اللهِ. وحَتّى في هذهِ الحالَةِ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ المُتَحَدِّثِينَ يَستَعمِلونَ جُملَةً تتعلَّقُ بِحامِلِ اسمِ اللهِ مِن أجلِ أن يُوصِلوا شَيئًا مّا يتعلَّقُ بِاللهِ مُباشَرَةً. فبِإمكانِ المُتَحَدِّثِينَ استِعمالُ جُمَلٍ لإيصالِ شَيْءٍ مّا سِوَى ما تُخبِرُ بِهِ الجُملَةُ إخبارًا صارِمًا.

فأمامَنا إذَن نظريَّتانِ واعِدَتانِ بِشَأنِ مَضمونِ الأسماءِ، هُما النَّظَريَّةُ الوَصفِيَّةُ الاسمِيَّةُ وتَطويرٌ مُعَقَّدٌ لِلمِلْيانِيَّةِ، وكِلتاهُما تُقَدِّمُ خِياراتٍ يُمكِنُ الدِّفاعُ عنها لِفَهمِ مَعنَى 'الله'. والذي أعتَقِدُهُ أنَّ النَّظَريَّةَ الوَصفِيَّةَ الاسمِيَّةَ تُقَدِّمُ أكثَرَ المُعالَجاتِ إقناعًا وخُلُوًّا مِن الإشكالاتِ لِمَضمونِ الأسماءِ مِن بينَ ما يَتَوافَرُ حالِيًّا مِن المُعالَجاتِ. على أنَّهُ ليسَ مِن الضَّروريِّ، في ما يتعلَّقُ بِأغراضِ بَحثِنا هُنا، التَّوَصُّلُ إلى قَولٍ فَصلٍ بِشَأنِ هذَيْنِ الخِيارَيْنِ لأنَّ آثارَهُما في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ مُتَشابِهَةٌ. إذ يُلحَظُ أنَّ كِلتا النَّظريَّتَيْنِ مُنسَجِمَةٌ معَ اللاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ: فَلا وُجودَ لِمَضمونٍ وَصفِيٍّ لِـ 'الله' في النَّظَريَّةِ المِلْيانِيَّةِ، ولَيسَ لِلمَضمونِ الوَصفِيِّ أيَّةُ صِفَةٍ ذاتِيَّةٍ لِلّهِ في النَّظَريَّةِ الوَصفِيَّةِ الاسمِيَّةِ. على أنَّهُ يَنبَغي أن يُلحَظَ أنَّ كِلتا النَّظريَّتَيْنِ تَتطلَّبُ مَزيدًا مِن الحَذَرِ عندَ مُناقَشَةِ الصِّفاتِ الإلهِيَّةِ: فإن أمكَنَ وُجودُ صِفاتٍ لِلّهِ، ولَو كانَتْ صِفاتٍ ضَرورِيَّةً، فإنَّها لَيسَتْ جُزءًا مِن تَعريفِ مَعنَى 'الله'.

ولا شَكَّ في أنَّ تَبَنِّيَ إحدَى هاتَيْنِ الأُطروحَتَيْنِ لِمَعنَى 'الله' لا يَمنَعُ تَقديمَ 'الله' بِوَصفِهِ اسمًا وَصفِيًّا. أي إنَّ بِالإمكانِ استِعمالَ 'الله' اسمًا لِحامِلٍ يَفي

بِمُقتَضَياتِ وَصفٍ مُعَيَّنٍ، وهذهِ أحيانًا هيَ الطَّريقَةُ التي يُقَدَّمُ بِها الاسمُ في النِّقاشِ الفَلسَفِيِّ. ومِن أَمثِلَةِ الاسمِ الوَصفِيِّ 'جاك السَّفّاحُ Jack the Ripper'. فهذا الاسمُ يُسَمِّي شَخصًا (مَهما يَكُنْ) قَتَلَ خَمسَ نِساءٍ في وايتتشابِل Whitechapel في عامِ 1888. فإن تَبَيَّنَ لاحِقًا أنَّ الشَّخصَ الذي كُنّا نعتَقِدُ أنَّهُ جاك السَّفّاحُ لَيسَ هوَ هذا القاتِلَ، فسنَكُفُّ عن اعتِقادِ أنَّ هذا الشَّخصَ هوَ جاك السَّفّاحُ. فالاسمُ الوَصفِيُّ 'جاك السَّفّاحُ' يَتبَعُ الشَّخصَ الذي يَفي بِمُقتَضَياتِ الوَصفِ المَربوطِ بِهِ. بيدَ أنَّ 'الله' لا يُستَعمَلُ عُمومًا في الخِطابِ الدِّينِيِّ اسمًا وَصفِيًّا بَل يُستَعمَلُ اسمًا لِلمَوجودِ الذي لَهُ اتِّصالٌ مُباشِرٌ أو غَيرُ مُباشِرٍ بِحَياةِ المُؤمِنِينَ وخِبرَتِهِم. فقَد يَرَى المُؤمِنونَ أنَّ لِلّهِ صِفاتٍ مُعَيَّنَةً، لكِن ليسَ في مَعنَى 'الله' ما يَضمَنُ أن يَكونَ ما يُحيلونَ عليهِ حائزًا فِعلًا لِهذهِ الصِّفاتِ.

الإحالَةُ على الله

الشِّقُّ الآخَرُ لِمُشكِلَةِ الإحالَةِ هوَ تَفسيرُ كَيفِيَّةِ نَجاحِ اسمِ 'الله' في تَمييزِ اللهِ إن لَم يُنجِزْ ذلكَ المَضمونُ الوَصفِيُّ [96] لاسمِ العَلَم. على أنَّ اللاوَصفِيِّينَ قَد طَوَّروا إجابَةً عَن هذا السُّؤالِ. فإذا كانَتِ المِلْيانِيَّةُ لَم تُقَدِّمْ سِوَى نظريَّةٍ لِمَضمونِ أسماءِ الأعلامِ، فقد عَزَّزَ دونِلن (1972) وكريبكه (1980) نَقدَهُما لِلوَصفِيَّةِ بِنَظرِيَّةٍ سَبَبِيَّةٍ لِكَيفِيَّةِ ارتِباطِ الأسماءِ بِمَراجِعِها. وقَد لَقِيَتْ هذهِ النَّظرِيَّةُ قَبولًا واسِعًا في ما بَعدُ.

ولإيضاحِ هذهِ النَّظَرِيَّةِ، لِنَنظُرْ في المِثالِ الذي قَدَّمَهُ صول كريبكه وهوَ اسمُ 'يونُس Jonah'. فأَوصافُ يونُسَ التي يُمِدُّنا بِها الكِتابُ المُقَدَّسُ تَتضَمَّنُ أَنَّهُ كانَ نَبِيًّا مِن أنبياءِ بَني إسرائيلَ، وأنَّ اللهَ أَمَرَهُ بِالذَّهابِ إلى مَدينَةِ نِينَوَى، وأنَّ حُوتًا أو سَمَكَةً كَبيرَةً قَد ابتَلَعَتْهُ وبَقِيَ في جَوفِها ثَلاثَةَ أيّامٍ. ويَدعونا كريبكه إلى النَّظَرِ في ما يُمكِنُ أن نَجِدَهُ إذا اكتَشَفْنا حَقيقَةَ يُونُسَ التّاريخِيِّ. فقد يَتَبَيَّنُ لَنا أَنَّهُ كانَ ثَمَّةَ شَخصٌ حَقيقِيٌّ ارتَكَزَتْ عليهِ قِصَصُ الكِتابِ المُقَدَّسِ، شَخصٌ عاشَ حَياةً أكثَرَ اعتِيادِيَّةً، ولَم يَكُنْ قَد ابتَلَعَهُ الحُوتُ حَقًّا، ولَم يَكُن نَبِيًّا مِن أنبِياءِ بَني

إسرائيلَ، ولَم يَأمُرْهُ اللهُ بِالذَّهابِ إلى مَدينَةِ نِينَوَى. فَعَلى الرَّغمِ مِن أنَّ أوصافَ الكِتابِ المُقَدَّسِ (والأوصافَ التي نَربِطُها بِالاسم) ستَكونُ عِندَئذٍ كاذِبَةً، يُحيلُ الاسمُ على هذا الفَردِ. ويُمِدُّنا هذا بِمِثالٍ آخَرَ لِحُجَّةِ الخَطَإِ التي سَبَقَ أن نَظَرْنا فيها: فمِنَ المُمكِنِ أن يَكونَ وَصفُنا أو الوَصفُ العُنقوديُّ مُخطِئًا تَمامًا، ومَعَ ذلكَ يُمكِنُ أن يَنجَحَ الاسمُ المَربوطُ بِهِ في تَمييزِ مَوضوعِهِ. بيدَ أنَّ هذا المِثالَ يُوحي أيضًا بِأنَّ مَرجِعَ الاسمِ لا يُحَدِّدُهُ الرُّجوعُ إلى الأوصافِ المَربوطَةِ بِالاسمِ. بَل يَنبَغي اقتِفاءُ أثَرِ الفَردِ الذي أثارَ هذهِ القِصَصَ.

وتَذهَبُ *النَّظريَّةُ السَّبَبيَّةُ لِلإحالَةِ* إلى أنَّ الاسمَ يُربَطُ ابتِداءً بِمَرجِعِهِ مِن خِلالِ كَونِهِ يُسَمّى تَسمِيَةً فِعلِيَّةً – 'تَعميد ابتِدائيّ'، بِحَسَبِ تَعبيرِ كريبكه. ويُعَدُّ التَّعميدُ الابتِدائيُّ مُتَضَمِّنًا تَضَمُّنًا نَمَطِيًّا لاتِّصالٍ إدراكِيٍّ بِالمَرجِعِ. فالشَّيْءُ يُسَمِّيهِ شَخصٌ يُدرِكُهُ ويُسَمِّيهِ، رُبَّما عَلى نَحوٍ استِعراضِيٍّ؛ وبِذلكَ تُرَسَّخُ إحالَةُ الاسمِ. ثُمَّ يُمَرَّرُ الاسمُ إلى أُناسٍ آخَرينَ، رُبَّما لا يَكونُ لَدَى كَثيرٍ مِنهُم اتِّصالٌ إدراكِيٌّ مُباشِرٌ بِالمَرجِعِ. ويَبقَى الاستِعمالُ اللاحِقُ لِلاسمِ بِصورَتِهِ التي مُرِّرَ بِها عَبرَ تَجَمُّعاتِ المُتَكَلِّمينَ مَوصولًا بِالمَرجِعِ بِسِلسِلَةٍ سَبَبِيَّةٍ تَرجِعُ إلى التَّعميدِ الابتِدائيِّ. وبِمُرورِ الزَّمَنِ، رُبَّما لا يَعودُ لِلشَّيْءِ وُجودٌ، لكِنَّ استِعمالَ الاسمِ يَستَبقي صِلَتَهُ بِالمَرجِعِ مِن خِلالِ هذا الرَّبطِ السَّبَبِيِّ بِحَدَثِ التَّسمِيَةِ الأصلِيِّ. ويَبقَى الارتِباطُ بِالمَرجِعِ ولَو كانَتِ الأوصافُ التي يَربِطُها المُتَحَدِّثونَ بِهِ ناقِصَةً أو مُخطِئَةً.

وتُمِدُّنا النَّظريَّةُ السَّبَبِيَّةُ لِلإحالَةِ بِأُطروحَةٍ جَذّابَةٍ لِكَيفِيَّةِ إمكانِ 'تَرسيخِ' الاسمِ في المَرجِعِ مِن غَيرِ أن يَكونَ لَهُ مَضمونٌ وَصفِيٌّ. ثُمَّ إنَّ هذا يَبدو قابِلًا لِلتَّطبيقِ على 'الله' على نَحوٍ صَريحٍ. وفي مُواجَهَةِ موسى لِلّهِ حَدَثَ شَيْءٌ مّا يُشبِهُ احتِفالَ تَسمِيَةٍ. [97]

> فقالَ مُوسَى لِلّهِ: 'إذا ذَهَبْتُ إلى بَني إسرائيلَ وقُلْتُ لَهُم: ''إلهُ آبائكُم أرسَلَني إليكُم''، فإن سَألوني: ''ما اسمُهُ؟''، فماذا أُجيبُهُم؟'. فقالَ اللهُ لِمُوسَى: 'أنا هُوَ الذي هُوَ'. هكذا تُجيبُ بَني إسرائيلَ: 'هُوَ الذي هُوَ أرسَلَني إليكُم''. (سِفْرُ الخُروج 3، 13-15)

على أنَّ تبَنِّيَ النَّظريَّةِ السَّبَبِيَّةِ يَقتَضي اتِّصالًا سَبَبِيًّا بينَ اللهِ والبَشَرِ، يَكونُ البَشَرُ بِهِ قادِرينَ على تَسمِيَةِ اللهِ. وقَد دافَعَ أولستن (1991) دِفاعًا مُفَصَّلًا عن هذا المَنهَجِ لِتَرسيخِ إحالَةِ اللهِ. إذ يَرَى أولستن أنَّ اللهَ لا يُسَمَّى حَرفِيًّا عَلى نَحوِ استِعراضِيٍّ بَل يُمَيَّزُ بِالانتِباهِ إلى كِيانٍ مُدرَكٍ كما يَحدُثُ في التَّجرِبَةِ الدِّينِيَّةِ؛ فَحَدَثُ التَّسمِيَةِ هذا يَكونُ مَربوطًا رَبطًا سَبَبِيًّا بِمُتَحَدِّثِينَ آخَرِينَ مِن خِلالِ عِبادَةٍ جَماعِيَّةٍ وفَعّالِيّاتٍ أخرَى. ولا شَكَّ في أنَّهُ قَد تُوجَدُ عِدَّةُ أحداثِ تَسمِيَةٍ كُلَّما اكتَسَبَ أُناسٌ آخَرونَ تَعَرُّفًا تَجريبِيًّا مُباشِرًا لِلّهِ. والتَّقويمُ الإضافِيُّ لِذلكَ سيُطَوِّحُ بِنا بَعيدًا جَدًّا عن المَوضوعِ ويَجعَلُنا نَخوضُ في مَسائلَ ميتافيزيقِيَّةٍ تتعلَّقُ بِالتَّفاعُلاتِ السَّبَبِيَّةِ بينَ اللهِ والبَشَرِ. على أنَّ علينا أن نَلحَظَ أنَّ تَبَنِّيَ نظريَّةٍ سَبَبِيَّةٍ لِلإحالَةِ بِشَأنِ 'الله' يَفرِضُ التِزامًا ميتافيزيقِيًّا إضافِيًّا هوَ إمكانُ التَّوَصُّلِ إلى اتِّصالٍ إدراكِيٍّ بِاللهِ. وقَد يَتَقَبَّلُ الأبوفاتيكِيُّونَ، في أقَلِّ تَقديرٍ، هذا الالتِزامَ بِرَحابَةِ صَدرٍ. مِثالُ ذلكَ أنَّ دينِس يَرَى أنَّ بِالإمكانِ تَجرِبَةَ الاتِّحادِ بِاللهِ (1987, p. 109) وأنَّ مُوسَى قَد عَرَفَ هذهِ التَّجرِبَةَ[9].

ومِن المُغري إكمالُ أُطروحَةِ الإحالَةِ بِالنَّظريَّةِ السَّبَبِيَّةِ: إذ يُحيلُ 'الله' على المَوجودِ الذي يُمَيِّزُهُ التَّعميدُ الابتِدائِيُّ. على أنَّهُ على الرَّغمِ مِن مَقبولِيَّةِ النَّظريَّةِ السَّبَبِيَّةِ يَبقَى لَدَينا حَدسٌ يُلِحُّ بِعِنادٍ على أنَّهُ في حالَةِ 'الله'، رُبَّما بِتَفَرُّدٍ عن سائرِ الأسماءِ، تُؤَدِّي المَعلوماتُ الوَصفِيَّةُ دَورًا أساسِيًّا في هذهِ العمليَّةِ. ويُظهِرُ ذلكَ ما لَدَينا مِن حُدوسٍ مُتَضارِبَةٍ بِشَأنِ النَّمَطِ الآتي لِلحالَةِ. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ جَماعَةً مِن المُؤمِنينَ أصبَحَتْ مُقتَنِعَةً بِأنَّ المَوجودَ الذي كانَت تَدعوهُ 'الله' هوَ في الواقِعِ حاقِدٌ وغَيرُ كامِلٍ. فَماذا سيَكونُ رَدُّ فِعلِ أفرادِها؟ مِن رُدودِ الأفعالِ المُتَوَقَّعَةِ تَسليمُهُم بِأنَّهُم كانوا يَستَعمِلونَ 'الله' لِتَسمِيَةِ مَوجودٍ حاقِدٍ وغَيرِ كامِلٍ وأنَّهُم ارتَكَبوا خَطَأً جَسيمًا. فَرَدُّ الفِعلِ هذا يَنسَجِمُ معَ النَّظريَّةِ السَّبَبِيَّةِ لِلإحالَةِ. على أنَّ

---

(9) لا يَمنَحُ تَأويلُ تيرنَر لِوِجهَةِ دينِس التَّجارِبَ البَشَرِيَّةَ المتعلِّقَةَ بِاللهِ أيَّ دَورٍ (1995, pp. 4-8). فإن كانَ تيرنَر على حَقٍّ، فرُبَّما يَكونُ الاعتِراضُ الإحالِيُّ على الأبوفاتيكِيَّةِ الذي كُنّا نَبحَثُ فيهِ غَيرَ قابِلٍ لأن يُحَلَّ عندَ دينِس حَلًّا يُوافِقُ التِزاماتِهِ اللاهوتِيَّةَ المُوَسَّعَةَ.

علينا أن نتوقَّعَ رَدَّ فِعلٍ مُختلِفًا أيضًا: فقد يَستَنتِجونَ أنَّ اللهَ غَيرُ موجودٍ حَقًّا أو أنَّهُم قَد أساؤُوا تَعيينَ اللهِ؛ فقد يُحاوِلونَ، على سبيلِ المِثالِ، إعادَةَ عَزوِ الاسمِ إلى مَوجودٍ آخَرَ. وَرَدُّ الفِعلِ هذا أكثَرُ انسِجامًا معَ تَسمِيَةِ الاسمِ التي يُحَدِّدُها الوَصفُ. أفعَلَينا إذَن، ولَو لَم نَكُن مُقِرِّينَ بِنَظريَّةٍ وَصفِيَّةٍ لِلأسماءِ، أن نَجِدَ [98] دَورًا لِلأوصافِ أكبَرَ مِن الدَّورِ الذي تُقَدِّمُهُ اللاوَصفيَّةُ والنَّظريَّةُ السَّبَبِيَّةُ لِلإحالَةِ؟ فَلْنَنظُرْ في مُحاوَلَتَيْنِ حَديثَتَيْنِ لِتَعديلِ النَّظريَّةِ السَّبَبِيَّةِ مِن خِلالِ تَقديمِ مَعلوماتٍ بِشَأنِ تَحديدِ حامِلِ 'الله'.

نَظَرِياتٌ هَجينَة

مِن الاعتِراضاتِ الشّائعَةِ على النَّظريَّةِ السَّبَبِيَّةِ لِلإحالَةِ المُشكِلَةُ التي تَعتَرِضُ طَريقَها بِشَأنِ تَفسيرِ كَيفِيَّةِ تَغييرِ الأسماءِ إحالَتَها. ومِن الأمثِلَةِ الجَيِّدَةِ لِذلكَ المِثالُ الذي قَدَّمَهُ غاريث إيفانز* Gareth Evans (1973) وهوَ التَّغَيُّرُ في إحالَةِ اسمِ 'مَدَغشقَر Madagascar'. فهذا الاسمُ كانَ يُحيلُ في الأصلِ على جُزءٍ مِن يابِسَةِ قارَةِ إفريقيا لكِنَّهُ يُحيلُ الآنَ على جَزيرَةٍ بَعيدَةٍ مِن السّاحِلِ الشَّرقِيِّ لِهذهِ القارَةِ. ومِن الواضِحِ أنَّ ماركو بولو** Marco Polo كانَ أوَّلَ ناطِقٍ بِهذا الاسمِ مُستَعمِلًا إيّاهُ لِلإحالَةِ على هذهِ الجَزيرَةِ. ولَم يَكُنْ قَصدُهُ (دَعُونا نفتَرِضْ ذلكَ) أن يُقَدِّمَ استِعمالًا جَديدًا لِـ 'مَدَغشقَر' بَل أساءَ تَأويلَ الاسمِ الذي وَرِثَهُ مِن مُتَكَلِّمِينَ

---

* غاريث إيفانز (1946-1980م). فَيلَسوفٌ بريطانيٌّ. لَهُ إسهاماتٌ أساسِيَّةٌ في المَنطِقِ، وفَلسَفَةِ اللُّغَةِ، وفَلسَفَةِ العَقلِ. أكثَرُ ما يُعرَفُ بِهِ كِتابُهُ الذي نُشِرَ بَعدَ وفاتِهِ (تَنَوُّعاتُ الإحالَة) والذي يُعالِجُ مُختَلِفَ أنواعِ الإحالَةِ عَلى الأشياءِ، ويَذهَبُ إلى وُجوبِ تَوافُرِ عَدَدٍ مِن الشُّروطِ لِتَحدُثَ الإحالَةُ. مِن آثارِهِ الأخرى: (الصِّدقُ والمَعنى: مَقالاتٌ في عِلمِ الدَّلالَة)؛ و(بُحوثٌ مَجموعَة). [المُتَرجِم]

** ماركو بولو (1254-1324م). تاجِرٌ، ومُستَكشِفٌ، وكاتِبٌ إيطاليٌّ. وُلِدَ في البُندُقِيَّةِ، وكانَ هوَ وأبوهُ وعَمُّه من أوائلِ الغَربِيِّينَ الذينَ سَلَكوا طَريقَ الحَريرِ إلى الصِّينِ، وكانَتْ لَهُ عَلاقَةٌ بِقوبلاي خان أكبرِ مُلوكِ إمبراطوريَّةِ المغولِ وحَفيدِ جنكيز خان. دَوَّنَ رِحلاتِهِ في كتابِهِ (رِحلات ماركو بولو). [المُتَرجِم]

آخَرِينَ. فالذي يَراهُ إيفانز أَنَّهُ إذا كانَتِ النَّظرِيَّةُ السَّبَبِيَّةُ لِلإحالَةِ صَحيحَةً فسَتَكونُ 'مَدَغشقَر' عِندَ ماركو بولو وعِندَ المُتَحَدِّثِينَ اللاحِقِينَ (ونَحنُ مِنهُم) مُحيلَةً فِعلِيًّا على يابِسَةِ قارَةِ إفريقيا. ومَرَدُّ ذلكَ إلى أنَّ استِعمالَ الاسمِ يَرتَبِطُ سَبَبِيًّا بِالتَّسمِيَةِ الأَصلِيَّةِ لِبُقعَةٍ مِن اليابِسَةِ. على أنَّ مِن الواضِحِ أنَّا نَستَعمِلُ 'مَدَغشقَر' لِلإحالَةِ على الجَزيرَةِ.

والحَلُّ الذي يُقَدِّمُهُ إيفانز لِهذهِ المُشكِلَةِ ومُشابِهاتِها مِن مُشكِلاتِ تَغَيُّرِ الإحالَةِ هوَ جَمعُ عَناصِرِ النَّظرِيَّتَيْنِ الإحالِيَّتَيْنِ السَّبَبِيَّةِ والوَصفِيَّةِ كِلتَيْهِما. إذ يَرى أنَّ إحالَةَ اسمِ العَلَمِ، على النَّحوِ الذي يَستَعمِلُهُ بِهِ المُتَحَدِّثُ، هيَ المَصدَرُ السَّبَبِيُّ 'المُهَيمِنُ' مِن بينِ مَصادِرِ المَعلوماتِ الوَصفِيَّةِ التي يَربِطُها المُتَحَدِّثُ بِهذا الاسم. فالنَّظرِيَّةُ السَّبَبِيَّةُ، على ما يَرى إيفانز، 'قَد أساءَتْ مَوضَعَةَ العَلاقَةِ السَّبَبِيَّةِ؛ إذ إنَّ العَلاقَةَ السَّبَبِيَّةَ المُهِمَّةَ تَكمُنُ بينَ حالاتِ تلكَ المُفرَدَةِ وأفعالِها ومَنظومَةِ المَعلوماتِ لَدَى المُتَحَدِّثِ - لا بينَ المُفرَدَةِ مُسَمّاةً بِاسمٍ واستِعمالِ المُتَحَدِّثِ الحالِيِّ لَها' (1973, p. 301). فَفي حالَةِ 'مَدَغشقَر' يَحدُثُ التَّحَوُّلُ الإحالِيُّ عندَ النُّقطَةِ التي يَكونُ فيها السَّبَبُ 'المُهَيمِنُ' مِن بينِ المَعلوماتِ التي يَربِطُها مُستَعمِلو الاسمِ بِهِ هوَ الجَزيرَةَ لا بُقعَةً مِن يابِسَةِ قارَةِ إفريقيا.

فنَظرِيَّةُ إيفانز تُفَسِّرُ كَيفِيَّةَ إمكانِ حُدوثِ التَّغَيُّرِ الإحالِيِّ معَ الاحتِفاظِ بِالمَزِيَّةِ الأساسِيَّةِ لِلنَّظرِيَّةِ السَّبَبِيَّةِ، ذلكَ بِأنَّ الارتِباطَ السَّبَبِيَّ بينَ الاسمِ ومَرجِعِهِ شَرطٌ ضَرورِيٌّ لِنَجاحِ الإحالَةِ. وهذهِ النَّظرِيَّةُ تتجَنَّبُ أيضًا بَعضَ مَآزِقِ الوَصفِيَّةِ. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ على وَفقِ نَظرِيَّةِ إيفانز لَن تَكونَ ثَمَّةَ مُشكِلَةٌ بِشَأنِ عَدَمِ كِفايَةِ أوصافِنا لِلمَرجِعِ إذ لَن يَتَطَلَّبَ الأمرُ أن يَفِيَ المَرجِعُ بِمُقتَضَياتِ الأوصافِ التي يَربِطُها المُتَحَدِّثُ بِالاسمِ، فكُلُّ ما هوَ مَطلوبٌ هوَ أن يَكونَ المَوضوعُ هوَ السَّبَبَ المُهَيمِنَ لِهذهِ الأوصافِ. [99] ويُمكِنُ أيضًا أن تَكونَ بَعضُ الأوصافِ مُخطِئَةً، بِشَرطِ أن تَكونَ الأوصافُ الكاذِبَةُ مُسَبَّبَةً كذلكَ عن الشَّيءِ الذي يُسَمِّيهِ الاسمُ. ولْنُسَمِّ هذهِ النَّظرِيَّةَ بِالنَّظرِيَّةِ *الهَجينَةِ*.

فهَل هذهِ النَّظريَّةُ الهَجينَةُ المُوَلَّدَةُ مِن النَّظريَّتَيْنِ السَّبَبيَّةِ والوَصفِيَّةِ مُنصِفَةٌ لِحُدوسِنا بِشأنِ 'الله'؟ أمّا ميغان سولِفان Meghan Sullivan* (2012) فتُدافِعُ عن المَذهَبِ الهَجينِ لكِنَّها تَرَى أنَّ فَضيلَتَهُ الرَّئيسَةَ تكمُنُ في أنَّهُ يُفَسِّرُ كيفِيَّةَ إمكانِ أن يَتَعَرَّضَ 'الله' لإخفاقٍ إحاليٍّ لا لِتَحَوُّلٍ إحاليٍّ. وقَد طُوِّرَتِ النَّظريَّةُ على النَّحوِ الآتي. فإذا أصبحَتِ المَعلوماتُ الوَصفِيَّةُ لِشَيءٍ مّا المُرتَبِطَةُ بِالاسمِ مُشَوَّهَةً تمامًا بِالمَعلوماتِ الكاذِبَةِ التي لَم يُسَبِّبْها ذلكَ الشَّيءُ بَل نَجَمَتْ عن إساءاتِ فَهمٍ مُختَلِفَةٍ أو اختِلاقاتٍ مُتَعَمَّدَةٍ يَكُفُّ الشَّيءُ بِسببِها عن أن يَكونَ 'السَّبَبَ المُهَيمِنَ' لِتلكَ المَعلوماتِ، فستَكونُ النَّتيجَةُ على وَفقِ النَّظريَّةِ الهَجينَةِ إخفاقَ الاسمِ في الإحالَةِ. فَلْنَفتَرِضْ، على سبيلِ المِثالِ، أنَّ آدَمَ وحَوّاءَ في جَنَّةِ عَدنٍ قَد استَعمَلا اسمَ 'الله' لِلإحالَةِ على اللهِ. فالسَّبَبُ المُهَيمِنُ لِلمَعلوماتِ الوَصفِيَّةِ التي يَربِطانِها باسمِ 'الله' يُسَبِّبُهُ اللهُ، وهذا ما يَفي بِمُقتَضَياتِ مَعاييرِ إيفانز لِلإحالَةِ. على أنَّ اللهَ يَختَفي بَعدَ السُّقوطِ. فالذي تَذهَبُ إليهِ سولِفان استِنادًا إلى النَّظريَّةِ الهَجينَةِ أنَّ اسمَ 'الله' ظَلَّ حِينًا بَعدَ السُّقوطِ يَنجَحُ في الإحالَةِ على اللهِ لكِن بَعدَ مُضِيِّ مُدَّةٍ، إن أضافَ مُتَحَدِّثونَ لامُبالُونَ أو خَبيثُونَ مَعلوماتٍ كاذِبَةً إلى مَنظومَةِ المَعلوماتِ المُرتَبِطَةِ بِاسمِ 'الله' فسَيَكُفُّ الاسمُ عن تَسمِيَةِ أيِّ شَيْءٍ. وبِذلكَ تَجعَلُ النَّظريَّةُ الهَجينَةُ لِلمَعلوماتِ الوَصفِيَّةِ دَورًا في تَسمِيَةِ 'الله' في الوَقتِ الذي تُفَسِّرُ فيهِ أيضًا حالاتِ التَّحَوُّلِ والإخفاقِ الإحاليَّيْنِ التي تَبدو مُمكِنَةً في حالَةِ اسمِ 'الله' كما هيَ مُمكِنَةٌ في حالَةِ أيِّ اسمٍ آخَرَ.

على أنَّ مُشكِلَةَ التَّغَيُّرِ الإحاليِّ مِن المُشكِلاتِ التي يَنبَغي أن يَكونَ لَدَى النَّظريَّةِ السَّبَبيَّةِ لِلإحالَةِ المَصادِرُ اللازِمَةُ لِحَلِّها بِإقرارِ أنَّهُ غالِبًا مّا لا يَقتَصِرُ الأمرُ على وُجودِ 'تَعميدٍ ابتِدائيٍّ' واحِدٍ فَقَط لِلاسمِ. بَل إنَّ عددًا كَبيرًا مِن استِعمالاتِ

---

* ميغان سولِفان. أُستاذَةُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ نوتردام. اهتِمامُها البَحثِيُّ يَنصَبُّ على المُشكِلاتِ الفَلسَفِيَّةِ المتعلِّقَةِ بِالزَّمَنِ، والتَّخطيطِ العَقلانيِّ، والاعتِقادِ الدِّينيِّ. لَها كِتاباتٌ في كَثيرٍ مِن الصُّحُفِ الفَلسَفِيَّةِ العامَّةِ، ولَها كِتابٌ مُهِمٌّ هوَ (تَحَيُّزاتُ الزَّمَنِ: نَظَريَّةٌ لِلتَّخطيطِ العَقلانيِّ والمُثابَرَةِ الشَّخصِيَّة). [المُتَرجِم]

الاسم لِتَمييزِ الشَّيءِ الذي يَكونُ المُتَحَدِّثونَ في حالَةِ اتِّصالٍ سَبَبِيٍّ-إدراكِيٍّ بِهِ تَتَضافَرُ لِتَجعَلَ هذا الشَّيءَ حامِلًا[10]. فاسمُ 'مَدَغَشقَر' الذي أساءَ ماركو بولو تَأويلَهُ كانَ يُسَمّي عُرفِيًّا بُقعَةً مِن يابِسَةِ قارَةِ إفريقيا بِفَضلِ ارتِباطاتِهِ السَّبَبِيَّةِ بِاستِعمالاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ لِـ 'مَدَغَشقَر' لِتَسمِيَةِ هذهِ البُقعَةِ مارَسَها مُتَحَدِّثونَ لَهُم عَلاقاتٌ سَبَبِيَّةٌ-إدراكِيَّةٌ بِها. لكِن بَعدَ إساءَةِ الفَهمِ التي أبداها ماركو بولو، غالِبًا مّا باتَ هذا الاسمُ يُستَعمَلُ لِلحَديثِ عن الجَزيرَةِ. فَعِندَ هذهِ النُّقطَةِ حَدَثَ خَلطٌ في أعرافِ استِعمالِ هذا الاسمِ مِن خِلالِ رَبطِهِ سَبَبِيًّا بِمنطَقَتَيْنِ مُتَمايِزَتَيْنِ: فبِإمكانِهِ أن يُسَمّيَ الجَزيرَةَ أو بُقعَةً مِن اليابِسَةِ. وبَعدَ مُدَّةٍ أصبَحَ اسمُ 'مَدَغَشقَر' لا يُستَعمَلُ إلّا بارتِباطٍ سَبَبِيٍّ-إدراكِيٍّ بِالجَزيرَةِ؛ وهذا هوَ نَمَطُ التَّسمِياتِ الذي وَرِثْناهُ مِن أسلافِنا. فقد تَبَيَّنَ أنَّ إحداثَ توسيعٍ قَليلٍ لِلنَّظَرِيَّةِ السَّبَبِيَّةِ كَفيلٌ بِجَعلِها قادِرَةً على تَفسيرِ ظاهِرَةِ التَّغَيُّرِ الإحالِيِّ المُحَفَّزَةِ لِلخِيارِ الذي جاءَ بِهِ إيفانز. [100]

وزيادَةً على الشُّكوكِ المُتَعَلِّقَةِ بِالحُجَّةِ المُؤَيِّدَةِ لِلنَّظَرِيَّةِ الهَجينَةِ، ثَمَّةَ أمرٌ آخَرُ هوَ أنَّ هذهِ النَّظَرِيَّةَ تَفرِضُ مَعاييرَ لِلإحالَةِ النّاجِحَةِ تَبدو مُشكِلَةً عندَ تَطبيقِها على الدِّينِ. فَلْنَنظُرْ، على سبيلِ المِثالِ، في قِصَّةِ آدَمَ وحَوّاءَ المَذكورَةِ آنِفًا. وَلْنَفترِضْ أنَّ الذي حَدَثَ هوَ أنَّ اللهَ كَفَّ عن الاتِّصالِ بِالبَشَرِ في مَرحَلَةٍ تاريخِيَّةٍ مُبَكِّرَةٍ جِدًّا وأنَّ المَعلوماتِ التي يَربِطُها المُؤمِنونَ بِـ 'الله' أُمِدَّتْ لاحِقًا بِقِصَصٍ عن اللهِ واتِّصالِ اللهِ بِالعالَمِ لَم يُسَبِّبْها اللهُ. فالذي يَنجُمُ عن الأخذِ بِالنَّظَرِيَّةِ الهَجينَةِ، على ما يَبدو، أنَّ الاسمَ الذي وَرِثْناهُ لا يُحيلُ على شَيْءٍ. أمّا النَّظَرِيَّةُ السَّبَبِيَّةُ فَبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، فهيَ مُتَسامِحَةٌ كُلِّيًّا معَ الأوصافِ الكاذِبَةِ بِشَرطِ الاحتِفاظِ بِالارتِباطِ السَّبَبِيِّ بِتَسمِيَةِ آدَمَ وحَوّاءَ لِلّهِ. فَلْنَفتَرِضِ الآنَ أنَّ اللهَ قَرَّرَ مُعاوَدَةَ الاتِّصالِ بِالبَشَرِ وأنّا اكتَشَفْنا جَميعَ حالاتِ عَدَمِ الدِّقَّةِ التي كانَتْ عَبرَ آلافِ السِّنينَ. فالذي يَبدو أنّا سنَقولُ عِندَئِذٍ إنّا على الرَّغمِ مِن رُكامِ الأساطيرِ والأوصافِ المُضَلِّلَةِ كُنّا نُحيلُ

(10) شَدَّدَ مايكِل ديفِت Michael Devitt (Devitt and Sterelny, 1999, pp. 75-76) على أهَمِّيَّةِ 'الأُسُسِ المُتَعَدِّدَةِ' في تَفسيرِ التَّحَوُّلِ الإحالِيِّ.

على اللهِ طَوالَ تلكَ الحِقَبِ لا إنّا أخفَقْنا في الحَديثِ عن اللهِ. فَفي هذا المِثالِ تَبدو النَّظريَّةُ السَّبَبيَّةُ مَقبولَةً أكثرَ مِن النَّظريَّةِ الهَجينَةِ. على أنَّهُ يَنبَغي أن نَذكُرَ صُعوبَةَ المعرِفَةِ اليَقينِيَّةِ لِمَوقِفَ النَّظريَّةِ الهَجينَةِ مِن هذهِ الحالَةِ لأنَّها تَعتَمِدُ على فِكرَةٍ غَيرِ مُعَرَّفَةٍ هيَ 'السَّبَبُ المُهَيمِنُ'. ومِن المُمكِنِ تَقديمُ تَحليلٍ مُتَساهِلٍ بِما فيهِ الكِفايَةُ لِـ 'السَّبَبِ المُهَيمِنِ' يَسمَحُ بِأن يَكونَ اللهُ هوَ 'السَّبَبَ المُهَيمِنَ' لأوصافِنا المُخطِئةِ لِلّهِ في هذا المِثالِ. فافتِقارُ 'السَّبَبِ المُهَيمِنِ' إلى الوُضوحِ هوَ نَفسُهُ يُمَثِّلُ مُشكِلَةً مُستَحكِمَةً لِلنَّظريَّةِ الهَجينَةِ.

وثَمَّةَ مُشكِلَةٌ أُخرَى تَعتَرِضُ سَبيلَ تَطبيقِ النَّظريَّةِ الهَجينَةِ على اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. فمِنَ الأُمورِ المُقلِقَةِ التي أُثيرَتْ مُبَكِّرًا بِشَأنِ الوَصفِيَّةِ أنَّها قَد تُبطِلُ الاتِّفاقَ والاختِلافَ على اللهِ بينَ المُتَحَدِّثينَ في الأديانِ المُختَلِفَةِ. فإذا كانَتِ الأوصافُ المُمَيِّزَةُ لِلدِّينِ التَّوحيدِيِّ المُعَيَّنِ تُشَكِّلُ جُزءًا مِن المَعلوماتِ الوَصفِيَّةِ المُرتَبِطَةِ بِـ 'الله'، فلَن يَكونَ المُتَحَدِّثونَ في الأديانِ المُختَلِفَةِ مُحيلِينَ على شَيْءٍ واحِدٍ حينَ يَستَعمِلونَ هذا الاسمَ. والذي يَبدو أنَّ النَّظريَّةَ الهَجينَةَ تَصِلُ إلى نَتيجَةٍ ذاتِ صِلَةٍ وإشكالِيَّةٍ كذلكَ. إذ تَعمِدُ التَّقاليدُ الدِّينِيَّةُ المُختَلِفَةُ والطَّوائفُ المُختَلِفَةُ في ضِمنِ الدِّينِ الواحِدِ إلى رَبطِ مَعلوماتٍ وَصفِيَّةٍ مُختَلِفَةٍ اختِلافًا كبيرًا، وغالِبًا مَا تَكونُ مُتَضادَّةً، بِاسمِ 'الله'. ويَبدو مَنطِقِيًّا ألّا يَكونَ اللهُ هوَ السَّبَبَ 'المُهَيمِنَ' لِكَثيرٍ مِن هذهِ الاختِلافاتِ والتَّضارُباتِ بل إنَّها نَتيجَةُ إساءاتِ الفَهمِ أو الاختِراعاتِ البَشَرِيَّةِ. على أنَّ هذا يَجعَلُنا نَتَساءَلُ عن مَدَى كَونِ المُتَحَدِّثِينَ في الأديانِ التَّوحيدِيَّةِ المُختَلِفَةِ وفي الطَّوائفِ المُختَلِفَةِ لِلدِّينِ الواحِدِ يَتَحَدَّثونَ عن شَيْءٍ واحِدٍ حينَ يَتَحَدَّثونَ عن 'الله'. فَلْنَفتَرِضْ وُجودَ صُورَةٍ واحِدَةٍ لِلدِّينِ التَّوحيدِيِّ يَكونُ فيها اللهُ هوَ السَّبَبَ المُهَيمِنَ الرَّئيسَ والمُستَمِرَّ لِلمَعلوماتِ الوَصفِيَّةِ التي يَستَخدِمُها مُتَحَدِّثُوها. [101] فالمُتَحَدِّثُونَ في هذا الدِّينِ سَينجَحونَ في الإحالَةِ على اللهِ. أمّا المُتَحَدِّثونَ في الصُّوَرِ الأُخرَى مِن الدِّينِ التَّوحيدِيِّ التي لَم يَكُنْ فيها مِثلُ هذهِ الحالَةِ فَلَن يَكونوا مُتَحَدِّثِينَ عن الشَّيْءِ نَفسِهِ؛ بَل إنَّهُم، في الواقِعِ، لَن يَكونوا مُتَحَدِّثِينَ عن أيِّ شَيْءٍ. ولا شَكَّ في أنَّ هذهِ لَيسَتْ حُجَّةً

مُلزِمَةً بِالضِّدِّ مِن نظريَّةِ إيفانز. على أنَّها تُبيِّنُ أنَّ النَّظريَّةَ تَفرِضُ مُتَطَلَّباتٍ صارِمَةً مُعارِضَةً لِلبَداهَةِ لِلإحالَةِ النّاجِحَةِ على اللهِ.

النَّظَرِيَّةُ السَّبَبِيَّةُ ذاتُ الشُّروطِ الوَصفِيَّة

يَقتَرِحُ جيروم غيلمان Jerome Gellman* طَريقَةً مُختَلِفَةً لِتَضمينِ المَعلوماتِ الوَصفِيَّةِ في تَحديدِ الإحالَةِ على 'اللهِ'. إذ يَرى أنَّ تَسمِيَةَ الشَّيْءِ تَقتَضي وُجودَ 'مُحَدِّداتٍ لِلتَّسمِيَةِ المُلائمَةِ مِن بينِ المُرَشَّحاتِ' تُحَدِّدُ نَوعَ الشَّيْءِ الذي يُحالُ عليهِ (1997, p. 29)[11]. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ إن احتُمِلَ أن تكونَ مِن قَبيلِ الخَطَإِ جَميعُ القِصَصِ المُتَعَلِّقَةِ بِيُونُسَ وجَميعُ مَعلوماتِنا عن نَوعِ الشَّخصِ الذي كانَهُ يُونُسُ، فالذي يَبدو أنَّهُ لا بُدَّ مِن أنَّ يُونُسَ كانَ شَخصًا. فإن تَبَيَّنَ أنَّ يُونُسَ لَم يَكُنْ شَخصًا بَل كانَ قِطعَةَ خَشَبٍ ظُنَّ خَطَأً أنَّها شَخصٌ وتَسَبَّبَتْ في نَسجِ تَخَيُّلاتٍ مُختَلِفَةٍ، كانَ لَنا أن نَستَنتِجَ أنَّ 'يُونُس' يُخفِقُ في الإحالَةِ، على ما يَذهَبُ إليهِ غيلمان. ويَبدو، عُمومًا، أنَّ التَّسمِيَةَ تفتَرِضُ سَلَفًا رُؤيَةً مُعَيَّنَةً لِلمُتَحَدِّثِ بِشَأنِ نَوعِ الشَّيْءِ المُسَمّى 'تُؤَسِّسُ بِها مُرَشَّحًا مُلائمًا لاستِقبالِ الاسم' (1997, pp. 26-27). فَفي تَسمِيَةِ الحامِلِ لا بُدَّ أن تَكونَ بَعضُ الأوصافِ التي يَربِطُها المُتَحَدِّثُ بِالحامِلِ في أقَلِّ تَقديرٍ صادِقَةً عليهِ مِن أجلِ أن يَنجَحَ الاسمُ في الإحالَةِ. ويَذكُرُ غيلمان نُقطَتَيْنِ أُخرَيَيْنِ. إحداهُما دَعواهُ أنّا 'حينَ نُسَمّي نَكونُ على العُمومِ واعِينَ، بِدَرَجَةٍ أو بِأُخرى وبِدَرَجاتٍ مُتَفاوِتَةٍ مِن الوُضوحِ أو الغُموضِ، لِما يَجِبُ

---

* جيروم غيلمان. أُستاذُ فَلسَفَةٍ في جامِعَةِ بن غوريون في النَّقَب. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الخَوفُ، والارتِجافُ، والنّار)؛ و(خَبرُ اللهِ وعَقلانيَّةُ الاعتِقادِ الرُّبوبيّ)؛ و(قَد غَمَرَنا اللهُ بِعِنايَتِهِ: عَقيدَةٌ مُعاصِرَةٌ لِليَهودِ بِوَصفِهِم الشَّعبَ المُختار). [المُترجِم]

(11) عَرضُ غيلمان لِهذِهِ المُشكِلَةِ يُشبِهُ في بَعضِ جَوانِبِهِ مُناقَشَةَ مايكل ديفِت لَها. وهذِهِ هيَ مُشكِلَةُ النَّظريَّةِ السَّبَبِيَّةِ لِلإحالَةِ التي تُثيرُ سُؤالًا هوَ: كَيفَ يَنتَقي الاسمُ، في التَّسمِيَةِ الابتِدائيَّةِ، الحامِلَ الصَّحيحَ مِن بينِ الأشياءِ التي يَخبُرُها المُتَحَدِّثُ؟ ولَم يَكُنْ ديفِت لِيُوافِقَ على الحَلِّ الذي قَدَّمَهُ غيلمان. يُنظَر: Devitt and Sterelny (1999, pp. 79-81).

أن يَكونَهُ مُرَشَّحُ التَّسمِيَةِ المُلائمُ مِن أجلِ إنجازِ عمليَّةِ التَّسمِيَةِ' (1997, p. 27). والنُّقطةُ الأُخرَى بَيانُهُ المَعلوماتِ الوَصفيَّةَ التي يَجِبُ أن تكونَ لَدى المُتَحَدِّثِ مِن أجلِ أن يَنجَحَ في الإحالَةِ على اللهِ، إذ يَقولُ: 'إنَّهُ لَشَرطٌ ضَروريٌّ عُمومًا لِنَجاحِ تَسمِيَةِ مَوجودٍ هوَ 'الله' أن تُسَمِّيَ ما سنُطلِقُ عليهِ اسمَ '*المَوجود الأَسمى قيمَةً*'، أو '*المَوجود الأَسمى*'' فَحَسْبُ (1997, p. 32).

ويَرمي غيلمان إلى جَمعِ عَناصِرِ النَّظريَّتَيْنِ الإحاليَّتَيْنِ السَّبَبيَّةِ والوَصفيَّةِ كِلتَيْهِما: فإحالَةُ 'الله' يُرَسِّخُها الارتِباطُ السَّبَبيُّ بِالتَّعميداتِ الابتِدائيَّةِ بَيدَ *أنَّ* ثَمَّةَ وَصفًا مَربوطًا يُمِدُّنا بِالشُّروطِ الضَّروريَّةِ لِنَمَطِ الشَّيْءِ الذي بِإمكانِ الاسمِ أن يُحيلَ عليهِ. فالوَصفُ المَربوطُ هوَ أنَّ اللهَ هوَ *المَوجودُ الأَسمى*. فإن كانَ لِلاسمِ أن يَنجَحَ في تَمييزِ أيِّ شَيْءٍ مُطلَقًا، فَلا بُدَّ مِن أن يَكونَ هذا الشَّيْءُ هوَ المَوجودَ الأسمى. بيدَ أنَّ غيلمان يُعارِضُ الوَصفيَّةَ بِعَدِّهِ الوَصفَ غيرَ كافٍ لِتَعيينِ حامِلٍ مُحَدَّدٍ؛ إذ إنَّ ذلكَ يَتَطَلَّبُ ارتِباطًا سَبَبيًّا بِالمَرجِعِ. [102]

ويَبدو مَنطِقيًّا أن يَكونَ لَدى المُتَحَدِّثِ عندَ نُقطَةِ تَسمِيَةِ الشَّيْءِ فِكرَةٌ عن نَمَطِ الشَّيْءِ المُسَمّى. ويَستَتبِعُ ذلكَ أن يُشَكِّلَ بَعضُ (الحَدّ الأدنى مِن) المَعلوماتِ الوَصفيَّةِ جُزءًا مِن التَّعميد(اتِ) الابتِدائيـ(ـةِ) لِحامِلِ الاسمِ. على أنَّ طَريقَتَيْ غيلمان لِتَطويرِ هذهِ الفِكرَةِ تَذهَبانِ إلى أبعَدَ مِن ذلكَ كَثيرًا، وكِلتاهُما تَبدو مُثيرَةً لِلإشكالِ. فأمّا النُّقطَةُ الأُولَى فتُثيرُ تَساؤُلًا هوَ: لِمَ تَقتَضي حَقيقَةُ كَونِ مُعَمِّدِي الاسمِ لَهُم فِكرَةٌ عامَّةٌ عن الشَّيْءِ الذي يُسَمُّونَهُ أن يَكونَ لَدى مُستَعمِلِي الاسمِ اللاحِقِينَ الفِكرَةُ العامَّةُ نَفسُها؟ فَلْنَفتَرِضْ أنَّ لورا Laura، التي لا عِلمَ لَها بِالدِّينِ، التَقَطَت اسمَ 'الله' مِن نُتَفٍ حِواريَّةٍ سَمِعَتْها عَرَضًا. وقَد تكونُ لَدَيها فِكرَةُ أنَّ اللهَ فاعِلٌ مِن نَوعٍ مّا لكِن لا يُمكِنُها أن تَقولَ بِثِقَةٍ أيَّ شَيْءٍ آخَرَ عن اللهِ. ومعَ ذلكَ، يَبدو أنَّ لورا ستَكونُ قادِرَةً على الإحالَةِ على اللهِ على الرَّغمِ مِن افتِقارِها إلى التَّعقيدِ اللاهوتيِّ. ولا شَكَّ في أنَّ هذا نَوعٌ مُتَفَرِّعٌ مِن حُجَّةِ الجَهلِ التي سَبَقَ أن أُثيرَتْ بِالضِّدِّ مِن الوَصفيَّةِ، ويَبدو أنَّها فَعّالَةٌ كَذلكَ بِالضِّدِّ مِن نَظريَّةِ غيلمان التي تَذهَبُ إلى أنَّ المُتَحَدِّثِينَ عن اللهِ لا بُدَّ مِن يَعُوا أنَّهُ مَوجودٌ أسمى.

وأمّا النُّقطةُ الثّانيَةُ فتُثيرُ تساؤُلًا هوَ: لِمَ يَنبَغي أن يَكونَ الوَصفُ المَربوطُ بِـ 'الله' هوَ 'الوُجود الأسمى'؟ فَلْنَفتَرِضْ أنَّ جَيْن Jane، التي لا عِلمَ مُفصَّلًا لَها بِأيِّ لاهوتٍ توحيدِيٍّ، كانَتْ لَها تَجرِبَةٌ دينِيَّةٌ. إذ شَعَرَتْ، مَثَلًا، بِشُعورٍ غَريبٍ حاصِلُهُ أَنَّ مَحَبَّةً غامِرَةً قَد وُجِّهَتْ إليها، ووَجَدَتْ صُعوبَةً في التَّعبيرِ عنها بِالكَلماتِ لكِنَّها رَأَتْها مُهِمَّةً جِدًّا أيضًا. فتُعَيِّنُ جَيْن اللهَ بِأنَّهُ سَبَبُ هذهِ التَّجرِبَةِ وإن لَم تَكُنْ تُفَكِّرُ (ولَو ضِمنِيًّا) في 'مَوجودٍ أسمى' بَل قَد تَكونُ مُفتَقِرَةً إلى مَفهومِ المَوجودِ الأسمى. فالذي يَبدو، في هذهِ الحالَةِ، أنَّ بِإمكانِ جَيْن أن تَنجَحَ في تَسمِيَةِ 'الله' وإن لَم يُؤَدِّ مَفهومُ 'الوُجودِ الأسمى' أيَّ دَورٍ في تَفكيرِها في اللهِ أو في تَسمِيَتِها لِلّهِ. وقَد تُقَدِّمُ جَيْن لاحِقًا إلى مُجتَمَعٍ تَوحيدِيٍّ وتَعتَقِدُ لاحِقًا أنَّ لِلّهِ صِفاتٍ جَوهَرِيَّةً مُختَلِفَةً وأنَّهُ المَوجودُ الأسمى. على أنَّ هذهِ الاعتِقاداتِ ستَكونُ اعتِقاداتٍ تُكَوِّنُها جَيْن بِشَأنِ اللهِ ولَيسَتْ لازِمَةً مِن استِعمالِها لَفظَ 'الله' لِلإحالَةِ على اللهِ. فهيَ تَبدو قادِرَةً على الإحالَةِ على الشَّيْءِ نَفسِهِ قَبلَ تَعليمِها الدِّينِيِّ وبَعدَهُ.

خاتِمَة

إذا كانَتْ كِلتا الطَّريقَتَيْنِ المُقتَرَحَتَيْنِ لِتَعديلِ النَّظرِيَّةِ السَّبَبِيَّةِ لِلإحالَةِ – بِاقتِضاءِ أن يَكونَ اللهُ هوَ 'السَّبَبَ المُهَيمِنَ' لأوصافِنا أو بِوَضعِ شُروطٍ وَصفِيَّةٍ على تَسمِيَةِ اللهِ – غَيرَ مُقنِعَةٍ، فإنَّ ذلكَ سيَجعَلُنا في مُواجَهَةِ المُشكِلَةِ التي قادَتْنا إلى النَّظَرِ في هذَيْنِ الخِيارَيْنِ. فالذي نَتَوَقَّعُهُ أنَّهُ عندَ اكتِشافِ أنَّ المَوجودَ الذي يُعَيِّنُهُ 'اللهُ' بِوُضوحٍ كانَ طَوالَ آمادٍ شِرِّيرًا وغَيرَ كامِلٍ، سيَستَنتِجُ بَعضُ المُؤمِنينَ [103] عَدَمَ وُجودِ اللهِ أو سَيَفتَرِضونَ أنَّ ما يَنبَغي أن يُدعَى 'الله' مَوجودٌ آخَرُ مُختَلِفٌ. على أنَّ بِإمكانِ المُنَظِّرينَ السَّبَبِيِّينَ أن يُفَسِّروا رَدَّ الفِعلِ هذا بِأنَّهُ نَتيجَةُ العَلاقَةِ التي يَرَى المُؤمِنونَ أنَّهُم يَرتَبِطونَ مِن خِلالِها بِاللهِ بِوَصفِهِ مَوجودًا يَستَحِقُّ العِبادَةَ والحَمدَ والطّاعَةَ، مِن غَيرِ افتراضِ أنَّ لاسمِ 'الله' مَضمونًا وَصفِيًّا. ويُلحَظُ أنَّ بِإمكانِنا تَصَوُّرَ أنَّ بَعضَ المُؤمِنينَ، والذينَ لا يَعتَقِدونَ وُجودَ اللهِ كذلكَ، سيَستَنتِجونَ مِن

الاكتِشافِ المُتَخَيَّلِ أنَّ اللهَ شِرِّيرٌ. وقَد يَدفَعُ ذلكَ مُؤمِنِينَ آخَرِينَ إلى استِنتاجِ أنَّ اللهَ مَوجودٌ آخَرُ غَيرُ المَوجودِ الذي كانوا يُحيلونَ عليهِ، لكِنَّ ذلكَ سيتطلَّبُ جُهدَ تَسمِيَةٍ جَديدَةٍ لِـ' الله' مِن أجلِ تَمييزِ مَوجودٍ مُختلِفٍ. فإن صَحَّ ذلكَ، فإنَّ الذي يُحَدِّدُ إحالَةَ 'الله' إذَن هوَ، كما هوَ الأمرُ في حالَةِ 'إسحاق نيوتِن Isaac Newton'* أو أيِّ اسمٍ آخَرَ، الارتِباطُ السَّبَبِيُّ بينَ استِعمالِ الاسمِ والشَّيْءِ المُسَمّى. ويَكمُنُ الاختِلافُ بينَ الإحالَةِ على اللهِ والإحالَةِ على إسحاق نيوتِن في أنَّ الحالَةَ الأُولَى تَنطَوي على مُمارَساتٍ مُكتَنِفَةٍ مُختَلِفَةٍ مِن العِبادَةِ والإخلاصِ تَجعَلُ (لَدَى بَعضِ المُؤمِنِينَ) إحالَةَ 'الله' - إن اكتُشِفَ أنَّهُ شِرِّيرٌ - غَيرَ مُناسِبَةٍ لأن تَكونَ مَوضوعَ اعتِقادٍ دِينِيٍّ. فهذهِ العَوامِلُ الأُخرَى، لا الشُّروطُ الوَصفِيَّةُ التي يتضَمَّنُها مَضمونُ اسمِ 'الله'، هيَ التي قَد تُحدِثُ تَغَيُّرًا في كَيفِيَّةِ استِعمالِ لَفظِ 'الله'.

وتُتيحُ لَنا هذهِ المُناقَشَةُ لِلإحالَةِ مَدًى مِن الخِياراتِ شامِلًا شُمولًا مُلائمًا، على ما أعتَقِدُ، لِلطَّرائقِ التي يُمكِنُ أن يُحيلَ بِها المُتَحَدِّثُونَ على اللهِ. وبِرَفضِ الصُّوَرِ الكلاسيكِيَّةِ لِلوَصفِيَّةِ بِوَصفِها إمّا نظرِيَّةً لِمَضمونِ 'الله' وإمّا الطَّريقَةَ التي يُحَدَّدُ بِها حامِلُ 'الله'، يُمكِنُ أن يَكونَ المَرءُ جاهِلًا أو مُخطِئًا بِشَأنِ اللهِ في الوَقتِ الذي يَظَلُّ فيهِ قادِرًا على الإحالَةِ على اللهِ. ويَظَلُّ بِالإمكانِ أن يُحيلَ على اللهِ أشخاصٌ ذَوُو نَظَرِيّاتٍ جَسيمَةِ الخَطَإِ بِشَأنِ اللهِ. ويُمَثِّلُ هذا أمرًا جَيِّدًا لِلأبوفاتيكِيَّةِ: فبِإمكانِنا الإحالَةُ على اللهِ ولَو كُنّا عاجِزِينَ عن تَصَوُّرِ طَبيعَةِ اللهِ. [104]

---

* إسحاق نيوتِن (1642-1727م). عالِمٌ إنجليزيٌّ. يُعَدُّ مِن أبرزِ العُلَماءِ إسهامًا في الفيزياءِ والرِّياضيّاتِ على مَدى العُصورِ، ومِن رُموزِ الثَّورةِ العِلميَّةِ. شَغَلَ مَنصبَ رئيسِ الجمعيَّةِ الملكيَّةِ، وكانَ عُضوًا في البرلمانِ الإنجليزيِّ وزميلًا لكلِّيَّةِ الثّالوثِ في جامِعَةِ كيمبرِج. أسَّسَ كتابُهُ (الأصولُ الرِّياضيَّةُ لِلفَلسَفَةِ الطَّبيعيَّةِ)، الذي نُشِرَ أوَّلَ مَرَّةٍ عامَ 1687، مُعظَمَ مبادئِ الميكانيكا الكلاسيكيَّةِ. وكانَتْ لَهُ كذلكَ إسهاماتٌ مُهِمَّةٌ في مجالِ البَصَرِيّاتِ، وشارَكَ لايبنِتز في وَضعِ أُسُسِ التَّفاضُلِ والتَّكامُلِ، وصاغَ قوانينَ الحركةِ وقانونَ الجَذبِ العامِّ التي حَكَمَتْ رُؤيَةَ العُلَماءِ لِلكونِ المادِّيِّ طَوالَ القُرونِ الثَّلاثةِ التّاليةِ. [المُترجِم]

القِسمُ الثّاني

الصّدقُ الدّينِيّ

القِسمُ الثّاني

الصّدقُ الدّينِيّ

8

مُقدِّمَة

كانَت 'الرَّدِّيَّةُ' قَد استُعمِلَتْ لِلإحالَةِ على مَجموعَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِن المَذاهِبِ الفَلسَفِيَّةِ، أمّا بِوَصفِها نَظريَّةً تتعلَّقُ بِمَعنَى الجُمَلِ وصِدقِها - وعلى النَّحوِ الذي أستَعمِلُها بِهِ هُنا - فهِيَ تُحيلُ على النَّظَريّاتِ التي تُقَدِّمُ شُروطَ الصِّدقِ لِلجُمَلِ التي مِن الواضِحِ أنَّها تتعلَّقُ بِمَدًى مُعَيَّنٍ مِن الظَّواهِرِ مِن زاوِيَةِ جُمَلٍ تتعلَّقُ بِمَدًى آخَرَ مِن الظَّواهِرِ. ويُمكِنُنا أن نُسَمِّيَ هذهِ الجُمَلَ (مُتابِعِينَ في ذلكَ دَميت Dummett, 1991, p. 322) صِنفَ الجُمَلِ *الخِلافِيَّ* وصِنفَ الجُمَلِ *الرَّدِّيَّ*، على التَّوالي. ويَرى الرَّدِّيُّونَ أنَّ الجُمَلَ الخِلافِيَّةَ في اللُّغَةِ لا تَحُوزُ مَوضوعَها ذا القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ بَل تَتَعَلَّقُ بِالمَوضوعِ الذي تَصِفُهُ الجُمَلُ الرَّدِّيَّةُ. وفي الآتي ثَلاثَةُ نَماذِجَ مَشهورَةٌ لِلرَّدِّيَّةِ تتعلَّقُ بِاللُّغَةِ اللادِينِيَّةِ.

فالظّاهِراتِيَّةُ phenomenalism هيَ الوِجهَةُ التي مُفادُها أنَّ شُروطَ صِدقِ الجُمَلِ المُتعلِّقَةِ بِالعالَمِ الخارِجِيِّ يَنبَغي أن تُقَدِّمَها جُمَلٌ تتعلَّقُ بِخِبراتِنا الفِعلِيَّةِ أو المُمكِنَةِ. وتَرجِعُ أُصولُ هذهِ النَّظريَّةِ إلى كِتاباتِ جورج باركلي (1949) وجون ستيوَرت مِل (1979). إذ مَيَّزَ مِل الأشياءَ المادِّيَّةَ بِأنَّها 'إمكاناتٌ دائمَةٌ لِلإحساسِ' (1974, p. 58) وكانَتْ لَهُ طَريقَةٌ مَلحوظَةٌ في تَأويلِ الجُمَلِ المُتعلِّقَةِ بِالأشياءِ المَحسوسَةِ التي لا يَتَناوَلُها الإدراكُ الحِسِّيُّ في اللَحظَةِ الرّاهِنَةِ: فصِدقُها يَنبَغي أن تُحَدِّدَهُ جُمَلٌ شَرطِيَّةٌ تتعلَّقُ بِما يَتَناوَلُهُ الإدراكُ الحِسِّيُّ لِلشَّخصِ في

ظُروفٍ مُعَيَّنَةٍ. مِثالُ ذلكَ أنَّ صِدقَ الجُملَةِ (1) قَد يُحَدِّدُهُ صِدقُ الجُملَةِ الشَّرطِيَّةِ (2):

1. يُوجَدُ كُرسِيٌّ في الغُرفَةِ المُجاوِرَةِ.
2. إذا ذَهَبَ شَخصٌ إلى الغُرفَةِ المُجاوِرَةِ، فسَيَرَى كُرسِيًّا.

فهذا التَّحليلُ يَرُدُّ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ المُتعلِّقَةَ بِالعالَمِ الخارِجِيِّ التي مِن الصِّنفِ الخِلافِيِّ إلى عِبارَةٍ تَقريرِيَّةٍ مِن الصِّنفِ الرَّدِّيِّ المُتَعَلِّقِ بِما يَتَناوَلُهُ الإدراكُ الحِسِّيُّ لِلشَّخصِ في ظُروفٍ مُعَيَّنَةٍ. وقَد طَوَّرَ هذهِ النَّظرِيَّةَ لاحِقًا ماخ Mach* (1959) وكارناب Carnap** (1937)، وقَدَّمَ أيَر تَلخيصًا حَسَنًا لِصِياغَتِها بِوَصفِها أحَدَ أنواعِ رَدِّيَّةِ شُروطِ الصِّدقِ [107] بِقَولِهِ: 'كُلُّ عِبارَةٍ تَقريرِيَّةٍ تَجرِيبِيَّةٍ تتعلَّقُ بِشَيْءٍ مَحسوسٍ، سَواءٌ أبَدا أنَّها تُحيلُ على كِيانٍ عِلمِيٍّ أم على شَيْءٍ لَنا مَزيدُ أُلفَةٍ لَهُ مِمّا نَدَّعي في العادَةِ أنّا نُدرِكُهُ حِسِّيًّا، يُمكِنُ رَدُّها إلى عِبارَةٍ تَقريرِيَّةٍ، أو إلى مَجموعَةٍ مِن العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ، لا تُحيلُ إلّا على مُعطَياتٍ حِسِّيَّةٍ' (Ayer, 1956, p. 118).

والسُّلُوكِيَّةُ *behaviourism*، بِصُورتِها 'التَّحليلِيَّةِ' أو 'المَنطِقِيَّةِ'، هيَ نَظَرِيَّةٌ رَدِّيَّةٌ لِلجُمَلِ التي تَعزو حالاتٍ عَقلِيَّةً. ويَرمي السُّلوكِيُّونَ إلى تَجَنُّبِ ازدِواجِيَّةِ الجَوهَرِ الغامِضَةِ ومُشكِلاتِ التَّسبيبِ الذِّهنِيِّ الحاضِرَةِ، وكذلكَ إلى جَعلِ

* إيرنست ماخ (1838-1916م). فيزيائيٌّ وفَيلَسوفٌ نَمساوِيٌّ، مَشهورٌ بِإسهاماتِهِ في الفيزياءِ كدِراسَةِ الموجاتِ الصّادِمَةِ. وقَد سُمِّيَتْ نِسبَةُ سُرعَةِ الشَّخصِ إلى سُرعَةِ الصَّوتِ 'العَدَد ماخ' تَكريمًا لَهُ. وكانَ لَهُ، بِوَصفِهِ أحَدَ فَلاسِفَةِ العِلمِ، تأثيرٌ كبيرٌ في الوَضعِيَّةِ المنطقيَّةِ والبراغماتيَّةِ. وقَد استَشرَفَ، بِنَقدِهِ نظريّاتِ نيوتن في المَكانِ والزَّمانِ، النَّظرِيَّةَ النِّسبِيَّةَ لأينشتاين. مِن مُؤلَّفاتِهِ: (عِلمُ الميكانيكا)؛ و(تَحليلُ الأحاسيسِ، وعَلاقَةُ ما هوَ مَحسوسٌ بِما هوَ سايكولوجيّ)؛ و(المعرِفَةُ والخَطَأ). [المُترجِم]

** رُودولف كارناب (1891-1970م). فَيلَسوفٌ يَهودِيٌّ ألمانِيٌّ، مِن أهَمِّ فَلاسِفَةِ الوَضعِيَّةِ المنطقيَّةِ، وعُضوٌ نَشيطٌ في حَلقَةِ فيينّا. أنكَرَ دَورَ الفَلسَفَةِ بِوَصفِها عِلمًا كُلِّيًّا، ورَدَّها إلى تَحليلٍ مَنطِقِيٍّ لِلُّغَةِ. مِن مُؤلَّفاتِهِ: (وَحدَةُ العِلم)؛ و(التَّركيبُ المنطِقِيُّ لِلُّغَة)؛ و(مُقَدِّمَةٌ في المنطِقِ الرَّمزِيّ). [المُترجِم]

الحَديثِ عن الحالاتِ العَقلِيَّةِ مِمّا يُمكِنُ أن يَتَناوَلَهُ التَّقويمُ العِلمِيُّ، مِن خِلالِ ذَهابِهِم إلى أنَّ جُمَلَ الصِّنفِ الخِلافِيِّ تُجعَلُ صادِقَةً بِصِنفٍ رَدِّيٍّ مِن الجُمَلِ المُتَعَلِّقَةِ بِسُلوكِ فاعِلٍ قابِلٍ لِلمُلاحَظَةِ ومَواقِفَ سُلوكِيَّةٍ قابِلَةٍ لِلاختِبارِ في ظُروفٍ مُختَلِفَةٍ. مِثالُ ذلكَ أنَّ الجُملَةَ (3) يُمكِنُ تَحليلُها بِسِلسِلَةٍ مِن الجُمَلِ الشَّرطِيَّةِ (4):

3. بورِس عَطشانُ.
4. إذا قُدِّمَ الماءُ إلى بورِس، فسَيَقبَلُهُ؛ وإذا سُئِلَ بورِس هَل هُوَ عَطشانُ؟ فسَيَرُدُّ بِالإيجابِ؛...

ولا شَكَّ في أنَّ هذا مِثالٌ مُبَسَّطٌ لأنَّ الجُمَلَ الشَّرطِيَّةَ ستَكونُ أعقَدَ مِن ذلكَ كَثيرًا. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ إذا كانَ بورِس عَطشانَ لكِن لَم يَشَأ أن يَعتَرِفَ بِهذهِ الحَقيقَةِ، فَلَن يُتَوَقَّعَ مِنهُ أن يُقِرَّ بِكَونِهِ عَطشانَ إذا ما سُئِلَ. وقَد وَجَدَت السُّلوكِيَّةُ في شَخصِ غِلبرت رايل Gilbert Ryle* (1949)[1] أشهَرَ مُناصِرٍ لَها في الفَلسَفَةِ ويَقتَرِنُ ذِكرُها أيضًا بِكِتاباتِ فِتغِنشتاين المُتَأَخِّرَةِ في فَلسَفَةِ العَقلِ (وإن جادَلَ كَثيرونَ في كَونِ فِتغِنشتاين سُلوكِيًّا)[2]. وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ السُّلوكِيَّةَ بِصورَتِها الكلاسيكِيَّةِ المَعروضَةِ هُنا تُواجِهُ اعتِراضاتٍ لا قِبَلَ لَها بِالإجابَةِ عنها[3]، لَقِيَت نظرِيَّةٌ وَثيقَةٌ

---

* غِلبرت رايل (1900–1976م). فَيلَسوفٌ بريطانيٌّ. مُمَثِّلُ جيلِ فَلاسِفَةِ اللُّغَةِ الاعتِيادِيَّةِ البريطانِيِّينَ الذينَ شاطَروا فِتغِنشتاين مُقارَبَتَهُ لِلمُشكِلاتِ الفَلسَفِيَّةِ. أكثَرُ ما عُرِفَ بِهِ نَقدُهُ ثُنائِيَّةَ العَقل/الجَسَد الدّيكارتِيَّةَ، التي ابتَكَرَ لَها عِبارَةَ (الشَّبَح في الماكِنَة). يُحالُ عَلى بَعضِ أفكارِهِ المتعلِّقَةِ بِفَلسَفَةِ العَقلِ بِوَصفِها "سُلوكِيَّةً". أشهَرُ كُتُبِهِ هوَ (مَفهومُ العَقل) الذي ذَكَرَ فيهِ أنَّ اتِّجاهَ هذا الكِتابِ سيُصَنَّفُ بِلا شَكٍّ بِأنَّهُ "سُلوكِيٌّ". مِن مُؤَلَّفاتِهِ الأُخرى: (المُعضِلاتُ: مُحاضَراتُ تارنر)؛ و(الجَوانِبُ المُعاصِرَةُ لِلفَلسَفَة)؛ و(في التَّفكير). [المُتَرجِم]

(1) يُنظَرُ أيضًا: U.T. Place (1956).

(2) لِلوُقوفِ على بَيانِ التَّطوُّرِ السُّلوكِيِّ لِفِتغِنشتاين، يُنظَر: Malcolm (1954).

(3) مِن الاعتِراضاتِ المُهِمَّةِ جِدًّا أنَّ التَّحليلَ الرَّدِّيَّ يَتَطَلَّبُ مِنّا أن نَفتَرِضَ حالاتٍ عَقلِيَّةً إضافِيَّةً. يُنظَر: Chisholm (1957).

الصِّلَةِ بِها حَديثًا دِفاعًا على يَدِ دانييل دينِت Daniel Dennett* (2005) تَحتَ سِتارِ 'عِلم ظّاهِراتِ المُغايِر heterophenomenology'**.

أمّا *الطَّبيعِيَّةُ الأخلاقِيَّةُ ethical naturalism* فَتَقتَرِحُ أن يُرَدَّ صِنفُ الجُمَلِ الأخلاقِيَّةِ الخِلافِيُّ إلى صِنفٍ رَدّيٍّ مِن الجُمَلِ التي تتعلَّقُ بِالظَّواهِرِ الطَّبيعِيَّةِ (Jackson, 1998). إذ يَعتَقِدُ الطَّبيعِيُّونَ أنَّ الكَونَ مُكَوَّنٌ مِن وَقائعَ وصِفاتٍ طَبيعِيَّةٍ فقط، وأنَّ مُهِمَّةَ افتِراضِ الوَقائعِ والصِّفاتِ الطَّبيعِيَّةِ ودِراسَتِها مَنُوطَةٌ بِالعُلومِ الطَّبيعِيَّةِ. وتَبدو الالتِزاماتُ الأخلاقِيَّةُ مُحَيِّرَةً لِلطَّبيعِيِّينَ: إذ يَبدو أنَّها تَفتَرِضُ صِفاتٍ أخلاقِيَّةً تَقويمِيَّةً ذاتِيًّا وغَيرَ مُهَيَّأَةٍ بِوُضوحٍ لِلتَّقويمِ أو حَتّى لِلإدراكِ العِلمِيِّ. على أنَّهُ إذا كانَ بِالإمكانِ أن يُطابَقَ بينَ الصِّفاتِ الأخلاقِيَّةِ نَحوِ *صالِح* أو *يَجِبُ أن يُفعَلَ* والصِّفاتِ الطَّبيعِيَّةِ، كتَحقيقِ أكبَرِ قَدْرٍ مِن السَّعادَةِ، فستَكونُ الصِّفاتُ الأخلاقِيَّةُ مُجَرَّدَ نَمَطٍ مِن أنماطِ الصِّفاتِ الطَّبيعِيَّةِ. ويُقالُ هُنا ما قَد قيلَ آنِفًا وهوَ أنَّ هذا مِثالٌ مُبَسَّطٌ، بيدَ أنَّ الطَّبيعِيِّينَ قَد يَرَونَ أنَّ شَرطَ صِدقِ الجُملَةِ الأخلاقِيَّةِ التي على شاكِلَةِ الجُملَةِ (5) إنَّما تُقَدِّمُهُ الجُملَةُ (6): [108]

5. س هوَ شَيْءٌ يَنبَغي أن نَفعَلَهُ.

6. س هوَ الفِعلُ الذي يُحَقِّقُ أكبَرَ قَدْرٍ مِن السَّعادَةِ.

وبِذلكَ يُصبِحُ الخِطابُ الأخلاقِيُّ طَريقَةً لِلحَديثِ عن صِفاتٍ سايكولوجِيَّةٍ طَبيعِيَّةٍ.

---

* دانييل دينِت (1942–...م). فَيلَسوفٌ، وكاتِبٌ، وعالِمٌ مَعرِفِيٌّ أمريكيٌّ يَدورُ بَحثُهُ حَولَ فَلسَفَةِ العَقلِ، وفَلسَفَةِ العِلمِ، وفَلسَفَةِ عِلمِ الأحياءِ، ولا سِيَّما الحُقولُ المتعلِّقَةُ بِعِلمِ الأحياءِ التَّطَوُّرِيِّ والعِلمِ المَعرِفِيِّ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (أحلامٌ سَعيدَةٌ: عَقَباتٌ فَلسَفِيَّةٌ في طَريقِ عِلمِ الوَعي)؛ و(عِلمُ الأعصابِ والفَلسَفَةُ: الدِّماغُ، والعَقلُ، واللُّغَة)؛ و(العِلمُ والدِّين). [المُتَرجِم]

** عِلمُ ظاهِراتِ المُغايِرِ: مُصطَلَحٌ ابتَكَرَهُ دانييل دينِت لِيَصِفَ وَصفًا صَريحًا مُقارَبَةً عِلمِيَّةً مُتَعلِّقَةً بِالآخَرِ لِدِراسَةِ الوَعي وغَيرِهِ مِن الظَّواهِرِ العَقلِيَّةِ، وهيَ مَبنِيَّةٌ على تَطبيقِ المنهَجِ العِلميِّ ذي الوِجهَةِ الأنثروبولوجِيَّةِ، بِالجَمعِ بينَ الإفاداتِ الشَّخصيَّةِ لِلذَّواتِ وجَميعِ الشَّهاداتِ الأُخرى المُتاحَةِ مِن أجلِ تَحديدِ حالاتِها العَقلِيَّةِ. والهَدَفُ هوَ اكتِشافُ الكيفِيَّةِ التي تَرى الذّاتُ نَفسُها بِها العالَمَ مِن غَيرِ النَّظَرِ إلى دِقَّةِ رُؤيَةِ الذّاتِ على أنَّها أمرٌ مُسَلَّمٌ بِهِ. [المُتَرجِم]

وثَمَّةَ فِكرَتانِ تَدفعانِ بِاتِّجاهِ الرَّدِّيَّةِ. أمّا إحداهُما، ويُمكِنُ أن تُلحَظَ بِوُضوحٍ مِن خِلالِ الأمثِلَةِ المَذكورَةِ آنِفًا، فَهِيَ أنَّ الظَّواهِرَ التي تَصِفُها بِوُضوحٍ الجُمَلُ الخِلافِيَّةُ يَعُدُّها الرَّدِّيُّونَ مُشكِلَةً فَلسَفِيًّا على نَحوٍ مّا. وقَد يُوجَدُ أساسٌ قَبْلِيٌّ أو تَجريبِيٌّ لِلشَّكِّ في أنَّ الظَّواهِرَ المَعنِيَّةَ مَوجودَةٌ أو في أنَّ بِالإمكانِ أن تَكونَ لَدَينا اعتِقاداتٌ يُمكِنُ الرُّكونُ إليها بِشَأنِها. ويَرَى الرَّدِّيُّونَ أنَّ هذهِ الهَواجِسَ الفَلسَفِيَّةَ جادَّةٌ بِما يَكفي لِتَوفيرِ أساسٍ لافتِراضِ أنَّ مِساحَةَ اللُّغَةِ المَعنِيَّةَ، إذا ما أُخِذَتْ بِقيمَتِها الظّاهِرِيَّةِ، مُخطِئَةٌ خَطَأً فادِحًا. مِثالُ ذلكَ أنَّ الدّافِعَ إلى الظّاهِراتِيَّةِ قَلَقٌ إبِستمولوجِيٌّ بِشَأنِ كَيفِيَّةِ إمكانِ مَعرِفَةِ أيِّ شَيْءٍ مَهما يَكُنْ عن الأشياءِ المَحسوسَةِ عِندَما لا يَكونُ ثَمَّةَ حُضورٌ مُباشِرٌ في تَجرِبَتِنا الإدراكِيَّةِ لِغَيرِ الأحاسيسِ؛ وتَرَى الطَّبيعِيَّةُ الأخلاقِيَّةُ صُعوبَةَ أن يَكونَ ثَمَّةَ تَوافُقٌ بَينَ الصِّفاتِ الأخلاقِيَّةِ التي تَفتَرِضُها الجُمَلُ الأخلاقِيَّةُ والميتافيزيقا الطَّبيعِيَّةِ. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، يَنظُرُ الرَّدِّيُّونَ إلى مَدَى الظَّواهِرِ الذي يَصِفُهُ صِنفُ الجُمَلِ الرَّدِّيُّ على أنَّهُ جَديرٌ فَلسَفِيًّا بِالاحتِرامِ لأنَّهُ لَيسَ عُرضَةً لأنماطِ الاعتِراضِ أنفُسِها، أو لَيسَ عُرضَةً لَها بِالدَّرَجَةِ نَفسِها في أقَلِّ تَقديرٍ. ويَرمي الرَّدِّيُّونَ إلى الإجابَةِ عن الاعتِراضاتِ الفَلسَفِيَّةِ على الخِطابِ الخِلافِيِّ مِن خِلالِ جَعلِ شُروطِ صِدقِهِ جُمَلًا مِن الصِّنفِ الرَّدِّيِّ.

وأمّا الفِكرَةُ الأُخرَى، وهي أقَلُّ وُضوحًا مِن سابِقَتِها مِن خِلالِ الأمثِلَةِ المَذكورَةِ لكِنَّها لَيسَتْ بِأقَلَّ أهمِّيَّةً مِنها، فحاصِلُها أنَّ ثَمَّةَ أسبابًا وَجيهَةً تَدعو إلى الاحتِفاظِ بِالخِطابِ الخِلافِيِّ. فإذا كانَ الرَّدِّيُّونَ يَقتَرِحونَ تَأويلَ صِنفِ الجُمَلِ الخِلافِيَّةِ مِن زاوِيَةِ صِنفٍ جُمَلِيٍّ رَدِّيٍّ، فَلِمَ لا يُلجَأُ بَدَلًا مِن ذلكَ بِبَساطَةٍ إلى إلغاءِ استِعمالِ صِنفِ الجُمَلِ الأولَى وإحلالِ جُمَلٍ مِن الصِّنفِ الرَّدِّيِّ مَحلَّها؟ ثُمَّ إنَّ الرَّدِّيِّينَ يَرَونَ، لِلأسبابِ المذكورَةِ، أنَّ الجُمَلَ التي مِن الصِّنفِ الخِلافِيِّ تَكونُ كاذِبَةً *إذا أُخِذَتْ بِقيمَتِها الظّاهِرِيَّةِ*. وستَحظَى الاستراتيجيا الإقصائِيَّةُ بِمَزِيَّةٍ إضافِيَّةٍ هِيَ استِبدالُ الجُمَلِ ذَواتِ المَظهَرِ المُضَلِّلِ الذي يُقَدِّمُ وَصفًا لِكِياناتٍ مُلتَبِسَةٍ فَلسَفِيًّا. فالرَّدِّيُّونَ يَحتاجونَ إلى سَبَبٍ يَدعوهُم إلى الاستِمرارِ في استِعمالِ صِنفِ الجُمَلِ الخِلافِيِّ. وفي بَعضِ الحالاتِ، رُبَّما لا يَكونُ الاستِبعادُ خِيارًا صالِحًا.

مِثالُ ذلكَ أنَّ الرَّدِّيَّ بِشَأنِ عِلمِ الأحياءِ قَد يَذهَبُ إلى أنَّ صِدقَ الجُمَلِ الأحيائيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بِالظَّواهِرِ العُضويَّةِ يُحَدِّدُهُ صِدقُ جُمَلٍ فيزيائيَّةٍ وكيميائيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِظَواهِرَ أكثَرَ مَحدوديَّةً في القِياسِ. على أنَّ الجُمَلَ الفيزيائيَّةَ والكيميائيَّةَ التي يُمكِنُ أن تُرَدَّ إليها الجُمَلُ الأحيائيَّةُ قَد تَكونُ غايَةً في الطُّولِ والتَّعقيدِ؛ ثُمَّ إنَّ [109] العُلَماءَ في كَثيرٍ مِن الحالاتِ لا يَمتَلِكونَ ما يَكفي مِن المَعلوماتِ التي تُمَكِّنُهُم مِن الإخبارِ بِما يُمكِنُ أن تَكونَهُ حالاتُ الرَّدِّ هذهِ. فحَتّى إذا كانَ صِدقُ الجُمَلِ الأحيائيَّةِ مُعتَمِدًا على صِدقِ الجُمَلِ الفيزيائيَّةِ والكيميائيَّةِ، فلَن يَكونَ إحلالُ الخِطابِ الفيزيائيِّ والكيميائيِّ مَحلَّ الخِطابِ الأحيائيِّ خِيارًا عَمَلِيًّا. ومِن الأسبابِ الأُخرَى الدّاعيَةِ إلى تَفضيلِ الرَّدِّيَّةِ على الإقصائيَّةِ مَدَى وُجودِ مَزايا اجتِماعِيَّةٍ في استِعمالِ الجُمَلِ الخِلافِيَّةِ. وقَد يَكونُ في هذا ما يُعَزِّزُ جانِبَ الجُمَلِ الأخلاقِيَّةِ؛ إذ يُلحَظُ أنَّ الأشخاصَ الذينَ لا يُمارِسُونَ الخِطابَ الأخلاقِيَّ لا يُقَدِّمونَ نَماذِجَ أدوارٍ واعِدَةً. وبِذلكَ قَد يَوَدُّ الطَّبيعِيُّونَ الأخلاقِيُّونَ استِبقاءَ الخِطابِ الأخلاقِيِّ وإن كانَ ما يُقَدِّمُ شُروطَ صِدقِ الجُمَلِ الأخلاقِيَّةِ هوَ (مَثَلًا) الجُمَلَ المُتَعَلِّقَةَ بِسَعادَةِ البَشَرِ.

فَهذهِ النِّقاطُ مُجتَمِعَةً تُقَدِّمُ سِياقًا تَبدو فيهِ الرَّدِّيَّةُ نَظَرِيَّةً جَذّابَةً فِعلًا. فالخِطابُ الخِلافِيُّ هوَ الخِطابُ الذي إقصاؤُهُ إمّا غَيرُ مَرغوبٍ فيهِ وإمّا غَيرُ عَمَلِيٍّ، لكِن يَبدو أنَّهُ يُوقِعُ المُتَحَدِّثِينَ بِهِ في خَطَإٍ نِظامِيٍّ. وتُمِدُّنا الرَّدِّيَّةُ بِمَخرَجٍ مِن هذهِ المُشكِلَةِ فيهِ تَلَطُّفٌ بِالمُتَحَدِّثِينَ. فإن بَدا مَجالُ الخِطابِ، استِنادًا إلى قِراءَةٍ ظاهِرِيَّةٍ القِيمَةِ، مُتَعَلِّقًا بِمَدًى مِن الظَّواهِرِ المُثيرَةِ لِلجَدَلِ الفَلسَفِيِّ، فالذي يَراهُ الرَّدِّيُّونَ أنَّها تتعلَّقُ في الواقِعِ بِمَدًى مُتَمايِزٍ مِن الظَّواهِرِ غَيرِ الخِلافِيَّةِ التي تَصِفُها الجُمَلُ الرَّدِّيَّةُ. فالرَّدِّيَّةُ تُمِدُّنا بِطَريقَةٍ لِلتَّحَدُّثِ عن الظَّواهِرِ والتَّفكيرِ فيها مِن غَيرِ إثارَةِ اعتِراضاتٍ ميتافيزيقيَّةٍ أو إبِستمولوجيَّةٍ (أو بِإثارَةِ عَدَدٍ أقَلَّ).

وتَسيرُ الرَّدِّيَّةُ الدِّينِيَّةُ على وَفقِ نَمَطٍ مُشابِهٍ لأنواعِ الرَّدِّيَّةِ الأُخرَى. ويَبرُزُ الدّافِعُ الأوَّلُ المَذكورُ آنِفًا بِخاصَّةٍ في الكِتاباتِ المُتعلِّقَةِ بِالرَّدِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ. مِثالُ ذلكَ

أنَّ أُطروحَةَ سبِنوزا *Spinoza الرَّدِّيَّةَ كانَ دافِعُها الواحِدِيَّةَ monism، في حينِ أنَّ رَدِّيّي بَواكيرِ القَرنِ العِشرينَ كجُوليان هَكسلي **Julian Huxley وهنري ويمان ***Henry Wieman (وهوَ شَخصِيَّةٌ قِيادِيَّةٌ في حَرَكَةِ 'التَّجريبِيَّةِ الدِّينِيَّةِ' في اللاهوتِ التي ما زالَتْ قائمَةً) تَطَلَّعوا إلى رَدِّيَّةٍ تَجعَلُ اللُّغَةَ الدِّينِيَّةَ مُنسَجِمَةً معَ الوِجهَةِ الطَّبيعِيَّةِ. ويُقَدِّمُ غوردن كوفمان، في الوَقتِ الذي لا يَتَبَنّى فيهِ الوِجهَةَ الطَّبيعِيَّةَ، مُقارَبَةً رَدِّيَّةً لِلدِّينِ لا تَفترِضُ فيها الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ كِياناتٍ خارِقَةً لِلطَّبيعَةِ. ويَتعاطَفُ الرَّدِّيّونَ الدِّينِيّونَ أيضًا بِشِدَّةٍ معَ الاستِعمالِ المُستَمِرِّ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ (المُجَهَّزِ بِتَحليلٍ رَدِّيٍّ ناجِحٍ لِمَعناهُ) وإن كانُوا في الغالِبِ غَيرَ واضِحِينَ بِشَأنِ الأسبابِ الدّاعِيَةِ إلى استِبقاءِ الخِطابِ الدِّينِيِّ، على ما سَنَراهُ في الفَصلِ اللاحِقِ.

وعلى العُمومِ، يَنبَغي لِلرَّدِّ النّاجِحِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ أن يُحَقِّقَ أربَعَةَ أُمورٍ: أَوَّلُها (أ) أن يُقَدِّمَ أساسًا لِلشَّكِّ في صِدقِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ حينَ تُمارَسُ عليها قِراءَةٌ ظاهِرِيَّةُ القِيمَةِ؛ وثانيها (ب) أن يُقَدِّمَ صِنفًا رَدِّيًّا مِن الجُمَلِ غَيرِ الخِلافِيَّةِ فَلسَفِيًّا وأن يُفَسِّرَ كيفِيَّةَ رَدِّ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ إليها؛ وثالِثُها (ج) أن يُقَدِّمَ [110] الأسبابَ الدّاعِيَةَ إلى استِبقاءِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ بَدَلًا مِن إحلالِ اللُّغَةِ الرَّدِّيَّةِ محلَّها؛ ورابِعُها (د) أن يُقَدِّمَ الدَّليلَ المُؤيِّدَ لِلتَّأويلِ الرَّدِّيِّ المُقتَرَحِ. وعَلى الرَّدِّيِّينَ أن يُقَدِّموا ما يُؤيِّدُ كَونَ صِنفِ

---

* باروخ سبِنوزا (1632-1677م). فَيلَسوفٌ هولنديٌّ مِن أَهَمِّ فَلاسِفَةِ القَرنِ السّابعَ عَشَرَ. يُعَدُّ كتابُهُ (الأخلاق) الذي أَلَّفَهُ في عام 1677 من أَهَمِّ الكُتُبِ المؤثِّرَةِ في الفَلسَفَةِ الغَربيَّةِ. ومِن مُؤَلَّفاتِهِ الأُخرى: (مَبادِئُ فَلسَفَةِ ديكارت)؛ و(رِسالةٌ في اللاهوتِ والسِّياسَة). [المُترجِم]

** جُوليان سوريل هَكسلي (1887-1975م). عالِمُ أحياءٍ تَطَوُّرِيٌّ ونَحسينِ لِلنَّسلِ وثَورِيٌّ دَولِيٌّ بريطانيٌّ. كانَ مُناصِرًا لِلانتِخابِ الطَّبيعيِّ، وشَخصيَّةً قِيادِيَّةً في الحَرَكَةِ التَّوفيقِيَّةِ الحَديثَةِ، وأمينًا عامًّا لِجَمعيَّةِ لَندن لِلحَيَوانِ، وأوَّلَ مُديرٍ لِليونسكو، وعُضوًا مُؤَسِّسًا لِلصُّندوقِ العالميِّ لِلطَّبيعَةِ، وأوَّلَ رَئيسٍ لِلجمعيَّةِ الإنسانيَّةِ البريطانيَّةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الفَردُ في مَملَكَةِ الحَيَوان)؛ و(عِلمُ الحَياةِ: خُلاصَةُ المعرِفَةِ المُعاصِرَةِ لِلحَياةِ وإمكاناتِها)؛ و(مَدخَلٌ إلى العِلم). [المُتَرجِم]

*** هنري نِلسن ويمان (1884-1975م). فَيلَسوفٌ ولاهوتِيٌّ أمريكِيٌّ. أصبَحَ أشهَرَ مُناصِرٍ لِلطَّبيعِيَّةِ اللاهوتِيَّةِ المركَزِ ولِلمَنهَجِ التَّجريبِيِّ في عِلمِ اللاهوتِ الأمريكِيِّ، وأعانَ على ظُهورِ الطَّبيعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ في نِهاياتِ القَرنِ العِشرينَ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الخِبرَةُ الدِّينِيَّةُ والمَنهَجُ العِلمِيّ)؛ و(مَناهِجُ العَيشِ الدِّينِيِّ الخاصّ)؛ و(مَصدَرُ الخَيرِ البَشَرِيّ). [المُتَرجِم]

الجُمَلِ الرَّدِّيّ يَمنَحُ فِعليًا صِنفَ الجُمَلِ الخِلافِيِّ شُروطَ صِدقِهِ؛ وإلّا فَسيَكونُ كُلُّ ما يَتضَمَّنُهُ الرَّدُّ تَغييرَ مَوضوعِ اللُّغَةِ الدِّينيَّةِ ولَن يتضَمَّنَ تَقديمَ تَأويلٍ مَقبولٍ لِمَعناها. وإنَّ تَحقيقَ هذهِ الأهدافِ الأربَعَةِ جَميعًا لَمُهِمَّةٌ عَسيرَةٌ، ولا سيَّما في ما يتعلَّقُ بِاللُّغَةِ الدِّينيَّةِ (وفي الفَصلِ 9 مُناقَشَةٌ لِلتّاريخِ الطَّويلِ لِلمُحاوَلاتِ غَيرِ النّاجِحَةِ).

وتُمَثِّلُ الأدنَويَّةُ الدِّينيَّةُ religious minimalism، وهيَ نظريَّةٌ تَرجِعُ أُصولُها إلى تَعليقاتِ فِتغِنشتاين على الدِّينِ ومُحاضَراتِهِ فيهِ، تَحَدِّيًا لِمُقارَبَةِ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ لِلصِّدقِ الدِّينِيِّ أكثَرَ جَوهَرِيَّةً وإثارَةً مِن التَّحَدِّي الذي تُمَثِّلُهُ الرَّدِّيَّةُ. فَفي حينِ أنَّ الرَّدِّيَّةَ تَقتَضي تَحليلًا لِلُغَةِ الدِّينيَّةِ ناجِحًا ورَدِّيًا يَشهَدُ لَهُ دَليلٌ مُعتَبَرٌ، وهذا ما يُثيرُ عَدَدًا مِن الاعتِراضاتِ، يَكونُ اعتِمادُ الأدنَويَّةِ في المَقامِ الأوَّلِ على الأُطروحَةِ *الانكِماشِيَّةِ* لِلصِّدقِ التي سَبَقَ عَرضُها في الفَصلِ 6. وبَدَلًا مِن الانطِلاقِ مِن قاعِدَةٍ نَظريَّةٍ ميتافيزيقيَّةٍ، كالوِجهَةِ الطَّبيعيَّةِ، يَدَّعي الأدنَويُّونَ أنَّهُم إنَّما يَصِفونَ استِعمالَ اللُّغَةِ؛ فهُم يَرمونَ إلى 'تَركِ كُلِّ شَيْءٍ على ما هوَ عليهِ'، على حَدِّ تَعبيرِ فِتغِنشتاين، ومَنهَجُهُم 'لا يُمكِنُ أن يَتَضارَبَ مَعَ الاستِعمالِ الفِعلِيِّ لِلُّغَةِ؛ فكُلُّ ما يُمكِنُ أن يَفعَلَهُ لَيسَ سِوَى وَصفِهِ' (1953, p. 124). وسيَكونُ عَرضي لِلأدنَويَّةِ في ما يَأتي عَرضًا عامًّا شَيئًا مّا، أمّا تَسليطُ الضَّوءِ على الأدنَويَّةِ الدِّينيَّةِ فَمَحلُّهُ الفَصلُ 10، حَيثُ سأُراجِعُ أيضًا بَعضَ مَسالِكِ الاعتِراضِ الرَّئيسَةِ على النَّظريَّةِ في فَلسَفَةِ الدِّينِ. وأمّا في الفَصلِ 11 فسأُطَوِّرُ ما أعتَقِدُ أنَّهُ أكثَرُ مَسالِكِ حُجَجِ الاعتِراضِ إقناعًا على التَّأويلِ الأدنَويِّ لِلصِّدقِ الدِّينِيِّ.

ما الأدنَويَّة؟

تَرتَكِزُ الأدنَويَّةُ على النَّظرِيّاتِ الانكِماشِيَّةِ لِلصِّدقِ والمَضمونِ القابِلِ لِلصِّدقِ أو القَضَوِيِّ[4]. وتَذهَبُ النَّظريَّةُ الانكِماشِيَّةُ لِلصِّدقِ، التي بُيِّنَت خُطوطُها العامَّةُ في

(4) يُلحَظُ أنَّ مُصطَلَحَي 'الأدنَويَّة' و'الانكِماشِيَّة' كِلَيهِما مُصطَلَحانِ فَلسَفِيّانِ مُتَخَصِّصانِ =

الفَصلِ 6، إلى أنَّ المَضمونَ الصِّدقِيَّ يَستنفِدُهُ بِدَرَجَةٍ كَبيرةٍ المُخَطَّطُ غَيرُ الاقتِباسِيِّ disquotational schema (DS)، الذي يُمكِنُ أن تُحَلَّ فيهِ أيَّةُ جُملَةٍ مَحلَّ ‘S’:

(DS) ‘S’ لا تكونُ صادِقَةً إلّا إذا كانَ S.

ويُقَدِّمُ لَنا المُخَطَّطُ غَيرُ الاقتِباسِيِّ، معَ كُلِّ ما يَتَفَرَّعُ مِنهُ، كُلَّ ما هوَ إخبارِيٌّ مِمّا يُمكِنُ أن يُقالَ عُمومًا بِشأنِ الصِّدقِ. فالنَّظرِيَّةُ الانكِماشِيَّةُ لِلمَضمونِ القابِلِ لِلصِّدقِ أو القَضَوِيِّ هيَ الوِجهَةُ التي تَرَى أنَّهُ مِن أجلِ أن يَكونَ لِلجُملَةِ [111] مَضمونٌ كهذا، لا تَحتاجِ إلّا إلى أن تَكونَ قادِرَةً على الوَفاءِ بِمُقتَضَياتِ المُخَطَّطِ غَيرِ الاقتِباسِيِّ. فَعَلَى وَفقِ هذهِ الوِجهَةِ، سيَكونُ لِكُلِّ جُملَةٍ إفصاحِيَّةٍ دالَّةٍ مَضمونٌ قابِلٌ لِلصِّدقِ (Boghossian, 1990).

فكَيفَ يَنبَغي أن نُؤَوِّلَ المُخَطَّطَ غَيرَ الاقتِباسِيِّ؟ الذي يَقتَرِحُهُ الأدنَويُّونَ هوَ أن نَعُدَّ المُخَطَّطَ غَيرَ الاقتِباسِيِّ DS رابِطًا بينَ صِدقِ الجُملَةِ (الجانِبِ الأيمَنِ) وإقرارِ S (الجانِبِ الأيسَرِ). أي إنَّ ما يَدعو إلى إقرارِ جُملَةٍ مّا هوَ ما يَدعو إلى عَدِّها صادِقَةً، والعَكسُ صَحيحٌ. فإذا استُحضِرَتْ هذهِ القِراءَةُ لِلمُخَطَّطِ غَيرِ الاقتِباسِيِّ، استُبقِيَ هذا المُخَطَّطُ عندَ تَحليلِ صِدقِ جُملَةٍ مّا مِن زاوِيَةِ التَّسويغِ لإقرارِ هذهِ الجُملَةِ. وثَمَّةَ طَريقَةٌ تُنجِزُ ذلكَ - وسَنَنظُرُ هُنا في طَرائقَ أُخرَى - بِتَحليلِ الصِّدقِ على أنَّهُ قابِلِيَّةُ تَقريرٍ مُسَوَّغَةٌ. وقابِلِيَّةُ التَّقريرِ المُسَوَّغَةُ هيَ خاصِّيَّةُ المُسَوَّغِيَّةِ، بِما يُلائمُ مَعاييرَ تَسويغِ الخِطابِ المَعنِيِّ معَ أفضَلِ دَليلٍ مُتوافِرٍ مِن حَيثُ المَبدأُ، لِتَقريرِ جُملَةٍ مّا. فإذا كُنّا في وَضعٍ يَسمَحُ لَنا بِأن نَعُدَّ S قابِلَةً لِلتَّقريرِ على نَحوٍ مُسَوَّغٍ، فَسَنَكونُ أيضًا في وَضعٍ يَسمَحُ لَنا بِإقرارِ S؛ وإذا كُنّا في وَضعٍ يَسمَحُ لَنا بِإقرارِ S، فسنَكونُ، استِنادًا إلى القِراءَةِ الأدنَويَّةِ لِلمُخَطَّطِ غَيرِ الاقتِباسِيِّ، في وَضعٍ يَسمَحُ لَنا بِأن نَعُدَّ S صادِقَةً. ويَلزَمُ مِن ذلكَ أنَّ أساسَ

= يَستَعمِلُهُما فَلاسِفَةٌ مُختَلِفونَ استِعمالًا مُختَلِفًا، وإن كانُوا عادَةً مّا يَفعَلونَ ذلكَ لِيُحيلوا على نَظرِيّاتٍ وَثيقَةِ الصِّلَةِ بِالنَّظرِيّاتِ التي نَنظُرُ فيها هُنا.

مُسَوَّغِيَّةِ تَقريرِ S هوَ أساسُ كَونِ S صادِقَةً، والعَكسُ صَحيحٌ. فالذي تَذهَبُ إليهِ النَّظريَّةُ الأدنَويَّةُ لِلمَضمونِ القَضَويِّ أنَّ أيَّةَ جُملَةٍ دالَّةٍ تَفي بِمُقتَضَياتِ المُخَطَّطِ غَيرِ الاقتِباسِيِّ، وبِذلكَ تَكونُ شَيئًا مّا يُمكِنُ مِن حَيثُ المَبدَأُ أن يُسَوِّغَ تَقريرُنا لَهُ أو رَفضُهُ، لَها مَضمونٌ قَضَوِيٌّ. وإنّي، على العُمومِ، لأنظُرُ إلى الاستراتيجيا الانكِماشِيَّةِ على أنَّها تُحَلِّلُ الصِّدقَ والمَضمونَ القابِلَ لِلصِّدقِ مِن زاوِيَةِ الوَفاءِ بِمُقتَضَياتِ المُخَطَّطِ غَيرِ الاقتِباسِيِّ؛ وأنظُرُ إلى الاستراتيجيا الأدنَوِيَّةِ على أنَّها تُحَلِّلُ الصِّدقَ والمَضمونَ القابِلَ لِلصِّدقِ (والوَفاء بِمُقتَضَياتِ المُخَطَّطِ غَيرِ الاقتِباسِيِّ) مِن زاوِيَةِ التَّسويغِ.

وحينَ تُطَبَّقُ الأدنَوِيَّةُ على الخِطابِ الدِّينِيِّ، سَيَكونُ بِالإمكانِ أن يُرَى أنَّها سرعانَ ما تَنجَحُ في أن تُصبِحَ أُطروحَةً لِلصِّدقِ الدِّينِيِّ. فمِن الواضِحِ أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ، على ما يُمكِنُ أن نَراهُ في الجُملَةِ (7)، تَفي بِمُقتَضَياتِ المُخَطَّطِ غَيرِ الاقتِباسِيِّ:

7. 'اللهُ كُلِّيُّ القُدرَةِ' لا تكونُ صادِقَةً إلّا إذا كانَ اللهُ كُلِّيَّ القُدرَةِ.

وبِذلكَ يُمكِنُ أن تَكونَ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ صادِقَةً مِن خِلالِ كَونِها مُسَوَّغَةً على نَحوٍ مُناسِبٍ أو مُلَبِّيَةً على نَحوٍ مُلائمٍ لِلمَعاييرِ الدّاخِلِيَّةِ لِتَسويغِ الخِطابِ الدِّينِيِّ. وتُلَبّي الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ أيضًا الشُّروطَ التي تتطلَّبُها الأدنَوِيَّةُ لِحِيازَةِ المَضمونِ القَضَوِيِّ.

وقَد يُعتَرَضُ هُنا بِأنَّ هذا لا يُمكِنُ أن يَكونَ أُطروحَةً كافِيَةً لِلصِّدقِ في الدِّينِ لأنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تُجعَلُ صادِقَةً *بِالوَقائعِ* وتُحيلُ على اللهِ، وما إلى ذلكَ. على أنَّ مِن العَبَثِ، على ما رَأَينا في الفَصلِ 6، أن تُوَسَّعَ الاستراتيجيا الانكِماشِيَّةُ إلى ما وَراءَ الصِّدقِ لِتَشمَلَ ألفاظًا أُخرَى مُثيرَةً لِلخِلافِ. فَالمَسأَلَةُ المَعنِيَّةُ لا تَكونُ *واقِعَةً*، على سبيلِ المِثالِ، إلّا في حالَةِ كَونِ الجُملَةِ النّاقِلَةِ لَها صادِقَةً. وقَد تُحَلَّلُ الإحالَةُ على أنَّها صِفَةٌ لِلألفاظِ المُفرَدَةِ [112] التي تَرِدُ في

الجُمَلِ الصّادِقَةِ. وقَد يُفيدُ الأدنَويُّونَ أيضًا مِن فِكرَةِ أنَّ الجُمَلَ الصّادِقَةَ *تُناظِرُ* الواقِعَ. وفي الآتي إحدَى طَرائقِ فِعلِ ذلكَ (Wright, 1992, p. 25). إذ تُعادُ صِياغَةُ البَداهَةِ التَّناظُرِيَّةِ التي مُفادُها أنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ تُناظِرُ الوَقائعَ على النَّحوِ الآتي:

(CP) '*P*' لا تَكونُ صادِقَةً إلّا إذا كانَتِ الأُمورُ على النَّحوِ الذي تُخبِرُ *P* بِأنَّها عَلَيهِ.

فَلْنَفتَرِضِ الآنَ أنّا نُثبِتُ الآتيَ:

8. '*P*' تُخبِرُ بِأنَّ *P*.

فالنَّتيجَةُ هيَ الآتي:

9. لا تكونُ الأُمورُ على النَّحوِ الذي تُخبِرُ '*P*' بِأنَّها عَلَيهِ إلّا إذا كانَتْ *P*.

ويَنتُجُ CP بِفِعلِ تَطبيقِ DS على الجُملَةِ (9). وقَد يتطَلَّبُ الأمرُ تَأويلًا تَناظُرِيًّا أقوَى مَظهَرًا، نَحو:

(*CP**) 'P' صادِقَةٌ لأنَّ *P*.

لكِنْ بِإمكانِ الأدنَويِّينَ أن يَحصُلُوا على CP* مِن CP أيضًا (Horwich, 1998, ch. 7). ذلكَ بِأنَّهُ إذا كانَتْ '*P*' تُخبِرُ بِأنَّ *P*، لَزِمَ مِن ذلكَ أنَّ الأُمورَ على النَّحوِ الذي تُخبِرُ '*P*' بِأنَّها عَلَيهِ لأنَّهُ صِدقٌ أنَّ *P*. أي إنَّ '*P*' صادِقَةٌ لأنَّ *P*.

فالفِكرَةُ المَركَزِيَّةُ في الأُطروحَةِ الأدنَويَّةِ لِلصِّدقِ هيَ فِكرَةُ أنَّ الصِّدقَ مُرتَبِطٌ بِمَعاييرِ التَّسويغِ. ولَيسَتْ هذهِ المُقارَبَةُ بِجَديدَةٍ. فَثَمَّةَ تَحليلٌ سابِقٌ، هوَ التَّحليلُ

الذي اقتَرَنَ بِالبراغماتِيِّينِ تشارلز بيرس Charles Peirce* (1934) وجون ديوي John Dewey** (1938)، مُفادُهُ أنَّ الصِّدقَ مَقبوليَّةٌ عَقلانِيَّةٌ مُؤَمثَلَةٌ. أي إنَّ العِبارَةَ التَّقريريَّةَ S لا تَكونُ صادِقَةً إلّا إذا أَقرَّ بِها كُلُّ مَن يَبحَثُ فيها في ظِلِّ شُروطٍ مِثالِيَّةٍ مَعرِفِيًّا. وقَد افتُرِضَ أنَّ هذهِ الجُملَةَ الشَّرطِيَّةَ المُزدَوِجَةَ تَصِحُّ في جَميعِ الجُمَلِ القابِلَةِ لِلصِّدقِ. وقَد دافَعَ هِلاري بَتْنام Hilary Putnam*** في مَرحَلَةٍ مِن المَراحِلِ عن مُقتَرَحٍ وَثيقِ الصِّلَةِ بِذلكَ، إذ قالَ:

> الصِّدقُ أَمثَلَةٌ لِمَقبوليَّةٍ عَقلانِيَّةٍ. فنَحنُ نَتَحَدَّثُ كما لَو كانَ ثَمَّةَ شَيْءٌ يُدعى شُروطًا مِثالِيَّةً مَعرِفِيًّا، ونَحنُ نَقولُ عن عِبارَةٍ تَقريريَّةٍ مَا إنَّها 'صادِقَةٌ' إذا كانَتْ مُسَوَّغَةً في ظِلِّ شُروطٍ كهذهِ. ولا شَكَّ في أنَّ 'الشُّروطَ المِثالِيَّةَ مَعرِفِيًّا' تُشبِهُ 'السُّطوحَ غَيرَ الاحتِكاكِيَّةِ': إذ لا يُمكِنُنا واقِعِيًّا أن نَحصُلَ على شُروطٍ مِثالِيَّةٍ مَعرِفِيًّا، بَل لا يُمكِنُنا حَتّى أن نَكونَ مُوقِنِينَ تَمامًا بِأنّا قَد اقتَرَبْنا مِنها بِما يَكفي. بَيدَ أنّا لا يُمكِنُنا أيضًا أن نَحصُلَ على السُّطوحِ غَيرِ الاحتِكاكِيَّةِ، ومعَ ذلكَ نَحنُ نَتَحَدَّثُ عنها حَديثَنا عَن 'حاضِرٍ مَوجودٍ' لأنَّ بِإمكانِنا تَقريبَها إلى دَرَجَةٍ عالِيَةٍ جِدًّا مِن التَّقريبِ. (1981, p. 55) [113]

* تشارلز ساندرز بيرس (1839-1914م). سيميائيٌّ، وفَيلَسوفٌ أمريكيٌّ. يُعَدُّ مُؤَسِّسَ البراغماتيَّةِ مَعَ وِليَم جَيمس، ويُعَدُّ كذلكَ أَحَدَ مُؤَسِّسي السِّيميائيّاتِ المُعاصِرةِ مَعَ دو سوسير. مِن آثارِهِ: (المُصادَفَةُ، والحُبُّ، والمَنطِقُ: مَقالاتٌ فَلسَفِيَّةٌ)؛ و(البُحوثُ الكامِلَةُ لِتشارلز ساندرز بيرس)؛ و(العَناصِرُ الجَديدَةُ لِلرِّياضِيّات). [المُترجِم]

** جون ديوي (1859-1952م). فَيلَسوفٌ، وعالِمُ نَفسٍ، ومُصلِحٌ تَربَويٌّ أمريكيٌّ، وزَعيمٌ مِن زُعَماءِ الفَلسَفَةِ البراغماتيَّةِ، ومِن مُؤَسِّسِي عِلمِ النَّفسِ الوَظيفيِّ، ويُقالُ إنَّهُ هو مَن أطالَ عُمُرَ الفَلسَفَةِ البراغماتيَّةِ، واستَطاعَ أن يَستَعمِلَ بِلَباقَةٍ كلمَتَيْنِ قريبَتَيْنِ مِن الشَّعبِ الأمريكيِّ، هُما العِلمُ والديمُقراطيَّةُ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (عِلمُ النَّفسِ الجَديد)؛ و(المَدرَسَةُ والمُجتَمَع)؛ و(المبادِئُ الأخلاقِيَّةُ في التَّربِيَة)؛ و(كَيفَ نُفَكِّرُ)؛ و(الفَلسَفَةُ والحَضارَة). [المُترجِم]

*** هِلاري وايتهول بَتْنام (1926-2016م). فَيلَسوفٌ، ورياضِيٌّ، وحاسوبِيٌّ أمريكيٌّ، وشَخصِيَّةٌ كَبيرَةٌ في الفَلسَفَةِ التَّحليلِيَّةِ في النِّصفِ الثّاني مِن القَرنِ العِشرِينَ. كانَتْ لَهُ إسهاماتٌ مُهِمَّةٌ في فَلسَفَةِ العَقلِ، وفَلسَفَةِ اللُّغَةِ، وفَلسَفَةِ الرِّياضِيّاتِ، وفَلسَفَةِ العِلم. مِن آثارِهِ: (فَلسَفَةُ المَنطِق)؛ و(المَعنى والعُلومُ الأخلاقِيَّة)؛ و(العَقلُ، والصِّدقُ، والتّاريخ). [المُتَرجِم]

ومِن الواضِحِ أنَّ بَنْثام لا يَرمي إلى تَقديمِ تَعريفٍ لِلصِّدقِ بَل يَقصِدُ إيضاحَ الفِكرَةِ. والنُّقطَةُ الأساسِيَّةُ التي جاءَ بِها بَنْثام هيَ أنَّ الصِّدقَ قَد يَستَغني عن التَّسويغِ *هُنا والآنَ* - أي ما يَبدو لَنا مُسَوَّغًا استِنادًا إلى دَليلٍ مُتَوافِرٍ حالِيًّا - لكِنَّهُ لا غِنى لَهُ عن التَّسويغِ كُلِّهِ: 'فادِّعاءُ أنَّ عِبارَةً تَقريرِيَّةً مّا صادِقَةٌ يَعني ادِّعاءَ أنَّها يُمكِنُ أن تَكونَ مُسَوَّغَةً' (1981, p. 56). وزِيادَةً على بَنْثام وبيرس، كُنّا قَد أورَدْنا تَحليلَ الصِّدقِ بِوَصفِهِ قابِلِيَّةَ تَقريرٍ مُسَوَّغَةً تَجعَلُ الصِّدقَ مُرتَبِطًا بِتَلبِيَةِ مَعاييرِ التَّسويغِ[5]. وفي مُؤَلَّفٍ أحدَثَ مِن ذلكَ تَناوَلَ الصِّدقَ، اقتَرَحَ كرِسبِن رايت *قابِلِيَّةَ التَّقريرِ المُفْرِطَةَ* superassertibility بِوَصفِها خِيارًا لِقابِلِيَّةِ التَّقريرِ المُسَوَّغَةِ أكثَرَ إقناعًا (Wright, 1992). فالعِبارَةُ التَّقريرِيَّةُ تَكونُ قابِلَةً لِلتَّقريرِ بِإفراطٍ إذا أمكَنَ تَسويغُها ويَستَمِرُّ هذا التَّسويغُ في ظِلِّ أيِّ تَحَسُّنٍ اعتِباطِيٍّ لِمَعلوماتِنا[6].

ورُبَّما يَكونُ قَد اتَّضَحَ سَبَبُ رَفضِ مُقارَبَةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لِلأدنَوِيَّةِ. فالذي يُمَيِّزُ الأدنَوِيَّةَ عُمومًا نَظَرُها إلى الصِّدقِ على أنَّهُ تَنقُلُهُ العِباراتُ التَّقريرِيَّةُ التي هيَ قابِلَةٌ لِلتَّسويغِ مِن حَيثُ المَبدأُ: فَإنَّها في ظِلِّ شُروطٍ مَعرِفِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ تَفي بِمُقتَضَياتِ مَعاييرَ لِلتَّسويغِ ذاتِ صِلَةٍ. ولأنَّ الصِّدقَ مُرتَبِطٌ بِمُمارَساتٍ تَسويغِيَّةٍ، يُمكِنُ القَولُ إنَّهُ *مُقَيَّدٌ بِالدَّليلِ*؛ فَلا يُمكِنُ أن تُوجَدَ حَقائقُ تُعجِزُ قُدرَتَنا (مِن حَيثُ المَبدَأُ) على تَسويغِها. والصِّدقُ *مُقَيَّدٌ بِالمَعرِفَةِ* أيضًا لأنَّ جَميعَ الحَقائقِ يَجِبُ، لِلسَّبَبِ السّابِقِ نَفسِهِ، أن تَكونَ قابِلَةً لِلمَعرِفَةِ مِن حَيثُ المَبدَأُ. وحَتّى إذا لَم نَعرِف فِعلِيًّا: هَل الجُملَةُ صادِقَةٌ أو ليسَ لَها (هُنا والآنَ) دَليلٌ على صِدقِها، يَرَى الأدنَوِيُّونَ أنَّ صِدقَها مُرتَبِطٌ مَفهومِيًّا بِأنّا مِن المُمكِنِ أن نَكونَ في وَضعٍ نَكونُ بِهِ في وَضعٍ نَعلَمُ بِهِ أنَّها صادِقَةٌ أو أنَّ لَها دَليلًا كافِيًا على صِدقِها. وبِعَكسِ ذلكَ، تَذهَبُ مُقارَبَةُ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ إلى أنَّ الصِّدقَ مُناظَرَةٌ لِلوَقائعِ يَكونُ فيها لَيسَ (أو لا يَجِبُ أن

(5) دافَعَ عن هذا المَذهَبِ نيل تينِنت Neil Tennant (1995) ومَعَهُ آخَرُونَ.

(6) يُنظَر: (Wright (1992, ch. 2. ولِلوُقوفِ على مُناقَشَةٍ حَديثَةٍ لِذلكَ، يُنظَر: Wright (2003)؛ وعلى تَقويمٍ نَقدِيٍّ، يُنظَر: Tennant (1995)، و(Kenyon (1999.

يَكونَ) مُقَيَّدًا بِالمَعرِفَةِ أو بِالدَّليلِ: فالصِّدقُ ليسَ مُرتَبِطًا بِمُمارَساتِنا التَّسويغِيَّةِ. فمِنَ المُمكِنِ، إستِنادًا إلى نَظَريَّةِ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ، أن تُوجَدَ حَقائقُ غَيرُ قابِلَةٍ لِلعِلمِ بِها أو مُتَعالِيَةٌ على الدَّليلِ. وسَأُطلِقُ على تَصَوُّرِ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ لِلصِّدقِ اسمَ التَّصَوُّرِ *المَتينِ* بِإزاءِ التَّصَوُّرِ الأدنَويِّ لِلصِّدقِ الذي يُدافِعُ عنهُ الأدنَوِيُّونَ.

ومِنَ الحَقائقِ المُهِمَّةِ المُتعلِّقَةِ بِالتَّحليلاتِ الأدنَويَّةِ المُعاصِرَةِ، ولا سِيَّما تَحليلُ رايت، أنَّها لَم تَنطَوِ على مُحاوَلَةٍ لِتَقديمِ تَعريفٍ لِلصِّدقِ. فالأدنَوِيُّ في أحَدِ حُقولِ الخِطابِ لا يَلتَزِمُ ادِّعاءَ أنَّ الصِّدقَ يَجِبُ أن يَكونَ مُقَيَّدًا بِالدَّليلِ أو بِالمَعرِفَةِ في جَميعِها. مِثالُ ذلكَ أنَّ بِإمكانِ الأدنَويِّ بِشَأنِ الصِّدقِ في الدِّينِ أن يَعتَقِدَ على نَحوٍ مُتَّسِقٍ معَ ذلكَ أنَّ الصِّدقَ في العِلمِ أكثَرُ مَتانَةً. والواقِعُ أنَّ هذا بِالتَّحديدِ هوَ ما يَتَبَنّاهُ بَعضُ الأدنَوِيِّينَ بِشَأنِ الخِطابِ الدِّينِيِّ: أنَّ الصِّدقَ في الدِّينِ يَنبَغي أن يُقَدَّمَ لَهُ تَحليلٌ أدنَويٌّ بِالقِياسِ إلى الصِّدقِ في الخِطاباتِ الوَصفِيَّةِ الأُخرَى. ويَكشِفُ هذا عن نُقطَةِ اختِلافٍ أساسِيَّةٍ أُخرَى بينَ نَظَريَّةِ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ والأدنَويَّةِ. [114] فمُنَظِّرُو القيمَةِ الظّاهِريَّةِ يُدافِعونَ عن أُطروحَةٍ مُوَحَّدَةٍ لِلصِّدقِ عبرَ حَقلِ الخِطابِ الدِّينِيِّ وحُقولِ الخِطابِ الأُخرَى: فلا يَختَلِفُ تَحليلُ الصِّدقِ في الدِّينِ عن تَحليلِ الصِّدقِ في العِلمِ أو التَّاريخِ.

ومِنَ المُفيدِ أن يُنظَرَ إلى الأدنَويَّةِ على أنَّها بَرنامَجٌ ذو ثَلاثِ خطواتٍ. فالمَرحَلَةُ الأولَى تَبدأُ بِوَضعِ الشُّروطِ الضَّروريَّةِ والكافِيَةِ - ويَكونُ المُخَطَّطُ غَيرُ الاقتِباسِيِّ هوَ الرَّئيسَ فيها - لاستِعمالِ المَحمولِ الصِّدقِيِّ في أيِّ حَقلٍ مِن حُقولِ الخِطابِ. وهذهِ هيَ الاستراتيجيا الانكِماشِيَّةُ. أمّا المَرحَلَةُ الثّانيَةُ فالذَّهابُ إلى أنَّ الصِّدقَ يَفي بِمُقتَضَياتِ الشُّروطِ الضَّروريَّةِ والكافِيَةِ التي تُقَدِّمُها الاستراتيجيا الانكِماشِيَّةُ إذا ما حُلِّلَ بِوَصفِهِ قابِلِيَّةَ تَقريرٍ مُسَوَّغَةً (أو فِكرَةً أُخرَى مُقَيَّدَةً بِالمَعرِفَةِ أو بِالدَّليلِ كَقابِلِيَّةِ التَّقريرِ المُفرِطَةِ، وما إليها). وهذهِ هيَ الاستراتيجيا الأدنَويَّةُ. وأمّا المَرحَلَةُ الثّالِثَةُ فالذَّهابُ إلى أنَّ الصِّدقَ في الدِّينِ هوَ قابِلِيَّةُ تَقريرٍ مُسَوَّغَةٌ (أو فِكرَةٌ أُخرَى مُقَيَّدَةٌ بِالمَعرِفَةِ أو بِالدَّليلِ). وهذهِ هيَ استراتيجيا الأدنَويَّةِ الدِّينِيَّةِ. ومِن

المُهِمّ أن يُفَرِّقَ بينَ هذهِ الخطواتِ. فبإمكانِ مَن يُؤَيِّدُ مُقارَبَةَ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ أن يَرفُضَ الخطوَةَ الأُولَى أو الخطوَةَ الثّانِيَةَ بِالذَّهابِ إمّا إلى أنَّ الانكِماشِيَّةَ تُقَدِّمُ تَحليلًا لِلصِّدقِ غَيرَ مُرضٍ وإمّا إلى أنَّها إذا قَدَّمَتْهُ فإنَّ الصِّدقَ لا يُمكِنُ أن يَكونَ مُقَيَّدًا بِالمَعرِفَةِ أو بِالدَّليلِ. وكذلكَ، يَستَطيعُ مُنَظِّرُ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ أن يَقبَلَ الخطوَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ ويَرفُضَ الخطوَةَ الثّالِثَةَ. أي إنَّ بِوُسعِ المَرءِ أن يُوافِقَ الانكِماشِيِّينَ في أنَّ الشُّروطَ المُقتَرَحَةَ ضَرورِيَّةٌ وكافِيَةٌ لِلصِّدقِ وأن يُوافِقَهُم أيضًا في أنَّ الصِّدقَ في بَعضِ الخِطاباتِ يَكونُ مُقَيَّدًا بِالمَعرِفَةِ أو بِالدَّليلِ لكِنَّهُ يَذهَبُ إلى أنَّ الأمرَ ليسَ كذلكَ في حالَةِ الخِطابِ *الدِّينِيِّ* أو الخِطاباتِ الوَصفِيَّةِ الأُخرَى. وسَنَبحَثُ في هذهِ الخِياراتِ المُختَلِفَةِ ومَزاياها في الفَصلَيْنِ 10 و11.

[115]

9

الرَّدِّيَّة

إنَّ تَحديدَ مَدَى إمكانِ كَونِ مِثالٍ مَزعومٍ لِلرَّدِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ اشتِراطِيًّا لِلصِّدقِ يُمكِنُ أن يَتَطَلَّبَ بَعضَ الفَكِّ[1]. مِثالُ ذلكَ أنَّ يوهيميروس Euhemerus*، وهوَ كاتِبٌ إغريقِيٌّ مِن القَرنِ الثّالِثِ قَبلَ الميلادِ لَهُ مُؤَلَّفاتٌ في الجُغرافيا والأساطيرِ القَديمَةِ، يُشَخَّصُ أحيانًا بِأنَّهُ أوَّلُ رَدِّيٍّ دينِيٍّ. وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ مُؤَلَّفاتِهِ لَم يَبْقَ مِنها سِوَى نُتَفٍ، يَعزو إليهِ الكُتّابُ المَسيحِيُّونَ الكلاسيكِيُّونَ والمُتَقَدِّمونَ وِجهَةَ النَّظَرِ التي مُفادُها أنَّ آلِهَةَ الهَيكَلِ الإغريقِيِّ أساسُها شَخصِيّاتٌ تَأريخِيَّةٌ أرضِيَّةٌ واقِعِيَّةٌ عُظِّمَتْ بَعدَ مَوتِها لإسهاماتِها في المُجتَمَعِ الإنسانيِّ ثُمَّ رُفِعَتْ لاحِقًا إلى مَرتَبَةِ الآلِهَةِ. ويُعَلِّقُ لاكتانتيوس Lactantius** الكاتِبُ المَسيحِيُّ في القَرنِ الرّابِعِ في أثناءِ

---

(1) لأنَّ الجُمَلَ اللادينِيَّةَ هيَ ما يُشَكِّلُ الصِّنفَ الرَّدِّيَّ، يُترَكُ إلى الرَّدِّيِّينَ أمرُ تَحديدِ نِطاقِ صِنفِ الجُمَلِ الخِلافِيِّ، لكِنِّي أنظُرُ إلى الرَّدِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ على أنَّها تَعُدُّ هذا الصِّنفَ مُشتَمِلًا في أقَلِّ تَقديرٍ على جُمَلٍ تتعلَّقُ بِاللهِ.

* يوهيميروس القورينائيُّ (300ق.م). فَيلَسوفٌ يونانيٌّ قالَ إنَّ آلِهَةَ الأساطيرِ أبطالٌ آدَمِيُّونَ عاشوا عيشَةً واقِعِيَّةً، ثُمَّ ضَخَّمَ النّاسُ سيرَتَهُم بَعدَ مَوتِهِم تَدريجِيًّا، حتّى جَعَلوها أُسطورَةً. [المُتَرجِم]

** لوسيوس كاليوس فيرميانوس لاكتانتيوس (250–325م). إفريقِيٌّ لاتينِيٌّ مُدافِعٌ عن المسيحِيَّةِ. كَتَبَ بِاللُّغَةِ اللاتينِيَّةِ في وقتٍ لَم يَكُنْ بَعدُ قَد ظَهَرَ فيهِ أحدٌ مِن المدافِعينَ في روما. سُمِّيَ شيشرون المسيحيَّ Christian Cicero، وحاولَ تقديمَ الإيمانِ في إطارٍ مَنهجِيٍّ بِاللُّغَةِ اللاتينِيَّةِ، لكِنَّهُ لَم يَكُن لاهوتِيًّا أصيلًا. تحمَّسَ لِلاستشهادِ ولِلفَضائلِ المسيحِيَّةِ، ولا سِيَّما =

مُناقَشَتِهِ آراءَ يوهيميروس بِقَولِهِ: 'مِمّا لا شَكَّ فيهِ أَنَّ جَميعَ الذينَ يُعبَدونَ على أَنَّهُم آلِهَةٌ كانوا بَشَرًا، وكانوا أَيضًا أَقدَمَ المُلوكِ وأَعظَمَهُم؛ لكِن مَن ذا الذي يَجهَلُ أَنَّهُم قَد أُسبِغَتْ عليهِم مَظاهِرُ الإلهِيَّةُ بَعدَ مَوتِهِم، إمّا لِما حَبَوا بِهِ الجِنسَ البَشَرِيَّ مِن فَضيلَةٍ، وإمّا لِما اكتَسَبوهُ مِن ذِكرَى خالِدَةٍ مَرَدُّها إلى ما قَدَّمُوهُ إلى حَياةِ البَشَرِ مِن مَنافِعَ ومُختَرَعاتٍ؟' (1871, p. 22).

ومِن طَرائقِ تَطويرِ نظريَّةِ يوهيميروس، التي تَبَنّاها بِحَماسَةٍ كَثيرٌ مِن مُتَقَدِّمِي اللاهوتِيِّينَ المَسيحِيِّينَ، مُعامَلَتُها بِوَصفِها تَفسيرًا لأُصولِ الآلِهَةِ الوَثَنِيَّةِ واستِعمالُها بِوَصفِها حُجَّةً لِلتَّخذيلِ عن الإيمانِ بها. مِثالُ ذلكَ أَنَّ أوغُسطين يَقولُ في فَصلٍ لَهُ عُنوانُهُ 'سَبَبُ أَكثَرُ مَعقوليَّةً لِنُشوءِ خَطَإِ العِبادَةِ الوَثَنِيَّةِ': 'إنَّهُ لَيُقَدِّمُ بَيانٌ أَكثَرُ مَقبوليَّةً بِكَثيرٍ لِهذهِ الآلِهَةِ حينَ يُقالُ إنَّهُم كانوا بَشَرًا، وإنَّ كُلًّا مِنهُم قَد خُصَّ بِشَعائرَ وتَوقيراتٍ مُقَدَّسَةٍ، تَبَعًا لِما يُمَيِّزُهُ مِن عَبقَرِيَّةٍ، وطَبائعَ، وأَفعالٍ، وظُروفٍ' (1913, VII, ch. 18, p. 281)[2]. ولَيسَتْ هذهِ رَدِّيَّةً اشتِراطِيَّةً لِلصِّدقِ. إذ يُمكِنُ أَن يُقالَ ابتِداءً إنَّ يوهيميروس إنَّما يُقَدِّمُ *تَفسيرًا* لِلاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ المُتَعلِّقَةِ بِهَيكَلِ الآلِهَةِ لا تَحليلًا لِشُروطِ صِدقِ الجُمَلِ المُتَعَلِّقَةِ بِهِم. فَلْنَفتَرِضْ، على سبيلِ المِثالِ، أَنَّ القِصَصَ المُتعلِّقَةَ [116] بِالإلهِ الإغريقِيِّ أُورانوس Uranus تَعودُ أُصولُها إلى مَلِكٍ شَريفٍ ومُحسِنٍ لَهُ اهتِمامٌ بِالفَلَكِ وقَد اعتُقِدَ بَعدَ موتِهِ أَنَّهُ إلهٌ يُمَثِّلُ السَّماءَ. فإن احتُمِلَ أَن يُمِدَّنا هذا بِبُذورِ تَفسيرِ الاعتِقاداتِ والقِصَصِ المُتَعَلِّقَةِ بِأُورانوس، فإنَّهُ لا يُمِدُّنا بِأَساسٍ لِتَقديمِ شُروطِ صِدقٍ رَدِّيَّةٍ لِلجُملَتَيْنِ (1) و(2) على سبيلِ المِثالِ:

1. أُورانوس أَخصاهُ ابنُهُ كرونوس Cronus.

= محبَّةُ اللهِ والقَريبِ، فقَدَّمَ المسيحيَّةَ بوَصفِها نوعًا مِن الأخلاقيّاتِ، دونَ التَّشديدِ على عَمَلِ المسيحِ الخَلاصيِّ، أو على النِّعمةِ الإلهيَّةِ، بَل شَدَّدَ على الفَلسَفَةِ. مِن آثارِهِ: (عَن خَليقَةِ الله)؛ و(غَضَبُ الله)؛ و(مَوتُ المُضطَهَدِين). [المُترجِم]

(2) لِلوُقوفِ على تَطبيقٍ شامِلٍ لِنظريَّةِ يوهيميروس على الآلِهَةِ الوَثَنِيَّةِ، يُنظَر: Clement of Alexandria, *Protrepticus* (1919).

2. أُورانوس سَجَنَ أبناءَ غايا Gaia في تارتاروس Tartarus.

فالرَّدِّيَّةُ التَّفسيرِيَّةُ مُنسَجِمَةٌ معَ حِيازَةِ هاتَيْنِ الجُملَتَيْنِ شَرطَي الصِّدقِ اللارَدِّيَّيْنِ اللَذَيْنِ هُما *أُورانوس أخصاهُ ابنُهُ كرونوس* و*أُورانوس سَجَنَ أبناءَ غايا في تارتاروس*. ثُمَّ إنَّ رَدِّيَّةَ شُروطِ الصِّدقِ تُعَيِّنُ صِنفَ جُمَلٍ رَدِّيًّا يُحَدَّدُ بِهِ صِدقُ الجُمَلِ التي في الصِّنفِ الخِلافِيِّ أو كَذِبُها. فهيَ بِذلكَ نَظرِيَّةٌ لِما يُقَدِّمُ أساسًا لِصِدقِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ (ولا سِيَّما أنَّ ما يُقَدِّمُ أساسًا لِصِدقِها هوَ شَيْءٌ مّا غَيرُ ما يَبدو أنَّ هذهِ الجُمَلَ تُخبِرُ بِهِ) لا نَظرِيَّةٌ تُبَيِّنُ *أيَّ* الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ صادِقَةٌ وأيُّها كاذِبَةٌ. وبِعَكسِ ذلكَ، تَرمي نظرِيَّةُ يوهيميروس وتَطبيقُ مُتَقَدِّمِي اللاهوتِيِّينَ المَسيحِيِّينَ لَها إلى إظهارِ أنَّ الاعتِقاداتِ الوَثَنِيَّةَ كاذِبَةٌ نِظامِيًّا: فهيَ تَخَيُّلاتٌ دينِيَّةٌ مَصدَرُ إلهامِها الأيادي البِيضُ لِلقادَةِ الأرضِيِّينَ[3].

وسَيَبدو التَّطويرُ الرَّدِّيُّ لِشُروطِ صِدقِ نظرِيَّةِ يوهيميروس لِلجُمَلِ المُتَعلِّقَةِ بالآلِهَةِ الإغريقيَّةِ مُختَلِفًا جَدًّا. فَلْنَفتَرِضْ، على سبيلِ المِثالِ، أنَّ شُروطَ صِدقِ الجُمَلِ المُتعلِّقَةِ بِالآلِهَةِ (الصِّنفِ الخِلافِيِّ) تُقَدِّمُها جُمَلٌ تتعلَّقُ بِبَشَرٍ هُم مَصدَرُ إلهامِ القِصَصِ المُتَعلِّقَةِ بِالآلِهَةِ (الصِّنفِ الرَّدِّيِّ). فالحَديثُ عن الآلِهَةِ يُؤَوَّلُ بِأنَّهُ طَريقَةٌ لِلحَديثِ عن الأشخاصِ الذينَ كانوا مَصدَرَ إلهامِ هذهِ الاعتِقاداتِ. ثُمَّ إنَّ الجُملَةَ المُتَعَلِّقَةَ بِالآلِهَةِ تَكونُ صادِقَةً إذا كانَتِ الجُمَلُ ذَواتُ الصِّلَةِ بِها في الصِّنفِ الرَّدِّيِّ التي تُقَدِّمُ لَها شُروطَ صِدقِها صادِقَةً أيضًا. فالجُملَةُ (3) الآتِيَةُ إذَن لا يُمكِنُ تَأويلُها بِأنَّها صادِقَةٌ إلّا في حالِ كانَ (4) فَقَط:

3. أُورانوس كانَ قَوِيًّا.
4. أُورانوس-البَشَرِيُّ كانَ قَوِيًّا.

(3) يُنظَر: Sextus Empiricus, *Adversus Mathematicos* IX.17 (1985, p. 188)، الذي يَتَحَدَّثُ عن يوهيميروس بِوَصفِهِ مُلْحِدًا.

حَيثُ يَكونُ أُورانوس-البَشَرِيُّ هوَ الشَّخصَ الذي أُلِّهَ لاحِقًا على أَنَّهُ أُورانوس. ويُمَثِّلُ هذا مِثالًا بَسيطًا شَيئًا مّا لِرَدِّيَّةِ الصِّدقِ. إذ إنَّ تَقديمَ شُروطِ الصِّدقِ في الخِطابِ الرَّدِّيِّ لِجُمَلٍ كَالجُملتَيْنِ (1) و(2) يَقتَضي تَطويرًا أَكثَرَ تَنظيريَّةً لِلقِصَّةِ الرَّدِّيَّةِ: فهَل يُوجَدُ إنسانانِ مُناظِرانِ لِغايا وكرونوس؟ وهَل تُوجَدُ أَمكِنَةٌ واقِعِيَّةٌ مُناظِرَةٌ لِتارتاروس؟ وهَل يُتَناوَلُ الفِعلانِ 'أَخصَى' و'سَجَنَ' مِن مَنظورِ القيمَةِ الظّاهريَّةِ أو يُؤَوَّلانِ بِطَريقَةٍ مُختَلِفَةٍ؟ [117]

ولا شَكَّ في أنَّ هذا المِثالَ ليسَ سَوَى مِثالٍ تَوضيحِيٍّ؛ فالنَّظريَّةُ الرَّدِّيَّةُ التي على هذهِ الصُّورَةِ غَيرُ مَقبولَةٍ البَتَّةَ. على أَنّا لَيسَتْ بِنا حاجَةٌ إلى الخَوضِ في تَفصيلاتِ أُطروحَةٍ كهذهِ لِنَرَى السِّماتِ المُمَيِّزَةَ لِرَدِّيَّةِ شُروطِ الصِّدقِ. فبَدَلًا مِن إظهارِ أَنَّ الجُمَلَ المُتعلِّقَةَ بالآلِهَةِ تَخَيُّلاتٌ تَتَعَلَّقُ بِشَخصِيّاتٍ تَاريخيَّةٍ مُؤَثِّرَةٍ، تُقدِّمُ رَدِّيَّةُ شُروطِ الصِّدقِ تَأويلًا لِمَعناها يَرمي إلى تَخليصِها مِن الاختِراعِ ومِن المُبالَغَةِ الميتافيزيقيَّةِ.

ويَرمي كَثيرٌ مِن الرَّدِّيِّينَ الدِّينيِّينَ (كالطَّبيعِيِّينَ الأَخلاقِيِّينَ، على نَحوٍ مّا) إلى تَقديمِ تَحليلٍ لِلُّغَةِ الدِّينيَّةِ يَجعَلُها مُنسَجِمَةً معَ الميتافيزيقا الواحِدِيَّةِ (المادِّيَّةِ) أو مَعَ الطَّبيعِيَّةِ. فالوَقائعُ والصِّفاتُ 'الخارِقَةُ لِلطَّبيعَةِ' التي تَصِفُها الأَديانُ التَّأليهِيَّةُ، كَوُجودِ مَوجودٍ إلهِيٍّ، وأَرواحٍ، وحَياةٍ بَعدَ المَوتِ، تُعَدُّ خارِجَةً عن مَدَى الوَقائعِ والصِّفاتِ المَشروعَةِ المُفتَرَضَةِ في العُلومِ الطَّبيعِيَّةِ[4]. فرَدِّيَّةُ شُروطِ الصِّدقِ التي تَرُدُّ الجُمَلَ المُتعلِّقَةَ باللهِ إلى جُمَلٍ تتعلَّقُ بِالطَّبيعَةِ كُلِّها (وهيَ رَدِّيَّةُ وَحدَةِ الوُجودِ) أو إلى جُمَلٍ تتعلَّقُ بِأَجزاءٍ مِن الطَّبيعَةِ، تُقَدِّمُ خِياراتٍ مُثيرَةً لاهتِمامِ الواحِدِيِّينَ أو الطَّبيعِيِّينَ الذينَ يَرغَبونَ في المُحافَظَةِ على الخِطابِ الدِّينِيِّ أو في تَجَنُّبِ الإلحادِ الصَّريحِ في أَقَلِّ تَقديرٍ.

(4) وهذا لا يَعني أنَّ الطَّبيعِيِّينَ على صَوابٍ في اعتِقادِهِم أنَّ الكَثيرَ مِن الوَقائعِ المُفتَرَضَةِ التي تُمَيِّزُ الاعتِقادَ الدِّينيَّ لا تَنسَجِمُ معَ البَحثِ العِلمِيِّ أو لَيسَتِ المَوضوعَ المُلائمَ لَهُ؛ على أنَّهُ يَشيعُ بينَ الطَّبيعِيِّينَ افتِراضُ أنَّ الأَمرَ على هذا النَّحوِ.

ويُقَدِّمُ سبِنوزا مِثالًا لِلرَّدِّيَّةِ الواحِدِيَّةِ-الوَحْدوُجودِيَّةِ (Mason, 2007). إذ يَقترِحُ سبِنوزا، الذي هوَ مِن أكثرِ المُدافِعِينَ عن وَحدَةِ الوُجودِ تَأثيرًا، طَرائقَ لِتَأويلِ الجُمَلِ المُتعلِّقَةِ بِاللهِ مِن زاوِيَةِ الوَقائعِ المُتَعلِّقَةِ بِالطَّبيعَةِ. مِثالُ ذلكَ قَولُهُ:

> الذي أعنيهِ بِتَدبيرِ اللهِ هوَ نِظامُ الطَّبيعَةِ الرّاسِخُ والثّابِتُ، أو سِلسِلَةُ الأحداثِ الطَّبيعِيَّةِ... والقَوانينُ الكُلِّيَّةُ لِلطَّبيعَةِ التي تَحدُثُ جَميعُ الأشياءِ وتُحَدَّدُ على وَفقِها لَيسَتْ سِوَى أقضِيَةِ اللهِ الأبَدِيَّةِ، التي تتضَمَّنُ على الدَّوامِ صِدقًا وضَرورَةً أبَدِيَّيْنِ. فليسَ ثَمَّةَ فَرقٌ إذَن بينَ قَولِنا إنَّ جَميعَ الأشياءِ تَحدُثُ على وَفقِ قَوانينِ الطَّبيعَةِ وقَولِنا إنَّها تُنَظَّمُ بِقَضاءِ اللهِ وتَدبيرِهِ. (2002, p. 417)

فالذي يَراهُ سبِنوزا أنَّهُ لَمّا كانَتْ جَميعُ أفعالِ البَشَرِ نِتاجَ نِظامِ الطَّبيعَةِ المُحَدَّدِ سَلَفًا، أمكَنَنا – بِاتِّباعِنا الاستراتيجيا الرَّدِّيَّةَ – أن نَقولَ إنَّهُ ما مِن فِعلٍ لأحَدٍ إلّا بِمَشيئةِ اللهِ. وكذلكَ يُمكِنُنا أن نَقولَ إنَّهُ لَمّا كانَ جَميعُ ما يُمكِنُنا إنجازُهُ إنَّما تُوَلِّدُهُ أفعالُنا مِن خِلالِ شُروطٍ خارِجِيَّةٍ، أمكَنَ أن تُفهَمَ جَميعُ هذهِ الإنجازاتِ على أنَّها نَتيجَةُ العِنايَةِ الإلهِيَّةِ. فصِدقُ الجُملَةِ (5) إذَن، على سبيلِ المِثالِ، تُقَدِّمُهُ الجُملَةُ (6):

5. لا أحَدَ يَفعَلُ شَيئًا إلّا بِمَشيئةِ اللهِ.
6. جَميعُ الأفعالِ نِتاجُ نِظامِ الطَّبيعَةِ المُحَدَّدِ سَلَفًا. [118]

ويَقترِحُ سبِنوزا، على نَحوٍ لَم يُعتَدْ لَدى الرَّدِّيِّينَ الدِّينِيِّينَ، طَرائقَ لِرَدِّ الجُمَلِ التي لا تتعلَّقُ بِاللهِ فقط بَل تتعلَّقُ أيضًا بِأُمورِ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ الأُخرى. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ يَقولُ إنَّ 'اختِيارَ اليَهودِ لا يُحيلُ إلّا على الواقِعَتَيْنِ الآتِيَتَيْنِ: رَخائهِم وحُرِّيَّتِهِم المادِّيَّيْنِ الزَّمَنِيَّيْنِ – أي استِقلالِهِم السِّياسِيّ' (2002, p. 420) ويَذهَبُ إلى أنَّ 'الرُّوحَ القُدُسَ نَفسَهُ ليسَ سِوَى سَلامِ العَقلِ الذي يَنجُمُ عن أفعالِ الخَيرِ' (2002, p. 525). ويُلحَظُ أيضًا أنَّ سبِنوزا اعتَقَدَ أنَّ رَدِّيّاتِهِ المُقترَحَةَ تُقَدِّمُ قِراءاتٍ مَقبولَةً لِلمَضمونِ المَقصودِ لِلأقوالِ الدِّينِيَّةِ، ومنها نُصوصُ الكِتابِ المُقَدَّسِ. ويَقولُ: 'لا يَعني الكِتابُ

المُقَدَّسُ نَفسُهُ بِأقضِيَةِ اللهِ وإراداتِهِ ومِن ثَمَّ بِالعِنايَةِ الإلهِيَّةِ سِوَى نِظامِ الطَّبيعَةِ' (2002, p. 445)؛ و'إنَّ المُعجِزَةَ في الكِتابِ المُقَدَّسِ لا يُمكِنُ أن تَعنِيَ شَيئًا... سِوَى حَدَثٍ طَبيعِيٍّ يُجاوِزُ، أو يُعتَقَدُ أنَّهُ يُجاوِزُ، الفَهمَ البَشَرِيَّ' (2002, p. 448).

وقَد أصبَحَتِ التَّأويلاتُ الطَّبيعِيَّةُ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ شائعَةً في عِشرينِيّاتِ القَرنِ العِشرينَ في كُلٍّ مِن بريطانيا وأمريكا. مِثالُ ذلكَ أنَّ جوليان هَكسلي يَتَّخِذُ مَوقِفًا أكثَرَ تَعاطُفًا تُجاهَ الدِّينِ مِن العَقلانِيِّينَ البريطانِيِّينَ المُعاصِرينَ الذينَ يَعتَقِدونَ أنَّ الاعتِقادَ والخِطابَ الدِّينِيَّيْنِ يَنبَغي أن يُهجَرا كُلِّيًّا[5]. ويَرَى أنَّ الحَديثَ عن اللهِ يُمكِنُ أن يُفهَمَ على أنَّهُ طَريقَةٌ لِلحَديثِ عن القُوَى الفاعِلَةِ في الطَّبيعَةِ أو عن جَوانِبِ الطَّبيعَةِ التي لا نَفهَمُها. ويُقَدِّمُ أيضًا تَأويلًا طَبيعِيًّا لِمَفاهيمَ مَسيحِيَّةٍ أُخرَى كالرُّوحِ القُدُسِ وابنِ اللهِ، إذ يَقولُ: 'اللهُ الآبُ تَجسيدٌ لِقُوَى الطَّبيعَةِ اللابَشَرِيَّةِ؛ واللهُ الرُّوحُ القُدُسُ يُمَثِّلُ جَميعَ المُثُلِ؛ واللهُ الابنُ يُجَسِّدُ الطَّبيعَةَ البَشَرِيَّةَ في أرفَعِ مُستَوَياتِها... واتِّحادُ الأشخاصِ الثَّلاثَةِ في 'الله الواحِد' يُمَثِّلُ حَقيقَةَ أنَّ جَميعَ جَوانِبِ الواقِعِ هذهِ مُتَرابِطَةٌ تَرابُطًا ليسَ لَهُ انفِصامٌ' (1927, p. 37). وعلى الرَّغمِ مِن رَفضِ هَكسلي فِكرَةَ أنَّ اللهَ مَوجودٌ مُتَعالٍ، يَرَى أنَّ اللهَ يُمكِنُ عَدُّهُ مُحايِثًا لِلعالَمِ (1931, pp. 182-185). وهوَ يَرَى القيمَةَ في التَّجرِبَةِ الدِّينِيَّةِ طَريقَةً يَنسَجِمُ بِها البَشَرُ سايكولوجِيًّا معَ مَوضِعِهِم في الكَونِ؛ بَل إنَّهُ لَيَمنَحُ أفعالَ العِبادَةِ المُنسَجِمَةَ معَ تَأويلِهِ الرَّدِّيِّ لِلدِّينِ دَورًا بِوَصفِها يُمكِنُ أن تُشَكِّلَ جُزءًا مِن مَوقِفٍ مُوَقِّرٍ مُلائمٍ تُجاهَ الطَّبيعَةِ.

ومِن الشَّخصِيّاتِ المُتَقَدِّمَةِ المُؤَثِّرَةِ في التَّقليدِ الأمريكِيِّ لِـ 'الطَّبيعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ' أو 'التَّجريبِيَّةِ الدِّينِيَّةِ' هِنري ويمان وبرنارد ميلَند Bernard Meland*. إذ يُقَدِّمُ

(5) لِلوُقوفِ على مَزيدٍ مِن المُناقَشَةِ لِذلكَ، يُنظَر: Bower (2001).

* برنارد يوجين ميلَند (1899-1993م). لاهوتِيٌّ مَسيحِيٌّ تَحَرُّرِيٌّ كلاسيكِيٌّ. أسَّسَ رُؤيَةً لِلعالَمِ تَأليهِيَّةً دينِيَّةً مُضادَّةً بِشِدَّةٍ لِلإنسانِيَّةِ العَلمانِيَّةِ الإلحادِيَّةِ. وقَد وَصَلَتْ رُؤيَتُهُ لِلعالَمِ بينَ المعرِفَةِ والإيمانِ، وكانَتْ على نَمَطِ ما اختَطَّهُ هِنري نِلسن ويمان لِنَفسِهِ. على أنَّ رُجوعَ جُذورِ =

ويمان مِن خِلالِ عَمَلِهِ عَدَدًا مِن طَرائقِ تَأويلِ الحَديثِ عن اللهِ مِن زاوِيَةٍ طَبيعِيَّةٍ، مُطابِقًا في العادَةِ بينَ اللهِ وعَمَلِيّاتٍ طَبيعِيَّةٍ في الكَونِ تُوَلِّدُ نَتائجَ مَرغوبًا فيها أخلاقِيًّا أو اجتِماعِيًّا أو تُيَسِّرُها. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ يَذهَبُ إلى أنَّ اللهَ هوَ 'التَّفاعُلُ بينَ الأفرادِ، والجَماعاتِ، والأجيالِ، الذي يُوَلِّدُ أكبَرَ ما يُمكِنُ مِن تَبادُلِ النَّفعِ ويُعَزِّزُهُ' (1932, p. 15)، [119] أو أنَّ اللهَ هوَ 'التَّفاعُلُ الذي يَدعَمُ الشَّخصِيَّةَ ويُمَجِّدُها... عَمَلِيَّةُ التَّكامُلِ التَّصاعُدِيِّ' (1932, p. 351). ويَزيدُ عَلى ذلكَ أنَّ اللهَ - حينَ يُتَصَوَّرُ بِوَصفِهِ 'تَفاعُلًا' - يُمكِنُ أن يَكونَ الموضوعَ المُلائمَ لِلمَحَبَّةِ والصَّلاةِ. 'فهَل يُمكِنُ أن يُصَلِّيَ البَشَرُ لِتَفاعُلٍ؟ نَعَم، هذا ما يُصَلُّونَ لَهُ دائمًا، بِمُقتَضى أيِّ مَفهومٍ لِلّهِ. وهَل يُمكِنُ أن يُحِبَّ البَشَرُ تَفاعُلًا؟ نَعَم، هذا ما يُحِبُّونَهُ دائمًا' (1932, p. 17). ويَرَى ميلَند أنَّ 'الله' يُحيلُ على قُوًى طَبيعِيَّةٍ تُوَلِّدُ بِنًى دالَّةً مُنَظَّمَةً وجَمالِيَّةً أو أخلاقِيَّةً في الكَونِ. 'فاللهُ بِوَصفِهِ مَفهومًا دينِيًّا تَمثيلٌ جَمعِيٌّ لِعَلاقاتٍ داعِمَةٍ مُعَيَّنَةٍ ذَواتِ لَوازِمَ كَونِيَّةٍ' (1976, p. 176).

ومِمّا يَلفِتُ الانتِباهَ أيضًا كِتاباتُ غوردن كوفمان، وهوَ شَخصِيَّةٌ قِيادِيَّةٌ في تَطَوُّرِ اللاهوتِ التَّحَرُّرِيِّ الحَديثِ. إذ يَلحَظُ في كَثيرٍ مِن الحالاتِ أنَّ الظَّواهِرَ الطَّبيعِيَّةَ التي هيَ أساسِيَّةٌ في إعطاءِ حَياتِنا مَعنًى شَديدَةُ الغُموضِ؛ مِثالُ ذلكَ أنَّ البَشَرَ لَهُم قابِلِيَّةُ الوَعيِ والتَّفكيرِ ويُمكِنُهُم تَقويمُ الجَمالِ. ويَرَى أنَّ 'الله' هوَ الاسمُ الذي يُمنَحُهُ 'السِّرُّ المُتَغَلغِلُ' الذي يَمنَحُ الحَياةَ مَعنًى (2007, p. 12). ويَرَى كوفمان أنَّ دَعوَى أنَّ اللهَ 'مُطلَقٌ' أو 'غَيرُ قابِلٍ لِلوَصفِ' تُعَبِّرُ عن حَقيقَةِ أنَّ اللهَ سِرٌّ عَميقٌ. ويَنبَغي أن تُفهَمَ دَعاوَى أنَّ اللهَ 'واقِعِيٌّ' أو 'مَوجودٌ' على أنَّها تُعَبِّرُ عن اعتِقادِ أنَّ دِعامَةَ هذا 'السِّرِّ المُتَغَلغِلِ' قُوًى طَبيعِيَّةٌ تُعَزِّزُ الازدِهارَ البَشَرِيَّ الأخلاقِيَّ، والجَمالِيَّ، والاجتِماعِيَّ، وتُيَسِّرُهُ. 'والحَديثُ عن الإلهِ المَسيحِيِّ بِوَصفِهِ 'واقِعِيًّا' أو 'مَوجودًا' يُعَبِّرُ تَعبيرًا رَمزِيًّا عن الاقتِناعِ الذي مُفادُهُ أنَّ أفرادَ

= طَريقَةِ ميلَند إلى فَلسَفَةِ ألفريد نورث وايتهيد أكبَرُ مِن رُجوعِ طَريقَةِ ويمان إليها. مِن آثارِهِ: (الإيمانُ والثَّقافَة)؛ و(صَحوَةُ الإيمانِ المَسيحِيّ)؛ و(أشكالٌ ورُموزٌ غَيرُ مَعصومَةٍ: خِطاباتٌ في مَنهَجِ لاهوتِ الثَّقافَة). [المُتَرجِم]

الجَماعَةِ الأحرارَ والمُحِبِّينَ ذَوُو أساسٍ ميتافيزيقيٍّ جَوهَرِيٍّ، أَنَّ ثَمَّةَ قُوًى كَونِيَّةً تَعمَلُ بِاتِّجاهِ هذا النَّوعِ مِنَ الأَنسَنَةِ' (1981, p. 49). ويُعالِجُ كوفمان أيضًا مَسأَلَةَ السَّبَبِ الدّاعي إلى استِمرارِنا في الحَديثِ عن اللهِ. ويُشيرُ إلى قيمَةِ مُشارَكَةِ المَرءِ في الجَماعاتِ الدِّينِيَّةِ وتَعميقِ شُعورِهِ بِأَهَمِّيَّةِ التَّفكيرِ في اللهِ في تَطَوُّرِ الأَدَبِ، والفَنِّ، والفَلسَفَةِ. ويَرَى الحَديثَ عن اللهِ مُعينًا على مُقاوَمَةِ إغراءِ خَلقِ 'أَوثانٍ' مِن 'الوَقائعِ والقِيَمِ التي في عالَمِنا' (1981, p. 15).

مُشكِلاتُ الرَّدِّيَّةِ الدِّينِيَّة

هَل تُقَدِّمُ رَدِّيَّةُ شُروطِ الصِّدقِ نظريَّةً مَقبولَةً لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ؟ عَلى الرَّغمِ مِن الاهتِمامِ المُتَواصِلِ بِهذهِ النَّظرِيَّةِ، أثمَرَتْ مُحاوَلاتُ إيجادِ الرَّدِّ تَأويلاتٍ لِلجُمَلِ الدِّينِيَّةِ تَعديلِيَّةً بِشِدَّةٍ. وسنَرَى أَنَّ هذهِ الخَصائلَ التَّعديلِيَّةَ تُمثِّلُ عَقَبَةً كَأداءَ تَعتَرِضُ سَبيلَ أَيَّةِ مُحاوَلَةٍ لإنتاجِ رَدٍّ مَقبولٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. [120]

ولِكَي نَرَى الطَّبيعَةَ التَّعديلِيَّةَ لِلرَّدِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ، دَعُونا نَنظُرْ في نَوعِ الرَّدِّ الطَّبيعِيِّ الذي اقتَرَحَهُ هَكسلي وآخَرُونَ والذي يَرمِزُ فيهِ 'الله' إلى صِنفٍ مِن العَمَلِيّاتِ الطَّبيعِيَّةِ. فتَأويلُ بَعضِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ سيَكونُ مُباشِرًا تَمامًا. ويُمكِنُ أن تُقَدِّمَ الجُملَةُ (8)، على سبيلِ المِثالِ، شَرطَ صِدقِ الجُملَةِ (7):

7. اللهُ مَوجودٌ.

8. *كَذا وكَذا* مِن العَمَلِيّاتِ الطَّبيعِيَّةِ مَوجودَةٌ.

حَيثُ يَرمِزُ *كذا وكذا* إلى العَمَلِيّاتِ التَّطَوُّرِيَّةِ أو الفيزيائيَّةِ أو غَيرِها مِن العَمَلِيّاتِ الطَّبيعِيَّةِ التي يَصِفُها ما يَعُدُّهُ الرَّدِّيُّونَ جُمَلًا مُحتَرَمَةً عِلمِيًّا في الصِّنفِ الرَّدِّيِّ. وبِذلكَ يَكونُ الرَّدِّيُّونَ قادِرِينَ على الإقرارِ بِالجُملَتَيْنِ (7) و(8). وتُقَدِّمُ حالاتُ الرَّدِّ الطَّبيعِيَّةُ أيضًا مَنهَجًا لِتَأويلِ الجُمَلِ المُتَعلِّقَةِ بِالفِعلِ الإلهِيِّ. فالجُملَةُ (10) الآتِيَةُ، على سبيلِ المِثالِ، يُمكِنُ أن تُقَدِّمَ شَرطَ صِدقِ الجُملَةِ (9):

9. اللهُ يَحفَظُنا.

10. *كَذا وكَذا* مِن العَمَليّاتِ الطَّبيعِيَّةِ تَحفَظُنا.

إذ سيَكونُ بِإمكانِ الرَّدِّيينَ أن يُقِرُّوا بِالجُملَتَيْنِ (9) و(10). على أنَّ الكَثيرَ مِن الجُمَلِ التي تَعزو صِفاتٍ إلى اللهِ تَبدو أكثَرَ إشكالًا. فَما شُروطُ الصِّدقِ التي يَنبَغي أن يُقَدِّمَها الرَّدِّيُّونَ لِلجُملَةِ (11) الآتِيَةِ، على سَبيلِ المِثالِ؟

11. اللهُ كُلِّيُّ العِلمِ.

فَتَأويلُ هذهِ الجُملَةِ بِقَولِنا إنَّ *كَذا وكَذا* مِن العَمَليّاتِ الطَّبيعِيَّةِ كُلِّيَّةُ العِلمِ يُفتَرَضُ أن يَجعَلَ الجُملَةَ كاذِبَةً. والكَثيرُ مِن الجُمَلِ المُتعلِّقَةِ بِصِفاتِ اللهِ التي يَشيعُ إقرارُ المُؤمِنينَ بِها - أنَّ اللهَ عادِلٌ، ورَحيمٌ، ومُحِبٌّ، وما إلى ذلكَ - ستَكونُ كاذِبَةً أيضًا على وَفقِ التَّأويلِ الرَّدِّيِّ. وزِيادَةً على ذلكَ، لا يُقَدِّمُ الرَّدِّيُّونَ في العادَةِ أيَّ تَأويلٍ لِمَجموعَةٍ مُختَلِفَةٍ مِن الدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ غيرِ المُتعلِّقَةِ بِاللهِ، نَحو 'قَد قامَ يَسوعُ' و'سيوجَدُ يَومُ حِسابٍ أخيرٌ'، وهذا يَعني أنَّ النَّظَرِيَّةَ لا تُقَدِّمُ سِوَى أُطروحَةٍ جُزئيَّةٍ لِلُّغَةِ التي يَستَخدِمُها مُعظَمُ المُؤمِنينَ. وإذا لَم يُوجِدِ الرَّدِّيُّونَ تَحليلًا رَدِّيًا، وإذا عُلِمَ عَدَمُ انسِجامِهِم معَ الوِجهَةِ الطَّبيعِيَّةِ، فلا بُدَّ أن يَجِدوا هذهِ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ غَيرَ المُتَعَلِّقَةِ بِاللهِ كاذِبَةً. وعلى العُمومِ، يَبدو أنَّ عاقِبَةَ الرَّدِّيَّةِ ستَكونُ نظرِيَّةً مَغلوطَةً في ما يتعلَّقُ بِمَدًى واسِعٍ مِن الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ.

ومِن الواضِحِ أنَّ ما يُقَدِّمُهُ الرَّدِّيُّونَ الدِّينِيُّونَ، أحيانًا في أقَلِّ تَقديرٍ، هوَ أُطروحَةٌ لِما يَنبَغي أن تَكونَهُ شُروطُ صِدقِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ لا تَحليلٌ لِما هيَ عليهِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ بَعضَ [121] الرَّدِّيينَ الدِّينِيِّينَ يَرفُضونَ اعتِقادَ أنَّ اللهَ شَخصٌ أو أنَّهُ خالِقٌ لِلكَونِ. ويُلحَظُ أنَّهُ إذا كانَ كوفمان يُقَدِّمُ أحيانًا نظرِيَّتَهُ بِوَصفِها أُطروحَةً لِما يَعنيهِ الحَديثُ عن اللهِ، فإنَّهُ في أحيانٍ أُخرَى يُقَدِّمُ مُقتَرَحًا أكثَرَ تَعديلِيَّةً بِوُضوحٍ. ويَقولُ: 'الذي أراهُ هوَ أنَّ هذا الخَلقَ التَّصادُفِيَّ الكَونِيَّ هوَ ما يَنبَغي أن نُفَكِّرَ فيهِ

اليَومَ على أَنَّهُ اللهُ' (Kaufman, 2007, p. 26؛ والإمالَةُ لِي)، ويَرَى أَنَّ 'الفِكرَةَ التَّقليدِيَّةَ' المُتعلِّقَةَ بِفَعّالِيَّةِ اللهِ الغائيَّةِ في العالَمِ يَنبَغي أن يُستَبدَلَ بها 'ما أُسَمِّيهِ *مَساراتٍ* أو *حَرَكاتٍ اتِّجاهِيَّةً* تَنبَثِقُ تِلقائيًّا في أثناءِ التَّطَوُّراتِ النُّشوئيَّةِ والتَّأريخِيَّةِ' (2007, p. 25). ويَبدو أَنَّ هَكسلي نَفسَهُ كانَ مُتَرَدِّدًا: أَيَنبَغي أن يُستَبقَى الخِطابُ الدِّينِيُّ (إلى دَرَجَةٍ مَحدودَةٍ يَكونُ فيها طَريقَةً لِلحَديثِ عن عَمَليّاتٍ طَبيعِيَّةٍ) أم يَنبَغي بَدَلًا مِن ذلكَ أن يُستَبدَلَ بِهِ كُلِّيًّا خِطابٌ يتعلَّقُ بِظَواهِرَ طَبيعِيَّةٍ؟ وغالِبًا ما يَجتَنِبُ المُدافِعونَ الحالِيُّونَ عن الطَّبيعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ أَيَّةَ أُطروحَةٍ رَدِّيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ مُفَضِّلِينَ الحُجَّةَ التَّعديلِيَّةَ الصَّريحَةَ التي مُفادُها أَنَّ الدِّينَ لا بُدَّ أن يَتَغَيَّرَ. مِثالُ ذلكَ ذَهابُ ستيوَرت كوفمان Stuart Kauffman* إلى أَنَّ 'اللهَ، اللهَ الطَّبيعِيَّ تمامًا، هوَ الخَلقُ عَينُهُ الذي في الكَونِ. وهذهِ هيَ الرُّؤيَةُ التي آمُلُ إمكانَ أن تَسودَ جَميعَ تَقاليدِنا الدِّينِيَّةِ، وأن يَشمَلَ نِطاقُها مَن هُم على شاكِلَتي مِمَّن لا يُؤمِنُونَ بِإلهٍ خالِقٍ، ومَن يُؤمِنونَ بِهِ. فهذهِ النَّظرَةُ إلى اللهِ يُمكِنُ أن تَكونَ قاسِمًا دينِيًّا ورُوحِيًّا مُشتَرَكًا لَنا جَميعًا' (2010, p. 6).

فهَل يُقبَلُ الدِّفاعُ عن الرَّدِّيَّةِ لِجانِبٍ مِن جَوانبِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ؟ وقَد رَأَينا في الفَصلِ السّابِقِ أَنَّ الرَّدِّيِّينَ يَحتاجُونَ إلى الدِّفاعِ عن التَّأويلِ الرَّدِّيِّ لِلجُمَلِ الدِّينِيَّةِ الخِلافِيَّةِ إلى جانِبِ تَأييدِ استِبقاءِ الخِطابِ الدِّينِيِّ بَدَلًا مِن إقصائهِ وتَفضيلِ الخِطابِ الرَّدِّيِّ عليهِ. على أَنَّ التَّأويلاتِ الرَّدِّيَّةَ المُقتَرَحَةَ تَجعَلُ مَدًى واسِعًا مِن الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ كاذِبًا، وكَذِبُها هذا يُقَدِّمُ هوَ أيضًا سَبَبًا أَوَّلِيًّا لِعَدَمِ استِعمالِها. لِذلكَ يَنبَغي أن يُتَّجَهَ بِهذهِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ إلى حَيثُ يَتَوافَرُ التَّحليلُ الرَّدِّيُّ وإلى حَيثُ لا يَجعَلُ التَّحليلُ الجُملَةَ كاذِبَةً. وَلْنُسَمِّ ذلكَ صِنفَ الجُمَلِ *القابِلَ لِلرَّدِّ*. فهَل بِإمكانِ الرَّدِّيِّينَ أن يُدافِعُوا عن رَدِّيَّةٍ مَحدودَةٍ لِصِنفِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ القابِلِ لِلرَّدِّ فَحَسْبُ؟

---

* ستيوَرت كوفمان (1939-...م). طَبيبٌ عِلاجِيٌّ، وأَحيائيٌّ تَنظيرِيٌّ، وباحِثٌ أمريكِيٌّ في الأنظِمَةِ المُعَقَّدَةِ. دَرَسَ أصلَ الحَياةِ في الأرضِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (بُحوث)؛ و(إعادَةُ اختِراعِ المُقَدَّسِ: رُؤيَةٌ جَديدَةٌ لِلعِلمِ، والعَقلِ، والدِّينِ)؛ و(الإنسانيَّةُ في كَونٍ خَلّاقٍ). [المُتَرجِم]

فهذهِ الاستراتيجيا تَبدو مُشكِلَةً. فَلِمَ الاستِمرارُ في استِبقاءِ تَحليلٍ رَدِّيٍّ لِصِنفِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ القابِلِ لِلرَّدِّ إذا كانَ ثَمَّةَ كَثيرٌ جِدًّا مِن الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ الأُخرَى غَيرِ القابِلَةِ لِلرَّدِّ في الصِّنفِ الخِلافِيِّ الذي يتضَمَّنُ خَطَأً ميتافيزيقيًّا؟ ومِن جِهَةٍ أُخرَى، لِمَ لا يُستَبدَلُ الخِطابُ الدِّينِيُّ كُلِّيًّا إن كانَ لا يَسلَمُ مِن الخَطَإِ فيهِ إلّا مَجموعَةٌ فَرعِيَّةٌ مَحدودَةٌ مِنهُ؟ فالحاصِلُ أَنَّ المُكَوِّنَيْنِ الرَّئيسَيْنِ لِلرَّدِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ مُتعارِضانِ: فالرَّدُّ الطَّبيعِيُّ الأَكثَرُ تَعاطُفًا يُظهِرُ أَنَّ الخِطابَ الدِّينِيَّ يَحتاجُ إلى تَعديلٍ كبيرٍ إن أُريدَ لَهُ أن يُقصِيَ الخَطَأَ الميتافيزيقيَّ (الذي كانَ، في البَدءِ، سَبَبَ مُحاوَلَةِ تَقديمِ تَأويلٍ طَبيعِيٍّ لَهُ)، [122] بَيدَ أَنَّ الخَطَأَ الشّائعَ والحاجَةَ إلى تَعديلٍ كبيرٍ يُقَوِّضانِ تَأييدَ استِبقاءِ الخِطابِ الدِّينِيِّ.

ومِن المُحاوَلاتِ التي عَمَدَ إليها الرَّدِّيُّونَ لِلدِّفاعِ عن استِبقاءٍ جُزئِيٍّ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ، بَدَلًا مِن أن يُستَبدَلَ بِهِ كُلِّيًّا حَديثٌ عن عَمَلِيّاتٍ طَبيعِيَّةٍ، المُحاوَلَةُ التي تَقَدَّمَ بِها كوفمان Kaufman. إذ يَذهَبُ إلى ما يَأتي:

> 'الله' هوَ الرَّمزُ المُجَسِّدُ لِلفَعّالِيَّةِ الكَونِيَّةِ التي خَلَقَتْ بَشَرِيَّتَنا وما زالَت تُمارِسُ ضَغطَها لِتَصِلَ إلى كامِلِ تَحَقُّقِها. ولِهذا التَّجسيدِ أَفضَلِيَّةٌ لا بَأسَ بِها لِبَعضِ الأَغراضِ على المَفاهيمِ المُجَرَّدَةِ كَـ 'القُوَى الكَونِيَّة' أو 'أساس بَشَرِيَّتِنا في الطَّبيعَةِ المُطلَقَةِ لِلأَشياءِ': فرَمزُ 'الله' مَلموسٌ ومُحَدَّدٌ، وهوَ صُورَةٌ مُعَرَّفَةٌ بِدِقَّةٍ، وبِذلكَ يُمكِنُ أن يُصبِحَ مُباشَرَةً البُؤرَةَ المَركَزِيَّةَ لِلإخلاصِ والعَمَلِ. (1981, p. 50)

على أَنَّ رَدَّ كوفمان Kaufman، بَدَلًا مِن أن يُقَدِّمَ حَلًّا لِلصُّعوبَةِ المَعنِيَّةِ، يُؤَكِّدُ المُشكِلَةَ التي يُعانيها التَّأويلُ الرَّدِّيُّ. إذ يَذهَبُ كوفمان Kaufman إلى أَنَّ تَمثيلَ جَوانِبِ الطَّبيعَةِ على أَنَّها 'الله' يُقَدِّمُ لاهتِماماتِنا ومَواقِفِنا بُؤرَةً أَكثَرَ جاذِبِيَّةً مِن 'القُوَى الكَونِيَّة'. بيدَ أَنَّ في هذا إقرارًا بِأَيِّ زَعمٍ لِتَقديمِ أُطروحَةٍ لِمَعنَى 'الله'. ويَأمُلُ كوفمان Kaufman الاستِمرارَ في استِعمالِ التَّعبيرِ لا على أَساسِ تَأويلٍ رَدِّيٍّ مَقبولٍ لِمَضمونِهِ بَل لأَنَّهُ يُقَدِّمُ عَونًا سايكولوجِيًّا يتمَثَّلُ في تَعزيزِ الاهتِمامِ بِنِظامٍ اعتِقادِيٍّ طَبيعِيٍّ والحِفاظِ عليهِ.

فالرَّدِّيَّةُ الدِّينِيَّةُ لا تُمِدُّنا إذَن بِأُطروحَةٍ مُرضِيَةٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّة. فهيَ تَعديلِيَّةٌ بِدَرَجَةٍ كبيرَةٍ بِحَيثُ لا يُنظَرُ إليها على أنَّها أُطروحَةٌ لِمَضمونِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ. ومُواصَلَةُ استِعمالِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ على أساسِ رَدٍّ طَبيعِيٍّ لِمَضمونِها لا يُمَثِّلُ في أحسَنِ الأحوالِ إلّا مُداهَنَةً لِلُّغَةِ على النَّحوِ الذي يَستَعمِلُها بِهِ المُؤمِنونَ؛ ويُثيرُ، في أسوَإِ الأحوالِ، أسئلَةً بِشَأنِ سَلامَةِ اعتِمادِ التَّعبيراتِ الدِّينِيَّةِ على نَحوٍ يُمكِنُ أن يَكونَ مُضَلِّلًا. وثَمَّةَ خِيارٌ مُتاحٌ لِلرَّدِّيِّينَ الدِّينِيِّينَ أجدَرُ بِالاحتِرامِ الفَلسَفِيِّ هوَ الدَّعوَةُ إلى إقصاءِ الخِطابِ الدِّينِيِّ والسَّعيُ إلى أن يُستَبدَلَ بِهِ الخِطابُ الرَّدِّيُّ. وقَد رَأَينا آنِفًا عندَ حَديثِنا عن كوفمان Kauffman أنَّ هذهِ استراتيجيا يَتَّبِعُها الآنَ بَعضُ الطَّبيعِيِّينَ الدِّينِيِّينَ المُعاصِرينَ.

الذّاتِيّة

قَبلَ مُغادَرَةِ مَوضوعِ الرَّدِّيَّةِ، يَجدُرُ بنا إلقاءُ نَظرَةٍ على التَّنَوُّعاتِ الذّاتِيَّةِ لِهذهِ النَّظرِيَّةِ. فالذّاتِيَّةُ تُتابِعُ رَدِّيّاتٍ أُخرَى بِتَقديمِ شُروطِ صِدقِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ مِن زاوِيَةِ [123] صِنفٍ رَدِّيٍّ لِجُمَلٍ لادينِيَّةٍ؛ وتَتَمَيَّزُ بِجَعلِها جُمَلَ الصِّنفِ الرَّدِّيِّ مُتَعَلِّقَةً بِحالاتٍ سايكولوجِيَّةٍ إنسانِيَّةٍ. ويُمكِنُ أن يُوقَفَ على صُورَةٍ مُبَكِّرَةٍ مِن صُوَرِ الذّاتِيَّةِ، وإن تَكُنْ صُورَةً غَيرَ مُكتَمِلَةٍ تَمامًا بِوَصفِها أُطروحَةً لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، في كِتاباتِ فريدرِش شلايَرماخَر Friedrich Schleiermacher*. فقد أَوَّلَ مَفهومَنا لِلّهِ

* فريدرِش دانيال إيرنست شلايرماخَر (1768–1834م). لاهوتيٌّ وفَيلَسوفٌ، وعالِمٌ بالكِتابِ المقَدَّسِ ألمانيٌّ. عُرِفَ بِمُحاولَتِهِ التَّوفيقَ بينَ انتِقاداتِ التَّنويرِ والمسيحيَّةِ البروتستانتيَّةِ التَّقليدِيَّةِ. يُشَكِّلُ إسهامُهُ جُزءًا أساسيًّا في مَجالِ الهِرمِنيوطيقا الحديثِ. ولأثَرِهِ العَميقِ في الفِكرِ المسيحيِّ اللاحِقِ، غالِبًا مَا يُسَمّى 'أبا عِلمِ اللاهوتِ الحَديث'، ويُعَدُّ زَعيمًا مُبَكِّرًا لِلمسيحيَّةِ التَّحَرُّرِيَّةِ. وكانَت حَرَكَةُ الأرثوذكسيَّةِ الجَديدةِ في القَرنِ العِشرينَ، التي عادَةً مَا يُعَدُّ كارل بارث قائدًا لَها، مُحاوَلَةً لِتَحَدّي تَأثيرِهِ. مِن آثارِهِ: (مَعالِمُ العَقيدَةِ المسيحيَّةِ)؛ و(الهِرمِنيوطيقا والنَّقدُ وكِتاباتٌ أُخرى)؛ و(في الدِّينِ: خِطاباتٌ لِمُحتَقِريهِ مِن المُثَقَّفين). [المُترجِم]

وحَديثَنا عنهُ مِن زاوِيَةِ كَونِهِما 'شُعورًا بِالاعتِمادِ المُطلَقِ' (1928, p. 17). واعتَقَدَ أَنَّ اللهَ لا يُخبَرُ خِبرَةً مُباشَرَةً في هذا الشُّعورِ بَل إنَّ خِبرَةَ الاعتِمادِ الدِّينِيَّةَ تَتضَمَّنُهُ. وحينَ نَخبُرُ هذا الاعتِمادَ نَحوزُ خِبرَةَ الاعتِمادِ على شَيْءٍ مّا، وإن لَم نَخبُرِ الشَّيْءَ الذي نَعتَمِدُ عليهِ خِبرَةً مُباشَرَةً. ويَرَى شلايَرماخَر أَنَّ تَعبيرَ 'الله' يُسَمّي 'مَنبَعِيَّةَ وُجودِنا المُنفَتِحِ والفَعّالِ، بِوَصفِهِ مُضَمَّنًا في هذا الوَعيِ الذّاتِيِّ' (1928, p. 16). فَما نَقولُهُ عن اللهِ يَرتَدُّ مُحيلًا على هذهِ الخِبراتِ المُتَعلِّقَةِ بِالاعتِمادِ، وبَعضُ ما نَقولُهُ عن اللهِ في أَقَلِّ تَقديرٍ يَنبَغي أن يُفهَمَ على أَنَّهُ إبلاغٌ لِخِبراتٍ دينِيَّةٍ.

ومِن اللافِتِ لِلنَّظَرِ أَنَّ فِتغِنشتاين ظَلَّ مُدَّةً وَجيزَةً بَعدَ رُجوعِهِ إلى الفَلسَفَةِ في نِهاياتِ عِشرينِيّاتِ القَرنِ العِشرينَ يَتَبَنّى على ما يَبدو نَظرِيَّةً ذاتِيَّةً لِلدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ، وإن يَكُن الكَثيرُ مِمّا كَتَبَ لاحِقًا أَقرَبَ على ما يَبدو إلى الأَدنَوِيَّةِ (ولَنا عَودَةٌ إلى هذهِ النُّقطَةِ في الفَصلِ اللاحِقِ). فَفي رِسالَةِ 'مُحاضَرَة في الأَخلاقِ A Lecture on Ethics'، التي يَرجِعُ تَأريخُها إلى عام 1929، يُفَرِّقُ فِتغِنشتاين بينَ حالَتَيْنِ: 'دَهشَةٍ لِوُجودِ العالَمِ' و'خِبرَةِ الشُّعورِ بِالأَمنِ المُطلَقِ'. ويَنطَلِقُ بَعدَ ذلكَ لِيَقولَ:

> إنَّ أُولَى [هذهِ الخِبراتِ] هيَ، على ما أَعتَقِدُ، ما كانَ النّاسُ يُحيلُونَ علَيهِ بِالتَّحديدِ عندَ قَولِهِم إنَّ اللهَ خَلَقَ العالَمَ؛ وكانَتْ خِبرَةُ الأَمنِ المُطلَقِ قَد وُصِفَتْ بِالقَولِ إنّا نَشعُرُ بِالأَمنِ بينَ يَدَي اللهِ. والخِبرَةُ الثّالِثَةُ التي تَرجِعُ إلى هذا النَّوعِ نَفسِهِ هيَ خِبرَةُ الشُّعورِ بِالذَّنبِ وهيَ كذلِكَ كانَتْ قَد وُصِفَتْ بِعِبارَةِ أَنَّ اللهَ لا يَرضَى عن تَصَرُّفِنا. (1993, p. 42)

ويُمِدُّنا فِتغِنشتاين بِبَعضِ التَّأويلاتِ الذّاتِيَّةِ النَّزعَةِ الفَجَّةِ فَجاجَةً تُثيرُ الاستِغرابَ لِبَعضِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ، مِنها ما يَأتي:

12. خَلَقَ اللهُ العالَمَ تَعني *أَنّي أَشعُرُ بِالدَّهشَةِ لِوُجودِ العالَمِ*.
13. نَحنُ آمِنُونَ بينَ يَدَي اللهِ تَعني *أَنَّ لَدَيَّ شُعورًا بِالأَمنِ المُطلَقِ*.
14. لا يَرضَى اللهُ عن تَصَرُّفِنا تَعني *أَنَّ لَدَيَّ شُعورًا بِالذَّنبِ*.

فالذي يَنجُمُ عن هذا التَّحليلِ على ما يَبدو هو أنَّ هذهِ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تكونُ صادِقَةً حينَ يَخبُرُ المُتَحدِّثُ المَشاعِرَ التي تُبلِغُها هذهِ الجُمَلُ. [124]

ولا يَقتَصِرُ أمرُ الذّاتِيَّةِ على كَونِها تُعاني المُشكِلاتِ أنفُسَها التي تُعانيها الرَّدِّيَّةُ؛ بَل إنَّها تُعاني صُعوباتٍ إضافِيَّةً تَجعَلُها مِمّا يَتَعَذَّرُ الدِّفاعُ عنها بِوَصفِها نظرِيَّةً لِلُغَةِ الدِّينِيَّةِ. وقَد رَأَينا في التَّحليلِ الذّاتِيِّ في الجُمَلِ التي بينَ (12) و(14) أنَّ مَضمونَ الجُملَةِ الدِّينِيَّةِ تُقَدِّمُهُ جُملَةٌ ذاتُ إشارِيٍّ هوَ *أنا*، الذي يُحيلُ على المُتَكَلِّمِ. وبِذلكَ سيَتَغَيَّرُ صِدقُ الجُملَةِ الدِّينِيَّةِ تَبَعًا لِلمُتَكَلِّمِ. فإذا قُلتُ: 'خَلَقَ اللهُ العالَمَ' وكُنتُ قَد حُزتُ خِبرَةَ الدَّهشَةِ ذاتَ الصِّلَةِ، فما قُلتُهُ سيَكونُ صادِقًا؛ وإذا قُلتَ ذلكَ مِن غَيرِ أن تَكونَ قَد حُزتَ تلكَ الخِبرَةَ، فما قُلتَهُ لَن يَكونَ صادِقًا. أو لِنَفتَرِضْ، بِتَعديلِ أَحَدِ أَمثِلَةِ فِتغِنشتاين، أنَّ الجُملَةَ (15) تَكونُ صادِقَةً إنْ كانَتِ الجُملَةُ (16) صادِقَةً:

15. لا يَرضَى اللهُ عن الكَسَلِ.
16. أشعُرُ بِالذَّنبِ حينَ أتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ الكَسلانِ.

فالذي يَبدو أنَّهُ سيَنجُمُ عن ذلكَ هو أنَّ راتشيل Rachel، التي تَشعُرُ بِالذَّنبِ تُجاهَ نَوباتِ كَسَلٍ تَعتَريها، ستَكونُ مُتَكَلِّمَةً بِالصِّدقِ حينَ تَقولُ الجُملَةَ (15)، في حينِ أنَّ جِم Jim، الذي هوَ كَسلانُ كَسَلًا لا يَشعُرُ معَهُ بِنَدَمٍ، لَن يَكونَ صادِقًا حينَ يَقولُ الجُملَةَ نَفسَها. والمُشكِلَةُ التي تَعتَرِضُ سَبيلَ تَقديمِ هذا المُكَوِّنِ الإشارِيِّ في مَضمونِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ هيَ أنَّها تُصبِحُ مُتَعَلِّقَةً بِمَشاعِرِ *المُتَكَلِّم*. ونَتيجَةُ ذلكَ تَقويضُ الخِلافِ بينَ المُتَكَلِّمينَ. فَلْنَفتَرِضْ، على سبيلِ المِثالِ، أنَّ راتشيل تَقولُ الجُملَةَ (15) وأنَّ جِم يَقولُ: 'لا يَرضَى اللهُ عن الكَسَلِ'. فلَن تَكونَ راتشيل مُخالِفَةً لِجِم لأنَّ ما تَقولُهُ يَتَعلَّقُ بِشُعورِها بِالذَّنبِ في حينِ أنَّ ما يَقولُهُ جِم يَتَعلَّقُ بِشُعورِهِ: فِكِلاهُما سَيَكونُ مُتَكَلِّمًا بِالصِّدقِ، على الرَّغمِ مِن قَولِهِما شَيئَينِ غَيرَ مُتَناغِمَينِ طِبقًا لِلقيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ. بَل لَن تَكونَ راتشيل مُصيبَةً حينَ تَقولُ إنَّ جِم

مُخطِئٌ، ولَن يَكونَ جِم مُصيبًا حينَ يَقولُ إنَّ راتشيل مُخطِئَةٌ. ولا يَقتَصِرُ الأمرُ على عَدَمِ إمكانِ مُخالَفَةِ راتشيل لِجِم، بَل لا يُمكِنُها كذلِكَ أن تَعتَقِدَ اعتِقادًا صادِقًا أنَّ جِم مُخطِئٌ في ما يَقولُهُ والسَّبَبُ، إن كانَ التَّحليلُ الذّاتِيُّ صَحيحًا، أنَّ ما يَقولُهُ صادِقٌ. وهذا يَصدِمُ البَداهَةَ بِشِدَّةٍ. فالخِلافُ الدِّينِيُّ يَبدو شائعًا ومُتَأَصِّلًا. فَالذّاتِيَّةُ نَظرِيَّةٌ غَيرُ مَقبولَةٍ لِما تَنطَوي عليهِ مِن تَقويضٍ لِلخِلافِ بينَ المُؤمِنِينَ.

[125]

10

الأَدنوِيَّة

المَصدَرُ الأَساسِيُّ لِلأَدنَوِيَّةِ الدِّينِيَّةِ هوَ كِتاباتُ فِتغِنشتاين في الدِّينِ. فالكَثيرُ مِن تَعليقاتِهِ على هذا المَوضوعِ تَرمي على ما يَبدو إلى تَسليطِ الضَّوءِ على الاختِلافاتِ بينَ استِعمالِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ واستِعمالِ الجُمَلِ التَّاريخِيَّةِ أو العِلمِيَّةِ (والتَّجريبِيَّةِ والوَصفِيَّةِ عُمومًا). ويَتَّجِهُ التَّأويلُ الأَدنوِيُّ لِفِتغِنشتاين إلى أَنَّ ما يَرمي إليهِ عِندَما يَصِفُ هذهِ الاختِلافاتِ هوَ إيضاحُ مَعاييرِ التَّسويغِ الدّاخلِيَّةِ المُتَعارِضَةِ التي تُمَيِّزُ حُقولَ الخِطابِ هذهِ. إذ يُقَدِّمُ فِتغِنشتاين الدِّينَ، استِنادًا إلى هذهِ الأُطروحَةِ، على أَنَّهُ حَقلُ خِطابٍ أو لُعبَةٌ (أو ألعابٌ) لُغَوِيَّةٌ، مُتَمَيِّزٌ مِن المساحاتِ الأُخرَى لِلُّغَةِ كالعِلمِ والتَّأريخِ بِما لَهُ مِن مَعاييرِ تَسويغٍ داخلِيَّةٍ مُمَيِّزَةٍ. فالذي يُستَنتَجُ مِن فِعلِ فِتغِنشتاين هذا ومِن أُطروحَةِ الصِّدقِ الأَدنوِيَّةِ المَذكورَةِ آنِفًا، أَنَّهُ كانَ يُوضِحُ الخَصائصَ المُمَيِّزَةَ *لِلصِّدقِ* الدِّينِيِّ والأفكارَ المُتَعَلِّقَةَ بِذلكَ أَيضًا كالواقِعِ، والوَصفِ، وما إلَيهِما. فالذي يَذهَبُ إليهِ التَّأويلُ الأَدنوِيُّ هوَ أَنَّهُ لَم يَكُن يَسعَى إلى أن يُوجِدَ أَيَّةَ مُقارَنَةٍ مُجحِفَةٍ بينَ الدِّينِ والعِلمِ؛ إلى أن يُبَيِّنَ، على سبيلِ المِثالِ، أَنَّ الدِّينَ ما هوَ إلّا مُعَبِّرٌ عن مَواقِفَ في حينِ أَنَّ العِلمَ وَصفِيٌّ على نَحوٍ خاصٍّ. بَل كانَ يَصِفُ المَعاييرَ المُختَلِفَةَ التي تُهَيِّئُ الصِّدقَ والوَصفِيَّةَ في هذهِ الحُقولِ مِن الخِطابِ.

ويُعَزِّزُ هذهِ القِراءَةَ الأَدنوِيَّةَ لِفِتغِنشتاين اهتِمامٌ بِالاختِلافاتِ بينَ مَعاييرِ التَّسويغِ

المُستَخدَمَةِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ وغَيرِهِ مِن الخِطاباتِ - أنواعِ الظُّروفِ التي يَحكُمُ فيها المُؤمِنونَ على شَيْءٍ مّا بِأنَّهُ صادِقٌ، وأُسُسِ الخِلافاتِ بينَ المُؤمِنِينَ واللامُؤمِنِينَ، وما إلى ذلكَ - يَشيعُ في كِتاباتِهِ الشَّخصِيَّةِ في الدِّينِ. إذ يَلجَأُ فِتغِنشتاين، على سبيلِ المِثالِ، إلى المُقارَنَةِ بينَ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ بِشَأنِ يَوم الحِسابِ الأخيرِ والاعتِقاداتِ المُستَنِدَةِ إلى العِلمِ والاعتِقاداتِ الاعتِيادِيَّةِ المُتَعلِّقَةِ بِالحالاتِ القابِلَةِ لِلمُلاحَظَةِ (ويُقَدِّمُ المِثالَ الآتِيَ: 'تُوجَدُ طائِرَةٌ ألمانِيَّةٌ في السَّماءِ'). وإذا كانَ المُؤمِنونَ قَد يَتَحَدَّثُونَ عن 'الدَّليل' [126] و'الأحداثِ التَّأريخِيَّةِ'، فإنَّ فِتغِنشتاين يَرَى أنَّ الدَّليلَ والأحداثَ المَذكورَةَ في سِياقٍ ذي صِلَةٍ بِالاعتِقادِ الدِّينِيِّ لا تُشَكِّلُ سَبَبًا لِلذَّهابِ إلى التَّمَسُّكِ بِهذا الاعتِقادِ على أساسِ أنَّ الدَّليلَ الذي يُقَدَّمُ لِتَأييدِ فَرضِيَّةٍ مّا يُشَكِّلُ سَبَبًا لاعتِقادِ أنَّ هذهِ الفَرضِيَّةَ صادِقَةٌ. فَفي الخِطابِ الدِّينِيِّ 'تَبدو الأسبابُ مُختَلِفَةً كُلِّيًا عن الأسبابِ الاعتِيادِيَّةِ' (1966, p. 56)، ولا تَعَلُّقَ لِلاعتِقادِ الدِّينِيِّ بِـ 'المَعقولِيَّةِ' (1966, p. 58)، ولَيسَتِ الاعتِقاداتُ الدِّينِيَّةُ بِفَرضِيّاتٍ ولا آراءٍ؛ ولا يَستَقيمُ الحَديثُ عنها على أنَّها مَوضوعاتٌ لِلمَعرِفَةِ أو على أنَّ لَها احتِمالِيَّةً عالِيَةً، وحينَ تُقَدَّمُ الوَقائِعُ التَّأريخِيَّةُ لِتَأييدِ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ، 'لا تُعامَلُ على أنَّها قَضايا تَأريخِيَّةٌ تَجريبِيَّةٌ' (1966, p. 57). على أنَّ فِتغِنشتاين لا يَدعو إلى نَظرِيَّةٍ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ أساسُها الخَطأُ، إذ يَقولُ:

> قَد يَحدُثُ، وغالِبًا ما يَحدُثُ اليَومَ، أن يَتَخَلّى الشَّخصُ عَن مُمارَسَةٍ مّا بَعدَ أن يَكتَشِفَ خَطأً مّا تَقومُ عليهِ. لكِنَّ هذا لا يَحدُثُ إلّا حينَ يَكونُ تَنبيهُ الشَّخصِ على خَطَئِهِ كافِيًا لِتَحويلِهِ عن وِجهَتِهِ السُّلوكِيَّةِ. لكِنَّ هذا لا يَنطَبِقُ على المُمارَساتِ الدِّينِيَّةِ لِلنّاسِ *ولِذلكَ* لا تُثارُ مَسألَةُ الخَطإِ. (1993, p. 121)

فالذي يَبدو أنَّ فِتغِنشتاين يُحاوِلُ جاهِدًا في هذا المَوضِعِ أن يُشَدِّدَ على التَّعارُضِ بينَ الخِطابِ الدِّينِيِّ والخِطاباتِ المُقَرِّرَةِ لِلوَقائِعِ؛ فالحَقُّ أنَّهُ يُلمِعُ إلى أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تَكونُ خَطأً إذا نُظِرَ إليها (أو إذا قُدِّمَتْ) على أنَّها مُبلِغَةٌ لِوَقائِعَ عِلمِيَّةٍ أو نَظرِيّاتٍ عِلمِيَّةٍ.

ومِمّا يُؤَيِّدُ التّأويلَ الأدنَوِيَّ لِفِتغِنشتاين أيضًا أنّهُ كانَ مُتعاطِفًا معَ الاستراتيجيا الانكِماشِيَّةِ، إذ يَقولُ:

> 'ف' صادِقَةٌ = ف.
>
> 'ف' كاذِبَةٌ = ليسَ ف.
>
> وإذا قيلَ إنَّ القَضِيَّةَ هيَ كُلُّ ما يُمكِنُ أن يَكونَ صادِقًا أو كاذِبًا، فإنَّ هذا القَولَ يَرتَقي إلى أن يَكونَ مَعناهُ أن يُقالَ إنّا نُسَمّي الشَّيْءَ قَضِيَّةً حينَ نُطَبِّقُ في *لُغَتِنا* حِسابَ دَوالِّ الصِّدقِ عليهِ. (1953, p. 136)

فَما دامَ مَحمولُ الصِّدقِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ يُؤَيِّدُ مُخَطَّطَ الصِّدقِ المُقتَرَحَ ويُمكِنُ تَطبيقُهُ على الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ، فمِنَ المُمكِنِ أن تُضمَنَ بِسُهولَةٍ قابِلِيَّةُ تَطبيقِ مَحمولِ الصِّدقِ عليها. وتَكونُ المُهِمَّةُ الفَلسَفِيَّةُ الرَّئيسَةُ عِندَئِذٍ وَصفَ الاختِلافاتِ في مَعاييرِ التَّسويغِ بينَ الخِطابِ الدِّينِيِّ ومساحاتِ الخِطابِ الأُخرَى. فالخِطابُ العِلمِيُّ لا يُستَعمَلُ أُنموذَجًا لِلصِّدقِ والوَصفِ يَكونُ الخِطابُ الدِّينِيُّ بِإزائِهِ عاجِزًا بَل يُستَعمَلُ مَوضوعًا لِلمُقارَنَةِ يُمكِنُ الإفصاحُ بِإزائِهِ عن السِّماتِ التَّمييزِيَّةِ لِلصِّدقِ والوَصفِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ. [127]

وتَرى القِراءَةُ الأدنَوِيَّةُ أن فِتغِنشتاين يَرفُضُ النَّظرِيَّتَيْنِ الرَّدِّيَّةَ والتَّعبيرِيَّةَ اللَّتَيْنِ تَذهَبانِ إلى أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ لَيسَتْ وَصفِيَّةً أو أنَّها لا تُمَثِّلُ وَقائعَ دينِيَّةً: فهِيَ وَصفِيَّةٌ وهيَ تُمَثِّلُ وَقائعَ دينِيَّةً، بيدَ أنَّها لَيسَتْ أَوصافًا عِلمِيَّةً ولا تُمَثِّلُ وَقائعَ عِلمِيَّةً. بَل يُمكِنُ أن تَكونَ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ صادِقَةً، غَيرَ أنَّ المَعاييرَ التي تُسَوِّغُ على وَفقِها تَختَلِفُ عن تلكَ التي تُستَخدَمُ في العِلمِ. فالذي يَبدو إذَن هوَ أنَّ فِتغِنشتاين يُقِرُّ بِالكَثيرِ مِمّا تَقتَضيهِ مُقارَبَةُ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لكِنَّهُ يَفعَلُ ذلكَ 'بِثَمَنٍ زَهيدٍ'. فالأفكارُ التي مِن قَبيلِ الصِّدقِ، والإحالَةِ، والوَصفِ، والواقِعِ، لَيسَتْ لَها مُتَطَلَّباتٌ فَلسَفِيَّةٌ ثَقيلَةٌ في الخِطاباتِ التي تَكونُ فيها فاعِلَةً بِنَجاحٍ. فبِإمكانِنا الحَديثُ عن صِدقٍ دينِيٍّ، وإحالَةٍ دينِيَّةٍ، ووَقائعَ دينِيَّةٍ، كما أنَّ بِإمكانِنا الحَديثَ

عن صِدقٍ عِلمِيٍّ، وإحالَةٍ عِلمِيَّةٍ، ووَقائعَ عِلمِيَّةٍ، لكِن يَجِبُ أن نَنظُرَ في الطَّريقَةِ التي تُستَعمَلُ بِها هذهِ الألفاظُ في الخِطابِ الدِّينِيِّ لِنكتَشِفَ ما تَعنيهِ.

وما مِن شَكٍّ في أنَّ مَسألَةَ مَدَى كَونِ فِتغِنشتاين أدنَوِيًّا تَختَلِفُ تَمامًا عن مَسألَةِ مَدَى كَونِ الأدنَوِيَّةِ الدِّينِيَّةِ مَذهَبًا يُمكِنُ الدِّفاعُ عنهُ. على أنَّهُ مِن أجلِ الحُصولِ على فِكرَةٍ أوضَحَ لِما يَذهَبُ إليهِ الأدنَوِيُّونَ، سأبدأُ بِإجراءِ مُراجَعَةٍ لِبَعضِ التَّأويلاتِ الأدنَوِيَّةِ لِفِتغِنشتاين. وسأُعَرِّجُ بَعدَ ذلكَ على بَعضِ الاعتِراضاتِ على النَّظرِيَّةِ الأدنَوِيَّةِ التي كانَتْ قَد أُثيرَتْ. وسأُبَيِّنُ في الفَصلِ اللاحِقِ بِالتَّفصيلِ سَبَبَ اعتِقادي إخفاقَ الأدنَوِيَّةِ الدِّينِيَّةِ ومَتانَةَ الصِّدقِ الدِّينِيِّ.

فِتغِنشتاين والأدنَوِيَّة

يَتعاطَفُ هِلاري بَتْنام مَعَ التَّأويلِ الأدنَوِيِّ لِفِتغِنشتاين. ويُوَجِّهُ بَتْنام الانتِباهَ إلى تَعليقاتِ فِتغِنشتاين المَشهورَةِ على مَفاهيمِ 'التَّشابُه الأُسَرِيّ'. وما يَرمي إليهِ فِتغِنشتاين في هذهِ التَّعليقاتِ هوَ الفِكرَةُ التي مُفادُها أنَّ المَفهومَ يَقتَضي شُروطًا ضَرورِيَّةً وكافِيَةً لِكَي يُطَبَّقَ تَطبيقًا صَحيحًا في مُختَلِفِ السِّياقاتِ. ويَبدو، بِحُكمِ البَداهَةِ، أن لا بُدَّ مِن وُجودِ شُروطٍ كهذهِ إن ظَلَّ مَعنَى المَفهومِ هوَ المَعنَى نَفسَهُ عندَ استِعمالِهِ في مُختَلِفِ السِّياقاتِ. فَلْنَنظُرْ في مَفهومِ *اللُعبَة*، بِاستِعمالاتِهِ المُتَنَوِّعَةِ - ألعاب الرُّقعَةِ، وألعاب الوَرَقِ، والألعاب الأولِمبِيَّةِ، وما إليها؛ فَبِإمكانِنا أن نَرَى، على ما يَذهَبُ إليهِ بَتْنام، أنَّهُ بِإزاءِ كُلِّ شَرطٍ مَخصوصٍ يَظهَرُ لِيُمَيِّزَ بَعضَ أنماطِ اللُعبَةِ، ستَكونُ ثَمَّةَ شُروطٌ أُخرَى تُخفِقُ في الوَفاءِ بِمُقتَضَياتِهِ. ويُعَبِّرُ فِتغِنشتاين عن ذلكَ بِقَولِهِ: 'لَيسَ بينَ هذهِ الظَّواهِرِ شَيْءٌ مُشتَرَكٌ يَجعَلُنا نَستَعمِلُ الكَلِمَةَ نَفسَها لَها جَميعًا - سِوَى أنَّ بَعضَها مُرتَبِطٌ بِبَعضٍ بِطَرائقَ مُختَلِفَةٍ' (1953, p. 65). وبَدَلًا مِن الشَّرطِ المُشتَرَكِ الضَّرورِيِّ والكافي لِجَميعِ استِعمالاتِ 'اللُعبَة'، تُوجَدُ شَبَكَةٌ مِن التَّشابُهاتِ والعَلاقاتِ بينَها. ويَتَّضِحُ هذا في الطَّريقَةِ التي يُفَسَّرُ بِها اللَفظُ تَفسيرًا اعتِيادِيًّا: لا بِتَقديمِ تَعريفٍ بَل بِتَقديمِ عَدَدٍ مِن الأَمثِلَةِ. [128]

ويُشيرُ بَتْنام إلى أنَّ فِتغِنشتاين لَم يَكُن مَعنيًّا في المَقامِ الأوَّلِ بِمُجَرَّدِ مُلاحَظَةِ أنَّ ثَمَّةَ مَفاهيمَ مُعَيَّنَةً تُنشِئُها شَبَكَةٌ مِن التَّشابُهاتِ ولا تَفي بِمُقتَضَياتِ الشُّروطِ الضَّروريَّةِ والكافِيَةِ لاستِعمالاتِها، بَل كانَ يَقصِدُ كذلِكَ تَطبيقَ هذهِ النُّقطَةِ على أفكارٍ مِن قَبيلِ *اللُّغَة والإحالَة والصِّدق*، إذ يَقولُ:

> إنَّ الأفكارَ الفَلسَفِيَّةَ الكَبيرَةَ هيَ بِالتَّحديدِ ما يَرغَبُ فِتغِنشتاين في أن يُطَبِّقَ عليهِ فِكرَةَ التَّشابُهِ الأسَريِّ. والذي يَسعَى فِتغِنشتاين إلى إخبارِنا بِهِ هوَ، بِحَسَبِ قِراءَةِ رَش ريز Rush Rhees* (وأنا مُقتَنِعٌ بِصِحَّتِها)، أنَّ استِعمالاتِ الإحالَةِ لَيسَتْ لِها 'ماهِيَّةٌ'؛ فليسَ ثَمَّةَ شَيْءٌ مُعَيَّنٌ يُمكِنُ أن يُسَمَّى إحالَةً. بَل تُوجَدُ تَشابُهاتٌ مُتَداخِلَةٌ بينَ نَوعٍ مِن الإحالَةِ ونَوعٍ آخَرَ بَعدَهُ، وهذا هوَ كُلُّ ما هوَ مَوجودٌ. وهذا يَكشِفُ، على سبيلِ المِثالِ، عَن سببِ عَدَمِ حَيرَةِ فِتغِنشتاين، في الوَقتِ الذي يَحارُ فيهِ كَثيرٌ مِن الفَلاسِفَةِ، بِشَأنِ كَيفِيَّةِ إمكانِ أن 'نُحيلَ' على كِياناتٍ تَجريدِيَّةٍ. ونَحنُ، في نِهايَةِ المطافِ، غَيرُ مُرتَبِطينَ بِالعَدَدِ 3 ارتِباطًا سَبَبِيًّا، فكيفَ يُمكِنُنا إذَن أن نُحيلَ عليهِ؟ وهَل نَعلَمُ حَقًّا أنَّ ثَمَّةَ شَيئًا كهذا البَتَّةَ؟ ويَرَى فِتغِنشتاين أنَّ الحَقيقَةَ هيَ أنَّ استِعمالَ الكَلِماتِ العَدَدِيَّةِ ما هوَ إلّا استِعمالٌ مُختَلِفٌ عن استِعمالِ الكَلِماتِ التي على شاكِلَةِ بَقَرَة. فحاصِلُ طَريقَتِهِ هوَ الكَفُّ عن تَسمِيَةِ 3 'شَيئًا' أو 'كِيانًا تَجريدِيًّا' والنَّظَرُ في الطَّريقَةِ التي تُستَعمَلُ بِها الكَلِماتُ العَدَدِيَّةُ.
> (1992, pp. 167-168)

فبَتْنام يُثيرُ في هذا المَوضِعِ مُشكِلَةَ كَيفِيَّةِ فَهمِنا لِجُملَةٍ نَحوِ قَولِنا: 'يُوجَدُ عَدَدانِ أوَّلِيّانِ بينَ 6 و12'. فالذي يَظهَرُ مِن هذهِ الجُملَةِ أنَّها تُحيلُ على كِياناتٍ تَجريدِيَّةٍ وأنَّها تُوَلِّدُ مُشكِلَةً بِشَأنِ حالَةِ الكِياناتِ التَّجريدِيَّةِ وكيفِيَّةِ إمكانِ مَعرِفَةِ أيِّ

* رَش ريز (1905–1989م). فَيلَسوفٌ أمريكيٌّ. أكثَرُ ما يُعرَفُ بِهِ أنَّهُ تِلميذُ الفَيلَسوفِ لودفيغ فِتغِنشتاين وصَديقُهُ والمسؤولُ عن حَقوقِ كِتاباتِهِ. وقَد حَرَّرَ هوَ وغيرترود إلزابيث مارغريت أنسكومب كِتابَ فِتغِنشتاين ذا التَّأثيرِ الكبيرِ (بُحوثٌ فَلسَفِيَّة) ونَشَراهُ بَعدَ وَفاتِهِ، فَضلًا عَن أعمالٍ أُخرى أصدَرَها لِفِتغِنشتاين. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (بِلا إجابات)؛ و(فِتغِنشتاين وإمكانُ الخِطاب)؛ و(في الدِّينِ والفَلسَفَة). [المُتَرجِم]

شَيْءٍ عنها. وقَد كانَ رَدُّهُ أدنويًّا على نَحوٍ مُناسِبٍ: فالتَّخليطُ إنَّما يَنشَأُ هُنا حينَ نَستَعمِلُ الإحالَةَ، مَثَلًا، في أوصافِ العالَمِ المُدرَكِ بِوَصفِها مِعيارًا تُقَوَّمُ بِإزائِهِ الإحالَةُ في الرِّياضِيّاتِ. فعلَينا، بَدَلًا مِن ذلكَ، أن نَنظُرَ في مَعاييرِ خِطابِ الرِّياضِيّاتِ لِنَفهَمَ ما تَعنيهِ الإحالَةُ في هذا السِّياقِ. ويُوَسِّعُ بَتْنام هذا الاستِنتاجَ الأدنَويَّ لِيَشمَلَ الدِّينَ، فيقولُ:

> إنَّ استِعمالَ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ يُشبِهُ حالاتِ الإحالَةِ الاعتِيادِيَّةَ ولا يُشبِهُها في الوَقتِ نَفسِهِ: لكِنَّ السُّؤالَ عن كَونِها إحالَةً 'فِعلِيَّةً' أو إحالَةً 'غَيرَ فِعلِيَّةٍ' سيَقودُنا إلى التَّخليطِ. إذ لا وُجودَ لِماهِيَّةٍ لِلإحالَةِ... ويُمكِنُ القَولُ بِاختِصارٍ إنَّ فِتغِنشتاين يَكشِفُ عمّا *ليسَ* بِطَريقَةٍ مُناسِبَةٍ لِفَهمِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. فطَريقَةُ فَهمِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ لَيسَتْ مُحاوَلَةَ تَطبيقِ تَصنيفٍ ميتافيزيقيٍّ مُعَيَّنٍ لأشكالِ الخِطابِ المُمكِنَةِ. (1992, p. 168)

ويُمكِنُ القَولُ على نَحوٍ أعَمَّ إنَّ فِتغِنشتاين عندَ بَتْنام يَنظُرُ إلى الإحالَةِ على أنَّها يُمكِنُ إنجازُها أدنويًّا بِأيِّ خِطابٍ تَقريرِيٍّ، وكذلكَ الحالُ معَ الصِّدقِ، والوَصفِ، و[129] الوَقائعِ؛ ويَجِبُ تَوجيهُ الاهتِمامِ بَدَلًا مِن ذلكَ إلى الإحالَةِ التي تَكمُنُ في الخِطابِ الدِّينِيِّ. ويُرَى أنَّ هذهِ المَسأَلَةَ الأخيرَةَ قَد أوضَحَها الإفصاحُ عن مَعاييرِ التَّسويغِ الدّاخليَّةِ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ.

والمِثالُ الآخَرُ لِلقِراءَةِ الأدنَوِيَّةِ لِفِتغِنشتاين هوَ الذي قَدَّمَهُ د.ز. فِلِبس، إذ يَقولُ:

> لا تَتَرَدَّدْ في القَولِ إنَّ 'الله' يُؤَدّي وَظيفَةَ التَّعبيرِ المُحيلِ، وإنَّ 'الله' يُحيلُ على نَوعٍ مّا مِن الأشياءِ، وإنَّ واقِعِيَّةَ اللهِ أمرٌ واقِعٌ، وما إلى ذلكَ. *لكِن أرجو أنْ تَتَذَكَّرَ أنَّكَ لَم تُحدِثْ، حتّى الآن، إيضاحًا مَفهومِيًّا أو نَحوِيًّا*. فما زالَ أمامَنا كُلُّ شَيْءٍ لِنَفعَلَهُ لأنَّ علَينا أن نُبَيِّنَ، في هذا السِّياقِ الدِّينِيِّ، مَعنَى الحَديثِ عن 'الإحالَة'، و'الشَّيْء'، و'الوُجود'، وما إليها، وكَيفِيَّةَ اختِلافِهِ، بِطَرائقَ واضِحَةٍ، عن الاستِعمالاتِ الأُخرَى لِهذهِ الألفاظِ.
> (1995, p. 138)

ويُلحَظُ أنَّ هذا يُمَثّلُ تَغيُّرًا في مَسارِ فِلِبس الذي (على ما قَد رَأَينا في القِسمِ الأوَّلِ) كانَ قَد نازَعَ في بَواكيرِ حَياتِهِ العِلمِيَّةِ في مَدَى كَونِ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ أصيلَةً في قَضَويَّتِها، أو إحالَتِها، أو وَصفِيَّتِها. أمّا هُنا فهوَ يَسمَحُ بأن تكونَ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ وَصفِيَّةً لكِنَّهُ يُؤثِرُ التّأويلَ الأدنويَّ لِما يُؤَسِّسُ الوَصفِيَّةَ بِوَصفِهِ ما تُحَدِّدُهُ السِّماتُ التَّمييزِيَّةُ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ.

ويَتَّفِقُ الأدنَوِيُّونَ الدِّينِيُّونَ عُمومًا في عددٍ مِن النِّقاطِ. أُولاها أنَّهُم يُسَلِّمونَ بِأنَّ لِلعِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ مَضمونًا قَضَويًّا وأنَّها يُمكِنُ أن تَكونَ صادِقَةً، ووَصفِيَّةً، وواقِعِيَّةً، وما إلى ذلكَ. وثانِيَتُها أنَّ الصِّدقَ الدِّينِيَّ والألفاظَ المُرتَبِطَةَ بِهِ تُفهَمُ على أنَّها مَفاهيمُ *داخِلِيَّةٌ لألعابٍ لُغَوِيَّةٍ*. فمِن أجلِ أن نَقِفَ على ما يُنشِئُ الصِّدقَ في الدِّينِ، على سبيلِ المِثالِ، نَحتاجُ إلى النَّظَرِ في المَعاييرِ الدّاخليَّةِ لِلتَّسويغِ التي تَمنَحُ الخِطابَ الدِّينِيَّ شَكلَهُ. وثالِثَتُها أنَّ الهَدَفَ الأوَّلَ لِلأدنَوِيَّةِ، في شَكلِها الفِتغِنشتايِنِيِّ الذي تَتَّخِذُهُ في فَلسَفَةِ الدِّينِ في أقَلِّ تقديرٍ، هوَ إيضاحُ المَعاييرِ المُختَلِفَةِ التي تُمَيِّزُ مِساحاتِ الخِطابِ المُختلِفَةَ ولا سِيَّما الإيضاحُ التّامُّ لِلاختِلافاتِ بينَ الصِّدقِ في الدِّينِ والصِّدقِ في العِلمِ أو التّاريخِ. على أنَّهُ تُوجَدُ أيضًا مِساحَةُ اختِلافٍ مُهِمَّةٌ بينَ الأدنَوِيِّينَ الدِّينِيِّينَ.

وقَد كُنتُ ذَكَرتُ في نِهايَةِ الفَصلِ 8 أنَّ الأدنَوِيِّينَ قَد يَذهَبونَ إلى أنَّ الصِّدقَ يَنبَغي أن يُحَلَّلَ بِوَصفِهِ مُقَيَّدًا بِالمَعرِفَةِ في بَعضِ مِساحاتِ الخِطابِ، كالدِّينِ والأخلاقِ، ومُنسَجِمًا معَ تَحليلِ الصِّدقِ بِطَريقَةٍ أكثَرَ مَتانَةً في مِساحاتٍ أُخرَى لِلخِطابِ، كالتّاريخِ والعِلمِ. بَل إنَّ نظرِيَّةَ القيمَةِ الظّاهرِيَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ يُمكِنُ الدِّفاعُ عنها على نَحوٍ يَنسَجِمُ معَ السَّماحِ بِاستِخدامِ بَعضِ مِساحاتِ الخِطابِ مَفاهيمَ صِدقٍ مُقَيَّدَةً بِالمَعرِفَةِ، بِشَرطِ أن يَكونَ الصِّدقُ في الخِطابِ الدِّينِيِّ مَتينًا. لكِن ما الذي سيَؤُولُ إليهِ تَصَوُّرُنا المُوَسَّعُ لِلصِّدقِ، إذا كانَ بِالإمكانِ أن يَتَنَوَّعَ الصِّدقُ على هذا النَّحوِ بِتَنَوُّعِ الخِطاباتِ؟ والإجابَةُ أنَّ ثَمَّةَ مُقتَرَحَينِ. [130] فالخِيارُ الأوَّلُ، الذي يَتَبَنّاهُ فِلِبس، هوَ أنَّ 'الصِّدقَ' يَعني شَيئًا يَختَلِفُ بِاختِلافِ السِّياقاتِ، إذ يَقولُ:

> الواقِعِيَّةُ الدَّلالِيَّةُ هيَ الوِجهَةُ التي تَرَى أنَّ ما نَعنيهِ بِـ 'الصِّدق' واحِدٌ على الدَّوامِ، سَواءٌ أكُنّا نتحدَّثُ عن أُطروحَةٍ صادِقَةٍ لِعَدَدِ الكَراسِيّ في غُرفَةٍ مّا، أم كُنّا نَتَحدَّثُ عن حُبٍّ صادِقٍ. فَهذهِ الوِجهَةُ مُضطَرِبَةٌ. وما لَم نُدرِكْ وُجودَ أنحاءٍ مُختَلِفَةٍ لِـ 'الصِّدق'، فَلَن نَكونَ قادِرينَ على فَهمِ الاعتِقاداتِ المَسيحِيَّةِ المَركَزِيَّةِ. (1995, p. 149)

فَفِلِبس يَقتَرِحُ استِعمالًا مُتَشَظِّيًا لِلصِّدقِ يَقودُ إلى نَتيجَةٍ لا يُمكِنُ تَجنُّبُها هيَ أنَّ هذا اللَفظَ مُلبِسٌ. إذ سيَكونُ لَدَينا مَفاهيمُ صِدقٍ مُتَعَدِّدَةٌ، لَها ماصَدَقاتٌ مُختَلِفَةٌ (1976, p. 142).

ويَذهَبُ كرِسبِن رايت إلى الضِّدِّ مِن ذلكَ إذ يَرَى أنَّ لِمَحمولِ الصِّدقِ شُروطَ استِعمالٍ مُعَيَّنَةً ضَرورِيَّةً وكافِيَةً، ولا سِيَّما المُخَطَّطُ غَيرُ الاقتِباسِيّ DS ونَظائرُهُ مِن البَديهيّاتِ (1992, ch. 2)؛ ويَبدو، على ما يُوحي بِهِ الاقتِباسُ المُتَقَدِّمُ، أنَّ فِتغِنشتاين يُوافِقُ على ذلكَ. ويَذهَبُ رايت إلى أنَّ بِإمكانِنا قَبولَ الشُّروطِ الأساسِيَّةِ لِمَحمولِ الصِّدقِ في الوَقتِ الذي نَسمَحُ فيهِ بِإمكانِ أن يُدرَكَ الصِّدقُ *إدراكًا مُختَلِفًا* في مَجالاتِ الخِطابِ المُختَلِفَةِ. أي إنَّهُ يُمكِنُ أن يُبدِيَ الصِّدقُ سِماتٍ زائدَةً على الشُّروطِ الضَّرورِيَّةِ والكافِيَةِ التي يَقتَرِحُها الانكِماشِيُّونَ والتي تُمَيِّزُ استِعمالَهُ في الخِطاباتِ المَخصوصَةِ. ولِلوُقوفِ على ما يَرمي إليهِ رايت، لِنَنظُرْ في خِطابَيْنِ يَبدو أنَّ مَحمولَ الصِّدقِ فيهِما يَتَصَرَّفُ على نَحوٍ مُختَلِفٍ. ففي الحَديثِ عَمّا هوَ هَزلِيٌّ، عَلى سبيلِ المِثالِ، تَبدو الفِكرَةُ الأدنَوِيَّةُ التي مُفادُها أنَّ الصِّدقَ مُقَيَّدٌ بِالمَعرِفَةِ مَقبولَةً. فَنَحنُ نَعُدُّ الجُمَلَ المُتعلِّقَةَ بِما هوَ هَزلِيٌّ قابِلَةً لِلصِّدقِ، لكِن لا يُوجَدُ إلّا القَليلُ مِمّا يُغرينا بِافتِراضِ إمكانِ وُجودِ حَقائقَ يَتَعَذَّرُ العِلمُ بِها بِشَأنِ ما هوَ هَزلِيٌّ، لأنّا نَعُدُّ الحَقائقَ المُتَعَلِّقَةَ بِما هُوَ هَزلِيٌّ مُرتَبِطَةً ارتِباطًا أساسِيًّا بِالتَّقويماتِ والتَّوافُقاتِ المُراعاةِ في ما هُوَ هَزلِيٌّ. وتُعارِضُ هذهِ الحالَةَ الفيزياءُ، حَيثُ الجُمَلُ قابِلَةٌ لِلصِّدقِ أيضًا ولكِن حَيثُ لا يَكونُ لَدَينا جُنوحٌ مُشابِهٌ إلى النَّظَرِ إلى الحَقائقِ المُتَعَلِّقَةِ، مَثَلًا، بِتَكوينِ الكَواكِبِ التي كانَت تَدورُ بِشِدَّةٍ حَولَ نُجومٍ بَعيدَةٍ مَلايينَ مِن السِّنينَ في الماضي على أنَّها مِمّا يُمكِنُ العِلمُ

بِهِ حَتّى مِن حَيثُ المَبدَأ. فقد يَكونُ صِدقُ جُمَلٍ كهذهِ خارجَ مُتناوَلِ أيِّ مَنهَجٍ مُتاحٍ لَنا لِتَحديدِ صِدقِها. لِذلكَ يَرَى رايت أنَّهُ في الوَقتِ الذي يُقَدِّمُ فيهِ المُخَطَّطُ غَيرُ الاقتِباسِيِّ ونَظائرُهُ مِن البَديهِيّاتِ شُروطَ الصِّدقِ الضَّرورِيَّةَ والكافِيَةَ، يُمكِنُ أن يَلقَى الصِّدقُ مَزيدًا مِن التَّكميلِ على نَحوٍ يَختَلِفُ بِاختِلافِ الخِطاباتِ. وتَكونُ الحَقائقُ المُتعلِّقَةُ بِما هوَ هَزْلِيٌّ مُقَيَّدَةً بِالمَعرِفَةِ، لكِن تُوجَدُ حَقائقُ في الفيزياءِ تَتَعالى على الدَّليلِ. لِذلكَ يَنبَغي فَهمُ الصِّدقِ في الفيزياءِ على أنَّهُ أكثَرُ مَتانَةً مِن الصِّدقِ في الخِطابِ المُتعلِّقِ بِما هوَ هَزْلِيٌّ وإن كانَ لِمَفهومَي الصِّدقِ كِلَيْهِما الشُّروطُ الضَّرورِيَّةُ والكافِيَةُ أنفُسُها. ولا شَكَّ في أنَّ هذَينِ المِثالَيْنِ قابِلانِ لِلجِدالِ؛ فقد يَذهَبُ بَعضُهُم إلى أنَّ الصِّدقَ في الخِطابِ الهَزْلِيِّ [131] مَتينٌ. ومَعَ ذلكَ، يَظَلُّ مُقتَرَحُ رايت العامُّ بِشَأنِ قَبولِ الصِّدقِ تَحليلاتٍ قابِلَةً لِلتَّنَوُّعِ هوَ المُقتَرَحَ نَفسَهُ.

ومِن طَريقِ المُقارَنَةِ، يَقتَرِحُ رايت مَفهومَ التَّطابُقِ. ويُمكِنُنا التَّفكيرُ في مَفهومِ التَّطابُقِ على أنَّهُ يرتَكِزُ على مَبدَأينِ: أنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُطابِقٌ لِنَفسِهِ وأنَّ الأشياءَ المُتَطابِقَةَ تَتَشاطَرُ صِفاتِها. وبِوُسعِ هذَينِ المَبدَأينِ أن يُكَوِّنا مَعًا الشُّروطَ الضَّرورِيَّةَ والكافِيَةَ لِلمُطابَقَةِ. بيدَ أنَّ الطَّريقَةَ التي تُحَقَّقُ بِها هذهِ الشُّروطُ ستَعتَمِدُ على مَدَى كَونِنا نَتَعامَلُ معَ أشياءَ مادِّيَّةٍ، وأعدادٍ، وأشخاصٍ، وما إليها (Wright, 2003, pp. 78-9). مِثالُ ذلكَ أنَّ بِإمكانِنا افتِراضَ أنَّ تَطابُقَ الأشياءِ المَحسوسَةِ يَكمُنُ دائمًا في الاستِمرارِيَّةِ الزَّمانِيَّةِ والمَكانِيَّةِ وأنَّ التَّطابُقَ العَدَدِيَّ إنَّما يَكونُ بِتَلبِيَةِ شُروطِ عَلاقَةِ التَّناظُرِ التّامِّ وأنَّ التَّطابُقَ الشَّخصِيَّ يَكمُنُ في شَيْءٍ آخَرَ، قَد يَكونُ الاستِمرارِيَّةَ السّايكولوجِيَّةَ. على أنَّ تَحديدَ مَدَى كَونِ شَخصَينِ مُعَيَّنَينِ يَعبُدانِ الإلهَ نَفسَهُ سيَكونُ أمرًا مُختَلِفًا. فسِماتُ التَّطابُقِ المَوضِعِيَّةُ المُختَلِفَةُ تَعتَمِدُ على عَدَدِ الأشياءِ التي نَنظُرُ فيها، بيدَ أنَّ هذا ليسَ سَبَبًا لافتِراضِ أنّا نتعامَلُ معَ مَفاهيمِ تَطابُقٍ مُختَلِفَةٍ في كُلِّ حالَةٍ. إذ إنَّ لَدَينا مَفهومَ تَطابُقٍ تُقَدِّمُهُ شُروطٌ ضَرورِيَّةٌ وكافِيَةٌ مُعَيَّنَةٌ تُطَبَّقُ على جميعِ الحالاتِ لكِنَّها مُكَوَّنَةٌ مِن شُروطٍ إضافِيَّةٍ تَعتَمِدُ على المَوضوعِ المَبحوثِ فيهِ. فكذلكَ، على ما يَرَى رايت، لَدَينا مَفهومٌ لِلصِّدقِ يَرتَكِزُ

على شُروطِ ضَروريَّةٍ وكافِيَةٍ (وDS على نَحوِ خاصٍّ)، لكِنَّهُ قَد يَكونُ مُكَوَّنًا على نَحوِ مُغايِرٍ مِن شُروطٍ إضافِيَّةٍ تَبَعًا لِمَدَى كَونِنا نتحَدَّثُ عن حَقائقَ دينِيَّةٍ، أو حَقائقَ عِلمِيَّةٍ، أو حَقائقَ أخلاقِيَّةٍ. ويُطلِقُ رايت على هذا اسمَ تَعَدُّدِيَّة الصِّدقِ، وهيَ مُضادَّةٌ لِمُقارَبَةِ التَّشَظّي عِندَ فِلِبس (1992, p. 38).

ويَصعُبُ العُثورُ على أيِّ شَيْءٍ يُرَجِّحُ كِفَّةَ أُطروحَةِ تَشَظّي الصِّدقِ على كِفَّةِ أُطروحَةِ تَعَدُّدِيَّةِ الصِّدقِ. فَمُقارَبَةُ التَّشَظّي تُخفِقُ، ابتِداءً، في تَمييزِ الفَرقِ بينَ مَفهومِ الصِّدقِ وتَنَوُّعِ السِّياقاتِ التي يُستَعمَلُ فيها. صَحيحٌ أنَّ مَعاييرَ التَّسويغِ التي تَمنَحُ الخِطابَ الدّينِيَّ شَكلَهُ تَختَلِفُ عن تلكَ التي تَمنَحُ الخِطابَ العِلمِيَّ أو التّأريخِيَّ شَكلَهُ، بيدَ أنَّ هذا لا يَنجُمُ عنهُ أنَّ مَفهومَ الصِّدقِ لَيسَتْ لَهُ شُروطٌ ضَروريَّةٌ وكافِيَةٌ تُطَبَّقُ عبرَ هذهِ الخِطاباتِ. بَل الذي يَنجُمُ هوَ أنَّ *الحَقائقَ* التّأريخِيَّةَ (بَعضَها في أقَلِّ تَقديرٍ) ستَكونُ مُختلِفَةً عن *الحَقائقِ* الدّينِيَّةِ في هذَيْنِ الخِطابَيْنِ لاختِلافِ المَوضوعِ المَبحوثِ فيهِ والإجراءاتِ المُستعمَلَةِ لِتَحديدِ مَدَى كَونِ الجُملَةِ صادِقَةً.

وتُوجَدُ أيضًا اعتِراضاتٌ مُهِمَّةٌ على تَصَوُّرِ تَشَظّي الصِّدقِ. فثَمَّةَ مُشكِلَةٌ ذَكَرَها تِمثي وِلِيَمسن Timothy Williamson* مُفادُها أنَّهُ يَنبَغي أن يُوجَدَ مَحمولُ صِدقٍ واحِدٌ لِلُغَةٍ كاللُّغَةِ الإنجليزِيَّةِ. فَلْنَنظُرْ في خِطابَيْنِ، خ1 وخ2، في الإنجليزِيَّةِ وعِبارَتَيْنِ تَقريريَّتَيْنِ، ع1 وع2، تَنتَمِيانِ إلى خ1 وخ2، على التَّوالي. فَـ 'ع1 أو ع2' ستَكونُ حالَةَ انفِصالٍ [132] في الإنجليزِيَّةِ. ومِن بَديهِيّاتِ الصِّدقِ أن يُقالَ إنَّ الانفِصالَ صادِقٌ إذا كانَ أحَدُ مُنفَصِلَيْهِ صادِقًا. لكِن إذا استُعمِلَ مَحمولا صِدقٍ مُختَلِفانِ في خ1 وخ2 فسيَكونُ هذا الاستِدلالُ البَديهِيُّ غَيرَ سَليمٍ، لأنَّ دَعوَى أنَّ الانفِصالَ لا يَكونُ صادِقًا إلّا إذا كانَ أحَدُ مُنفَصِلَيْهِ صادِقًا سَيكونُ مَتَضَمِّنًا

---

* تِمثي وِلِيَمسن (1955-...م). فَيلَسوفٌ بريطانِيٌّ تَتَّجِهُ اهتِماماتُهُ البَحثِيَّةُ الرَّئيسَةُ إلى المَنطِقِ الفَلسَفِيِّ، وفَلسَفَةِ اللُّغَةِ، ونَظَرِيَّةِ المَعرِفَةِ، والميتافيزيقا. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الغُموض)؛ و(المَعرِفَةُ وحُدودُها)؛ و(فَلسَفَةُ الفَلسَفَة). [المُتَرجِم]

لاشتِراكٍ لَفظِيّ. وتُثارُ مُشكِلَةٌ مُشابِهَةٌ بِشَأنِ بَديهِيّاتِ صِدقٍ أُخرَى. فقاعِدَةُ الاتِّصالِ هيَ أنَّ 'ع1 وع2' لا تَكونُ صادِقَةً إلّا إذا كانَتْ ع1 صادِقَةً وع2 صادِقَةً. لكِنَّ هذا لَن يتحقَّقَ إلّا إذا طُبِّقَ مَفهومٌ واحِدٌ لِلصِّدقِ على خ1 وخ2 كِلَيْهِما. فالحالَةُ المطلوبَةُ هيَ أن يُوجَدَ مَحمولُ صِدقٍ واحِدٌ لِكِلا الخِطابَيْنِ ولِجَميعِ الخِطاباتِ في الإنجليزيَّةِ ما لَم نُرِدْ أن نتخلّى عن الإجراءاتِ المَنطقيَّةِ الأساسيَّةِ.

> فاللُغَةُ الطَّبيعِيَّةُ مُوَحَّدَةٌ بِقُوَّةٍ في التَّركيبِ والدَّلالَةِ. إذ يُمكِنُ جَمعُ أَيَّةِ مَجموعَةٍ مَحدودَةٍ مِن كَلِماتِها بَعضِها إلى بَعضٍ في ضِمنِ وَحدَةٍ واحِدَةٍ هيَ الجُملَةُ. وعلى فِكرَةِ الصِّدقِ أن تَحتَرِمَ هذا التَّكامُلَ وأن تَكشِفَ عَنهُ. فالحَقائقُ كَثيرَةٌ؛ أمّا الصِّدقُ فواحِدٌ. (1994, p. 141)

وأثارَت كرِستين تابوليه Christine Tappolet* (1997) اعتِراضًا مُشابِهًا. فَلْنَنظُرْ في الاستِدلالِ المُتَضَمِّنِ لِجُملَتَيْنِ تَنتَمِيانِ إلى خِطابَيْنِ مُختَلِفَيْنِ، كالاستِدلالِ بِتَناغُمِ أحوالِ الكَونِ على وُجودِ اللهِ (بِالفيزياءِ عَلى الدِّينِ) أو الاستِدلالِ بِوُجودِ اللهِ على وُجودِ الإرادَةِ الحُرَّةِ لَدَى البَشَرِ (بِالدِّينِ عَلى عِلمِ النَّفسِ). فإذا كانَتِ الخِطاباتُ مُتَضَمِّنَةً لِمَحمولاتِ صِدقٍ مُختلِفَةٍ، فلا بُدَّ عِندَئذٍ مِن أن تَكونَ جميعُ الاستِدلالاتِ التي على هذهِ الشّاكِلَةِ غَيرَ سَليمَةٍ لأنَّ السَّلامَةَ تَقتَضي المُحافَظَةَ على الصِّدقِ مِن المُقَدِّمَةِ إلى النَّتيجَةِ. فما لَم نَتَخَلَّ عن الارتِباطِ الاستِدلاليِّ السَّليمِ بينَ الخِطاباتِ، فلا بُدَّ مِن وُجودِ مَحمولِ صِدقٍ تَتَشاطَرُهُ جَميعُ العِباراتِ التَّقريريَّةِ التي تَظهَرُ في استِدلالاتٍ كهذهِ[1].

* كرِستين تابوليه. أُستاذَةُ كُرسِيِّ البَحثِ في كَندا لِعِلمِ الأخلاقِ وما بَعدَ عِلمِ الأخلاقِ، وأُستاذَةُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ مونتريال في كَندا. أَهَمُّ مَجالاتِ تَخَصُّصِها فَلسَفَةُ العَقلِ، وما بَعدَ عِلمِ الأخلاقِ، وعِلمُ الأخلاقِ المِعياريِّ. ومِن مَجالاتِ اهتِمامِها الأخرى نَظَرِيَّةُ المَعرِفَةِ، ونَظَرِيَّةُ القِيمَةِ، والعُلومُ المعرفِيَّةُ. مِن مُؤَلَّفاتِها: (العَواطِفُ، والقِيمَةُ، والفاعِلِيَّة)؛ و(رُؤًى فَلسَفِيَّةٌ في العَواطِفِ السَّلبِيَّةِ: ظِلالُ الرُّوحِ، وضَعفُ الإرادَةِ، واللاعَقلانيَّةُ العَمَلِيَّة). [المُترجِم]

(1) لِلوُقوفِ على مُناقَشَةٍ إضافِيَّةٍ مُوَسَّعَةٍ لِهذا المَوضوعِ، يُنظَر: Pedersen and Wright (2013).

وتَنتَظِمُ تَعَدُّدِيَّةُ الصِّدقِ معَ الأَدنَويَّةِ في السَّماحِ بِالاختِلافاتِ المَوضِعِيَّةِ في استِعمالِ مَحمولِ الصِّدقِ في مُختَلِفِ الخِطاباتِ معَ المُحافَظَةِ على ما هوَ أساسِيٌّ مِن شُروطِ الصِّدقِ الضَّروريَّةِ والكافِيَةِ. لِذلكَ يَعُدُّ الأدنَويُّونَ الدِّينِيُّونَ الصِّدقَ في الدِّينِ مُقَيَّدًا بِالدَّليلِ وبِالمَعرِفَةِ لكِنَّهُم قَد يَذهَبونَ إلى أنَّ الصِّدقَ يَكونُ مَتينًا في مِساحاتِ الخِطابِ الأُخرَى. لِذلكَ سأَصرِفُ اهتِمامي في ما سيَأتي إلى الأدنَوِيَّةِ الدِّينِيَّةِ التَّعَدُّدِيَّةِ في الصِّدقِ.

الاعتِراضاتُ على الأدنَوِيَّة

أ. فِتغِنشتاين لَم يَكُن أدنَوِيًّا

سَأَبدَأُ بِالنَّظَرِ في اعتِراضٍ على التَّأويلاتِ الأدنَوِيَّةِ لِفِتغِنشتاين أثارَهُ سايمن بلاكبيرن. إذ يَرَى بلاكبيرن أنَّهُ إن كانَ فِتغِنشتاين أدنَوِيًّا، فَإنَّه لا يُرِينا الاختِلافاتِ بينَ الخِطابِ الدِّينِيِّ والخِطاباتِ الأُخرَى، بَل يُثبِتُ في الواقِعِ [133] اتِّساقَها بِالسَّماحِ لَها جَميعًا بِتَلبِيَةِ شُروطِ ما يَقبَلُ الصِّدقَ مِن المَضمونِ، والصِّدقِ، والإحالَةِ، وما إليها. ويَعتَقِدُ بلاكبيرن أنَّ هذا مُخالِفٌ لِما كَتَبَهُ فِتغِنشتاين عن وُجودِ مِساحاتِ خِطابٍ مُختلِفَةٍ ولِسِياسَةِ فِتغِنشتاين الشَّخصِيَّةِ المَنصوصِ عليها، 'سَأُعَلِّمُكَ الاختِلافاتِ I'll teach you differences'* - وهوَ السَّطرُ الذي قالَهُ كِنت Kent في مَسرَحِيَّةِ *المَلِك لير King Lear*، والذي خُطِّطَ لَهُ أن يَكونَ في الوَقتِ نَفسِهِ شِعارًا لِكتابِ فِتغِنشتاين بُحوثٌ فلسفيّةٌ *Philosophical Investigations* :

---

* هذا السَّطرُ مُقتَبَسٌ مِن المشهَدِ الرّابِعِ في الفَصلِ الأوَّلِ مِن مَسرَحِيَّةِ (الملِك لير) لِشَيكسبير، حينَ يَأتي المُتَخَفّي كِنت لِنَجدَةِ مَلِكِهِ السّابِقِ فَيَطرُدُ أوزولد خادِمَ غونريل الوَقِحَ قائلًا لَهُ، بِحَسَبِ تَرجَمَةِ الدُّكتور محمَّد مصطفى بدوي لِلمَسرَحِيَّةِ المذكورَة: 67: 'انهَض يا هذا واخرُج. سأُعَلِّمُكَ كيفَ تَحتَرِمُ أسيادَكَ'. ويُلحَظُ أنَّ الدُّكتور قَد تَرجَمَ السَّطرَ المَعنِيَّ بِـ 'سأُعَلِّمُكَ كيفَ تَحتَرِمُ أسيادَكَ'، وهيَ تَرجَمَةٌ بِالمعنى مُوَفَّقَةٌ جِدًّا؛ فلا شَكَّ في أن الاختِلافاتِ التي يُحيلُ عليها كِنت اختِلافاتٌ في المنزِلَةِ. [المُتَرجِم]

> يَنتَظِرُ المَرءُ مِنّا الدَّليلَ على قَولِ فتغِنشتاين إنَّهُ كانَ، في واقِعِ الأمرِ، يَخدَعُنا على طولِ الخَطّ. فقد *اعتَقَدنا* أَنَّهُ كانَ يُعَلِّمُنا الاختِلافاتِ، لكِنَّهُ كانَ يُزيلُ الاختِلافاتِ أنفُسَها التي بَدا أَنَّهُ كانَ يُنشِئُها. إذ كانَ عَلَى طُولِ الخَطّ يُحَذِّرُنا مِن اعتِقادِ أَنَّهُ قَد يَكونُ مِن المُهِمّ أن نُحاوِلَ فَهمَ الرِّياضِيّاتِ مِن زاوِيَةِ القَواعِدِ، أو... التَّساؤُلَ عن مَدَى تَعبيرِ الالتِزامِ الدِّينِيّ أو الأخلاقِ عن حالاتٍ عاطِفِيَّةٍ أو عن حالاتٍ أُخرَى مَعرِفِيَّةٍ، وما إليها. إذ لا وُجودَ لاختِلافاتٍ كهذهِ! وشِعارُهُ هوَ: سأُعَلِّمُكُم *التَّماثُلَ*! (1998b, p. 165)

ويَعتَقِدُ بلاكبيرن أَنَّ ما كانَ يَفعَلُهُ فتغِنشتاين بإشارتِهِ إلى الاختِلافاتِ هوَ المُقابَلَةُ بينَ الوَظيفَتَيْنِ الوَصفِيَّةِ واللاوَصفِيَّةِ لالتِزاماتِنا في مِساحاتِ خِطابٍ مُختلِفَةٍ والكَشفُ عن التَّشابُهاتِ السَّطحِيَّةِ في الجُمَلِ الأخلاقِيَّةِ والعِلمِيَّةِ، مَثَلًا، التي تُضَلِّلُنا وتَقودُنا إلى اعتِقادِ أَنَّ لَها مَضمونًا مَعرِفِيًّا مُتَشابِهًا. فَـ 'السَّطحُ القَضَوِيُّ' لِلُّغَةِ يُخفي تَنَوُّعًا مِن الوَظائفِ المُختلِفَةِ: فالجُمَلُ الأخلاقِيَّةُ تُعَبِّرُ عن القَبولِ أو الرَّفضِ، وجُمَلُ الرِّياضِيّاتِ اشتِراطاتٌ، وهلُمَّ جَرًّا.

وهذا النَّقدُ قَد أُسيءَ وَضعُهُ. فَصَحيحٌ أَنَّ الأدنوِيَّةَ تُقَدِّمُ نَظرِيَّةً انكِماشِيَّةً لِعَدَدٍ مِن المَفاهيمِ الأساسِيَّةِ كالصِّدقِ، والإحالَةِ، والمَضمونِ القَضَوِيِّ، وما إليها. على أَنَّ هذهِ لَيسَتْ سِوَى الاستراتيجيا الانكِماشِيَّةِ الأَوَّلِيَّةِ. وما زالَ ثَمَّةَ عَمَلٌ يَنتَظِرُ الإنجازَ بِشَأنِ الإفصاحِ عن الاختِلافاتِ بينَ الخِطاباتِ، ولا سِيَّما مَعاييرُها الدّاخليَّةُ المُمَيِّزَةُ؛ فقد يُبدي الصِّدقُ في بَعضِ مِساحاتِ الخِطابِ صِفاتٍ أكثَرَ مَتانَةً مِن تِلكَ التي يُقَدِّمُها التَّحليلُ الانكِماشِيُّ. وبَدَلًا مِن أن يُقَدِّمَ فتغِنشتاين مِقياسًا عالِيًا لِحِيازَةِ الصِّدقِ أو الوَصفِ أو الإحالَةِ، نَجِدُهُ يُعنَى (بِحَسَبِ القِراءَةِ الأدنوِيَّةِ) بِالمَعاييرِ الدّاخليَّةِ المُختلِفَةِ التي يُحكَمُ بِمُقتَضاها على العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ في الأخلاقِ والدِّينِ والتّأريخِ والعِلمِ بِأَنَّها صادِقَةٌ.

على أَنَّ ثَمَّةَ مُشكِلَةً أكثَرَ أَهمِّيَّةً تتعلَّقُ بِالقِراءَةِ الأدنوِيَّةِ هيَ أَنَّ المَرءَ مِنّا يتوقَّعُ أن يُقِرَّ فِتغِنشتاين بِرَحابَةِ صَدرٍ بِأَنَّ الصِّدقَ والوَقائعَ والإحالَةَ طَرائقُ لا إشكالَ فيها تَمامًا لِلحَديثِ عن العِباراتِ التَّقريرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ. ومِمّا يُؤَيِّدُ الأدنوِيَّةَ

الدِّينِيَّةَ أَنَّ تَحليلَ الصِّدقِ الدِّينِيِّ مِن زاوِيَةِ الوَفاءِ بِمُقتَضَياتِ المَعاييرِ الدّاخليَّةِ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ يَجعَلُ مِن غَيرِ المُؤذي التَّسليمَ بِأَنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ يُمكِنُ أن [134] تَكونَ صادِقَةً. ومعَ ذلكَ، نادِرًا مّا كانَ فِتغِنشتاين يتحدَّثُ مِن تلكَ الزّاوِيَةِ، وكُلَّما عالَجَ وَضعَ الاعتِقادِ الدِّينِيِّ كانَ يَبدو مُتَسائلًا عن مَدَى كَونِهِ اعتِقادًا أَصيلًا البَتَّةَ. وهذهِ مُقارَبَةٌ يَتَوَقَّعُها المَرءُ مِن التَّعبيريِّينَ. فحَتّى إذا لَم يَكُن اعتِراضُ بلاكبيرن على القِراءَةِ الأدنَوِيَّةِ لِفِتغِنشتاين حاسِمًا، فما مِن شَكٍّ في أنَّ كِتاباتِ فِتغِنشتاين الشَّخصيَّةَ في الدِّينِ وفي مَوضوعاتٍ أُخرَى لا تُؤَيِّدُ التَّأويلَ الأدنَوِيَّ.

ب. الأَدنَويَّةُ هيَ التَّحقيقِيَّة

يَرَى الأدنَوِيُّونَ الدِّينِيُّونَ أَنَّ الصِّدقَ الدِّينِيَّ مُقَيَّدٌ بِالمَعرِفَةِ وأَنَّ صِدقَ الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ تُحَدِّدُهُ مَعاييرُ التَّسويغِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ. لِذلكَ قَد يَبدو أَنَّ الأدنَوِيَّةَ نَوعٌ مِن أنواعِ التَّحقيقِيَّةِ لأنَّ الأدنَوِيِّينَ يَربِطونَ رَبطًا فاعِلًا بينَ مَعنَى الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ وشُروطِ تَسويغِها (أَو تَحقيقِها). فهَل الأدنَوِيَّةُ وَضعِيَّةٌ مَنطِقِيَّةٌ عَصرِيَّةٌ؟ (Alston, 1997, ch. 4)

هذهِ المُقارَنَةُ غايَةٌ في التَّضليلِ. فقد رأَينا في الفَصلِ 4 أَنَّ النَّقدَ التَّحقيقِيَّ لِلدِّينِ يَضَعُ مِعيارًا قاسِيًا بِوُضوحٍ لِحِيازَةِ الجُمَلِ مَضمونًا واقِعِيًّا؛ هوَ أَنَّها قابِلَةٌ لِلتَّحقيقِ تَجريبِيًّا أو مُرتَبِطَةٌ مَنطِقِيًّا على أنحاءٍ مُختَلِفَةٍ بِجُمَلٍ قابِلَةٍ لِلتَّحقيقِ تَجريبِيًّا. وقَد نُظِرَ إلى الجُمَلِ التي تُعَدُّ غَيرَ مُلَبِّيَةٍ لِشُروطِ هذا المِعيارِ، ومنها الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ والأخلاقِيَّةُ، على أَنَّها غَيرُ ذَواتِ مَعنًى حَرفِيٍّ. ولا يَذهَبُ الأدنَوِيُّونَ إلى شَيْءٍ مِن ذلكَ. فلِلأدنَوِيَّةِ مُتَطَلَّباتٌ مُتَواضِعَةٌ جِدًّا لِحِيازَةِ جُمَلِ الخِطابِ مَضمونًا قابِلًا لِلصِّدقِ أو قَضَوِيًّا: فهيَ لا تَحتاجُ إلّا إلى أن تَفِيَ بِمُقتَضَياتِ المُخَطَّطِ غَيرِ الاقتِباسِيِّ DS. ثُمَّ إنَّ الأدنَوِيِّينَ مُستَعِدُّونَ لِقَبولِ مَعاييرِ التَّسويغِ الفاعِلَةِ في الخِطابِ المَعنِيِّ بِوَصفِها مَعاييرَ مُناسِبَةً لِتَحليلِ الصِّدقِ في هذا الخِطابِ ولَو لَم تَكُن مَقبولَةً في العِلمِ. فلا يُمنَحُ التَّحقيقُ التَّجريبِيُّ عِندَهُم مَنزِلَةً خاصَّةً. ويُمكِنُ القَولُ إنَّهُ بِقَدرِ تَعلُّقِ الأمرِ بِالأدنَوِيِّينَ، يُمكِنُ أن يُؤَدِّيَ الحُكمُ الذي تَتَّفِقُ عليهِ مَجموعَةٌ مُنتَقاةٌ مِن المُؤمِنِينَ والإحالَةُ على نَصٍّ مُقَدَّسٍ أو على قَرارٍ بابَوِيٍّ وظيفَةً

مَعاييرِ (مُختَلِفِ مَجالاتِ) الخِطابِ الدِّينِيِّ مِثلَما يَنهَضُ بِهذهِ المُهِمَّةِ في عِلمِ الفَلَكِ البَحثُ في الكَواكِبِ، والمَلحوظاتُ المُستَقاةُ مِن النَّظَرِ في المِقرابِ، واستِخلاصُ المُعطَياتِ بِالتَّحليلِ الحاسُوبِيِّ.

وثَمَّةَ جانِبٌ واحِدٌ تُشبِهُ فيهِ الأدنَوِيَّةُ المَذهَبَ التَّحقيقِيَّ هوَ تَقديمُ أُطروحَةِ صِدقٍ مُقَيَّدَةٍ بِالمَعرِفَةِ وبِالدَّليلِ. فنتيجَةُ التَّحليلِ الأدنَوِيِّ لِلصِّدقِ أنَّ العِباراتِ التَّقريرِيَّةَ الصّادِقَةَ يُمكِنُ العِلمُ بِها مِن حَيثُ المَبدَأُ ولا يُمكِنُ أن تُجاوِزَ قُدرَتَنا على إنشاءِ صِدقِها. ويَعُدُّ مَناطِقَةُ الوَضعِيَّةِ قابِلِيَّةَ التَّحقيقِ التَّجريبِيَّةَ لِلعِباراتِ التَّقريرِيَّةِ شَرطًا لِحِيازَتِها مَضمونًا واقِعِيًّا. فهذا المَذهَبُ يَلتَزِمُ إذَن تَصَوُّرًا لِلصِّدقِ مُقَيَّدًا بِالمَعرِفَةِ على نَحوٍ مُشابِهٍ. [135] على أنَّ نُقطَةَ المُشابَهَةِ هذهِ لا تُقَدِّمُ أيَّ عَونٍ لِمُنتَقِدِي الأدنَوِيَّةِ، ذلكَ بِأنَّ الحُجَّةَ المُضادَّةَ لِلوَضعيَّةِ المَنطقيَّةِ إنَّما تتعلَّقُ بِصِياغَتِها المُشكِلَةِ لا بِتَصَوُّرِ الصِّدقِ الذي تتضَمَّنُهُ.

ج. الأدنَوِيَّةُ والإيمانِيَّة

ثَمَّةَ حُجَّةٌ مَشهورَةٌ مُضادَّةٌ لِلأدنَوِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، وتُمَثِّلُ كذلكَ أكثَرَ الاعتِراضاتِ إيرادًا على فِتغِنشتاين، وهيَ أنَّ ما يَنجُمُ عن أُطروحَتِهِ لِلدِّينِ هوَ عَزلُ الخِطابِ الدِّينِيِّ عن مِساحاتِ الخِطابِ الأُخرَى، ولا سِيَّما العِلمُ والتّاريخُ. ويُنظَرُ إلى هذهِ المُقارَبَةِ على أنَّها تَقودُ إلى النَّزعَةِ الإيمانِيَّةِ، التي تَكونُ فيها الاعتِقاداتُ الدِّينِيَّةُ مُقَسَّمَةً على فِئاتٍ وغَيرَ مُعَرَّضَةٍ لِلتَّقويمِ العَقلِيِّ، ولا سِيَّما التَّقويمُ التَّجريبِيُّ أو التَّقويمُ التّاريخِيُّ. وقَد قَدَّمَ هذا الاعتِراضَ بِقُوَّةٍ كاي نيلسن Kai Nielsen*، إذ يَقولُ:

---

* كاي نيلسن (1926–...م). أُستاذُ فَلسَفَةٍ في جامِعَةِ كالغاري. قَبلَ أن يَنتَقِلَ إلى كَنَدا، دَرَّسَ في جامِعَةِ نيويورك. وهوَ مُتَخَصِّصٌ في ما بَعدَ الفَلسَفَةِ، وعِلمِ الأخلاقِ، والفَلسَفَةِ الاجتِماعيَّةِ والسِّياسِيَّةِ. كَتَبَ كذلكَ في فَلسَفَةِ الدِّينِ، ودافَعَ عَنِ الإلحادِ المُعاصِرِ. يُعرَفُ أيضًا بِدِفاعِهِ عَنِ النَّفعِيَّةِ، وقَد كَتَبَ رَدًّا عَلى مُنتَقِدِيها. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الإلحادُ والفَلسَفَةُ)؛ و(العَولَمَةُ والعَدالَةُ)؛ و(مَدخَلٌ إلى فَلسَفَةِ الدِّين). [المُتَرجِم]

> حينَ نُفَعِّلُ الكَثيرَ مِن ألعابِنا اللُّغَوِيَّةِ، ونُفَكِّرُ فيها، ونَتَأمَّلُ ما فيها مِن مَعاييرَ، غالِبًا مّا يَكونُ بِإمكانِنا أن نُقَدِّمَ مِن داخِلِها أسبابًا ومُسَوِّغاتٍ وتَفسيراتٍ، وغالِبًا مّا تَكونُ هذهِ في مَوضِعِها المُلائم. على أنَّ ما يَذهَبُ إليهِ فِتغِنشتاين بِقُوَّةٍ، ويُتابِعُهُ عليهِ مالكولم Malcolm* ووِنتش Winch**، هوَ أنَّ تَقديمَ الأسبابِ والمُسَوِّغاتِ والتَّفسيراتِ يَنتَهي... عِندَ وُجودِ الألعابِ اللُّغَوِيَّةِ وما يَرتَبِط بِها مِن أشكالِ الحَياةِ. (2000, p. 146)

ويَنجُمُ عن ذلكَ، 'أنَّهُ لا يُمكِنُ تَوجيهُ نَقدٍ فَلسَفِيٍّ أو أيِّ نَوعٍ آخَرَ مِن النَّقدِ المُتَعَقِّلِ أو، في ما يتعلَّقُ بِهذا الأمرِ، لا يُمكِنُ الدِّفاعُ عن أشكالِ الحَياةِ أو بِالفِعلِ عن أيِّ شَكلٍ مِن أشكالِ الحَياةِ، ومنها الهِندوسيَّةُ، والمَسيحيَّةُ، وما إلَيهِما' (2000, p. 147).

على أنَّهُ إذا أمكَنَ أن يَكونَ تَوجيهُ تُهمَةِ الانتِسابِ إلى الإيمانِيَّةِ مُلائمًا في حَقِّ بَعضِ الفِتغِنشتاينيِّينَ، فإنَّ هذهِ التُّهمَةَ لَيسَتْ بِالاعتِراضِ المُنصِفِ في حَقِّ أدنَويَّةٍ أُجيدَ التَّفكيرُ فيها (أو في حَقِّ فِتغِنشتاين نَفسِهِ، على وَفقِ هذهِ القِراءَةِ). ذلكَ بِأنَّهُ لا يُوجَدُ في ما يتعلَّقُ بِالنَّظَرِ في المَعاييرِ الدّاخليَّةِ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ أو بِوَصفِها أو في ما يتعلَّقُ بِمُعارَضَةِ المَعاييرِ المُختلِفَةِ التي تُبديها الخِطاباتُ المُختلِفَةُ ما يَمنَعُ إمكانَ أن يُشكِّلَ الدَّليلُ المُؤَسَّسُ جَيِّدًا عِلمِيًّا أو تاريخِيًّا حُكمًا

---

* نورمَن مالكولم (1911–1990م). فَيلَسوفٌ أمريكِيٌّ. التَقى، بينَ عامَيْ 1938 و1939 في جامِعَةِ كيمبرِج، جورج إدوَرد مُور ولودفيغ فِتغِنشتاين، وحَضَرَ طَوالَ عام 1939 مُحاضَراتِ فِتغِنشتاين في الأُسُسِ الفَلسَفِيَّةِ لِلرِّياضِيّاتِ، وظَلَّ مِن أوثَقِ الأصدِقاءِ صِلَةً بِهِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (فِتغِنشتاين: وِجهَةُ نَظَرٍ دينِيَّة؟)؛ و(لا شَيءَ مَخفِيًّا: نَقدُ فِتغِنشتاين لِفِكرِهِ المُبَكِّر)؛ و(المَعرِفَةُ واليَقين). [المُتَرجِم]

** بيتر وِنتش (1926–1997م). فَيلَسوفٌ بريطانِيٌّ مَعروفٌ بِإسهاماتِهِ في فَلسَفَةِ العِلمِ الاجتِماعِيِّ، والدِّراساتِ المُتَعَلِّقَةِ بِفِتغِنشتاين، وعِلمِ الأخلاقِ، وفَلسَفَةِ الدِّينِ. قَد يَكونُ أكثَرُ ما يُعرَفُ بِهِ كِتابُهُ المُبَكِّرُ (فِكرَةُ العِلمِ الاجتِماعِيِّ وعَلاقَتُهُ بِالفَلسَفَة) الذي مَثَّلَ هُجومًا على الوَضعِيَّةِ في العُلومِ الاجتِماعِيَّةِ، مُستَنِدًا إلى كِتاباتِ روبِن جورج كولِنغوود ولودفيغ فِتغِنشتاين في فَلسفَتِهِ المُتَأخِّرَةِ. مِن آثارِهِ الأخرى: (دِراساتٌ في فَلسَفَةِ فِتغِنشتاين)؛ و(عِلمُ الأخلاقِ والفِعل)؛ و(مُحاوَلَةُ الفَهم). [المُتَرجِم]

دينيًا. وإذا ما أرادَ الأدنويُّونَ التَّمَسُّكَ بِمِعيارِ وَصفِ الخِطابِ الدِّينِيِّ بَدَلًا مِن تَعديلِهِ، فعَلَيهِم مُراعاةُ حَقيقَةِ أَنَّ الدَّليلَ التَّاريخِيَّ تَتَساهَمُ فيهِ مَجموعَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ مِن الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ، ومنها الإيمانُ بِقِيامَةِ المَسيحِ أو بِخَلقِ العالَمِ والاعتِقاداتُ المُتعلِّقَةُ بِمُظهِري المُعجِزاتِ وما فَعَلوهُ؛ وكُلُّ وَصفٍ مُقتَرَحٍ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ سيَكونُ قاصِرًا قُصورًا كَبيرًا ما لَم يُقِرَّ بِذلكَ. فإن قيلَ بِحُدوثِ ذلكَ، فإنَّ نَتائجَ البَحثِ التَّاريخِيِّ أو العِلمِيِّ قادِرَةٌ على تَعديلِ الأحكامِ الدِّينِيَّةِ. وَلْنَفتَرِضْ، بِالمُقارَنَةِ، أَنّا نُصدِرُ الحُكمَ الأخلاقِيَّ الذي مُفادُهُ أَنَّ [136] جَيْمس يَنبَغي أن يُعاقَبَ لِتَرويعِهِ جون. فلا يُمكِنُ الدِّفاعُ عن هذا الحُكمِ إلّا إذا صَحَّ أَنَّ جَيْمس قَد رَوَّعَ جون، وهوَ أمرٌ يُمكِنُ تَحَرّيهِ على نَحوٍ مُستَقِلٍّ. وبِذلكَ تَكونُ قابِلِيَّةُ تَسويغِ التَّقويمِ الأخلاقِيِّ مُعتَمِدَةً على واقِعَةٍ يُمكِنُ تَقويمُها تَجريبِيًّا. فكَذلكَ، يَعتَمِدُ كَثيرٌ مِن الأحكامِ الدِّينِيَّةِ على أدِلَّةٍ يُمكِنُ تَقويمُها تَأريخِيًّا أو عِلمِيًّا. مِثالُ ذلكَ أَنَّ الدَّليلَ الدّامِغَ على أَنَّ الشّاهِدَ التَّوثيقِيَّ والعِيانِيَّ على مُعجِزَةٍ مّا كانَ خُدعَةً سبَبٌ وَجيهٌ لِعَدَمِ اعتِقادِ حُدوثِ المُعجِزَةِ المَعنِيَّةِ، وقَد أتى هذا الدَّليلُ مِن 'خارِج' لُعبَةِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. وبِإمكانِ الأدنويِّينَ أن يُقِرُّوا بِالحاجَةِ إلى الدَّليلِ التَّجريبِيِّ في كَثيرٍ مِن الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ وبِتَشكيلِهِ كَثيرًا مِنها وأن يَحتَفِظوا في الوَقتِ نَفسِهِ بِالنَّظَرِيَّةِ التي مُفادُها أَنَّ الخِطابَ الدِّينِيَّ يَستَخدِمُ مَعاييرَ تَسويغٍ مُختَلِفَةً لِلتَّوَصُّلِ إلى الأحكامِ الدِّينِيَّةِ.

د. الصِّدقُ لَيسَ مُقَيَّدًا بِالمَعرِفَة

كانَ ثَمَّةَ إدراكٌ مُتَنامٍ في فَلسَفَةِ الدِّينِ لأَهمِّيَّةِ أفكارِ الصِّدقِ المُقَيَّدَةِ بِالمَعرِفَةِ وبِالدَّليلِ في فَهمِ مَذهَبِ فِتغِنشتاين ومُعارَضَتِهِ لِتَأويلاتِ القِيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. وقَد كانَ لِوِليَم أولستن (1996 ;1995) إسهامٌ مَخصوصٌ في تَسليطِ الضَّوءِ على ذلكَ. على أَنَّ أَحَدَ مَسالِكِ الرَّدِّ تَمَثَّلَ في مُحاوَلَةِ إظهارِ أَنَّ جَميعَ أفكارِ الصِّدقِ المُقَيَّدَةِ بِالمَعرِفَةِ يَتَعَذَّرُ الدِّفاعُ عنها. ومِن الحالاتِ الحَديثَةِ المُتَعَلِّقَةِ بِهذا الشَّأنِ الحُجَّةُ التي قَدَّمَها كرِستوفَر

إنسول Christopher Insole* مُعارِضًا بِها نُسخَةً مِن نُسَخِ نظريَّةِ بَتنام وبيرس تُحَلِّلُ الصِّدقَ مِن زاوِيَةِ ما هوَ 'مُسَوَّغٌ تَسويغًا مِثاليًّا'، إذ يَقولُ:

إنَّ خَلَلَ هذا التَّصَوُّرِ لِلصِّدقِ يُمكِنُ أن يُقَرَّرَ بِبَساطَةٍ شَديدَةٍ... فَـ'ق مُسَوَّغَةٌ تَسويغًا مِثاليًّا' يُمكِنُ أن تُحمَلَ على وَجهٍ ضَعيفٍ، نَحوِ 'ق لَها صِفَةُ كَونِها مُسَوَّغَةً لِفاعِلٍ مَعرِفِيٍّ مّا مَحدودٍ بِحُدودٍ بَشَرِيَّةٍ تَقريبًا'، أو على وَجهٍ قَوِيٍّ، نَحوِ 'ق لَها صِفَةُ حِيازَةِ أيِّ تَسويغٍ مِثالِيٍّ يَقتَضيهِ ضَمانُ صِدقِ ق - مِثالُ ذلكَ أنَّ مِن المُسَوَّغِ لِلمَوجودِ الكُلِّيِّ العِلمِ اعتِقادَ أنَّ ق'. فَأمّا في الحالَةِ الأولَى، فَإنَّ التَّصَوُّرَ المَعرِفِيَّ لِلصِّدقِ غَيرُ مَقبولٍ البَتَّةَ. وأمّا في الحالَةِ الثّانِيَةِ، فإنَّهُ مَقبولٌ، لكِن لا لِشَيْءٍ إلّا لأنّا قَد عَرَّفنا الشُّروطَ المَعرِفِيَّةَ المِثالِيَّةَ مِن زاوِيَةِ 'ما يَقتَضيهِ التَّوَصُّلُ إلى *الصِّدقِ*'، حَيثُ يُفهَمُ ما هوَ *صادِقٌ* فَهمًا واقِعِيًّا 'يَرتَبِطُ بِحالَةٍ مُتَعالِيَةٍ'. (2006, p. 63)

ويَبدو أنَّ إنسول يَقصِدُ تَطبيقَ هذهِ الحُجَّةِ على أيَّةِ أُطروحَةٍ لِلصِّدقِ مُقَيَّدَةٍ بِالمَعرِفَةِ. فإذا ما أخفَقَتْ جَميعُ تَحليلاتِ الصِّدقِ المُقَيَّدَةِ بِالمَعرِفَةِ، فإنَّ مَآلَ تَحليلاتِ الصِّدقِ الدِّينِيِّ المُعارِضَةِ لِلواقِعِيَّةِ سَيَكونُ الإخفاقَ أيضًا، وهذا ما يُوَجِّهُ ضَربَةً قاضِيَةً إلى الأدنَوِيَّةِ الدِّينِيَّةِ. [137]

على أنَّ حُجَّةَ إنسول لا تُمارِسُ على المَذهَبِ الأدنَوِيِّ إلّا قَليلًا مِن الضَّغطِ. فمِن الواضِحِ أنَّ الصِّدقَ لا يُتيحُ تَحليلًا ناجِحًا مِن زاوِيَةِ ما نَقدِرُ على تَسويغِهِ هُنا والآنَ. وما مِن مُناصِرٍ واضِحِ التَّفكيرِ لِتَصَوُّرٍ لِلصِّدقِ مُقَيَّدٍ بِالمَعرِفَةِ يَقتَرِحُ الآتيَ: أنَّ المَعلوماتِ المُتاحَةَ لَنا قَد تَتغَيَّرُ، وأنَّ تِقنِيّاتِنا التي نُقَوِّمُها بِها قَد تَتَحَسَّنُ. فَفي التَّحَرِّي الجِنائِيِّ بِشَأنِ مَقتَلِ طوني، قَد تُسَوِّغُ بَصَماتُ الأصابِعِ التي

---

* كرِستوفَر إنسول. أُستاذُ اللاهوتِ الفَلسَفِيِّ وعِلمِ الأخلاقِ في جامِعَةِ دُرَم في إنجلترا. مَجالاتُ اهتِمامِهِ البَحثِيِّ هيَ اللاهوتُ الطَّبيعِيُّ وفَلسَفَةُ الدِّينِ، والواقِعِيَّةُ ومُعارَضَةُ الواقِعِيَّةِ، والفَلسَفَةُ السِّياسِيَّةُ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (كانَت وخَلقُ الحُرِّيَّةِ: مُشكِلَةٌ لاهوتِيَّةٌ)؛ و(الأمَلُ الواقِعِيُّ: نَقدٌ لِلمُقارَباتِ المُعارِضَةِ لِلواقِعِيَّةِ في اللاهوتِ الفَلسَفِيِّ المُعاصِر)؛ و(سِياسَةُ الضَّعفِ الإنسانِيِّ: دِفاعٌ لاهوتِيٌّ عَن التَّحَرُّرِيَّةِ السِّياسِيَّةِ). [المُتَرجِم]

على السِّلاحِ وشَهادَةُ الشُّهودِ استِنتاجَ أنَّ المُجرِمَ هوَ غوردن. بَيدَ أنَّ وُجودَ أدِلَّةٍ إضافِيَّةٍ، كإفادَةِ شُهودٍ جُدُدٍ، أو ظُهورِ أنواعٍ مُختلِفَةٍ مِن الأدِلَّةِ، ككَشفٍ لِتَحَرٍّ عَدلِيٍّ، قَد يَكونُ مُسَوِّغًا لِلخُروجِ باستِنتاجٍ مُختَلِفٍ. وهذا هوَ بيتُ القَصيدِ في تَحليلِ الصِّدقِ بِوَصفِهِ تَسويغًا مُؤَمثَلًا لا مُجَرَّدَ تَسويغٍ. ويُقَرِّرُ إنسول أنَّ البَديلَ الوَحيدَ هوَ قَبولُ فِكرَةِ صِدقٍ غَيرِ مُقَيَّدَةٍ بالمَعرِفَةِ. لكِن ليسَ مِن الواضِحِ البَتَّةَ سَبَبُ اعتِقادِهِ ذلكَ. فلِمَ لا يَنبَغي أن يَكونَ الصِّدقُ تَسويغًا مُؤَمثَلًا، أو قابِلِيَّةَ تَقريرٍ مُسَوَّغَةً، أو قابِلِيَّةَ تَقريرٍ مُفرِطَةً؟ فَالعِبارَةُ التَّقريرِيَّةُ تَكونُ مُفرِطَةً في قابِلِيَّتِها لِلتَّقريرِ إذا كانَتْ مُسَوَّغَةً وظَلَّتْ مُسَوَّغَةً عندَ تَعَرُّضِها لِفَحصٍ دَقيقٍ اعتِباطِيٍّ أو عندَ تَحَسُّنِ مَعلوماتِنا. فهذا التَّحليلُ يَربِطُ الصِّدقَ بِمَعاييرِ تَقويمِنا، وهذا ما تتطَلَّبُهُ الأدنوِيَّةُ. وهو يُكَيِّفُ بِوُضوحٍ أيضًا إمكانَ أن تُحدِثَ الأدِلَّةُ والتِّقنِيّاتُ الجَديدَةُ تَغَيُّرًا في آرائنا. وليسَ في حُجَّةِ إنسول ما يُوحي بِأنَّ قابِلِيَّةَ التَّقريرِ المُفرِطَةَ غَيرُ مُتَماسِكَةٍ أو مُفنَّدَةٌ ذاتِيًّا؛ والشَّيءُ نَفسُهُ يُمكِنُ أن يُطَبَّقَ على قابِلِيَّةِ التَّقريرِ المُسَوَّغَةِ أو التَّسويغِ المُؤَمثَلِ.

ويُقَدِّمُ بيتَر بيرن Peter Byrne* مَسارًا حِجاجِيًّا مُشابِهًا لِما قَدَّمَهُ إنسول، إذ يَقولُ:

> قَد تكونُ ثَمَّةَ مَلحوظاتٌ بِشَأنِ العالَمِ لا يُمكِنُنا إنشاؤُها، ولَن نُنشِئَها أبَدًا، تُظهِرُ أنَّ إحدَى نَظَرِيّاتِنا الأثيرَةِ لَدَينا كاذِبَةٌ جُزئِيًّا أو كُلِّيًّا. إذ يُمكِنُ تَصَوُّرُ أنَّ ثَمَّةَ مَوجوداتٍ ذاتَ قُوًى عَقلِيَّةٍ أكبَرَ مِن قُوانا قادِرَةً على صَوغِ نَظَرِيّاتٍ مُلائمَةٍ لِلوَقائعِ التي نَعرِفُها لكِنَّها تُفَسِّرُ هذهِ الوَقائعَ تَفسيرًا أفضَلَ مِن تَفسيرِنا. فهذِهِ النَّظَرِيّاتُ ستَكونُ مُرَشَّحاتٍ أقوَى لِلصِّدقِ. ونَحنُ نَعلَمُ أنَّ الماضِيَ قَد شَهِدَ دَحضَ نَظَرِيّاتٍ أثيرَةٍ لَدَى أصحابِها مِن خِلالِ مَلحوظاتٍ

* بيتَر بيرن. مُحاضِرٌ أوَّلُ في فَلسَفَةِ الدِّينِ في كِنغز كولِج بِلَندَن، ورَئيسُ تَحريرٍ لِمَجَلَّةِ (دِراسات دينِيَّة Religious Studies). مَجالا اهتِمامِهِ البَحثِيِّ هُما عِلمُ الأخلاقِ وفَلسَفَةُ الدِّينِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الأُسُسُ الفَلسَفِيَّةُ واللاهوتِيَّةُ لِعِلمِ الأخلاقِ: مَدخَلٌ إلى النَّظَرِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ وعَلاقَتِها بالاعتِقادِ الدِّينِيِّ)؛ و(التَّأويلُ الأخلاقِيُّ لِلدِّينِ)؛ و(اللهُ والواقِعِيَّة). [المُتَرجِم]

مُتَأَخِّرَةٍ أو نَظريّاتٍ مُنافِسَةٍ أكثَرَ إقناعًا. وحتّى إذا لَم تتلَقَّ النَّظريَّةُ أيَّ تفنيدٍ في الماضي، فيُمكِنُ أن يُتَصَوَّرَ تَلَقِّيها ذلكَ في المُستَقبَلِ. ولا يُمكِنُ ضَمانُ صِدقِ النَّظريّاتِ المِثاليَّةِ مَعرِفيًّا إلّا إذا كانَتْ كلمةُ 'مِثاليَّة' في عِبارَةِ 'مِثاليَّة مَعرِفيًّا' تَعني فِعليًّا 'صادِقَة تَناظُريًّا'. (2003, p. 79)

فالنِّقاطُ التي أثارَها بيرن هيَ:

1. أنَّ بِإمكانِنا تَصَوُّرَ أنّا قَد أغفَلْنا وسنَظَلُّ نُغفِلُ الدَّليلَ التَّجريبِيَّ الذي سيُؤَثِّرُ في صِدقِ بَعضِ نظريّاتِنا. [138]
2. أنَّ بِإمكانِنا تَصَوُّرَ مَوجودٍ أسمَى يُمكِنُهُ أن يَصوغَ نَظريّاتٍ أكثَرَ احتِمالًا لِلصِّدقِ مِن نَظريّاتِنا.
3. أنَّ مِمّا يُمكِنُ تَصَوُّرُهُ أنَّ 'النَّظريّاتِ الأثيرَةَ' ستُظهِرُ كَذِبَها أدِلَّةٌ جَديدَةٌ أو نظريّاتٌ مُنافِسَةٌ جَديدَةٌ.

على أنَّهُ ما مِن نُقطَةٍ مِن هذهِ النِّقاطِ تَفتَرِضُ أيَّةَ صُعوبَةٍ في طَريقِ نظريَّةِ الصِّدقِ المُقَيَّدَةِ بِالمَعرِفَةِ؛ بَل إنَّهُ ليسَ مِنَ الواضِحِ سَبَبُ اعتِقادِ بيرن تَأييدَها لِنَظريَّةِ صِدقٍ 'تَناظُريَّةٍ'. ومِنَ الواضِحِ أنَّ النِّقاطَ مِن (1) إلى (3) صادِقَةٌ جَميعًا. لكِنَّها تَصدُقُ أيضًا إذا كانَ الصِّدقُ مُقَيَّدًا بِالمَعرِفَةِ. ويُمكِنُ الوُقوفُ على ذلكَ بِأن تُستَبدَلَ بِـ 'الصِّدق' فِكرَةٌ مُقَيَّدَةٌ بِالدَّليلِ. فَلْنَفتَرِضْ أنّا قَد استَبدَلْنا بِهِ 'قابِلِيَّةَ التَّقريرِ المُفْرِطَةَ':

4. أنَّ بِإمكانِنا تَصَوُّرَ أنّا قَد أغفَلْنا وسنَظَلُّ نُغفِلُ الدَّليلَ التَّجريبِيَّ الذي سيُؤَثِّرُ في قابِلِيَّةِ التَّقريرِ المُفْرِطَةِ لِبَعضِ نظريّاتِنا.
5. أنَّ بِإمكانِنا تَصَوُّرَ مَوجودٍ أسمَى يُمكِنُهُ أن يَصوغَ نَظريّاتٍ أكثَرَ احتِمالًا لِقابِلِيَّةِ التَّقريرِ المُفْرِطَةِ مِن نَظريّاتِنا.
6. أنَّ مِمّا يُمكِنُ تَصَوُّرُهُ أنَّ 'النَّظريّاتِ الأثيرَةَ' ستُظهِرُ عَدَمَ إفراطِها في قابِلِيَّةِ التَّقريرِ أدِلَّةٌ جَديدَةٌ أو نظريّاتٌ مُنافِسَةٌ جَديدَةٌ.

وجَميعُ ما يُورِدُهُ بيرن مِن أسبابٍ لاعتِقادِ أنّ نظريّةً مّا قَد تُخفِقُ في أن تَكونَ صادِقَةً هيَ أسبابٌ لاعتِقادِ أنّها قَد تُخفِقُ في أن تَكونَ مُفْرِطَةً في قابِليَّةِ التَّقريرِ. فَما الذي يَدعو المَرءَ أيًّا يَكُنْ إلى رَفضِ النُّقطَةِ (4) أو (5) أو (6)؟ فمَن يَفعَلْ ذلكَ فلاعتِقادِهِ أنَّها مُنَزَّهَةٌ عن *الخَطَإِ* في صِدقِ النَّظريَّةِ المَعنِيَّةِ. لكِنَّ ادّعاءَ أنَّ بإمكانِنا أن نَكونَ على صَوابٍ مُنَزَّهٍ عن الخَطَإِ في نظريَّةٍ مّا يَختَلِفُ عن ادّعاءِ أنَّ الصِّدقَ مُرتَبِطٌ مَفهومِيًّا بِمَعاييرِ التَّسويغِ ولا يَنجُمُ عنهُ.

وفَضلًا عن أنَّ وِجهَةَ بيرن لا تَضَعُ عَقَبَةً في طريقِ نظريّاتِ الصِّدقِ الأدنَويَّةِ، يُمكِنُ القَولُ إنَّها تَصُبُّ في مَصلَحَتِها. ذلكَ بِأنَّ جميعَ الأسبابِ التي يُقَدِّمُها بيرن لافتِراضِ أنّا رُبَّما لا نَكونُ قَد ضَمِنّا الصِّدقَ - عَدَمَ الدَّليلِ، والافتِقارَ إلى القُوَّةِ المَعرِفِيَّةِ، والتَّطوُّراتِ المُستَقبَلِيَّةَ المَجهولَةَ - هيَ أسبابٌ مَعرِفِيَّةٌ. وما يَحتاجُ الواقِعِيُّونَ الدِّينِيُّونَ إلى تَثبيتِهِ، بِالضِّدِّ مِن ذلكَ، هوَ أنَّ الصِّدقَ في الخِطابِ الدِّينِيِّ مَتينٌ. وسأعرِضُ بَعضَ طَرائقِ إظهارِ ذلكَ في الفَصلِ الآتي.

[139]

11

الصِّدقُ في الدِّين

يَعتَقِدُ الأدنَوِيُّونَ الدِّينِيُّونَ أنَّ الصِّدقَ الدِّينِيَّ والمَفاهيمَ المُرتَبِطَةَ بِهِ كالحَقائقِ والأوصافِ وما إليها أفكارٌ مُقَيَّدَةٌ بِالمَعرِفَةِ وبِالدَّليلِ ومُحَلَّلَةٌ بِمَعاييرِ التَّسويغِ الدّاخلِيَّةِ لِلخِطابِ الدِّينِيّ. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، يَدَّعي مُنَظِّرو القيمَةِ الظّاهريَّةِ أنَّ الصِّدقَ الدِّينِيَّ والمَفاهيمَ المُرتَبِطَةَ بِهِ كالحَقائقِ والأوصافِ وما إليها مَتينَةٌ. والاعتِراضُ على الأدنَوِيَّةِ بِأنَّ الصِّدقَ لا يُمكِنُ تحليلُهُ بِوَصفِهِ فِكرَةً مُقَيَّدَةً بِالمَعرِفَةِ وبِالدَّليلِ لا يُعَدُّ، على ما قَد ذَهَبْتُ إليهِ في الفَصلِ السّابِقِ، مَسارًا حِجاجِيًّا واعِدًا لِتَأييدِ مُنَظِّري القيمَةِ الظّاهريَّةِ. وبَدَلًا مِن الاعتِراضِ على الذَّهابِ إلى أنَّ الصِّدقَ في خِطابٍ *مَا* يُمكِنُ أن يَكونَ مُجَرَّدَ قابِلِيَّةِ تَقريرٍ مُسَوَّغَةٍ (أو فِكرَةً أُخرَى مُقَيَّدَةً بِالمَعرِفَةِ وبِالدَّليلِ)، يَنبَغي أن يَجعَلَ مُنَظِّرُو القيمَةِ الظّاهريَّةِ بُؤرَةَ اهتِمامِهِم مَدَى كَونِ الصِّدقِ في *الدِّينِ* أكثَرَ مِن مُجَرَّدِ قابِلِيَّةِ تَقريرٍ مُسَوَّغَةٍ. وهذهِ استراتيجيا أكثَرُ مُحافَظَةً وأكثَرُ قابِلِيَّةً لِلإنجازِ بِلا شَكٍّ. وإذا أمكَنَ تَأييدُ مَتانَةِ الصِّدقِ الدِّينِيِّ، فلَن يَحتاجَ مُنَظِّرُو القيمَةِ الظّاهريَّةِ إلى البَدءِ بِمَشروعِ إظهارِ أنَّ تَعَدُّدِيَّةَ الصِّدقِ والأدنَوِيَّةَ في جَميعِ الخِطاباتِ يَتَعَذَّرُ الدِّفاعُ عنهما.

فهَل يُبدي الصِّدقُ في الدِّينِ صِفاتٍ تُظهِرُ أنَّ صِدقَ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ يَعتَمِدُ على واقِعٍ دينِيٍّ وأنَّ المُحَدِّدَ لَهُ ليسَ هوَ المَعاييرَ الدّاخليَّةَ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ وَحدَها؟ يُفيدُنا كرِسْبِن رايت بِتَمييزٍ لِلمَسألَةِ التي بينَ تَصَوُّرَي الصِّدقِ الأدنَوِيِّ والمَتينِ بِقَولِهِ:

> إذا كانَ الواقِعِيُّ هوَ الفائزَ... فسنكونُ مُجبَرينَ على التَّفكيرِ في صِدقِ العِباراتِ التَّقريريَّةِ [لِلخِطابِ] على أنَّهُ مُكتَسَبٌ بوَظائفَ غيرِ التي تُحَدِّدُ المُمارَسَةَ المُلائمَةَ في الخِطابِ، ومِن ثَمَّ على أنَّهُ، بِأيِّ مَعنًى يُفرَضُ بِذلكَ، ليسَ مِن صُنعِنا بَل هوَ عَلاقَةٌ جَوهَرِيَّةٌ بينَ اللُّغَةِ، أو الفِكرِ، وحالاتٍ مُستَقِلَّةٍ. (1992, p. 78) [140]

لكِن كيفَ يُمكِنُنا إظهارُ أنَّ الصِّدقَ في الدِّينِ مَتينٌ؟ تكمُنُ الصُّعوبَةُ في أنَّ لَدَى الأدنَويِّينَ تَأويلاتٍ انكِماشِيَّةً لِلطَّرائقِ الكَثيرَةِ التي يُمكِنُ أن نَفتَرِضَ بِها أنَّ الصِّدقَ الدِّينِيَّ يَزيدُ على كَونِهِ أدنَوِيًّا. فَلْنَفتَرِضْ، على سبيلِ المِثالِ، أنّا نُشيرُ إلى أنَّ 'الله' *يُحيلُ* (أو يَرمي إلى الإحالَةِ) على اللهِ أو أنَّ الجُمَلَ الدِّينِيَّةَ تَصِفُ حَقائقَ دينِيَّةً. وقد رَأينا في الفَصلِ السّابِقِ الاستراتيجيا التي يُمكِنُ أن يَنتَهِجَها الأدنَوِيُّونَ. إذ يُمكِنُ أن يُضمَنَ بِسُهولَةٍ كَونُ 'الله' تعبيرًا مُحيلًا مِن طَريقِ حَقيقَةِ أنَّهُ يُستَعمَلُ تعبيرًا مُحيلًا: فَوَظيفَتُهُ التَّركيبِيَّةُ مُشابِهَةٌ لِوَظيفَةِ الاسمِ. فَـ 'الله' يَنجَحُ في الإحالَةِ حينَ يَرِدُ في عِباراتٍ تَقريرِيَّةٍ صادِقَةٍ، يُفهَمُ فيها الصِّدقُ فَهمًا أدنَوِيًّا. فكذلكَ، يُمكِنُ أن تَكونَ الجُملَةُ الدِّينِيَّةُ وَصفِيَّةً إذا أمكَنَ تَقويمُها بِوَصفِها صادِقَةً أو كاذِبَةً بِالمَعاييرِ الدّاخليَّةِ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ. بَل إنَّ فِكرَةَ كَونِ الصِّدقِ الدِّينِيِّ *يُناظِرُ* الواقِعَ الدِّينِيَّ يُمكِنُ أن تُعطَى تَأويلًا يَنسَجِمُ مَعَ الأدنَوِيَّةِ: فَقَولُنا إنَّ الجُملَةَ تُناظِرُ الواقِعَ ليسَ سِوَى تَفسيرٍ لِقَولِنا إنَّ الجُملَةَ الدِّينِيَّةَ صادِقَةٌ. وقَد يَشكو مُؤَيِّدو مُقارَبَةِ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ أنَّ ما يَفعَلُهُ الأدنَوِيُّونَ إنَّما هوَ إعادَةُ تَأويلٍ مُلتَوِيَةٌ لِلمَفاهيمِ الفَلسَفِيَّةِ الأساسِيَّةِ. على أنَّ هذا الرَّدَّ يُؤَكِّدُ أنَّ على مُنَظِّري القيمَةِ الظّاهِريَّةِ أن يُفصِحوا عَن مَفاهيمِ التَّناظُرِ والصِّدقِ والإحالَةِ التي لا يُمكِنُ فَهمُها مِن طَريقِ التَّحليلِ الأدنَوِيِّ. فتَقريرُ أنَّ الصِّدقَ الدِّينِيَّ مَبنِيٌّ على مُناظَرَةِ الواقِعِ يَظَلُّ حالَةً تَقريبِيَّةً غَيرَ مُقنِعَةٍ ما لَم يَكُن بِإمكانِنا تَقديمُ مَضمونٍ لِلفِكرَةِ التي تُمَيِّزُهُ مِن أُطروحَةِ التَّناظُرِ الأدنَوِيَّةِ مَعَ بَقائنا أيضًا مُتناغِمينَ مَعَ تَأويلٍ مَقبولٍ لِما يَعنيهِ المُتَكَلِّمونَ حينَ يَستَعمِلونَ اللُّغَةَ الدِّينِيَّةَ.

وأعتَقِدُ أنَّ ثَمَّةَ مَجالَيْنِ رَئيسَيْنِ يُمكِنُ أن يُوقَفَ فيهِما على خِلافٍ جَوهَرِيٍّ بينَ مَقارَبَةِ القيمَةِ الظّاهريَّةِ والأدنَويَّةِ. وسَنَجِدُ في كُلٍّ مِنهُما أنَّ الصِّدقَ الدِّينيَّ أكثَرُ مَتانَةً مِمّا تَسمَحُ بِهِ الاستراتيجيا الأدنَويَّةُ[1].

التّفسير

مِن أسبابِ عَدَمِ الرِّضا عن تَحليلِ الأدنَويِّينَ لِلصِّدقِ والإحالَةِ والوَصفِ أنَّ هذهِ المَفاهيمَ يَنبَغي أن تُشيرَ إلى عَلاقَةٍ جَوهريَّةٍ بينَ التَّعبيرِ والشَّيْءِ الذي يُحيلُ عليهِ أو بينَ الجُملَةِ والحَقيقَةِ التي تَصِفُها. والذي يَبدو استِنادًا إلى الأُطروحَةِ الأدنَويَّةِ أنَّهُ ما مِن عَمَلٍ حَقيقِيٍّ تَضطَلِعُ بِهِ الكِياناتُ أو الحَقائقُ الدِّينِيَّةُ التي يُحالُ عليها أو تُوصَفُ. بَل الذي يَبدو أنَّ الإحالَةَ والوَصفَ يُسبَغانِ على صِنفٍ مِن الجُمَلِ والأقوالِ التي تَفي بِمُقتَضَياتِ مَعاييرَ تَركيبِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ وتَفي أيضًا بِمُقتَضَياتِ التَّسويغِ. لكِن يَبدو أنَّ صِدقَ الجُملَةِ الدِّينِيَّةِ لا يَرجِعُ إلى مُجرَّدِ كَونِها تَفي [141] بِمُقتَضَياتِ مَعاييرَ تَركيبِيَّةٍ وداخليَّةٍ مُعَيَّنَةٍ لِلخِطابِ بَل يَرجِعُ أيضًا إلى كَونِها تُمَثِّلُ الحالَةَ المُستَقِلَّةَ عن العَقلِ التي تَصِفُها، وقَد تَرتَبِطُ سَبَبِيًّا بِها. ويَبدو أنَّ الأدنَويِّينَ لا يُقَدِّمونَ سِوَى فِكرَتَيْنِ بَديلَتَيْنِ لِلصِّدقِ والإحالَةِ، كُلُّ ما تَفعَلُهُ الحَقائقُ الدِّينِيَّةُ فيهِما هوَ أنَّها تكونُ مَرايا تَعكِسُ حَرَكاتٍ مُسَوَّغَةً يُضطَلَعُ بِها في داخِلِ لُعبَةٍ لُغَوِيَّةٍ دينِيَّةٍ، بَدَلًا مِن أن تُنشِئَ واقِعًا وَراءَ اللُّغَةِ.

ومِن وَسائلِ إحرازِ تَقَدُّمٍ في هذا الخِلافِ تَعيينُ التَّفسيراتِ التي يُمكِنُ أن تُسهِمَ فيها الحَقائقُ أو الصِّفاتُ الدِّينِيَّةُ، والتي ما كُنّا لِنَتَوَقَّعَها لَو كانَ الخِطابُ الدِّينِيُّ قابِلًا لِلصِّدقِ الأدنَويِّ فَحَسْبُ. وقَد اقتَرَحَ كرِسْبِن رايت طَريقَةً لِقِياسِ الإسهامِ التَّفسيرِيِّ لِلحَقائقِ أو الصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ في الخِطاباتِ المُختَلِفَةِ. فهوَ يُحَدِّدُ

(1) استَنَرْتُ في انتِقائي لِمجالَي الخِلافِ بِالمُقتَرَحاتِ العامَّةِ التي قَدَّمَها كرِسْبِن رايت (1992). وثَمَّةَ مَجالٌ ثالِثٌ مُمكِنٌ لِلاختِلافِ يتعلَّقُ بِطَبيعَةِ الخِلافِ الدِّينِيِّ ويَصُبُّ في مَصلَحَةِ نظريَّةِ القيمَةِ الظّاهريَّةِ مِن خِلالِ ما سَيُقالُ عن تَعالي الصِّدقِ الدِّينِيِّ على الدَّليلِ.

الإسهامَ الذي تَضطَلِعُ بِهِ الحَقائقُ أو الصِّفاتُ المُفتَرَضَةُ في الخِطابِ تُجاهَ تَفسيرِ الأشياءِ لا الاعتِقاداتِ المُتَعلِّقَةَ بهذهِ الحَقائقِ بِوَصفِهِ *دَورَها الكَونِيَّ*. إذ إنَّ سَعَةَ دَورِها الكَونِيِّ تُمثِّلُ قِياسًا لِمَدَى الإسهامِ الذي تُؤَدِّيهِ الحَقائقُ أو الصِّفاتُ التي يَصِفُها الخِطابُ تُجاهَ تَفسيراتٍ كهذهِ؛ أي دَورِها في تَفسيرِ أيِّ شَيْءٍ سِوَى اعتِقاداتِنا المُتعلِّقَةِ بِهذهِ الحَقائقِ. مِثالُ ذلكَ، أنَّ صِفَةَ *المُرَبَّعِيَّةِ* لِلطّاوِلَةِ لَها دَورٌ كَونِيٌّ واسِعٌ. فهيَ تَكشِفُ عَن سَبَبِ رُؤيَتي الطّاوِلَةَ مُربَّعَةً، وسَبَبِ إمكانِ وَضعِ هذهِ الطّاوِلَةِ جَنبًا إلى جَنبٍ معَ طاوِلاتٍ أُخرَى مُختلِفَةِ الأشكالِ لِتَكوينِ نَمَطٍ مُعَيَّنٍ، وسَبَبِ احتِمالِ أن أُوذِيَ نَفسي إذا سَقَطتُ مِن فَوقِها، وسَبَبِ انكِسارِها بِطَريقَةٍ مُعَيَّنَةٍ إذا ضُرِبَتْ في نُقطَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وهلُمَّ جَرًّا. فالمُرَبَّعِيَّةُ تتمتَّعُ إذَن بِدَورٍ تَفسيرِيٍّ في عِلمِ النَّفسِ، وعِلمِ الحَياةِ، والرِّياضِيّاتِ، وفي خِطاباتٍ أُخرَى. والمَرَحُ، بِعَكسِ ذلكَ، صِفَةٌ ذاتُ دَورٍ كَونِيٍّ ضَيِّقٍ. إذ إنَّ لَدَينا اعتِقاداتٍ تتعلَّقُ بِما هوَ مَرِحٌ قَد نُفَسِّرُها بِكَونِ أشياءَ مُعَيَّنَةٍ مَرِحَةً؛ مِثالُ ذلكَ أنّا قَد نُفَسِّرُ الرَّأيَ الشّائعَ الذي مُفادُهُ أنَّ فَريقَ مونتي بايثون *Monty Python** مَرِحٌ وأنَّ فيلم *أكاديمِيَّة الشُّرطَة Police Academy V 5*** لَيسَ مَرِحًا بِقَولِنا إنَّ الأوَّلَ مَرِحٌ وإنَّ الثّانيَ لَيسَ مَرِحًا. بيدَ أنَّ المَرَحَ لَيسَ لَهُ دَورٌ في تَفسيرِ الحَقائقِ غَيرِ الهَزلِيَّةِ. فلِمَ كانَ الدَّورُ الكَونِيُّ الواسِعُ مُهِمًّا؟ فالذي يَراهُ الأدنَوِيُّونَ أنَّ الحَقائقَ المُتعلِّقَةَ بِمَوضوعِ الخِطابِ الخِلافِيِّ يُحَدِّدُها ما تُسَوِّغُهُ المَعاييرُ الدّاخِلِيَّةُ لِذلكَ الخِطابِ. فلا نَتَوَقَّعُ،

* مونتي بايثون: فَريقٌ بريطانيٌّ مُختَصٌّ بالكوميديا السُّرياليَّةِ، ابتَكَرَ سيرك مونتي بايثون الطّائر، وهو بَرنامجٌ بريطانيٌّ كوميديٌّ هَزلِيٌّ أذاعَتْهُ أوَّلَ مَرَّةٍ هَيئةُ الإذاعَةِ البريطانيَّةِ في الخامسِ من أكتوبر عامَ 1969، إذ أُنجِزَتْ خَمسٌ وأربَعونَ حَلقَةً لِما يَزيدُ على أربعِ مُسَلسَلاتٍ. وتطَوَّرَ البايثون مِن المُسَلسَلاتِ التِّلفازيَّةِ إلى شيءٍ أكبرَ في النِّطاقِ والتَّأثيرِ، مُنتِجًا عَدَدًا مِن العُروضِ المسرحيَّةِ، والأفلامِ، والألبوماتِ المتعدِّدَةِ، والكُتُبِ المتنَوِّعَةِ، والعُروضِ المسرحيَّةِ الموسيقيَّةِ، فَضلًا عن انطلاقِ أعضاءِ الفَريقِ إلى النُّجوميَّةِ الفَرديَّةِ. وقَد قورِنَ تأثيرُ الفَريقِ في الكوميديا بِتأثيرِ فَريقِ البيتلز the Beatles في الموسيقى. [المُتَرجِم]

** أكاديمِيَّةُ الشُّرطَةِ 5: جُزءٌ مِن سِلسِلَةِ أفلامِ (أكاديمِيَّة الشُّرطَة)، التي انطَلَقَ عَرضُها عامَ 1984، ظَهَرَ عامَ 1988. [المُتَرجِم]

عُمومًا، أن يُباحَ لَنا استِعمالُ أوصافِ الصِّفاتِ والحَقائقِ التي في الخِطابِ الخِلافِيِّ في سِياقاتٍ أوسَعَ، كتَفسيراتِ مَوضوعٍ مُختَلِفٍ مَوصوفٍ في خِطابٍ مُختَلِفٍ. فَاكتِشافُ أنَّ لِصِفَةٍ مّا دورًا كَونِيًّا واسِعًا سَبَبٌ لافتِراضِ أنَّ التَّأويلَ الأدنَويَّ لِلخِطابِ الذي تَنتَمي إليهِ خَطَأٌ.

وقَد يَظهَرُ بادِيَ الرَّأيِ أنَّ هذا الاختِبارَ غَيرُ فَعّالٍ لأنَّ بِالإمكانِ استِعمالَهُ لبَيانِ أنَّ لِلصِّفاتِ التي يَفتَرِضُها أيُّ خِطابٍ خِلافِيٍّ تَقريبًا دَورًا كَونِيًّا واسِعًا. فحَتّى المَرَحُ يَبدو أنَّ لَهُ [142] استِعمالًا تَفسيرِيًّا في خِطاباتٍ أُخرَى، نَحوِ 'ضَحِكَ لأنَّ الأمرَ كانَ مَرِحًا'؛ وفي هذهِ الحالَةِ يَبدو أنَّ الصِّفَةَ تُفَسِّرُ رَدَّ فِعلٍ سُلوكِيًّا. على أنّي في الوَقتِ الذي لا أُريدُ فيهِ أن أستَبعِدَ إمكانَ تَأويلٍ لاأدنَويٍّ لِلخِطابِ الهَزْلِيِّ، لا أرَى هذا مِثالًا مُضادًّا مُقنِعًا لِضيقِ الدَّورِ الكَونِيِّ لِلمَرَحِ. إذ إنَّ قَولَنا: 'ضَحِكَ لأنَّ الأمرَ كانَ مَرِحًا' لا يَفتَرِضُ صِفَةَ مَرَحٍ سَبَّبَت رَدَّ فِعلٍ سايكولوجِيًّا/ سُلوكِيًّا بَل يُمكِنُ فَهمُهُ على النَّحوِ الآتي: 'ضَحِكَ لأنَّهُ وَجَدَ الأمرَ مَرِحًا'. فاعتِقادُهُ أنَّ الأمرَ مَرِحٌ هوَ الذي سَبَّبَ رَدَّ الفِعلِ. وعلى العُمومِ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ تَفسيراتِ تَحَسُّساتِ النّاسِ الهَزْلِيَّةِ ورُدودِ أفعالِهِم اللاحِقَةِ يُمكِنُ تَقديمُها مِن غَيرِ افتِراضِ صِنفِ صِفاتٍ هَزْلِيَّةٍ لَها دَورٌ كَونِيٌّ واسِعٌ. فَسَعَةُ الدَّورِ الكَونِيِّ لا تَقتَضي إذَن مُجَرَّدَ استِعمالِ مَحمولٍ في تَفسيراتِ مَجموعَةٍ مُختَلِفَةٍ مِن الخِطاباتِ بَل تَقتَضي أيضًا أن تُؤَدِّيَ الصِّفَةُ المُناظِرَةُ عَمَلًا تَفسيرِيًّا أصيلًا.

فهَل الدَّورُ الكَونِيُّ لِلحَقائقِ والصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ واسِعٌ؟ أي هَل تُسهِمُ الحَقائقُ والصِّفاتُ الدِّينِيَّةُ في تَفسيرِ الاعتِقاداتِ اللادينِيَّةِ؟ فإذا كانَت تَفعَلُ ذلكَ، فيُمكِنُ القَولُ إذَن إنَّ ما هوَ صادِقٌ بِشَأنِ هذهِ الحَقائقِ أو الصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ لا تُحَدِّدُهُ تَمامًا المَعاييرُ الدّاخلِيَّةُ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ، وإنَّ الأُطروحَةَ الأدنَوِيَّةَ لِلصِّدقِ الدِّينِيِّ لَيسَت وافِيَةً بِالغَرَضِ. فالدَّورُ الكَونِيُّ الواسِعُ يُفَعِّلُ التَّمايُزَ بينَ الصِّدقِ الدِّينِيِّ والتَّسويغِ استِنادًا إلى المَعاييرِ الدّاخلِيَّةِ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ.

ويُلحَظُ أنَّ النِّقاشَ بِشَأنِ الدَّورِ الكَونِيِّ لِلحَقائقِ الدِّينِيَّةِ مَألوفٌ جِدًّا في

فَلسَفَةِ الدِّينِ، على الرَّغمِ مِن أنَّهُ لَم يُعرَضْ مِن زاوِيَةِ سَعَةِ الدَّورِ الكَونيّ. فَلْنَأخُذْ مِثالًا لِذلكَ الخِلافَ بِشأنِ طَبيعَةِ المُعجِزاتِ. فمِن الواضِحِ أنَّ المُعجِزَةَ أُنموذَجٌ لِصِفَةٍ دِينِيَّةٍ - فِعلٍ إلهِيٍّ - مُفَسِّرَةٍ لِحَدَثٍ يُمكِنُ أن يُلحَظَ على نَحوٍ مَحسوسٍ. فَعلى وَفقِ مُقارَبَةِ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ لِما يَعنيهِ قَولُنا إنَّ ثَمَّةَ مُعجِزَةً قد حَدَثَتْ، يُشَكِّلُ الفِعلُ الإلهِيُّ جُزءًا مِن تَفسيرِ الحَدَثِ المَحسوسِ. وعلى ذلكَ، تكونُ المُعجِزاتُ واسِعَةً كَونِيًّا[2]. ثُمَّ إنَّهُ إذا ما ظَهَرَ الفِعلُ الإلهِيُّ في أُطروحَةٍ كامِلَةٍ لِلحَدَثِ، فلا بُدَّ مِن أن تَمتَدَّ الحَقائقُ المُتعلِّقَةُ بِالفِعلِ الإلهِيِّ إلى ما وَراءَ الفِكرَةِ الأدنَوِيَّةِ لِلصِّدقِ التي أضفاها عليها الوَفاءُ بِمُقتَضَياتِ المَعاييرِ الدّاخليَّةِ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ. والنَّتيجَةُ أنَّ الصِّدقَ المُتعلِّقَ بِالفِعلِ الإلهِيِّ لا يُمكِنُ أن يَكونَ صِدقًا أدنَوِيًّا. وما دامَ الحَديثُ عن الفِعلِ الإلهِيِّ مُتَغَلغِلًا في الخِطابِ الدِّينِيِّ، فلا يُمكِنُ أيضًا أن يَكونَ الصِّدقُ في الدِّينِ صِدقًا أدنَوِيًّا. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، قَد تَعمِدُ أُطروحَةٌ عن المُعجِزاتِ لِمُؤَيِّدِينَ لِلأدنَوِيَّةِ إلى تَأويلِ الحَديثِ عن المُعجِزاتِ بِأنَّهُ طَريقَةٌ لِلتَّفكيرِ في حَدَثٍ لَهُ دَلالَةٌ دينِيَّةٌ مَخصوصَةٌ. بيدَ أنَّ هذا التَّحليلَ يَسمَحُ بِوُضوحٍ بِوُجودِ تَفسيرٍ فيزيائيٍّ لِلحَدَثِ لا يَعتَمِدُ على الإحالَةِ على الفِعلِ الإلهِيِّ (Tillich, 1989). ولِفِتغِنشتاين تَعليقٌ يُوضِحُ ذلكَ، جاءَ فيهِ: [143]

> إذا أرادَ المَرءُ أن يَفهَمَ كما فَهِمَ دستويفسكي Dostoevsky* مُعجِزاتِ المَسيحِ كمُعجِزَةِ عُرسِ قانا**، فعليهِ أن يَعُدَّها رُموزًا. إنَّ تَحويلَ الماءِ إلى

---

(2) ثَمَّةَ كِتاباتٌ أساسِيَّةٌ ومَشهورَةٌ في المُعجِزاتِ، رادَ كَثيرًا منها هيُوم (1975a, section X).

* فيدور ميخائيلوفِتش دستويفسكي (1821-1881م). روائيٌّ، وكاتِبُ قِصَصٍ قَصيرَةٍ ومَقالاتٍ، وفَيلَسوفٌ روسيٌّ. يُعَدُّ مِن أكبرِ الكُتّابِ الرُّوسِ، ومِن أفضَلِ كُتّابِ العالَمِ. شَخصيّاتُهُ على الدَّوامِ في أقصَى حالاتِ اليَأسِ وعلى حافَةِ الهاوِيَةِ، وتَنطوي رواياتُهُ على فَهمٍ عَميقٍ للنَّفسِ البَشَرِيَّةِ، وتُقَدِّمُ تَحليلًا ثاقِبًا لِلحالاتِ السِّياسِيَّةِ والاجتماعيَّةِ والرُّوحِيَّةِ لِروسيا في وَقتِهِ. مِن مؤلَّفاتِهِ: (الإخوةُ كارامازوف)؛ و(الجَريمَةُ والعِقاب)؛ و(الأبلَه). [المُترجِم]

** قانا: قَريَةٌ صَغيرَةٌ في منطقَةِ الجَليلِ تَبعُدُ عِشرينَ كيلومترًا شَماليَّ النّاصِرَةِ. وقَد وَرَدَ في إنجيلِ يوحنّا (2: 1-12) أنَّهُ أُقيمَ فيها عُرسٌ دُعِيَتْ إليهِ مريمُ أُمُّ يَسوعَ، ودُعِيَ إليهِ يَسوعُ أيضًا مَعَ تَلاميذِهِ. وفي أثناءِ الاحتِفالِ بِالعُرسِ نَفِدَتِ الخَمرُ. ولَحِظَتْ مريمُ أُمُّ يَسوعَ ذلكَ، فأعلَمَتْ =

> خَمرٍ أمرٌ مُذهِلٌ في أحسَنِ الأحوالِ وإنّا لَننظُرُ في دَهشَةٍ إلى مَن يُمكِنُهُ فِعلُ ذلكَ، لكِنَّ هذا كُلُّ ما في الأمرِ... ولا بُدَّ أنَّ العَجيبَ هوَ ما يُعطي هذا الفِعلَ مَضمونَهُ ومَعناهُ. ولا أعني بِذلكَ غَيرَ الاعتِيادِيِّ أو الذي لا سابِقَ لَهُ بَل أعني بِهِ الرُّوحَ التي فُعِلَ بِها والتي ليسَ تَحويلُ الماءِ إلى خَمرٍ إلّا رَمزًا لَها أو إيماءً (إن جازَ التَّعبيرُ). (2003, p. 91)

فإن لَم تَكُنِ المُعجِزَةُ إلّا حَدَثًا غَيرَ اعتِيادِيٍّ أو رَمزِيًّا ذا دَلالَةٍ دينِيَّةٍ، فإنَّ الدَّورَ الكَونِيَّ لِلحَديثِ عن الفِعلِ الإلهِيِّ يَبقَى ضَيِّقًا ومُنسَجِمًا معَ قِراءَةٍ أدنَوِيَّةٍ لِلصِّدقِ الدِّينِيِّ.

لكِن هَل يُوجَدُ استِعمالٌ لِلمَحمولاتِ الدِّينِيَّةِ في تَفسيراتٍ لا تَتوافَرُ لَها قِراءَةٌ أَدنَوِيَّةٌ مَقبولَةٌ؟ فَلْنَنظُرْ في تَفسيراتِ وُجودِ الكَونِ وسِماتٍ مُعَيَّنَةٍ فيهِ. فحَيثُما افتُرِضَتْ فَعّالِيَّةُ اللهِ، على سبيلِ المِثالِ، لِتُفَسِّرَ الظُّروفَ أو الأحوالَ الفيزيائِيَّةَ المُنتَظِمَةَ التي لا يَتوافَرُ لَها تَفسيرٌ عِلمِيٌّ، كانَ فِعلُ اللهِ مُفَسِّرًا لِحالاتٍ لادينِيَّةٍ ولاعتِقاداتِنا بِشأنِها. وما مِن شَكٍّ في أنَّ هذهِ التَّفسيراتِ كانَتْ مَثارَ جَدَلٍ واعتِراضاتٍ مُختلِفَةٍ. فقد يَرَى بَعضُهُم، على سبيلِ المِثالِ، أنَّ الأساسَ الذي نَستَنِدُ إليهِ غَيرُ كافٍ لافتِراضِ أنَّ ثَمَّةَ إلهًا قَديرًا ومُنعِمًا قَد دَبَّرَ العالَمَ بِإزاءِ فَرضِيَّةٍ دينِيَّةٍ أُخرَى، كَوُجودِ عِدَّةِ آلِهَةٍ مَسؤولَةٍ عن السِّماتِ المُختَلِفَةِ لِلعالَم. ويُوجَدُ اعتِراضٌ آخَرُ يُناقَشُ على نِطاقٍ واسِعٍ هوَ أنَّ ثَمَّةَ سِماتٍ كَثيرَةً لِلعالَمِ لا تُفَسِّرُها الفَرضِيَّةُ التَّأليهِيَّةُ تَفسيرًا كافِيًا، كَوُجودِ الشَّرِّ. على أنَّ هذهِ حُجَجٌ مُعارِضَةٌ لِصِدقِ التَّفسيرِ الدِّينِيِّ؛ فهيَ لا تتحدّى مُلاءَمَةَ الصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ لأداءِ دَورٍ تَفسيرِيٍّ في تَعليلِ الصِّفاتِ الفيزيائِيَّةِ لِلكَونِ أو وُجودِ الكَونِ. وعلى ذلكَ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ التَّفسيراتِ الدِّينِيَّةَ-الفيزيائِيَّةَ تُقَدِّمُ دَليلًا على سَعَةِ الدَّورِ الكَونِيِّ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ. فإذا كانَ الفِعلُ الإلهِيُّ يُشَكِّلُ جُزءًا مِن تَفسيرٍ مُقنِعٍ لِحَدَثٍ فيزيائِيٍّ، فالحَقائِقُ

= بِالأمرِ ابنَها، وفي نِيَّتِها أن يُنقِذَ أهلَ العُرسِ مِن الحَرَجِ والخَجَلِ بِمُعجِزَةٍ يَصنَعُها لَهُم. وبَعدَ حَديثٍ قَصيرٍ بَينَها وبَينَهُ استَجابَ لِطَلبِها وصَنَعَ المعجِزَةَ المطلوبةَ. [المُتَرجِم]

المُتعلِّقَةُ بِالفِعلِ الإلهِيِّ لا تُحَدِّدُها كُلِّيًّا المَعاييرُ الدّاخليَّةُ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ، والصِّدقُ الدِّينِيُّ لِيسَ أدنَوِيًّا إذَن.

ويَحتاجُ الرَّدُّ الأدنَوِيُّ على ذلكَ إلى إظهارِ أنَّ التَّفسيراتِ الدِّينِيَّةَ-الفيزيائيَّةَ لا تَعتَمِدُ حَقًّا على افتِراضِ أيَّةِ حَقائقَ أو صِفاتٍ دينِيَّةٍ. ومِن الخِياراتِ المُتاحَةِ تَأويلُ التَّفسيراتِ المُفتَرَضَةِ لِلفِعلِ الإلهِيِّ بِطَريقَةٍ مُشابِهَةٍ لِنَحوِ 'ضَحِكَ لأنَّ الأمرَ كانَ مَرِحًا'. وقَد يَكونُ الأدنَوِيُّونَ قادِرِينَ على التَّحَرُّكِ إلى الأمامِ مَعَ أمثِلَةٍ كمِثالَيْ 'شُفِيَ بِقُدرَةِ اللهِ' و'فَعَلَتْ ذلكَ لأنَّ اللهَ أمَرَها أن تَفعَلَهُ'، اللَّذَيْنِ [144] يُمكِنُ تَأويلُهُما بِقَولِنا: 'شُفِيَ لأنَّهُ اعتَقَدَ أنَّ اللهَ شَفاهُ' و'فَعَلَتْ ذلكَ لأنَّها اعتَقَدَتْ أنَّ اللهَ أمَرَها أن تَفعَلَهُ'، على التَّوالي. وبِإمكانِ الأدنَوِيِّينَ أن يُقَدِّمُوا أُطروحَةً مُشابِهَةً لِتَفسيراتٍ دينِيَّةٍ-سايكولوجيَّةٍ ودينِيَّةٍ-سُلوكِيَّةٍ أُخرَى لِلدِّفاعِ عن مَوقِفِهِم وهوَ أنَّهُم لا يَفتَرِضونَ صِفاتٍ دينِيَّةً ذَواتِ دَورٍ كَونِيٍّ واسِعٍ. لكِن يَصعُبُ أن نَفهَمَ كيفِيَّةَ إمكانِ تَوسيعِ هذهِ الاستراتيجيا لِتَشمَلَ التَّفسيراتِ الدِّينِيَّةَ-الفيزيائيَّةَ التي نَحنُ بِصدَدِ النَّظَرِ فيها. فتأويلُ جُملَةٍ نَحوِ 'العالَمُ مَوجودٌ لأنَّ اللهَ خَلَقَهُ' على أنَّها لا تَفتَرِضُ وُجودَ خالِقٍ إلهِيٍّ غَيرُ مُنصِفٍ لِما يَقصِدُهُ المُتَكلِّمُ. ولا غَرابَةَ في أن تَكونَ هذهِ مُشكلَةً لِلأدنَوِيَّةِ لأنَّ التَّفسيراتِ الدِّينِيَّةَ-الفيزيائيَّةَ لا تَنشَأُ مِن اعتِباراتٍ دينِيَّةٍ فقَط بَل تَنشَأُ أيضًا مِن ثَغراتٍ في النَّظرِيَّةِ العلمِيَّةِ الحديثَةِ. وإنَّ افتِقارَنا إلى أُطروحَةٍ فيزيائيَّةٍ مُقنِعَةٍ كُلِّيًّا لِلانتِظامِ ولِقَوانينِ الطَّبيعَةِ ولِوُجودِ الكَونِ وما إلى ذلكَ لَهُوَ السَّبَبُ الدَّقيقُ الدّاعي إلى افتِراضِ الصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ مِن أجلِ أن تُقَدِّمَ لَها تفسيرًا. لِذلكَ، لا يُمكِنُنا أن نُغفِلَ الإحالَةَ على الصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ بِتَفسيرٍ أدنَوِيٍّ يَستَنِدُ إلى تَفسيراتٍ دينِيَّةٍ-فيزيائيَّةٍ.

فهَل بِوُسعِ الأدنَوِيِّينَ الذَّهابُ إلى أنَّ التَّفسيراتِ الدِّينِيَّةَ-الفيزيائيَّةَ مُخطِئَةٌ وأنَّها لِذلكَ لا تُمِدُّنا بِدليلٍ على أنَّ لِلحَقائقِ الدِّينِيَّةِ دَورًا كَونِيًّا واسِعًا؟ فهذهِ الحُجَّةُ قَد أُسيءَ وَضعُها. فالذي كُنْتُ أُنافِحُ عنهُ هوَ أنَّ لِلحَقائقِ والصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ (لِبَعضِها في أقَلِّ تَقديرٍ) دَورًا كَونِيًّا واسِعًا لأنَّها ذلكَ النَّوعُ مِن الحَقائقِ والصِّفاتِ

المُناسِبَةِ لأن تَكونَ جُزءًا مِن تَفسيراتٍ لِحَقائقَ فيزيائيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ بِشَأنِ الكَونِ. ولا نَحتاجُ مِن أجلِ أن نُبَيِّنَ أنَّ لِلحَقائقِ والصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ دَورًا كَونِيًّا واسِعًا إلى بَيانِ أنَّ حُجَّةَ الانتِظامِ أو التَّصميمِ ناجِحَةٌ فِعلِيًّا، بَل كُلُّ ما نَحتاجُ إليهِ هوَ بَيانُ أنَّ ثَمَّةَ تَفسيراتٍ دينِيَّةً-فيزيائيَّةً مُقنِعَةً تَفترِضُ حَقائقَ وصِفاتٍ دينِيَّةً. فمِن أجلِ مُتابَعَةِ هذهِ الحالَةِ مُتابَعَةً فَعّالَةً، يَحتاجُ الأدنَوِيُّونَ إذَن إلى إثباتِ أنَّ هذهِ التَّفسيراتِ لَيسَتْ أصيلَةً.

وتَعرِضُ سَعَةُ الدَّورِ الكَونِيِّ لِلحَقائقِ والصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ جانِبًا لا بُدَّ أن يَزيدَ الصِّدقُ الدِّينِيُّ فيهِ على أن يَكونَ أدنَوِيًّا فحَسْبُ. ذلكَ بِأنَّهُ إذا كانَ بِالإمكانِ دُخولُ الحَقائقِ والصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ في تَفسيراتٍ في حُقولِ خِطابٍ لادينِيَّةٍ، أمكَنَ القَولُ عِندَئذٍ إنَّ الحَقائقَ الدِّينِيَّةَ لا يَنفَرِدُ بِتَحديدِها الوَفاءُ بِمُقتَضَياتِ مَعاييرَ هيَ داخليَّةٌ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ.

التَّعالي عَلى الدَّليل

ذَكَرْنا آنِفًا أنّا حينَ نَنظُرُ في حَقلٍ مِن حُقولِ الخِطابِ كالحَديثِ عَمّا هوَ مَرِحٌ، يَبدو نَوعُ أُطروحَةِ الصِّدقِ المُقَيَّدُ بِالمَعرِفَةِ وبِالدَّليلِ الذي يَقترِحُهُ الأدنَوِيُّونَ حَسَنَ التَّوجيهِ: فمِن غَيرِ المَقبولِ افتِراضُ حَقائقَ بِشَأنِ ما هوَ مَرِحٌ [145] خارِجَةٍ (حتّى مِن حَيثُ المَبدَأُ) عن نِطاقِ قُدرَتِنا على إثباتِها[3]. فبِقَدْرِ تَعَلُّقِ الأمرِ بِسَماحِنا بِأن تَكونَ ثَمَّةَ حَقائقُ بِشَأنِ ما هوَ مَرِحٌ، يَبدو أنَّ هذهِ الحالاتِ تَقَعُ بِصَرامَةٍ في خانَةِ ما يُمكِنُ العِلمُ بِهِ. وهذهِ الحالَةُ مِمّا يَقبَلُ الأخذَ والرَّدَّ أيضًا في حَقلَيِ الأخلاقِيّاتِ والجَمالِيّاتِ، وإن كانَ الخِلافُ فيهِما بِشَأنِ ذلكَ أكبَرَ على نَحوٍ مَلحوظٍ. لكِن أيُقبَلُ ذلكَ في الخِطابِ الدِّينِيِّ؟ فالمُؤمِنونَ يَفترِضونَ حَقائقَ تَكمُنُ

---

(3) الحالَةُ التي ستَكونُ أكثَرَ تَعقيدًا هيَ الذّاتِيَّةُ المُتَعلِّقَةُ بِالدَّعاوَى المُتعلِّقَةِ بِما هوَ مَرِحٌ. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ قَد يَرَى بَعضُهُم أنَّ صِدقَها يَعتَمِدُ على ما جَرَتْ عادَةُ النّاسِ على أن يَجِدُوهُ مُسَلِّيًا. فعِندَئذٍ ستتحوَّلُ المَسأَلَةُ المُتعلِّقَةُ بِتَعالي الدَّليلِ إلى الخِطابِ السّايكولوجِيِّ الرَّدِّيِّ.

وَراءَ مُتَناوَلِ ما يُمكِنُنا أن نَعرِفَهُ حتّى مِن حَيثُ المَبدَأ. بَل إنَّ مِن الأجزاءِ المُكَمِّلَةِ لِكَثيرٍ مِن الأديانِ وُجودَ حُدودٍ لِما يُمكِنُ أن يَنفُذَ إليهِ البَشَرُ مِن الحَقائقِ الدِّينيَّةِ. فمِن الأصنافِ الواضِحَةِ لِهذهِ الحالاتِ الصِّنفُ الذي يتَضَمَّنُ عِباراتٍ تَقريريَّةً تتعلَّقُ بِأفعالِ اللهِ وتَقديراتِهِ. فهذهِ العِباراتُ التَّقريريَّةُ، التي عادَةً ما يَتَبَنّاها المُؤمِنونَ، يُقطَعُ بِأنَّها صادِقَةٌ أو كاذِبَةٌ تَبَعًا لِمَدَى كَونِ اللهِ يُقَدِّرُ فِعليًا أو يفعَلُ بِالطَّريقَةِ المَوصوفَةِ. وعِلمُ البَشَرِ بِها مُقَيَّدٌ تقييدًا صارِمًا بِما يَكشِفُ اللهُ عنهُ منها. فَالحَقائقُ التي لَم يَكشِفِ اللهُ عنها قَد تُجاوِزُ كُلِّيًا قابِلِيّاتِ البَشَرِ لِتَحديدِها حتّى مِن حَيثُ المَبدَأ. لِذلكَ، لا يُقبَلُ في هذهِ الجَوانِبِ الذَّهابُ إلى أنَّ الصِّدقَ الدِّينِيَّ مُقَيَّدٌ بِالمَعرِفَةِ وبِالدَّليلِ.

ومِمّا يُمَكِّنُ أيضًا مِن إظهارِ أنَّ الصِّدقَ الدِّينِيَّ غَيرُ مُقَيَّدٍ بِالمَعرِفَةِ النَّظَرُ في نَظريّاتِ الأمرِ الإلهِيِّ والنَّظريّاتِ المُتعلِّقَةِ بِها التي تَرمي إلى تَثبيتِ حَقائقَ أخلاقِيَّةٍ في الحُكمِ الإلهِيِّ. مِثالُ ذلكَ ذَهابُ ر.م. آدَمز R.M. Adams* إلى أنَّ الالتِزاماتِ الأخلاقِيَّةَ تُشَكِّلُها أوامِرُ صادِرَةٌ عَن إلهٍ مُحِبٍّ بِحَيثُ يَكونُ الفِعلُ مُلزِمًا إلزامًا أخلاقِيًّا إذا ما أَمَرَ بِهِ إلهٌ مُحِبٌّ ويَكونُ الفِعلُ خَطَأً مِن النّاحِيَةِ الأخلاقِيَّةِ إذا كانَ مُضادًّا لأمرٍ إلهِيٍّ (Adams, 2002, ch. 11). ويُلحَظُ أنَّ هذهِ النَّظرِيَّةَ رَدِّيَّةٌ بِشأنِ صِنفِ دَعاوَى الالتِزامِ لأنَّ صِدقَ أو كَذِبَ الجُمَلِ المُتعلِّقَةِ بِما لَنا التِزامٌ تُجاهَهُ إنَّما يُحَدِّدُهُ صِدقُ أو كَذِبُ الجُمَلِ المُتعلِّقَةِ بِأوامِرِ اللهِ (وهذهِ الأخيرَةُ تُمَثِّلُ صِنفَ الجُمَلِ الرَّدِّيِّ). وثَمَّةَ نظريّاتٌ أُخرَى لِـ 'الأمرِ' الإلهِيِّ تُثَبِّتُ دَعاوَى أخلاقِيَّةً في إرادَةِ اللهِ، أو أغراضِهِ (Zagzebski, 2004)، أو تَفضيلاتِهِ (Carson, 2000)، وقَد وُسِّعَتْ إلى ما وَراءَ الالتِزاماتِ الأخلاقِيَّةِ لِتُقَدِّمَ أُطروحَةً شامِلَةً في الأخلاقِيّاتِ. ومِمّا يُثيرُ الاهتِمامَ بِخاصَّةٍ في ما يتعلَّقُ بِنظريّاتِ الأمرِ الإلهِيِّ في نِقاشِنا الحالِيِّ

* روبرت ميرهيو آدَمز (1937–...م). فَيلَسوفٌ تَحليلِيٌّ أمريكِيٌّ مُتَخَصِّصٌ في الميتافيزيقا، والدِّينِ، والأخلاقِ. تَشمَلُ كِتاباتُهُ في فَلسَفَةِ الدِّينِ مَقالاتٍ مُؤَثِّرَةً في مُشكِلَةِ الشَّرِّ والعَلاقَةِ بينَ التّأليهِيَّةِ والأخلاقِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (فَضيلَةُ الإيمانِ ومَقالاتٌ أُخرى في اللاهوتِ الفَلسَفِيِّ)؛ و(الخَيراتُ المَحدودَةُ واللامَحدودَة). [المُتَرجِم]

أنّها تؤولُ إلى أنّها تُسبغُ على الصّدقِ الأخلاقيّ صِفَةَ الصّدقِ الدّينيّ التي هيَ أكثرُ مَتانَةً وتَقيُّدًا بالمَعرفَةِ. فالجُملُ المُتعلّقَةُ بأوامِرِ اللهِ أو إرادَتِهِ أو أغراضِهِ تَبدو صادِقَةً أو كاذِبَةً قَطعًا بِمَعزلٍ عمّا لَدَينا مِن دَليلٍ على صِدقِها أو كَذِبِها. فإذا كانَ ما للهِ مِن إرادَةٍ أو غَرَضٍ أو تَفضيلٍ مُحَدّدًا لِلحَقائقِ الأخلاقِيَّةِ ولا يُوصَلُ إلى البَشَرِ، فستَكونُ ثَمّةَ حَقائقُ أخلاقِيَّةٌ لا يُمكِنُ العِلمُ بِها. فنظريَّةُ الأمرِ الإلهِيّ تَفرِضُ تَصَوُّرًا لِلصّدقِ في الأخلاقِ أكثَرَ مَتانَةً مِمّا يَسمَحُ بِهِ الأدنوِيُّونَ. ويَدُلُّ هذا على أنَّ الصّدقَ في الخِطابِ الدّينيّ مَتينٌ نِسبيًّا.

وفي بَعضِ الأحيانِ، يُقَدَّمُ الكامِنُ مِن عَدَمِ القُدرَةِ على النَّفاذِ إلى أغراضِ اللهِ وتَفضيلاتِهِ بِوَصفِهِ سَبَبًا لِتَفضيلِ نظريَّةِ الأمرِ الإلهِيّ التي يُجعَلُ فيها حُكمُ اللهِ [146] صَريحًا، إذ يَبدو أنَّ مِن غَيرِ المَرغوبِ فيهِ أن نَكونَ تَحتَ وَطأةِ التِزاماتٍ مَخفِيَّةٍ ولا يُمكِنُ العِلمُ بِها. على أنّهُ حتّى إذا أُوصِلَ الأمرُ، فإنَّ مَنهَجَ الإيصالِ قَد يُخفِقُ في ضَمانِ إمكانِ العِلمِ بِالمُتَطَلَّباتِ الأخلاقِيَّةِ. وإذا نُقِلَ الأمرُ بِالوَحيِ، فإنَّ المَعلوماتِ المُتعلِّقَةَ بِهِ رُبَّما تُفقَدُ على نَحوٍ لا تُرجَى مَعَهُ استِعادَتُها لأنَّ الوَحيَ، على سبيلِ المِثالِ، قَد حَدَثَ بَعيدًا في الماضي وأنَّ المَصادِرَ ذاتَ الصِّلَةِ لا يُعتَمَدُ عليها بِما فيهِ الكِفايَةُ. وإذا كانَ الأمرُ مُدَوَّنًا تدوينًا كِتابيًّا، فرُبَّما لا يَعودُ مُمكِنًا الوُصولُ إلى تَأويلٍ غَيرِ مُلبِسٍ لِما كانَ يُقصَدُ بِهِ. على أنَّ مِنَ المُهِمّ أن يُذكَرَ أنَّ عَدَمَ القُدرَةِ *الفِعليّ* على النَّفاذِ إلى أوامِرِ اللهِ ليسَ حاسِمًا في مَسألَةِ مَدى كَونِ الصّدقِ الأخلاقِيّ أكثَرَ مِن صِدقٍ أدنوِيّ أُعطِيَ نظريَّةَ أمرٍ إلهِيّ. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ اللهَ قَد نَظَّمَ العالَمَ بِحَيثُ تَكونُ المَعلوماتُ المُتعلِّقَةُ بِأوامِرِهِ في جَميعِ الأحوالِ مُتاحَةً لَنا مِن حَيثُ المَبدأُ. فالذي يَنجُمُ عن ذلكَ أنَّ الحَقائقَ الأخلاقِيَّةَ ستَكونُ مِمّا يُمكِنُ النَّفاذُ إليهِ بِالمَعرِفَةِ وبِالدَّليلِ: إذ سنَكونُ على الدَّوامِ في مَوقِعٍ يُمكِنُنا فيهِ أن نُحَدِّدَ مِن حَيثُ المَبدأُ مَدى كونِ جُملَةٍ أخلاقِيَّةٍ مُعطاةٍ صادِقَةً أو كاذِبَةً. وحَتّى في هذهِ الحالَةِ، لا يَنجُمُ عن ذلكَ أنَّ الصّدقَ الأخلاقِيَّ سيَكونُ مَفهومًا مُقَيَّدًا بِالمَعرِفَةِ أو بِالدَّليلِ. ومِن أسبابِ ذلكَ أنّهُ إذا أمكَنَ أن تَكونَ قابِلِيَّةُ التَّقريرِ المُسَوَّغَةُ في الأخلاقِيّاتِ والصّدقُ الأخلاقِيُّ مُتَساوِيَي الامتِدادِ، فمِنَ المُمكِنِ في

حُكم التَّصَوُّرِ أن يَتَباعَدا: فمِن المُمكِنِ أن يَكونَ مِمّا قَضَتْ بِهِ إرادَةُ اللهِ أن تكونَ ثَمَّةَ حَقائقُ أخلاقِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ لا مَطمَعَ لَنا في النَّفاذِ إليها. فمِن المُمكِنِ إذَن أن تكونَ ثَمَّةَ حَقائقُ أخلاقِيَّةٌ لا يُمكِنُ مِن حَيثُ المَبدأُ النَّفاذُ إليها. والسَّبَبُ الثّاني أنَّ نَظريَّةَ الأمرِ الإلهِيِّ تَضَعُ نِظامًا واضِحًا لِلأولَوِيَّةِ بينَ التَّسويغِ في الأخلاقِيّاتِ والصِّدقِ الأخلاقِيِّ. فالعِبارَةُ التَّقريرِيَّةُ قابِلَةٌ لِلتَّقريرِ على نَحوٍ مُسَوَّغٍ في الأخلاقِيّاتِ *لأنَّها* صادِقَةٌ. أي إنَّ حَقيقَةَ أنَّ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ صادِقَةٌ تَكشِفُ عَن سَبَبِ كَونِها مُسَوَّغَةً لأنّا غَيرُ قادِرينَ إلّا مِن حَيثُ المَبدأُ على الحُكمِ الصَّحيحِ بِكَونِ دَعوَى أخلاقِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ صادِقَةً بِفِعلِ حَقيقَةِ أنَّ اللهَ قَد أوصَلَ إلينا شَيئًا ما بِشَأنِ إرادَتِهِ، أو أوامِرِهِ، أو أغراضِهِ.

وهذهِ النُّقطَةُ الأخيرَةُ المُتعلِّقَةُ بِنِظامِ الأولَوِيَّةِ في العَلاقَةِ بينَ الصِّدقِ وقابِلِيَّةِ التَّقريرِ المُسَوَّغَةِ يُمكِنُ أن تَتَّضِحَ أكثَرَ مِن خِلالِ طَريقَةٍ تَكميلِيَّةٍ لِمُقارَبَةِ المَسألَةِ التي اقترَحَها كرِسبِن رايت. فَلْنَنظُرْ في التَّضادِّ المَشهورِ المَعروضِ في مُحاوَرَةِ يوطيفرون *Euthyphro* بينَ الجُملتَيْنِ (1) و(2) الآتِيَتَيْنِ:

1. سَبَبُ مَحَبَّةِ الآلِهَةِ أفعالًا مُعَيَّنَةً صَلاحُها.
2. سَبَبُ صَلاحِ أفعالٍ مُعَيَّنَةٍ مَحَبَّةُ الآلِهَةِ لَها.

وقَد دارَ هذا الجَدَلُ بينَ سُقراط Socrates*، الذي يَقبَلُ أُولَى الدَّعوَيَيْنِ ويَرفُضُ ثانِيَتَهُما، ويوطيفرون، الذي يَقبَلُ ثانِيَةَ الدَّعوَيَيْنِ ويَرفُضُ أُولاهُما. وما دامَ

---

* سُقراط (470–389ق.م). أعمَقُ فَلاسِفَةِ اليونانِ تأثيرًا في الفِكرِ اليونانيِّ، وبِهِ تَنقَسِمُ الفَلسَفَةُ إلى ما قَبلَ سُقراط وما بَعدَهُ. جَعَلَتْهُ حَياتُهُ وآراؤُهُ وطَريقَةُ مَوتِهِ الشُّجاعَةُ مِن أشهَرِ الشَّخصِيّاتِ في التّاريخِ. تَتَّسِمُ شَخصِيَّتُهُ بِالغُموضِ، وتَتَضارَبُ الرِّواياتُ بِشَأنِها، لكِنَّ الإجماعَ مُنعَقِدٌ على أنَّهُ عاشَ وماتَ في أثينا، وأنَّهُ دَخَلَ في مُجادَلاتٍ ومُحاوَراتٍ مَعَ السّوفسطائيِّينَ اشتهرَتْ عنهُ. أمضى حياتَهُ كُلَّها باحِثًا عن الحَقيقَةِ والخَيرِ، ولَم يَترُكْ أيَّ مُؤَلَّفٍ، وقَد عُرِفَتْ مُعظَمُ المعلوماتِ عَن حَياتِهِ وتَعاليمِهِ مِن طَريقِ تلميذِهِ أفلاطون، وما كَتَبَهُ عَنهُ أرسطو. [المُتَرجِم]

الطَّرَفانِ لا يَقبَلانِ أن يَكونَ الفِعلُ صالِحًا إلّا إذا كانَ مَحبوبًا لِلآلِهَةِ، فإنَّ صِنفَ الأفعالِ الصّالِحَةِ وصِنفَ الأفعالِ [147] المَحبوبَةِ لِلآلِهَةِ مُتماثِلانِ. لكِن يُوجَدُ اختِلافٌ في نِظامِ الأولَوِيَّةِ الذي يَضَعانِهِ على العَلاقَةِ بينَ الأفعالِ الصّالِحَةِ والأفعالِ المَحبوبَةِ لِلآلِهَةِ. فأمّا في النَّظرَةِ الأُولَى، فإنَّ الأولَوِيَّةَ تَكونُ لِلصَّلاحِ: فالأفعالُ الصّالِحَةُ مَحبوبَةٌ لِلآلِهَةِ لأنَّ الآلِهَةَ قادِرَةٌ قُدرَةً مُنَزَّهَةً عَن الخَطَإِ على تَحَرِّي الصَّلاحِ ولأنَّها تَستَجيبُ لَهُ على الدَّوامِ على نَحوٍ مُلائمٍ. وأمّا في النَّظرَةِ الثّانِيَةِ، فإنَّ الأولَوِيَّةَ تَكونُ لِتَقديرِ الآلِهَةِ لأفعالِ البَشَرِ: فالصَّلاحُ ليسَ صِفَةً مُستَقِلَّةً عن الحُكمِ الإلهِيِّ الذي تَتَتَبَّعُهُ الآلِهَةُ؛ بَل إنَّ حُكمَ الآلِهَةِ هوَ ما يُحَدِّدُ: أصالِحٌ الفِعلُ أم غَيرُ صالِحٍ؟

وبِنيَةُ هذهِ المَسألَةِ اليوطيفرونِيَّةِ مُشاكِلَةٌ لِمُشكِلَةِ العَلاقَةِ بينَ الصِّدقِ وقابلِيَّةِ التَّقريرِ المُسَوَّغَةِ في الخِطاباتِ التي يَكونانِ فيها مُتَساوِيَي الامتِدادِ. فالذي تَذهَبُ إليهِ مُقارَبَةُ القيمَةِ الظّاهرِيَّةِ:

3. أنَّهُ لِكَونِ جُمَلٍ مُعَيَّنَةٍ (في الخِطابِ المَعنِيِّ) صادِقَةً، تَكونُ قابِلَةً لِلتَّقريرِ على نَحوٍ مُسَوَّغٍ.

في حينِ أنَّ الأدنَوِيِّينَ يَعتَقِدونَ:

4. أنَّهُ لِكَونِ جُمَلٍ مُعَيَّنَةٍ قابِلَةً لِلتَّقريرِ على نَحوٍ مُسَوَّغٍ، تَكونُ (في الخِطابِ المَعنِيِّ) صادِقَةً.

ولْنَنظُرْ في الحالَةِ المَذكورَةِ آنِفًا التي تكونُ فيها الحَقائقُ الأخلاقِيَّةُ مُحَدَّدَةً بِالأوامِرِ الإلهِيَّةِ وقَد نَظَّمَ اللهُ العالَمَ بِحَيثُ تكونُ جَميعُ الحَقائقِ الأخلاقِيَّةِ (ومِن ثَمَّ جَميعُ الحَقائقِ ذَواتِ الصِّلَةِ المُتعلِّقَةِ بِأوامِرِهِ) مُتاحَةً مِن حيثُ المبدَأُ لِلبَشَرِ. ويَستَتبِعُ هذا أنَّ النَّتائجَ التي يُوَلِّدُها التَّطبيقُ الأمثَلُ لِلمَعاييرِ ذاتِ الصِّلَةِ ستَكونُ مُوافِقَةً لِلحَقائقِ الأخلاقِيَّةِ. لكِن مِن الواضِحِ أنَّ تَصَوُّرَ القيمَةِ الظّاهريَّةِ لِلصِّدقِ الأخلاقِيِّ مُفَضَّلٌ

على التَّصَوُّرِ الأدنَوِيِّ لَهُ؛ ذلكَ بِأَنَّ ما تُفيدُهُ الحالَةُ المَذكورَةُ هوَ أَنَّ السَّببَ الوَحيدَ لإمكانِ العِلمِ بِالحَقائقِ الأخلاقِيَّةِ هوَ أنّا مَحظوظونَ بِما فيهِ الكِفايَةُ لِكَونِ اللهِ قَد نَظَّمَ العالَمَ على وَفقِ مَصالِحِنا المَعرِفِيَّةِ.

وإذا ما عُدْنا إلى الخِطابِ الدِّينِيِّ فَسَنَجِدُ أَوَّلًا أَنَّ بِالإمكانِ رُؤيَةَ أَنَّ الدَّورَ الكَونِيَّ لِلحَقائقِ والصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ يَزدادُ سَعَةً مِن خِلالِ العَلاقَةِ التَّفسيرِيَّةِ التي يُمكِنُ أن تَرتَبِطَ مِن خِلالِها بِالاعتِقاداتِ الأخلاقِيَّةِ. وليسَ على المَرءِ أن يُؤَيِّدَ نظرِيَّةَ الأمرِ الإلهِيِّ أو إحدى بَديلاتِها لِيَرَى أَنَّ الصِّفاتِ الإلهِيَّةَ - وهيَ في هذهِ الحالَةِ إرادَةُ اللهِ، وأَوامِرُهُ، وأَغراضُهُ - يُمكِنُ استِعمالُها لِلكشفِ عَن سببِ كَونِ عِباراتٍ تَقريرِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ صادِقَةً. ويُقَوِّي هذا الاعتِراضَ على الأدنَوِيَّةِ المَذكورَ في الفَصلِ السّابِقِ. والأمرُ الثّاني أَنَّهُ ما دامَتْ ثَمَّةَ حَقائقُ دينِيَّةٌ مُتَعالِيَةٌ على الدَّليلِ، فلا يَحتاجُ التَّضادُّ اليوطيفرونيُّ إلى أن يَكونَ حاضِرًا في تَأييدِ الصِّدقِ الدِّينِيِّ المَتينِ. لكِن حتّى لَو كانَ الصِّدقُ [148] مُساوِيًا في الامتِدادِ لِقابِلِيَّةِ التَّقريرِ المُسَوَّغَةِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ، ما كانَ هذا لِيَنفَعَ الأدنَوِيِّينَ، لأَنَّ بِالإمكانِ أن تَكونَ ثَمَّةَ حَقائقُ دينِيَّةٌ لا يُمكِنُ العِلمُ بِها حتّى لَو لَم يُوجَدْ أَيٌّ منها. فزِيادَةً على الدَّورِ الكَونِيِّ الواسِعِ، يُقَدِّمُ التَّعالي على الدَّليلِ جانِبًا ثانِيًا لا تُقبَلُ فيهِ أُطروحَةُ الصِّدقِ الأدنَوِيَّةُ.

خاتِمَة

إذا كُنْتُ في القِسمِ الأَوَّلِ قَد ذَهَبْتُ إلى وُجودِ أَسبابٍ مُقنِعَةٍ لِتَعديلِ نظرِيَّةِ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ لإتاحَةِ المَجالِ لِلمُكَوِّنِ المَعرِفِيِّ، فإنِّي لا أَجِدُ أَسبابًا تَضطَرُّني إلى التَّفكيرِ في أَنَّ نظرِيَّةَ القيمَةِ الظّاهِرِيَّةِ لِلصِّدقِ الدِّينِيِّ مُخطِئَةٌ أو ناقِصَةٌ. إذ إنَّ التَّقليدَ الفِتغِنشتايِنِيَّ لِتَحليلِ الصِّدقِ الدِّينِيِّ وما يَرتَبِطُ بِهِ مِن المَفاهيمِ مِن زاوِيَةِ مَعاييرِ التَّسويغِ الدّاخِلِيَّةِ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ غَيرُ قادِرٍ على تَقديمِ تَفسيرٍ لإمكانِ الصِّدقِ الدِّينِيِّ المُتَعالي على الدَّليلِ أو لِلدَّورِ التَّفسيرِيِّ لِلحَقائقِ والصِّفاتِ الدِّينِيَّةِ. [149]

القِسمُ الثّالِث

الخِطابُ الدِّينِيّ

12

مُقَدِّمَة

لِنَفتَرِضْ أَنّا نُقِرُّ بِتَأويلٍ ظاهريِّ القيمَةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ وكذلكَ بِأُطروحَةٍ ظاهريَّةِ القيمَةِ لِلصِّدقِ في اللُّغَةِ والخِطابِ الدِّينِيَّيْنِ. فبِذلكَ تُمَثِّلُ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ حَقائقَ دينِيَّةً، ويُفهَمُ صِدقُها على نَحوٍ مَتينٍ على أَنَّهُ يَعتَمِدُ على هذهِ الحَقائقِ. وتَبقى مَسأَلَةٌ أُخرَى هيَ الكيفِيَّةُ التي يَنبَغي أن نَفهَمَ بِها *استِعمالَ* الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ. فالمَضمونُ الدَّلالِيُّ أو القَضَويُّ لِلجُملَةِ وشُروطُ صِدقِها شَيْءٌ، والمَعلوماتُ التي تُستَعمَلُ الجُملَةُ لإيصالِها شَيْءٌ آخَرُ. ولا شَكَّ في أنَّ مُقارَبَةَ القيمَةِ الظّاهريَّةِ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ ستَسمَحُ بِوُجودِ كَثيرٍ مِن الحالاتِ التي لا يُوصِلُ فيها قَولُ الجُملَةِ مَضمونَها القَضَويَّ. ووُجودُ أقوالٍ كهذهِ واضِحٌ. مِثالُ ذلكَ أَنَّ الأَقوالَ الثَّلاثَةَ الآتِيَةَ تَستَخدِمُ استِعاراتٍ لا يَتَوَخّى المُتَكلِّمونَ بِها في العادَةِ إيصالَ مَضامينِها الحَرفِيَّةِ الصّارِمَةِ ولا يَفهَمُ المُستَمِعونَ لَها أَنَّها تُوصِلُها:

1. اللهُ مَحَبَّةٌ*.
2. الرَّبُّ راعِيَّ**.
3. أنا الطَّريقُ، والحَقُّ، والحَياةُ***.

---

* رِسالَةُ يوحنّا الأولى 4: 8. [المُتَرجِم]

** المزمورُ 23: 22. [المُتَرجِم]

*** يوحنّا 14: 6. [المُتَرجِم]

وستَحتاجُ مُقارَبَةُ القيمَةِ الظّاهريَّةِ كذلكَ إلى تَكييفِ حالاتِ السُّخرِيَةِ والمُبالَغَةِ والتَّخَيُّلِ وغَيرِها مِن الحالاتِ الكَلامِيَّةِ اللاحَرفِيَّةِ، حَيثُ يَكونُ المَضمونُ القَضَويُّ لِما يُقالُ غَيرَ مُماثِلٍ لِما يُوصَلُ. ففي هذهِ الجَوانِبِ، يَكونُ الخِطابُ الدِّينِيُّ كغَيرِهِ مِن مِساحاتِ الخِطابِ (الوَصفِيِّ) التي يَكونُ فيها بِإمكانِ المُتَكلِّمِينَ مُمارَسَةُ حَديثٍ لاحَرفِيٍّ.

على أنَّ الأُمورَ تُصبِحُ أكثَرَ إثارَةً لِلاهتِمامِ وأكثَرَ جَدَلِيَّةً حينَ نكونُ مَعنِيِّينَ بِأقوالٍ تَبدو واضِحَةَ الحَرفِيَّةِ. فَلْنَنظُرْ في النَّماذِجِ الآتِيَةِ: [153]

4. خَلَقَ اللهُ العالَمَ.

5. مُؤَلِّفو الكِتابِ المُقَدَّسِ أَلهَمَهُم الرُّوحُ القُدُسُ.

6. اللهُ كُلِّيُّ القُدرَةِ.

فبِوُسعِنا تَصَوُّرُ السِّياقاتِ التي تَعني فيها هذهِ الأقوالُ مَعنًى غَيرَ حَرفِيٍّ؛ فالقَولُ (5) يُمكِنُ أن يَقولَهُ مُستَهزِئًا مُتَشَكِّكٌ دينِيٌّ، على سبيلِ المِثالِ، يَرمي بِهِ إلى إيصالِ فِكرَةِ أنَّ المُؤَلِّفِينَ لَم يُلهَمُوا إلهامًا إلهِيًّا. على أنَّهُ في غِيابِ السِّياقِ الذي يَكونُ فيهِ القَولُ اللاحَرفِيُّ مُلائمًا، مِن المُتَوَقَّعِ استِنادًا إلى القيمَةِ الظّاهريَّةِ أن تَكونَ الأقوالُ (4) و(5) و(6) تَقريراتٍ حَرفِيَّةً إذا أَطلَقَها المُؤمِنُ بِإخلاصٍ فإنَّها تُعَبِّرُ عن إيمانِ المُتكلِّمِ بالقَضايا المُقَرَّرَةِ. ويُنازِعُ في هذا التَّأويلِ الظّاهرِيِّ القيمَةِ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ *التَّخَيُّلِيُّونَ الهِرمِنيوطيقِيُّونَ* *hermeneutic fictionalists*، الذينَ يَذهَبونَ إلى أنَّ الأقوالَ الدِّينِيَّةَ لا تُقَرِّرُ مَضمونَها القَضَوِيَّ تَقريرًا حَرفِيًّا. وسأُقَدِّمُ مِهادَ هذا الخِلافِ ثُمَّ أشرَحُ المَذهَبَ التَّخَيُّلِيَّ بِمَزيدٍ مِن التَّفصيلِ.

القِياسُ التَّمثيلِيُّ والاستِعارَة

إنَّ نَوعَي الخِطابِ اللاحَرفِيِّ الرَّئيسَيْنِ اللَّذَيْنِ عُدّا ذَوَيْ أهمِّيَّةٍ خاصَّةٍ في الدِّينِ هُما القِياسُ التَّمثيلِيُّ والاستِعارَةُ. ويَرجِعُ القِياسُ التَّمثيلِيُّ إلى استِعمالِ تَعبيراتٍ

تَرِدُ في السِّياقَيْنِ الدِّينيِّ واللادينيِّ كِلَيْهما. مِثالُ ذلكَ التَّعبيراتُ 'صالِحٌ' و'حَكيمٌ' و'قَويٌّ' حينَ تُستَعمَلُ في سِياقاتٍ اعتِياديَّةٍ لِلحَديثِ عن النّاسِ. أفَيَكونُ لِهذهِ التَّعبيراتِ المَعنى نَفسُهُ حينَ تُستَعمَلُ لِلحَديثِ عن اللهِ، أم يَكونُ استِعمالُها على طَريقَةِ القِياسِ التَّمثيلِيِّ: أيُعمَدُ إلى مَعناها 'المِعيارِيِّ' الذي يَرتَبِطُ بِها حينَ تُستَعمَلُ لِلحَديثِ عن الأشياءِ الدُّنيَويَّةِ فيُعَدَّلُ بِطريقَةٍ مّا حينَ تُستَعمَلُ لِلحَديثِ عن اللهِ؟ وقَد شَهِدَتْ مُناقَشَةُ القِياسِ التَّمثيلِيِّ الدِّينِيِّ نَشاطًا مَخصوصًا في اللاهوتِ الوَسيطِيِّ المُبَكِّرِ، وكانَ الأكوينِيُّ نَصيرًا رائدًا لِلمُعالَجَةِ القِياسِيَّةِ التَّمثيلِيَّةِ لِلمَحمولاتِ الدِّينِيَّةِ[1]. وتَجَدَّدَ الاهتِمامُ بِالقِياسِ التَّمثيلِيِّ في مُنتَصَفِ القَرنِ العِشرينَ لَدَى فَلاسِفَةِ الدِّينِ مِثلِ إيان رامزي Ian Ramsey* (1957) وإ.م. كرومبي I.M. Crombie**، وإن كانَ اهتِمامُهُم بِمَعنَى التَّعبيراتِ القِياسِيَّةِ التَّمثيلِيَّةِ أقَلَّ وبِالسِّياقاتِ والعَمَلِيّاتِ السّايكولوجِيَّةِ المُتَضَمَّنَةِ في إدراكِ مَعنَى التَّعبيراتِ القِياسِيَّةِ التَّمثيلِيَّةِ أكبَرَ. وقَدَّمَ رِتشارد سونبيرن تَحليلًا مُفَصَّلًا لِلقِياسِ التَّمثيلِيِّ سَنَنظُرُ فيهِ في سِياقِ مُقارنَتِهِ بِالاستِعارَةِ في الفَصلِ 13. وفي السَّنَواتِ الأخيرَةِ،

(1) لِلوُقوفِ على مُعالَجَةٍ تَاريخِيَّةٍ وفَلسَفِيَّةٍ مُفَصَّلَةٍ لِنظريَّةِ الأكوينِيِّ في القِياسِ التَّمثيلِيِّ تَتَبَّعُ ارتِباطاتِها بِنظريَّةِ أرسطو، يُنظَر: روجَر م. وايت Roger M. White (2010). ويَنظُرُ وايت أيضًا في أفكارٍ لاحِقَةٍ تتعلَّقُ بِالقِياسِ التَّمثيلِيِّ في الدِّينِ في كِتاباتِ كارل بارث Karl Barth وإيمانويل كانْت Immanuel Kant.

* إيان توماس رامزي (1915-1972م). أسقُفٌ أنجليكانِيٌّ، وأكاديمِيٌّ بريطانِيٌّ. كانَ أستاذَ فَلسَفَةِ الدِّينِ في جامِعَةِ أوكسفورد، وأسقُفَ دُرَم مِن عام 1966 إلى عام 1972 وهوَ عامُ وَفاتِهِ. كَتَبَ بِتَوَسُّعٍ في مُشكِلَةِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، والأخلاقِ المسيحِيَّةِ، والعَلاقَةِ بَينَ العِلمِ والدِّينِ، والدِّفاعِ عَن العَقائدِ المسيحِيَّةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (التَّجريبِيَّةُ المَسيحِيَّة)؛ و(النَّماذِجُ والغُموضُ)؛ و(اللُّغَةُ الدِّينِيَّةُ: وَضعٌ تَجريبِيٌّ لِلعِباراتِ اللاهوتِيَّة). [المُتَرجِم]

** إيان مكاتي كرومبي (1917-2010م). فَيلَسوفٌ بريطانِيٌّ. كانَ زَميلًا ومُدَرِّسًا في كُلِّيَّةِ وادم في جامِعَةِ أوكسفورد بَينَ عامَيْ 1947 و1983. اكتَسَبَ شُهرَتَهُ في خَمسينِيّاتِ القَرنِ العِشرينَ بِمَقالِهِ الذي عُنوانُهُ 'إمكانُ العِباراتِ اللاهوتِيَّة'، عَلى أنَّ رائعَتَهُ كانَتْ كِتابَهُ الذي ألَّفَهُ في جُزأيْنِ (فَحصٌ لِمَذاهِبِ أفلاطون) والذي استَخدَمَ فيهِ أدَواتِ الفَلسَفَةِ التَّحليلِيَّةِ لِتَقديمِ بَيانٍ مُلهِمٍ وواضِحٍ لِفِكرِ أفلاطون. [المُتَرجِم]

وَجَّهَ البَحثُ مَزيدًا مِن الاهتِمامِ إلى الاستِعاراتِ الدِّينِيَّةِ. ولَهَجَ اللاهوتِيُّونَ طَويلًا بِذِكرِ أهمِّيَّةِ الاستِعارَةِ، ولا سِيَّما سالي مكفَيْغ Sallie Mcfague* (1983) التي قَدَّمَتْ أوسَعَ مُعالَجَةٍ لَها، أمّا في حَقلِ فَلسَفَةِ الدِّينِ فقد أَسهَمَ في مُناقَشَتِها كُلٌّ مِن وِلـيَم أولستن (1989, chs. 1, 2)، وجانيت سوسكِس Janet Soskice** (1985)، وأنطوني كيني Anthony Kenny*** (2005)، ورِتشارد سوِنبيرن (1991b, ch. 3; 1993, chs. 4, 5). [154]

فَما العَلاقَةُ بينَ القِياسِ التَّمثيلِيِّ والاستِعارَةِ الدِّينِيَّيْنِ؟ قد قَدَّمْتُهُما على أنَّهُما نَوعانِ مِن الاستِعمالِ اللاحَرفِيِّ لِلُّغَةِ حينَ يُتَحَدَّثُ عن اللهِ (أو عن أُمورٍ دينِيَّةٍ أُخرَى)، حَيثُ عادَةً مّا يُقصَدُ بِما يُوصَلُ أن يَكونَ مُختَلِفًا عَمّا يُقالُ ويُفهَمُ على هذا النَّحوِ. وتَذهَبُ هذهِ المُقارَبَةُ إلى أنَّ المَعلوماتِ التي تُوصَلُ لا تُقرِّرُها المَعاني العُرفِيَّةُ لِلكلماتِ التي يَستَعمِلُها المُتكلِّمُ - كما هيَ حالَةُ الأقوالِ (4) و(5) و(6) عَلى ما يَبدو - بَل تَحتاجُ إلى أن يُتَوَصَّلَ إليها مِن المَعلوماتِ السِّياقِيَّةِ. فَالقِياسُ التَّمثيلِيُّ والاستِعارَةُ نَتيجَتانِ لِكَيفِيَّةِ *استِعمالِنا* لِلُّغَةِ في سِياقاتٍ مَخصوصَةٍ. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ شَخصًا مّا قالَ:

---

* سالي مكفَيْغ (1933-...م). لاهوتِيَّةٌ مَسيحِيَّةٌ نِسوِيَّةٌ أمريكِيَّةٌ. أكثَرُ ما تُعرَفُ بِهِ تَحليلُها لِلكَيفِيَّةِ التي تَكمُنُ بِها الاستِعارَةُ في قَلبِ الكَيفِيَّةِ التي يُمكِنُ أن نَتَحَدَّثَ بِها عَن اللهِ، وقَد طَبَّقَتْ هذهِ المُقارَبَةَ بِخاصَّةٍ عَلى القَضايا البيئِيَّةِ. مِن مُؤَلَّفاتِها: (الأدَبُ والحَياةُ المسيحِيَّةُ)؛ و(اللاهوتُ الاستِعارِيُّ: نَماذِجُ اللهِ في اللُّغَةِ الدِّينِيَّة)؛ و(التَّحَدُّثُ بِالأمثالِ: دِراسَةٌ في الاستِعارَةِ واللاهوت). [المُتَرجِم]

** جانيت مارتِن سوسكِس (1951-...م). لاهوتِيَّةٌ كاثوليكِيَّةٌ، وفَيلَسوفَةٌ كَنَدِيَّةُ الأصلِ. أُستاذَةُ اللاهوتِ الفَلسَفِيِّ وزَميلَةُ كُلِّيَّةِ يَسوعَ في جامِعَةِ كيمبرِج. عُنِيَتْ كِتاباتُها بِدَورِ المرأةِ في المسيحِيَّةِ، وبِاللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، وبِالعَلاقَةِ بَينَ العِلمِ والدِّينِ. مِن مُؤَلَّفاتِها: (الاستِعارَةُ واللُّغَةُ الدِّينِيَّة)؛ و(الخَلقُ وإلهُ إبراهيم)؛ و(النِّسوِيَّةُ واللاهوت). [المُتَرجِم]

*** أنطوني جون باترِك كيني (1931-...م). فَيلَسوفٌ إنجليزِيٌّ. تكمُنُ اهتِماماتُهُ في فَلسَفَةِ العَقلِ، والفَلسَفَةِ القَديمَةِ والسكولائِيَّةِ، وفَلسَفَةِ فِتغِنشتاين، وفَلسَفَةِ الدِّينِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الفِعلُ، والعاطِفَةُ، والإرادَة)؛ و(الطَّرائقُ الخَمسُ: بَراهينُ القِدِّيسِ توما الأكوينِيِّ عَلى وُجودِ الله)؛ و(الإلهُ المجهولُ: مَقالاتٌ لاأدرِيَّة). [المُتَرجِم]

7. اللهُ صَخرَتي.

فَلِلتَّوَصُّلِ إلى ما يُوصِلُهُ المُتَكَلِّمُ، نَحتاجُ إلى أن يَكونَ لَدَينا عِلمٌ أو افتِراضاتٌ بِشَأنِ سِياقِ القَولِ، ويَدخُلُ في ذلكَ مَقاصِدُ المُتَكلِّمِ، لِلتَّوَصُّلِ إلى الجَوانِبِ التي يُدَّعَى فيها أنَّ اللهَ يُشبِهُ الصَّخرَةَ أو التي لا يُدَّعَى فيها ذلكَ. وعلى هذا الأساسِ يُمكِنُ النَّظَرُ إلى القِياسِ التَّمثيلِيِّ والاستِعارَةِ كِلَيْهِما على أنَّهما نَوعانِ لِعَمليَّةٍ لُغَوِيَّةٍ واحِدَةٍ تَحدُثُ حينَ نُؤَوِّلُ الأقوالَ التي تَجمَعُ الكلماتِ مَعًا بِطَرائقَ تُوحي بِأنَّها تُستَعمَلُ استِعمالًا غَيرَ عُرفِيٍّ. وما بينَهُما مِن اختِلافٍ إنَّما هوَ اختِلافٌ في الدَّرَجَةِ. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ إذا نُظِرَ إلى القَولِ (1) على أنَّهُ يَستَعمِلُ 'المَحَبَّة' استِعمالًا قِياسِيًّا تَمثيلِيًّا، فسَيَكونُ ثَمَّةَ اشتِراكٌ كَبيرٌ بينَ مَعنَى الاستِعمالِ القِياسِيِّ التَّمثيلِيِّ والاستِعمالِ الحَرفِيِّ لِـ 'المَحَبَّة'. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، يَقتَضي مَعنَى 'الصَّخرَة' في القَولِ (7) تَغييرًا أكثَرَ جَوهَرِيَّةً في مَضمونِهِ الحَرفِيِّ. فالمَعنَى المِعيارِيُّ لِـ'الصَّخرَة' بِوَصفِها مادَّةً لاعُضوِيَّةً صُلبَةً مُكَوِّنَةً لِجُزءٍ مِن الأرضِ مُستَبعَدٌ كُلِّيًّا مِن المَضمونِ المُوصَلِ؛ والذي يَقصِدُهُ المُتَكلِّمُ، بَدَلًا مِن ذلكَ، هوَ نَقلُ فِكرَةِ أنَّ اللهَ يُمِدُّنا بِأساسٍ رُوحِيٍّ وعاطِفِيٍّ.

على أنَّ ثَمَّةَ طريقَةً مُختلِفَةً لِلتَّفكيرِ في القِياسِ التَّمثيلِيِّ الدِّينِيِّ لا يَكونُ القِياسُ التَّمثيلِيُّ على وَفقِها مُتَعَلِّقًا *بِاستِعمالِ* كَلِماتٍ ذَواتِ مَعانٍ عُرفِيَّةٍ؛ بَل تَكونُ لِلكَلِماتِ المُستَعمَلَةِ لِوَصفِ اللهِ مَعانٍ قِياسِيَّةٌ تَمثيلِيَّةٌ ثانَوِيَّةٌ تُتَمِّمُ مَعانِيَها الدُّنيَوِيَّةَ. فالتَّعبيرُ 'صالِحٌ'، على سبيلِ المِثالِ، قَد يُنظَرُ إليهِ على أنَّ لَهُ مَعنَيَيْنِ مُتَعالِقَيْنِ لِكِنَّهُما مُتَمايِزانِ، عادَةً مّا يُستَعمَلُ أحَدُهُما في الحَديثِ عن اللهِ ويُستَعمَلُ الآخَرُ عندَ الحَديثِ عن النّاسِ، والأفعالِ، والأمورِ اللادينِيَّةِ. ولَو صَحَّ ذلكَ لَكانَ التَّعبيرُ 'صالِحٌ' والتَّعبيراتُ القِياسِيَّةُ التَّمثيلِيَّةُ الأخرَى المُستَعمَلَةُ في حَقِّ اللهِ مُلبِسَةً لأنَّ لِكُلٍّ مِنها (في أقَلِّ تَقديرٍ) مَعنَيَيْنِ. ثُمَّ إنَّهُ لَو صَحَّ ذلكَ لَكانَ الحَديثُ القِياسِيُّ التَّمثيلِيُّ عن اللهِ حَرفِيًّا، ولَكانَ المَوضِعُ الأمثَلُ لِمُناقَشَةِ القِياسِ التَّمثيلِيِّ ورُبَّما الاستِعارَةِ أيضًا في جُزءٍ أسبَقَ في كِتابِنا هذا بَدَلًا مِن عَدِّهِ جُزءًا مِن بَحثٍ في

الخِطابِ الدّينِيّ. بيدَ أنّ هذهِ المُقارَبَةَ لِلقِياسِ التّمثيلِيّ تَقودُ إلى عَدَدٍ مِن المُشكِلاتِ. ذلكَ بِأنّهُ إذا جازَ لَنا أن نَقولَ إنّ لِكلمةِ 'صالِح' [155] مَعنًى دينِيًّا ومَعنًى لادينِيًّا، فَلِمَ لا نُوَسّعُ العَدَدَ لِيَشمَلَ جَميعَ التّمييزاتِ التي نُنشِئُها عندَ استِعمالِ هذا التّعبيرِ؟ فصَلاحُ اللهِ قَد يَكونُ مُختلِفًا عن صَلاحِ النّاسِ، ولكِنّهُ مُختلِفٌ أيضًا، على سبيلِ المِثالِ، عن صَلاحِ السّياسَةِ الاجتِماعِيّةِ، وعن صَلاحِ الإجابَةِ الامتِحانِيّةِ، وعن صَلاحِ مُباراةِ كُرَةِ القَدَمِ، وما إلى ذلكَ. فالذي يَبدو أنّهُ لَن تَكونَ ثَمّةَ نِهايَةٌ لِتَكاثُرِ المَعاني المُختلِفَةِ لِلكلمةِ. وهذا ما يُوَلّدُ مُشكِلَةَ كَيفِيّةِ إمكانِ أن يتعلّمَ المُتكلّمونَ كَلِماتٍ نَحوَ 'صالِح' و'حَكيم' و'قَوِيّ' إن كانَ لَها هذا العَدَدُ الكَبيرُ مِن المَعاني المُختلِفَةِ المُرتَبِطَةِ بِها. على أنّ هذهِ المُشكِلَةَ لَن تُثارَ إن كانَ لِهذهِ التّعبيراتِ مَعنًى عُرفِيٌّ واحِدٌ يُمكِنُ أن يَستَعمِلَهُ المُتكلّمونَ والمُستَمِعونَ معَ المَعلوماتِ المُتعلّقَةِ بِالسّياقِ الذي تُستَعمَلُ فيهِ مِن أجلِ التّوَصّلِ إلى حَقيقَةِ ما يَتَضَمّنُهُ القَولُ.

ولِتَأويلِ القِياسِ التّمثيلِيّ على أنّهُ خَصيصَةٌ مُمَيّزَةٌ لِلخِطابِ الدّينِيّ لا لِلّغَةِ الدّينِيّةِ مَزِيّةٌ إضافِيّةٌ هيَ مُعالَجَةُ مُشكِلَةٍ أُخرَى مُختلِفَةٍ. فالذي يَبدو أنّ مَعنَى التّعبيرِ القِياسِيّ التّمثيلِيّ في الدّينِ يَنبَغي أن يَكونَ مُتَطَفّلًا على مَعناهُ المِعيارِيّ غَيرِ القِياسِيّ التّمثيلِيّ. وبِالضّدّ مِن ذلكَ، لا يُوجَدُ سَبَبٌ لافتِراضِ أنّ المَعانِيَ المُختلِفَةَ لِلتّعبيرِ يَنبَغي أن تَكونَ بَينَها عَلاقَةٌ مّا غَيرُ الحَقيقَةِ التّاريخِيّةِ التي مُفادُها أنّ الكَلِمَةَ الواحِدَةَ أصبَحَت تَعني شَيئَيْنِ مُختَلِفَيْنِ. فلِكلِمَةِ 'bank'، على سبيلِ المِثالِ، مَعنَيانِ – مُؤَسّسَةٌ مالِيّةٌ تُثَمّرُ النّقودَ، وأرضٌ مُنحَدِرَةٌ بِاتّجاهِ نَهرٍ أو بُحَيرَةٍ – لا يَرتَبِطانِ إلّا في كَونِهِما تابِعَيْنِ لِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ. لكِن يَبدو أنّ مَعنَى 'حَكيم' أو 'صالِح' عندَ وَصفِ اللهِ وعَلى العُمومِ عندَ استِخدامِ تَعبيرٍ مّا في الدّينِ بِطريقَةِ القِياسِ التّمثيلِيّ يَنبَغي أن يَكونَ ذا صِلَةٍ وَثيقَةٍ بِمَعناهُ الدُّنيَوِيّ. فإن يَكُنِ القِياسُ التّمثيلِيّ مَعنًى مُختَلِفًا لِلتّعبيرِ، فالذي يَبدو أنّهُ لَن يَكونَ ثَمّةَ تفسيرٌ جَيّدٌ لِهذهِ العَلاقَةِ الوَثيقَةِ. على أنّهُ إن يَكُنِ القِياسُ التّمثيلِيّ نتيجَةً لِضَمّ المَعلوماتِ المُتعلّقَةِ بِالمَعنَى الدُّنيَوِيّ لِلتّعبيرِ إلى المَعلوماتِ المُتعلّقَةِ بِسِياقِهِ، فإنّ ذلكَ يَستَبقي الصّلَةَ بينَ المَعنَى القِياسِيّ التّمثيلِيّ والمَعنَى الدُّنيَوِيّ.

وسيَتضَمَّنُ الفَصلُ 13 بَحثًا مُطوَّلًا في النَّظريَّةِ التي مُفادُها أنَّ الاستِعارَةَ يَنبَغي أن تُؤوَّلَ على أنَّها مَعنًى مُتضَمَّنٌ يُوصِلُهُ المُتَكَلِّمُ، والتي قَد تَكونُ أشهَرَ نَظَرِيَّةٍ حَديثَةٍ لِلاستِعارَةِ، وسيتضَمَّنُ كذلكَ بَحثَ الخِياراتِ البَديلَةِ لَها. لكِن ما المُوجِبُ لِتَوجيهِ اهتِمامٍ خاصٍّ إلى الاستِعارَةِ في اللُّغَةِ *الدِّينِيَّةِ*؟ فالاستِعاراتُ شائعَةٌ أيضًا في الجَمالِيّاتِ وفي الكَلامِ الأدَبِيِّ، والهَزلِيِّ، والسِّياسِيِّ، وغالِبًا مَا تُوجَدُ أيضًا في تَعبيراتِ النَّظريّاتِ العِلمِيَّةِ. فهَل يَنبَغي أن تُدرَجَ المَسائلُ المُتعلِّقَةُ بِالاستِعارَةِ *الدِّينِيَّةِ* - ماذا تَعني، وكَيفَ تَختَلِفُ عن الأقوالِ الحَرفِيَّةِ، وهَل يُمكِنُ أن تُعادَ صِياغَتُها حَرفِيًّا، وما إلى ذلكَ - في المَسائلِ المُتَعلِّقَةِ بِالاستِعارَةِ عُمومًا التي تُثارُ في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ؟ إلى حَدٍّ مَّا يُمكِنُ القَولُ إنَّ هذا صَحيحٌ، إذ [156] لا يَنبَغي لَنا أن نتوَقَّعَ ابتِعادَ الأُطروحَةِ المُتعلِّقَةِ بِحَقيقَةِ الاستِعارَةِ الدِّينِيَّةِ عن الأُطروحَةِ المُتعلِّقَةِ بِاستِعاراتِ ذَواتِ مَوضوعاتٍ مُختَلِفَةٍ. على أنَّ ثَمَّةَ عَدَدًا مِن فَلاسِفَةِ الدِّينِ واللاهوتِيِّينَ قَد رَأَوا أن لا وُجودَ لِحَقائقَ حَرفِيَّةٍ تَتَعلَّقُ بِاللهِ وأنَّ الجُمَلَ الصّادِقَةَ الوَحيدَةَ التي تَتَعلَّقُ بِاللهِ *استِعارِيَّةٌ على نَحوٍ لارَدِّيٍّ*. وغالِبًا مَا يُصَرَّحُ بِهذهِ النَّظريَّةِ (أو بِما يُشبِهُها) أو يُحالُ عليها، ولا سِيَّما في المُناقَشاتِ اللاهوتِيَّةِ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، وقَد يَكونُ ما ذَهَبَ إليهِ تيليش Tillich* (1989) مِن أنَّ اللُّغَةَ الدِّينِيَّةَ رَمزِيَّةٌ تَعبيرًا مُبَكِّرًا عن وِجهَةِ النَّظَرِ هذهِ، لكِن قَلَّما نَقِفُ على صِيغَةٍ مُحَدَّدَةٍ لِهذا المَذهَبِ(2). ويُلحَظُ أنَّ وِليَم أولستن، النّاقِدَ الرَّئيسَ لِهذهِ النَّظريَّةِ،

---

* بول يوهانس أوسكار تيليش (1886-1965م). فَيلَسوفٌ ولاهوتِيٌّ ألمانِيٌّ، يُعَدُّ مِن أعظَمِ فَلاسِفَةِ المسيحيَّةِ في القَرنِ العشرينَ ومِن مُؤَسِّسِي الأنطولوجيا المعاصِرَةِ. حَصَلَ عَلى شَهادَةِ الدُّكتوراه في الفَلسَفَةِ عامَ 1911 عَن أُطروحَتِهِ في تَطويرِ فَلسَفَةِ شيلنغ مِن جامِعَةِ بريسلاو، ورُسِمَ قِسِّيسًا عامَ 1912. دَرَّسَ اللاهوتَ في جامِعَةِ برلين بينَ عامَيْ 1919 و1924، وفي جامِعَةِ ماربورغ بينَ عامَيْ 1924 و1925، وفي جامِعَتَي درِسدِن لِلتِّقانَةِ ولايبزغ بينَ عامَيْ 1925 و1929، ثُمَّ في جامِعَةِ فرانكفورت بينَ عامَيْ 1929 و1933، حَتّى هاجَرَ إلى الولاياتِ المتَّحِدَةِ الأمريكيَّةِ بَعدَ أن طَرَدَهُ النّازيُّونَ عامَ 1933، وصارَ أُستاذًا في المعهَدِ اللاهوتيِّ في نيويورك. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (اللاهوتُ النِّظامِيّ)؛ و(الشَّجاعَةُ مِن أجلِ الوُجود)؛ و(بَواعِثُ الإيمان). [المُتَرجِم]

(2) يُنظَرُ أيضًا: Jüngel (1974), Sarot (1992).

قَد عَرَضَ أكثَرَ صِيَغِها إقناعًا. فقد ذَكَرَ أولستن (1989, pp. 17-19) أنَّ ما تُقَرِّرُهُ نَظريَّةُ اللاردِّيَّةِ irreducibility theory (IT) هوَ:

> أنَّ الاستِعاراتِ الدِّينِيَّةَ هيَ الوَسيلَةُ الوَحيدَةُ لِتَقريرِ الحَقائقِ المُتعلِّقَةِ باللهِ، وأنَّ مَضمونَ القَولِ الاستِعارِيِّ المُتعلِّقِ باللهِ لا يُمكِنُ أن يُقَرَّرَ، ولَو جُزئيًّا، تَقريرًا حَرفيًّا.

وما تَخلُصُ إليهِ نَظريَّةُ اللاردِّيَّةِ هوَ أنَّ أيَّ تَقريرٍ حَرفِيٍّ لِحيازَةِ اللهِ صِفَةً مُعَيَّنَةً سيَكونُ كاذِبًا. بيدَ أنَّ أولستن يَرَى أنَّ مَن يُؤَيِّدُ نَظريَّةَ اللاردِّيَّةِ إنَّما يُؤَوِّلُ بُوضوحِ الدَّعاوَى الحَرفِيَّةَ التي تتعلَّقُ باللهِ، كالأقوالِ (4) و(5) و(6)، على أنَّها استِعارِيَّةٌ. وسَنَنظُرُ في التَّقريراتِ الفَلسفِيَّةِ واللاهوتِيَّةِ لِنَظريَّةِ اللاردِّيَّةِ التي اضطَلَعَ بها أنطوني كيني وسالي مكفَيْغ في الفَصلِ اللاحِقِ وسنَرَى أنَّهُما يتبنَّيانِ نَظريَّةً أشَدَّ حتّى مِن نَظريَّةِ اللاردِّيَّةِ: أنَّ جَميعَ ما يُتَحَدَّثُ بِهِ عن اللهِ استِعارِيٌّ على نَحوٍ لاردِّيٍّ، بِصَرفِ النَّظَرِ عن كَونِهِ صادِقًا أو كاذِبًا. وسَنَنظُرُ أيضًا في اعتِراضاتِ أولستن على نَظريَّةِ اللاردِّيَّةِ ونُطَوِّرُ اعتِراضًا جَديدًا على هذهِ النَّظريَّةِ يَقومُ على صُعوبَةِ إيجادِ نظريَّةٍ لِلاستِعارَةِ يُمكِنُ بِمُوجبِها أن تُعطَى نَظريَّةُ اللاردِّيَّةِ صيغَةً مُقنِعَةً.

التَّخيُّلِيَّة

يُمكِنُ أن تُفهَمَ نَظريَّةُ اللاردِّيَّةِ على أنَّها نَوعٌ مِن *التَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقِيَّةِ*. ويَنظُرُ التَّخَيُّلِيُّونَ الهِرمِنيوطِيقِيُّونَ الدِّينِيُّونَ إلى الجُمَلِ الدِّينِيَّةِ مِن مَنظورِ القيمَةِ الظّاهرِيَّةِ لكِنَّهُم يَذهَبونَ إلى المُتَكَلِّمينَ لا يُقَرِّرُونَ بِقَولِهِم هذهِ الجُمَلَ صِدقَ المَضمونِ القَضَوِيِّ لِلجُملَةِ المَقولَةِ. ويُعَبِّرُ بَعضُ التَّخَيُّلِيِّينَ عن ذلكَ تَعبيرًا مُختَلِفًا، بِقَولِهِم إنَّ المُتَكَلِّمينَ يَكونونَ مُمارِسينَ لِفِعلٍ مُغايِرٍ هوَ شِبهُ تَقريرٍ. فشِبهُ التَّقريرِ فِعلٌ كَلامِيٌّ لَهُ مَظهَرُ التَّقريرِ - هوَ قَولُ جُملَةٍ دِينِيَّةٍ إخبارِيَّةٍ - لكِنَّهُ لا يُقَرِّرُ القَضِيَّةَ المُعَبَّرَ عنها.

وتَعتَمِدُ تَفصيلاتُ شِبهِ التَّقريرِ على نَوعِ التَّخَيُّلِيَّةِ المُقتَرَحَةِ، وقَد اقتُرِحَتْ لِذلكَ مَجموعَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ مِن الخِياراتِ(3). إذ يتضَمَّنُ شِبهُ التَّقريرِ أحيانًا تَقريرَ شَيْءٍ مّا غَيرِ [157] المَضمونِ القَضَويِّ لِلجُملَةِ المَقولَةِ. فقد يَذهَبُ التَّخَيُّلِيُّونَ في مَجالِ الرِّياضِيّاتِ، على سبيلِ المِثالِ، إلى أنَّ الجُملَةَ الرِّياضِيَّةَ ر تُستَعمَلُ لِتَقريرِ أنَّ ر صادِقَةٌ *استِنادًا إلى الرِّياضِيّاتِ القِياسِيَّةِ*(4). وإلّا، فَقَد يَعني شِبهُ التَّقريرِ لِجُملَةٍ مّا *التَّظاهُرَ* بِتَقريرِها. وبِإمكانِنا أن نَرَى أنَّ هذا النَّوعَ الأخيرَ مِن التَّخَيُّلِيَّةِ المُتعلِّقَةِ بِمَقولاتِ المُمَثِّلِينَ عندَ أدائِهِم أدوارَهُم التَّمثيلِيَّةَ مَقبولٌ جِدًّا. فحينَ يَقولُ هَمفري بوغارت Humphrey Bogart*: 'أعتَقِدُ أنَّ هذِهِ بِدايَةُ صَداقَةٍ جَميلَةٍ'، يَبدو مَعقولًا حَملُ مَوقِفِهِ هذا على أنَّهُ يَتَظاهَرُ بِأنَّ ما يَقولُهُ صادِقٌ لا أنَّهُ يُقَرِّرُ صِدقَهُ (فَنحنُ لا نَحمِلُهُ على أنَّهُ مُخادِعٌ إن كانَ ما يَقولُهُ كاذِبًا). ويَعُدُّ التَّخَيُّلِيُّونَ شِبهَ التَّقريرِ في بَعضِ الأحيانِ لامَعرِفِيًّا. إذ يَرَى كالديرون Kalderon** (2005)، على سبيلِ المِثالِ، أنَّهُ إذا كانَتِ الجُمَلُ الأخلاقِيَّةُ تُعَبِّرُ عن قَضايا تتعلَّقُ بِحَقائقَ أخلاقِيَّةٍ (وهوَ ما يُمَثِّلُ رَفضًا لِلتَّعبيرِيَّةِ الأخلاقِيَّةِ)، فإنّا لا نُقَرِّرُ هذهِ القَضايا عندَ قَولِنا إيّاها، بَل نُعَبِّرُ عن حالاتٍ تَأثيرِيَّةٍ لامَعرِفِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ. ويُثيرُ ذلكَ مَسألَةَ حقيقَةِ الحالاتِ الذِّهنِيَّةِ التي يُعَبِّرُ عنها المُتكلِّمونَ حينَ يُنشِئونَ شِبهَ تَقريراتٍ ما دامَ المُتَكلِّمونَ، استِنادًا إلى هذهِ النَّماذِجِ لِلتَّخَيُّلِيَّةِ، لا يَعتَقِدونَ ما يَقولونَ على ما

---

(3) يُمكِنُ الوُقوفُ على مُراجَعَةٍ لأنماطٍ مُختلِفَةٍ مِن شِبهِ التَّقريرِ لَدَى كالديرون Kalderon (2005, pp. 119-129).

(4) يُنظَر: Field (1980). ويَقتَرِبُ يابلو Yablo (2002) كَثيرًا مِن تَبَنِّي التَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقيَّةِ في الرِّياضِيّاتِ.

* هَمفري بوغارت (1899–1957م). مُمَثِّلٌ سينمائيٌّ ومَسرَحِيٌّ أمريكيٌّ. أهَّلَتْهُ أدوارُهُ التَّمثيلِيَّةُ في عِدَّةِ أفلامٍ في عَهدِ هوليوود الكلاسيكيِّ لأن يَكونَ أيقونَةً ثَقافيَّةً. عَدَّهُ مَعهَدُ الفيلم الأمريكيِّ في عامِ 1999 أفضَلَ نَجمِ ذَكَرٍ لِلسِّينما الأمريكيَّةِ. [المُتَرجِم]

** مارك إيلاي كالديرون (1964–...م). فَيلَسوفٌ أمريكيٌّ. أستاذُ الفَلسَفَةِ في قِسمِ الفَلسَفَةِ في كلِّيَّةِ لَندَن الجامعيَّةِ. مَعروفٌ بِخِبرَتِهِ في فَلسَفَةِ اللَّونِ وفَلسَفَةِ الإدراكِ الحِسِّيِّ. مِن أعمالِهِ: (التَّعاطُفُ في الإدراكِ الحِسِّيِّ)؛ و(التَّخَيُّلِيَّةُ الأخلاقِيَّةُ)؛ و(التَّخَيُّلِيَّةُ في الميتافيزيقا). [المُتَرجِم]

يَبدو. وفي بَعضِ الأحيانِ يُطلَقُ على الحالَةِ الذِّهنِيَّةِ التي يُعَبِّرُ عنها شِبهُ التَّقريرِ اسمُ *القَبولِ* *acceptance*. وقَد يَكونُ القَبولُ اعتِقادًا لكِنَّهُ عادَةً مّا لا يَكونُ اعتِقادًا لِلمَضمونِ القَضَويِّ لِشِبهِ التَّقريرِ؛ بَل قَد يَكونُ اعتِقادَ أنَّ ما يُقالُ صادِقٌ استِنادًا إلى تَخَيُّلٍ أو استِنادًا إلى مَجموعَةِ افتِراضاتٍ مُسبَقَةٍ (لا يَلتَزِمُها المُتَكَلِّمُ). وفي حالاتٍ أُخرَى، كما في حالَةِ تَخَيُّلِيَّةِ كالديرون، يَكونُ القَبولُ مَوقِفًا لامَعرِفِيًّا.

ويُمكِنُنا، بِالعَودَةِ إلى نَظرِيَّةِ اللاأَدْرِيَّةِ، أن نَرَى أنَّها شَكلٌ مِن أشكالِ التَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقِيَّةِ. إذ يَرَى المُدافِعونَ عنها أنَّ التَّقريراتِ الواضِحَةَ المُتعلِّقَةَ بِاللهِ هِيَ في الحَقيقَةِ شِبهُ تَقريراتٍ: فهِيَ أقوالٌ استِعارِيَّةٌ لا تُعَبِّرُ عن اعتِقادٍ لِما يُقالُ حَرفِيًّا. وفي الفَصلِ 14، سأنظُرُ في ثَلاثَةِ أنواعٍ مِن التَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقِيَّةِ. يَعتَمِدُ أوَّلُها، وهوَ نظرِيَّةُ 'التَّسبيح praise' في الخِطابِ الدِّينِيِّ، على تَأويلٍ لِلّاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ تَقَدَّمَ بِهِ جان-لُوك ماريون، وقَد مَرَّ بَيانُ خُطوطِهِ العامَّةِ في الفَصلِ 2. ويُطَوِّرُ ثانيها نظرِيَّةً لِجورج رَي Georges Rey* مُفادُها أنَّ المُتَدَيِّنينَ المُثَقَّفِينَ مَخدوعونَ ذاتِيًّا على نَحوٍ نِظامِيٍّ في ما يتعلَّقُ بِاعتِقاداتِهِم الدِّينِيَّةِ الواضِحَةِ. والذي أذهَبُ إليهِ هوَ أنَّ كِلتا هاتَيْنِ النَّظرِيَّتَيْنِ التَّخَيُّلِيَّتَيْنِ تُواجِهُ اعتِراضاتٍ يَصعُبُ تَجاوُزُها. على أنِّي سأختِمُ بِنُسخَةٍ جَديدَةٍ من التَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقِيَّةِ، هِيَ *التَّخَيُّلِيَّةُ المُتَواضِعَةُ*، التي أعتَقِدُ *أنَّها* ناجِحَةٌ. فالذي تَذهَبُ إليهِ التَّخَيُّلِيَّةُ المُتَواضِعَةُ هوَ أنَّ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةَ لا تَفي بِمُقتَضَياتِ المَعاييرِ التي تُشَكِّلُ التَّقريراتِ وأنَّها لِذلكَ أشباهُ تَقريراتٍ؛ ومعَ ذلكَ تُعَدُّ أشباهُ التَّقريراتِ الدِّينِيَّةُ تَعبيراتٍ نَمَطِيَّةً عن الاعتِقادِ الدِّينِيِّ. وسنَرَى أنَّ التَّخَيُّلِيَّةَ المُتَواضِعَةَ تُقَدِّمُ لِلتَّخَيُّلِيِّينَ انتِصارًا باهِظَ الثَّمَنِ تَمامًا: فَفي الوَقتِ الذي تُصَنِّفُ فيهِ هذهِ النَّظرِيَّةُ مِن النّاحِيَةِ

---

* جورج رَي (1935-...م). أُستاذُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ ميريلاند. يُناقِشُ كِتابُهُ (فَلسَفَةُ العَقلِ المُعاصِرَة) مَوضوعَ فَلسَفَةِ العَقلِ. ويَتَعَلَّقُ أحَدُ الجَوانِبِ الأساسِيَّةِ في عَرضِهِ بِالإقصائيَّةِ eliminativism أو الأداتِيَّةِ instrumentalism، ولا سِيَّما ما يتعلَّقُ بِالحالاتِ العَقلِيَّةِ التي نَعيها ذاتِيًّا مِن طَريقِ الاستِبطانِ. ورَي هوَ كذلكَ كاتِبُ المقالَةِ الحالِيَّةِ في فَلسَفَةِ العَقلِ في (الموسوعَة البريطانِيَّة). [المُتَرجِم]

الفَنّيّةِ على أنَّها شَكلٌ مِن أشكالِ التَّخَيُّليَّةِ، لا نَراها تَبتَعِدُ جَوهَريًا عن نَظريّةِ القيمَةِ الظّاهريَّةِ. [158]

والتَّخَيُّليَّةُ، شَأنُها شَأنُ كَثيرٍ مِن النَّظريّاتِ التي نَظَرْنا فيها في هذا الكِتابِ، لَها نُسخَةٌ تَعديليَّةٌ وأُخرَى لاتَعديليَّةٌ. فالتَّخَيُّليَّةُ الهِرمِنيوطيقيَّةُ، التي كُنّا نَنظُرُ فيها، هيَ النُّسخَةُ اللاتَعديليَّةُ؛ أمّا النُّسخَةُ التَّعديليَّةُ فتُسَمّى *التَّخَيُّليَّةَ الثَّوريَّةَ*. مِثالُ ذلكَ أنَّ شَبَكَةَ بَحرِ الإيمانِ، التي كانَ مَصدَرُ إلهامِها كِتاباتِ دون كيُوبِت والتي سَبَقَ ذِكرُها في الفَصلِ 1، يُمكِنُ فَهمُها على أنَّها تَخَيُّليَّةٌ ثَوريَّةٌ لأنَّها تُعَزِّزُ المُمارَساتِ المَسيحيَّةَ والانشِغالَ المُتَواصِلَ بِالخِطابِ الدِّينيِّ مِن غَيرِ اعتِقادٍ دينيٍّ. ويَعتَمِدُ روبِن ليبويديفِن Robin LePoidevin* على كِتاباتِ كيُوبِت في دِفاعِهِ أيضًا عن مَذهَبٍ مُشابِهٍ لِلتَّخَيُّليَّةِ الثَّوريَّةِ وإن كانَ يَرَى أنَّ الدَّعاوَى الدِّينيَّةَ يُمكِنُ أن تُنَمَّطَ في أُطروحَةٍ أداتيَّةٍ لِلنَّظريّاتِ 'بِوَصفِها لاوَصفيَّةً، لِتَكونَ مِن ثَمَّ لا صادِقَةً ولا كاذِبَةً' (1996, p. 108)، وهيَ صُورَةٌ تَبدو أشبَهَ بِصُورَةٍ جَذريَّةٍ لِنَظريَّةِ المَوقِفِ. وحَديثًا، رَأى بيتَر لِبتن Peter Lipton** (2007) أنَّ بِالإمكانِ أن يَكونَ المَرءُ مَشغولًا بِالدِّينِ مِثلَما قَد يَكونُ مُنغَمِسًا في التَّخَيُّلِ. وتَتَطَلَّعُ التَّخَيُّليَّةُ الثَّوريَّةُ إلى الاستِمرارِ في تَلَقّي المَنافِعِ الاجتِماعيَّةِ وغَيرِها مِن مَنافِعِ الارتِباطِ بِالدِّينِ مِن غَيرِ أن تَلتَزِمَ صِدقَهُ. وعلى الرَّغمِ مِن كَونِ هذهِ النَّظريّاتِ مُثيرَةً لِلاهتِمامِ، لَن أبتَعِدَ أكثَرَ في البَحثِ فيها لأنَّها لا تُخبِرُ في الحَقيقَةِ بِشَيْءٍ عن مَعنَى الأقوالِ الدِّينيَّةِ؛ بَل تَنصَحُ بِأن نُغَيِّرَ الخِطابَ الدِّينيَّ لِيَكونَ شِبهَ تَقريرٍ لِلأقوالِ لا تَقريرًا لَها. [159]

---

* روبِن ليبويديفِن (1962–...م). أُستاذُ الميتافيزيقا في جامِعَةِ ليدز. تَشمَلُ اهتِماماتُهُ الخاصَّةُ اللاأدريَّةَ، وفَلسَفَةَ الدِّينِ، والميتافيزيقا. نالَ شَهادَةَ الماجستير مِن جامِعَةِ أوكسفورد وشَهادَةَ الدُّكتوراه مِن جامِعَةِ كيمبرِج. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الدِّفاعُ عَن الإلحادِ: مَدخَلٌ إلى فَلسَفَةِ الدِّينِ)؛ و(رِحلاتٌ في أربَعَةِ أبعادٍ: لُغزا المكانِ والزَّمانِ)؛ و(صُوَرُ الزَّمَنِ: مَقالَةٌ في التَّمثيلِ الزَّمانيِّ). [المُتَرجِم]

** بيتَر لِبتن (1954–2007م). أُستاذُ فَلسَفَةِ العِلمِ ونَظَريَّةِ المَعرِفَةِ، ورَئيسُ قِسمِ التّاريخِ وفَلسَفَةِ العِلمِ في جامِعَةِ كيمبرِج إلى أن تُوُفِّيَ فَجأَةً عامَ 2007. يُمَيَّزُ بِأنَّهُ مِن الشَّخصيّاتِ المهِمَّةِ في العالَمِ في فَلسَفَةِ العِلمِ ونَظَريَّةِ المَعرِفَةِ. مِن مَقالاتِهِ المنشورَةِ: ('العِلمُ والدِّينُ: حَلُّ الانغِماسِ')؛ و('تاريخُ التَّجريبيَّةِ')؛ و('إحداثُ الفَرقِ'). [المُتَرجِم]

13

الاستِعارَةُ وَالقِياسُ التَّمثيلِيّ

ستَكونُ مُهِمَّةُ الأقسامِ اللاحِقَةِ تَقويمَ أُطروحَةِ اللارَدِّيَّةِ irreducibility thesis (IT) بِشَأنِ الاستِعارَةِ الدِّينِيَّةِ، لكِنْ قَبلَ ذلكَ نَحتاجُ إلى النَّظَرِ في حَقيقَةِ الاستِعارَةِ. فسأعمِدُ إلى مُراجَعَةِ أربَعِ نَظرِيّاتٍ رَئيسَةٍ (تَترابَطُ اثنَتانِ مِنها، هُما نظريَّةُ الاستِلزامِ لِجون سيرل والنَّظَرِيَّةُ التَّفاعُلِيَّةُ لِماكس بلاك Max Black*، تَرابُطًا وَثيقًا). وسنَرَى في التَّقويمِ اللاحِقِ لأُطروحَةِ اللارَدِّيَّةِ أنَّ مِن أهَمِّ الاعتِراضاتِ على هذهِ النَّظرِيَّةِ أنَّهُ لا يَبدو أنَّ ثَمَّةَ نظريَّةً مَقبولَةً لِلاستِعارَةِ يُمكِنُ الدِّفاعُ عن أُطروحَةِ اللارَدِّيَّةِ استِنادًا إليها.

نَظَرِيّاتُ الاستِعارَة

مِن المُفيدِ عندَ الخَوضِ في الخِلافِ الحَديثِ بِشَأنِ الاستِعارَةِ التَّنويهُ بِنظريَّةِ دونالد دَيْفِدسن Donald Davidson** البَسيطَةِ والأنيقَةِ. إذ تَذهَبُ أُطروحَةُ دَيْفِدسن إلى

---

* ماكس بلاك (1909–1988م). فَيلَسوفٌ بريطانيٌّ أمريكيٌّ. كانَ شَخصِيَّةً أساسيَّةً في الفَلسَفَةِ التَّحليلِيَّةِ في سَنَواتِ ما بَعدَ الحَربِ العالميَّةِ الثّانِيَةِ، وكانَتْ لَهُ إسهاماتٌ في فَلسَفَةِ اللُّغَةِ، وفَلسَفَةِ الرِّياضِيّاتِ والعِلمِ، وفَلسَفَةِ الفَنِّ، ونَشَرَ كذلكَ دِراساتٍ لِكِتاباتِ فَلاسِفَةٍ كفريجه. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (اللُّغَةُ والفَلسَفَةُ: دِراساتٌ في المَنهَجِ)؛ و(نَماذِجُ واستِعاراتٌ: دِراساتٌ في اللُّغَةِ والفَلسَفَةِ). [المُترجِم]

** دونالد هربرت دَيْفِدسن (1917–2003م). فَيلَسوفٌ أمريكيٌّ. كانَ أُستاذَ الفَلسَفَةِ في =

أنَّ 'الاستِعارَةَ لا تُخبِرُ بِشَيْءٍ وَراءَ مَعناها الحَرفِيِّ (وكَذلكَ لا يُخبِرُ مُنشِئُها بِشَيْءٍ، عندَ استِعمالِهِ الاستِعارَةَ، وَراءَ ما هوَ حَرفِيٌّ)' (2001b, p. 246). فدَيْفِدسن يَنفي أن تَعنِيَ الاستِعاراتُ أَيَّ شَيْءٍ يَختَلِفُ عن مَعانيها الحَرفِيَّةِ. فَما تُخبِرُ بِهِ الاستِعارَةُ إذَن - أنَّ اللهَ أبونا*، وأنَّ جُولييت هِيَ الشَّمسُ، وأنَّ الحُبَّ زَهرَةٌ**، وما إلى ذلكَ - هوَ ما تُخبِرُ بِهِ حَرفِيًّا. ثُمَّ إنَّهُ ما دامَ ما تُخبِرُ بِهِ الاستِعارَةُ عادَةً مّا يَكونُ بَيِّنَ الكَذِبِ (أو يَكونُ، على نَحوٍ أكثَرَ نُدرَةً، بَديهِيَّ الصِّدقِ كما في قَولِنا: 'لَيسَتِ الثَّورَةُ حَفلًا لِشُربِ الشّاي'***، وقَولِنا: 'لا إنسانَ جَزيرَةٌ')، فَعادَةً مّا تَكونُ الأقوالُ الاستِعارِيَّةُ بَيِّنَةَ الكَذِبِ. على أنَّ دَيْفِدسن لا يَرَى أنَّ اللُّغَةَ الاستِعارِيَّةَ لَيسَتْ سِوَى وَسيلَةٍ لإنشاءِ دَعاوَى بَيِّنَةِ الكَذِبِ. 'فبِإمكانِ الطُّرفَةِ أو الحُلمِ أو الاستِعارَةِ، كما هيَ الحالُ في الرَّسمِ أو الصَّدمَةِ في الرَّأسِ، جَعلُنا نُقَوِّمُ واقِعَةً مّا - لكِنَّ ذلكَ لا يَكونُ بِالرَّمزِ إلى الواقِعَةِ أو التَّعبيرِ عنها' (1978, p. 262). وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ الأقوالَ الاستِعارِيَّةَ ليسَ لَها مَعنًى استِعارِيٌّ خاصٌّ يُمَيِّزُها مِن الأقوالِ الحَرفِيَّةِ، تُقَدِّمُ الاستِعارَةُ لِسامِعِيها صُورَةً أو رَسمًا. مِثالُ ذلكَ مِن الأَمثِلَةِ الدِّينِيَّةِ [160] أنَّ الصُّورَةَ التي يُقَدِّمُها استِعمالُ قَولِنا: 'اللهُ أبونا' هيَ أنَّ اللهَ يُؤَدِّي دَورَ الأبِ لَنا. فَإذا كانَ في هذا الرَّسمِ ما قَد يَحُثُّنا على أن تَكونَ

= جامِعَةِ كالِفورنيا مِن عام 1981 إلى عام 2003، بَعدَ أن دَرَّسَ أيضًا في جامِعاتِ ستانفورد وروكفلر وبرنستون وشيكاغو. عُرِفَ بِعُمقِ فِكرِهِ وصُعوبَتِهِ، وكانَ لِكِتاباتِهِ تَأثيرٌ كَبيرٌ في عِدَّةِ مَجالاتٍ في الفَلسَفَةِ مُنذُ سِتِّينِيّاتِ القَرنِ العِشرينَ، ولا سِيَّما فَلسَفَةُ العَقلِ، وفَلسَفَةُ اللُّغَةِ، ونَظَرِيَّةُ الفِعلِ. وإذا كانَ دَيْفِدسن فَيلَسوفًا تَحليلِيًّا، وكانَ مُعظَمُ تَأثيرِهِ يَقَعُ في دائرَةِ الفَلسَفَةِ التَّحليلِيَّةِ، فإنَّ كِتاباتِهِ أثارَت الاهتِمامَ في الفَلسَفَةِ الأورُبِّيَّةِ أيضًا، وفي نَظَرِيَّةِ الأدَبِ خاصَّةً والمجالاتِ المُتَعَلِّقَةِ بها. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (عِلمُ دَلالَةِ اللُّغاتِ الطَّبيعِيَّة)؛ و(مَقالاتٌ في الأفعالِ والأحداث)؛ و(مُشكِلاتُ العَقلانِيَّة). [المُتَرجِم]

* يُنظَر: كورنثوس الأولى 8: 6. [المُتَرجِم]

** الحُبُّ زَهرَةٌ Love is a Rose: أُغنِيَةٌ كَتَبَها ولَحَّنَها المُغَنِّي الكَنَدِيُّ نيل يَنغ Neil Young (1945–...م). [المُتَرجِم]

*** استِعارَةٌ مُقتَبَسَةٌ، بِتَعديلٍ يَسيرٍ، مِن فِقرَةٍ تَرجِعُ إلى القائِدِ والسِّياسِيِّ الصِّينِيِّ ماو تسي-تونغ، جاءَ فيها قَولُهُ: 'لَيسَتِ الثَّورَةُ حَفلَ عَشاءٍ'. [المُتَرجِم]

لَنا أفكارٌ إضافِيَّةٌ - أنَّ اللهَ يَحمينا، ويُعنَى بِنا، وما إلى ذلكَ - فإنَّ ما يَرمي إليهِ دَيْفِدسن هوَ أنَّ هذهِ الأفكارَ لا تُشَكِّلُ جُزءًا مِن مَعنَى ما يَقولُهُ المُتكلِّمُ. فكُلُّ ما يُوصَلُ هوَ الدَّعوَى (الكاذِبَةُ) التي مُفادُها أنَّ اللهَ أبونا. وعلى العُمومِ، إذا احتُمِلَ أن تُسَبِّبَ الاستِعاراتُ أفكارًا إضافِيَّةً لَدَى مَن يُواجِهونَها، فإنَّ هذهِ الأفكارَ لَيسَتْ جُزءًا مِن مَعناها. فالتَّأثيرُ الذي تُحدِثُهُ الاستِعارَةُ في مُتَلَقِّيها لا يُحَدِّدُهُ مَضمونُها بَل هُوَ أكثَرُ شَبَهًا بِظاهِرَةٍ سَبَبِيَّةٍ بدائيَّةٍ.

وقَد لَقِيَتِ الفِكرَةُ المُمَيِّزَةُ في نظرِيَّةِ دَيْفِدسن التي مُفادُها أنَّ الاستِعارَةَ كالرَّسمِ تَطويرًا مُفيدًا على يَدِ صاموئيل غوتِنبلان Samuel Guttenplan* (2005). فهوَ يَرَى أنَّ دَيْفِدسن إنَّما يَذهَبُ إلى أنَّ الاستِعارَةَ 'تُشبِهُ وَضعَ صُورَةٍ فوتوغرافيَّةٍ أمامَنا؛ فهيَ تَحُثُّنا على أن تَكونَ لَنا أفكارٌ مُختَلِفَةٌ وعلى أن نُكَوِّنَ اعتِقاداتٍ مُختلِفَةً، لكِن لا شَيْءَ مِن ذلكَ يَعتَمِدُ اعتِمادًا أساسِيًّا على إدراكِ مَقاصِدِ [المُتَكَلِّمِ] ' (2005, p. 13). ويَعتَمِدُ غوتِنبلان على مِثالٍ أورَدَهُ غرايس Grice يُفَرِّقُ بينَ طَريقَتَيْنِ قَد يُحدِثُ بِهِما شَخصٌ مّا هوَ س اعتِقادًا لَدَى شَخصٍ آخَرَ هوَ ص مُفادُهُ أنَّ قَرينَ ص خائنٌ. أمّا إحدَى الطَّريقَتَيْنِ فأن يُظهِرَ س لِـ ص صُورَةً فوتوغرافيَّةً لِقَرينِ ص وهوَ يُعانِقُ شَخصًا آخَرَ؛ وأمّا الطَّريقَةُ الأُخرَى فأن يَرسُمَ س رَسمًا تَخطيطِيًّا لِقَرينِ ص يُظهِرُهُ وهوَ في حالَةِ العِناقِ. فإذا احتُمِلَ أن يَدفَعَ كُلٌّ مِن الصُّورَةِ الفوتوغرافيَّةِ والرَّسمِ ص إلى التَّفكيرِ في أنَّ قَرينَهُ خائنٌ، فإنَّ الحالَةَ الثّانِيَةَ، على ما يَذهَبُ إليهِ غرايس، هيَ وَحدَها التي تُفيدُ أنَّ س يُخبِرُ ص بِأنَّ قَرينَ ص خائنٌ، لأنَّها وَحدَها التي يَعتَمِدُ فيها ص على تَقويمٍ لِمَقاصِدِ س. فَـ ص يَعتَمِدُ على فَهمٍ لِما يَقصِدُهُ س مِن أجلِ أن يَستَدِلَّ على

* صاموئيل د. غوتِنبلان (1944-...م). أستاذُ فَلسَفَةٍ أمريكِيٌّ في جامِعَةِ لَندَن. مَجالاتُ اهتِمامِهِ هيَ فَلسَفَةُ العَقلِ، وفَلسَفَةُ اللُّغَةِ، والمنطِقُ الفَلسَفِيُّ، وعِلمُ الأخلاقِ. ويَدورُ جهدُهُ البَحثِيُّ الحاليُّ حولَ أُصولِ الفِكرِ التَّصَوُّرِيِّ البَشَرِيِّ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (العَقلُ واللُّغَة)؛ و(لُغَةُ المَنطِقِ: مَدخَلٌ إلى المنطِقِ الصُّورِيّ)؛ و(أغراضُ الاستِعارَة). [المُترجِم]

هُويَّةِ مَن تُمَثِّلُهُ الشَّخصِيَّةُ المَرسومَةُ رَسمًا تَخطيطِيًّا، ويَعلَمَ أنَّ المقصودَ بِالرَّسمِ التَّخطيطِيِّ أمرٌ جادٌّ لا مُجَرَّدُ دُعابَةٍ تَفتَقِرُ إلى الذَّوقِ السَّليمِ، وما إلى ذلكَ. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، لا يَعتَمِدُ تَأويلُ ص لِلصُّورَةِ الفوتوغرافِيَّةِ على فَهمٍ لِما يَقصِدُهُ س أو حَتّى على أنَّ لِـ س أيَّ دَورٍ في الكَشفِ عن الصُّورَةِ الفوتوغرافِيَّةِ. فالرَّسمُ التَّخطيطِيُّ والصُّورَةُ الفوتوغرافِيَّةُ كِلاهُما نَمَطانِ مِن أنماطِ الرَّسمِ، بيدَ أنَّ النَّوعَ الثّانِيَ مِن الرَّسمِ هوَ ما عَمَدَ دَيْفِدسن إلى استِعمالِهِ في أُطروحَتِهِ لِلاستِعارَةِ، بِحَسَبِ ما يَرَى غوتنبلان. أي إنَّ الاستِعارَةَ تُؤَدِّي ما يُشبِهُ وَظيفَةَ الرَّسمِ بِإحداثِها اعتِقاداتٍ مُختَلِفَةً لا تَعتَمِدُ على تَقويمٍ لِمَقاصِدِ المُتَكَلِّمِ. فكَيفَ لَنا أن نَعرِفَ مَتَى يَنبَغي حَملُ القَولِ على أنَّهُ يَعرِضُ رَسمًا، لا على أنَّهُ مُجَرَّدُ قَولٍ كاذِبٍ (أو صادِقٍ صِدقًا بَديهِيًّا)؟ إجابَةُ دَيْفِدسن هيَ أنَّ وُضوحَ كَذِبِ الجُملَةِ (أو صِدقَها الجَلِيِّ) هوَ بِالتَّحديدِ ما يُظهِرُ أنَّ المُتَكَلِّمَ لا يَعتَقِدُ التَّقريرَ وأنَّ الجُملَةَ إنَّما تُستَعمَلُ استِعارِيًّا.

على أنَّ نظرِيَّةَ دَيْفِدسن غَيرُ مُقنِعَةٍ، على الرَّغمِ مِن كُلِّ ما لِبَساطَتِها مِن مَزايا. إذ يُقالُ أوَّلًا إنَّ المُقارَنَةَ بينَ الاستِعاراتِ والدُّعاباتِ تَبدو في غَيرِ مَحلِّها. فالدُّعابَةُ، التي يَرَى دَيْفِدسن أنَّها مُشابِهَةٌ [161] لاستِعمالِ الاستِعارَةِ، لا تتضَمَّنُ عملِيَّةً لُغَوِيَّةً تَمييزِيَّةً لِلتَّعبيراتِ المُكَوِّنَةِ المُتضَمَّنَةِ في الدُّعابَةِ. وقَد يَكونُ دَيْفِدسن مُحِقًّا في ما يَذهَبُ إليهِ مِن أنَّ تَأثيرَها في مُتَلَقِّيها يَنبَغي أن يُفهَمَ فَهمًا سَبَبِيًّا، وإنْ تَكُنِ العملِيَّةُ السَّبَبِيَّةُ أكثَرُ تَعقيدًا مِمّا اقتُرِحَ مِن مِثالِ صَدمَةِ الرَّأسِ. أمّا مَعنَى الاستِعارَةِ فَلَهُ عَلاقَةٌ على ما يَبدو بِمَضمونِ القَولِ الاستِعارِيِّ. مِثالُ ذلكَ أنَّ بِالإمكانِ أن يُسيءَ المَرءُ فَهمَ الاستِعارَةِ. فَالمَرءُ الذي يَحمِلُ دَعوَى أنَّ 'الله أبونا' على أنَّها تَعني أنَّ اللهَ غاضِبٌ، إنَّما يُسيءُ فَهمَها. فالذي يَبدو أنَّ مَرَدَّ إساءَةِ الفَهمِ إلى الإخفاقِ في إدراكِ مَعنَى القَولِ. وكذلكَ، بِإمكانِ المَرءِ أن يُوافِقَ على القَولِ الاستِعارِيِّ أو يُخالِفَهُ، أو يُنازِعَ فيهِ، أو يُناقِضَهُ. ويُمكِنُ القَولُ على العُمومِ إنَّ تَقويمَنا لِصِدقِ الاستِعارَةِ ولِصِحَّةِ تَأويلِنا لَها يَبدُوانِ مُقَيَّدَيْنِ، جُزئيًّا في أقَلِّ

تَقديرٍ، بِما تَعنيهِ الاستِعارَةُ. فنظريَّةُ دَيْفِدسن تَبدو عاجِزَةً عن تَوفيَةِ هذا الدَّليلِ حَقَّهُ.

فإذا عُلِمَ ما تُعانيهِ أُطروحَةُ دَيْفِدسن مِن مُشكِلاتٍ، فقد تَبدو النَّظريَّةُ التي تَعُدُّ مَعنى الاستِعارَةِ مُتَعلِّقًا بِمَضمونِها ذاتَ جاذِبِيَّةٍ. على أنَّهُ ليسَ بِإمكانِنا فَهمُ الاستِعارَةِ مِن طَريقِ المَضمونِ القَضَويِّ لِلقَولِ الاستِعاريِّ فَحَسْبُ لأنَّهُ، كما قَد رَأينا، كاذِبٌ كَذِبًا بَديهيًّا أو صادِقٌ صِدقًا بَديهيًّا. وتَذهَبُ النَّظريَّةُ التَّفاعُليَّةُ المُؤثِّرَةُ لِماكس بلاك إلى أنَّهُ لا بُدَّ مِن تَحليلٍ إضافِيٍّ لاستِخلاصِ مَعنى الاستِعارَةِ. ويَحتاجُ هذا التَّحليلُ بِخاصَّةٍ إلى مُراعاةِ 'التَّفاعُلِ' بينَ التَّعبيراتِ المُكَوِّنَةِ لِلاستِعارَةِ. فَفي قَولِنا: 'الإنسانُ ذِئبٌ'، على سبيلِ المِثالِ، يُنظَرُ إلى المَحمولِ 'ذِئب' على أنَّهُ يَستَصحِبُ مَعَهُ مَجموعَةً مِن الأفكارِ المُتَرابِطَةِ في عُقولِ المُتَكَلِّمِ والسّامِعِينَ تَخضَعُ لِعَمليَّةِ 'تَصفِيَةٍ' مِن خِلالِ سِماتٍ مُختَلِفَةٍ لِلمَوضوعِ 'الإنسان': 'فاستِعارَةُ الذِّئبِ تَتَكَتَّمُ على بَعضِ التَّفصيلاتِ، وتُشَدِّدُ على أُخرَى - إنَّها بِاختِصارٍ تُنَظِّمُ نَظرَتَنا إلى الإنسانِ' (Black 1962, p. 41). ونتيجَةُ هذهِ التَّصفِيَةِ إعطاءُ المَحمولِ مَعنًى جَديدًا. فبِالتَّفاعُلِ معَ أفكارِنا عن 'الإنسان' يَكتَسِبُ المَحمولُ 'ذِئبٌ' مَعنًى ثانَويًّا لا مِعياريًّا ولاحَرفيًّا.

ومِن الصُّعوباتِ التي تَعتَرِضُ طريقَ النَّظريَّةِ التَّفاعُليَّةِ الصُّعوبَةُ المُتعلِّقَةُ بِالعَلاقَةِ المُقتَرَحَةِ بينَ المَعاني الحَرفيَّةِ لِلجُمَلِ والمَعاني الاستِعاريَّةِ التي تُوَلِّدُها التَّفاعُلاتُ. إذ تَذهَبُ النَّظريَّةُ التَّفاعُليَّةُ إلى أنَّ بِالإمكانِ أن يُقرَنَ المَحمولُ في الاستِعاراتِ بِمَوضوعاتٍ مُختلِفَةٍ وأن يَكتَسِبَ ما لا حَصرَ لَهُ مِن المَعاني اللامِعياريَّةِ. لكِن إذا كانَ بِإمكانِ التَّعبيراتِ المُكَوِّنَةِ لِلاستِعارَةِ أن تتفاعَلَ لِتُوَلِّدَ عَدَدًا مِن المَعاني الاستِعاريَّةِ الجَديدَةِ، فكيفَ نَستَطيعُ تَفسيرَ الاعتِمادِ الواضِحِ لِمَعنى الاستِعارَةِ على مَعناها الحَرفِيِّ؟ فنَحنُ نَحتاجُ، على سبيلِ المِثالِ، إلى مَعرِفَةِ المَعنى الحَرفِيِّ لِكلِمَةِ 'أَب' لِفَهمِ استِعارَةِ 'اللهُ أبونا'، وعلى العُمومِ يَبدو أنَّ فَهمَ المَعنى الحَرفِيِّ لِتَعبيرِ المَحمولِ في الاستِعارَةِ ضَروريٌّ لإدراكِ [162] مَعنى الاستِعارَةِ. فالاستِعاراتُ تُضادُّ

العِباراتِ الاصطِلاحِيَّةَ مِن هذا الوَجهِ، إذ إنَّ مَعرفَةَ المَعنَى الحَرفِيِّ لِلألفاظِ المُكَوِّنَةِ لِلعِبارَةِ الاصطِلاحِيَّةِ عادَةً مّا تكونُ قَليلَةَ النَّفعِ في التَّوَصُّلِ إلى مَعناها. فمَعرِفَةُ مَعنَيي كلِمَتَي 'red الأحمَر' و'herring سَمَك الرّنغة'، على سبيلِ المِثالِ، لا تُعينُ على فَهمِ مَعنى 'red herring الشَّيء الذي يُرادُ بِهِ صَرفُ الانتِباهِ عَن المسألَةِ الحَقيقيَّةِ'؛ إذ يُمكِنُ أن يُعرَفَ مَعنَى الحالَةِ الأخيرَةِ مِن غَيرِ مَعرفَةِ مَعنَيي الحالَةِ السّابِقَةِ. لكِنّا لا نُدرِكُ مَعنَى استِعارَةِ 'جوليِيت هيَ الشَّمسُ' مِن غَيرِ فَهمِ المَعنَى الحَرفِيِّ لِـ 'الشَّمس'. واقتِراحُ أنَّ تَعبيرَ المَحمولِ في الاستِعارَةِ يَكتَسِبُ مَعنًى لاحَرفِيًّا مُختلِفًا لا يَبدو أنَّهُ قَد صيغَ صِياغَةً مُحكَمَةً لِتَفسيرِ الاعتِمادِ الواضِحِ لِمَعنَى الاستِعارَةِ على المَعنَى الحَرفِيِّ لِتَعبيراتِها المُكَوِّنَةِ لَها.

ومِن المُقتَرَحاتِ البَديلَةِ أنَّ الاستِعارَةَ يَنبَغي أن تُفهَمَ على أنَّها نَوعٌ مِن الكَلامِ غَيرِ المُباشِرِ يُقَدِّمُهُ ما تُوحي بِهِ الاستِعارَةُ أو تَستَلزِمُهُ. والمُقارَبَةُ المِعيارِيَّةُ هُنا تَستَعمِلُ النَّظرِيَّةَ الغرايسِيَّةَ لِلاستِلزامِ الحِوارِيِّ. فَالجُمَلُ الاستِعارِيَّةُ عادَةً مّا تُمَيَّزُ بِأنَّها كاذِبَةٌ كَذِبًا صَريحًا مُنتَهِكَةً بِذلكَ المَبدأَ الحِوارِيَّ الذي مُفادُهُ أنَّ الشَّخصَ لا يَنبَغي أن يَقولَ ما يَعتَقِدُ أنَّهُ كاذِبٌ. فكَسرُ القاعِدَةِ الحِوارِيَّةِ يَدُلُّ المُستَمِعِينَ على أنَّ المُتكَلِّمَ لا يَتَّبِعُ مُمارَسَةً لُغَوِيَّةً عُرفِيَّةً وأنَّهُ يَنوي إيصالَ شَيْءٍ آخَرَ غَيرِ ما يُقالُ. ولِلتَّوَصُّلِ إلى حَقيقَةِ ذلكَ، يَنبَغي النَّظَرُ إلى السِّياقِ الذي تُقَرَّرُ فيهِ الاستِعارَةُ. ويَذهَبُ جون سيرل إلى أنَّهُ:

> مِن أجلِ فَهمِ القَولِ الاستِعارِيِّ، يَحتاجُ المُستَمِعُ إلى ما هوَ أكثَرُ مِن مَعرِفَةِ اللُّغَةِ... إذ يَجِبُ أن تكونَ لَدَيهِ مَبادِئُ أُخرَى، أو مَعلوماتٌ واقِعِيَّةٌ أُخرَى، أو جَمعٌ بينَ المَبادِئِ والمَعلوماتِ الواقعيَّةِ يُمَكِّنُهُ مِن فَهمِ أنَّهُ إذا ما قالَ المُتَكَلِّمُ: 'س هوَ ص'، فإنَّهُ يَعني أنَّ 'س هو ع'. (1993, p. 89)

وتُشبِهُ نظرِيَّةُ سيرل لِلاستِعارَةِ الأُطروحَةَ الغرايسِيَّةَ لِلمُفارَقَةِ irony. فالشَّخصُ الذي يَقولُ: 'كانَ هذا مُمتِعًا'، بَعدَ أن يُسَبَّ مُباشَرَةً، لا يَقصِدُ ما يُقالُ حَرفِيًّا. ومَن لا

يَحمِلْ هذهِ الدَّعوَى على أنَّها مُفارَقَةٌ فسَوفَ يُخطِئُ المَقصودَ. ومِمّا يَنسَجِمُ معَ أعرافِ المُفارَقَةِ إدراكُ أنَّ الجُملَةَ لا يَنبَغي أن تُحمَلَ على قيمَتِها الظّاهريَّةِ. فالمُتَكلِّمُ إنَّما يُوصِلُ ضِدَّ ما يُقالُ، وهوَ أنَّ هذهِ التَّجرِبَةَ كانَتْ غيرَ سارَّةٍ وأنَّ الشَّخصَ الذي سَبَّبَهُ لم يَكُن مُمتِعًا. فكذلكَ، إذا امتلَكْنا ناصِيَةَ الأعرافِ التي تَحكُمُ الأقوالَ الاستِعاريَّةَ، استَطَعْنا تَأويلَ قَولِ القائلِ: 'جولييت هيَ الشَّمسُ' بِأنَّهُ يُوصِلُ شَيئًا آخَرَ غَيرَ ما يُقالُ حَرفِيًّا: أنَّ لِجولييت عَدَدًا مِن الصِّفاتِ، قَد يَكونُ مِنها 'أنَّها أساسِيَّةٌ لِحَياتي'(1). [163]

ويَبدو أنَّ أُطروحَةَ المَعنَى اللازِمِ هذهِ تُصَحِّحُ أُمورًا مُعَيَّنَةً. فهيَ، بِخِلافِ نظريَّةِ دَيفِدسن، تَسمَحُ بِوجودِ مَعاييرَ لِصِحَّةِ فَهمِنا مَعنَى الاستِعارَةِ. وهيَ، بِخِلافِ نظريَّةِ بلاك، تُوضِحُ العَلاقَةَ بينَ إدراكِنا المَعنَى الحَرفِيَّ لِلجُملَةِ والمَعنَى الاستِعاريَّ اللازِمَ الذي نُدرِكُهُ لاحِقًا عندَ مُراعاةِ السِّياقِ. على أنَّ هذهِ النَّظريَّةَ لا تَخلو مِن المُشكِلاتِ. فمِن الصُّعوباتِ الكَبيرَةِ التي تَكتَنِفُها أنَّها لا تُفَسِّرُ سِوَى عَدَدٍ مَحدودٍ مِن الأمثِلَةِ. فمِمّا يُعَدُّ أساسِيًّا لِلأنموذَجِ الغرايسِيِّ أن يَكونَ تَأويلُ الاستِعارَةِ عملِيَّةً ذاتَ مَرحَلَتَينِ. إذ نَبدَأُ بِفَهمِ مَضمونٍ أوَّلِيٍّ، وهوَ ما تُخبِرُ بِهِ الاستِعارَةُ إخبارًا حَرفِيًّا، ونُحَدِّدُ كَونَها صادِقَةً أو كاذِبَةً بِوُضوحٍ، ونتوَصَّلُ إلى ما تَعنيهِ الاستِعارَةُ حَقًّا مِن طَريقِ مَعلوماتٍ إضافِيَّةٍ تتعلَّقُ بِالمُمارَساتِ اللُّغَويَّةِ وسِياقِ القَولِ. وتَنشَأُ المُشكِلَةُ حينَ نتعامَلُ معَ جُمَلٍ ذَواتِ شَكلٍ أكثَرَ تَعقيدًا مِن جُملَةِ سيرل 'س هوَ ص'. فلا الجُملَةُ (1) التي قالَها مُحَمَّد عليّ* عَن

(1) لِلوُقوفِ على أُطروحَةٍ تُؤَوِّلُ الاستِعارَةَ بِأنَّها شَكلٌ مِن أشكالِ الكَلامِ غَيرِ المُباشِرِ لكِنَّها تَرفُضُ مُقارَنَةَ الاستِعارَةِ بِمَجازاتِ الكَلامِ كالمُفارَقَةِ، يُنظَر: Fogelin (1988).

* مُحَمَّد عَليّ كلاي (1942–2016م). مُلاكِمٌ أمريكِيٌّ. وُلِدَ بِاسمِ كاسيوس مارسيلوس كلاي الابنِ Cassius Marcellus Clay Jr في مَدينَةِ لويفيل بِولايَةِ كنتاكي، وتُوُفِّيَ بَعدَ صِراعٍ طَويلٍ مَعَ مَرَضِ شَلَلِ الرُّعاشِ (باركنسن). وُلِدَ لأُسرَةٍ أمريكِيَّةٍ سَوداءَ مِن الطَّبقَةِ المُتَوَسِّطَةِ، وكانَ والِدُهُ ميثودِيًّا، لكنَّ أُمَّهُ رَبَّتْهُ وأخاهُ عَلى المذهَبِ المعمَدانِيِّ، ثُمَّ دَخَلَ في الإسلامِ في عامِ 1964م وغَيَّرَ اسمَهُ إلى مُحَمَّد عَليّ دونَ اسمِهِ الأخيرِ (كلاي). فازَ بِبُطولَةِ العالَمِ لِلوَزنِ الثَّقيلِ ثَلاثَ مَرّاتٍ في أعوامِ 1964، و1974 و 1978، وفي عامِ 1999 تُوِّجَ بِلَقَبِ 'رِياضِيّ القَرن'. [المُتَرجِم]

جَو فرَيزر* Joe Frazier (White, 1986, p. 205)، على سبيلِ المِثالِ، ولا الجُملَةُ (2) تَبدُوانِ صادِقَتَيْنِ صِدقًا بَديهيًّا أو كاذِبَتَيْنِ كَذِبًا بَديهيًّا:

1. عَلَيهِم أن يَهَبُوا وَجهَهُ لِجَمعِيَّةِ الحَياةِ البَرِّيَّةِ.
2. لا يُمكِنُ بِناءُ أيِّ شَيْءٍ مُستَقيمٍ مِن الضِّلعِ الأعوَجِ الذي أُنشِئَ مِنهُ الإنسانُ.

فليسَ واضِحًا ما يَنبَغي إحرازُهُ لِتَكونَ هاتانِ الجُملَتانِ صادِقَتَيْنِ أو لِتَكونا كاذِبَتَيْنِ؛ إذ لا يَبدو أنَّهُما تُخبِرانِ بِأيِّ شَيْءٍ حَرفِيٍّ البَتَّةَ. لكِن إذا لَم يَكُن مِن المُمكِنِ أن يُحمَلَ هذانِ القَولانِ عَلى المَعنى الحَرفِيِّ، فَسَيَنهارُ أُنموذَجُ سيرل لِلاستِعارَةِ الذي يَقتَضي تَفريقًا بينَ ما تُخبِرُ بِهِ الاستِعارَةُ حَرفِيًّا وما تَستَلزِمُهُ.

وبِالإمكانِ إثارَةُ مُشكِلَةٍ أُخرَى بِشَأنِ أُطروحَةِ سيرل لِلاستِعارَةِ. فقد رَأَيْنا أنَّ نظرِيَّتَهُ تُفيدُ أنَّ فَهمَ الاستِعارَةِ عملِيَّةٌ ذاتُ مَرحَلَتَيْنِ تتضَمَّنُ إدراكَ المَعنى الحَرفِيِّ ثُمَّ استِخلاصَ المَعنَى الاستِعارِيِّ. على أنَّ هذهِ المُقارَبَةَ لا يَبدو أنَّها تُدرِكُ ما يَحدُثُ حينَ يَفهَمُ الشَّخصُ جُملَةً استِعارِيَّةً. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ شَخصًا مّا يَقولُ:

3. ابتَلَعَتْ ماكِنَةُ صَرفِ النُّقودِ الآلِيَّةُ بِطاقَتي الائتِمانِيَّةَ، ومَضَغَتْها، ولَفَظَتْها إلى الخارِجِ.

فَفي فَهمِنا هذا القَولَ، لا يَبدو أنّا نَمُرُّ بِعمليَّةِ تَحديدِ المَعنَى الحَرفِيِّ لِلجُملَةِ

---

* جوزيف وِليَم فريزر (1946–2011م). مُلاكِمٌ أمريكِيٌّ مَشهورٌ. وُلِدَ في بوفورت بكارولينا الجَنوبيَّةِ، وأصبَحَ مُلاكِمًا غَيرَ مُحتَرِفٍ. وفي عامِ 1964 فازَ بِالميداليةِ الذَّهَبيَّةِ لِلوَزنِ الثَّقيلِ في دَورَةِ الألعابِ الأولِمبيَّةِ بِطوكيو، ثُمَّ عادَ إلى الاحتِرافِ في عامِ 1965. وهوَ حامِلُ لَقَبِ بُطولَةِ مُلاكَمَةِ الوَزنِ الثَّقيلِ في العالَمِ مِن عامِ 1970 إلى عامِ 1973، وهو أوَّلُ مُلاكِمٍ مُحتَرِفٍ يَهزِمُ مُحَمَّد عليّ كلاي. أصبحَ في عامِ 1970 بَطَلَ العالَمِ بلا مُنازِعٍ بَعدَ أن انتَزَعَ مِن مُحَمَّد عليّ اللَّقَبَ. وفي عامِ 1974 تَحَدّى فرَيزر مُحَمَّد عليّ الذي استَعادَ اللَّقَبَ في مانيلا، واعتَزَلَ المُلاكَمَةَ في عامِ 1975. تُوُفِّيَ بِمَرَضِ سَرَطانِ الكَبِدِ. [المُتَرجِم]

(الذي هوَ غَيرُ واضِحٍ تَمامًا في هذهِ الحالَةِ) ثُمَّ استِنتاجِ المَعنَى الاستِعارِيِّ الثّانَوِيِّ. بَل إنّا نُدرِكُ بِلا تَفَكُّرٍ الكَيفِيَّةَ التي يَنبَغي أن تُفهَمَ بِها كلِماتُ 'ابتَلَعَتْ' و'مَضَغَتْ' و'لَفَظَتْ' في هذا السِّياقِ. [164]

وأختِمُ هذهِ المُراجَعَةَ لِنظريّاتِ الاستِعارَةِ بِعَرضِ المَذهَبِ السِّياقِيِّ. فعَلى الرَّغمِ مِن اختِلافِ مُناصِري السِّياقِيَّةِ بَعضِهِم عن بَعضٍ في تَفصيلاتٍ مُهِمَّةٍ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ مِن الشَّخصِيّاتِ القِيادِيَّةِ لِهذا المَذهَبِ ريكاناتي Recanati* (2001, 2004)، وسبيربر Sperber** وولسن Wilson*** (1986a, 1986b)، وكارستن Carston**** (2002). ومِمّا يُعَدُّ أمرًا مَركَزِيًّا في النَّظَرِيَّةِ السِّياقِيَّةِ لِلاستِعارَةِ الأُطروحَةُ المُتعلِّقَةُ بِنَوعِ المَعلوماتِ التي تُوصِلُها الاستِعارَةُ على نَحوٍ نَمَطِيٍّ. ومِن أجلِ إيضاحِ هذهِ الوِجهَةِ، سأبدأُ بِشَيْءٍ عن خَلفِيَّةِ المَعلوماتِ التي يَرَى السِّياقِيُّونَ

---

* فرانسوا ريكاناتي (1952–...م). فَيلَسوفٌ تَحليلِيٌّ فرنسِيٌّ. نالَ دَرَجَتَهُ في الفَلسَفَةِ عامَ 1974، ثُمَّ دَرَسَ لاحِقًا في جامِعَةِ أوكسفورد ومَدرَسَةِ الدِّراساتِ المُتَقَدِّمَةِ في العُلومِ الاجتِماعِيَّةِ، حَيثُ أصبَحَ مُحاضِرًا في مَجالَي اللِسانِيّاتِ التَّداوُلِيَّةِ وفَلسَفَةِ اللُّغَةِ بينَ عامَيْ 1975 و1990. دَرَّسَ في عِدَّةِ جامِعاتٍ أجنَبِيَّةٍ، مِنها جامِعاتُ كالِفورنيا، وباركلي، وهارفَرد، والقِدّيس أندروز. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الإحالَةُ المُباشِرَةُ: مِن اللُّغَةِ إلى الفِكر)؛ و(المَعنى الحَرفِيّ)؛ و(تَداوُلِيَّةُ شُروطِ الصِّدق). [المُتَرجِم]

** دان سبيربر (1942–...م). عالِمٌ اجتِماعِيٌّ ومَعرِفِيٌّ فرنسِيٌّ. أكثَرُ كِتاباتِهِ تَأثيرًا هيَ التي في حَقلَي الأنثروبولوجيا المَعرِفِيَّةِ والتَّداوُلِيَّةِ اللِسانِيَّةِ التي طَوَّرَ فيها مَعَ عالِمَةِ النَّفسِ البريطانِيَّةِ ديدري وِلسن نَظَرِيَّةَ الصِّلَةِ relevance theory. يَعمَلُ الآنَ في المركَزِ القَومِيِّ لِلبَحثِ العِلمِيِّ في باريس، وكانَ أستاذًا زائرًا في جامِعاتِ كيمبرج، ولندن، وبرنستون. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (في المَعرِفَةِ الأنثروبولوجيَّة)؛ و(تَفسيرُ الثَّقافَةِ: مُقارَبَةٌ طَبيعِيَّة)؛ و(المَعنى والصِّلَة). [المُتَرجِم]

*** ديدري وِلسن (1941–...م). لِسانِيَّةٌ وعالِمَةٌ مَعرِفِيَّةٌ بريطانِيَّةٌ. أُستاذَةُ اللِسانِيّاتِ في كُلِّيَّةِ لَندن الجامِعِيَّةِ. أكثَرُ كِتاباتِها تَأثيرًا هيَ التي في حَقلِ التَّداوُلِيَّةِ اللِسانِيَّةِ، ولا سِيَّما تَطويرُ نَظَرِيَّةِ الصِّلَةِ مَعَ الأنثروبولوجِيِّ الفرنسِيِّ دان سبيربر. مِن أعمالِها: (نَظَرِيَّةُ الصِّلَةِ في التَّواصُلِ والإدراك)؛ و(المَعنى والصِّلَة)؛ و("المَفاهيم"). [المُتَرجِم]

**** روبين آن كارستن. لِسانِيَّةٌ وأكاديمِيَّةٌ نيوزلندِيَّةٌ، مُتَخَصِّصَةٌ في التَّداوُلِيَّةِ، وعِلمِ الدَّلالَةِ، وفَلسَفَةِ اللُّغَةِ. وهيَ أُستاذَةُ اللِسانِيّاتِ في كُلِّيَّةِ لَندن الجامِعِيَّةِ مُنذُ عام 2005م. مِن مُؤَلَّفاتِها: (نَظَرِيَّةُ الصِّلَةِ: التَّطبيقاتُ والتَّأثيرات)؛ و(الأفكارُ والأقوالُ: تَداوُلِيَّةُ التَّواصُلِ الصَّريح). [المُتَرجِم]

أنَّ المَفاهيمَ تَنقُلُها، وأُتبِعُ ذلكَ تَعريفَ بَعضِ المُصطَلَحاتِ، ثُمَّ أُقَدِّمُ بَعدَ ذلكَ الفِكرَةَ الأساسِيَّةَ التي هيَ الكَلامُ الفَضفاضُ.

فالمَفاهيمُ الذَّرِّيَّةُ يُمكِنُ النَّظَرُ إليها على أنَّها تُوَفِّرُ ثَلاثَةَ أنماطٍ مِن المَعلوماتِ. أمّا النَّمَطُ الأوَّلُ فيُمَثِّلُهُ المَضمونُ المَنطقيُّ الذي يَكمُنُ في قَواعِدِ الاستِدلالِ واللَوازِمِ التَّحليلِيَّةِ لِلمَفهومِ. وأمّا النَّمَطُ الثّاني فتُمَثِّلُهُ المَعلوماتُ المَوسوعِيَّةُ أو العامَّةُ، التي تتضَمَّنُ افتِراضاتٍ شائعَةً، واعتِقاداتٍ ثَقافيَّةً مُتَبَنّاةً، وخِبراتٍ، ومُلاحَظاتٍ، وما إلى ذلكَ. وأمّا النَّمَطُ الثّالِثُ فتُمَثِّلُهُ الصِّفاتُ المُعجَمِيَّةُ التي هيَ الخَصائصُ الصَّوتِيَّةُ العامَّةُ، والصَّوتِيَّةُ الوَظيفِيَّةُ، والتَّركيبِيَّةُ، المُمَيِّزَةُ لِلشَّكلِ اللُّغَوِيِّ (وتُمَثِّلُ الكلمَةُ حالَتَهُ النَّمَطِيَّةَ) الذي يُشَفِّرُ المَفهومَ (Carston, 2002, p. 321). مِثالُ ذلكَ أنَّ لِلمَفهومِ قِطَّة CAT مَضمونًا مَنطقيًّا يَشتَمِلُ على قَواعِدَ استِدلالِيَّةٍ، نَحوِ أنَّ القِطَّةَ نَوعٌ مِن أنواعِ الحَيَوانِ، وعلى مَعلوماتٍ مَوسوعِيَّةٍ تتعلَّقُ بِالقِطَطِ - ماذا تُشبِهُ، وتَشريحِها، وسُلوكِها، ومَظهَرِها، وما إلى ذلكَ؛ ولَهُ أيضًا خَصائصُ مُمَيِّزَةٌ مُختلِفَةٌ نَحوِيَّةٌ وصَوتِيَّةٌ يُمَيِّزُ بِها النّاطِقُ بِالإنجليزِيَّةِ كلمَةَ 'cat (قِطَّة)'. ويُلحَظُ أنَّهُ لا يُشتَرَطُ أن تَحوزَ جَميعُ المَفاهيمِ المُكَوِّناتِ الثَّلاثَةَ كُلَّها: فالذي يَبدو أنَّ المَفهومَ أو OR، على سبيلِ المِثالِ، يَفتَقِرُ إلى المَدخَلِ المَوسوعِيِّ. ومِن الأفكارِ الأساسِيَّةِ في النَّظرِيَّةِ السِّياقِيَّةِ فِكرَةُ *المَفهومِ الخاصِّ*، التي يَنبَغي أن تُفهَمَ على النَّحوِ الآتي. فالمَفهومُ الخاصُّ هوَ المَفهومُ الذي يُعَدَّلُ في أثناءِ فَهمِ الجُملَةِ التي يَنتَمي إليها استِجابَةً لِسِياقِ هذهِ الجُملَةِ. أي إنَّ استِعمالَ المَرءِ لِمَفهومٍ مُشَفَّرٍ مُعجَمِيًّا - وهوَ مَفهومٌ نَملِكُ لَهُ كَلِمَةً - في سِياقٍ مُعَيَّنٍ يُمَكِّنُهُ مِن إيصالِ مَفهومٍ مُختَلِفٍ يُشارِكُ المَفهومَ المُشَفَّرَ في بَعضِ المَعلوماتِ المَنطقيَّةِ والمَوسوعيَّةِ. فهذا المَفهومُ الأخيرُ خاصٌّ لأنَّهُ قد وُلِّدَ تَوليدًا سَريعًا استِجابَةً لأماراتٍ مُختلِفَةٍ يُقَدِّمُها السِّياقُ[2].

---

(2) لِلوُقوفِ على مَزيدٍ مِن الكَلامِ على خَلفِيَّةِ ذلكَ ومَزيدٍ مِن التَّفصيلاتِ فيهِ، يُنظَر: Carston (2002), ch 5.

فَلْنَفتَرِضْ أنَّ مُتَكلِّمًا مّا يُريدُ إيصالَ مَجموعَةٍ مِن القَضايا هيَ ق1، وق2،...، وق ع، وجَميعُها قابِلَةٌ لِلاشتِقاقِ مَنطقيًا مِن الجُملَةِ ك أو تَستَلزِمُها الجُملَةُ ك معَ افتِراضاتٍ مَقبولَةٍ بِشَأنِ سِياقِ قَولِ ك. على أنَّ المُتكلِّمَ لا يَعتَقِدُ أنَّ ك صادِقَةٌ حَرفِيًا. وإن كانَ مُستَمِعو المُتَكلِّمِ في وَضعٍ يُتيحُ لَهُم تَعيينَ اللَوازِمِ ق1، وق2،...، وق ع، التي يُريدُ المُتكلِّمُ أن يَنقُلَها، فقد تَكونُ أكثَرُ الاستراتيجياتِ فَعّاليَّةً وإعلامِيَّةً مِمّا يُمكِنُ أن يَلجَأَ إليهِ المُتكلِّمُ هيَ تَقريرَ ك، ولَو كانَتْ ك، إذا ما حُمِلَتْ على مَعنًى حَرفِيٍّ صارِمٍ، غَيرَ دَقيقَةٍ. وفي هذهِ الحالَةِ، قَد يَختارُ الشَّخصُ تَقريرَ ك بِوَصفِهِ طَريقَةً أَقَلَّ مِن أن تَكونَ حَرفِيَّةً، أو طريقَةً فَضفاضَةً، لِلتَّعبيرِ عن [165] ق1، وق2،...، وق ع. وتُسَمّى هذهِ الظّاهِرَةُ *الكَلامَ الفَضفاضَ* (Sperber & Wilson, 1986b). فَلْنَفتَرِضْ، على سبيلِ المِثالِ، أنَّ مُتكلِّمًا مِمَّن يَعيشُونَ خارِجَ حُدودِ مدينَةِ باريس قَريبًا مِنها يَقولُ: 'أعيشُ في باريس'، مُتيحًا لِلسّامِعِ أن يَستَنتِجَ مِن قَولِهِ قَدْرًا كَبيرًا مِن المَعلوماتِ الصّادِقَةِ وذَواتِ الصِّلَةِ: أنَّ المُتكلِّمَ يُمضي وَقتَهُ في منطقَةِ باريس، وأنَّ لَهُ طِرازَ حَياةٍ حَضَريًا، وأنَّهُ يَعرِفُ باريس، وما إلى ذلكَ. فاستِعمالُ تَعبيرِ 'في باريس' بِفَضفاضِيَّةٍ قَد يَكونُ أكثَرَ الطَّرائقِ فَعّاليَّةً لإيصالِ هذهِ الوَقائعِ الأُخرَى ذَواتِ الصِّلَةِ. والكَلامُ الفَضفاضُ الذي على هذهِ الشّاكلَةِ شائعٌ نِسبيًا. ومِن أمثِلَتِهِ الأُخرَى:

4. الطَّعامُ نِيءٌ (حينَ يَكونُ قَد طُبِخَ طَبخًا غَيرَ تامٍّ).
5. كانَ البَيتُ صامِتًا (حينَ تَكونُ ثَمَّةَ ضَوضاءُ خَلفِيَّةٌ خَفيفَةٌ).
6. المَرجُ مُرَبَّعٌ (حينَ يَكونُ أَحَدُ أضلاعِهِ أطوَلَ قَليلًا مِن سائرِ الأضلاعِ).

ويُمكِنُ فَهمُ الكَلامِ الفَضفاضِ على أنَّهُ نَتيجَةٌ لِعَمَلِيَّةِ إرخاءٍ أو 'تَوسيعٍ لِلمَعنَى' (Carston, 2002; Recanati, 2001): إذ يُؤخَذُ المَحمولُ الذي تُعَبِّرُ عنهُ الدَّعوَى الفَضفاضَةُ فيُوَسَّعُ ماصَدَقُهُ تَبَعًا لِلسِّياقِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ معرِفَةَ المَعنَى اللُّغَويِّ لِكلمةِ 'المُرَبَّع' ومَعرِفَةَ ما يتعلَّقُ بِالمُروجِ تُمَكِّنانِ المُستَمِعَ مِن تَعديلِ المَضمونِ بِطَريقَةٍ مُلائمَةٍ لِلسِّياقِ. ويَكمُنُ ذلكَ في التَّخَفُّفِ مِن بَعضِ قَواعِدِ

المَفهومِ المُشَفَّرِ الذي هوَ المُرَبَّع. فالمَعلوماتُ المَنطقيَّةُ في هذا المَفهوم تَتضَمَّنُ أنَّ الأَضلاعَ الأَربَعةَ جَميعًا مُتَساوِيَةُ الطُّولِ تَمامًا وأَنَّ الزّاوِيَةَ الدّاخليَّةَ لِكُلِّ رُكنٍ 90 دَرَجَةً. فتُعَدَّلُ هاتانِ القاعِدَتانِ لِتُناسِبا السِّياقَ الذي نتحدَّثُ فيهِ عن أشكالِ المُروجِ. فَفي هذا السِّياقِ، يَكفي أن يَبدُوَ المَرجُ مُرَبَّعًا أو أن يَكونَ مُرَبَّعًا تَقريبًا لِيُعَدَّ مُرَبَّعًا. فالذي يَراهُ السِّياقِيُّونَ أنّا نَستَعمِلُ السِّياقَ في عمليَّةٍ تِلقائيَّةٍ تتضمَّنُ تَعديلَ المَفهومِ لِتُوَلِّدَ، في هذهِ الحالَةِ، مَفهومًا خاصًّا لِلمُرَبَّع*. فالكلامُ الفَضفاضُ يَحدُثُ 'كُلَّما أُسقِطَ مِن السِّياقِ شَرطٌ استِعماليٌّ يَنطَوي عليهِ المَفهومُ الذي يُعَبِّرُ عنهُ المَحمولُ تَعبيرًا حَرفِيًّا ' (Recanati, 2004, p. 26). فإذا ما عُدِّلَ المَفهومُ تَعديلًا مُناسِبًا فإنَّ بِإمكانِ الجُملَةِ أن تَنقُلَ أيضًا مَدَى مُمَيِّزًا مِن اللَوازِمِ. فالقَولُ (4)، وهوَ مِثالٌ آخَرُ، إذا قُرِّرَ في سِياقِ تَذَمُّرٍ مِن وَجبَةِ طَعامٍ قُدِّمَتْ في مَطعَمٍ، يَنقُلُ أنَّ الطَّعامَ لَم يُطبَخْ طَبخًا كافِيًا، وأَنَّهُ لا يُؤكَلُ، وأنَّهُ يَجِبُ أن تُستَبدَلَ بِهِ وَجبَةُ طَعامٍ أفضَلُ صُنعًا، وما إلى ذلكَ. فهذا القَولُ لا يَعني أنَّ الطَّعامَ نِيءٌ حَرفِيًّا.

فما العَونُ الذي يُقَدِّمُهُ الكَلامُ الفَضفاضُ إلى نظريَّةِ الاستِعارَةِ؟ الإجابَةُ التي يُقَدِّمُها المُقترَحُ السِّياقِيُّ هيَ أنَّ الاستِعارَةَ كَلامٌ فَضفاضٌ لكِنَّهُ يُؤخَذُ بِدَرَجَةٍ أكثَرَ فَضفاضِيَّةً مِمّا أُخِذَتْ بِهِ الأَمثِلَةُ التي نَظَرْنا فيها. فَلْنَأخُذِ القَولَ (3). فمَعرِفَةُ مَعنَى 'ابتَلَعَتْ'، و'مَضَغَتْ'، و'لَفَظَتْ'، ومعرِفَةُ ما تَفعَلُهُ ماكِناتُ صَرفِ النُّقودِ الآلِيَّةُ أَحيانًا، تُمَكِّنانِنا مِن التَّعديلِ بِتَوسيعِ المَفاهيمِ [166] ابتَلَعَتْ، ومَضَغَتْ، ولَفَظَتْ، إلى الوَضعِ المُتَحَدَّثِ عنهُ. وقَد يَبدو أنَّ هذا يَقودُ إلى المُشكِلَةِ الآتيَةِ. إذ يَجبَهُنا قَولُ: 'جُولييت هيَ الشَّمسُ' على أنَّهُ استِعارِيٌّ، في حينِ أنَّ الأَقوالَ (4) و(5) و(6) وغَيرَها مِن حالاتِ الكَلامِ الفَضفاضِ المَذكورَةِ آنِفًا تَبدو حَرفِيَّةً. فإن لَم تَكُنِ الاستِعاراتُ سِوَى نَوعٍ مِن الكَلامِ الفَضفاضِ، فَما الذي يُفَسِّرُ الصِّفَةَ المَجازِيَّةَ البَديهِيَّةَ لِلاستِعارَةِ؟ الذي يَراهُ ريكاناتي أَنَّهُ 'عندَ تَوسيعِ المَعنَى تُستَبعَدُ أَبعادُ المَعنَى التي تُضادُّ مُواصَفاتِ الهَدَفِ، لكِنَّها تَظَلُّ فَعّالَةً شَيئًا مّا وقَد تُوَلِّدُ شُعورًا بِالتَّعارُضِ.. ويَكونُ هذا الشُّعورُ والتَّعارُضُ المُضَمَّنُ فيهِ على دَرَجاتٍ...

فَوَراءَ عَتَبَةٍ مُعَيَّنَةٍ، ستُعَدُّ حالاتُ تَوسيعِ المَعنَى حالاتٍ خاصَّةً ' (Recanati, 2001, p. 272). فالاستِعارَةُ، بِحَسَبِ هذهِ الرُّؤيَةِ، ما هيَ إلّا كَلامٌ فَضفاضٌ يُوَلِّدُهُ الإرخاءُ (أو 'تَوسيعُ المَعنَى')، حَيثُ تَكونُ درجَةُ الانطِلاقِ مِن الاستِعمالِ الحَرفيّ لِلتَّعبيرِ لافِتَةً لِلنَّظَرِ على نَحوٍ مَخصوصٍ.

وتَتَجَنَّبُ النَّظريَّةُ السِّياقِيَّةُ لِلاستِعارَةِ بَعضَ المُشكِلاتِ التي وَقَعَتْ فيها أُطروحَةُ سيرل لأنَّ المَعنَى الاستِعارِيَّ ليسَ مَعنًى ثانَوِيًّا لِجُملَةٍ حَرفيَّةٍ. بَل إنَّ الذي يُواجِهُ استِعارَةً مّا إنَّما يَنظُرُ في المَعلوماتِ المُشَفَّرَةِ في تَعبيراتِ المَحمولِ فَيَستَبعِدُ المَعلوماتِ التي لا تُلائمُ السِّياقَ مُرْخِيًا بِذلكَ المَفاهيمَ ذاتَ الصِّلَةِ. فبِالإمكانِ فَهمُ الاستِعارَةِ مِن غَيرِ خَوضٍ في عمليَّةِ تَأويلٍ ذاتِ مَرحلَتَيْنِ. وبِإمكانِ هذهِ النَّظريَّةِ أيضًا أن تُجيبَ عن الاعتِراضاتِ الأُخرَى على نظريّاتِ الاستِعارَةِ التي نَظَرْنا فيها أو يُمكِنُ أن يُقالَ إنَّها في مَنأًى عنها. مِثالُ ذلكَ أنَّ المُشكِلَةَ التي أُورِدَتْ على النَّظريَّةِ التَّفاعُليَّةِ هيَ أنَّها لا تَكشِفُ عَن السَّبَبِ الذي مِن أجلِهِ يَبدو مَعنَى الاستِعارَةِ، بِإزاءِ العِبارَةِ الاصطِلاحِيَّةِ، مُعتَمِدًا على المَعنَى الحَرفيّ لِتَعبيراتِها المُكَوِّنَةِ لَها؟ أمّا في النَّظريَّةِ السِّياقِيَّةِ، فَسَبَبُ ذلكَ أوضَحُ. ذلكَ بِأنَّها تَذهَبُ إلى أنَّ ثَمَّةَ عددًا مِن المَفاهيمِ المُشَفَّرَةِ مُعجَمِيًّا التي تُعَدَّلُ في أثناءِ فَهمِ الاستِعارَةِ مِن خِلالِ عمليَّةِ إرخاءٍ بِاستِعمالِ مَعلوماتٍ سِياقِيَّةٍ.

وتَظَلُّ النَّظريَّةُ السِّياقِيَّةُ لِلاستِعارَةِ مَثارَ جَدَلٍ كَبيرٍ. فقد قُدِّمَتْ أمثِلَةٌ استِعارِيَّةٌ إشكالِيَّةٌ مُختَلِفَةٌ تُواجِهُ هذهِ النَّظريَّةُ صُعوبَةً في تَفسيرِها (Wilson & Carston, 2006; Recanati, 2007). على أنَّ مُعظَمَ الخِلافِ تَرَكَّزَ في مَدَى إمكانِ الدِّفاعِ عن التَّأويلِ السِّياقيّ لِلأَقوالِ. والبَحثُ في هذهِ المَسألَةِ قَد يَبتَعِدُ بِنا عن أهدافِ هذا الفَصلِ، ولكِن لِلوُقوفِ على مُراجَعَةٍ نَقدِيَّةٍ حَديثَةٍ لِهذا الخِلافِ، يُنظَر: Szabo (2005).

وبِهذا نَكونُ قَد أنهَيْنا مُراجَعَةَ النَّظريّاتِ الرَّئيسَةِ الحَديثَةِ لِلاستِعارَةِ. على أنّي أَوَدُّ، قَبلَ الانتِقالِ إلى أُطروحَةِ اللاردِّيَّةِ، أن أَلفِتَ الانتِباهَ إلى طَريقَةٍ يُمكِنُ أن تُستَعمَلَ بِها النَّظريَّةُ السِّياقِيَّةُ لِتَسليطِ الضَّوءِ على العَلاقَةِ بينَ الاستِعارَةِ والقِياسِ

التَّمثيلِيّ. فَلْنَنظُرْ في أُطروحَةِ رِتشارد سوِنبيرن [167] لِلقِياسِ التَّمثيلِيّ (1993, ch. 4). إذ يَرَى سوِنبيرن أنَّ الاستِعمالَ القِياسِيَّ التَّمثيلِيَّ لِلَّفظِ يُشَكِّلُهُ تَعديلٌ لِكِلتا مَنظومَتَيْ قَواعِدِهِ التَّركيبِيَّةِ والدَّلالِيَّةِ أو لإحداهُما. فالقاعِدَةُ التَّركيبِيَّةُ لاستِعمالِ اللَفظِ ق تَضَعُ شُروطًا عامَّةً تَحكُمُ استِعمالَهُ. فالتَّعريفُ اللَفظِيُّ نَحوُ 'العَزَبُ إنسانٌ غَيرُ مُتَزَوِّجٍ' والمَبدَأُ اللاتَعريفِيُّ لاستِعمالِ الكَلِمَةِ نَحوُ '*إذا تَضَمَّنَتْ ك افتِراضَ أنَّ ك*' مِثالانِ لِلقَواعِدِ التَّركيبِيَّةِ. والقاعِدَةُ الدَّلالِيَّةُ لِـ ق تُقَدِّمُ أَمثِلَةً لِلأشياءِ التي يُستَعمَلُ فيها ق استِعمالًا صَحيحًا أو التي لا يُستَعمَلُ فيها ق استِعمالًا صَحيحًا. فإعطاءُ *أحمَر* قاعِدَةً دَلالِيَّةً يتضَمَّنُ الإشارَةَ إلى عِدَّةِ أشياءَ حُمرٍ ومُقابَلَتَها بِأشياءَ لَيسَتْ حُمرًا. فالذي يَعتَقِدُهُ سوِنبيرن عُمومًا أنَّ القاعِدَةَ الدَّلالِيَّةَ لِلمَحمولِ تُقَدِّمُ عَدَدًا مِن النَّماذِجِ القِياسِيَّةِ وتَقتَضي أن يُستَعمَلَ المَحمولُ لانتِقاءِ الصِّفاتِ التي تُشبِهُ النَّماذِجَ القِياسِيَّةَ في الجانِبِ الذي يُشبِهُ بَعضُها بَعضًا فيهِ وبِالقَدْرِ الذي يُشبِهُ بَعضُها بَعضًا بِهِ (1993, p. 58).

ويَرَى سوِنبيرن أنَّ الاستِعمالَ القِياسِيَّ التَّمثيلِيَّ لِلكلمةِ يتضَمَّنُ إرخاءَ قَواعِدِها الدَّلالِيَّةِ والتَّركيبِيَّةِ. فأمّا ما يتعلَّقُ بِالقَواعِدِ الدَّلالِيَّةِ، فيَرَى سوِنبيرن أنَّ الاستِعمالَ القِياسِيَّ التَّمثيلِيَّ لِلمَحمولِ و يُطَبِّقُ تَطبيقًا صَحيحًا على صِفَةٍ تُشبِهُ النَّماذِجَ القِياسِيَّةَ لِلأشياءِ التي هيَ و 'في الوَجهِ الذي يُشبِهُ بَعضُها بَعضًا فيهِ إمّا بِالقَدْرِ نَفسِهِ الذي يُشبِهُ بَعضُها بَعضًا بِهِ وإمّا بِقَدْرٍ يَفوقُ القَدْرَ الذي تُشبِهُ بِهِ النَّماذِجَ القِياسِيَّةَ لأشياءَ أُخرَى لَيسَتْ و' (1993, p. 59). أي إنَّ الشَّيْءَ يتطلَّبُ دَرَجَةَ مُشابَهَةٍ لِلنَّماذِجِ القِياسِيَّةِ لِـ و أَقَلَّ صَرامَةً مِن أجلِ أن يَكونَ هذا الشَّيْءُ مَشمولًا بِالمَحمولِ القِياسِيِّ التَّمثيلِيِّ و*. وقَد يُعَزِّزُ هذا الإرخاءُ لِلقاعِدَةِ الدَّلالِيَّةِ تَعديلاتِ القَواعِدِ التَّركيبِيَّةِ. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ ثَمَّةَ قاعِدَةً نَحويَّةً هيَ أنَّ *الواواتِ* هيَ *السِّيناتُ*، وأنَّ *السِّيناتِ* إمّا *ياءاتٌ* وإمّا لَيسَتْ *زاياتٍ*، حَيثُ يُحَدِّدُ *الياءُ والزّايُ* (جُزئيًّا) بِنَماذِجَ قِياسِيَّةٍ. فما لَم يُستَعمَل *الياءُ والزّايُ* أنفُسُهما استِعمالًا قِياسِيًّا تَمثيلِيًّا، فقد يَكونُ بِالإمكانِ أن يُؤَدِّيَ الصِّنفُ المُوَسَّعُ لِلنَّماذِجِ الذي يُمكِنُ أن يُستَعمَلَ لَهُ و* استِعمالًا صَحيحًا لِلإحالَةِ إلى إضعافِ هذهِ القاعِدَةِ الدَّلالِيَّةِ أو إسقاطِها. مِثالُ ذلكَ اعتِقادُ سوِنبيرن أنَّ مَفهومَ 'الشَّخص'، الذي يُمَثِّلُ البَشَرُ

الأحياءُ ذَوو الأجسامِ المادِّيَّةِ النَّماذِجَ القِياسِيَّةَ لِمَعناهُ الاعتِيادِيّ، يَجِبُ أن يُستَعمَلَ استِعمالًا قِياسِيًّا تَمثيلِيًّا مَعَ إضعافٍ مُناسِبٍ لِقَواعِدِهِ الدَّلالِيَّةِ وتَعديلٍ لِقَواعِدِهِ التَّركيبِيَّةِ عندَ تَطبيقِهِ على اللهِ*.

ويَبتَعِدُ سونبيرن عن النَّظَرِيَّةِ السِّياقِيَّةِ بِتَشديدِهِ على دَرَجَةِ مُشابَهَةِ النَّماذِجِ القِياسِيَّةِ بِوَصفِها أساسًا لِلاستِعمالِ الصَّحيحِ لِلمَحمولِ. على أنَّ تَحليلَهُ لِلقِياسِ التَّمثيلِيِّ يَرتَبِطُ بِالنَّظَرِيَّةِ السِّياقِيَّةِ لِلاستِعارَةِ بِجَعلِهِ نَمَطًا مُحَدَّدًا مِن الإرخاءِ المَفهومِيِّ وَسيلَةً لِتَوليدِ القِياساتِ التَّمثيلِيَّةِ. فَلْنَنظُرْ في نَوعِ الإرخاءِ الذي يَحدُثُ في تَأويلِ القَولِ (6). [168] فالمَفهومُ المُعَدَّلُ المُرَبَّعُ* لا يَشمَلُ الأشياءَ المُرَبَّعَةَ فقط بَل يَشمَلُ أيضًا أشياءَ (كالمُروجِ) مُرَبَّعَةً تَقريبًا أو تَكادُ تَكونُ مُرَبَّعَةً. ويُعمَدُ إلى الشَّرطِ الذي مُفادُهُ أنَّ المُرَبَّعاتِ يَنبَغي أن تَكونَ مُرَبَّعَةً تَمامًا فيُستَبعَدُ مِن مَعلوماتِ مَضمونِ المَفهومِ بِالإرخاءِ. وَلْنُطلِقْ على الإرخاءِ الذي يَكونُ فيهِ المَفهومُ المُعَدَّلُ مُشتَمِلًا على جَميعِ الدَّلالاتِ التَّعيينِيَّةِ لِمَفهومِ ما قَبلَ الإرخاءِ اسمَ *الإرخاءِ الخالِصِ*. فتَعديلُ مَفهومِ المُرَبَّعِ إرخاءٌ خالِصٌ، لأنَّهُ إن تَكُنْ بَعضُ

* الشَّخصُ في المسيحِيَّةِ هوَ الأُقنومُ، فلا رَيبَ إذَن في أن يَكونَ مَفهومًا مَركَزِيًّا فيها، ولِذلكَ قالَ وِليَم جَيمس إيرل في كِتابِهِ (مَدخَلٌ إلى الفَلسَفَةِ) - بِتَرجَمَةِ الدُّكتور عادل مصطفى، ونَشرِ دار رُؤيَة في القاهِرَةِ في عام 2011-: 286: "يُؤمِنُ مُعظَمُ المُتَدَيِّنينَ أنَّ الرَّبَّ شَخصٌ. ها هُنا مُشكِلَةٌ أُولى؛ ذلكَ أنَّ فِكرَتَنا عَن الشَّخصِ يُفتَرَضُ أنَّها تَكَوَّنَت لِتُلائمَ أشخاصًا مِثلَنا. نَحنُ نَعرِفُ ماذا يُشبِهُ أن يَكونَ الشَّيءُ شَخصًا إنسانِيًّا، فهَل يُمكِنُ أن نَأخُذَ تَصَوُّرَنا لِلشَّخصِ ونُطَبِّقَهُ عَلى مَوجودٍ مِثلِ الرَّبِّ مُختَلِفٍ تَمامًا؟ هذهِ هيَ المُشكِلَةُ العامَّةُ: مُشكِلَةُ أخذِ تَصَوُّراتٍ نَشَأَت في منطقَةٍ (أو تَصَوُّراتٍ تَخُصُّ نَمَطًا مِن الأشياءِ) ورُؤيَةِ كَم يُمكِنُ أن تَمتَدَّ دونَ أن تَفقِدَ المَعنى (تَفقِدَ الوُضوحَ العَقلِيَّ)؟ بَل إنَّ المُشكِلَةَ هُنا أكثَرُ حِدَّةً نَظرًا لِخَواصَّ أُخرى مُعَيَّنَةٍ جَرى القَولُ بِأنَّ الرَّبَّ يَحوزُها. فالرَّبُّ لا يُفتَرَضُ أنَّهُ مُجَرَّدُ شَخصٍ، إنَّهُ كامِلٌ، لامادِّيٌّ، لانِهائيٌّ". ولا شَكَّ في أنَّ كُلَّ ذلكَ مِمّا لا يُقِرُّهُ الإسلامُ، ولِذلكَ عَلَّقَت مُراجِعَةُ تَرجَمَةِ الكِتابِ المذكورِ الدُّكتورَةُ يمنى طريف الخوليّ عَلى كلامِ المؤلِّفِ بِقَولِها: 286 (الهامِش1): "يَبدو أنَّ المؤلِّفَ مَعدومُ القُدرَةِ عَلى التَّجريدِ الضَّرورِيِّ لِلخَوضِ في رِحابِ الدِّينِ، وهوَ أيضًا جاهِلٌ تَمامًا بِالإسلامِ وبِالأديانِ عُمومًا... نَحنُ المُسلِمينَ، عَلى الأقَلِّ، لا نَتَصَوَّرُ اللهَ أو الرَّبَّ كَشَخصٍ البَتَّةَ، بَل كذاتٍ مُنَزَّهَةٍ، ولَسنا بِحاجَةٍ إلى القَولِ إنَّ طَرحَ الألوهِيَّةِ كَشَخصٍ يُجانِبُ تَمامًا صَحيحَ العَقيدَةِ، بَل هوَ كُفرٌ وتَجديفٌ". [المُتَرجِم]

المُربَّعاتِ* لَيسَتْ مُربَّعَةً، فإنَّ جَميعَ المُربَّعاتِ مُرَبَّعَةٌ*. ويُلحَظُ أنَّ نِيء* في المِثالِ المَذكورِ آنِفًا يُمَثِّلُ إرخاءً خالِصًا، ويُمكِنُ أن يُرى أن مَفهومَ صامِت يُمَثِّلُ أيضًا إرخاءً خالِصًا في القَولِ (5). فالواقِعُ أنَّ نظريَّةَ سونبيرن لِلقِياسِ التَّمثيلِيِّ تُؤَوِّلُ القِياسَ التَّمثيلِيَّ على أنَّهُ إرخاءٌ خالِصٌ. فَفي أُطروحَتِهِ لِلاستِعمالِ القِياسِيِّ التَّمثيلِيِّ لِـ 'الشَّخص'، على سبيلِ المِثالِ، يُرخَى المَفهومُ لِيَسمَحَ بِمَدًى أوسَعَ مِن الحالاتِ (ولا سيَّما الأشخاصُ الذينَ لا أجسامَ لَهُم) مِن غَيرِ استِبعادِ الأشياءِ التي سَبَقَ أن عُدَّتْ أشخاصًا.

وإذا ما انتَقَلْنا إلى الاستِعارَةِ ألفَيْنا الإرخاءاتِ المُتَضَمَّنَةَ في التَّأويلِ الاستِعارِيِّ تَجنَحُ إلى أن تَكونَ خالِصَةً لكِنَّها تتضمَّنُ تَغَيُّرًا يُؤَدِّي إلى أن يَتَداخَلَ ماصَدَقُ المَفهومِ المُرخَى معَ الدَّلالاتِ التَّعيينِيَّةِ لِمَفهومِ ما قَبلَ الإرخاءِ لكِنَّهُ لا يَشمَلُها جَميعًا. وَلْنُطلِقْ على هذهِ العَمَلِيّاتِ اسمَ *الإرخاءاتِ الجَذرِيَّةِ*. فَلْنَنظُرْ في القَولِ الآتي:

7. الرَّبُّ راعِيَّ.

فهذهِ الاستِعارَةُ تُوصِلُ فِكرَةَ أنَّ الرَّبَّ يَعتَني بي (أنا المُتكلِّم). ويُعَبِّرُ المَفهومُ الخاصُّ الذي هوَ **الرّاعي*** عن صِفَةِ الرِّعايَةِ في الوَقتِ الذي يَستَبعِدُ فيهِ عَناصِرَ أُخرَى في مَضمونِ **الرّاعي**، نَحوَ الاهتِمامِ بِالأغنامِ. على أنَّ هذا التَّعديلَ المَفهومِيَّ ليسَ إرخاءً خالِصًا لأنَّهُ إن يَكُنِ اللهُ وغَيرُهُ مِن الأفرادِ ذَوي الاعتِناءِ المُناسِبِ رُعاةً*، فليسَ جَميعُ الرُّعاةِ رُعاةً*. فالرّاعي الذي يَكونُ مَسؤُولًا عن الاعتِناءِ بِقَطيعٍ مِن الأغنامِ فيَفعَلُ ذلكَ بِعَدَمِ كِفايَةٍ وعلى نَحوٍ غَيرِ مُبالٍ لَيسَ بِراعٍ* لِهذهِ الأغنامِ. فتَعديلُ المَفهومِ يَكونُ عِندَئذٍ إرخاءً جَذرِيًّا.

ولا أُحاوِلُ هُنا الإيحاءَ بِأنَّ سونبيرن مُتَعاطِفٌ معَ النَّظريَّةِ السِّياقِيَّةِ. على أنَّ ثَمَّةَ سِمَةً جَذّابَةً في النَّظريَّةِ السِّياقِيَّةِ هيَ إظهارُها كيفِيَّةَ انبِثاقِ أُطروحَةٍ مَقبولَةٍ لِلقِياسِ التَّمثيلِيِّ الدِّينِيِّ مِن عملِيَّةِ الإرخاءِ نَفسِها التي تَحدُثُ حينَ نُؤَوِّلُ الاستِعارَةَ

الدِّينِيَّة. فَإن أمكَنَ النَّظَرُ إلى الاستِعمالاتِ القِياسِيَّةِ التَّمثيلِيَّةِ على أنَّها نَتيجَةٌ لإرخاءٍ خالِصٍ، فعادَةً مّا تَعتَمِدُ الاستِعاراتُ على إرخاءٍ جَذرِيٍّ (تَعديلٍ لِمَضمونِ مَفهومٍ يَجنَحُ أيضًا إلى أن يَكونَ أكثَرَ قابِلِيَّةً لأن يَلحَظَهُ السّامِعُونَ والمُتكلِّمونَ). وبِذلكَ تُقَدِّمُ النَّظرِيَّةُ السِّياقِيَّةُ طريقَةً لِتَوحيدِ النِّقاشِ الطَّويلِ بِشَأنِ القِياسِ التَّمثيلِيِّ والاختِيارِ الأَحدَثِ لِلاستِعارَةِ. [169]

أُطروحَةُ اللاارَدِّيَةِ: مكفَيْغ

تُظهِرُ النَّظرَةُ الأولَى مكفَيْغ مُمَثِّلَةً مِثالِيَّةً لأُطروحَةِ اللاارَدِّيَّةِ. فهيَ لا تَكتَفي بِاعتِقادِ أنَّ الاستِعاراتِ الدِّينِيَّةَ لاردِّيَّةٌ بَل تَعتَقِدُ أيضًا أنَّ الجُمَلَ الاستِعارِيَّةَ مُتَغَلغِلَةٌ في الخِطابِ الدِّينِيِّ (وغَيرِهِ مِن الخِطاباتِ). على أنَّهُ سيَتَبَيَّنُ لَنا أنَّ مكفَيْغ تَشتَغِلُ على مَفهومٍ شاذٍّ لِلاستِعارَةِ يَجعَلُ أُطروحَتَها غَيرَ مُثيرَةٍ لِلجَدَلِ على نَحوٍ مُخَيِّبٍ لِلآمالِ.

وتُقَدِّمُ مكفَيْغ أُطروحَتَها لِلاستِعارَةِ على النَّحوِ الآتي:

> الاستِعارَةُ أن نَنظُرَ إلى شَيْءٍ مّا على أنَّهُ شَيْءٌ آخَرُ، أن نَتَظاهَرَ بِأنَّ 'هذا' هوَ 'ذاكَ' لأنّا لا نَعرِفُ كيفَ نُفَكِّرُ في 'هذا' أو نتحدَّثُ عنهُ، لِذلكَ نَستَعمِلُ 'ذاكَ' وَسيلَةً لِقَولِ شَيْءٍ مّا عنهُ. والتَّفكيرُ الاستِعارِيُّ يَعني اكتِشافَ خَيطٍ مِن المُشابَهَةِ بينَ شَيئَيْنِ، أو حَدَثَيْنِ، أو غيرِهِما، غَيرِ مُتَشابِهَيْنِ، أحَدُهُما مَعروفٌ أكثَرَ مِن الآخَرِ، واستِعمالَ الذي هوَ مَعروفٌ أكثَرَ مِن الآخَرِ وَسيلَةً لِلحَديثِ عن الذي هوَ مَعروفٌ أقَلَّ مِن الآخَرِ. (McFague, 1982, p. 15)

وتُوحي هذهِ الفِقرَةُ مِن كِتابِ مكفَيْغ وغَيرُها مِن الفِقراتِ بِأنَّها تَرَى أنَّ 'الاستِعارَةَ' تَشمَلُ عددًا مِن الأشياءِ: الجُمَلَ الاستِعارِيَّةَ، وفَهمَ الاستِعارَةِ، وبِناءَ الاستِعارَةِ، والأفكارَ التي قَد يُوَلِّدُها سَماعُ الاستِعارَةِ. وفي تَحليلِ مكفَيْغ سِماتٌ مُحَيِّرَةٌ أيضًا. إذ ليسَ واضِحًا السَّبَبُ الذي مِن أجلِهِ يَنبَغي أن يَكونَ مَوضوعُ الاستِعارَةِ أو مَحمولُها 'مَعروفًا أكثَرَ' مِن الآخَرِ أو السَّبَبُ الذي مِن أجلِهِ يَجِبُ أن يَكونَ التَّظاهُرُ مُضَمَّنًا في أيَّةِ مَرحلَةٍ مِن مَراحِلِ استِعمالِ الاستِعارَةِ. فإنّي، على سبيلِ

المِثالِ، لا أحتاجُ إلى التَّظاهُرِ بِأنَّ ماكِنَةَ صَرفِ النُّقودِ الآلِيَّةَ قد ابتَلَعَتْ بِطاقَتي الائتِمانِيَّةَ مِن أجلِ فَهمِ القَولِ (3) أو مِن أجلِ أن أُفَكِّرَ في ماكِنَةِ صَرفِ النُّقودِ الآلِيَّةِ بِمُقتَضى ذلكَ. على أنَّ مِن الواضِحِ أنَّ مكفَيْغ تَنظُرُ إلى إدراكِ التَّشابُهِ بينَ تَعبيرَي المَوضوعِ والمَحمولِ في الاستِعارَةِ على أنَّهُ شَرطٌ ضَرورِيٌّ لِفَهمِ الاستِعارَةِ وتَنظُرُ عَلى ما يَبدو إلى افتِراضِ المُشابَهَةِ على أنَّهُ مُكَوِّنٌ أساسِيٌّ لِتَقريرِ الاستِعارَةِ.

على أنَّ مكفَيْغ تَرَى أيضًا أنَّ افتِراضَ التَّشابُهاتِ أو تَحَرِّيَها *كافٍ* لِتَقريرِ الاستِعارَةِ أو فَهمِها أو لِلتَّفكيرِ الاستِعارِيِّ. فَلْنَنظُرْ، على سبيلِ المِثالِ، في مَجموعَةِ الدَّعاوَى المُنتَقاةِ الآتِيَةِ:

> يُشَكِّلُ التَّفكيرُ الاستِعارِيُّ أساسَ الفِكرِ واللُّغَةِ البَشَرِيَّيْنِ. فَمُنذُ الصِّغَرِ نُشَيِّدُ عالَمَنا مِن خِلالِ الاستِعارَةِ؛ أي كَما أنَّ الأطفالَ الصِّغارَ يتعلَّمونَ مَعنَى اللَّونِ الأحمَرِ باكتِشافِ خَيطِ الشَّبَهِ مِن خِلالِ عِدَّةِ أشياءَ غَيرِ مُتَشابِهَةٍ (كُرَةٍ حَمراءَ، تُفّاحَةٍ حَمراءَ، خُدودٍ حُمْرٍ)، فَنَحنُ كذلكَ نَسألُ باستِمرارٍ [170] حينَ لا نَعرِفُ كَيفِيَّةَ التَّفكيرِ في شَيْءٍ مّا: 'ماذا يُشبِهُ؟' (McFague, 1982, pp. 15-16).
>
> واللُّغَةُ المَفهومِيَّةُ أو التَّجريدِيَّةُ استِعارِيَّةٌ بِمَعنَى أنَّ القُدرَةَ على التَّعميمِ تَعتَمِدُ على رُؤيَةِ التَّشابُهِ في اللاتَّشابُهِ؛ فالمَفهومُ تَجريدٌ لِلمُتَشابِهِ مِن وَسطِ بَحرٍ مِن اللامُتَشابِهاتِ. (McFague, 1982, p. 16).
>
> وكَما أنَّ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ البَسيطَةَ نَحوَ 'هذا كُرسِيٌّ' لا تَعني سِوَى أنّي قد أنشَأتُ حُكمًا مُفادُهُ أنّي سأُفَكِّرُ في هذا الشَّيْءِ *على أنَّهُ* كُرسِيٌّ لِوُجودِ شَبَهٍ كافٍ بينَ هذا الشَّيْءِ وأشياءَ أُخرَى كُنتُ قد سَمَّيْتُها 'كَراسِيَّ' في الماضي، أعتَقِدُ أنَّ ما أُقَرِّرُهُ مُسَوَّغٌ. فهذا المِثالُ... يُوضِحُ التَّفكيرَ الاستِعارِيَّ في أكثَرِ مُستَوَياتِهِ شُيوعًا، واستِمرارِيَّةً، وفَورِيَّةً. (McFague, 1982, pp. 16-17).

ويَبدو أنَّ ما تُسَمِّيهِ مكفَيْغ استِعارَةً أو تَفكيرًا استِعارِيًّا في هذهِ الحالاتِ يَرجِعُ إلى ما سَمّاهُ جون لوك وغَيرُهُ مِن التَّجريبِيِّينَ المُتَقَدِّمينَ *تَجريدًا*، وهوَ مَوضوعٌ كُنّا قد عَرَّجْنا عليهِ عندَ مُناقَشَتِنا لِباركلي، ويَعني تَكوينَ أفكارٍ تتعلَّقُ بِالصِّفاتِ المُشتَرَكَةِ

في مَجموعاتٍ مِن الأشياءِ (Locke, 1975, book III). فقد عَدَّ لوك التَّجريدَ أساسِيًّا لِلفِكرِ التَّجريدِيِّ ولِقُدرَتِنا على استِعمالِ تَعبيراتِ المَحمولِ وفَهمِها. ومِمّا يُؤَكِّدُ هذهِ القِراءَةَ لِمكفَيْغ مُعالَجَتُها لِلرِّياضِيّاتِ. 'فرُؤيَةُ العَدَدِ المُشابِهِ وَسْطَ كِياناتٍ أُخرَى مُغايِرَةٍ فِعلٌ استِعارِيٌّ، كما في سِتِّ تُفاحاتٍ، وسِتَّةِ أقمارٍ، وسِتِّ أفكارٍ، وسِتَّةِ أفعالٍ كَريمَةٍ' (1982, p. 34). وإذا فَكَّرنا في الاستِعارَةِ على أنَّها فِعلٌ كَلامِيٌّ، فسيَبدو هذا التَّعليقُ مُحَيِّرًا؛ فمُجَرَّدُ إدراكِ المَفهومِ التَّجريدِيِّ أو التَّعبيرِ عنهُ يَبدو مُتَمايِزًا مِن القَولِ الاستِعارِيِّ. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، إذا نُظِرَ إلى 'الاستِعارَةِ' على أنَّها تَعني ما يَعنيهِ 'التَّجريدُ' (والتَّفكيرُ التَّجريدِيُّ أو أيُّ استِعمالٍ لِلمَفاهيمِ التَّجريدِيَّةِ هوَ 'فِعلٌ استِعارِيٌّ')، فسيَكونُ ما ذَكَرَتْهُ مكفَيْغ مُستَقيمًا. فكُلُّ ما هُنالِكَ أنَّ المَفاهيمَ العددِيَّةَ كُلِّيّاتٌ وتَقتَضي التَّجريدَ لِيُمكِنَنا تَأطيرُها في الفِكرِ أو اللُّغَةِ.

ولَو كانَتْ أُطروحَةُ اللاأدْرِيَّةِ مُتعلِّقَةً بِالتَّجريدِ لا بِالاستِعارَةِ، إذَن لأثارَتْ مَجموعَةً مُختلِفَةً مِن التَّساؤُلاتِ. فالمَفاهيمُ التَّجريدِيَّةُ مُتَغَلغِلَةٌ في تَفكيرِنا، كما أنَّ الألفاظَ العامَّةَ مُتَغَلغِلَةٌ في لُغَتِنا، وبَعضُ الجُمَلِ التي تتضمَّنُ ألفاظًا عامَّةً لا يُمكِنُ أن تُستَبدَلَ بِها جُمَلٌ تتضمَّنُ ألفاظًا خاصَّةً - وأوضَحُ ما يَكونُ هذا في الحالاتِ التي يَكونُ لِلَّفظِ العامِّ فيها ماصَدَقٌ مُطلَقٌ. بيدَ أنَّ الذَّهابَ إلى ذلكَ يَعني في الواقِعِ تَغييرَ المَوضوعِ مِن الاستِعارَةِ إلى التَّجريدِ والمَفاهيمِ التَّجريدِيَّةِ. فصِلَةُ ما تُسَمِّيهِ مكفَيْغ استِعارَةً بِما نَعُدُّهُ على نَحوٍ قِياسِيٍّ استِعارِيًّا لَيسَتْ أكبَرَ مِن صِلَتِها بِأيِّ قِسمٍ آخَرَ مِن أقسامِ الكَلامِ. فَمُناقَشَةُ مكفَيْغ لِلاستِعارَةِ لا تُقدِّمُ أيَّ دَعمٍ لأُطروحَةِ اللاأدْرِيَّةِ، وإن ظَهَرَتْ بِخِلافِ ذلكَ. [171]

أُطروحَةُ اللاأدْرِيَّةِ: كيني

يُعنَى كيني بِما يَبدو مِن استِحالَةِ قَولِ أيِّ شَيْءٍ صادِقٍ عن اللهِ إن كانَ اللهُ غَيرَ قابِلٍ لِلوَصفِ. وهوَ يُعَرِّفُ عَدَمَ القابِلِيَّةِ لِلوَصفِ بِأنَّهُ 'المَذهَبُ الذي يَرَى أنَّهُ،

بِمَعنًى مَا، مِن المُحالِ تَمامًا التَّحَدُّثُ عن اللهِ؛ أنَّ اللهَ ليسَ شَيئًا في مُتَناوَلِ اللُّغَةِ البَشَرِيَّةِ' (2005, p. 11). فنُقطةُ انطِلاقِهِ مُتَعاطِفَةٌ إذَن معَ اللاهوتِيِّينَ الأبوفاتيكِيِّينَ. ويُمكِنُ تَلخيصُ آراءِ كيني بِشَأنِ الكيفيَّةِ التي يَنبَغي فَهمُ هذا المَذهَبِ بِمُوجبِها وآثارِ ذلكَ في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ في ثَلاثِ نِقاطٍ رَئيسَةٍ.

فَأَمّا النُّقطةُ الأُولَى، فيُقالُ فيها إنَّهُ إن كانَ اللهُ غَيرَ قابِلٍ لِلوَصفِ - أو 'غَيرَ قابِلٍ لِلتَّصَوُّرِ'، بِحَسَبِ تَعبيرِ كيني أحيانًا - فقد يَبدو عِندئذٍ أَنَّ التَّحَدُّثَ عنهُ البَتَّةَ مُفنَّدٌ ذاتِيًّا، ولَو لَم يَكُنِ الحَديثُ سِوَى تَقريرِ أنَّ اللهَ غيرُ قابِلٍ لِلوَصفِ. على أنَّ 'الحَلَّ لِمُفارَقَةِ اللهِ، إن وُجِدَ، يَجِبُ إيجادُهُ بِالإلحاحِ على أَنَّهُ إن كانَ بِإمكانِنا التَّحَدُّثُ عن اللهِ، فليسَ بِإمكانِنا التَّحَدُّثُ عنهُ حَرفِيًّا' (2005, p. 16). أي إنَّ استِعمالَ الاستِعاراتِ الدِّينِيَّةِ يُمَكِّنُنا مِن التَّحَدُّثِ عن اللهِ وإن كانَ اللهُ غَيرَ قابِلٍ لِلوَصفِ. ويَرَى كيني لاحِقًا أَنَّ تَصَوُّرَنا لِعَدَمِ القابِلِيَّةِ لِلوَصفِ هوَ أَنَّهُ لا يَقتَضي سِوَى عَدَمِ إمكانِ التَّحَدُّثِ عن اللهِ حَرفِيًّا. 'فإن كُنّا نَستطيعُ التَّحَدُّثَ عن اللهِ، فإنّا لا نَستَطيعُ التَّحَدُّثَ عنهُ حَرفِيًّا. فإن كانَ الأمرُ كذلكَ، فسيَكونُ اللهُ غَيرَ قابِلٍ لِلوَصفِ حَرفِيًّا، لكِنَّهُ قابِلٌ لِلوَصفِ استِعارِيًّا' (2005, p. 35).

وأمّا النُّقطةُ الثّانيَةُ، فهيَ أَنَّ كيني يُعَرِّفُ الاستِعارَةَ بِأَنَّها، 'في الحالَةِ القِياسِيَّةِ، أَخذُ كلمةٍ لَها دَورٌ في إحدَى أَلعابِ اللُّغَةِ ونَقلُها إلى لُعبَةٍ أُخرَى' (2005, p. 17)، ويُمكِنُ القَولُ عُمومًا إنَّ الاستِعارَةَ تتضمَّنُ استِعمالَ كلمَةٍ في 'لُعبَةٍ لُغَوِيَّةٍ' لا تَنتَمي إليها. ولا نَجِدُ لَدَى كيني تعريفًا لِـ 'اللُّعبَة اللُّغَوِيَّة'. ثُمَّ إنَّ كيني يَعتَقِدُ أَنَّ لَفظَ 'الله' لا يَنتَمي إلى أَيَّةِ لُعبَةٍ لُغَوِيَّةٍ؛ وهوَ يَنفي، على سبيلِ المِثالِ، وُجودَ لُعبَةٍ لُغَوِيَّةٍ دينِيَّةٍ، إذ يَقولُ:

> أن يُقالَ إنّا لا نَستَطيعُ التَّحَدُّثَ حَرفِيًّا عن اللهِ يَعني أن يُقالَ - بِاستِعمالِ الرَّطانَةِ الفَلسَفِيَّةِ الدّارِجَةِ حَديثًا - إنَّ كلمَةَ 'الله' لا تَنتَمي إلى لُعبَةٍ لُغَوِيَّةٍ. والصِّدقُ الحَرفِيُّ هوَ الصِّدقُ في ضِمنِ لُعبَةٍ لُغَوِيَّةٍ. ويَعتَقِدُ بَعضُ الفَلاسِفَةِ أَنَّ ثَمَّةَ لُعبَةً لُغَوِيَّةً دينِيَّةً خاصَّةً، وأَنَّ مَفهومَ اللهِ مَوضوعٌ في هذهِ اللُّعبَةِ.

> وإنّي، بِالضِّدِّ مِن ذلكَ، لأعتَقِدُ أنَّهُ ليسَ ثَمَّةَ لُعبَةٌ لُغَوِيَّةٌ دينِيَّةٌ، وأنَّ حديثَنا عن اللهِ إنَّما هوَ عَلى سَبيلِ الاستِعارَةِ. واستِعمالُ الاستِعارَةِ يَعني استِعمالَ كلمةٍ في لُعبَةٍ لُغَوِيَّةٍ لَيسَتْ هيَ مَوطِنَها الأَصلِيَّ. (2005, p. 16)

ويَرَى كيني أنَّهُ ما دامَ لَفظُ 'الله' ليسَ 'لَهُ مَوطِنٌ' في أيَّةِ لُعبَةٍ مِن ألعابِ اللُّغَةِ، فسَيَكونُ استِعمالُهُ مُتَضَمِّنًا على الدَّوامِ استِعمالَ لَفظٍ في لُعبَةٍ لُغَوِيَّةٍ لا يَنتَمي إليها. ويَستَتبِعُ هذا أنَّ كُلَّ ما نتحدَّثُ بِهِ عن اللهِ استِعارِيٌّ. [172]

وأمّا النُّقطةُ الثّالِثَةُ، فهيَ أنَّ كيني يُدرِكُ وُجودَ حالاتٍ لِلاستِعارَةِ المَيْتَةِ، يَصِفُها على النَّحوِ الآتي. فَإن كانَ استِعمالُ الاستِعارَةِ يتضَمَّنُ 'انتِقالًا' لِلَّفظِ مِن اللُّعبَةِ اللُّغَوِيَّةِ أ، وهيَ السِّياقُ الذي تُستَعمَلُ فيهِ استِعمالًا اعتِيادِيًّا، إلى السِّياقِ غَيرِ الاعتِيادِيِّ لِلُّعبَةِ اللُّغَوِيَّةِ ب، حَيثُ تَكونُ الاستِعارَةُ مَيْتَةً، فإنَّ اللَّفظَ المَعنِيَّ لَن يَكونَ في غَيرِ مَوضِعِهِ في ب وسَيُصبِحُ حَرفِيًّا. بيدَ أنَّ كيني يَرَى أنَّ هذا لا يُمكِنُ أن يَحدُثَ لِلَفظِ 'الله'. إذ يَقولُ: 'ما أزعُمُهُ هوَ أنَّ الاستِعارَةَ اللاهوتِيَّةَ لارَدِّيَّةٌ. فهيَ لا يُمكِنُ أن تُصبِحَ استِعارَةً مَيْتَةً البَتَّةَ، ولا يُمكِنُ أن تُستَبدَلَ بِها لُغَةٌ حَرفِيَّةٌ البَتَّةَ' (2005, p. 40).

ويُلحَظُ أنَّ كيني يَتَبَنّى مَذهَبَ أنَّ كُلَّ ما يُتَحَدَّثُ بِهِ عن اللهِ استِعارِيٌّ على نَحوٍ لارَدِّيٍّ. وهذهِ النَّظرِيَّةُ أشَدُّ مِن نظرِيَّةِ أُطروحَةِ اللارَدِّيَّةِ لأولستن، وإن كانَت تَستَتبِعُ أُطروحَةَ اللارَدِّيَّةِ: فَإن كانَ كُلُّ ما يُتَحَدَّثُ بِهِ عن اللهِ استِعارِيًّا على نَحوٍ لارَدِّيٍّ، فكذلكَ هيَ الدَّعاوَى الصّادِقَةُ المُتعلِّقَةُ بِاللهِ. ويُقالُ أيضًا إنَّهُ على الرَّغمِ مِن أنَّ كيني يُقَدِّمُ وِجهَةَ نظرِهِ على أنَّها نتيجَةٌ لاعتِقادِ أنَّ اللهَ غَيرُ قابِلٍ لِلوَصفِ، يَبدو أنَّ المَنزِلَةَ المُتَمَيِّزَةَ لِمَفهومِ اللهِ بِوَصفِهِ لا 'يَنتَمي' إلى أيَّةِ 'لُعبَةٍ لُغَوِيَّةٍ' هيَ المُحَرِّكُ الرَّئيسُ لأُطروحَةِ اللارَدِّيَّةِ عندَ كيني. ويَستَتبِعُ هذا أنَّ نُسخَةَ كيني مِن أُطروحَةِ اللارَدِّيَّةِ لاتَعديلِيَّةٌ: فهوَ لا يَقتَرِحُ تَفضيلَ الحَديثِ الاستِعارِيِّ عن اللهِ على الحَديثِ الحَرفِيِّ أو تَغييرَ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ بِأيَّةِ طريقَةٍ. بَل يَرَى أنَّ أيَّةَ دَعوَى بِشَأنِ اللهِ استِعارِيَّةٌ تِلقائيًّا، بِسببِ الطَّريقَةِ التي يُؤَدّي بِها لَفظُ 'الله' وَظيفَةَ الوَحدَةِ اللُّغَوِيَّةِ.

ويُمكِنُ القَولُ إنَّ أُطروحَةَ كيني لِلاستِعارَةِ ودَورِها في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ غَيرُ مُحَدَّدَةِ المَعالِمِ وإنَّها إشكالِيَّةٌ جَدًّا حتَى في أحسَنِ تَأويلاتِها. فَلْنَأخُذْ، على سبيلِ المِثالِ، فِكرَةَ كيني غَيرَ المُعَرَّفَةِ لِـ 'اللُعبَة اللُغَويَّة' وما يَذهَبُ إليهِ مِن عَدَمِ إمكانِ وُجودِ 'لُعبَةٍ لُغَويَّةٍ' دينِيَّةٍ (أي 'لُعبَةٍ لُغَويَّةٍ' تتضَمَّنُ قِياسِيًّا مَفهومَ 'الله'). فإن كانَتِ 'اللُعبَةُ اللُغَويَّةُ' تُشبِهُ حَقلَ خِطابٍ، فبِالطَّريقَةِ التي نُوقِشَتْ بِها هذهِ الفِكرَةُ في هذا الكِتابِ يُمكِنُ القَولُ إنَّها لا تَرمي إلّا إلى انتِقاءِ صِنفٍ مِن الأقوالِ التي تُهِمُّنا. وغالِبًا مّا تُمَيِّزُ الخِطاباتُ بِمَدًى مِن التَّعبيراتِ أو المَوضوعاتِ المُتَمايِزَةِ والمُمارَساتِ المُتَرابِطَةِ المُختَلِفَةِ ومَعاييرِ التَّسويغِ التي يَستَخدِمُها مُستَعمِلو الخِطابِ. لكِن مِن الواضِحِ أنَّ بِالإمكانِ أن تَكونَ ثَمَّةَ خِطاباتٌ دينِيَّةٌ مُختَلِفَةٌ: ويُمكِنُنا الاكتِفاءُ بِالنَّظَرِ في الأقوالِ التي تُحيلُ على اللهِ أو الأقوالِ التي تُحيلُ على مَدًى أوسَعَ لِلظَّواهِرِ الدِّينِيَّةِ. وما دامَ كيني يُصِرُّ على عَدَمِ وُجودِ 'لُعبَةٍ لُغَويَّةٍ' دينِيَّةٍ، فالمُفتَرَضُ أنَّهُ لا يَعُدُّ 'اللُعبَةَ اللُغَويَّةَ' حَقلَ خِطابٍ. وهوَ كذلكَ لا يَستَعمِلُ 'اللُعبَةَ اللُغَويَّةَ' بِالطَّريقَةِ التي يَستَعمِلُها بِها فِتغِنشتاين. فالذي يَراهُ فِتغِنشتاين أنَّ المُمارَساتِ التي مِن قَبيلِ تَسمِيَةِ الأشياءِ، وتَرديدِ الكَلِماتِ بَعدَ قَولِ شَخصٍ مّا لَها، والإخبارِ بِالدُّعاباتِ، ووَصفِ الأشياءِ، وإصدارِ الأوامِرِ، وما إلى ذلكَ، يُمكِنُ عَدُّها ألعابًا لُغَويَّةً (Wittgenstein, 1953, p. 23). بيدَ أنَّ إنشادَ تَرنيمَةِ تَمجيدٍ لِلّهِ ومُمارَساتٍ لُغَويَّةً دينِيَّةً أُخرَى لا حَصرَ لَها، منها وَصفُ اللهِ [173] ونِسبَةُ مَحمولاتٍ إليهِ، يُمكِنُ أيضًا عَدُّها 'ألعابًا لُغَويَّةً' بِهذا المَعنَى. لِذلكَ يُمكِنُ القَولُ إنَّ ما يَرمي إليهِ كيني بِدِقَّةٍ بِـ 'ألعابِ اللُغَةِ' غامِضٌ.

ولِكينِي مَزيدُ تَفصيلٍ لِما يَدَّعيهِ مِن أنَّ الاستِعارَةَ تتضَمَّنُ أخذَ كلِمَةٍ لَها دَورٌ في إحدَى ألعابِ اللُغَةِ ونَقلَها إلى لُعبَةٍ لُغَويَّةٍ أُخرَى، إذ يَقولُ:

> وتَكونُ في حالَةِ اللهِ أخذَ كلِمَةٍ لا دَورَ لَها في أيَّةِ لُعبَةٍ لُغَويَّةٍ قِياسِيَّةٍ واستِعمالَها في ألعابٍ أُخرَى. وحَيثُما استُعمِلَتِ الأسماءُ في الألعابِ اللُغَويَّةِ الاعتِيادِيَّةِ تَضَمَّنَ مُدخَلُ اللُعبَةِ (الخِبرَةُ) أو مُخرَجُها (السُّلوكُ)

> الاتِّصالَ بِالشَّيْءِ المُسَمّى. أمّا في حالَةِ اللهِ فإنَّ الأمرَ ليسَ كذلكَ؛ إذ ليسَتْ لَدَينا خِبرَةٌ تتعلَّقُ بِاللهِ، ولا يُمكِنُنا التّأثيرُ فيهِ بِأيَّةِ حالٍ مِن الأحوالِ.
> (2005, pp. 40-41)

ويُمَثِّلُ هذا اتِّكالًا مُثيرًا لِلاستِغرابِ على ما يَبدو أنَّهُ تَحليلٌ فِتغِنشتايِنيٌّ، ذلكَ بِأنَّهُ يَجعَلُ مِن مُقتَضَياتِ 'اللُّعبَةِ اللُّغَوِيَّةِ الاعتِيادِيَّةِ' إمّا أن تُحيلَ ألفاظُها المُحيلَةُ المُكَوِّنَةُ لَها على أشياءَ قَد خَبَرْناها وإمّا أن نَستَطيعَ التَّأثيرَ في الأشياءِ التي تُسَمّيها. فيُقالُ أوَّلًا إنَّ هذا الشَّرطَ لا يُمكِنُ الدِّفاعُ عنهُ على ما يَبدو. فَعَلَى هذا الأساسِ نَفسِهِ، لا يُمكِنُ أن يَكونَ الحَديثُ عن الأعدادِ أو غَيرِها مِن الأشياءِ التَّجريدِيَّةِ جُزءًا مِن أيَّةِ 'لُعبَةٍ لُغَوِيَّةٍ اعتِيادِيَّةٍ'؛ ولا أن يَتَحدَّثَ الشَّخصُ على نَحوٍ اعتِيادِيٍّ عن أشياءَ في الماضي البَعيدِ، وأشياءَ بَعيدَةٍ لا مَنفَذَ لَنا إليها، في عَوالِمَ مُوازِيَةٍ، وما إلى ذلكَ. ولكِن يُقالُ ثانِيًا: لِمَ نَعتَقِدُ أنّا لا نَخبُرُ اللهَ أو أنّا لا يُمكِنُنا التَّأثيرُ في اللهِ؟ فالسُّلوكُ البَشَرِيُّ يُؤَثِّرُ في ما يَعلَمُهُ اللهُ، والفِعلُ الإلهِيُّ في العالَمِ والتَّواصُلُ معَ البَشَرِ حالَتانِ مُمكِنَتانِ مِن حالاتِ اتِّصالِ البَشَرِ بِاللهِ[3]. وقَد يُجادِلُ كيني بِأنَّ هذهِ حالاتُ اتِّصالٍ أصيلَةٌ، لكِنَّهُ لا يُقَدِّمُ دِفاعًا عن هذا المَذهَبِ ولا يُورِدُ شَيئًا مِنهُ.

وثَمَّةَ مُشكِلاتٌ أُخرَى تَكتَنِفُ أُطروحَةَ كيني لِلاستِعارَةِ. فحَتّى إذا غَضَضْنا الطَّرْفَ عَن خَفاءِ فِكرَةِ أنَّ الكلمَةَ 'لَها مَوطِنٌ' في لُعبَةٍ مِن ألعابِ اللُّغَةِ، التي هيَ نَفسُها فِكرَةٌ استِعارِيَّةٌ، فإنَّ فِكرَةَ أنَّ الاستِعارَةَ تَكمُنُ في تَحويلِ كلمةٍ مِن سِياقٍ لُغَويٍّ إلى آخرَ تَعتَرِضُ سَبيلَها بَعضُ الأمثِلَةِ المُضادَّةِ الواضِحَةِ. فالكَثيرُ مِن التَّشبيهاتِ والعِباراتِ الاصطِلاحِيَّةِ ستُعَدُّ استِعاراتٍ على وَفقِ هذا التَّحليلِ. فلِكُلِّ استِعارَةٍ صُورَتُها صُورَةُ المَوضوعِ والمَحمولِ القِياسِيَّةُ تَشبيهٌ مُناظِرٌ يُشابِهُ المَوضوعَ والمَحمولَ؛ مِثالُ ذلكَ: 'اللهُ أبونا' و'اللهُ كالآبِ'، أو 'الرَّبُّ راعِيَّ' و'الرَّبُّ

(3) لِلوُقوفِ على مُناقَشَةٍ لِذلكَ، يُنظَر: Alston (1989, ch. 5).

كالرّاعي'. فما دامَ مِن المُفتَرَضِ أن تَتضمَّنَ الاستِعارَةُ والتَّشبيهُ كِلاهُما انتِقالَ الكَلِماتِ نَفسَهُ بينَ الألعابِ اللُّغَويَّةِ، فسَيُعَدُّ كِلاهُما استِعاريًّا على وَفقِ مُقتَرَحِ كيني. فَلِلسَّبَبِ المَذكورِ آنِفًا، يَبدو أنَّ أيَّةَ [174] أقوالٍ مُحيلَةٍ على أحداثٍ ماضِيَةٍ، أو على أعدادٍ، أو على مَقاديرَ، ستَكونُ استِعارِيَّةً أيضًا. وتُواجِهُ صُعوبَةٌ أُخرَى أقوالًا مِن قَبيلِ: 'اللهُ جُزءٌ مِن الثّالوثِ المُقَدَّسِ'، حَيثُ يَكونُ المَوضوعُ والمَحمولُ كِلاهُما تَعبيرَيْنِ دينِيَّيْنِ. فما دامَ اللَّفظانِ لا يَنتَمِيانِ على ما يَبدو إلى لُعبَتَيْنِ لُغَوِيَّتَيْنِ مُختلِفَتَيْنِ، فَلَن تَكونَ الجُملَةُ استِعارِيَّةً على وَفقِ أُطروحَةِ كيني الشَّخصِيَّةِ لِلاستِعارَةِ؛ لكِنَّ هذا سيَكونُ غَيرَ مُنسَجِمٍ معَ ما يَذهَبُ إليهِ مِن أنَّ كُلَّ ما يُتَحَدَّثُ بِهِ عن اللهِ استِعارِيٌّ.

ولكِن ماذا عن دَعوَى كيني أنَّ اللُّغَةَ الدِّينِيَّةَ استِعارِيَّةٌ *على نَحوٍ لا رَدِّيٍّ*؟ فحَتّى إذا أقرَرْنا بِأنَّ القَولَ المُحيلَ على اللهِ استِعارِيٌّ، فإنَّ هذا لا يَستَتبِعُ أنَّ مَضمونَ هذا القَولِ لا يُمكِنُ أن يُعَبَّرَ عنهُ، جُزئيًّا في أقَلِّ تَقديرٍ، بِجُمَلٍ حَرفِيَّةٍ. على أنَّ كيني يُقَدِّمُ حُجَّةً أخرَى. فهوَ يَنظُرُ في الجُملَةِ الآتِيَةِ: 'كَتَبَ اللهُ شَريعَتَهُ في قُلوبِ النّاسِ*'، ويُقارِنُها بِالجُملَةِ الآتِيَةِ: 'كَتَبَ القِدِّيسُ فرنسيس St Francis شَريعَتَهُ في قُلوبِ النّاسِ'، فيقولُ:

> في حالَةِ القِدّيسِ فرنسيس، يُمكِنُ أن يَصِفَ الشَّخصُ ما فَعَلَهُ وَصفًا حَرفِيًّا. فبِإرشادِهِ، وتَشجيعِهِ، وكَونِهِ قُدوَةً، اتَّبَعَ تَلاميذُهُ تَعاليمَهُ بِحَماسَةٍ. لكِن ما الذي فَعَلَهُ اللهُ حينَ كتَبَ شَريعَتَهُ في قُلوبِ النّاسِ؟ فليسَ ها هُنا ما يُمكِنُ تَعيينُهُ بِوَصفِهِ الطَّريقَةَ التي جَعَلَ بِها بَني إسرائيلَ يُحِبُّونَ شَريعَتَهُ. (2005, p. 40)

على أنَّ الكَيفِيَّةَ التي يَكونُ بِها التَّعارُضُ الذي يُنشِئُهُ كيني هُنا ذا صِلَةٍ بِالرَّدِّيَّةِ غَيرُ واضِحَةٍ. فمِنَ المُفتَرَضِ أنَّ الاستِعارَةَ تَعني شَيئًا *مّا* يُشبِهُ ما يَأتي: قَد أعطانا اللهُ وَعيًا لأوامِرِهِ ونَحنُ جَميعًا قادِرونَ على إدراكِ حَقيقَتِها. ويَبدو أنَّ كيني يَذهَبُ إلى

* يُنظَر: رِسالَةُ القِدّيسِ بولس الرَّسول إلى كنيسَةِ رومة 2: 15. [المُتَرجِم]

أنَّ ما يُوجِبُ أن تكونَ الجُملَةُ استِعارِيَّةً على نحوٍ لاردِّيٍّ هوَ أنّا لا يُمكِنُنا أن نُفسِّرَ *الكَيفِيَّةَ* التي كَتَبَ اللهُ بِها شَريعَتَهُ في قُلوبِ النّاسِ. بيدَ أنَّ هذا يَضَعُ المَسأَلَةَ في غَيرِ مَوضِعِها. فالاستِعارَةُ اللاردِّيَّةُ قولٌ لا يُمكِنُنا أن نَنقُلَ مَضمونَهُ نَقلًا حَرفِيًّا؛ إنَّها ليسَتْ قَولًا يُحيلُ على شَيْءٍ لا يُمكِنُنا تفسيرُ حُدوثِهِ. فعَلَى سبيلِ المِثالِ، نَحنُ لا نَفهَمُ الآلِيَّةَ التي تُسَبِّبُ تَحَوُّلَ سَلاسِلِ الأحماضِ الأمينِيَّةِ إلى بروتيناتٍ مَخصوصَةٍ، لكِن لا يَلزَمُ مِن هذا أن تكونَ الفَرضِيّاتُ المُتعلِّقَةُ بِتَفاعُلاتٍ كهذهِ استِعارِيَّةً.

وإن يَكُنْ تَأييدُ مكفَيْغ لأُطروحَةِ اللاردِّيَّةِ تَأييدًا لَفظِيًّا فَحَسْبُ، فإنَّ كيني يَستَهدِفُ استِهدافًا أصيلًا الدِّفاعَ عن هذهِ الأُطروحَةِ. لكِن قَد رَأَينا أنَّ الحُجَجَ التي يُقَدِّمُها غَيرُ مُقنِعَةٍ، وأنَّ تَحليلَهُ لِلاستِعارَةِ مُحَيِّرٌ. على أنَّ الافتِقارَ إلى حُجَّةٍ مُؤَيِّدَةٍ لأُطروحَةِ اللاردِّيَّةِ لَيسَ كإظهارِ أنَّ النَّظرِيَّةَ لا يُمكِنُ الدِّفاعُ عنها. وقَد حانَ وَقتُ النَّظَرِ في حُجَّةِ أولستن المُؤَيِّدَةِ لِهذا المَذهَبِ الذي هوَ أَشَدُّ. [175]

أُطروحَةُ اللاردِّيَّةِ: أولستن

إنَّ الحُجَّةَ التي يُعارِضُ بِها أولستن أُطروحَةَ اللاردِّيَّةِ مُستَمَدَّةٌ مِن بَعضِ المُقتَرَحاتِ العامَّةِ التي يُقَدِّمُها بِشَأنِ طَبيعَةِ الاستِعاراتِ. فهوَ يَفهَمُ الاختِلافاتِ بينَ الجُمَلِ الاستِعارِيَّةِ والجُمَلِ الحَرفِيَّةِ مِن زاوِيَةِ العَلاقَةِ المُثبَّتَةِ في الجُملَةِ بينَ المَوضوعِ والمَحمولِ. فاستِعمالي تَعبيرًا مَحمولِيًّا حَرفِيًّا يَعني أنّي 'أقولُ الجُملَةَ ومَعَها دَعوى أنَّ الصِّفَةَ التي يَدُلُّ عليها المَحمولُ يَحوزُها المَوضوعُ (مَرجِعُ لَفظِ المَوضوعِ) أو، إن كانَ المَحمولُ عَلاقِيًّا، أنَّ الصِّفَةَ مُنعَقِدَةٌ بينَ المَوضوعَيْنِ' (1989, p. 43). فإنْ قُلْتُ، على سبيلِ المِثالِ: 'مارتِن سَقَطَ مِن السُّلَّمِ'، فأنا أدَّعي أنَّ الصِّفَةَ العَلاقِيَّةَ التي يَدُلُّ عليها 'سَقَطَ مِن' مُنعَقِدَةٌ بينَ مارتِن والسُّلَّم. فإن كانَتْ هذهِ العَلاقَةُ مُنعَقِدَةً فِعلِيًّا، فإنَّ العِبارَةَ التَّقريرِيَّةَ صادِقَةٌ حَرفِيًّا. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، مِن الواضِحِ أنَّ الشَّخصَ الذي يَقولُ الجُملَةَ (8) الآتيَةَ لا يَدَّعي أنَّ الصِّفَةَ التي يَدُلُّ عليها 'سَقَطَ عَبرَ fell across' مُنعَقِدَةٌ بينَ السِّتارِ الحَديدِيِّ وأورُبّا:

8. السِّتارُ الحَديدِيُّ سَقَطَ عَبرَ أورُبّا.

بَل إنَّ المَحمولَ مُستَعمَلٌ هُنا استِعمالًا استِعارِيًّا. ويَرَى أولستن أنَّ إيصالَ القَولِ الاستِعارِيِّ عمليَّةٌ ذاتُ مَرحلَتَينِ. فَأمّا المَرحلَةُ الأُولَى فَيكونُ السّامِعُ مَدعُوًّا فيها إلى تَصَوُّرِ استِعمالٍ حَرفِيٍّ لِلتَّعبيرِ أو المُمَثِّلِ المَحموليِّ. فَفي الجُملَةِ (8)، يُؤَدِّي إسقاطُ السِّتارِ الحَديدِيِّ وَظيفَةَ المُمَثِّلِ، ويُمِدُّنا تَقريرُ القَولِ الاستِعارِيِّ بِفِكرَةِ وُجودِ شَبَهٍ بينَ المُمَثِّلِ وحالَةِ أورُبّا. أمّا المَرحلَةُ الثّانِيَةُ فإنَّ المُتكلِّمَ يَستَعمِلُ فيها المُمَثِّلَ لِـ 'نَمذَجَةِ' المَوضوعِ ولَفتِ الانتِباهِ إلى تَشابُهاتٍ مُختلِفَةٍ بينَ المُمَثِّلِ والمَوضوعِ. فاستِعمالُ تشرتشل Churchill* مُمَثِّلَ سُقوطِ السِّتارِ الحَديدِيِّ غايتُهُ أن يَنقُلَ، عَلى سَبيلِ المِثالِ، أفكارًا مُختلِفَةً أُخرَى عن حالٍ ما بَعدَ الحَربِ في أورُبّا: صُعوبَة تَبادُلِ المَعلوماتِ أو نَقلِ الأشخاصِ أو البَضائعِ بينَ الاتِّحادِ السّوفييتيِّ وغَربِ أورُبّا. وغالِبًا ما يُمكِنُ تَعَرُّفُ مَقاصِدِ المُتكلِّمِ مِن السِّياقِ الذي تُقالُ فيهِ الاستِعارَةُ، وفي كَثيرٍ مِن الحالاتِ يَكونُ لِلاستِعارَةِ استِعمالٌ مَألوفٌ أصلًا. ويَرَى أولستن أن لا ضَرورَةَ لأن تَكونَ هذهِ المَقاصِدُ قَد هُيِّئَت في ذِهنِ المُتَكلِّمِ وأنَّها قَد تَكونُ ضِمنِيَّةً فَحَسْبُ (1989, p. 24)[4]. ويُنَبِّهُ أولستن أيضًا على أنَّ السّامِعَ قد يَستَثمِرُ أُنموذَجَ المُمَثِّل/ المَوضوع بِطَرائقَ لا يَتَناوَلُها قَصدُ المُتكلِّمِ مُوَلِّدًا بِذلكَ استِعاراتٍ مُختلِفَةً.

ومِن أجلِ تَفنيدِ أُطروحَةِ اللاردِّيَّةِ، يَرمي أولستن إلى إظهارِ أنَّ مَضمونَ الاستِعارَةِ يُمكِنُ أن يُعَبَّرَ عنهُ، جُزئيًّا في أَقَلِّ تَقديرٍ، تَعبيرًا حَرفِيًّا. على أنَّهُ يَذكُرُ أنَّ ثَمَّةَ جانِبًا رُبَّما لا يُمكِنُ أن يُدرَكَ فيهِ مَعنَى الاستِعارَةِ إدراكًا حَرفِيًّا. [176]

* ونستن ليونارد سبنسر تشرتشل (1874-1965م). رَئيسُ الوُزَراءِ في المملَكَةِ المُتَّحِدَةِ مِن عامِ 1940 إلى عامِ 1945 (إبّانَ الحَربِ العالميَّةِ الثّانيَةِ). وفي عامِ 1951 تَوَلّى تشرتشل المنصِبَ نَفسَهُ إلى عامِ 1955. يُعَدُّ مِن أبرزِ القادَةِ السِّياسيِّينَ في السّاحَةِ السِّياسِيَّةِ خِلالَ الحُروبِ التي اندَلَعَت في القَرنِ العِشرينَ. [المُتَرجِم]

(4) يَرَى أولستن أنَّ مَقاصِدَ المُتَكَلِّمِ الحَقيقيَّةَ، سَواءٌ أعُبِّرَ عنها بِصَراحَةٍ أم لَم يُعَبَّر، تُحَدِّدُها شُروطُ صِدقِ تَقريرِ الاستِعارَةِ التي يُمَيِّزُها المُتكلِّمُ.

مِثالُ ذلكَ أنَّ الاستِعارَةَ تتضمَّنُ مُقارَنَةً بينَ مُمَثِّلٍ ومَوضوعٍ قَد تَكونُ 'مَفتوحَةَ النِّهايَةِ'. إذ يَذهَبُ أولستن إلى أنَّ الجُمَلَ الاستِعارِيَّةَ 'لَها على الدَّوامِ ما يُمكِنُ أن يُسَمّى (استِعارِيًّا) ظِلًّا مِن الإيحاءاتِ غَيرِ الصَّريحَةِ يُحيطُ بِأيِّ مَضمونٍ قَضَويٍّ مُحَدَّدٍ حاضِرٍ مَهما يَكُنْ' (1989, p. 27). وعلى الرَّغمِ مِن هذا الاستِثناءِ، يَرَى أولستن أنَّ المَضمونَ القَضَويَّ لِلاستِعارَةِ يُمكِنُ أن يُعَبَّرَ عنهُ، جُزئيًّا في أَقَلِّ تَقديرٍ، تَعبيرًا حَرفِيًّا. فهُناكَ، عَلى وَجهِ التَّحديدِ، نَوعانِ مِن دَعاوَى الصِّدقِ الحَرفِيَّةِ في مَضمونِ أيَّةِ استِعارَةٍ.

إذ يُوجَدُ أَوَّلًا مَضمونٌ قَضَوِيٌّ غيرُ مُحَدَّدٍ، أي إنَّ المُمَثِّلَ مُشابِهٌ (حَرفِيًّا) لِلموضوعِ على نَحوٍ يَجعَلُهُ أُنموذَجًا model مُفيدًا لِلمَوضوعِ. ويُسَمّي أولستن هذا مُشابَهَةً أُنموذَجِيَّةً (M-similarity). وتَضَمُّنُ الاستِعارَةِ افتِراضًا لِمُشابَهَةٍ أُنموذَجِيَّةٍ إنَّما هوَ نَتيجَةٌ مُباشِرَةٌ لِنظريَّةِ أولستن ذاتِ المَرحلَتَيْنِ. فَالمُشابَهَةُ الأُنموذَجِيَّةُ المُفتَرَضَةُ بينَ المَوضوعِ والمُمَثِّلِ في الاستِعارَةِ تَضمَنُ إمكانَ أن تُعطى إعادَةَ صِياغَةٍ حَرفِيَّةً جُزئيَّةً. أي إنَّ بالإمكانِ إعادَةَ صِياغَةِ جُزءٍ مِن المَضمونِ الحَرفِيِّ لأيَّةِ استِعارَةٍ مِن خِلالِ كَونِ '[المُمَثِّلِ] مُشابِهًا لِـ [المَوضوعِ]'. ويُوجَدُ، ثانِيًا، مَضمونٌ قَضَوِيٌّ مُحَدَّدٌ لِلاستِعاراتِ. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ المُتكلِّمَ يُقَرِّرُ قَولَهُ: 'اللهُ صَخرَتي'، مُستَعمِلًا الاستِعارَةَ بِقَصدِ نِسبَةِ صِفَةٍ مّا هيَ ص إلى اللهِ. ويُسَمّي أولستن ص *المَضمونَ المُحَدَّدَ*؛ ففي هذهِ الحالَةِ، قَد يَكونُ المَضمونُ المُحَدَّدُ: يَمنَحُني *الثِّقَةَ* أو يُمِدُّني *بِالتَّأييدِ*. وبالقَدْرِ الذي يَستَطيعُ بِهِ المُتكلِّمُ أن يُكَوِّنَ مَفهومًا مّا لِـ ص، يَنبَغي أن يَكونَ مِن المُمكِنِ أن يُعَبَّرَ عن ص في اللُّغَةِ وأن يُستَعمَلَ ص لَفظًا مَحمولِيًّا. ومِن ثَمَّ، يَنبَغي أن يُمكِنَ التَّعبيرُ في أيَّةِ استِعارَةٍ مُتَعلِّقَةٍ باللهِ عن جُملَةٍ حَرفِيَّةٍ مُناظِرَةٍ شَكلُها هوَ 'اللهُ ص'، حَيثُ يُمكِنُ أن يُستَبدَلَ بِـ ص نُقطَةُ الشَّبَهِ المُحَدَّدَةُ التي يَتَّجِهُ قَصدُ المُتكلِّمِ إليها. ولا يَدَّعي أولستن أنَّهُ يَنبَغي أن يَكونَ المُتَكلِّمُ في وَضعٍ يُتيحُ لَهُ تَقريرَ هذهِ الدَّعوَى الحَرفِيَّةِ، بَل كُلُّ ما يَدَّعيهِ أنَّها يُمكِنُ التَّعبيرُ عنها مِن حَيثُ المَبدَأُ.

ويَرَى أولستن أنَّ سببَ إخفاقِ أُطروحَةِ اللاردِّيَّةِ هوَ أنَّ الاستِعاراتِ، ولا سِيَّما الاستِعاراتُ الدِّينِيَّةُ، قابِلَةٌ على الدَّوامِ مِن حَيثُ المَبدَأُ لِنَوعَيْنِ مِن إعادَةِ الصِّياغَةِ الحَرفِيَّةِ: دَعوَى حَرفِيَّةٍ غَيرِ مُحَدَّدَةٍ ودَعوَى حَرفِيَّةٍ أكثَرَ تَحديدًا بِشأنِ الشَّبَهِ بينَ المَوضوعِ والمُمَثِّلِ.

فَما مِقدارُ فَعّالِيَّةِ تَفنيدِ أولستن لأُطروحَةِ اللاردِّيَّةِ؟ الحَقُّ أنَّ حُجَّتَهُ لَيسَتْ مُلزِمَةً بِالدَّرجَةِ التي تَظهَرُ بِها: فهوَ لا يَدَّعي أنَّ المَضمونَ الذي يُمكِنُ التَّعبيرُ عنهُ حَرفِيًّا لِكِلا النَّوعَيْنِ المُحَدَّدِ وغَيرِ المُحَدَّدِ مُتاحٌ لأيَّةِ استِعارَةٍ بَل يَرَى أنَّهُ غَيرُ مُتاحٍ إلّا لِلاستِعاراتِ التي يَنوي المُتكلِّمونَ تَقريرَها على أنَّها صادِقَةٌ. فَـ 'الأُطروحَةُ لا تَمتَدُّ لِتَشمَلَ الحالَةَ التي يُقَدِّمُ فيها المُتَكَلِّمُ بِبَساطَةٍ، على سبيلِ المِثالِ، المَلَكِيَّةَ بِوَصفِها أُنموذَجًا مُمكِنًا لِلّهِ، داعِيًا السّامِعَ إلى أن يَجعَلَ مِنها ما يُمكِنُهُ أن يَجعَلَ' (1989, p. 30). ويُشيرُ أولستن إلى أنَّ بِإمكانِ مُؤيِّدِي أُطروحَةِ اللاردِّيَّةِ أن يَذهَبوا إلى أنَّ الحَديثَ الاستِعارِيَّ عن اللهِ يتضَمَّنُ [177] إسنادًا حَرفِيًّا لكِنَّهُ ذو تَشابُهاتٍ غَيرِ مُحَدَّدَةٍ فقط. فحينَ يَقولُ الشَّخصُ: 'اللهُ مَلِكٌ'، على سبيلِ المِثالِ، لا يُقَدِّمُ بِذلكَ إلّا شَبَهًا غَيرَ مُحَدَّدٍ بينَ اللهِ والمُلوكِ لا نُقطَةَ مُشابَهَةٍ أكثَرَ تَحديدًا هيَ ص. وَلْنُسَمِّ هذهِ النَّظرِيَّةَ *نَظرِيَّةَ الشَّبَهِ غَيرِ المُحَدَّدِ* ***unspecific resemblance theory*** (URT). ويُعارِضُ أولستن هذا المَذهَبَ لأنَّهُ يَرَى أنَّهُ يَنتَهي إلى تَعديلاتٍ مُهِمَّةٍ لِلُّغَةِ الدِّينِيَّةِ. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ إذا كانَ كُلُّ ما يَفعَلُهُ الشَّخصُ عندَ تَحَدُّثِهِ عن اللهِ هوَ قَولَهُ إنَّ لِلّهِ شَبَهًا غَيرَ مُحَدَّدٍ بِكَذا وكَذا، فعِندَئذٍ لَن يَكونَ كُلُّ قَولٍ عن اللهِ صادِقًا صِدقًا بَديهِيًّا فَحَسْبُ، إذ يُوجَدُ على الدَّوامِ نَوعٌ *مّا* مِن الشَّبَهِ بينَ شَيئَيْنِ، بَل ستَكونُ أقوالٌ مِن قَبيلِ 'اللهُ عَنكَبوتٌ' أو 'اللهُ فَطيرَةُ طِينٍ' 'نَديدَةً' لأقوالٍ مِن قَبيلِ 'خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأرضَ' أو 'أمَرَنا اللهُ بِأن يُحِبَّ بَعضُنا بَعضًا' (1989, pp. 32-33). ثُمَّ إنَّهُ يَلزَمُ مِن نَظرِيَّةِ الشَّبَهِ غَيرِ المُحَدَّدِ، على ما يُشيرُ إليهِ أولستن، أن تَكونَ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةُ الواضِحَةُ التَّعارُضِ مُنسَجِمَةً مَنطِقِيًّا. 'فلا شَكَّ في أنَّ حَقيقَةَ كَونِ الإنسانِ المُحِبِّ والرَّحيمِ أُنموذَجًا مُناسِبًا لِلّهِ لا تَستَبعِدُ مَنطِقِيًّا إمكانَ أن يَكونَ الإنسانُ القاسي والمُتَعَطِّشُ لِلدِّماءِ، لا على التَّعيينِ، أُنموذَجًا مُناسِبًا لِلّهِ

(مِن جانِبٍ أو مِن آخَرَ) ' (1989, p. 33). وليسَ ما يَرمي إليهِ أولستن هوَ أنَّ نَظريَّةَ الشَّبَهِ غَيرِ المُحَدَّدِ غَيرُ مُتَماسِكَةٍ بَل يَرمي إلى أنَّ لَوازِمَها التَّعديلِيَّةَ غَيرُ مَقبولَةٍ دينِيًّا: إنَّها 'رِدَّةٌ دينِيَّةٌ' (1989, p. 36).

ويَذهَبُ أولستن على نَحوٍ مُقنِعٍ إلى أنَّ نَظريَّةَ الشَّبَهِ غَيرِ المُحَدَّدِ ستَكونُ لَها نَتائجُ تَعديلِيَّةٌ في ما يتعلَّقُ بِالخِطابِ الدِّينِيِّ فهيَ لِذلكَ غَيرُ مُرضِيَةٍ بِوَصفِها نَظريَّةً بشَأنِ مَعنَى الأَقوالِ الدِّينِيَّةِ. ثُمَّ إنَّ مِن الواضِحِ أنَّ المُتكلِّمِينَ لا يَتَّجِهُ قَصدُهُم في كَثيرٍ مِن الحالاتِ إلى شَبَهٍ غَيرِ مُحَدَّدٍ حينَ يتحدَّثونَ عَن اللهِ. على أنَّ مُناقَشَةَ أولستن لِنَظريَّةِ الشَّبَهِ غَيرِ المُحَدَّدِ إنَّما هيَ صَرفٌ لِلانتِباهِ عن الأمرِ المُهِمّ. فَلْنَنظُرْ في نُسخَتَيْ أُطروحَةِ اللاارَدِّيَّةِ اللَّتَيْنِ قَدَّمَهُما مكفَيْغ وكيني. فَعَلى الرَّغمِ مِن جَميعِ ما يَكتَنِفُ ما اقتَرَحاهُ مِن مُشكِلاتٍ، يُحاوِلُ كِلاهُما الإتيانَ بِنظريَّةٍ لاتَعديلِيَّةٍ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ. فإن كانَتْ مكفَيْغ على صَوابٍ، فإنَّ جَميعَ الدَّعاوَى المُتعلِّقَةِ بِاللهِ استِعارِيَّةٌ (حتّى إذا اعتَقَدَ المُتكلِّمونَ أنَّهم يتحدَّثونَ حديثًا حَرفِيًّا). ولا يَقتَرِحُ كيني أيَّ تَعديلٍ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ، وإن كانَ يُقَدِّمُ نَظَريَّةَ عَدَمِ قابِلِيَّةِ اللهِ لِلوَصفِ بِوَصفِها نُقطَةَ انطِلاقٍ لَهُ. ويَرَى كيني أنَّهُ يَلزَمُ مِن الحَقيقَةِ المُتعلِّقَةِ بِالطَّريقَةِ التي يُستَعمَلُ بِها مَفهومُ اللهِ، ولا سِيَّما أنَّهُ لا 'يَنتَمي' إلى أيِّ 'لُعبَةٍ لُغَوِيَّةٍ'، أنَّ كُلَّ ما يُتَحَدَّثُ بِهِ عن اللهِ استِعارِيٌّ. ويُوحي هذا بِأنَّ مُؤَيِّدِي أُطروحَةِ اللاارَدِّيَّةِ أو أنَّ عَدَدًا غَيرَ قَليلٍ مِنهُم في أَقَلِّ تَقديرٍ سيُوافِقُ رَأيُهُم رَأيَ أولستن فيَرفُضونَ نَظريَّةَ الشَّبَهِ غَيرِ المُحَدَّدِ بِوَصفِها نُسخَةً تَعديلِيَّةً لِلنَّظريَّةِ.

وقَد يَضَعُ مُؤَيِّدو أُطروحَةِ اللاارَدِّيَّةِ أَحَدَ الافتِراضاتِ المَركَزِيَّةِ في نَقدِ أولستن لِلنَّظَريَّةِ مَوضِعَ المُساءَلَةِ. إذ تُهَيمِنُ على مُحاجَّةِ أولستن اعتِباراتٌ تتعلَّقُ بِمَقاصِدِ المُتكلِّمِ عندَ مُمارستِهِ الخِطابَ الدِّينِيَّ لا بِمَعنَى الجُمَلِ المَنطوقَةِ. فهوَ يَرَى أنَّ [178] المُتكلِّمَ عندَ استِعمالِهِ الاستِعارَةَ إنَّما يتَّجِهُ قَصدُهُ إلى افتِراضِ شَبَهٍ مّا بينَ المَوضوعِ والمُمَثِّلِ ثُمَّ يَذهَبُ إلى أنَّ الشَّبَهَ المَقصودَ يَجِبُ أن يَكونَ مِمّا يُمكِنُ التَّعبيرُ عنهُ حَرفِيًّا. لكِن إن أُريدَ لِهذِهِ المُحاجَّةِ أن تَنجَحَ في مُواجَهَةِ

أُطروحَةِ اللاارَدِّيَّةِ، فإنَّها تَقتَضي أن تَكونَ مَقاصِدُ المُتكلِّمِ مُحَدَّدَةً لِمَضمونِ الاستِعارَةِ. وليسَ واضِحًا السَّبَبُ الذي مِن أجلِهِ يَنبَغي لِمُؤيِّدِي أُطروحَةِ اللاارَدِّيَّةِ أن يَقبَلوا ذلكَ. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ مُؤيِّدِي أُطروحَةِ اللاارَدِّيَّةِ يَتَبَنَّونَ نَظريَّةً مِن نَظريّاتِ المَعنَى الثّانَوِيِّ لِلاستِعارَةِ، كالتي قَدَّمَها سيرل. وقَد ذَكَرْنا عندَ مُناقَشَتِنا السّابِقَةِ لِسيرل أنَّ هذهِ النَّظريَّةَ تُفيدُ أنَّ مَضمونَ الاستِعارَةِ هوَ ما تُخبِرُ بِهِ الاستِعارَةُ فِعلِيًّا، لكِن يُوجَدُ مَعنًى ثانَوِيٌّ يُمكِنُ استِخلاصُهُ مِمّا يَستَلزِمُهُ القَولُ الاستِعارِيُّ. ومِن أجلِ التَّوَصُّلِ إلى هذا المَعنَى الثّانَوِيِّ، يَجِبُ أن يَلجَأَ الشَّخصُ إلى مَعلوماتٍ سِياقِيَّةٍ إضافِيَّةٍ. وقَد تتضَمَّنُ هذهِ المَعلوماتُ السِّياقِيَّةُ حَقائقَ بِشأنِ مَقاصِدِ المُتكلِّمِ، لكِنَّ الأمرَ لا يَكونُ كذلكَ على الدَّوامِ. مِثالُ ذلكَ أنّا لا نَحتاجُ مِن أجلِ مَعرِفَةِ مَقاصِدِ المُتكلِّمِ إلى التَّوَصُّلِ إلى المَعنَى الثّانَوِيِّ لِلجُملَةِ (7)، وأنَّ مَعنَى الجُملَةِ (7) لا يتغَيَّرُ إذا تَغَيَّرَ ما يَتَّجِهُ إليهِ قَصدُ المُتكلِّمِ بِها[5]. فإنِ احتُمِلَ أن يَكونَ لأولستن حُجَّةٌ ناجِحَةٌ تُظهِرُ أنَّ بِالإمكانِ على الدَّوامِ أن تُعادَ (جُزئيًّا) الصِّياغَةُ الحَرفِيَّةُ لِمَضمونِ *مَقاصِدِ* المُتكلِّمِ بِالاستِعارَةِ، فإنَّهُ لَم يُظهِرْ أنَّ مَضمونَ الاستِعاراتِ يُمكِنُ أن تُعادَ صِياغَتُهُ حَرفِيًّا.

وثَمَّةَ خَطٌّ آخَرُ مِن خُطوطِ الاعتِراضِ على أولستن مَصدَرُهُ نُقّادُ أُطروحَةِ اللاارَدِّيَّةِ. فَلِمَ يُسَلِّمُ أولستن بِأنَّ مَضمونَ الاستِعاراتِ ليسَ *تَمامًا* مِمّا يُمكِنُ أن يُعَبَّرَ عنهُ تعبيرًا حَرفِيًّا؟ وَلْنُسَمِّ الأُطروحَةَ التي مُفادُها أنَّ مَضمونَ الاستِعارَةِ يُمكِنُ مِن حَيثُ المَبدَأُ أن يُدرَكَ حَرفِيًّا إدراكًا تامًّا نَظريَّةَ الرَّدِّيَّةِ reducibility theory (RT). فَلِمَ تُرفَضُ نَظريَّةُ الرَّدِّيَّةِ؟ قَد رأَينا آنِفًا أنَّ أولستن يَذهَبُ إلى أنَّ الاستِعاراتِ 'مَفتوحَةُ النِّهايَةِ' لأنَّها تَتَّخِذُ أيَّ عددٍ مِن اللَّوازِمِ غيرِ الصَّريحَةِ التي لا يُمكِنُ إدراكُها تَمامًا إدراكًا حَرفِيًّا. على أنَّ أُطروحَةَ اللاارَدِّيَّةِ تَتَعلَّقُ بِمَضمونِ الاستِعاراتِ. فلِمَ يُفتَرَضُ أن تَكونَ الصُّعوبَةُ المُتعلِّقَةُ بِالإخبارِ الحَرفِيِّ بِما

(5) فإن تَغَيَّرَ فإنَّ نظريَّةَ أولستن ستَكونُ في مُواجَهَةِ اعتِراضِ 'الهَمبتي-دَمبتِيَّةِ humpty-dumptyism' الذي اعتُرِضَ بِهِ على برَنْتوَيْت.

تَستَلزِمُهُ الاستِعارَةُ ذاتَ صِلَةٍ بِالتَّعبيرِ الحَرفِيِّ عن مَضمونِ الاستِعارَةِ؟ على أنَّ أولستن يَذهَبُ أيضًا إلى أنَّهُ قَد تُوجَدُ حالاتٌ تكونُ فيها النِّهايَةُ المَفتوحَةُ 'مُؤَثِّرَةً في المَضمونِ القَضَوِيِّ لِلعِبارَةِ التَّقريرِيَّةِ الاستِعارِيَّةِ' (1989, p. 27). وليسَ واضِحًا تَمامًا ما يَعنيهِ أولستن بِهذا، لكِن يَبدو أنَّهُ يَرَى أنَّ مَضمونَ الاستِعارَةِ يُمكِنُ أن يَكونَ مُوحِيًا إيحاءً ذاتِيًّا وعَصِيًّا عَلى التَّحديدِ. ويَبدو أنَّ هذا لا يَصِحُّ في كَثيرٍ مِن الاستِعاراتِ. فقولُ القائلِ: 'اللهُ صَخرَتي'، على سبيلِ المِثالِ، لَهُ مَضمونٌ مُقَرَّرٌ بِسُهولَةٍ: المَضمونُ المُحَدَّدُ والصّادِقُ صِدقًا بَديهِيًّا الذي هوَ *اللهُ صَخرَتي*. لكِن حَتّى إذا افتَرَضْنا أنَّ لِلاستِعارَةِ مَضمونًا مَفتوحَ النِّهايَةِ، فلِمَ لا تُعادُ صِياغَتُهُ حَرفِيًّا؟ فالعِباراتُ التَّقريرِيَّةُ الحَرفِيَّةُ يُمكِنُ أن تَكونَ مُلْبِسَةً، ومُراوِغَةً، ومُبَصِّرَةً، ومُحَيِّرَةً، وما إلى ذلكَ، بالقَدْرِ الذي يُمكِنُ أن تَكونَ بِهِ العِباراتُ التَّقريرِيَّةُ الاستِعارِيَّةُ كذلِكَ تَمامًا. فالذي يَقتَضيهِ التَّعبيرُ الحَرفِيُّ عن الاستِعارَةِ المَفتوحَةِ النِّهايَةِ [179] إذَن هوَ جُملَةٌ حَرفِيَّةٌ أو مَجموعَةٌ مِن الجُمَلِ التي تَستَوي في إيحائها. ولا يُظهِرُ أولستن أنَّ إعادَةَ صِياغَةٍ كهذهِ لا يُمكِنُ تَقديمُها. ويَبدو أنَّ قَلَقَ أولستن بِشَأنِ نَظرِيَّةِ الرَّدِّيَّةِ أدّى إلى خَلطِ إعادَةِ الصِّياغَةِ الحَرفِيَّةِ لِلاستِعارَةِ بِمُحاوَلَةِ جَعلِها صَريحَةً تَمامًا. ومِن الواضِحِ أنّا لا يُمكِنُنا أن نُحَدِّدَ حَرفِيًّا جَميعَ الإيحاءاتِ غَيرِ الصَّريحَةِ لِلاستِعارَةِ، لاحتِمالِ وُجودِ عَدَدٍ كَبيرٍ لا على التَّعيينِ مِنها. بيدَ أنَّ نَظرِيَّةَ الرَّدِّيَّةِ لا تَتَطَلَّبُ سِوَى وُجودِ جُمَلٍ حَرفِيَّةٍ يُمكِنُ أن تَنقُلَ عَدَدًا مُتَشابِهًا مِن الإيحاءاتِ غَيرِ الصَّريحَةِ. ولا يُقَدِّمُ أولستن سَبَبًا لِعَدَمِ إمكانِ ذلكَ.

فمُحاجَّةُ أولستن تُخفِقُ إذَن في تَوجيهِ ضَربَةٍ قاضِيَةٍ إلى أُطروحَةِ اللارَدِّيَّةِ؛ ورُبَّما يَكونُ مُتَسامِحًا جِدًّا معَ أُطروحَةِ اللارَدِّيَّةِ بِتَسليمِهِ بِأنَّ مَضمونَ الاستِعاراتِ الدِّينِيَّةِ لا يُمكِنُ أن يُعَبَّرَ عنهُ تَمامًا تَعبيرًا حَرفِيًّا. على أنَّ أُطروحَةَ اللارَدِّيَّةِ عُرضَةٌ لِخَطٍّ آخَرَ مِن خُطوطِ الاعتِراضِ.

مُشكِلَةٌ أُخرَى تُواجِهُ أُطروحَةَ اللارَدِّيَّة

يَجنَحُ مُؤيِّدو أُطروحَةِ اللارَدِّيَّةِ إلى تَقديمِ تَفصيلاتٍ قَليلَةٍ لِنظريَّةِ الاستِعارَةِ التي يَستَخدِمونَها. فهَل تُعَدُّ أُطروحَةُ اللارَدِّيَّةِ مَذهَبًا مُتَماسِكًا يَصلُحُ لِلتَّبَنّي في أيٍّ مِن النَّظريّاتِ الرَّئيسَةِ؟

مِن الواضِحِ أنَّ أُطروحَةَ اللارَدِّيَّةِ يتعذَّرُ الدِّفاعُ عنها بِحَسَبِ أُطروحَةِ دَيْفِدسن. فإذا لَم تَكُنِ الاستِعارَةُ مِن النّاحيَةِ النَّمَطيَّةِ إلّا جُملَةً حَرفِيَّةً كاذِبَةً كَذِبًا جَلِيًّا تُستَعمَلُ لِتُثيرَ (سَبَبِيًّا) أفكارًا أُخرَى، فَليسَ ثَمَّةَ مَعنًى استِعارِيٌّ إذَن في هذهِ العمليَّةِ. ذلكَ بِأنَّهُ لا يُوجَدُ مَعنًى استِعارِيٌّ يُرَدُّ أو تُعادُ صِياغَتُهُ حَرفِيًّا. فالمَضمونُ (الحَرفِيُّ) لِقَولِ القائلِ: 'الرَّبُّ راعِيَّ' هوَ أنَّ الرَّبَّ راعِيَّ.

والظّاهِرُ أنَّ ثَمَّةَ مُشكِلَةً مُشابِهَةً ستُواجِهُ نظريّاتِ المَعنَى الثّانَوِيِّ لِلاستِعارَةِ، كنظريَّةِ غرايس/سيرل والنَّظريَّةِ التَّفاعُلِيَّةِ. فكِلتا الأُطروحتَيْنِ تَقتَضي أن يُشيرَ الكَذِبُ الحَرفِيُّ الجَلِيُّ لِلاستِعارَةِ إلى أنَّ ثَمَّةَ مَعنًى ثانَوِيًّا مّا - وهوَ مَعنًى يَستَلزِمُهُ الكَلامُ على وَفقِ النَّظريَّةِ الغرايسِيَّةِ أو مَعنًى إضافِيٌّ مّا يُمكِنُنا استِخلاصُهُ مِن المَضمونِ على وَفقِ النَّظريَّةِ التَّفاعُلِيَّةِ - يَنبَغي البَحثُ عنهُ. فالذي يَظهَرُ أنَّ أُطروحَةَ اللارَدِّيَّةِ تُخفِقُ مُنذُ البِدايَةِ استِنادًا إلى نظريّاتِ المَعنَى الثّانويِّ، لأنَّ لِلاستِعاراتِ مَضمونًا (كاذِبًا) يُمكِنُ التَّعبيرُ عنهُ حَرفِيًّا. على أنَّهُ قَد يُمكِنُ تَعديلُ أُطروحَةِ اللارَدِّيَّةِ، معَ المُحافَظَةِ على رُوحِ المَذهَبِ، على النَّحوِ الآتي:

> أُطروحَةُ اللارَدِّيَّةِ*: لِلأقوالِ المُتعلِّقَةِ بِاللهِ مَعنًى أوَّلِيٌّ (مَضمونٌ حَرفِيٌّ) يُمكِنُ التَّعبيرُ عنهُ حَرفِيًّا لكِنَّ لَها مَعنًى ثانَوِيًّا لا يُمكِنُ رَدُّهُ ولا يُمكِنُ أن تُعادَ صِياغَتُهُ حَرفِيًّا.

ومِن سُوءِ الحَظِّ أنَّ أُطروحَةَ اللارَدِّيَّةِ* تُواجِهُ صُعوبَةً حَقيقيَّةً. فَلْنَأخُذِ القَولَ: 'اللهُ أبونا'. فالذي تُفيدُهُ نظريَّةُ المَعنَى الثّانَوِيِّ أنَّ الكَذِبَ الواضِحَ [180] لِلمَضمونِ الحَرفِيِّ لِهذهِ الدَّعوَى يَقودُنا إلى البَحثِ عن مَعنًى ثانَوِيٍّ. وتتضَمَّنُ

مُرَشَّحاتُ المَعنَى الثّانَويِّ ما يَأتي: اللهُ يَعتَني بِنا، واللهُ يَهدينا، واللهُ يُرَبِّينا. فما دامَتْ هذهِ جُمَلًا تتعلَّقُ بِاللهِ، فالذي تَستَتبِعُهُ أُطروحَةُ اللاأدْرِيَّةِ* أنَّها لَيسَتْ هيَ أنفُسُها حَرفِيَّةً. فَلْنَفتَرِضْ، إذَن، أنَّها استِعارِيَّةٌ. فالذي تَقتَضيهِ أُطروحَةُ المَعنى الثّانَويِّ أنَّ لَها مَضمونًا حَرفِيًّا كاذِبًا يَقودُنا إلى البَحثِ عن مَعنًى ثانَوِيٍّ مَا أو، في هذهِ الحالَةِ، إلى مَعنًى ثالِثِيٍّ لِلقَولِ الأصليِّ. على أنَّ مُرَشَّحاتِ المَعنى الثّالِثِيِّ مِن المُفتَرَضِ أن تَكونَ كذلكَ مُتعلِّقَةً بِاللهِ (أو إذا لَم تَكُن مُتعلِّقَةً بِاللهِ، فإنَّها مِمّا يُمكِنُ التَّعبيرُ عنهُ حَرفِيًّا، فتَكونُ أُطروحَةُ اللاأدْرِيَّةِ* كاذِبَةً). فعِندَئذٍ ستُواجِهُ الجُمَلُ الثّالِثِيَّةُ المُشكِلَةَ نَفسَها. فهَل هيَ مِمّا يُمكِنُ التَّعبيرُ عنهُ حَرفِيًّا، ففي هذهِ الحالَةِ تَكونُ أُطروحَةُ اللاأدْرِيَّةِ* كاذِبَةً، أو هيَ استِعارِيَّةٌ، ففي هذهِ الحالَةِ تُواجِهُ الجُمَلُ الرّابِعِيَّةُ المُشكِلَةَ نَفسَها؟ وفي مُحاوَلَةٍ لِلتَّوَصُّلِ إلى نظرِيَّةٍ لِلّاأدْرِيَّةِ الاستِعارِيَّةِ، تَلجَأُ أُطروحَةُ اللاأدْرِيَّةِ* إلى تَحليلِ مَعنَى الأقوالِ الدِّينِيَّةِ بِوَصفِهِ مَجموعاتٍ مِن الأكاذيبِ الحَرفِيَّةِ.

فَإلامَ تَؤُولُ أُطروحَةُ اللاأدْرِيَّةِ على وَفقِ المَذهَبِ السِّياقِيِّ؟ لِنَتَذَكَّرْ أنَّ السِّياقِيِّينَ يَعتَقِدونَ أنَّ الاستِعاراتِ أقوالٌ فَضفاضَةٌ. والفَضفاضِيَّةُ سِمَةٌ شائعَةٌ أيضًا لِلأقوالِ الحَرفِيَّةِ ('السَّمَكُ نِيءٌ'، وما إلى ذلكَ). لكِنّا في الحالاتِ الحَرفِيَّةِ نُنشِئُ بِلا تَفَكُّرٍ مَفاهيمَ خاصَّةً مِن غَيرِ أن يُؤَثِّرَ فينا المَوضوعُ-المَحمولُ. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، تُبدي الأقوالُ الاستِعارِيَّةُ دَرَجَةً أكبَرَ مِن الفَضفاضِيَّةِ تَكونُ واضِحَةً لَنا بِما يَكفي لِنَعُدَّها لاحَرفِيَّةً (وهذا هوَ 'الشُّعورُ بِالتَّعارُضِ' عندَ ريكاناتي المذكورُ آنِفًا). فكُلُّ ما تَتَضَمَّنُهُ دَعوى أنَّ الحَديثَ عن اللهِ استِعارِيٌّ إذَن هوَ أنَّهُ أكثَرُ فَضفاضِيَّةً بِقَليلٍ وأنَّ ذلكَ أوضَحُ فيهِ مِمّا هوَ عليهِ حالُ الأقوالِ الحَرفِيَّةِ عادَةً. ويُلحَظُ أنَّ هذهِ النَّظرِيَّةَ تُفيدُ أن لا غَرابَةَ كَبيرَةَ في أن يَكونَ الحَديثُ عن اللهِ استِعارِيًّا وأنَّ هذا في الواقِعِ مَقبولٌ تَمامًا. فاللهُ مَوجودٌ مُتَفَرِّدٌ ذو صِفاتٍ مُمَيِّزَةٍ. فمِن المُتَوَقَّعِ تَمامًا أن تَكونَ المَحمولاتُ المُستَعمَلَةُ في الحَديثِ عنهُ، ولا سِيَّما التي يَشيعُ استِعمالُها أيضًا في السِّياقاتِ اللادينِيَّةِ، فَضفاضَةً نِسبِيًّا. على أنَّهُ إن كانَ السِّياقِيُّونَ مُحِقِّينَ بِشَأنِ الاستِعارَةِ، فليسَ واضِحًا ما يُمكِنُ أن يُجنى فَلسَفِيًّا مِن الإصرارِ

على أنَّ كُلَّ ما يُتَحَدَّثُ بِهِ عن اللهِ استِعاريٌّ. مِثالُ ذلكَ أنَّهُ إذا كانَ يُعتَقَدُ أنَّ عَدَمَ إمكانِ وَصفِ اللهِ يُمَثِّلُ مُشكِلَةً لِعمليَّةِ الإسنادِ الحَرفِيِّ عندَ الحَديثِ عن اللهِ، فما الذي يَحمِلُ على اعتِقادِ أنَّ مَصيرَ الكَلام الاستِعارِيِّ سيَكونُ أفضَلَ؟ فالاستِعاراتُ تَستَعمِلُ مَفاهيمَ خاصَّةً لَها ماصَدَقاتٌ أوسَعُ مِن نَظيراتِها الحَرفِيَّةِ أو مُتَداخِلَةٌ مَعَها جُزئيًّا، لكِنَّها تَظَلُّ مُمَثِّلَةً لِمَوضوعِها بِوَصفِهِ طَريقَةً مُعَيَّنَةً (بِوَصفِهِ راعِيًا*، عَلى سَبيلِ المِثالِ، لا راعِيًا). ثُمَّ إنَّهُ تَصعُبُ رُؤيَةُ كَيفِيَّةِ إمكانِ أن تَكونَ الاستِعارَةُ لاأدِّيَّةً. فَلْنَفتَرِضْ أنَّ مَفهومَ الصَّخرَة في قَولِ القائلِ: 'اللهُ صَخرَتي' يَخضَعُ لإرخاءٍ ويُعَدَّلُ إلى الصَّخرَة*. فيَنبَغي أن يُمكِنَ تَفسيرُ مَضمونِ الصَّخرَة* بِأن تُبَيِّنَ، مِن زاوِيَةٍ حَرفِيَّةٍ، كَيفِيَّةُ اختِلافِهِ عن الصَّخرَة. [181] فَكذلكَ يَنبَغي في جَميعِ الحالاتِ التي على هذهِ الشّاكِلَةِ أن يَكونَ المَضمونُ الحَرفِيُّ لِلاستِعارَةِ قابِلًا لِلتَّحديدِ حَرفِيًّا.

فقد رَأَيْنا أنَّ اثنَيْنِ مِن كِبارِ مُناصِري أُطروحَةِ اللاأدِّيَّةِ تَنطَوي أُطروحَتاهُما على خَلَلٍ كَبيرٍ وأنَّ أُطروحَةَ اللاأدِّيَّةِ وأُطروحَةَ اللاأدِّيَّة* يتَعَذَّرُ الدِّفاعُ عنهُما على وَفقِ أيَّةِ نَظرِيَّةٍ سائدَةٍ لِلاستِعارَةِ. ولِعَدَم القُدرَةِ على تَهيِئَةِ نظرِيَّةٍ استِعارِيَّةٍ عامَّةٍ بَديلَةٍ يُمكِنُ أن تُقَدِّمَ نُسخَةً مَقبولَةً لأُطروحَةِ اللاأدِّيَّةِ، يَنبَغي لَنا أن نَرفُضَ النَّظرِيّاتِ الاستِعارِيَّةَ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ. فالاستِعاراتُ تُستَعمَلُ بِكَثرَةٍ في الخِطابِ الدِّينِيِّ، بِتَأثيرٍ كَبيرٍ أحيانًا، لكِنَّها لَيسَتْ لاأدِّيَّةً ولَيسَتْ مُتَغَلغِلَةً كُلِّيًّا. [182]

14

التَّخَيُّلِيَّة

سنَنظُرُ في هذا الفَصلِ في ثَلاثَةِ أنواعٍ لِلتَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقيَّةِ. ويَرجِعُ أوَّلُها إلى التَّطَوُّرِ التَّخَيُّلِيِّ لِلّاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ الذي عَرَّجْنا عليهِ في الفَصلِ 2. ويُعالِجُ الثّاني طَريقَةً لافِتَةً لِلنَّظَرِ لِبِناءِ التَّخَيُّلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ على أساسِ أنَّ 'المُؤمِنِينَ' مَخدوعونَ ذاتِيًا. ويُقَدِّمُ الثّالِثُ، على ما أعتَقِدُ، نُسخَةً ناجِحَةً لِلتَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقيَّةِ لكِنَّهُ لا يُفلِحُ في الابتِعادِ عن نظريَّةِ القيمَةِ الظّاهريَّةِ إلّا على نَحوٍ مُتَواضِعٍ جِدًّا.

التَّسبيح

نَظَرْنا في الفَصلِ 2 في طَريقَةٍ لِتَطويرِ اللاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ بِوَصفِهِ نَوعًا مِن أنواعِ نظريَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ ('الخِيار اللُّغَوِيّ')، حَيثُ تُؤَوَّلُ الجُمَلُ الدِّينِيَّةُ المُتعلِّقَةُ بِاللهِ على أنَّ لَها مَضمونًا وَصفِيًّا ولامَعرِفِيًّا في الوَقتِ نَفسِهِ. مِثالُ ذلكَ أنَّ الجُملَةَ الآتِيَةَ:

1. اللهُ هوَ س.

حَيثُ تُحيلُ س على صِفَةٍ تُنسَبُ إلى اللهِ، يَنبَغي أن تُؤَوَّلَ على أنَّ لَها المَضمونَ التَّمثيلِيَّ (1أ) ولكِنَّها تُؤَوَّلُ أيضًا على أنَّها مُرتَبِطَةٌ عُرفِيًّا بِالتَّعبيرِ عن مَوقِفٍ لامَعرِفِيٍّ (أ) مُوَجَّهٍ إلى اللهِ يُقَدِّمُهُ (1ب):

1أ. اللهُ هوَ س.

1ب. آآ !A (الله).

وقَد مَيَّزتُ ذلكَ بِأَنَّهُ شَكلٌ مِن أشكالِ نظريَّةِ المَوقِفِ المُعتَدِلَةِ يُؤَوِّلُ اللُّغَةَ المُتعلِّقَةَ بِاللهِ على أنَّها نوعٌ مِن 'التَّسبيحِ'. ذلكَ بِأَنَّهُ على الرَّغمِ مِن أنَّ هذهِ النَّظريَّةَ تُقِرُّ بِأنَّ الجُمَلَ تُمَثِّلُ اللهَ على أنَّ لَهُ صِفاتٍ مُختلِفَةً، تُفيدُ [183] أنَّها تُعَبِّرُ أيضًا عن مَواقِفَ يُبديها المُؤمِنونَ تُجاهَ اللهِ، مِن إخلاصٍ، وتَبجيلٍ، وحُبٍّ، وما إلى ذلكَ. مِثالُ ذلكَ أنَّ الجُملَةَ الآتيَةَ:

2. اللهُ كُلِّيُّ القُدرَة.

يُمكِنُ تَأويلُها بِقَولِنا (ما يُشبِهُ):

3. أو، اللهُ القَوِيُّ!

فالجُملَةُ تُسَمِّي اللهَ قَوِيًّا وتُسَبِّحُ اللهَ بِوَصفِهِ قَوِيًّا، في الوَقتِ نَفسِهِ.

على أنّا كُنّا قَد ذَكَرْنا أيضًا نظريَّةً أُخرَى ذاتَ صِلَةٍ وَثيقَةٍ ('خِيار الفِعلِ الكَلامِيّ')، تُفيدُ أنَّ *الجُمَلَ* الدِّينيَّةَ تَمثيلِيَّةٌ مَحضَةٌ - أي أنَّها لا تُعَبِّرُ عُرفِيًّا عن أيَّةِ مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ - لكِنَّها تَذهَبُ إلى أنَّ المُتَكَلِّمينَ *يَستَعمِلونَ* هذهِ الجُمَلَ لِلتَّعبيرِ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ لا عَن اعتِقاداتٍ تتعلَّقُ بِمَضمونِها التَّمثيلِيّ. ويَعُدُّ الخِيارُ اللُّغَوِيُّ وخِيارُ الفِعلِ الكَلامِيّ كِلاهُما التَّعبيرَ عن المَواقِفِ اللامَعرِفِيَّةِ جُزءًا مِن مَعنَى الأقوالِ الدِّينيَّةِ المُتعلِّقَةِ بِاللهِ. وهُما يَفتَرِقانِ في أنَّ الخِيارَ اللُّغَوِيَّ يَعُدُّ العُنصُرَ اللامَعرِفِيَّ جُزءًا مِن المَعنَى العُرفِيِّ لِلجُمَلِ الدِّينيَّةِ المُتعلِّقَةِ بِاللهِ، في حينِ أنَّ خِيارَ الفِعلِ الكَلامِيّ يَعُدُّهُ شَيئًا مّا يَنبَثِقُ مِن الطَّريقَةِ التي يَستَعمِلُ بِها المُتكلِّمونَ الجُمَلَ الدِّينيَّةَ.

والاختِلافُ بينَ الخِيارِ اللُّغَوِيِّ وخِيارِ الفِعلِ الكَلامِيِّ يُعَبِّرُ عن طَريقَتَيْنِ مُختلِفَتَيْنِ لِمُخالَفَةِ أُطروحَةِ القيمَةِ الظّاهريَّةِ. فَالخِيارُ اللُّغَوِيُّ شَكلٌ مُعتَدِلٌ مِن أشكالِ نظريَّةِ المَوقِفِ يُؤَوِّلُ مَضمونَ الجُمَلِ الدِّينيَّةِ المُتعلِّقَةِ بِاللهِ على أنَّهُ يُقَدِّمُهُ (1أ) و(1ب)، ويُؤَوِّلُ الأقوالَ المُتعلِّقَةَ بِاللهِ (مُفتَرِضًا أنَّها تُستَعمَلُ استِعمالًا يَنسَجِمُ مَعَ العُرفِ اللُّغَوِيِّ) على أنَّها كذلكَ يُقَدِّمُها (1أ) و(1ب). وكُنتُ قَد رأيْتُ أنَّ ذلكَ كانَ طريقَةً مَقبولَةً لِتَطويرِ المَذهَبِ الذي يَتَبَنّاهُ اللاهوتِيُّونَ الأبوفاتيكِيُّونَ. وذَكَرْنا أيضًا في المُناقَشَةِ المُتَقَدِّمَةِ لِلّاهوتِ الأبوفاتيكِيِّ أنَّ المَضمونَ التَّمثيلِيَّ لِما يُقالُ عن طبيعَةِ اللهِ سيَكونُ في جَميعِ الحالاتِ غَيرَ صادِقٍ لأنَّ اللهَ مُتَعالٍ عن التَّصَوُّرِ. أمَّا خِيارُ الفِعلِ الكَلامِيِّ فَبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، إذ إنَّهُ نوعٌ مِن التَّخَيُّلِيَّةِ يُؤَوِّلُ الجُملَةَ (1) استِنادًا إلى القيمَةِ الظّاهريَّةِ - أي على أنَّها لَيسَتْ سِوَى قَولِ (1أ) - في حينِ أنَّ قَولَ الجُملَةِ (1) يُؤَوَّلُ على أنَّهُ قَولُ (1ب). وبِعِبارَةٍ أُخرَى، يُمكِنُ القَولُ إنَّ المُتكلِّمينَ يَستَعمِلونَ في الخِطابِ الدِّينِيِّ جُمَلًا تُمَثِّلُ اللهَ على أنَّ لَهُ مِن الصِّفاتِ كذا وكذا لِلتَّعبيرِ عن مَواقِفَ لامَعرِفِيَّةٍ مِن اللهِ لا عن اعتِقاداتٍ تتعلَّقُ بِاللهِ. وقَد رَأَيْنا في الفَصلِ 2 أنَّ ثَمَّةَ طَريقَةً أُخرَى لِلتَّوَصُّلِ إلى هذهِ النَّتيجَةِ، هيَ أنَّ خِيارَ الفِعلِ الكَلامِيِّ يَعُدُّ الأفعالَ الإنجازِيَّةَ أو الأفعالَ الكَلامِيَّةَ التي يُؤَدِّيها المُتكلِّمونَ في قَولِهِم الجُمَلَ الإخبارِيَّةَ المُتعلِّقَةَ بِاللهِ تَسبيحًا (تَعبيرًا [184] عن مَواقِفِ الإخلاصِ، والرَّهبَةِ، وما إليهِما، تُجاهَ اللهِ) لا تَقريراتٍ لاعتِقاداتٍ تتعلَّقُ بِاللهِ. فهذا شَكلٌ مِن أشكالِ التَّخَيُّلِيَّةِ، لأنَّ قَولَ جُملَةٍ إخبارِيَّةٍ تتعلَّقُ بِاللهِ لَيسَ فِعلًا تَقريرِيًّا؛ إنَّهُ شِبهُ تَقريرٍ يُعَبِّرُ عن مَوقِفِ تَسبيحٍ لامَعرِفِيٍّ مِن اللهِ. وكُنتُ أيضًا قَد زَعَمْتُ في الفَصلِ 2 أنَّ خِيارَ الفِعلِ الكَلامِيِّ يَعرِضُ طَريقَةً مُختلِفَةً لِتَطويرِ المَذهَبِ الأبوفاتيكِيِّ وأنَّ ما أوحَى بِهِ هوَ ما كَتَبَهُ في اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ كُلٌّ مِن جان-لُوك ماريون وجاك دريدا. فَلْنَرَ الآنَ ماذا كَتَبَ ماريون ودريدا في هذا المَوضوعِ قَبلَ اتِّجاهِنا إلى تَقويمِ خِيارِ الفِعلِ الكَلامِيِّ بِوَصفِهِ نظريَّةً لِمَعنَى الخِطابِ الدِّينِيِّ المُتعلِّقِ بِاللهِ.

أمّا ماريون فمُتَعاطِفٌ معَ اللاهوتِ الأبوفاتيكيِّ، ولا سِيَّما معَ فِكرَةِ دينِس التي مُفادُها أنَّ اللهَ مُتعالٍ عن التَّصَوُّرِ. وعَبَّرَ عن فِكرَةِ أنَّ مِن المُحالِ أن يُتَصَوَّرَ اللهِ تَصَوُّرًا كافِيًا مِن طَريقِ لُغَةِ عِلمِ الظّاهِراتِ الفَرَنسِيِّ المُعاصِرِ. فَتَصَوُّرُ الشَّيْءِ، عندَ ماريون، يتضمَّنُ وَضعَ شَيْءٍ مِن التَّحديدِ أو التَّقييدِ الوَصفِيِّ على ذلكَ الشَّيْءِ. ويَدَّعي ماريون أنَّ اللهَ وغَيرَهُ مِن الظَّواهِرِ الدِّينيَّةِ 'ظَواهِرُ مُشبَعَةٌ' لا يُمكِنُ إدراكُها مِن طَريقِ تَحديداتِ المَفاهيمِ البَشَرِيَّةِ وتَقييداتِها، إذ يَقولُ:

> كَونُ 'اللهِ' هوَ المُعطَى الذي لا يُدانيهِ شَيْءٌ يَلزَمُ مِنهُ أنَّهُ مُعطًى بِلا تَقييدٍ، وبِلا تَحَفُّظٍ، وبِلا تَحَوُّطٍ. فَـ 'اللهُ' لا يُعطَى جُزئيًّا البَتَّةَ، مُتابِعًا لِهذا المَنحَى أو ذاكَ، فيَكونَ مَثَلُهُ كمَثَلِ شَيْءٍ قائمٍ لا يُتيحُ مَعَ ذلكَ لِلنَّظرَةِ القاصِدَةِ إلّا رُؤيَةَ جانِبٍ مُحَدَّدٍ مِن جَوانِبِ إمكانِ رُؤيَتِهِ المُحَسِّ... بَل يُعطَى مُطلَقًا، بِلا تَحَفُّظٍ على أيِّ مَنحًى، وبِانفِتاحٍ لِجَميعِ الجَوانِبِ. . . (1994, p. 588)

على أنَّ ماريون يَجِدُ في كِتاباتِ دينِس طَريقَةً لِتَأويلِ الخِطابِ الدِّينِيِّ بِوَصفِهِ مُحيلًا على اللهِ مِن غَيرِ نِسبَةِ صِفاتٍ إلى اللهِ. وهوَ يَرَى أنَّ ما يَدَّعيهِ دينِس مِن أنَّ اللهَ 'صالِحٌ' لا يَنبَغي أن يُفهَمَ على أنَّهُ وَصفٌ لِلّهِ بَل يَنبَغي أن يُفهَمَ على أنَّهُ مُخاطَبَةٌ لِلّهِ. فالمَحمولُ هُنا لا يُستَعمَلُ لِوَصفِ اللهِ بَل يُستَعمَلُ لِتَمجيدِ اللهِ: 'يَتَّضِحُ فَهمُ الصَّلاحِ حينَ يَكُفُّ نَفسُ إمكانِ العِبارَةِ التَّقريرِيَّةِ الجازِمَةِ المُتعلِّقَةِ بِاللهِ عن أن يَكونَ سَليمًا، وحينَ يَغدو تَحويلُ التَّسمِيَةِ إلى التَّسبيحِ أمرًا مُحَتَّمًا ' (1995, p. 76). ويُسَمّي ماريون هذهِ الطَّريقَةَ بِالطَّريقَةِ اللاتَشييئيَّةِ أو اللاإسنادِيَّةِ لِلتَّحَدُّثِ عن 'تَسبيحِ' اللهِ، وإن كانَ يُقارِنُها أيضًا بِـ 'الصَّلاة '. ويُمَيِّزُ ماريون التَّسبيحَ بِأنَّهُ شَكلٌ كَلامِيٌّ لَهُ جانِبٌ تَمجيدِيٌّ لكِنَّهُ مَمزوجٌ بِمَعرِفَةٍ (مِن طَرَفِ المُتكلِّمِ في أقَلِّ تَقديرٍ) حاصِلُها أنَّ الصِّفَةَ التي مِن الواضِحِ أنَّها تُسنَدُ إلى اللهِ غَيرُ مُلائمَةٍ. فالتَّسبيحُ 'إنَّما يَقُومُ على استِحالَةِ أو، بِالأحرَى، عَدَمِ مُلاءَمَةِ المَقُولَةِ ' (1995, p. 76). فالمُتَكَلِّمونَ إذَن حينَ يتحدَّثونَ عن اللهِ يُسَبِّحونَ اللهَ لكِنَّهُم يُدرِكونَ عَدَمَ مُلاءَمَةِ [185] المَفاهيمِ التي يَستَعمِلونَها لِتَمثيلِ اللهِ؛ فتَعبيراتُ المَحمولِ لا تُستَعمَلُ مَعَ اعتِقادِ أنَّها تُمَثِّلُ اللهَ

بِدِقَّةٍ. وقد عَمَدَ جَيْمس سمِث James Smith*، في مُؤَلَّفٍ لَهُ حَديثٍ يُناقِشُ اللاهوتَ الأبوفاتيكيَّ ومُعالَجَتَهُ في التَّقليدِ الظّاهِراتِيِّ، إلى تَقديمِ التَّمييزِ الآتي لِلتَّسبيحِ: 'هكذا يُمكِنُ التَّحدُّثُ عن اللهِ، لكِن بِطَريقَةِ *التَّسبيحِ*، بِوَصفِهِ نَمَطًا تَصَوُّرِيًّا لاتَشبيئيًّا، لاإيجابِيًّا، لا يَرُدُّ اللهَ إلى مَفهومٍ، بَل يَستَخدِمُ اللُّغَةَ بِطَريقَةٍ تُبَجِّلُ تَعالِيَ اللهِ وتُحيلُ السّامِعَ على أن يَخبُرَ الشَّيْءَ نَفسَهُ' (2002, p. 128).

وأرَى أنَّ ماريون مُتَعاطِفٌ معَ خِيارِ الفِعلِ الكَلامِيِّ لِسَبَبَيْنِ رَئيسَيْنِ. أحدُهُما أنَّهُ يُمَيِّزُ تَسمِيَةَ اللهِ 'صالِحًا' (وافتِراضِيًّا أيَّ قَولٍ يَنسِبُ صِفَةً إلى اللهِ) بِأنَّها شَكلٌ مِن أشكالِ التَّسبيحِ لا تَقريرٌ وَصفِيٌّ. والآخَرُ أنَّهُ يَعرِضُ التَّسبيحَ على أنَّهُ استِخدامُ المُتكلِّمينَ جُمَلًا دينيَّةً - أي على أنَّهُ فِعلٌ كَلامِيٌّ - لا على أنَّهُ واقِعَةٌ تتعلَّقُ بِمَعنَى الجُمَلِ أنفُسِها. ويُمكِنُ أن يُفهَمَ مَذهَبُ ماريون أيضًا على أنَّهُ نوعٌ مِن التَّخَيُّلِيَّةِ لأنَّهُ، كما بَيَّنّا، يَرَى أنَّ المَحمولاتِ التي تُستَعمَلُ في حَقِّ اللهِ 'غَيرُ مُلائمَةٍ'. فالمُتكلِّمونَ حينَ يَقولونَ 'اللهُ صالِحٌ' لا يَعتَقِدونَ إذَن أو يُقَرِّرونَ أنَّ *اللهَ صالِحٌ*.

ويُمكِنُ أن تُعَدَّ مُناقَشَةُ دريدا لِلخِطابِ الدِّينِيِّ في جُزءٍ مِنها رَدًّا عَلى أُطروحَةِ ماريون. فهوَ يُثيرُ اعتِراضًا مُفادُهُ أنَّ تَسبيحَ اللهِ ('الثَّناءَ على' اللهِ)، على وَفقِ أُطروحَةِ ماريون، ما زالَ يتضَمَّنُ الإسنادَ:

> ذلكَ بِأنَّهُ إذا كانَ الثَّناءُ على اللهِ أو الاحتِفاءُ بِهِ لَيسَتْ لَهُ حَقًّا قاعِدَةُ الإسنادِ نَفسُها كما هيَ الحالُ في جَميعِ القَضايا الأخرَى، حَتّى إذا كانَ 'الصِّدقُ' الذي يَدَّعيهِ صِدقًا أعلى لِجَوهَرِيَّةٍ فَوقِيَّةٍ، فإنَّهُ يَحتَفي بِما 'هوَ' بِنَحوِ أنَّهُ 'هوَ' ويُسَمِّيهِ، وَراءَ الوُجودِ. وحَتّى إذا لَم يَكُنِ الثَّناءُ إثباتًا إسنادِيًّا مِن النَّمَطِ الدّارِجِ، فإنَّهُ يَحتَفِظُ بِأسلوبِ الإثباتِ الإسنادِيِّ وبِنيَتِهِ. إنَّهُ يُخبِرُ

---

* جَيْمس ك. أ. سمِث. (1970–...م). فَيلَسوفٌ كَنَدِيٌّ-أمريكِيٌّ. أستاذُ الفَلسَفَةِ في كُلِّيَّةِ كالفِن، وهوَ شَخصِيَّةٌ مَعروفَةٌ بِارتِباطِها بِالأرثوذكسِيَّةِ الجَذرِيَّةِ، وهيَ حَرَكَةٌ لاهوتِيَّةٌ-فَلسَفِيَّةٌ في ضِمنِ نِطاقٍ مَسيحِيَّةٍ ما بَعدَ الحَداثَةِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (الكلامُ واللاهوتُ: اللُّغَةُ ومَنطِقُ التَّجَسُّد)؛ و(101 مِن المُصطَلَحاتِ المِفتاحِيَّةِ في الفَلسَفَةِ وأهَمِّيَّتُها لِعِلمِ اللاهوت)؛ و(جاك دريدا: النَّظَرِيَّةُ الحَيَّة). [المُتَرجِم]

> بِشَيْءٍ مّا عن كائنٍ مّا. فالتَّسبيحُ يَستَلزِمُ وُجودَ هَدَفٍ إسناديٍّ، مَهما تَكُن مُجافاتُهُ لِلإسنادِ الأنطولوجِيِّ 'الاعتِيادِيِّ'. (1992, p. 137)

وأرَى أنَّ ما يَعنيهِ دريدا بِـ 'الأُسلوب والبِنيَة' هوَ أنَّ الأقوالَ المُتعلِّقَةَ بِاللهِ التي تُنشَأُ في فِعلٍ تَسبيحِيٍّ لِلّهِ لَها مَظهَرٌ مُشابِهٌ لِمَظهَرِ الأقوالِ التي تَصِفُ اللهَ صَراحَةً. وهوَ يَرَى أنَّ هذا يُظهِرُ أنَّ المَحمولاتِ التي تُستَعمَلُ في الأفعالِ التَّسبيحِيَّةِ وَصفِيَّةٌ (جُزئيًّا في أَقَلِّ تَقديرٍ). ويَرَى دريدا بَدَلًا مِن ذلكَ أنَّ الحَديثَ الدِّينِيَّ عن اللهِ يَنبَغي أن يُفهَمَ على أنَّهُ صَلاةٌ لا تَسبيحٌ، إذ يَقولُ:

> يَقولُ جان-لُوك ماريون بِحَقٍّ إنَّ الثَّناءَ 'ليسَ صادِقًا ولا كاذِبًا، ولا حَتّى مُتَناقِضًا'، وإن كانَ يُخبِرُ بِشَيْءٍ مّا عن [186] الحُكم بِأوامِرِ اللهِ، عن الخَيرِ والقِياسِ التَّمثيلِيِّ؛ وإذا كانَتْ نُعوتُهُ أو تَسمِياتُهُ لا تَنتَمي إلى الدَّلالَةِ الاعتِيادِيَّةِ لِلصِّدقِ، بَل تَنتَمي إلى صِدقٍ فَوقِيٍّ تَحكُمُهُ جَوهرِيَّةٌ فَوقِيَّةٌ، فهوَ في ذلكَ لا يَندَمِجُ في حَرَكَةِ الصَّلاةِ نَفسِها، التي لا تتحدَّثُ عن، بَل تتحدَّثُ *إلى*'. (1992, p. 111)

فالصَّلاةُ، خِلافًا لِلتَّسبيحِ، شَكلٌ مِن أشكالِ المُخاطَبَةِ التي يَذهَبُ دريدا إلى أنَّها لاوَصفِيَّةٌ كُلِّيًّا. فالصَّلاةُ 'لَيسَتْ إسنادِيَّةً، أو تَنظيرِيَّةً theoretical (لاهوتِيَّةً theo*logical*)، أو تَقريرِيَّةً' (1995, p. 110). ويَتَوَسَّعُ في ذلكَ، فيَقولُ:

> أنا مُتمَسِّكٌ بِاختِلافٍ آخَرَ: فمِنَ المُمكِنِ أن يُقالَ إنَّ الصَّلاةَ في نَفسِها لا يَلزَمُ مِنها سِوَى التَّضَرُّعِ لِمُخاطَبَةِ الغَيرِ، رُبَّما فَوقَ كُلِّ تَضَرُّعٍ وعَطاءٍ، مِن أجلِ أن يُقَدِّمَ وَعدَ حُضورِهِ بِوَصفِهِ غَيرًا، وأن يُقَدِّمَ في نِهايَةِ المَطافِ تَعالي غَيرِيَّتِهِ نَفسِها، حتّى بِلا أيِّ تَحديدٍ؛ فالثَّناءُ، وإن لَم يَكُنْ كَلامًا نَعتِيًّا بَسيطًا، يَحتَفِظُ مَعَ ذلكَ بِعَلاقَةٍ لارَدِّيَّةٍ بِالنَّعتِ. (1995, p. 111)

ويَبدو أنَّ اعتِراضَ دريدا على ماريون مَرَدُّهُ، بِحَسَبِ فَهمي، إلى إساءَةِ فَهمِ كَلامِهِ. فمِنَ الواضِحِ أنَّ لِلقَولِ (4) 'الأُسلوبَ والبِنيَةَ' أنفُسَهُما اللذَيْنِ لِلقَولِ (5):

4. اللهُ صالِحٌ.

5. الطّاوِلَةُ مُرَبَّعَةٌ.

على أنَّ دَعوَى أنَّ كلِمَةَ 'صالِح' يَستَعمِلُها المُتكلِّمُ لِوَصفِ مَوضوعِهِ في القَولِ (4) بِالطَّريقَةِ نَفسِها التي يَستَعمِلُ بِها المُتكلِّمُ كلِمَةَ 'مُرَبَّعَة' لِوَصفِ مَوضوعِها في القَولِ (5) هيَ بِالتَّحديدِ ما أرَى أنَّ ماريون يَرمي إلى نَفيِهِ في ما ذَهَبَ إليهِ مِن أنَّ القَولَ (4) يَنبَغي أن يُفهَمَ على أنَّهُ تَسبيحٌ لا تَقريرٌ لاعتِقادٍ. وماريون لا يُقدِّمُ حالاتٍ مُحَدَّدَةً، بيدَ أنّي أرَى أنَّهُ يُؤَوِّلُ القَولَ (4) على أنَّهُ يَعني (ما يُشبِهُ):

6. أو، يا اللهُ إنَّكَ صالِحٌ!

فالقَولُ (6) يُفهَمُ على أنَّهُ يُعَبِّرُ (مَثَلًا) عن تَبجيلِ المُتكلِّمِ لِلّهِ وإعجابِهِ بِهِ. أي إنَّ المُتكلِّمَ لا يُعَبِّرُ حينَ يُسَبِّحُ اللهَ عن اعتِقادٍ أنَّ اللهَ صالِحٌ بَل يُثني على اللهِ أو يُطريهِ مِن غَيرِ أن يَكونَ لَدَيهِ اعتِقادُ أنَّ كلِمَةَ 'صالِح' تُمَثِّلُ طَبيعَةَ اللهِ تَمثيلًا كافِيًا. ويُمكِنُ القَولُ على نَحوٍ أعَمَّ إنَّ المُتكلِّمينَ حينَ يَتحدَّثونَ عن اللهِ يَستَعمِلونَ ألفاظًا مَحموليَّةً على أنَّها جُزءٌ مِن التَّعبيرِ عن حالاتٍ لامَعرِفيَّةٍ ولا يَستَعمِلونَها وَصفيًّا لِلّهِ. فالمُتكلِّمُ الذي يَقولُ: 'اللهُ صالِحٌ' لا يُقَرِّرُ اعتِقادَ *أنَّ اللهَ صالِحٌ* أو يُعَبِّرُ عنهُ. بَل إنَّ المُتكلِّمَ يَكونُ مُنشَغِلًا بِشِبهِ تَقريرٍ لامَعرِفيٍّ. [187] والواقِعُ أنَّ دريدا يَقرَأُ الكَثيرَ مِن وَراءِ المَظهَرِ السَّطحِيِّ لِلأقوالِ: فمِن المُمكِنِ استِعمالُ جُملَةٍ إخباريَّةٍ مِن غَيرِ تَقريرِها أو اعتِقادِها أو تَقديمِها على أنَّها وَصفٌ صادِقٌ. وقَد يَبدو القَولانِ (5) و(6)، استِنادًا إلى خِيارِ الفِعلِ الكَلاميِّ، مُتَشابِهَيْنِ، وهُما فِعلانِ قَوليّانِ مُتَشابِهانِ، ولكِنَّهُما لا يَكونانِ بِذلكَ فِعلَيْنِ كَلامِيَّيْنِ مِن نَمَطٍ واحِدٍ.

واقتِراحُ دريدا أنَّ الحَديثَ عن اللهِ يَنبَغي فَهمُهُ على أنَّهُ صَلاةٌ لا يَبدو أنَّ لَهُ أيَّةَ أفضَليَّةٍ على المَذهَبِ الذي يَنتَقِدُهُ. ذلكَ بِأنَّ الصَّلاةَ تتضَمَّنُ أيضًا أقوالًا يَظهَرُ أنَّها تُمَثِّلُ اللهَ: 'أبانا، الذي في السَّماواتِ'، على سبيلِ المِثالِ. وقَد يَكونُ الذي

في بالِ دريدا أقوالَ الصَّلاةِ التي تُخاطِبُ اللهَ لكِنَّها لا تُخبِرُ بِأيِّ شَيْءٍ عن اللهِ (كما هيَ حالُ كَثيرٍ مِن سائرِ صَلاةِ الرَّبِّ Lord's Prayer*). فإن كانَ هذا هوَ ما يَقصِدُهُ دريدا، فهوَ يَنصَحُ المُتَحَدِّثِينَ إذَن بِأن يُعَدِّلوا الخِطابَ الدِّينِيَّ مِن خِلالِ مُخاطَبَةِ اللهِ لا بِأن يَقولوا أيَّ شَيْءٍ يُشبِهُ أن يَكونَ وَصفًا لِلّهِ. ويُلحَظُ أنَّ النَّظريَّةَ التي تُفيدُ أنَّ اللهَ مُتَعالٍ عن التَّصَوُّرِ ستَكونُ مُحَرِّكًا لِتَعديلٍ كهذا إذا أوَّلْنا الأقوالَ الدِّينيَّةَ على وَفقِ القيمَةِ الظّاهِريَّةِ، وهذا ما أرَى أنَّ ماريون يُقَدِّمُ بَديلًا لَهُ. على أنَّهُ إن كانَ دريدا يُقَدِّمُ مُقتَرَحًا تَعديليًا لِكَيفيَّةِ إمكانِ مُمارَسَةِ المُتَحَدِّثِينَ لِلخِطابِ الدِّينِيِّ إن كانوا يَعُدُّونَ اللهَ مُتَعالِيًا عن التَّصَوُّرِ، فالحَقُّ أنَّهُ لا يُقَدِّمُ أُطروحَةً مُمَيِّزَةً لِمَعنَى الخِطابِ الدِّينِيِّ على النَّحوِ الذي يُمارَسُ بِهِ.

فدريدا لا يُقَدِّمُ اعتِراضًا مُقنِعًا على أُطروحَةِ ماريون لِلحَديثِ الدِّينِيِّ عن اللهِ بِوَصفِهِ تَسبيحًا، كما أنَّ ماريون لا يُمِدُّنا بِتَأويلٍ مَقبولٍ لِلأقوالِ الدِّينيَّةِ. فالمُشكِلَةُ لا تَكمُنُ في عُنصُرِ 'التَّسبيح' في الأقوالِ الدِّينيَّةِ. وقَد عَرَضْتُ مِن قَبلُ ما لَدَيَّ مِن أَسبابٍ تَحمِلُني على أن أدعُوَ إلى تَأويلٍ تَعبيرِيٍّ جُزئيًا لِلُّغَةِ الدِّينيَّةِ (والخِطابِ الدِّينِيِّ)، بِشَرطِ أن يُضَمَّ إلى أُطروحَةٍ وَصفِيَّةٍ لِمَضمونِ الجُمَلِ الدِّينيَّةِ. بَل تَكمُنُ المُشكِلَةُ في فِكرَةِ أنَّ المَحمولاتِ التي تُنسَبُ إلى اللهِ قَد يَرَاها *المُتَحَدِّثونَ* غَيرَ ذاتِ كِفايَةٍ. وهذا يَبدو غَيرَ مَنطِقِيٍّ: فمِن الواضِحِ أنَّ المُتَحَدِّثِينَ يَعتَقِدونَ في كَثيرٍ مِن الحالاتِ ما يَقولونَهُ عن اللهِ. وقَد يَكونُ لِماريون أن يَذهَبَ إلى أنَّ لِهؤُلاءِ المُؤمِنِينَ اعتِقاداتٍ *كاذِبَةً* بِشَأنِ طبيعَةِ اللهِ، أمّا أن يَدَّعِيَ أن لَيسَتْ لَهُم اعتِقاداتٌ بِشَأنِ طبيعَةِ اللهِ يَقصِدونَ إيصالَها فسَيَكونُ إساءَةَ تَمثيلٍ لِحالاتِ المُتَحَدِّثِينَ الذِّهنيَّةِ.

---

* صَلاةُ الرَّبِّ في المسيحِيَّةِ: صَلاةٌ يُقالُ إنَّ المسيحَ عليهِ السَّلامُ عَلَّمَها تَلاميذَهُ، ولِذلكَ يَنظُرُ المسيحِيُّونَ إلَيها عَلى أنَّها مُقَدَّسَةٌ عَلى نَحوٍ فَريدٍ، ويَتلونَها بِانتِظامٍ وفي طَقسِ القُربانِ المُقَدَّسِ وفي الصَّلاةِ، وتُفَسَّرُ لِلمُصَلِّينَ، وهيَ الآتِيَةُ: "أبانا الذي في السَّماواتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسمُكَ، لِيَأتِ مَلَكوتُكَ، لِتَكُن مَشيئَتُكَ في الأرضِ كما في السَّماءِ. أعطِنا خُبزَنا اليَومِيَّ، واغفِرْ لَنا ذُنوبَنا كما غَفَرْنا نَحنُ لِلمُذنِبِينَ إلَينا، ولا تُدخِلْنا في التَّجرِبَةِ، لكِن نَجِّنا مِن الشِّرِّيرِ، لأنَّ لَكَ المُلكَ والقُوَّةَ والمَجدَ إلى الأبَدِ، آمين". متّى 6: 9-13. [المُترجِم]

وثَمَّةَ خِيارٌ تَعديلِيٌّ مُشابِهٌ مُتاحٌ لِماريون ودريدا؛ أي الذَّهابُ إلى أنَّ المُؤمِنِينَ يَنبَغي أن يُعَدِّلوا مَواقِفَهُم وأن يُسَبِّحوا اللهَ لكِن لا يَنبَغي أن يُكَوِّنوا اعتِقاداتٍ بِشَأنِ طَبيعَةِ اللهِ. على أنَّ هذا سيَكونُ تَخَيُّلِيَّةً ثَورِيَّةً بِشَأنِ الدِّينِ لا نظرِيَّةً لِمَعنَى الأقوالِ الدِّينِيَّةِ، وستَعتَمِدُ مَزاياهُ في هذهِ الحالَةِ اعتِمادًا كَبيرًا على نَجاحِ الحُجَجِ المُؤيِّدَةِ لِلنَّظرِيَّةِ اللاهوتِيَّةِ والميتافيزيقيَّةِ المُتعلِّقَةِ بِتَعالي اللهِ عن التَّصوُّرِ. [188]

الخِداعُ الذّاتِيُّ الدِّينِيّ

دافَعَ جورج رَي عن مَذهَبٍ مُشابِهٍ لِلتَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقِيَّةِ الدِّينِيَّةِ يُسَمِّيهِ مَذهَبَ *ما وَراءَ الإلحادِ* *meta-atheism* (2006). وطَريقَتُهُ في مُعالجَةِ الصُّعوباتِ الواضِحَةِ التي تَعتَرِضُ سَبيلَ هذهِ النَّظرِيَّةِ هيَ الذَّهابُ إلى أنَّ ثَمَّةَ خِداعًا ذاتِيًّا يَشيعُ بينَ صُفوفِ المُتَدَيِّنِينَ، إذ يَقولُ:

> على الرَّغمِ مِن المَظاهِرِ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ الكَثيرَ مِمَّن قَد بَلَغوا سِنَّ الرُّشدِ في الغَربِ مِن الذينَ هُم عُرضَةٌ لِلعِلمِ القِياسِيِّ مِمَّن يَدَّعونَ مُخلِصِينَ الإيمانَ بِاللهِ، هُم مَخدوعونَ ذاتِيًّا؛ وهُم في مُستَوًى ما يَعتَقِدونَ أنَّ دَعواهُم كاذِبَةٌ. (2006, p. 337)

فالذي يَراهُ رَي أنَّ مِن الواضِحِ لِكُلِّ مَن قَد حازَ حَصيلَةً أساسِيَّةً مِن العِلمِ أنَّ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةَ كاذِبَةٌ. على أنَّ هذا لا يَعني أنَّ رَي يَذهَبُ إلى أنَّ المُتَدَيِّنِينَ المُتَعَلِّمِينَ مُخادِعونَ أو مُنافِقونَ في دَعاواهُم الدِّينِيَّةِ لأنَّهُم قَد يَظُنُّونَ أنَّهُم مُعتَقِدونَ لِما يَقولونَ: 'فالنِّفاقُ إنَّما يَنشَأُ حينَ *يَقولُ* الشَّخصُ شَيئًا ما، قاصِدًا أن يُعتَقَدَ، وهوَ يَعلَمُ عِلمًا واعِيًا أكيدًا أنَّهُ لا يُقِرُّ بِهِ' (2006, p. 338). فلِمَ لا يُدرِكُ المُتَدَيِّنونَ لَوازِمَ عَدَمِ اعتِقادِهِم ويَأخُذونَ بِها أخذًا واعِيًا؟ فالذي يَقتَرِحُهُ رَي أنَّ لِذلكَ عِدَّةَ أسبابٍ: الوَلاءُ لِلأُسرَةِ ولِغَيرِها مِن المَجموعاتِ الاجتِماعِيَّةِ، والرَّوابِطُ والاندِماجاتُ الشَّخصِيَّةُ بِالمَجموعاتِ والمُؤَسَّساتِ الدِّينِيَّةِ، ومُقاوَمَةُ الشَّخصِ

تَغييرَ وَضعِهِ الاجتِماعِيّ، ورَغبَةُ الشَّخصِ في أن تَكونَ حياتُهُ جُزءًا مِن مَشروعٍ أوسَعَ.

ومِن أجلِ أن تُقدِّمَ نظريَّةُ رَي التي مُفادُها أنَّ المُتَدَيِّنينَ مَخدوعونَ ذاتِيًّا قاعِدَةً لِلتَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقيَّةِ الدِّينيَّةِ، سَنَحتاجُ إلى أُطروحَةٍ لِلخِداعِ الذّاتِيِّ لا تَكونُ الإقراراتُ الدِّينيَّةُ فيها تَقريراتٍ أَصيلَةً أو لا تَكونُ مُعَبِّرَةً عن اعتِقاداتِ المُتكلِّمِ الدِّينيَّةِ. ويَظهَرُ لَدَى رَي في بَعضِ المَواطِنِ مَيلٌ إلى تَفضيلِ هذهِ الأُطروحَةِ، لكِنَّهُ لا يُصَرِّحُ بِالإقرارِ بِها أو الدِّفاعِ عنها بِوَصفِها الأُطروحَةَ المُثلَى. ثُمَّ إنَّ رَي يَقولُ أيضًا: 'أَستَطيعُ أن أَتَصَوَّرَ جَيِّدًا عَدَّ شَخصٍ مّا اعتِقاداتِ الخِداعِ الذّاتِيِّ اعتِقاداتٍ أَصيلَةً، ومُجَرَّدَ طَرائقَ إظهارِيَّةٍ يُمكِنُ أن تَكونَ اعتِقاداتُ النّاسِ فيها لاعَقلانِيَّةً ومُجتَزَأَةً على نَحوٍ شاذٍّ'، و'قَد تَكونُ ثَمَّةَ مُستَوَياتٌ أُخرَى يُمكِنُ أيضًا أن يُؤمِنَ [المُتَدَيِّنونَ] فيها بِاللهِ' (2006, p. 337). فإن كانَ المُتَحَدِّثونَ المُتَدَيِّنونَ يُعَبِّرونَ عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ تَكونُ لَدَيهِم 'في مُستَوًى مّا' على الرَّغمِ مِن اعتِقادِهِم أيضًا في مُستَوًى آخَرَ 'مُجتَزَإٍ' أنَّ هذهِ الدَّعاوَى الدِّينيَّةَ كاذِبَةٌ، فَلَن تَكونَ التَّخَيُّلِيَّةُ الهِرمِنيوطيقيَّةُ الدِّينيَّةُ إذَن نَتيجَةً لِدَعاوَى رَي بِشَأنِ الخِداعِ الذّاتِيِّ لَدَى المُتَدَيِّنينَ المُتَعَلِّمينَ. ومعَ ذلكَ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ نظريَّةَ رَي تُمِدُّنا بِالمَوادِّ اللازِمَةِ لِلدِّفاعِ عن التَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقيَّةِ الدِّينيَّةِ إن كانَ الانخِداعُ الذّاتِيُّ بِشَأنِ ف يَستَلزِمُ ألّا يُقَرِّرَ الشَّخصُ تَقريرًا أَصيلًا أنَّ ف. وسأُواصِلُ البَحثَ حالِيًّا على أساسِ أنَّ نظريَّةَ الخِداعِ الذّاتِيِّ هذهِ صَحيحَةٌ على أَمَلِ مُعاوَدَةِ النَّظَرِ فيها لاحِقًا. [189] فإذا عُلِمَ ذلكَ، أَمكَنَ القَولُ إنَّ ما يَذهَبُ إليهِ رَي هوَ أنَّ المُتَدَيِّنينَ (المُتَعَلِّمينَ جَيِّدًا) حينَ يَظهَرونَ بِمَظهَرِ المُقِرِّينَ بِالإيمانِ بِاللهِ، يَكونونَ مَخدوعِينَ ذاتِيًّا وغَيرَ مُعَبِّرِينَ عن اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ. وإذا استَهدَينا ما كُنّا قد مَيَّزنا بِهِ التَّخَيُّلِيَّةَ في مُقَدِّمَةِ هذا الكِتابِ، أَمكَنَنا أن نَفهَمَ الحالَةَ الذِّهنيَّةَ التي يُعَبِّرُ عنها الإقرارُ الدِّينيُّ على أنَّها نَوعٌ مِن القَبولِ. فقَبولُ الدَّعوَى الدِّينيَّةِ، في هذهِ الحالَةِ، سَيَكونُ في حالَةِ صِراعٍ مِن الخِداعِ الذّاتِيِّ تُخفِقُ في الوَفاءِ بِمُقتَضَياتِ الاعتِقادِ: فَفي مُستَوًى مّا أو في سِياقاتٍ غَيرِ حاسِمَةٍ يَمضي الشَّخصُ بِالدَّعوَى كما لَو أنَّها صادِقَةٌ في الوَقتِ الذي

يَعتَقِدُ فيهِ أيضًا في سِياقاتٍ حاسِمَةٍ وتَأَمُّلِيَّةٍ أَنَّها كاذِبَةٌ. لِذلِكَ، يُمكِنُ فَهمُ الإقرارِ الدِّينِيِّ على أَنَّهُ نَوعٌ مِن أنواعِ شِبهِ التَّقريرِ يُقَدِّمُ بِهِ المُتكلِّمُ دَعوَى دينِيَّةً مِن غَيرِ أن يَعتَقِدَ اعتِقادًا أصيلًا أنَّها صادِقَةٌ.

وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ رَي يَعُدُّ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةَ كاذِبَةً، يُمكِنُ القَولُ إنَّ كَذِبَ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ لَيسَ هوَ ما يُحتاجُ إليهِ لِلدِّفاعِ عن التَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقِيَّةِ بَل ما يُحتاجُ إليهِ هوَ أن تَبدُوَ الاعتِقاداتُ الدِّينِيَّةُ كاذِبَةً *كَذِبًا واضِحًا* لِلمُتَدَيِّنِينَ. فالمَطلوبُ مِن رَي أن يُثْبِتَ هذا مِن أجلِ الدَّفعِ بِما يَذهَبُ إليهِ مِن أنَّ المُتَدَيِّنِينَ يَعلَمونَ 'في مُستَوًى مّا' أنَّ ما يَزعُمونَ اعتِقادَهُ لَيسَ صَحيحًا حَقًّا وأَنَّهُم لِذلكَ مَخدوعونَ ذاتِيًّا في الأُمورِ الدِّينِيَّةِ. وثَمَّةَ مَرحَلَتانِ لانتِصارِ رَي لِهذا المَذهَبِ. أمّا المَرحلَةُ الأُولَى فيُفَرِّقُ فيها بينَ (أ) المَسائلِ 'الفَلسَفِيَّةِ' الجادَّةِ والصَّعبَةِ، كَوُجودِ الكُلِّيّاتِ أو طَبيعَةِ المَعنَى، و(ب) المَسائلِ التَّجريبِيَّةِ 'الضَّحلَةِ' التي لا تُحوِجُ إلى نَظَرٍ فَلسَفِيٍّ جادٍّ ويُمكِنُ حَسمُها بِيُسرٍ بِالمُلاحَظَةِ والتَّأَمُّلِ، كَوُجودِ الأشباحِ أو المَخلوقاتِ المُتَخَيَّلَةِ التي يَعزو النّاسُ إليها تَعطيلَ الأشياءِ أو إفسادَها. ويَقترِحُ رَي وَضعَ الدَّعاوَى المُتعلِّقَةِ بِاللهِ في الخانَةِ الأخيرَةِ. على أنَّ الفَلاسِفَةَ يُعامِلونَ المَسائلَ الدِّينِيَّةَ الآنَ وقَد عامَلوها عبرَ قُرونٍ مَديدَةٍ مُعامَلَةً جادَّةً تَمامًا، وهُم لَيسوا بِالطّائشِينَ ولا بِالأغبِياءِ. لِذلكَ كانَ على رَي أن يُثْبِتَ أنَّ الفَلاسِفَةَ كانُوا مُخطِئِينَ في مُعامَلَتِهِم المَسائلَ الدِّينِيَّةَ مُعامَلَةً جادَّةً. ويُمَثِّلُ هذا المَرحَلَةَ الثّانِيَةَ في مُحاجَّتِهِ. وهوَ يَفعَلُ ذلكَ بِتَقديمِ عَرضٍ مُوجَزٍ لِمُشكِلاتٍ أُنموذَجِيَّةٍ تَكتَنِفُ الإيمانَ بِاللهِ. مِثالُ ذلكَ أَنَّهُ يُثيرُ النُّقطَةَ المُبتَذَلَةَ التي مُفادُها أنَّ الشَّرَّ الطَّبيعِيَّ 'يُقَدِّمُ سَبَبًا لِلشَّكِّ في أنَّ ثَمَّةَ مَوجودًا كهذا أصلًا' (2006, p. 340). ويُثيرُ أيضًا اعتِراضاتٍ مَشهورَةً على الحُجَجِ المُؤَيِّدَةِ لِوُجودِ اللهِ؛ مِثالُ ذلكَ أنَّ حُجَّةَ التَّصميمِ 'لَم يُمكِنْ أن تُحمَلَ على مَحمَلِ الجِدِّ مُنذُ زَمَنِ دارونَ'.

ولَيسَتْ استراتيجيا رَي بِمُقنِعَةٍ. فَفي بِضعِ صَفَحاتٍ فقط كانَ بِإمكانِ رَي أن يَفعَلَ ما هوَ أكثَرُ مِن تَكريرِ النِّقاطِ التي انطَلَقَتْ مِنها مُختَلِفُ الحُجَجِ الإلحادِيَّةِ المَألوفَةِ في فَلسَفَةِ الدِّينِ. وما يَدَّعيهِ مِن أنَّ وُجودَ الشَّرِّ الطَّبيعِيِّ يُقَدِّمُ حُجَّةً مُضادَّةً

لِوُجودِ إلهٍ رَحيم، على سَبيلِ المِثالِ، لا يُمَثِّلُ الضَّربَةَ القاصِمَةَ لِلاعتِقادِ الدِّينِيِّ التي يُريدُها أَن تَكونَ كذلِكَ بَل لا يُمَثِّلُ سِوَى بِدايَةٍ مُمَهِّدَةٍ لِجَدَلٍ نَجَمَتْ عنهُ كِتاباتٌ مُستَفيضَةٌ. وقَد يُجادِلُ رَي بِأَنَّ مُعظَمَ هذهِ الكِتاباتِ كانَتْ ذاتَ قيمَةٍ فَلسَفِيَّةٍ هابِطَةٍ؛ بيدَ أَنَّ ما يَحتاجُ إلى إثباتِهِ [190] في مُحاجَّتِهِ هوَ أن *ليسَ ثَمَّةَ ما يُنظَرُ إليهِ بِجِدِّيَّةٍ* مِمّا يتعلَّقُ بِهذا المَوضوعِ في فَلسَفَةِ الدِّينِ؛ أي أَنَّهُ يَقَعُ في الخانَةِ (ب). ولَم يُثبِتْ رَي ذلكَ؛ إذ إنَّ مُعامَلَةَ مَوضوعٍ مّا كما لَو أَنَّهُ لا يَنبَغي أن يُحمَلَ على مَحمَلِ الجِدِّ لا تَدُلُّ على أَنَّ المَوضوعَ غَيرُ جادٍّ. ثُمَّ إنَّ مِن الواضِحِ على ما يَبدو أَنَّ وُجودَ اللهِ يَقَعُ في الخانَةِ (أ). أَوَ لَيسَتِ الكِتاباتُ الكلاسيكِيَّةُ في فَلسفَةِ الدِّينِ نَحوُ مَقالِ ج.ل. ماكي الذي عُنوانُهُ '*الشَّرُّ والقُدرَةُ الكُلِّيَّة* *Evil and Omnipotence*' أو كِتابِ ألفِن بلانتِنغا الذي عُنوانُهُ '*اللهُ، والحُرِّيَّةُ، والشَّرّ* *God, Freedom and Evil*' آثارًا جادَّةً وجَيِّدَةً ومُثيرَةً لِلاهتِمامِ شَيئًا مّا؟ وبِإمكانِ رَي أن يُجادِلَ بِقولِهِ إنَّ ماكي وبلانتِنغا مَخدوعانِ ذاتِيًّا على نَحوَيْنِ مُختلفَيْنِ (أمّا بلانتِنغا فلِدِفاعِهِ عن وِجهَةِ نَظَرٍ يَعلَمُ 'في مُستَوًى مّا' أَنَّها كاذِبَةٌ بِوُضوحٍ؛ وأمّا ماكي فلِحَملِهِ على مَحمَلِ الجِدِّ مَوضوعًا يَعلَمُ 'في مُستَوًى مّا' أَنَّهُ لا يَستَحِقُّ ذلكَ بِوُضوحٍ)، بيدَ أَنَّ هذا سيَكونُ مُصادَرَةً لِلمَطلوبِ. إذ يَنبَغي إثباتُ الكَذِبِ الواضِحِ لِلاعتِقادِ الدِّينِيِّ مِن أجلِ الذَّهابِ إلى أَنَّ النّاسَ مَخدوعونَ ذاتِيًّا بِشَأنِهِ.

وما زالَتْ لَدَى رَي حُجَّةٌ أُخرَى. إذ يَرَى أَنَّ الخِطابَ الدِّينِيَّ يُبدي سِماتٍ تُظهِرُ أَنَّ مِن 'المَفهومِ أَنَّهُ تَخَيُّلِيٌّ مُنذُ البِدايَةِ' (2006, p. 345). وهوَ يُقَدِّمُ ثَلاثَةَ أَدِلَّةٍ رَئيسَةً مُؤَيِّدَةً لِما يَراهُ. أمّا الدَّليلُ الأَوَّلُ فهوَ أَنَّ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةَ تَعتَمِدُ على نُصوصٍ ومَرجِعِيّاتٍ تَستَمِدُّ مِنها التَّأييدَ، ذلكَ التَّأييدَ الذي لا يَتَفاعَلُ (في حالَةِ المَسيحِيَّةِ) مَعَ ثَقافَةِ الكِتابِ المُقَدَّسِ أو التَّقويمِ التّاريخِيِّ (2006, p. 344). وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، لَيسَتْ لِلعِلمِ نُصوصٌ مُقَدَّسَةٌ بَل لَيسَ لَهُ سِوَى مَظاهِرِ مَرجِعِيَّةٍ 'وَقتِيَّةٍ'؛ فمَرجِعِيَّةُ العالِمِ أو النَّصِّ العِلمِيِّ تَعتَمِدُ على دَرَجَةِ تَأييدِ البَحثِ الحالِيِّ لِما يَقولُهُ. وأمّا الدَّليلُ الثّاني فهوَ أَنَّ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةَ مُشابِهَةٌ لِلتَّخَيُّلاتِ لأَنَّها *مُمانِعَةٌ لِلتَّفصيلاتِ*. مِثالُ ذلكَ أَنَّ قِصَّةَ خَلقِ الكَونِ المَسيحِيَّةَ لا تُقَدِّمُ إلّا القَليلَ جِدًّا مِن التَّفصيلاتِ

المُتعلِّقَةِ بِكيفيَّةِ حُدوثِ الخَلقِ - الكَيفِيَّةِ الدَّقيقَةِ التي أخرَجَ اللهُ بِها الكَونَ مِن العَدَمِ إلى الوُجودِ، وكَيفِيَّةِ تَدَخُّلُهُ في ذلكَ، وتَعاقُبِ الأحداثِ، وما إلى ذلكَ - ولا نَقِفُ على بَحثٍ جادٍّ يَضطَلِعُ بِتَقويمِ هذهِ القِصَّةِ. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، يُمكِنُنا الوُقوفُ على مَعلوماتٍ مُفَصَّلَةٍ مُتاحَةٍ بِشَأنِ أصلَي الحَياةِ والكَونِ وعلى بَرامِجِ بَحثٍ عِلمِيٍّ مُستَمِرَّةٍ مُوَسَّعَةٍ فاعِلَةٍ تُواصِلُ تَقديمَ المَزيدِ مِن هذهِ التَّفصيلاتِ. وأمّا الدَّليلُ الثّالِثُ فهوَ أنَّ رَي يَعتَقِدُ أنَّ الخِطابَ الدِّينِيَّ يُشبِهُ الخِطابَ التَّخَيُّلِيَّ بِسببِ ما يُظهِرُهُ المُتَدَيِّنونَ مِن التَّساهُلِ تُجاهَ ما يَعُدُّهُ دَعاوَى 'تَضليلِيَّةً' و'شاذَّةً' بِوُضوحٍ. والمِثالُ الذي قَدَّمَهُ رَي لِذلكَ هوَ قِصَّةُ إطاعَةِ إبراهيمَ أمرَ اللهِ لَهُ بِالتَّضحِيَةِ بابنِهِ. وخُلاصَةُ الأمرِ أنَّ رَي يَرَى أنَّ استِعمالَ الخِطابِ الدِّينِيِّ يَشي بِالعُمومِيَّةِ، وبِالافتِقارِ إلى الدَّليلِ المُؤَيِّدِ (وبِالافتِقارِ إلى الاهتِمامِ بِالدَّليلِ المُؤَيِّدِ)، وبِالتَّساهُلِ تُجاهَ اللامَنطِقِيّاتِ الخَيالِيَّةِ التي تُمَيِّزُ أيضًا استِعمالَنا لِلقِصَّةِ الخَيالِيَّةِ.

وعلى الرَّغمِ مِن أنّا قَد رَأَينا أنَّ ما ذَهَبَ إليهِ رَي مِن أنَّ الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةَ كاذِبَةٌ بِوُضوحٍ غَيرُ مُقنِعٍ، لكِن هَل تُقَدِّمُ حُجَّتُهُ الإضافِيَّةُ بِشَأنِ أوجُهِ الشَّبَهِ بينَ الخِطابَيْنِ الدِّينِيِّ والتَّخَيُّلِيِّ الدَّعمَ لِنظرِيَّتِهِ [191] في مَذهَبِ ما وَراءَ الإلحادِ التي مُفادُها أنَّ المُتَدَيِّنينَ لا يَعتَقِدونَ 'في مُستَوًى مّا' دَعاواهُم الدِّينِيَّةَ الشَّخصِيَّةَ؟ إنَّ مُشكِلَةَ حُجَّةِ رَي تَكمُنُ في اعتِمادِها على مُقارَنَةٍ ظالِمَةٍ ومُضَلِّلَةٍ بينَ دَعاوَى جُمهورِ المُتَدَيِّنينَ (المُتَعَلِّمِينَ) المُمارِسِينَ والعُلَماءِ المُحتَرِفِينَ. ولَو نَظَرْنا إلى الخِطابِ العِلمِيِّ على الوَجهِ الذي يَستَخدِمُهُ بِهِ كَثيرٌ مِن النّاسِ - ولا سِيَّما الذينَ نالوا تَعليمًا أساسِيًّا واحِدًا في الحَقلِ الذي يَفتَرِضُهُ رَي في الحالَةِ الدِّينِيَّةِ - لَما وَجَدْناهُ على حالٍ أفضَلَ كَثيرًا مِن حالِ الخِطابِ الدِّينِيِّ في ما يتعلَّقُ بِالمَعاييرِ التي يَقتَرِحُها رَي. فَلْنَأخُذْ مِثالًا لِذلكَ نَظرِيَّةً عِلمِيَّةً مُبَيَّنَةً ومَفهومَةً بِبَساطَةٍ تامَّةٍ كنظرِيَّةِ التَّطَوُّرِ لِدارون Darwin*. فمُعظَمُ الذينَ يَدَّعونَ اعتِقادَ هذهِ النَّظرِيَّةِ ليسَ

* تشارلز روبَرت دارون (1809-1882م). عالِمُ تَاريخٍ طَبيعِيٍّ بريطانيٌّ. اكتَسَبَ شُهرَتَهُ بِوَصفِهِ واضِعًا لِنَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ التي تَنُصُّ عَلى أنَّ جَميعَ المَخلوقاتِ الحَيَّةِ عَلى مَرِّ العُصورِ تَنحَدِرُ مِن أسلافٍ مُشتَرِكَةٍ. واقتَرَحَ نَظَرِيَّةً تتضمَّنُ أنَّ هذهِ الأنماطَ المتَفَرِّعَةَ مِن عَمَلِيَّةِ التَّطَوُّرِ ناجِمَةٌ =

لَهُم إلّا القَليلُ مِن المَعرفَةِ لِلدَّليلِ المُؤَيِّدِ لَها والاهتِمام بِهِ؛ فقَد يَعتَقِدونَ أنَّ لَها عَلاقَةً بِسِجِلّاتِ الحَفريّاتِ، على سبيلِ المِثالِ. ويُمكِنُ أن نتوقَّعَ أيضًا احتِكاماتٍ إلى المَرجِعيَّةِ لِتَسويغِ النَّظريَّةِ: فهيَ الأُطروحَةُ الرَّئيسَةُ في المُصَنَّفاتِ المُعتَمَدَةِ في عُلومِ الحَياةِ، وهيَ الأُطروحَةُ التي تَلقَى لَدَى عُلَماءِ الحَياةِ تَأييدًا واسِعًا، وهيَ الأُطروحَةُ التي يُسانِدُها العالِمُ الكَبيرُ تشارلز داروِن! ولا يُحتَمَلُ أن يَجِدَ المَرءُ لَدَى المُهَيَّئينَ لِتَأكيدِ أنَّ النَّظريَّةَ التَّطَوُّريَّةَ صادِقَةٌ (ولا سِيَّما الذينَ يَفعَلونَ ذلكَ استِنادًا إلى مَرجِعيّاتٍ عِلمِيَّةٍ) أيَّ شَيْءٍ مُشابِهٍ لاختِيارِ النُّصوصِ والأَدِلَّةِ التَّاريخِيَّةِ مِمّا يَرَى رَي عَلى نَحوٍ مُريبٍ غِيابَهُ لَدَى الذينَ يُنشِئونَ دَعاوَى دينِيَّةً استِنادًا إلى مَرجِعِيَّةِ الكِتابِ المُقَدَّسِ (2006, p. 343). فكذلكَ، يُمكِنُ أن يُقالَ إنَّ فَهمَ مُعظَمِ النّاسِ لِلنَّظريّاتِ العِلمِيَّةِ فَهمٌ عامٌّ، وغالِبًا مّا يُعَبَّرُ عنهُ تَعبيرًا استِعارِيًّا، وهوَ مَحدودٌ بِمُستَوَى سَطحِيٍّ مِن التَّفصيلاتِ: إنَّهُ مُمانِعٌ لِلتَّفصيلاتِ، على حَدِّ تَعبيرِ رَي. وتَبدو النُّقطَةُ الثّالِثَةُ لَدَى رَي، وهيَ أنَّ بَعضَ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ تَضليلِيَّةٌ، مُتَجانِسَةً بَلاغِيًّا معَ ما ذَهَبَ إليهِ مِن أنَّها لا يَنبَغي أن تُعامَلَ مُعامَلَةً جادَّةً. فإن كانَ كُلُّ ما يَرمي إليهِ هوَ أنَّ بَعضَ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ المُقَدَّمَةِ في سِياقاتٍ مُعَيَّنَةٍ يُمكِنُ أن تَبدُوَ شاذَّةً، فالشَّيْءُ نَفسُهُ يَصدُقُ على بَعضِ الدَّعاوَى العِلمِيَّةِ، ولا سِيَّما بَعضُ الدَّعاوَى المَركَزِيَّةِ لِميكانيكا الكَمِّ.

وقَد يُمكِنُ أن يُسَلِّمَ رَي بِأنَّ استِعمالَ مُعظَمِ المُتَعلِّمِينَ لِلخِطابَيْنِ الدِّينِيِّ والعِلمِيِّ مُشابِهٌ لاستِعمالِهِم لِلخِطابِ التَّخَيُّلِيِّ. على أنَّ بِإمكانِهِ الذَّهابَ إلى أن لا وُجودَ لِمَرجِعيّاتٍ مُطلَقَةٍ في السِّياقِ الاحتِرافِيِّ، في استِعمالِ الخِطابِ العِلمِيِّ لا في استِعمالِ الخِطابِ الدِّينِيِّ، وأنَّ بالإمكانِ تَحَرِّيَ تَفصيلاتِ النَّظريّاتِ فيهِ ومَلْءَ ثَغَراتِها. فحاصِلُ مَذهَبِ رَي إذَن هوَ أنَّهُ إن يَكُنِ الخِطابانِ الدِّينِيُّ والعِلمِيُّ كِلاهُما يَشيعُ استِعمالُهُما بِوَصفِهِما تَخَيُّلِيَّيْنِ، فإنَّ الخِطابَ الدِّينِيَّ تَخَيُّلِيٌّ كُلِّيًّا، أمّا العِلمُ

= عَن عمليَّةٍ وَصَفَها بالانتِقاءِ (الانتِخابِ) الطَّبيعيِّ، وكذلكَ الصِّراعُ مِن أجلِ البَقاءِ لَهُ التَّأثيرُ نَفسُهُ الذي لِلاختِيارِ الذي يُسهِمُ في التَّكاثُرِ الانتِقائيِّ لِلكائناتِ الحَيَّةِ. أهَمُّ مُؤَلَّفاتِهِ الذي شَرَحَ فيهِ نظريَّتَهُ كِتابُهُ (أصلُ الأنواع) الذي نَشَرَهُ عامَ 1859. [المُترجِم]

فَفيهِ احتِرافِيُّونَ يُمكِنُ أن يُقالَ بِثِقَةٍ إنَّهُم يَعتَقِدونَ ما يَقولونَ. على أنَّ رَي يَحتاجُ مِن أجلِ إثباتِ ذلكَ إلى أن يُبَيِّنَ عَدَمَ وُجودِ مَجموعَةٍ مُشابِهَةٍ مِن اللاهوتِيِّينَ الاحتِرافِيِّينَ - نَحوِ دارِسِي الكِتابِ المُقَدَّسِ أو اللاهوتِيِّينَ النِّظامِيِّينَ - مِمَّن لَدَيهِم اعتِقاداتٌ دينِيَّةٌ. بيدَ أنَّ هذا شَيْءٌ لا يُحاوِلُ فِعلَهُ. لِذلكَ يُمكِنُ القَولُ إنَّ حُجَّةَ رَي بِشأنِ [192] الخِداعِ الذّاتِيِّ لَدَى المُتَدَيِّنِينَ ومُقارَنَتَهُ بينَ الخِطابَيْنِ الدِّينِيِّ والتَّخَيُّلِيِّ كِلتَيْهِما لا تُقَدِّمانِ أَسبابًا وَجيهَةً لِلتَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقِيَّةِ الدِّينِيَّةِ.

فَلْنَفتَرِضْ أنَّ بِالإمكانِ اصطِناعَ حُجَجٍ مُفحِمَةٍ ومُلزِمَةٍ مُؤَيِّدَةٍ لِمَذهَبِ ما وَراءَ الإلحادِ؛ فإلى أيِّ حَدٍّ يُمَثِّلُ هذا تَأييدًا لِلتَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقِيَّةِ الدِّينِيَّةِ؟ فمِن أجلِ أن يَكونَ مَذهَبُ ما وَراءَ الإلحادِ شَكلًا مِن أشكالِ التَّخَيُّلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ لا بُدَّ مِن تَوافُرِ أُطروحَةٍ مَخصوصَةٍ لِلخِداعِ الذّاتِيِّ. ولَيسَ أساسِيًّا لِلتَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقِيَّةِ الدِّينِيَّةِ أن يَكونَ لَدَى المُتَدَيِّنِينَ، في أيِّ 'مُستَوًى'، اعتِقادُ أنَّ دَعاواهُم الدِّينِيَّةَ كاذِبَةٌ؛ بَل الأَساسِيُّ هوَ أَلّا يَعتَقِدوا أنَّ ما يَقولونَهُ صادِقٌ أو، في أَقَلِّ تَقديرٍ، أنَّهُ إن كانَتْ لَهُم أيَّةُ اعتِقاداتٍ دينِيَّةٍ - إن وُجِدَتْ في 'مُستَوًى' مّا - فإنَّ هذهِ الاعتِقاداتِ لا يُعَبَّرُ عنها في إقراراتِهِم الدِّينِيَّةِ. يَقولُ رَي: 'أَستَطيعُ أن أَتَصَوَّرَ جَيِّدًا عَدَّ شَخصٍ مّا اعتِقاداتِ الخِداعِ الذّاتِيِّ اعتِقاداتٍ أَصيلَةً، ومُجَرَّدَ طَرائقَ إظهارِيَّةٍ يُمكِنُ أن تَكونَ اعتِقاداتُ النّاسِ فيها لاعَقلانِيَّةً ومُجتَزَأَةً على نَحوٍ شاذٍّ'، و'قَد تَكونُ ثَمَّةَ مُستَوَياتٌ أُخرَى يُمكِنُ أيضًا أن يُؤمِنَ [المُتَدَيِّنونَ] فيها بِاللهِ' (2006, p. 337). ويُمكِنُ أن يُقالَ بِعِبارَةٍ أُخرى إنَّ الحُجَجَ المُؤَيِّدَةَ لِمَذهَبِ ما وَراءَ الإلحادِ مُنسَجِمَةٌ معَ أُطروحاتِ الخِداعِ الذّاتِيِّ التي هيَ غَيرُ مُتَناغِمَةٍ معَ التَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقِيَّةِ الدِّينِيَّةِ. فإن اعتَقَدَ المُتَدَيِّنونَ دَعاواهُم الدِّينِيَّةَ واعتَقَدوا 'في مُستَوًى مّا' أنَّ هذهِ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةَ كاذِبَةٌ لكِن لَم يُمَيِّزوا عَدَمَ التَّناغُمِ هذا بِسَبَبِ تَجَزُّؤِ اعتِقاداتِهِم، فسَيَكونُ مَذهَبُ ما وَراءَ الإلحادِ صادِقًا وسَتَكونُ التَّخَيُّلِيَّةُ الهِرمِنيوطيقِيَّةُ الدِّينِيَّةُ كاذِبَةً. فحَتّى لَو كانَتْ هُناكَ حُجَجٌ جَيِّدَةٌ مُؤَيِّدَةٌ لِمَذهَبِ ما وَراءَ الإلحادِ، وهوَ ما وَجَدْنا خِلافَهُ، لَتَطَلَّبَت التَّخَيُّلِيَّةُ الهِرمِنيوطيقِيَّةُ الدِّينِيَّةُ النّاجِحَةُ حُجَّةً مُؤَيِّدَةً لأُطروحَةِ الخِداعِ الذّاتِيِّ الأَثيرَةِ لَدَى رَي.

التَّخيُّلِيَّةُ المُتَواضِعَة

على الرَّغمِ مِن المُشكِلاتِ الكَثيرَةِ التي تُواجِهُها التَّخَيُّلِيَّةُ الهِرمِنيوطيقيَّةُ المُتعلِّقَةُ بِالدِّينِ، أعتَقِدُ أنَّ ثَمَّةَ نُسخَةً مِن هذهِ النَّظريَّةِ قابِلَةً لِلتَّأييدِ ومَنطقيَّةً في الوَقتِ نَفسِهِ. على أنَّ هذهِ النَّظريَّةَ مُغايِرَةٌ تَمامًا لِلمُحاوَلاتِ الأُخرَى المُتعلِّقَةِ بِالتَّخَيُّلِيَّةِ مِمّا كُنّا نَنظُرُ فيهِ آنِفًا. ذلكَ بِأنَّ هذهِ النَّظريَّةَ لا تَذهَبُ إلى أنَّ علينا أن نُعامِلَ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةَ على أنَّها مُشابِهَةٌ لِلتَّخَيُّلاتِ أو أنَّ الأقوالَ الدِّينِيَّةَ استِعارِيَّةٌ أو حَتّى أنَّ المُتَحَدِّثِينَ المُتَدَيِّنِينَ لا يَعتَقِدونَ حَقًّا ما يَقولونَهُ. بَل تُفيدُ هذهِ النَّظريَّةُ أنَّهُ إن تَكُنِ الأقوالُ الإخبارِيَّةُ الدِّينِيَّةُ مُلَبِّيَةً لِمُعظَمِ شُروطِ التَّقريراتِ - وأهَمُّها أنَّها تُعَبِّرُ تَعبيرًا أُنموذَجِيًّا عن الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ - فإنَّها تُخالِفُها مِن جانِبٍ رَئيسٍ واحِدٍ. ثُمَّ إنَّ هذهِ المُخالَفَةَ مُهِمَّةٌ ونِظامِيَّةٌ بِما يَكفي لإظهارِ أنَّ الأقوالَ الإخبارِيَّةَ الدِّينِيَّةَ يَنبَغي أن تُعَدَّ نَوعًا مُختَلِفًا مِن أنواعِ الفِعلِ الكَلامِيِّ. وأنا أُطلِقُ على هذا المَذهَبِ اسمَ *التَّخَيُّلِيَّةِ المُتَواضِعَةِ* *modest fictionalism*. [193] وإذا أَرَدْنا أن نَعرِفَ سَبَبَ مَعقولِيَّةِ التَّخَيُّلِيَّةِ المُتَواضِعَةِ فَعَلَينا أن نَبدَأَ بِالنَّظَرِ في ما يَجعَلُ التَّقريراتِ مُمكِنَةً.

فقَد نَظَرَت المُناقَشاتُ المُتَقَدِّمَةُ لِلُّغَةِ والصِّدقِ الدِّينِيَّيْنِ إلى التَّقريراتِ على أنَّها أفعالٌ كَلامِيَّةٌ مُرتَبِطَةٌ بِالتَّعبيرِ عن اعتِقاداتِ المُتكلِّمِينَ. على أنَّهُ إن يَكُنْ هذا الارتِباطُ مَعقولًا بِحُكمِ البَداهَةِ، فمِن الواضِحِ أنَّ هذا لَيسَ تَمييزًا كامِلًا لِلتَّقريرِ: فتَعبيرُ المُتكلِّمِ عن اعتِقاداتِهِ لَيسَ ضَرورِيًّا ولا كافِيًا لِلتَّقريرِ. فثَمَّةَ كَثيرٌ مِن التَّعبيراتِ الاعتِقادِيَّةِ التي هيَ لَيسَت بِتَقريراتٍ. مِثالُ ذلكَ أنَّ بِوُسعي أن أُديرَ عَيني لأُعَبِّرَ عن اعتِقادِ أنِّي ضَجِرٌ مِن غَيرِ أن أُقَرِّرَ أنِّي ضَجِرٌ. ثُمَّ إنَّ ثَمَّةَ أفعالًا لُغَوِيَّةً كَثيرَةً تُعَبِّرُ عن اعتِقاداتٍ لكِنَّها لَيسَت تَقريراتٍ. فإذا سَأَلْتُكَ أن تَصحَبَني لِتَناوُلِ الغَداءِ، كُنْتُ مُعَبِّرًا عن اعتِقادي أنَّكَ لَم تَتَناوَلِ الغَداءَ بَعدُ، لكِنِّي لَم أَكُنْ بِذلكَ مُقَرِّرًا أنَّكَ لَم تَتَناوَلِ الغَداءَ بَعدُ؛ فكُلُّ ما فَعَلْتُهُ هوَ أنِّي اقتَرَحْتُ دَعوَةً إلى الغَداءِ. وتُوجَدُ أيضًا تَقريراتٌ لاحَرفِيَّةٌ لا تُعَبِّرُ عن اعتِقادِ المُتكلِّمِ (أو لا تَفعَلُ ذلكَ على نَحوٍ مُباشِرٍ، في أقَلِّ تَقديرٍ). فالذي يَقولُ: 'الحُبُّ رِحلَةٌ' لا يُؤمِنُ بِمَضمونِ هذا

القَولِ، بيدَ أنَّ الفِعلَ الكَلامِيَّ هُنا يَبدو كأنَّهُ تَقريرٌ. وبِالإمكانِ تَقريرُ الاستِعاراتِ، تَمامًا كما يُمكِنُ أن تَكونَ جُزءًا مِن الأسئلَةِ، والطَّلَباتِ، وما إلى ذلكَ. زِدْ على ذلكَ أنَّ نَظَرَنا كانَ على العُمومِ مُصَوَّبًا إلى التَّقريراتِ المُخلِصَةِ. على أنَّ مِن الواضِحِ إمكانَ وُجودِ تَقريراتٍ مُخادِعَةٍ لا يَعتَقِدُ المُتكلِّمُ بِها ما يُقرِّرُهُ. وقَد يَذهَبُ ذاهِبٌ مّا إلى أنَّ التَّقريرَ المُخادِعَ يَنبَغي أن يُعَدَّ مُعَبِّرًا عن اعتِقادِ مَضمونِهِ وإن لَم يَكُن لَدَى المُتكلِّمِ هذا الاعتِقادُ. فبِالإمكانِ أن يُقالَ عن حالَةِ الشَّخصِ الكاذِبِ، على سبيلِ المِثالِ، إنَّ المُتَحَدِّثَ خَدَعَ النّاسَ بِتَعبيرِهِ عن اعتِقادٍ لا يتَبَنّاهُ حَقًّا. لكِن يَبدو أنَّ بِالإمكانِ وُجودَ حالاتٍ مِن التَّقريرِ الأصيلِ تُعَدُّ مُخادِعَةً خِداعًا صَريحًا (Macfarlane, 2011) إذ لا يَعتَقِدُ المُتَكلِّمُ فيها ما يُقالُ ويُدرِكُ السّامِعونَ فيها أيضًا أنَّ المُتَكلِّمَ لا يَقصِدُ قَولَ ما يَعتَقِدُ. ويَصعُبُ أن نَرَى كيفِيَّةَ إمكانِ النَّظَرِ إلى التَّقريراتِ التي تَنطَوي على خِداعٍ صَريحٍ على أنَّها تُعَبِّرُ عن اعتِقاداتٍ. فكيفَ نُحَلِّلُ التَّقريرَ إذَن لِيُلائمَ هذهِ الاستِثناءاتِ معَ مُحافظتِنا في الوَقتِ نَفسِهِ على الصِّلَةِ البَديهيَّةِ بينَ التَّقريرِ والاعتِقادِ؟

وقَد قَدَّمَ روبَرت ستولنَيكر Robert Stalnaker* (1999) أُطروحَةً تُعَدُّ مِن أكثَرِ أُطروحاتِ التَّقريرِ مَقبوليَّةً وتَأثيرًا. إذ يُشيرُ إلى أنَّ التَّقريراتِ تَكونُ في سِياقاتٍ تتضمَّنُ مُتكلِّمينَ ذَوي مَقاصِدَ واعتِقاداتٍ مُختلِفَةٍ يُخاطِبونَ سامِعِينَ ذَوي مَقاصِدَ واعتِقاداتٍ مُختلِفَةٍ (أي حِوارًا) وأنَّ المَقصودَ بِالتَّقريرِ هوَ أن يُعَدِّلَ ذلكَ السِّياقَ مِن خِلالِ التَّأثيرِ في مَواقِفِ المُشارِكِينَ. فَفي كُلِّ نُقطَةٍ مِن نِقاطِ الحِوارِ، يَفتَرِضُ المُشارِكونَ قَضايا مُختَلِفَةً افتِراضًا مُسبَقًا. ويَذهَبُ إلى أنَّ المَرءَ حينَ يُقَرِّرُ شَيئًا مّا يَكونُ مُقتَرِحًا أن يُضافَ مَضمونُهُ إلى 'أرضِيَّةٍ مُشتَرَكَةٍ' مِن المَعلوماتِ

* روبرت ستولنَيكر (1940-...م). فَيلَسوفٌ أمريكيٌّ. أُستاذُ الفَلسَفَةِ في مَعهَدِ ماستشوستس لِلتِّكنولوجيا. تتعلَّقُ كِتاباتُهُ بِالأُسُسِ الفَلسَفِيَّةِ لِعِلمِ الدَّلالَةِ، والتَّداوُلِيَّةِ، والمَنطِقِ الفَلسَفِيِّ، ونَظَرِيَّةِ المَعرِفَةِ، وفَلسَفَةِ العَقلِ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (السِّياقُ والمَضمونُ: مَقالاتٌ في القَصدِيَّةِ في الكلامِ والفِكرِ)؛ و(الأوجُهُ التي يُمكِنُ أن يَكونَ عَلَيها العالَمُ: مَقالاتٌ ميتافيزيقيَّةٌ ومُضادَّةٌ لِلميتافيزيقا)؛ و(مَعرِفَتُنا لِلعالَمِ الجَوّانِيّ). [المُترجِم]

المُفتَرَضَةِ مُسبَقًا في الحِوارِ. ويُلحَظُ أنَّ ستولنَيكر يَفهَمُ ما يُنشِئُ التَّقريرَ مِن زاوِيَةِ [194] 'تأثيرِهِ الأساسِيِّ': أنَّهُ اقتِراحٌ يُضافُ إلى مَجموعَةِ القَضايا المُسَلَّمِ بِها في الحِوارِ. ويَختَلِفُ هذا عن النَّظريَّةِ التي تُفيدُ أنَّ التَّقريرَ تَعبيرٌ عن اعتِقادٍ. على أنَّ نظريَّةَ ستولنَيكر يُمكِنُ أن تَكشِفَ عَن سَبَبِ اعتِقادِ المُتكلِّمِ عادَةً مَضمونَ التَّقريرِ أيضًا. فما دامَ المُشارِكونَ في حِوارٍ اعتِياديٍّ عادَةً مَا يَرمونَ إلى تَجَنُّبِ الخَطَإِ والاقتِرابِ مِن الصِّدقِ، فينبَغي أن نتوقَّعَ أن يُسهِمَ المُتَكَلِّمونَ عادَةً في الحِوارِ بِتَقديمِ قَضايا يَعتَقِدونَ أيضًا أنَّها صادِقَةٌ. على أنَّ مِن المُمكِنِ في حِواراتٍ مُعَيَّنَةٍ أن يَكونَ المُتَكَلِّمونَ والسّامِعونَ جَميعًا على عِلمٍ بِأنَّ بَعضَ الافتِراضاتِ المُسبَقَةِ كاذِبَةٌ لكِنَّهُم يُواصِلونَ الاستِنادَ إلَيها. ويَحدُثُ مِثلُ ذلكَ حينَ يَتَبَنّى المُشارِكونَ في الحِوارِ تَخَيُّلًا مَا مُهَذَّبًا بِشَأنِ شَخصٍ مّا مِن أجلِ الحِفاظِ على مَشاعِرِهِ. فقد يُنشِئُ المُتَكَلِّمُ حينَئِذٍ تَقريراتٍ تَستَنِدُ إلى افتراضاتٍ مُسبَقَةٍ كاذِبَةٍ لا يَقصِدُ المُتَكلِّمُ فيها التَّعبيرَ عن اعتِقادِهِ الدَّعوَى المُقَرَّرَةَ ولا يَنظُرُ السّامِعُ فيها إلى المُتَكَلِّمِ على أنَّهُ يُعَبِّرُ عن اعتِقادٍ. لِذلكَ يُمكِنُ القَولُ إنَّ نظريَّةَ ستولنَيكر تَسمَحُ بِالتَّقريراتِ المُخادِعَةِ خِداعًا صَريحًا.

وعلى الرَّغمِ مِمّا تَنطَوي عليهِ نظريَّةُ ستولنَيكر مِن نِقاطِ جَذبٍ، لا يَتَّضِحُ فيها احتِياجُ التَّقريرِ إلى خَلفِيَّةٍ مِن السِّياقِ الحِوارِيِّ والافتِراضاتِ المُسبَقَةِ المُشتَرَكَةِ. إذ يَبدو، على سبيلِ المِثالِ، أنَّ بِإمكانِ المَرءِ أن يُقَرِّرَ شَيئًا مّا لِنَفسِهِ (ما لَم يُنظَرْ إلى المَرءِ في هذهِ الحالَةِ على أنَّهُ المُتَكَلِّمُ والسّامِعُ مَعًا وأنَّهُ مُمارِسٌ لِحِوارٍ) أو في سِياقٍ لا تَكونُ فيهِ افتِراضاتٌ مُسبَقَةٌ مُشتَرَكَةٌ بينَ المُتَكَلِّمِ والسّامِعِ. ويُؤكِّدُ مَكفارلن Macfarlane* (2011) أيضًا الصُّعوبَةَ التي تُواجِهُها نظريَّةُ

* جون مَكفارلن. أُستاذُ الفَلسَفَةِ في جامِعَةِ كالِفورنيا. تَدورُ مُعظَمُ كِتاباتِهِ حَولَ الفَلسَفَةِ والمَنطِقِ واللُّغةِ، وتَشمَلُ اهتِماماتُهُ البَحثِيَّةُ الأُخرى الميتافيزيقا، ونَظَريَّةَ المَعرِفَةِ، وفَلسَفَةَ الرِّياضِيّاتِ، والمَنطِقَ الفَلسَفِيَّ، وتَاريخَ المَنطِقِ، والفَلسَفَةَ القَديمَةَ (ولا سِيَّما فَلسَفَةُ أرسطو). لَهُ كِتابٌ عُنوانُهُ (التَّحَسُّسُ التَّقويمِيُّ: الصِّدقُ النِّسبِيُّ وتَطبيقاتُه)، وعِدَّةُ مَقالاتٍ مِنها: ('في المَعرِفَةِ الاحتِماليَّةِ')؛ و('ما التَّقرير؟')؛ و('فَهمُ الصِّدقِ النِّسبِيِّ'). [المُتَرجِم]

ستولنَيكر في تَقديمِ أُطروحَةٍ مَقبولَةٍ لِلتَّقريراتِ التَّراجُعِيَّةِ. إذ يَبدو أنَّ بِإمكانِنا التَّراجُعَ عن التَّقريرِ بَعدَ أن نَكونَ قَد أنشَأناهُ. لكِن إذا كانَ التَّقريرُ يَنطَوي على مُقتَرَحٍ لإضافَةِ مَعلوماتٍ إلى الافتِراضاتِ المُسبَقَةِ المُشتَرَكَةِ لِلحِوارِ، فعِندَئذٍ يَصعُبُ أن نَرَى كيفيَّةَ إمكانِ إبطالِ هذا المُقتَرَحِ بَعدَ أن حَظِيَ بِالقَبولِ. ويَذكُرُ ستولنَيكر أخيرًا أنَّ نظريَّتَهُ تُعاني صُعوبَةَ التَّفريقِ بينَ التَّقريراتِ وأفعالِ الكَلامِ الأُخرَى التي تُغَيِّرُ الافتِراضاتِ المُسبَقَةَ المُشتَرَكَةَ في الحِوارِ. فإذا قُدِّمَتْ قَضِيَّةٌ مَا، على سبيلِ المِثالِ، لأغراضِ الجَدَلِ مِن غَيرِ افتِراضِ أنَّها صادِقَةٌ، فلا يَبدو أنَّ ذلكَ يَجعَلُ القَضِيَّةَ مُقرَّرَةً؛ على أنَّها ستَكونُ في هذهِ الحالَةِ مُلَبِّيَةً لِشُروطِ التَّقريرِ بِمُوجبِ نظريَّةِ ستولنَيكر.

وثَمَّةَ نظريَّةٌ لِلتَّقريرِ تَمُتُّ إلى نظريَّةِ ستولنَيكر بِأوثَقِ الصِّلاتِ، في أنَّها تُحَلِّلُ التَّقريرَ أيضًا مِن زاوِيَةِ تأثيرِهِ الأساسِيِّ، يُمكِنُ أن نَلمَحَ جُذورَها في فِكرَةٍ لَدَى تشارلز بيرس مُفادُها أنَّ 'تَقريرَ قَضِيَّةٍ مَا يَعني أن يَكِلَ الشَّخصُ إلى نَفسِهِ مَسؤوليَّةَ صِدقِها' (1934, p. 384). وقَد لَقِيَتْ هذهِ الفِكرَةُ التي مُفادُها أنَّ التَّقريرَ يَنبَغي فَهمُهُ على أنَّهُ نَوعٌ مِن الالتِزامِ المِعيارِيِّ تَطويرًا لَدى مُختَلِفِ الفَلاسِفَةِ، ومِنهُم سيرل (1969, p. 29; 1979, p. 12)، وأولستن (2000)، ومَكفارلن (2005)، وبراندم Brandom* (1994). إذ يُمَيِّزُ براندم، على سبيلِ المِثالِ، التَّقريرَ بِأنَّهُ التِزامُ المَرءِ الدِّفاعَ عن إمضائهِ [195] القَضِيَّةَ المُقرَّرَةَ حينَ يَتَعَرَّضُ لِلتَّحَدِّي. فالذي يَراهُ براندم أنَّ المَرءَ حينَ يُقَرِّرُ شَيئًا مَا يَكونُ مُلزَمًا أن يُقَدِّمَ تَسويغًا لِما كانَ قَد قَرَّرَهُ إذا ما جُودِلَ فيهِ[1]. ومِن الالتِزاماتِ الوَثيقَةِ الصِّلَةِ بِذلكَ وُجوبُ أن يَتَراجَعَ

* روبرت براندم (1950–...م). فَيلَسوفٌ أمريكيٌّ يُدَرِّسُ في جامِعَةِ بتسبيرغ. تَنصَرِفُ كِتاباتُهُ في المقامِ الأوَّلِ إلى فَلسَفَةِ اللُّغَةِ، وفَلسَفَةِ العَقلِ، والمَنطِقِ الفَلسَفِيِّ. مِن مُؤَلَّفاتِهِ: (جَعلُ الأمرِ صَريحًا: الاستِدلالُ، والتَّمثيلُ، والالتِزامُ الخِطابِيّ)؛ و(التَّجريبيَّةُ وفَلسَفَةُ العَقل)؛ و(رورتي ونُقّادُه). [المُتَرجِم]

(1) يُضيفُ براندم التِزامًا ثانِيًا: فالمُتَكَلِّمُ حينَ يُقَرِّرُ تَقريرًا مَا إنَّما يُجيزُ لِلسّامِعِينَ أن يَعتَمِدوا على القَضِيَّةِ المُقَرَّرَةِ. على أنَّ كولبيل Kölbel (2011, pp. 67-69) يَذهَبُ إلى أنَّ إجازَةَ =

المَرءُ عن التَّقريرِ إذا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ غَيرُ صادِقٍ. وتَسمَحُ نَظريَّةُ الالتِزامِ المِعيارِيِّ بِتَقريراتٍ يَكونُ فيها المَرءُ غَيرَ مُعتَقِدٍ لِما قَد قَرَّرَ: فبِوُسعِ المَرءِ أن يَلتَزِمَ صِدقَ قَضِيَّةٍ أو 'أن يَتَحَمَّلَ مَسؤوليَّةَ' صِدقِها مِن غَيرِ أن يَعتَقِدَها. ومِن الواضِحِ أيضًا، مِن جِهَةٍ أُخرى، سَبَبُ عَدِّ التَّقريرِ ناقِلًا مُناسِبًا لِلتَّعبيرِ عن الاعتِقادِ: فليسَ طَبيعيًّا أن يَحمِلَ المَرءُ نَفسَهُ على التِزامِ صِدقِ قَضِيَّةٍ لا يَعتَقِدُ أنَّها صادِقَةٌ. وتَنطَوي نظريَّةُ الالتِزامِ أيضًا على أُطروحَةٍ أكثَرَ مَقبوليَّةً لِلتَّراجُعِ عن التَّقريراتِ. فالتَّراجُعُ عن التَّقريرِ يَعني التَّخَلِّيَ عن التِزامِ تَأييدِ صِدقِ القَضِيَّةِ المُقَرَّرَةِ. ثُمَّ إنَّ هذهِ النَّظريَّةَ لا تَقتَضي وُرودَ التَّقريراتِ في السِّياقاتِ الحِوارِيَّةِ التي افتَرَضَها ستولنَيكر.

لِذلكَ، يُمكِنُ أن نَجِدَ عدَدًا مِن الميزاتِ لِلنَّظريَّةِ التي تُفيدُ أنَّ التَّقريرَ يتضَمَّنُ التِزاماتٍ مِعياريَّةً - تَحَمُّلَ التِزامِ تَسويغِ القَضِيَّةِ المُقَرَّرَةِ عِندَ التَّحَدِّي والتَّراجُعَ عن التَّقريرِ إذا تَبَيَّنَ أنَّهُ غَيرُ صادِقٍ. فهيَ تُحافِظُ على الصِّلَةِ البَديهِيَّةِ بينَ التَّقريرِ والاعتِقادِ في الوَقتِ الذي تُفَسِّرُ فيهِ الحالاتِ التي تُنشَأُ فيها التَّقريراتُ مِن غَيرِ اعتِقادٍ وتَتَجَنَّبُ أيضًا بَعضَ العَواقِبِ الصّادِمَةِ لِلبَداهَةِ في نظريَّةِ ستولنَيكر. فَلْنَفتَرِضْ، إذَن، أنّا نَعُدُّ هذهِ النَّظريَّةَ نَظريَّةَ تَقريرٍ صادِقَةً[2]. فبِذلكَ يُمكِنُ أن يُجابَ عن مَدَى كَونِ مَنطوقٍ مّا لِجُملَةٍ إخبارِيَّةٍ تَقريرًا، بِأن يُنظَرَ في مَدَى تَحَمُّلِ المُتَكَلِّمِ بِهِ الالتِزاماتِ ذاتَ الصِّلَةِ؛ ولا يُجابُ عن ذلكَ بِمُجَرَّدِ البَرهَنَةِ على كَونِ المُتَكَلِّمِ يَعتَقِدُ القَضِيَّةَ المَقولَةَ. ولا تَقتَصِرُ مَسأَلَةُ كَونِ مَنطوقاتِ الجُمَلِ الإخبارِيَّةِ في خِطابٍ مّا تَقريرِيَّةً على مُجَرَّدِ كَونِ أفرادِ جَماعَةِ المُتَكَلِّمينَ عادَةً مّا يَعتَقِدونَ ما يَقولونَهُ؛ بَل يُحَدِّدُ ذلكَ الالتِزاماتُ المِعيارِيَّةُ لأفرادِ الجَماعَةِ. وما دامَتْ وِجهَتي الآتِيَةُ هيَ النَّظَرَ في مَدَى كَونِ الأفعالِ الكَلامِيَّةِ التي تَبدو كَأنَّها تقريراتٌ تَقريراتٍ حَقًّا، فسأَستَعمِلُ، لأغراضِ التَّيسيرِ، تَعبيرَ *الدَّعوَى* لِلإحالَةِ على *التَّقريرِ المَزعومِ*؛

= الاعتِمادِ على ما يُقَرِّرُهُ شَخصٌ آخَرُ يُمكِنُ فَهمُها على أنَّها ناجِمَةٌ عن التِزامِ المُقَرِّرِ تَسويغَ القَضِيَّةِ المُقَرَّرَةِ.

(2) لِنَظريَّةِ الالتِزامِ المِعيارِيِّ لِلتَّقريرِ عَدَدٌ مِن المُؤَيِّدينَ لكِنَّها تَظَلُّ مَثارَ خِلافٍ فَلسَفِيٍّ. ولِلوُقوفِ على حُجَجٍ مُضادَّةٍ لِهذهِ النَّظريَّةِ، يُنظَر: Pagin (2004).

أي قَولِ الجُملَةِ الإخباريَّةِ. فَهَل المَعاييرُ التي تُمَيِّزُ إنشاءَ الدَّعاوَى في مُختَلِفِ الخِطاباتِ كافيَةٌ لِلحُكمِ بِأنَّ هذهِ الدَّعاوَى تَقريراتٌ؟

فإذا نَظَرْنا في الالتِزاماتِ المِعياريَّةِ التي تَحكُمُ إنشاءَ الدَّعاوَى في مَجالاتِ خِطابٍ مُختَلِفَةٍ، فسَنَجِدُ أنَّ ثَمَّةَ اختِلافاتٍ ذاتَ صِلَةٍ بينَ الخِطابِ الدِّينيِّ وغَيرِهِ مِن مَجالاتِ الخِطابِ الوَصفيِّ. وَلْنُسَمِّ الالتِزامَيْنِ المِعياريَّيْنِ المُشَخَّصَيْنِ آنِفًا مِعيارَ *التَّسويغِ* (أنَّ على المُتَكَلِّمِ أن يُسَوِّغَ ما يُقَرِّرُ حينَ [196] يُتَحَدّى في صِدقِهِ) ومِعيارَ *التَّراجُعِ* (أنَّ على المُتَكَلِّمَ أن يَتَراجَعَ ولا يَستَمِرَّ في تَقريرِ ما قَد تَبَيَّنَ أنَّهُ غَيرُ صادِقٍ). ويَبدو المِعيارانِ كِلاهُما فاعِلَيْنِ، على سبيلِ المِثالِ، في الدَّعاوَى التي نُنشِئُها بِشَأنِ صِفاتِ الأشياءِ التي يُمكِنُ أن يَلحَظَها النّاسُ في بيئتِنا. مِثالُ ذلكَ أنّي إذا أخبَرْتُكَ أنَّهُ قَد حَدَثَ كُسوفٌ لِلشَّمسِ في 31 مِن كانون الأوَّل/ ديسمبر عامَ 2012 فشَكَكْتَ في صِدقِ ما أقولُ، فمِنَ المَعقولِ أن يَكونَ لَدَيَّ ما يُلزِمُني تَقديمَ تَأييدٍ لِما قُلْتُ. ولا يُهِمُّ عَدَمُ تقديمي أيَّ تَسويغٍ أو كَونُ ما أُقَدِّمُ مِن تَسويغٍ غَيرَ مُقنِعٍ كُلِّيًا؛ فالمُهِمُّ أنَّ ثَمَّةَ تَوَقُّعًا مَعقولًا لِوُجوبِ أن يَكونَ لَدَيَّ ما أقولُهُ مِمّا يُؤَيِّدُ ما كُنْتُ قَد قَرَّرْتُ. ويَتْبَعُ ذلكَ أنَّ عَجزي عن تَقديمِ تَسويغٍ مُناسِبٍ أو رَفضي تَقديمَهُ سيُعَدُّ إخفاقًا مِن جانِبي. وكذلكَ، إذا اتَّجَهْتَ إلى شَبَكَةِ المَعلوماتِ لِلتَّثَبُّتِ، ونَظَرْتَ في الدَّليلِ الفَلَكِيِّ، فَوَجَدتَّ أنَّهُ لَم يَكُنْ ثَمَّةَ كُسوفٌ في ذلكَ التّاريخِ ولا دَليلٌ لِشَواهِدَ أُخرَى على حُدوثِ كُسوفٍ، ثُمَّ إذا عُرِضَ عَلَيَّ هذا الدَّليلُ، فإنَّ ذلكَ سيُمارِسُ ضَغطًا عَلَيَّ لأتَراجَعَ عن تَقريري. ولا شَكَّ في أنّي قَد أظَلُّ مُصِرًّا على ما قُلْتُهُ ولا أكُفُّ بِذلكَ عن كَوني قَد أنشَأْتُ تَقريرًا بِفِعلي ذلكَ. على أنَّ هذا التَّصَرُّفَ سيَكونُ غَيرَ مَعقولٍ وغَبِيًّا. ويَبدو أنَّ بِالإمكانِ تَطبيقَ ما يُشبِهُ ذلكَ على دَعاوَى وَصفِيَّةٍ أُخرَى. لِذلكَ يَبدو أنَّ مِعيارَي التَّسويغِ والتَّراجُعِ كِلَيْهِما يُمَيِّزانِ المُمارَسَةَ اللُّغَويَّةَ في استِعمالِ مَنطوقاتِ الجُمَلِ الإخباريَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بِصِفاتٍ قابِلَةٍ لِلمُلاحَظَةِ.

وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ مِعيارَي التَّسويغِ والتَّراجُعِ كِلَيْهِما لا يَرِدانِ عُمومًا في الخِطابِ الدِّينِيِّ. فَلْنَنظُرْ أوَّلًا في مِعيارِ التَّسويغِ. فلا شَكَّ في أنَّ

الحُجَجَ والأدِلَّةَ غالِبًا مَا تُقَدَّمُ لِتَأْيِيدِ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ (والكَثيرُ جِدًّا مِن فَلسَفَةِ الدِّينِ واللاهوتِ يَنصَرِفُ إلى فِعلِ ذلكَ بِالتَّحديدِ)، لكِن لا يَبدو أَنَّ مِن المَطالِبِ المَعيارِيَّةِ العامَّةِ التي يُطالَبُ بِها المُتَكَلِّمونَ تَقديمَ ما يُؤَيِّدُ دَعاواهُم الدِّينِيَّةَ حينَ يُتَحَدَّونَ في صِدقِ ما يَقولونَ. ويُمكِنُ أن يُقالَ بِعِبارَةٍ أُخرَى إنَّ عَجزَ المُؤمِنِينَ عن مُعالَجَةِ الشُّكوكِ التي تَحُفُّ بِصِدقِ دَعاواهُم الدِّينِيَّةِ أَو عَدَمَ مُعالَجَتِهِم إيَّاها لا يُعَدُّ إخفاقًا مِن جانِبِهِم. فَلْنَفتَرِضْ مُتَكَلِّمًا يَعتَقِدُ الآتِيَ ويَدَّعيهِ:

7. يَحوي كِتابُ المورمون The Book of Mormon* وَصفًا دَقيقًا لِلحَضاراتِ الأمريكِيَّةِ القَديمَةِ وكانَ قَد كَتَبَهُ في الأَصلِ أَنبِياءُ عاشوا في القارَةِ الأمريكِيَّةِ قَبلَ آلافِ السِّنِينَ.

فإذا تُحُدِّيَ المُتكلِّمُ في صِدقِ القَولِ (7) فقَد يُرَدِّدَ بِبَساطَةٍ ما كانَ قَد قالَهُ أَو يَقولُ إنَّهُ أَمرٌ إيمانِيٌّ أَو يَرُدُّ بِأن لا حاجَةَ إلى دَليلٍ. فكُلُّ أُولئكَ استِجاباتٌ حِوارِيَّةٌ طَبيعِيَّةٌ تَمامًا لِلتَّحَدِّياتِ [197] التي تُواجِهُ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةَ. ولا شَكَّ في أَنَّها لا تُقنِعُ المُشَكِّكَ؛ على أَنَّ المُهِمَّ هُنا عَدَمُ وُجودِ التِزامٍ مِن جانِبِ المُؤمِنِ لِمُحاوَلَةِ تَبديدِ شُكوكِ المُشَكِّكِ. ويُمكِنُ أَن يُقالَ بِعِبارَةٍ أُخرَى إنَّ مِعيارَ التَّسويغِ لا يَرِدُ عُمومًا في الخِطابِ الدِّينِيِّ. وَلْنَنظُرْ في القَولِ الآتي:

* كِتابُ المورمون المُقَدَّسُ (في المسيحِيَّةِ): كِتابٌ تَعُدُّهُ كنيسَةُ يَسوعَ المسيحِ لِقِدِّيسِي اليَومِ الآخِرِ كِتابًا مُقَدَّسًا معَ الكِتابِ المُقَدَّسِ. نُشِرَ أَوَّلًا عامَ 1830م في بالميرا بنيويورك، ثُمَّ أُعيدَ نَشرُهُ وتُرجِمَ عَلى نِطاقٍ واسِعٍ. ويَرى المورمونِيُّونَ أَنَّهُ كِتابٌ أُنزِلَ عَلى مُؤَسِّسِ دِيانَتِهِم جوزيف سمِث وأُوحِيَ بِهِ إليهِ. ويَحكي كِتابُ المورمون المُقَدَّسُ تاريخَ مَجموعَةٍ مِن العِبرانِيِّينَ الذينَ هاجَروا مِن أورشليمَ إلى أمريكا في نَحوِ عامِ 600 قَبلَ الميلادِ، وكانَ يَقودُهُم نَبِيٌّ يُدعى ليهي. وحينَ ظَهَرَ يَسوعُ المسيحُ عَلَّمَ التَّاريخَ والعَقيدَةَ اللَّذَيْنِ اختَصَرَهُما النَّبِيُّ مورمون وكتَبَهُما عَلى أَلواحٍ ذَهَبِيَّةٍ. وأَضافَ إليهِما ابنُهُ موروني بَعضَ الإضافاتِ ودَفَنَ الأَلواحَ في الأرضِ حَيثُ بَقِيَتْ نَحوَ 1400 عامٍ إلى أن سَلَّمَها موروني، وهوَ كائِنٌ قامَ مِن الموتِ أَو مَلَكٌ، إلى جوزيف سمِث الذي أَعادَها لاحِقًا إلى موروني. [المُتَرجِم]

8. أتى يَسوعُ بِمُعجِزَةٍ في مَدينَةِ قانا بِتَحويلِهِ الماءَ إلى خَمرٍ*.

فَلْنَفترِضْ أَنَّ مِن المُقرَّرِ أَنّا نَملِكُ دَليلًا دامِغًا على أَنَّ الماءَ لا يَتَحَوَّلُ فَجأَةً إلى خَمرٍ، وليسَ مَرَدُّ ذلكَ إلى المُلاحَظَةِ فحَسْبُ بَل مَرَدُّهُ كذلكَ إلى اختِلافِ التَّكوينِ الجُزَيئيِّ لِلسّائلَيْنِ. وقَد يَرُدُّ المُتَكَلِّمُ بِادِّعاءِ أَنَّ مِن غَيرِ المُلائمِ التَّشكيكَ في قِصَصِ الكِتابِ المُقَدَّسِ لأنَّ ذلكَ يُظهِرُ خَلَلًا في الإيمانِ. أو قَد يَقولُ المُتَكَلِّمُ إنَّ حَقيقَةَ كَونِ المَوضوعِ أمرًا دينِيًّا لا أمرًا عِلمِيًّا تَكشِفُ عَن السَّبَبِ الذي لا يَنبَغي مِن أجلِهِ تَوَقُّعُ تَقديمِ دَليلٍ إضافِيٍّ. فهذانِ الرَّدّانِ، وهُما لَيسا بِإجابَتَيْنِ غَيرِ شائعَتَيْنِ عن التَّحَدِّياتِ التي تُواجِهُ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةَ، يَرفُضانِ كِلاهُما رَفضًا فَعّالًا مُتَطَلَّباتِ مِعيارِ التَّراجُعِ؛ أي إنَّ الأَسبابَ الوَجيهَةَ لِرَفضِ صِدقِ ما يُقالُ تُقَدِّمُ سَبَبًا لِلتَّراجُعِ عن الدَّعوَى. لِذلكَ أعتَقِدُ، على العُمومِ، أَنَّ كِلا مِعيارَي التَّراجُعِ والتَّسويغِ غَيرُ فَعّالَيْنِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ.

ويَجدُرُ هُنا ذِكرُ نُقطَتَيْنِ تَوضيحِيَّتَيْنِ. أمّا إحداهُما فهيَ أَنَّ دَعوَى كَونِ مِعيارَي التَّراجُعِ والتَّسويغِ غَيرَ فَعّالَيْنِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ لا يَنبَغي حَملُها على أَنَّ لَها أيَّةَ لَوازِمَ مَعرِفِيَّةٍ أوسَعَ. فهيَ تَختَلِفُ عن الآتي ولا تَستَلزِمُهُ: (أ) أَنَّ الأَدِلَّةَ والحُجَجَ لا صِلَةَ لَها بِالاعتِقادِ الدِّينِيِّ، و(ب) أَنَّ حِيازَةَ المَرءِ تَسويغاتٍ لاعتِقاداتِهِ الدِّينِيَّةِ غَيرُ مَرغوبٍ فيها، و(ج) أَنَّ قَليلًا مِن المُؤمِنينَ لَهُم تَحتَ تَصَرُّفِهِم تفسيراتٌ تَعضُدُ اعتِقاداتِهِم وأن ليسَ ثَمَّةَ إلّا قَليلٌ مِن الحُجَجِ مُتاحٌ لَهُم إذا ما تُحُدُّوا، و(د) أَنَّ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةَ على العُمومِ غَيرُ مُسَوَّغَةٍ. فالذي أذهَبُ إليهِ هُنا بَدَلًا مِن ذلكَ إنَّما يتعلَّقُ بِمَعاييرِ المُمارَسَةِ اللُّغَوِيَّةِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ ولا سِيَّما المَعاييرُ التي تَمنَحُ إنشاءَ الدَّعوَى الدِّينِيِّ شَكلَهُ: وبِذلكَ لا يَكونُ مُنشِئُ الدَّعوَى الدِّينِيَّةِ مُلزَمًا أن تَكونَ لَدَيهِ تَفسيراتٌ مُؤَيِّدَةٌ تَحتَ تَصَرُّفِهِ أو أن يَتَراجَعَ عن دَعواهُ عندَ مُواجَهَةِ حُجَجٍ مُضادَّةٍ لا يَستَطيعُ دَحضَها. فهذا مُنسَجِمٌ تَمامًا مع

* يُنظَر: يوحنّا 2: 1-9. [المُتَرجِم]

النِّقاطِ المَذكورَةِ آنِفًا مِن (أ) إلى (د). فَلْنَتَناوَلْها على التَّوالي: (أ) فقد يُخبرُ امرُؤٌ مَا بِحُجَّةِ التَّصميمِ، فيَجِدُها مَعقولَةً، فيَتَبَنّى تَبَعًا لِذلكَ إيمانًا دينيًّا؛ أو قَد يُطالِعُ امرُؤٌ مَا الحُجَجَ التَّشكيكِيَّةَ لِماكي في كِتابِهِ مُعجِزَةُ التَّأليه *The Miracle of Theism* فتُساوِرُهُ شُكوكٌ بِشأنِ اعتِقاداتِهِ الدِّينِيَّةِ أو يَفقِدُ الإيمانَ كُلِّيًّا. على أنَّ هذا لا يُخبِرُنا بِشَيْءٍ البَتَّةَ عَن مَعاييرِ إنشاءِ الدَّعوَى الدِّينِيِّ. (ب) وقَد يُستَحسَنُ أن يَكونَ المُؤمِنونَ قادِرِينَ [198] على الاستِجابَةِ لِلتَّحَدِّياتِ وأن تَكونَ لَدَيهِم حُجَجٌ تُؤَيِّدُ اعتِقاداتِهِم الدِّينِيَّةَ وأن يَتَوَفَّروا على مَنظورٍ لِلرَّدِّ عَلى المُشَكِّكِينَ وإقناعِ الآخَرِينَ. على أنَّ هذهِ مَسألَةٌ مُنفَصِلَةٌ عن المَعاييرِ الفَعّالَةِ حَقًّا في الخِطابِ الدِّينِيِّ. (ج) وقَد يَكونُ الكَثيرُ مِن المُؤمِنِينَ قادِرِينَ، حَقًّا، على الاستِجابَةِ لِلتَّحَدِّياتِ التي تُواجِهُ دَعاواهُم الدِّينِيَّةَ (وهوَ ما يَذهَبُ إليهِ رِتشارد سونبيرن، على سبيلِ المِثالِ)؛ ومعَ ذلكَ، حينَ يُنشِئُ المُتَكَلِّمُ مِنهُم دَعوَى دينِيَّةً لا يَأخُذُ على عاتِقِهِ مَسؤولِيَّةَ التِزامِ استِجابَةٍ كهذهِ ولَو كانَ قادِرًا على فِعلِ ذلكَ. (د) وإنَّ الالتِزاماتِ المُتَعَهَّدَ بِها عندَ إنشاءِ الدَّعوَى الدِّينِيَّةِ مُنفَصِلَةٌ عن مَدَى كَونِ المُتَكَلِّمِ عالِمًا بِأنَّ ما يَدَّعيهِ صادِقٌ أو مَدَى اقتِضاءِ مَعرِفَةِ قَضِيَّةٍ مَا التَّسويغَ بِالدَّليلِ، وهوَ ما يَذهَبُ إليهِ الدَّليلِيُّونَ evidentialists*. فما لَدَينا هُنا إذَن مُختَلِفٌ أيضًا عن الحُجَّةِ المُضادَّةِ لِدَليلِيَّةِ بلانتِنغا (2000) وغيرِهِ مِن الإبستمولوجِيِّينَ المُصلِحِينَ reformed epistemologists** التي مُفادُها أنَّ الاعتِقادَ الدِّينِيَّ قَد يَكونُ 'أَساسِيًّا بِحَقٍّ' أو

---

* نِسبَةً إلى الدَّليلِيَّةِ evidentialism، وهيَ أُطروحَةٌ في نَظَرِيَّةِ المَعرِفَةِ تُفيدُ أنَّ المَرءَ لا يَسوغُ لَهُ اعتِقادُ أمرٍ مَا إلّا إذا كانَ لَدَيهِ دَليلٌ يُؤَيِّدُ اعتِقادَهُ. [المُتَرجِم]

** نِسبَةً إلى الإبستمولوجيا المُصلَحَةِ Reformed epistemology، وهيَ مَدرَسَةٌ فِكرِيَّةٌ فَلسَفِيَّةٌ في فَلسَفَةِ الدِّينِ تتعلَّقُ بِطَبيعَةِ المَعرِفَةِ (الإبستمولوجيا) حينَ تُطَبَّقُ عَلى الاعتِقاداتِ الدِّينِيَّةِ. والافتِراضُ المَركَزِيُّ لِلإبستمولوجيا المُصلَحَةِ هوَ أنَّ الاعتِقاداتِ يُمكِنُ تَسويغُها بِغَيرِ الدَّليلِ وَحدَهُ، خِلافًا لِما تَفتَرِضُهُ الدَّليلِيَّةُ التي تُفيدُ أنَّهُ إذا كانَ الاعتِقادُ الذي لَيسَ مَصدَرُهُ الدَّليلَ مُجدِيًا فإنَّهُ يَنتَهِكُ مَبدَأً إبستيمِيًّا. والافتِراضُ المركَزِيُّ في الإبستمولوجيا المُصلَحَةِ هوَ أنَّ الإيمانَ باللهِ قَد يَكونُ 'أَساسِيًّا بِحَقٍّ' ولا يَحتاجُ إلى أن يُستَدَلَّ عَلَيهِ مِن طَريقِ حَقائقَ أُخرى لِيَكونَ مُسَوَّغًا تَسويغًا عَقلانِيًّا. [المُتَرجِم]

مُسَوَّغًا مِن غَيرِ أن يَكونَ مُستَنِدًا إلى دَليلٍ. فالمَعاييرُ التي تَكونُ الاعتِقاداتُ بِمُوجِبِها مُسَوَّغَةً شَيْءٌ، ومَعاييرُ إنشاءِ الدَّعوَى الدِّينِيِّ شَيْءٌ آخَرُ.

وأمّا النُّقطَةُ التَّوضيحِيَّةُ الأُخرَى فهيَ أنَّهُ إن لَم تَكُنِ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةُ مُلَبِّيَةً لِشُروطِ مَعاييرِ التَّقريرِ، فإنَّها عادَةً ما تَكونُ تَعبيراتٍ عن اعتِقادٍ. وقَد رَأَيْنا أنَّ حَقيقَةَ كَونِ الفِعلِ الكَلامِيِّ مُعَبِّرًا عن اعتِقادٍ لَها صِلَةٌ بِحقيقَةِ كَونِهِ تَقريرًا؛ على أنَّ هذا لا يستَتبِعُ عَدَمَ كَونِ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ تَعبيراتٍ عن اعتِقادٍ على نَحوٍ مُمَيِّزٍ. فعَلَى الرَّغمِ مِن أنَّ إنشاءَ الدَّعوَى الدِّينِيَّةِ لا يُلزِمُ المُتَكَلِّمينَ بِها التَّراجُعَ عنها عندَ مُواجَهَةِ دَليلٍ مُضادٍّ مُفحِمٍ أو تَسويغَها عندَ التَّحَدِّي، يُتَوَقَّعُ مِن المُتَكَلِّمينَ في السِّياقاتِ الاعتِيادِيَّةِ أن يُخبِروا بِالصِّدقِ على النَّحوِ الذي يَفهَمونَهُ بِهِ. فحينَ يُنشِئُ المُتَكَلِّمونَ الدَّعوَى الدِّينِيَّةَ لا يَأخُذونَ على عَواتِقِهِم مَسؤولِيَّةَ التِزاماتِ التَّراجُعِ والتَّسويغِ الضَّرورِيَّةِ لِلتَّقريرِ بَل يُقَدِّمونَ على نَحوٍ نَمَطِيٍّ قَضِيَّةً تُحمَلُ على أنَّها صادِقَةٌ. فإنشاءُ الدَّعوَى الدِّينِيِّ يُعَبِّرُ تَعبيرًا نَمَطِيًّا عن اعتِقاداتِ المُتَكَلِّمِ ويُمَثِّلُ العالَمَ بِوَصفِهِ طَريقَةً مُعَيَّنَةً. لِذلكَ، يُوجَدُ الكَثيرُ مِمّا يُشارِكُ فيهِ الادِّعاءُ الدِّينِيُّ التَّقريرَ، لكِنَّ ما يتضَمَّنُهُ مِن مُتَطَلَّباتٍ مِعيارِيَّةٍ أقَلُّ مِمّا يتضَمَّنُهُ التَّقريرُ، وهوَ فِعلٌ كَلامِيٌّ مُختَلِفٌ.

ويُمكِنُ النَّظَرُ إلى المُحاجَّةِ التي تتعلَّقُ بِالدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ والتي قُدِّمَتْ في هذا القِسمِ على أنَّها تَنجَحُ سَريعًا في تَقديمِ شَكلٍ مِن أشكالِ التَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقِيَّةِ الدِّينِيَّةِ. إذ يَذهَبُ التَّخَيُّلِيُّونَ إلى أنَّ دَعاوَى الخِطابِ المُعطى غَيرُ مُقَرَّرَةٍ تَقريرًا أصيلًا (فقد تكونُ مُقَرَّرَةً شِبهَ تَقريرٍ). فما دامَتِ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةُ تَفتَقِرُ إلى شُروطِ التَّقريرِ المِعيارِيَّةِ وهيَ مِن ثَمَّ لَيسَتْ مُقَرَّرَةً تَقريرًا أصيلًا، فالذي يَلزَمُ مِن ذلكَ أنّا تَخَيُّلِيُّونَ دينِيُّونَ. على أنَّ التَّخَيُّلِيِّينَ عادَةً ما يَذهَبونَ أيضًا إلى أنَّ أشباهَ التَّقريراتِ لا تُعَبِّرُ عن إيمانٍ بِالقَضِيَّةِ المُقَرَّرَةِ شِبهَ تَقريرٍ. وبِالضِّدِّ مِن ذلكَ، لا تَأتي التَّخَيُّلِيَّةُ المُتَواضِعَةُ بِنَتائِجَ مُثيرَةٍ لِلاستِغرابِ بِشَأنِ [199] العَلاقَةِ بينَ دَعاوَى المُؤمِنينَ واعتِقاداتِهِم. لِذلكَ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ هذا نَصرٌ تِقنِيٌّ خالِصٌ

لِلتَّخَيُّلِيَّةِ؛ على أنَّ مِن مَواطِنِ الإثارَةِ الفَلسَفِيَّةِ أن يُمكِنَ الدِّفاعُ عن مَذهَبٍ حَكَمَتِ البَداهَةُ بِصُعوبَةِ تَبَنِّيهِ بادِيَ الرَّأيِ.

خاتِمَة

قَد رَأَينا أنَّ التَّخَيُّلِيَّةَ الهِرمِنيوطيقيَّةَ المُتعلِّقَةَ بِالدِّينِ لا يُمكِنُ الدِّفاعُ عنها في مُعظَمِ أشكالِها: فهيَ تَعتَمِدُ في بَعضِ الحالاتِ على أُطروحَةٍ لِلكَلامِ اللاحَرفِيِّ لَم تُطَوَّرْ تَطويرًا كافِيًا أو لَدَيها دَليلٌ غَيرُ مُرْضٍ يُؤَيِّدُها، أو لَها تَأثيراتٌ تَعديلِيَّةٌ كَبيرَةٌ في الخِطابِ الدِّينِيِّ. بيدَ أنّا قَد تَوَصَّلْنا إلى الاستِنتاجِ المُثيرِ لِلاستِغرابِ الذي مُفادُهُ أنَّ التَّخَيُّلِيَّةَ المُتَواضِعَةَ نَظريَّةٌ مَقبولَةٌ للخِطابِ الدِّينِيِّ. على أنَّها لَيسَتْ ذلكَ النَّوعَ مِن التَّخَيُّلِيَّةِ الذي يُقلِقُ واقِعِيِّي القيمَةِ الظّاهريَّةِ؛ كما أنَّها لَيسَتْ ذلكَ النَّوعَ مِنها الذي يُحتَمَلُ أن يُرضِيَ مُؤَيِّدِي الأشكالِ الأُخرَى لِلتَّخَيُّلِيَّةِ الهِرمِنيوطيقيَّةِ. وسببُ ذلكَ، على ما قَد رَأينا، أنَّ التَّخَيُّلِيَّةَ المُتَواضِعَةَ مُنسَجِمَةٌ معَ الدَّعاوَى الدِّينِيَّةِ التي لَها مَضمونٌ قَضَوِيٌّ ومعَ كَونِ المُتَكَلِّمِينَ يَعتَقِدونَ ما يَقولونَهُ. فَنَجاحُ التَّخَيُّلِيَّةِ المُتَواضِعَةِ مَرَدُّهُ إلى احتِكامِها إلى الدَّليلِ اللُّغَوِيِّ وعَدَمِ مُخالَفَتِها بَداهَتِنا المَركَزِيَّةَ بِشَأنِ مَضمونِ الدَّعاوَى المُستَخدَمَةِ في الخِطابِ الدِّينِيِّ. [200]

مُلحَقٌ يَشتَمِلُ عَلى المُصطَلَحاتِ المِفتاحِيَّةِ لِمَوضوعِ 'اللُغة الدِّينِيَّة'*

Anology القِياسُ التَّمثيلِيّ: مُقارَنَةٌ تُحاوِلُ إظهارَ كَيفِيَّةِ تَشابُهِ شَيئَيْنِ أو أكثَرَ.

Blik البلِك: كلِمَةٌ ابتَكَرَها ر.م. هَير R. M. Hare لِتَعنِيَ طَريقَةً لِلنَّظَرِ إلى العالَمِ.

Empiricism التَّجريبِيَّة: حَرَكَةٌ فَلسَفِيَّةٌ كَبيرَةٌ تَذهَبُ إلى وُجوبِ استِنادِ المَعرِفَةِ إلى الخِبرَةِ.

Eschatological verification التَّحقيقُ الأُخرَوِيّ: نَظَرِيَّةٌ مُفادُها أنَّ بَعضَ الأفكارِ الدِّينيَّةِ قابِلَةٌ لِلتَّحقيقِ بَعدَ المَوتِ (أو عِندَ نِهايَةِ الزَّمانِ).

Falsification principle مَبدَأُ التَّكذيب: نَظَرِيَّةٌ مُفادُها أنَّ الجُمَلَ لا يَكونُ لَها مَعنًى إلّا إذا عارَضَها دَليلٌ.

---

* هذا المُلحَقُ، عَلى وَجازَتِهِ، لَم أجِدْ سِواهُ في كُلِّ ما اطَّلَعْتُ عَلَيهِ مِن مُصَنَّفاتِ اللُّغَةِ الدِّينِيَّةِ، فلِذلكَ قَرَّرْتُ تَرجَمَتَهُ وإلحاقَهُ بِتَرجَمَةِ هذا الكِتابِ زِيادَةً لِلفائدَةِ. وقَد وَرَدَ في الصَّفحَةِ الثانِيَةِ والثَّلاثِينَ مِن كِتابِ فَلسَفَةُ الدِّينِ: اللُّغَةُ الدِّينِيَّة **Philosophy of Religion: Religious Language**، الذي ألَّفَهُ بيتر كول وجون لي Peter Cole and John Lee: Abacus Educational Services, West Sussex, 1994.

Language game **اللُعبَةُ اللُغَويَّة**: مُصطَلَحٌ استَعمَلَهُ فِتغِنشتاين Wittgenstein لِلإحالَةِ عَلى أيِّ سِياقٍ مَخصوصٍ تُستَعمَلُ فيهِ اللُغَةُ.

Logical positivism **الوَضعيَّةُ المنطقِيَّة**: حَرَكَةٌ فَلسَفِيَّةٌ في القَرنِ العِشرينَ انتَقَدَتِ الميتافيزيقا وتَبَنَّتْ مَبدَأ التَّحقيقِ.

Model **الأُنموذَج**: شَيءٌ مّا يُمَثِّلُ شَيئًا آخَرَ ويُعينُنا عَلى فَهمِ الأَصلِ.

Myth **الأُسطورَة**: قِصَّةٌ رَمزِيَّةٌ تُحاوِلُ تَفسيرَ مَسأَلَةٍ أساسيَّةٍ تتعلَّقُ بِغَرَضِ الوُجودِ.

Negation **السَّلب**: نَفيُ شَيءٍ مّا.

Performative language **اللُغَةُ الأدائيَّة**: مُصطَلَحٌ يُستَعمَلُ لِلإحالَةِ عَلى اللُغَةِ التي تُؤَدّي وَظيفَةً (ولا تَصِفُ).

Reductionism **الرَّدِّيَّة**: اعتِقادُ أنَّ الأفكارَ الدِّينيَّةَ يَنبَغي إعادَةُ تأويلِها بِحَيثُ تكونُ مُتَعَلِّقَةً بِالسّايكولوجيا لا الميتافيزيقا.

Sign **العَلامَة**: طَريقَةٌ لِتَمثيلِ شَيءٍ آخَرَ.

Symbol **الرَّمز**: شَيءٌ مّا يُمَثِّلُ شَيئًا آخَرَ ويَستَثيرُ بَصيرَةً جَديدَةً.

Verification principle **مَبدَأُ التَّحقيق**: نَظَريَّةٌ مُفادُها أنَّ الجُمَلَ لا يَكونُ لَها مَعنًى إلّا إذا أمكَنَ تَمحيصُها بِالحَواسّ.

قائمةُ المَصادِرِ والمَراجِع

Adams, R. M., 2002. *Finite and Infinite Goods*. New York: Oxford University Press.
Alston, W., 1989. *Divine Nature and Human Language*. Ithaca, NY: Cornell University Press.
Alston, W., 1991 *Perceiving God: The Epistemology of Religious Experience*. Ithaca, NY: Cornell University Press.
Alston, W., 1995. Realism and the Christian Faith. *International Journal for the Philosophy of Religion* 38 (1/3), pp. 37–60.
Alston, W., 1996. *A Realist Conception of Truth*. Ithaca, NY: Cornell University Press.
Alston, W., 2000. *Illocutionary Acts and Sentence Meaning*. Ithaca, NY: Cornell University Press.
Alston, W., 2005. Religious Language. In W. Wainwright, ed., *The Oxford Handbook of Philosophy of Religion*. Oxford: Oxford University Press, pp. 220–44.
Anonymous, 2001. *The Cloud of Unknowing*. Translated by A. C. Spearing. Harmondsworth: Penguin.
Aquinas, T., 1999. *On Faith and Reason*. Edited by S. F. Brown. Indianapolis: Hackett.
Ashworth, E. J., 1981. Do Words Signify Ideas or Things? The Scholastic Sources of Locke's Theory of Language. *Journal of the History of Philosophy* 19 (3), pp. 299–326.
Augustine, 1913. *The City of God*, vol. 1. Translated by M. Dods. Edinburgh: T. & T. Clark.
Austin, J. L., 1970. *Philosophical Papers*. 2nd edn. Edited by J. O. Urmson and G. J. Warnock. Oxford: Oxford University Press.
Austin, J. L., 1975. *How to Do Things with Words*. 2nd edn. Edited by J. O. Urmson and M. Sbisa. Oxford: Oxford University Press.
Ayer, A. J., 1936. *Language, Truth and Logic*. London: Victor Gollancz.
Ayer, A. J., 1940. *The Foundations of Empirical Knowledge*. London: Macmillan.
Ayer, A. J., 1956. *The Problem of Knowledge*. London: Macmillan.
Ayer, A. J., 1991. An Interview with A. J. Ayer. In A. P. Griffiths, ed., *A. J. Ayer Memorial Essays*. Cambridge: Cambridge University Press.
Bach, K., 2002. Giorgione Was So-Called Because of His Name. *Philosophical Perspectives* 16, pp. 73–103.
Baldwin, T., 1990. *G. E. Moore*. London: Routledge.
Banner, M., 1990. *The Justification of Science and the Rationality of Religious Belief*. Oxford: Oxford University Press.
Barbour, I., 1974. *Myths, Models and Paradigms: The Nature of Scientific and Religious Language*. London: SCM Press.
Berkeley, G., 1949. *A Treatise concerning the Principles of Human Knowledge*. In A. Luce and T. Jessop, eds, *The Works of George Berkeley*, vol. 2. London: T. Nelson.
Berkeley, G., 1950. *Alciphron; or the Minute Philosopher*. In A. Luce and T. Jessop, eds, *The Works of George Berkeley*, vol. 3. London: T. Nelson.

Black, M., 1962. *Models and Metaphor.* New York: Cornell University Press.
Blackburn, S., 1984. *Spreading the Word.* Oxford: Oxford University Press.
Blackburn, S., 1993a. *Essays in Quasi-Realism.* Oxford: Oxford University Press.
Blackburn, S., 1993b. The Land of Lost Content. In R. G. Frey, ed., *Value, Welfare, and Morality.* Cambridge: Cambridge University Press, pp. 13–25.
Blackburn, S., 1998a. *Ruling Passions.* Oxford: Oxford University Press.
Blackburn, S., 1998b. Wittgenstein, Wright, Rorty & Minimalism. *Mind* 107 (425), pp. 157–81.
Boghossian, P., 1990. The Status of Content. *Philosophical Review* 99 (2), pp. 157–84.
Borg, E., 2001. An Expedition Abroad: Metaphor, Thought, and Reporting. *Midwest Studies in Philosophy* 25 (1), pp. 227–48.
Bower, P., 2001. *Reconciling Science and Religion.* Chicago: University of Chicago Press.
Braithwaite, R. B., 1955. *An Empiricist's View of the Nature of Religious Belief.* Cambridge: Cambridge University Press.
Brandom. R., 1994. *Making It Explicit.* Cambridge, MA: Harvard University Press.
Brink, D., 1989. *Moral Realism and the Foundation of Ethics.* Cambridge: Cambridge University Press.
Byrne, P., 2003. *God and Realism.* Aldershot: Ashgate.
Carnap, R., 1937. *The Logical Syntax of Language.* London: Kegan Paul.
Carson, T. L., 2000. *Value and the Good Life.* Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press.
Carston, R., 2002. *Thoughts and Utterances: The Pragmatics of Explicit Communication.* Oxford: Blackwell.
Chisholm, R., 1957. *Perceiving: A Philosophical Study.* Ithaca, NY: Cornell University Press.
Church, A., 1949. Review of *Language, Truth, and Logic,* 2nd edn. *Journal of Symbolic Logic* 14, pp. 52–3.
Churchland, P., 1981. Eliminative Materialism and the Propositional Attitudes. *Journal of Philosophy* 78 (2), pp. 67–90.
Clack, B., 1999. *Wittgenstein, Frazer and Religion.* Basingstoke: Palgrave.
Clement of Alexandria, 1919. *Clement of Alexandria.* Translated by G. W. Butterworth. London: Heinemann; Cambridge, MA: Harvard University Press.
Cohen, L. J., 1980. Is a Criterion of Verifiability Possible? In P. French, T. Uehling, and H. Wettstein, eds, *Minnesota Studies in Philosophy,* V. Minneapolis: University of Minnesota Press, pp. 347–52.
Copp, D., 2001. Realist-Expressivism: A Neglected Option for Moral Realism. *Social Philosophy and Policy* 18 (2), pp. 1–43.
Crimmins, M., 1992. *Talk about Beliefs.* Cambridge: MIT Press.
Crombie, I. M., 1958. The Possibility of Theological Statements. In Basil Mitchell, ed., *Faith and Logic.* London: George Allen and Unwin, pp. 31–67.
Cupitt, D., 1980. *Taking Leave of God.* London: SCM Press.
Cupitt, D., 1984. *The Sea of Faith.* London: BBC Books.
Davidson, D., 1978. What Metaphors Mean. In D. Davidson, 1984, *Inquiries into Truth and Interpretation.* Oxford: Oxford University Press, pp. 245–64.
Davidson, D., 2001a. *Essays on Actions and Events.* Oxford: Oxford University Press.

Davidson, D., 2001b. *Inquiries into Truth and Interpretation*. Oxford: Oxford University Press.

Dennett, D., 2005. *Sweet Dreams: Philosophical Obstacles to a Science of Consciousness*. Cambridge, MA: MIT Press.

Denys, 1987. *Pseudo-Dionysius: The Complete Works*. Translated by Paul Rorem. New York: Paulist Press.

Derrida, J., 1992. How to Avoid Speaking: Attestations. Translated by J. P. Leavey, Jr. In H. Coward and T. Foshay, eds, *Derrida and Negative Theology*. Albany, NY: SUNY Press.

Devitt, M., and Sterelny, K., 1999. *Language and Reality*, 2nd edn. Cambridge, MA: MIT Press.

Dewey, J., 1938. *Logic. The Theory of Inquiry*, New York: Henry Holt.

Donnellan, K., 1972. Names and Identifying Descriptions. In D. Davidson and G. Harman, eds, *Semantics of Natural Language*. Dordrecht: Reidel, pp. 356–79.

Donovan, P., 1976. *Religious Language*. London: Sheldon Press.

Dreier, J., 1990. Internalism and Speaker Relativism. *Ethics* 101 (1), pp. 6–26.

Dummett, M., 1959. Truth. *Proceedings of the Aristotelian Society* 59, pp. 141–62.

Dummett, M., 1978. *Truth and Other Enigmas*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Dummett, M., 1981. *Frege: Philosophy of Language*. London: Duckworth.

Dummett, M., 1991. *The Logical Basis of Metaphysics*. London: Duckworth.

Dummett, M., 1996. *The Seas of Language*. Oxford: Oxford University Press.

Evagrius Ponticus, 2006. On Prayer. In A. M. Casiday, ed., *Evagrius Ponticus*. Abingdon: Taylor & Francis, pp. 185–202.

Evans, G., 1973. The Causal Theory of Names. *Proceedings of the Aristotelian Society*, supp. vol. 47, pp. 187–308.

Evans, G., 1982. *The Varieties of Reference*. Oxford: Clarendon Press.

Fawcett, T., 1970. *The Symbolic Language of Religion*. London: SCM Press.

Ferré, F., 1962. *Language, Logic and God*. London: Eyre & Spottiswoode.

Feuerbach, L., 1854. *The Essence of Christianity*. Translated by G. Eliot. London: J. Chapman.

Field, H., 1980. *Science without Numbers: A Defence of Nominalism*. Oxford: Blackwell.

Flew, A., and MacIntyre, A., eds, 1955. *New Essays in Philosophical Theology*. London: SCM Press.

Fogelin, R., 1988. *Figuratively Speaking*. New Haven, CT: Yale University Press.

Frege. G., 1892. Über Sinn und Bedeutung. *Zeitschrift für Philosophie und philosophische Kritik* 100, pp. 25–50. Translated by Max Black, reprinted in M. Beaney, ed., 1997, *The Frege Reader*. Oxford: Blackwell, pp. 151–71.

Gauthier, D., 1992. Artificial Virtues and the Sensible Knave. *Hume Studies* 18 (2), pp. 401–28.

Geach, P., 1965. Assertion. *Philosophical Review* 74 (4), pp. 449–65.

Gellman, J., 1997. *Experience of God and the Rationality of Theistic Belief*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Gibbard, A., 1990. *Wise Choices, Apt Feelings*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Grice, H. P., 1989. *Studies in the Way of Words*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Guttenplan, S., 2005. *Objects of Metaphor*. Oxford: Oxford University Press.

Hale, B., and Wright, C., 1999. *A Companion to Philosophy of Language*. Oxford: Blackwell.
Hare, R. M., 1952. *The Language of Morals*. Oxford: Oxford University Press.
Hare, R. M., 1992. *Essays on Religion and Education*. Oxford: Oxford University Press.
Hempel, C., 1950. Problems and Changes in the Empiricist Criterion of Meaning. *Revue Internationale de Philosophie* 41 (11), pp. 41–63.
Hick, J., ed., 1977. *The Myth of God Incarnate*. London: SCM Press.
Holland, R. F., 1989. The Miraculous. In R. Swinburne, ed., *Miracles*. London: Macmillan.
Horgan, T., and Timmons, M., 1992. Troubles for New Wave Moral Semantics: The 'Open Question Argument' Revisited. *Philosophical Papers* 21 (3), pp. 153–75.
Horwich, P., 1998. *Truth*, 2nd edn. Oxford: Oxford University Press.
Humberstone, I. L., 1996. Intrinsic/Extrinsic. *Synthese* 108 (2), pp. 205–67.
Hume, D., 1975. *Enquiry concerning Human Understanding and concerning the Principles of Morals*, 3rd edn. Edited by L. A. Selby-Bigge and P. H. Nidditch. Oxford: Clarendon Press.
Hume, D., 1978. *A Treatise of Human Nature*, 2nd edn. Edited by L. A. Selby-Bigge and P. H. Nidditch. Oxford: Clarendon Press.
Huxley, J., 1927. *Religion without Revelation*. London: E. Benn.
Huxley, J., 1931. *What Dare I Think?: The Challenge of Modern Science to Human Action & Belief*. London: Chatto & Windus.
Insole, C., 2006. *The Realist Hope*. Aldershot: Ashgate.
Jackson, F., 1998. *From Metaphysics to Ethics: A Defence of Conceptual Analysis*. Oxford: Clarendon Press.
Johnston, M., 2011. *Saving God: Religion after Idolatry*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
Jüngel, E., 1974. Metaphorische Wahrheit. In P. Ricoeur and E. Jüngel, eds, *Metaphor: Zur Hermeneutik Religiöser Sprache*. Munich: Chr. Kaiser Verlag, pp. 71–122.
Kaplan, D., 1973. Bob and Carol and Ted and Alice. In J. Hintikka, J. Moravcsik, and P. Suppes eds, *Approaches to Natural Language*. Dordrecht: Reidel, pp. 490–518.
Kaplan, D., 1989. Demonstratives/Afterthoughts. In J. Almog, J. Perry, and H. Wettstein, eds, *Themes from Kaplan*. Oxford: Oxford University Press, pp. 481–614.
Katz, J., 1994. Names without Bearers. *Philosophical Review* 103 (1), pp. 1–39.
Kauffman, S., 2008. *Reinventing the Sacred: A New View of Science, Reason, and Religion*. New York: Basic Books.
Kaufman, G., 1981. *The Theological Imagination: Constructing the Concept of God*. Philadelphia: Westminster Press.
Kaufman, G., 1993. *In Face of Mystery*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
Kaufman, G., 2007. Mystery, God and Constructivism. In A. Moore and M. Scott, eds, *Realism and Religion*. Aldershot: Ashgate, pp. 11–30.
Kenney, A., 2005. *The Unknown God: Agnostic Essays*. London: Continuum.
Kenyon, T., 1999. Truth, Knowability, and Neutrality. *Noûs* 33 (1), pp. 103–17.
Kölbel, M., 2011. Conversational Score, Assertion, and Testimony. In J. Brown and H. Cappelen, eds, *Assertion: New Philosophical Essays*. Oxford: Oxford University Press, pp. 49–78.

Korsgaard, C., 1986. Skepticism about Practical Reason. *Journal of Philosophy* 83 (1), pp. 5–25.
Kotatko, P., 1998. Two Notions of Utterance Meaning. *Proceedings of the Aristotleian Society* 98, pp. 225–39.
Kretzmann, N., 1968. The Main Thesis of Locke's Semantic Theory. *Philosophical Review* 77 (2), pp. 175–96.
Kripke, S., 1977. Identity and Necessity. In S. Schwartz, ed., *Naming, Necessity, and Natural Kinds*. Ithaca, NY: Cornell University Press, pp. 66–101.
Kripke, S., 1980. *Naming and Necessity*. Cambridge, MA.: Harvard University Press.
Kuhn, T., 1962. *The Structure of Scientific Revolutions*. Chicago: University of Chicago Press.
Lactantius, 1871. *Ante-Nicene Christian Library*, vol. XXII: *The Works of Lactantius*, vol. II. Edited by A. Roberts and J. Donaldson. Edinburgh: T. & T. Clark.
Lenman, J., 1999. The Externalist and the Amoralist. *Philosophia* 27 (3–4), pp. 441–57.
LePoidevin, R., 1996. *Arguing for Atheism*. London: Routledge.
Lewis, D., 1983. Extrinsic Properties. *Philosophical Studies* 44 (2), pp. 197–200.
Lewis, D., 1988. Statements Partly about Observation. *Philosophical Papers* 17 (1), pp. 1–31.
Lipton, P., 2007. Science and Religion: The Immersion Solution. In A. Moore and M. Scott, eds, *Realism and Religion*. Aldershot: Ashgate, pp. 31–46.
Locke, J., 1975. *An Essay concerning Human Understanding*. Edited by P. Nidditch. Oxford: Clarendon Press.
Logue, J. 1995. *Projective Probability*. Oxford: Oxford University Press.
Lowe, E. J., 1995. *Locke on Human Understanding*. London: Routledge.
MacFarlane, J., 2005. Making Sense of Relative Truth. *Proceedings of the Aristotelian Society* 105 (3), pp. 321–39.
MacFarlane, J., 2011. What Is Assertion?. In J. Brown and H. Cappelen, eds, *Assertion: New Philosophical Essays*. Oxford: Oxford University Press, pp. 79–96.
Mach, E., 1959. *The Analysis of Sensations*. New York: Dover.
Mackie, J., 1976. *Problems from Locke*. Oxford: Oxford University Press.
Mackie, J. L., 1982. *The Miracle of Theism*. Oxford: Oxford University Press.
Mackie, J., 1997. *Ethics: Inventing Right and Wrong*. New York: Penguin.
Macquarrie, J., 1967. *God-talk: An Examination of the Language and Logic of Theology*. London: SCM Press.
Malcolm, N., 1954. Wittgenstein's *Philosophical Investigations*. *Philosophical Review* 63 (4), pp. 530–59.
Malcolm, N., 1997. *Wittgenstein: A Religious Point of View?* London: Routledge.
Marion, J., 1994. Metaphysics and Phenomenology: A Relief for Theology. *Critical Inquiry* 20 (4), pp. 572–91.
Marion, J., 1995. *God without Being*. Translated by T. Carlson. Chicago: Chicago University Press.
Mason, R., 2007. *Spinoza: Logic, Knowledge and Religion*. Aldershot: Ashgate.
Mavrodes, G., 2005. Miracles. In W. Wainwright, ed., *The Oxford Handbook of Philosophy of Religion*. Oxford: Oxford University Press, pp. 304–22.
McCutcheon, F., 2001. *Religion within the Limits of Language Alone*. Aldershot: Ashgate.
McDowell, J., 1977. On the Sense and Reference of a Proper Name. *Mind* 86 (342), pp. 159–85.

McDowell, J., 1978. Are Moral Requirements Hypothetical Imperatives? *Mind, Value & Reality*. 1998. Cambridge, MA: Harvard University Press, pp. 77–94.

McFague, S., 1983. *Metaphorical Theology: Models of God in Religious Language*. London: SCM Press.

McKim, R., 2001. *Religious Ambiguity and Religious Diversity*. New York: Oxford University Press.

Meland, B., 1976. *Fallible Forms and Symbols: Discourses on Method in a Theology of Culture*. Philadelphia: Fortress Press.

Mill, J. S., 1974. *The Collected Works of John Stuart Mill*, Volume VII – *A System of Logic Ratiocinative and Inductive, Being a Connected View of the Principles of Evidence and the Methods of Scientific Investigation*. Books I–III. Edited by J. M. Robson. Toronto: University of Toronto Press, and London: Routledge and Kegan Paul.

Mill, J. S., 1979. *The Collected Works of John Stuart Mill*, Volume IX – *An Examination of Sir William Hamilton's Philosophy*. Toronto: University of Toronto Press, and London: Routledge and Kegan Paul.

Miller, A., 2007. *Philosophy of Language*, 2nd edn. London: Routledge.

Nielsen, K., 2000. Wittgenstein and Wittgensteinians on Religion. In R. Arrington and M. Addis, eds, *Wittgenstein and Philosophy of Religion*. London: Routledge, pp. 137–66.

Oddie, G., 2009. Experience of Value. In C. R. Pigden, ed., *Hume on Motivation and Virtue*. Palgrave Macmillan, pp. 121–41.

O' Leary-Hawthorne, J., and Howard-Snyder, D., 1996. Are Beliefs about God Theoretical Beliefs? Reflections on Aquinas and Kant. *Religious Studies* 32 (2), pp. 233–58.

Pagin, P., 2004. Is Assertion Social? *Journal of Pragmatics* 36, pp. 833–59.

Pedersen, N., and Wright, C., eds, 2013. *Truth and Pluralism: Current Debates*. New York: Oxford University Press.

Peirce, C., 1934. Belief and Judgment. In C. Hartshorne and P. Weiss, eds, *Collected Papers*, vol. V. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Phillips, D. Z., 1976. *Religion without Explanation*. Oxford: Blackwell.

Phillips, D. Z., 1993. *Wittgenstein and Religion*. London: Macmillan.

Phillips, D. Z., 1995a. *Faith after Foundationalism*. Boulder, CO: Westview Press.

Phillips, D. Z., 1995b. Philosophers' Clothes. In C. M. Lewis, ed., *Relativism and Religion*. London: Macmillan.

Place, U. T., 1956. Is Consciousness a Brain Process? In G. Graham and E. Valentine, eds, *Identifying the Mind: Selected Papers of U. T. Place*. New York: Oxford University Press 2004, ch. 3.

Plantinga, A., 2000. *Warranted Christian Belief*. New York: Oxford University Press.

Putnam, H., 1981. *Reason, Truth and History*. Cambridge: Cambridge University Press.

Putnam, H., 1992. *Renewing Philosophy*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Putnam, H., 1997a. Thoughts Addressed to an Analytical Thomist. *The Monist* 80 (4), pp. 487–99.

Putnam, H., 1997b. God and the Philosophers. In P. French, ed., *Midwest Studies in Philosophy*, XXI: *Philosophy of Religion*. Notre Dame, IN: Notre Dame Press.

Railton, P., 1986. Moral Realism. *Philosophical Review* 95 (2), pp. 163–207.

Ramsey, I., 1957. *Religious Language: An Empirical Placing of Theological Phrases*. London: SCM Press.

Recanati, F., 2001 Literal/Non-literal. *Midwest Studies in Philosophy* 25 (1), pp. 264–74.

Recanati, F., 2004. *Literal Meaning*. Cambridge: Cambridge University Press.

Recanati, F., 2007. Reply to Romero and Soria. In M. Frápolli, ed., *Saying, Meaning and Referring*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Rey, G., 2006. Does Anyone Really Believe in God? In D. Kolak and R. Martin, eds, *The Experience of Philosophy*. New York: Oxford University Press, pp. 336–53.

Ridge, M., 2006. Sincerity and Expressivism. *Philosophical Studies* 131 (2), pp. 487–510.

Ridge, M., 2007. Ecumenical Expressivism: The Best of Both Worlds? In R. Shafer-Landau, ed., *Oxford Studies in Metaethics*, vol. 2. Oxford: Oxford University Press, pp. 51–76.

Rosen, G., 1998. Blackburn's Essays in Quasi-Realism. *Noûs* 32 (3), pp. 386–405.

Russell, B., 1905. On Denoting. In R. C. Marsh, ed., 1956. *Logic and Knowledge*. London: Macmillan.

Russell, B., 1917. Knowledge by Acquaintance and Knowledge by Description. In *Mysticism and Logic*, 1957. Garden City, NY: Doubleday.

Ryle, G., 1949. *The Concept of Mind*. London: Hutchinson.

Salmon, N., 1986. *Frege's Puzzle*. Cambridge, MA: MIT Press.

Sarot, M., 1992. *God, Passibility and Corporeality*. The Hague: Kok Pharos.

Savage, C., 1967. The Paradox of the Stone. *Philosophical Review* 76 (1), pp. 74–9.

Schleiermacher, F., 1928. *The Christian Faith*. Translated by H. R. Mackintosh and J. S. Stewart. Edinburgh: T. & T. Clark.

Schneider, B., 2010. Expressivism concerning Epistemic Modals. *Philosophical Quarterly* 60 (240), pp. 601–15.

Schroeder, M., 2008. *Being For*. Oxford: Oxford University Press.

Searle, J., 1958. Proper Names. *Mind* 67 (266), pp. 166–73.

Searle, J., 1969. *Speech Acts*. Cambridge: Cambridge University Press.

Searle, J., 1979. *Expression and Meaning*. Cambridge: Cambridge University Press.

Searle, J., 1993. Metaphor. In A. Ortony, ed., *Metaphor and Thought*. Cambridge: Cambridge University Press.

Sextus Empiricus, 1985. *Sextus Empiricus: Selections from the Major Writings on Skepticism, Man, & God*. Edited by R. G. Bury. Indianapolis: Hackett.

Shafer-Landau, R., 2003. *Moral Realism: A Defence*. Oxford: Oxford University Press.

Smith, James K. A., 2002. *Speech and Theology*. London: Routledge.

Smith, M., 1994. *The Moral Problem*. Oxford: Blackwell.

Soames, S., 2002. *Beyond Rigidity*. New York: Oxford University Press.

Soames, S., 2005. *Philosophical Analysis in the Twentieth Century*, vol. 1, *The Dawn of Analysis*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Sosa, D., 2001. Rigidity in the Scope of Russell's Theory. *Noûs* 35 (1), pp. 1–38.

Soskice, J. M., 1985. *Metaphor and Religious Language*. Oxford: Clarendon Press.

Sperber, D., and Wilson, D., 1986a. *Relevance: Communication and Cognition*. Oxford: Blackwell.

Sperber, D., and Wilson, D., 1986b. Loose Talk. *Proceedings of the Aristotelian Society* 86, pp. 153–71.

Spinoza, B., 2002. Theological-Political Treatise. Translated by S. Shirley, in M. L. Morgan, ed., *Spinoza: Complete Works*. Indianapolis: Hackett.
Stalnaker, R., 1999. *Context and Content*. Oxford: Oxford University Press
Stiver, D., 1995. *The Philosophy of Religious Language*. Oxford: Blackwell.
Stiver, D., 2001. *Theology after Ricoeur: New Directions in Hermeneutical Theology*. Louisville, KY: Westminster John Knox Press.
Strawson, P., 1950. Truth. *Proceedings of the Aristotelian Society*, suppl. vol. 24, pp. 129–56.
Sullivan, M., 2012. Semantics for Blasphemy. In J. L. Kvanvig, ed., *Oxford Studies in Philosophy of Religion*, vol. IV. Oxford: Oxford University Press.
Swinburne, R., 1981. *Faith and Reason*. Oxford: Oxford University Press.
Swinburne, R., 1991a. *The Existence of God*. Oxford: Oxford University Press.
Swinburne, R., 1991b. *Revelation: From Metaphor to Analogy*. Oxford: Oxford University Press.
Swinburne, R., 1993. *The Coherence of Theism*. Oxford: Oxford University Press.
Szabó, Z., 2005. *Semantics vs. Pragmatics*. Oxford: Oxford University Press.
Tappolet, C., 1997. Mixed Inferences: A Problem for Pluralism about Truth Predicates. *Analysis* 57 (3), pp. 382–5.
Tennant, N., 1995. On Negation, Truth and Warranted Assertibility. *Analysis* 54 (2), pp. 98–104.
Terkel, S., 1975. *Giants of Jazz*. Rev. edn. New York: Crowell.
Thomasson, A., 2007. Modal Normativism and the Methods of Metaphysics. *Philosophical Topics* 35 (1/2), pp. 135–60.
Tilley, T., 1978. *Talking of God: An Introduction to Philosophical Analysis of Religious Language*. New York: Paulist Press.
Tillich, P., 1989. Religious Language as Symbolic. In R. Swinburne, ed., *Miracles*. London: Macmillan.
Todd, C., 2004. Quasi-realism, Acquaintance, and the Normative Claims of Aesthetic Judgement. *British Journal of Aesthetics* 44 (3), pp. 277–96.
Tresan, J., 2006. De Dicto Internalist Cognitivism. *Noûs* 40 (1), pp. 143–65.
Turner, D., 1995. *The Darkness of God: Negativity in Christian Mysticism*. Cambridge: Cambridge University Press.
Van Inwagen, P., 2006. *The Problem of Evil: The Gifford Lectures Delivered in the University of St Andrews in 2003*. Oxford: Oxford University Press.
White, R., 1986. *The Structure of Metaphor: The Way the Language of Metaphor Works*. Oxford: Blackwell.
White, R., 2010. *Talking about God*. Aldershot: Ashgate.
Wieman, H., 1932. *Is There a God?* Edited by D. C. MacIntosh and Rudolph Otto. Chicago: Willett, Clark.
Williamson, T., 1994. A Critical Study of Truth and Objectivity. *International Journal of Philosophical Studies* 30 (1), pp. 130–44.
Wilson, D., and Carston, R., 2006. Metaphor, Relevance, and the 'Emergent Property' Issue. *Mind and Language* 21 (3), pp. 404–33.
Winch, P., 1987. *Trying to Make Sense*. Oxford: Blackwell.
Wittgenstein, L., 1953. *Philosophical Investigations*. Edited by G. E. M. Anscombe and R. Rhees. Oxford: Blackwell.
Wittgenstein, L., 1966. *Lectures and Conversations on Aesthetics, Psychology and Religious Belief*. Edited by C. Barrett. Oxford: Blackwell.

Wittgenstein, L., 1993. *Philosophical Occasions*. Edited by J. Klagge and A. Nordmann. Indianapolis: Hackett.

Wittgenstein, L., 1994. *Culture and Value*, rev. edn. Edited by G. H. von Wright, translated by P. Winch. Oxford: Blackwell.

Wittgenstein, L., 2003. *Public and Private Occasions*. Edited by J. Klagge and A. Nordmann. Maryland: Rowman & Littlefield.

Wright, C., 1986. Scientific Realism, Observation and the Verification Principle. In G. MacDonald and C. Wright, eds, *Fact, Science and Morality: Essays on A. J. Ayer's 'Language, Truth and Logic'*. Oxford: Blackwell, pp. 247–74.

Wright, C., 1989. The Verification Principle: Another Puncture – Another Patch. *Mind* 98 (392), pp. 611–22.

Wright, C., 1992. *Truth and Objectivity*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Wright, C., 2003. *Saving the Differences*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Wynn, M., 1995. Religious Language. In J. Houlden and P. Byrne, eds, *Companion Encyclopedia of Theology*. London: Routledge, pp. 413–32.

Yablo, S., 2002. Go Figure: A Path through Fictionalism. *Midwest Studies in Philosophy* 25 (1), pp. 72–102.

Zagzebski, L., 2004. *Divine Motivation Theory*. Cambridge: Cambridge University Press.

مَسرَدُ الأَعلامِ والمُصطَلَحات

Adams, R. M. ر.م. آدَمز، 256

afterlife الآخِرَة، 78-79

Alston, William وِليَم أولستن، 17 (الهامش 1)، 41، 172، 181، 241، 266، 269، 297، 299-305

analogy القِياسُ التَّمثيلِيّ، 264-269، 288-289

وَيُنظَرُ أَيضًا metaphor (الاستِعارَةُ)

Anselm يُنظَر St Anselm (القِدّيسُ أنسيلم)

apophatics الأبوفاتيكِيَّة، 19، 43، الفصل 2، 309-317

elimination problem المُشكِلَةُ الإقصائيَّة، 49، 54-58

linguistic vs speech act options الخِيارُ اللُّغَوِيُّ بِإزاءِ خِيارِ الفِعلِ الكلامِيّ، 53-57، 309-311

negative method or via negativa طَريقَةُ السَّلب، 52-53، 62-63

reference problem مُشكِلَةُ الإحالَة، 53، 63-66، 159-182

وَيُنظَرُ أَيضًا Denys the Areopagite (دينِس [أو ديونيسيوس] الأريوباغِيّ)؛ و Evagrius Ponticus (إيفاغريوس البنطِيّ)؛ وintrinsic properties (الصِّفاتُ الذّاتِيَّة)؛ وThe Cloud of Unknowing (غَمامَةُ الجَهل)؛ وtranscendence (التَّعالي)

Aquinas الأكوينِيّ يُنظَر St Thomas Aquinas (القِدّيسُ توما الأكوينِيّ)

assertion التَّقرير، 324-334

attitude theories نَظَرِيّات المَوقِف، القِسم الأوَّل،

history misrepresented إساءةُ تأويلِ التَّاريخ، 39-43
logic of religious language مَنطِقُ اللُّغَةِ الدِّينيَّة، 43، 152-155
motivation argument حُجَّةُ الدّافِع، 129-136
objections to الاعتِراضاتُ عَلى، 137-158
positive account of attitudes الأُطروحَةُ الإيجابيَّةُ لِلمَواقِف، 44، 54-55، 58-59، 108
varieties of تَنَوُّعات، 34-36
ويُنظَرُ أيضًا belief (الاعتِقاد)؛ و expressivism (التَّعبيريَّة)؛ و internalism (الجَوّانيَّة)؛ و moderate attitude theory (نَظَريَّةُ المَوقِفِ المُعتَدِلَة)؛ و non-cognitivism (اللامَعرِفيَّة)
Augustine أوغُسطين يُنظَرُ St Augustine (القِدّيسُ أوغُسطين)
Austin أوستِن، 55-57
Ayer, A. j. أ.ج. أيَر، 31، 43، 89-103، 194

Bach, Kent كنت باك، 177
belief and desire الاعتِقادُ والرَّغبَة،
belief-desire theory of action نَظَريَّةُ الفِعلِ النّاتِجِ مِن الاعتِقاد-الرَّغبَة، 127-131
besires الاعتِقابات، 128-129
directions of fit اتِّجاها المُلاءَمَة، 129
faith الإيمان، 77، 121-127
input and Output إدخاليٌّ وإخراجيّ، 79، 148
regulative account الأُطروحَةُ التَّنظيميَّة، 122-124
ويُنظَرُ أيضًا internalism (الجَوّانيَّة)
Berkeley, George جورج باركلي، 31، 43، 67-88، 127، 193
evocative theory النَّظَريَّةُ الاستِثاريَّة، 80
hybrid theory النَّظَريَّةُ الهَجينَة، 84-85
introspection argument حُجَّةُ الاستِبطان، 72-74، 85-86
logic objection اعتِراضُ المَنطِق، 86-88
positive account of attitudes الأُطروحَةُ الإيجابيَّةُ لِلمَواقِف، 83
on religious mysteries بِشأنِ الأسرارِ الدِّينيَّة، 71-78، 83
ويُنظَرُ أيضًا expressivism (التَّعبيريَّة)؛ وgrace (النِّعمَة)؛ وinternalism (الجَوّانيَّة)؛ وoriginal sin (الخَطيئَةُ الأصليَّة)؛ وThe Trinity (الثّالوث)

Black, Max ماكس بلاك، 275، 280-279
Blackburn, Simon سايمن بلاكبيرن، 35-36، 103-104، 115-116، 142، 146، 238-236
Boghossian, Paul بول بوغوسيان، 201
Braithwaite, R. B. ر.ب. بَرَيْثْوَيْت، 31، 43، 109-89
Brandom, Robert روبرت براندم، 327
Byrne, Peter بيتر بيرن، 244-243

Carnap, Rudolf رودولف كارناب، 194
Carston, Robyn روبين كارستن، 285-283
Church, Alonzo ألونزو تشيرتش، 95
Cloud of Unknowing, The *غَمامَةُ الجَهل*، 30-31، 52-50
Crombie, I. M. إ.م. كرومبي، 265
Cupitt, Don دون كيُوبِت، 32، 33 (الهامش 1)، 273

Davidson, Donald دونالد دَيْفِدسن، 279-275
Dennett, Daniel دانييل دينِت، 196
Denys the Areopagite ديـنِـس [أو ديـونـيـسـيـوس] الأريـوبـاغِـيّ، 30، 48-66، 181، 181 (الهامش 9)، 312
Derrida, Jacques جاك دريدا، 47، 55، 317-313
Descartes, René رينيه ديكارت، 62-61
Devitt, Michael مايكِل ديفِت، 185 (الهامش 10)
Dewey, John جون ديوي، 204
divine command theory نَظَرِيَّةُ الأوامِرِ الإلهيَّة، 260-256
Donellan, K. ك. دونِلن، 169، 179
Dummett, Michael مايكِل دَميت، 21، 99

Euhemerus يوهيميروس، 211-209
Euthyphro dilemma مُعضِلَةُ يوطيفرون، 259-258
Evagrius Ponticus إيفاغريوس البنطِيّ، 30، 52-50

Evans, Gareth غاريث إيفانز، 182-186
expressivisim التَّعبيريَّة، 34-45، 54، 137-158
analysis problems مُشكِلاتُ التَّحليل، 137-140
atheism الإلحاد، 140-147
Berkeley, George جورج باركلي، 76-86
comedic discourse الخِطابُ الهَزْلِيّ، 37-38
defined تَعريفُها، 35-36
ethical الأَخلاقيَّة، 44، 91-92، 102-105
explanation problem مُشكِلَةُ التَّفسير، 156-158
expressive function الوَظيفَةُ التَّعبيريَّة، 83
Frege-Geach objection اعتِراضُ فريجه-غيتش، 152-155، 155 (الهامش 3)
introspection الاستِبطان، 147-149
plans الخُطَط، 104-105
quasi-realism شِبهُ الواقِعيَّة، 143، 149
sensations الأَحاسيس، 151-152
truth and facts الصِّدقُ والحَقائق، 142
ويُنظَرُ أَيضًا internalism (الجَوّانِيَّة)؛ و R.B. Braithwaite (ر.ب. برَيْثوَيْت)؛ وsubjectivism (الذّاتِيَّة)

fictionalism التَّخَيُّلِيَّة، 270-273، الفصل 14
hermeneutic and revolutionary الهِرمِنيوطيقِيَّةُ والثَّورِيَّة، 273
modest fictionalism التَّخَيُّلِيَّةُ المُتَواضِعَة، 272، 324-334
praise theory نَظَرِيَّةُ التَّسبيح، 309-317
self-deception الخِداعُ الذّاتِيّ، 317-323
ويُنظَرُ أَيضًا Georges Rey (جورج رَي)؛ وJean-Luc Marion (جان-لوك ماريون)
Frege, Gottlob غوتلوب فريجه، 164-165

Gellman, Jerome جيروم غيلمان، 187-190
Gibbard, Allan ألن غِبَرد، 103-104
grace النِّعمَة، 72-76، 82

Grice, H. P. هـ.ب. غرايس، 22، 277، 280
Guttenplan, Samuel صاموئيل غوتِنبلان، 277

Horwich, Paul بول هورِتش، 203
Hume, David دَيفِد هيوم، 78
humpty-dumptyism الهَمبتي-دَمبتيَّة، 107
Huxley, Julian جوليان هكسلي، 199، 214، 216-218

Insole, Christopher كرِستوفر إنسول، 241-243
internalism الجَوّانيَّة، 111-136
- beliefs of demons اعتِقاداتُ الشَّياطين، 118
- Berkeley, George جورج باركلي، 77-78
- de re and de dicto necessity الضَّرورَةُ الضَّيِّقَةُ المَدى والضَّرورَةُ الواسِعَةُ المَدى، 133-134
- faith الإيمان، 121-127
- formulations صِياغاتُها، 111-117
- linguistic evidence for دَليلُها اللُّغَوِيُّ، 118-121
- motivational nature الطَّبيعَةُ الدّافِعِيَّة، 114-116، 130-133
- rebellion, moral or religious التَّمَرُّدُ الأخلاقِيُّ أو الدِّينِيّ، 114-118

intrinsic properties الصِّفاتُ الذّاتِيَّة، 60-61

Johnston, Mark مارك جونستن، 160، 173-177

Kalderon, Mark مارك كالديرون، 271
Kant, Immanuel إيمانويل كانْت، 122
Kauffman, Stuart ستيوَرت كوفمان، 218
Kaufman, Gordon غوردن كوفمان، 32، 199، 215، 219
Kenny, Anthony أنطوني كيني، 266، 293-299
Kölbel, Max ماكس كولبيل، 327 (الهامش 1)
Kretzmann, Norman نورمان كريتزمان، 70
Kripke, Saul صول كريبكه، 171 (الهامش 5)، 179

Lactantius لاكتانتيوس، 209
LePoidevin, Robin روبن ليبويديفن، 273
Lipton, Peter بيتَر لِبتن، 273
Locke, john جون لوك، 68-70، 73، 292
logical positivism الوَضعيَّةُ المَنطِقيَّة، 40، 43، 50، 89-97

MacFarlane, John جون مَكفارلن، 326
Mach, Ernst إيرنست ماخ، 194
Mackie, J. L. ج.ل. ماكي، 40
Marcion of Sinope مَرقيون السّينوبيّ، 173
Marion, Jean-Luc جان-لوك ماريون، 47-48، 55، 311-317
McFague, S. س. مكفَيْغ، 266، 291-293
Meland, Bernard برنارد ميلَند، 214-215
metaphor الاستِعارَة، 57، 263-270
analogy and metaphor القِياسُ التَّمثيليّ والاستِعارَة، 264-268، 288-291
contextualist theory النَّظَريَّةُ السِّياقِيَّة، 283-288، 307
Davidson's theory نَظَريَّةُ دَيْفِدسن، 275-279
indirect speech theory نَظَريَّةُ الكلامِ غَيرِ المُباشِر، 280، 304-307
interaction theory النَّظَرِيَّةُ التَّفاعُليَّة، 279-280، 306
irreducibility theory defined تَعريفُ النَّظَرِيَّةِ اللارَدِّيَّة، 269
irreducibility thesis evaluated تَقويمُ أُطروحَةِ اللارَدِّيَّة، 291-308
loose talk الكلامُ الفَضفاض، 285-287
open-ended المفتوحَةُ النِّهايَة، 301-302، 304
ويُنظَرُ أيضًا Antony Kenny (أنطوني كيني)؛ وDonald Davidson (دونالد دَيْفِدسن)؛ وJohn Searle (جون سيرل)؛ وMax Black (ماكس بلاك)؛ وSally McFague (سالي مكفَيْغ)
Mill, J. S. ج.س. مِل، 69، 162-164، 193
ويُنظَرُ أيضًا reference (الإحالَة)
minimalism الأدنَويَّة، 200-207، 225-245
miracles المُعجِزات، 252

moderate attitude theory نَظَرِيَّةُ المَوقِفِ المُعتَدِلَة، 35-37، 54، 137-158، 309-311
apophatics الأبوفاتيكِيَّة، 53-60، 64-66
defined تَعريفُها، 33
motivation argument for حُجَّةُ الدّافِعِيَّةِ المُؤيِّدَةُ لِـ، 129-136

Nielsen, Kai كاي نيلسن، 239
non-cognitivism اللامَعرِفِيَّة، 53، 123
defined تَعريفُها، 34
Rejected رَفضُها، 39-40

O'Leary-Hawthorne, John جون أوليري-هوثورن، 47
original sin الخَطيئةُ الأصلِيَّة، 76، 80-81

Peirce, Charles تشارلز بيرس، 204
Phillips, D. Z. د.ز. فِلِبس، 141-142، 145، 145 (الهامش 2)، 149-150، 156، 230-231
Plantinga, Alvin ألفِن بلانتِنغا، 42، 61-63، 124-125، 332
Putnam, Hilary هِلاري بَتْنام، 204-205، 228-231

Ramsey, Ian إيان رامزي، 265
Recanati, François فرانسوا ريكاناتي، 283-287، 307
reductionism الرَّدِّيَّة، 149-150، 193-200، 209-223
behaviourism السُّلوكِيَّة، 194
defined تَعريفُها، 149-150، 195
ethical naturalism الطَّبيعيَّةُ الأخلاقِيَّة، 196
explanatory versus truth conditional التَّفسيرِيَّةُ بِإزاءِ الاشتِراطِيَّةِ لِلصِّدق، 210-212
phenomenalism الظّاهِراتِيَّة، 193-197
religious naturalism الطَّبيعيَّةُ الدِّينِيَّة، 214-215، 218
revisionary or non-revisionary التَّعديلِيَّةُ أو اللاتَعديلِيَّة، 216-220
ويُنظَرُ أيضًا Baruch Spinoza (باروخ سبِنوزا)؛ وBernard Meland (برنارد ميلَند)؛

وGordon Kaufman (غـوردن كـوفـمـان)؛ وHenry Wieman (هـنـري ويـمـان)؛
وsubjectivism (الذّاتيّة)
Reference الإحالة، 63-66، 159-190
causal theory النَّظريّةُ السَّبَبيّة، 180-182
cluster theory النَّظَريّةُ العُنقوديّة، 168-169، 180
descriptivism الوَصفيّة، 164-171، 176-177
disagreement مُخالَفَتُها، 172-173، 185-186
'God' as a proper name 'اللهُ' بِوَصفِهِ اسمَ عَلَم، 159-160، 178-179
hidden indexical theory النَّظَريّةُ التّأشيريّةُ الخَفيّة، 175 (الهامش 6)
hybrid theories النَّظَريّاتُ الهَجينة، 182-187
implicature الاستِلزام، 175-176، 178
Millian theory النَّظَريّةُ المِلْيانيّة، 162-165، 172-179
nominal description theory النَّظَريّةُ الوَصفيّةُ الاسميّة، 177-178
ويُـنـظَـرُ أيـضًـا Kent Bach (كـنـت بـاك)؛ و Mark Johnston (مـارك جـونـسـتـن)؛
وminimalism (الأدنَويّة)
religious discourse and language assertions الخِطاب الدّينيّ وتَقريرات اللُّغة، 324-334
face value theory نَظَريّةُ القيمَةِ الظّاهِريّة، 18-25، 29-33، 39، 146، 155، 193-207، 231، 248-249، 260، 263-264
revisionary vs non-revisionary theories of النَّظَريّاتُ التَّعديليّةُ واللاتَعديليّةُ لِـ، 24، 32-34
scope of نِطاقُ الـ، 17-18
speech acts الأفعالُ الكلاميّة، 55
Rey, Georges جورج رَي، 272، 317-323
Rosen, Gideon غِديَن روزِن، 143
Russell, Bertrand برتراند رَسِل، 164
Ryle, Gilbert غِلبرت رايل، 195

St Anselm القِدّيسُ أنسيلم، 161
St Augustine القِدّيسُ أوغُسطين، 48، 210
St Thomas Aquinas القِدّيسُ توما الأكوينيّ، 126، 265

Salmon, Nathan نَيثِن سالمن، 175
Schleiermacher, Friedrich فريدرِش شلايَرماخَر، 220
Searle, j. ج. سيرل، 168، 275، 280-281، 304
Smith, James جَيمس سمِث، 313
Smith, Michael مايكِل سمِث، 128-129
Snyder, Daniel دانييل سنايدَر، 147
Song of Songs, The نَشيدُ الأنشاد، 17
Soskice, Janet جانيت سوسكِس، 266
speech acts الأفعالُ الكلاميَّة، 55-57
Spinoza, Baruch باروخ سبنوزا، 199، 213-214
Stalnaker, Robert روبَرت ستولنَيكر، 325-328
subjectivism الذّاتيَّة، 149-152، 220-223
defined تَعريفُها، 149-150
distinct from expressivism اختِلافُها عَن التَّعبيريَّة، 149-152
sensations الأحاسيس، 151-152
Sullivan, Meghan ميغان سولِفان، 184-187
Swinburne, Richard رِتشارد سوِنبيرن، 41، 126-127، 147، 265، 288-290

Tappolet, Christine كرِستين تابوليه، 235
Tillich, Paul بول تيليش، 252، 269
transcendence التَّعالي،
epistemological vs conceptual المَعرِفيُّ بإزاءِ التَّصوُّريّ، 48-50
reference problem مُشكِلَةُ الإحالَة، 60-66
self-defeating يَنقُضُ نَفسَهُ بِنَفسِه، 60-66
ويُنظَرُ أيضًا apophatics (الأبوفاتيكيَّة)؛ وintrinsic properties (الصِّفاتُ الذّاتيَّة)
Tresan, Jon جون ترِزن، 135
Trinity, The الثّالوث، 76، 81-82
truth الصِّدق،
correspondence المُناظَرَة، 205-206
cosmological role الدَّورُ الكَونيّ، 250-255

deflationary theory النَّظَرِيَّةُ الانكِماشِيَّة، 144-147، 200-207، 227
evidential and epistemic constraints القُيودُ الدَّليلِيَّةُ والمَعرِفِيَّة، 206، 231-236، 247-260
pluralism التَّعَدُّدِيَّة، 234-236
robust (face value) account أُطروحَةُ القيمَةِ الظَّاهِرِيَّةِ المتينَة، 206-207، 228، 247-260
superassertibility قابِلِيَّةُ التَّقريرِ المُفرِطَة، 205، 243
unified or fragmentary المُوَحَّدُ أو المُتَشَظّي، 206-207، 231-235
وَيُنظَرُ أَيضًا minimalism (الأدنَوِيَّة)
Turner, Denys دينِس تيرنَر، 49، 55، 181 (الهامش 9)

Van Inwagen, Peter بيتَر فان إنواغِن، 42، 140
verification and verificationism التَّحقيقُ والتَّحقيقِيَّة، 43، 89-102، 238، 239

White, Roger روجَر وايت، 265 (الهامش 1)
Wieman, Henry هنري ويمان، 199، 214-215
Williamson, Timothy تِمثي وِليَمسن، 234
Wilson, Deirdre ديدري وِلسن، 285
Wittgenstein, Ludwig لودفيغ فِتغِنشتاين، 123-124، 142، 151-152، 168، 195، 221-232، 236-238، 252-253
وَيُنظَرُ أَيضًا minimalism (الأدنَوِيَّة)
Wright, Crispin كرِسْبِن رايت، 203-205، 232، 247، 249، 249 (الهامش 1)، 258-260
Wynn, Mark مارك وِين، 41